دير القديس أنبا مقار

شرح رسالة

القديس بولس الرسول

إلى أهل رومية

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

شرح رسالة

القديس بولس الرسول

إلى أهل رومية

الأب متى المسكين

كتاب: شرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٩٢
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.
صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٥٩٢٠/٩٢
رقم الإيداع الدولي: I.S.B.N. 977 - 240 - 035 - 9

اعتراف بالفضل لذويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الجمع التصويري ودخوله تحت المونتاج (عملية القص واللصق وضبط مقاسات الصفحات وترقيمها)، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات الحسَّاسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوعة كملازم، ثم تخييط الملازم معاً والتجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غِنَى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارىء بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لشرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا	مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا	نسخ النسخة الخطية ومراجعة البروفات.
الأب وديد	تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس	المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري	نسخ النسخة الأولى عن المسودّة التي بخط المؤلف.
الأب ويصا	تصوير الأفلام الشفافة عن الورق الحسّاس للصفحات المجموعة للنص.
الأب برثي	جمع النص على آلة الجمع التصويري، وتقديم البروفة الأولى.
الأب لونجينوس	آلة الطباعة الأوفست ــ آلة تطبيق الملازم ــ آلة خياطة الملازم ــ آلة القص ــ التجليد.
الأب أخنوخ	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب سوريال	المونتاج وتصوير الأفلام، وتجهيز لوحات الطباعة.
الأب يسطس	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب دوماديوس	مضاهاة بروفات الجمع التصويري على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا	تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إبيفانيوس	مونتاج الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.
الأخ سامي	الطباعة والتطبيق والتجليد.

وأخيراً ــ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارىء، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار **الأحد ١٢ يوليو سنة ١٩٩٢ ــ ٥ أبيب ١٧٠٨ش.**
عيد الرسل وتذكار استشهاد الرسولين بطرس وبولس في مدينة رومية

المحتويـات

مراجع الكتاب

I ــ كتب في تفسير رسالة رومية

II ــ كتب عامة

Bibliography

Bibliography I

Commentaries on Romans

BARCLAY, WILLIAM, *The Letter to the Romans,* (Daily Study Bible), Edinburgh, 1957[2], 1955[1].

BARRETT, C.K., *A Commentary on the Epistle to the Romans,* (Harper New Testament Commentaries) 1957.

BARRETT, C.K., *Reading through Romans,* (1963[1]) SCM Press Ltd., 1987.

BARTH, KARL, *A Shorter Commentary on Romans,* (Eng. tr. of *Kurze Erklärung des Römerbriefs,* 1956), London, 1959.

BLACK, MATTHEW, *Romans,* (The New Century Bible Commentary) Grand Rapids, 1989 (1973[1]).

BROWN, JOHN, *Analytical Exposition of the Epistle of Paul the Apostle to the Romans,* Baker Book House, Grand Rapids, 1981 (1857[1]), 639 pp.

BRUCE, F.F., *The Letter of Paul to the Romans, An Introduction and Commentary* (Tyndale New Testament Commentaries) 1988, (1963[1]), 274 pp.

CHRYSOSTOM, John, *Commentary on Romans,* NPNF, 1st Ser., Vol. XIII, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

CRANFIELD, C.E.B., *A Critical and Exegetical Commentary on the Epistle to the Romans,* (International Critical Commentary) Edinburgh, 1 (1975[1]), 1987, 2 (1979[1]), 1986.

DODD, C.H., *The Epistle of Paul to the Romans* (The Moffatt New Testament Commentary), Harper and Brother Pub., 1932. 245 pp.

GARVIE, ALFRED E., *Romans* (The New Century Bible), no date stamped, 322 pp.

Bibliography II

General Works

CONYBEARE, W., *Life and Epistles of Paul,* reprinted edition, Grand Rapids, Michigan, 1987.

FITZMAYER, JOSEPH A., *Romans,* (Jerome Commentaries), .

JACKSON, F.J.F. and LAKE, K., *Beginning of Christianity,* 1933.

Oxford Dictionary of the Christian Church, ed., F.L. Cross and E.A.Livingstone (2nd ed., 1974).

PRAT, F., *The Theology of St. Paul,* 2vols., translated from the 11th French edition by John L. Stoddard, The Newman Bookshop, Westminster, 1958.

WIKENHAUSER, ALFRED, *New Testament Introduction,* New York 1958, 1967[6].

ZAHN, THEODOR, *Introduction to the New Testament,* vol. I, 1909.

ZUNTZ, G., *The Texts of the Epistle to the Romans,* 1954.

GODET, F., *Commentary on the Epistle to the Romans,* (in French, 1879[1]). Translated from French by A. Cusin (1883[1]) (Classic Commentary Library) Zondervan Pub., Grand Rapids, 1956, 530 pp.

HALDANE, ROBERT, *On Romans,* unabridged, 1816, 659 pp.

HODGE, Dr. CHARLES, *Commentary on the Epistle to the Romans,* New York, 1896 (1835[1]), 715 pp.

KÄSEMANN, ERNST, *Commentary on Romans.* Translated by W. Bromiley, Eerdmans, Grand Rapids, 1980, 428 pp. [*Romans, a Shorter Commentary,* a popular edition, T. & T. Clark, Edinburgh, 1987, (1985[1])].

KNOX, J., in *The Interpreter's Bible* 9, New York, 1954, pp. 355ff.

LIGHTFOOT, J.B., *Epistle to the Romans,* Thornapple Comm.

MEYER, H.A.W., *Critical and Exegetical Handbook to the Epistle to the Romans* (in German 1872), New York, 1884, 558 pp.

MORIS, LEON, *The Epistle to the Romans,* Eerdmans, Grand Rapids, 1988[1], 578 pp.

MOULE, H.C.G., *The Epistle of Paul the Apostle to the Romans,* (Cambridge Bible for Schools and Colleges), (1879[1]), reprint 1928, 1975, 430 pp.

MURRAY, JOHN, *The Epistle to the Romans* (New International Commentary of the New Testament), Grand Rapids (1968[1]), reprint 1987, 694 pp.

NYGREN, ANDERS, *Commentary on Romans,* (in Sweden *Pauli Brev till Romarna* 1944[1]). Translated by C.C. Rasmussen 1949[1], 1967[9], 475 pp.

PLUMER, WM.S., *Commentary on Romans,* New York, 1870, 646 pp.

RIDDLE, M.B., *Epistle to the Romans,* (International Revision Comm.), 1896, 256 pp.

SANDY, W. and HEADLAM, A.C., *A Critical and Exegetical Commentary on the Epistle to the Romans,* (International Critical Commentary) (1895[1]), 1964, 450 pp.

SHEDD, WILLIAM G.T., *A Critical and Doctrinal Commentary on the Epistle of St. Paul to the Romans* (1879[1]), reprint 1978, 439 pp.

TAYLOR, JOHN, *A Paraphrase with Notes on the Epistle to the Romans,* Dublin, 1766, 449 pp.

تمهيـــد

أولاً: تقييم الرسالة:

الرسالة إلى أهل رومية هي كبرى الرسائل التي كتبها ق. بولس وأهمها بلا نزاع. ومنذ أن كتبها ق. بولس وقرأتها روما واستُودعت خزانة الكنيسة، وأثرها يزداد في بناء فكر الكنيسة في كل أنحاء العالم كمصدر أساسي في بناء لاهوت وحياة مؤمنيها، وبالأكثر في حرارة إيمانهم وعمق إلهامهم، وشدة فاعلية حبهم والتصاقهم بالفادي.

ولكي نعطي التقييم العملي من واقع دراسة وخبرة وحياة لهذا السفر نقول، إنه لو قُرئ بوعي روحي وبشوق شديد مع شغف صادق لمعرفة ربنا يسوع المسيح وما صنعه من أجل حياتنا، فإن القارئ سيجد في الرسالة إلى أهل رومية سِرَّ الإيمان الكامل القادر أن يرفع الإنسان المتتلمذ للرب يسوع، ويُدخله في مجال النور والوضوح والقوة، لينال حقوقه من يد الرب، مسنودة بالنعمة ومؤمَّنة بالروح القدس.

والمطلوب بإلحاح من القارئ العزيز شيئان هامان:

الأول: أن يكون لديه اشتياق شديد لمعرفة الرب يسوع شخصياً، مع رغبة صادقة في التقرُّب إليه.

والثاني: أن يصدِّق مواعيد الله تصديقاً عملياً يمارسه بعد أن يسمعه، ويقول من قلبه إزاء كل وعد: آمين يا رب.

ولقد تصارع المفسرون لإعطاء معايير لرسالة رومية، فمن قائل أنها رسالة محاجاة، إلى من يقول أنها رسالة تعليم، إلى القائل بأنها شرح لاهوتي. ولكن بحسب رأينا، فهي رسالة للحياة، لأنها تحمل سر الحياة الأبدية للإنسان، وهي قادرة بالفعل أن تُدخله هذه الحياة بكل مضامينها من فرح ونعيم وسلام وحب وحرية حقيقية، حرية روحية لأولاد الله، يتذوق فيها الإنسان مُسْبقاً كل مواعيد الله الصادقة الأمينة غير الكاذبة. ولسان حال بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية كلسان حال يوحنا الرسول في إنجيله: «وآياتٍ أُخَرَ كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في

هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو٢٠: ٣٠و٣١). هكذا ق. بولس، وكأنه يقول وعلى نفس المستوى والمعنى: «كتبتُ إليكم **جزئياً** أيها الإخوة كمُذكِّر لكم بسبب النعمة التي وُهبَتْ لي من الله، حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مُباشِراً لإنجيل الله ككاهن، ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس.» (رو١٥: ١٥و١٦)

ولقد كان انشغال اللاهوتيين منذ القرون الأُولى وحتى اليوم في شرح هذه الرسالة قائماً على مستوى الأناجيل الأربعة ومكمِّلاً لها. فحينما قال ق. بولس في هذه الرسالة أنَّ ما يكرز به سيصير يوماً دستوراً يحكم الله بمقتضاه في الدينونة كإنجيل، كان صادقاً أشدَّ الصدق: «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس **حسب إنجيلي** بيسوع المسيح.» (رو٢:١٦)

وهذه الرسالة بل الوثيقة المحسوبة كنزاً في خزانة الإيمان المسيحي هي دُرَّة ناصعة في لاهوت الكنيسة، شاهدة على ما كان عليه مستوى رسل المسيح الأماجد في إدراك سِرِّ «**بر الله الخاص**» المُعلَن في المسيح وفعالية نعمته، وكيف وعلى أي أساس ورَّثه «كبيرُ التقوى» للأجيال ليتاجروا فيه ويربحوا، وتزداد النعمة وتنمو إلى ما شاء الله.

ولكن ليس بدون عناء انتزع لنا ق. بولس إنجيله هذا ـــ الفريد من نوعه الذي جاء بدون ناموس ولا سبت ولا ختانة ـــ من بين مخالب الفريسيين وسطوة الهيكل والسنهدريم. فقد دفع ق. بولس ثمن صحة إنجيله ونقاوة روحه، دمه مع ميتات كثيرة، ناهيك عن سجون وحبس وضرب وجلد وأحزان وأهوال يشيب من هولها الوِلدان.

وقد صار من مفاخر الإيمان بإنجيل ق. بولس هذا الذي تحمل الرسالة إلى أهل رومية مجمل ملامحه، كونه الإنجيل الوحيد الذي حاز على ختم الرسل مجتمعين!!: «وإنما صعدتُ (إلى أورشليم) بموجب إعلان وعرضتُ عليهم **الإنجيل** الذي أكرزُ به (بدون ناموس ولا سبت ولا ختان) بين **الأمم**، ولكن بالانفراد على المعتبَرين ... فإن هؤلاء المعتبَرين لم يشيروا عليَّ بشيء، بل بالعكس إذ رأوا أنّي أؤتمنتُ على **إنجيل الغرلة** (بدون ختان وبالتالي بدون ناموس) كما بطرس على إنجيل الختان (بين اليهود)، فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان (اليهود) عمل فيَّ أيضاً للأمم، فإذ علِم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا (بطرس) ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني ... يمين الشركة.» (غل٢: ٢ـ٩، راجع أع١٥: ٤ـ٣٣)

وإن كان البعض ينظر إلى هذه الرسالة باعتبارها صعبة الفهم على مستوى الإنسان العادي،

ولكن علينا أن نعود بها إلى الذين كُتِبَتْ من أجلهم، فقد كتبها ق. بولس لتُقرأ عند أهل رومية. وأهل رومية كانوا حديثي الإيمان بالمسيح سواء كانوا قبلاً يهوداً أو أمميين. فهي لم تُكتب لجماعة من اللاهوتيين ولا هي مؤلَّف للدفاع عن الإيمان فيها البلاغة أو الفلسفة، **بل هي عرض لإنجيل المسيح** لقوم بسطاء وبلغتهم التي يتكلمون بها. ولكن رسالة ق. بولس ليست كباقي الأناجيل تكتفي بالقصة لسرد حياة المسيح وأقواله مع إضافات قليلة وحواشٍ نادرة وشواهد، **بل هي عرض يشرح فيه ق. بولس ما هو إنجيل المسيح وعلى أي أُسس وأهداف ومعانٍ ومبادىء جاء المسيح ومات وقام، هكذا جاءت رسالة رومية وصيغت.**

ومن جهة هذا الأمر، أي من جهة أهداف ومعاني ومبادىء البشارة المفرحة بالصليب وبقيامة يسوع المسيح من الأموات، وكيف مات ولماذا مات، وكيف قام ولمن قام، فإن إنجيل ق. بولس هذا يُعتبَر أوضح إنجيل أو ربما الإنجيل الوحيد الذي يشرح ويقدم أقوى بشارة مفرحة سمعها الإنسان منذ أن سقط: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو٨:١). ولو أُوتي للقارىء أن يقرأ رسالة رومية بنفس القصد والروح الذي كتب به ق. بولس هذه الرسالة لاحتوى معناها بكل سهولة؛ بل بكل فرح واندهاش لقوة الحق الذي فيها، وقوة المعنى، وشدة إلهام الله، وبروز الأسرار المخفية في المقاصد الإلهية لخلاص الإنسان، كل إنسان، دون فرق.

وهذه الرسالة المحسوبة أنها أقوى المدوَّنات المسيحية عامة، متى قُرِئت بوعي وانفتاح قلب فهي قادرة على تغيير الحياة، ليس بقراءتها أو دراستها فقط، بل إنها في أي مقطع من مقاطعها الملتهبة، مليئة بسهام روحية نارية مصوَّبة إلى قلب الإنسان، قلَّ مَنْ استطاع أن يروغ منها. ولقد أصاب سهمٌ من هذه السهام يوماً شخصاً مستهتراً ساقطاً في أشنع الخطايا فحوَّلته إلى قديس تتباهى به المسيحية ويرفعه الغرب إلى قمة مَنْ كَتَبَ وعاش اللاهوت والتصوُّف، ذلك هو القديس أغسطينوس.

وإن من شدَّة عشق رجال الغرب لهذه الرسالة، أحصوا عدد كلماتها التي بلغت سبعة آلاف ومائة كلمة[1]، وقالوا إنه لا توجد في جميع الكتابات التي على مستوى الرسائل رسالة تفوقها حجماً.

أما من حيث أصالتها، فهذا أمر ثابت معترف به منذ الكنيسة الرسولية الأُولى. فبطرس الرسول

1. Wikenhauser, *New Testament Introduction*, pp. 346-7.

يذكر رسائل ق. بولس الرسول و بالتالي تكون التي لأهل رومية في مقدمتها: «واحسبوا أناة ربنا خلاصاً، كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً، بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرِّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم.» (٢بط٣: ١٥و١٦)

ثانياً: كاتب الرسالة: نظرة عامة لحياة بولس الرسول:

هو ق. بولس الرسول عن يقين، ونحن نقدِّم هنا في اختصار شديد لمحة عن شخصية ق. بولس الرسول والذي يريد المزيد يجد في كتاب «القديس بولس الرسول حياته ولاهوته وأعماله» القدر الوافي.

ما قبل دعوته للرسولية:

ثلاثة عوامل أساسية دخلت في تكوين شخصية ق. بولس قبل دخوله المسيحية واختياره رسولاً للأمم، وهي التي أعطته اللياقة العامة أن يخدم المسيح بين الأمم الوثنية اليونانية والرومانية أي الإيطالية التي كانت على مستوى عالٍ جداً من الثقافة والفلسفة والأدب، ولا يزال العالم كله يتشرب منها حتى اليوم.

أولاً:

بولس كان يهودي الجنس ولغته الأصلية أرامية، لغة اليهود، مع اللغة اليونانية لأنه مولود في طرسوس وهي مدينة في آسيا الصغرى حائزة على الحماية الرومانية. ومن جهة مستواه الديني كان فريسيًّا من عائلة فريسيّة. والفريسيُّ، بحسب لغتنا اليوم، هو دكتور في اللاهوت أي متخصص في معرفة التوراة وممارس لتعليم الدين. وقد تعلم ذلك على يد غمالائيل أشهر الربيِّين اليهود في زمانه.

وشبَّ بولس غيوراً على التراث اليهودي، محافظاً على التقليد بحسب مستوى التقوى، إذ يقول هو عن نفسه: «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (في٣:٦)، وهذه الشهادة تعتبر تزكية بحسب العقيدة اليهودية أن يكون شريكاً في بركات مملكة المسيَّا القادمة. وقد اكتسب بولس من هذه الدراسة والممارسة في التقوى قدرة لا يُستهان بها في فهم وشرح دقائق التوراة، التي أفادته كثيراً في محاجاته في حياته المسيحية إزاء اليهود الذين كانوا يهاجمون المسيحية أو اليهود المتنصِّرين الذين أرادوا تهويد المسيحيين من الأمم.

ثانياً:

نشأ بولس بحكم مولده في مدينة يونانية تحت الحماية الرومانية مواطناً رومانياً حُرًّا، وهذه أعطته ميزات هائلة في خدمته المسيحية العريضة وسط الإمبراطورية طولاً وعرضاً، ونجَّته من أيدي اليهود الذين ظفروا به مرات كثيرة لقتله، إذ استخدم حقوقه القانونية كمواطن روماني حرٍّ صاحب سيادة شخصية إزاء أية محاكمات يهودية أو رومانية بحسب القانون الروماني.

ثالثاً:

بولس وُلِدَ في طرسوس، وهي مدينة يونانية ذات شهرة فلسفية عالمية، فقد كانت تقف على قدم المساواة بين أثينا والإسكندرية كمركز للثقافة والفلسفة اليونانية. وإن كان ق. بولس لم يدخل مدارسها ولا تعلم الفلسفة على أربابها ولا على كتبها، إلاَّ أنه نشأ بفكر ينضح بالثقافة والحكمة والفلسفة بحكم البيئة والاحتكاك واكتساب الرزق. و بحكم يهوديته وفلسفته الدينية الخاصة على التوراة، كان ينأى عن كتب وآداب اليونان، وكثيراً ما استصغر ما فيها. لذلك جاءت جميع كتاباته، بالرغم من علو مستواها الفكري واللغوي والأدبي، جاءت وهي تخلو تماماً من العناصر الفلسفية والأدبية التي تشكِّل الفكر اليوناني وكتاباته.

وهكذا كان ق. بولس يتكلم اليونانية بطلاقة وعمق على نفس مستوى كلامه وفكره الأرامي اليهودي. لذلك تميزت كتابات ق. بولس بالانطباعات التي استقاها من التوراة في أصلها العبري وفي أصلها اليوناني المسمَّى «بالسبعينية»، ومن هنا جاء اتساع آفاق فكره اتساعاً لا يُجارَى.

وهذا كله، بدوره، هيَّأه للخدمة بين الأمم على مستوى يهود الشتات المستوطنين في بلاد الأمم وعلى مستوى اليونان وروما أيضاً، الأمر الذي كان يُعْوِز أي تلميذ أو رسول آخر وُلِد ونشأ في فلسطين وحدها.

القديس بولس يعرف نفسه في حقيقة نفسه أنه كان مُستعبَداً للخطية، وغير قادر أن يُرْضي الله بضمير مخلص، وكان أنينه لا ينقطع بالرغم من مظاهر فريسيَّته وعلمه وتفوقه على الآخرين من أترابه!

لقد طرحت به فريسيَّته وغيرته على الناموس وتقليد الآباء في اضطهاد الكنيسة الفتية. نحن الآن مع شاول بولس في سنة ٣٧م وهو يطيح بالمسيحيين البسطاء المستضعفين، ينكِّل بهم أشد تنكيل، يقبض على الرجال والنساء وهم مجتمعون يصلُّون ويسبِّحون، يسجن ويقتل ويشرِّد ويطارد ويقسو عليهم لكي يجدفوا، إلى أن اشترك في اقتراف جريمة قتل إستفانوس أول شماس للكنيسة

وأول شهيد فيها. صورة مجنونة لفريسي متعجرف معتدٍ بذاته وعلمه وسطوته في مواجهة المؤمنين المسيحيين الأوائل، الذين ليس لهم سَنَد إلاّ هذا المسيح المصلوب الذي يضطهده بولس ويقاومه عن غيرة ملتهبة ولكنها ليست حسب المعرفة، كما اعترف هو بعد ذلك:

+ «أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومُضطهِداً ومُفترياً. ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان.» (١تي١: ١٣)

وكان أشد ما يستهزىء به بولس المدعو شاول هو ادعاء المسيحيين أن الذي قتله رؤساؤه وصلبوه قد قام من الموت! حتى ظهر له المسيح في السماء يناديه باسمه:

+ «شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فقال: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده.» (أع٩: ٤و٥)

وهكذا أكمل المسيح ظهوراته بعد القيامة من الأموات بظهوره وحديثه مع بولس، فدخل بولس مع الرسل كشاهد ورسول لقيامة الرب من بين الأموات!!

لقد تحقق ق. بولس، كما تحقق الرسل، لا من مجرد الصوت ولا من مجرد الرؤيا ولا من مجرد الظهور، بل من حقيقة المسيح ذاته بشخصه فوق الصوت والرؤيا والظهور، فهو «الرب الروح» الحامل حقيقته بنفسه بل والحامل الحق لكل نفس متعطشة للحق!! لقد آمن بولس واعتمد، وقام وكرز بأن المسيح هو ابن الله: «وللوقت جعل يكرز في المجامع (لليهود) أن هذا هو ابن الله، فبُهِتَ جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي أهلَكَ في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم (المسيح) ...» (أع٩: ٢٠و٢١)

وهكذا آمن بولس وتحقق، بل وبشَّر، بأن يسوع الذي صُلِبَ ومات هو المسيح ابن الله الذي قام من الأموات وصعد إلى أعلى السموات. وهكذا تحقق له معنى وقوة موته على الصليب ـ الذي كان يستهزىء به سابقاً ـ أنه صُلِبَ من أجلي ومن أجل الخطاة، ومات بدافع حبه لي وللخطاة لينقذهم من لعنة الخطية لقيامة الحياة الأبدية: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). وأدرك ق. بولس معنى ذبح المسيح على الصليب، أنه كان ذبيحة فداء للإنسان من لعنة الخطية والموت، لمصالحة الإنسان مع الله، وأن كل ما عجز عنه الناموس أكمله المسيح وأزاد.

وهكذا أدرك ق. بولس مدى التيه الذي جرى فيه وراء الناموس وكأنه بالناموس يُرضي الله، فإذا هو بالناموس يقتل أولاد الله ويجدِّف على اسمه، فانتهى عمل الناموس من أفق بولس وكرازته. وهكذا بدأت اليهودية بميراثها وتراثها تتضاءل، ثم تنتهي في عيني ق. بولس وكرازته،

لتقوم المسيحية كوريثها الشرعي والحافظة والمكمِّلة لكل عهود الله ومواعيده والمكلِّلة لأمجاد الآباء والأنبياء في شخص المسيح!: «الذي جعله وارثاً لكل شيء.» (عب١: ٢)

وهكذا، وبعد أن كَمُلت كل دائرة الإيمان المسيحي في قلب ق. بولس، وهذا لم يستغرق في البداية أكثر من ثلاثة أيام، قام يكرز في المجامع ويُفحِم اليهود أن هذا هو المسيَّا الموعود يسوع المسيح ابن الله. ثم بعد ثلاث سنوات قضاها يراجع رقوقه في التوراة على ما سمعه ورآه، انطلق يكرز ببشارة الملكوت في كل دائرة الإمبراطورية الرومانية المتسعة من الشرق إلى الغرب بدعوة من المسيح شخصياً:

+ «... لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل» (أع٩: ١٥)،
+ «... لأن هكذا أوصانا الرب، قد أقمتُكَ نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض. فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب، وآمن جميع الذين كانوا معيَّنين للحياة الأبدية.» (أع١٣: ٤٧و٤٨)
+ «إلهُ آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته وتُبصر البارَّ (المسيح) وتسمع صوتاً من فمه، لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت.» (أع٢٢: ١٤و١٥)
+ «اذهبْ، فإني سأُرسلك إلى الأمم بعيداً.» (أع٢٢: ٢١)
+ «وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال: ثِقْ يا بولس لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع٢٣: ١١)
+ «ولكن قُمْ، وقِفْ على رجليك، لأني لهذا ظهرتُ لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به مُنْقِذاً إياك من الشعب (اليهود) ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظُلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين.» (أع٢٦: ١٦ـ١٨)

بولس الرسول يُختار رسولاً للأمم:

+ «فقال لي اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً.» (أع٢٢: ٢١)

على هذا القول الإلهي، انطلق هذا الخَيَّام صاحب الشوكة في الجسد، من مدينة إلى مدينة ومن قارة إلى قارة، ينادي بالخلاص. لم يشعر به عالمه الذي كان يخدم فيه ولحسابه؛ بل ربما أساء إليه أكثر مما تعرَّف عليه. والقديس بولس نفسه لم يكن يدري أنه بأسفاره كان يسجِّل لخدمة الإنجيل والإرساليات خريطتها الخالدة التي سيطبعها له العالم على قلوب كل الأجيال، ويعمل منها المُرْسَلون عصائب يربطونها على عقولهم و بين عيونهم.

لم يدرِ ق. بولس أنه بأسفاره كان يحدد للعالم المسيحي مساره ويقنِّن لتاريخه الروحي مبادئه وأفكاره. وبخدمته في الأزقة والحواري خلف المدن الكبرى، إنما كان يخطِّط ويرسم مواقع الكاتدرائيات في المدن العظمى.

كانت عظاته التي سمعها فلاسفة أثينا في نظرهم مجرد هَذَر، هذا قيل له علناً وملأ أسماعه. وتدور الأيام وتجيء السنون لتُوزَن فلسفة أثينا إزاء عظات ق. بولس اليوم فلا تفوز إلَّا بنفس القدر من الوزن والتعليق. وبعد ما سمعه فَسْتُوس مع الملك أغريباس وهو يشهد للخلاص (أع٢٦: ١—٢٤) قرّظوه: «أنت تهذي يا بولس»! والآن يسمعه الملوك في الكاتدرائيات خالعين تيجانهم.

كان ق. بولس يسعى كسفير فوق العادة لشخص المسيح ينادي في كل العالم ليصالحه لحساب الله: «نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله!» (٢كو٥: ٢٠)

فلم يُخْطئه بسطاء القلوب سواء من عامة الشعب أو من عِلْية القوم. فبسطاء الناس في آسيا نظروه الإله هَرْمَس وقد هبط لهم مع زفس (أع١٤: ١٢)، وأهل غلاطية قبلوه كملاك الله أو المسيح نفسه (غل٤: ١٤)، وأهل مالطة بعد أن عثروا فيه إلى لحظة عادوا وابتدأوا ينادون به كإله (أع٢٨: ٣—٦)، وعمدة مالطة أكرم ضيافته لثلاثة أيام وودَّعه بالهدايا وهو مُسَلْسَل بالقيود في طريقه إلى روما!

وشتَّان بين منظر التلاميذ صيادي سمك الجليل وقوارب الصيد تتهادى بهم وينعسون على ضربات المجاديف، يداعبهم نسيم الليل العليل، وبين هذا الخيَّام الذي يمخر عباب البحار في رحلاته بسفن زنة الواحدة منها ألف طن، بأشرعتها العشرين، وهي تشقُّ الأمواج في عرض البحار والأمواج تلاطمها فتعلو إلى خمسة عشر متراً وتهبط حتى إلى ما دون مستوى البحر، تعصف بها الأعاصير وتحطِّمها الأنواء، تُحمل على الأمواج تائهة لأربعة عشر يوماً، وأخيراً تصطدم بصخور القاع فتمزقها إرباً إرباً، ليبيت رسول المسيح في الماء مُتشبِّثاً بحطامها: «ثلاث مرات انكسرت بي السفينة. ليلاً ونهاراً قضيت في العمق» (٢كو١١: ٢٥). وعلى القارىء الآن أن يصحح كلمة «ثلاث مرات»، لأن ق. بولس بعدها انكسرت به السفينة للمرة الرابعة على شاطىء مالطة!

أما أسفاره على الطرق والتي بلغت مئات الأميال، فقد عانى ما عانى من مشقة الأسفار في الطرق الوعرة وأنفاق الجبال في قيظ الصيف وثليج الشتاء، وكم لاقى ما لاقى من أهوال السيول

وانقضاض اللصوص. وكانت محطاته الليلية فرصة لعمل يديه يصنع الخيام ويبيعها ليُقيت نفسه ويُنفق على نفسه وعلى غيره.

ولم يخلُ ق. بولس من عزاء الزمالة، ولكنها كانت كلها زمالة المعاناة والجهد الجهيد!! فهو يحكي عن زملاء العمل συνεργός وزملاء الجندية συστρατιώτης (في٢: ٢٥)، وزملاء عبودية συνδοῦλος (كو١: ٧)، وزملاء نير (نير الحرث كزوج بقر) σύζυγος (في٤: ٣)، وزملاء أسر السجون συναιχμάλωτος (كو٤: ١٠). وعليك أيها القارىء أن تستشف من هذه الأهوال وهذه الأسماء ما وراءها من قصص جهاد وصبر وضيق ومَرَار واختناق ثم نجاة!! لعمل الخدمة!! لتكميل القديسين!! وبقدر ما كان **يسير** ق. بولس كانت كلمة الله **تجري**!! «أخيراً أيها الإخوة صلوا لأجلنا لكي **تجري** runs = τρέχῃ كلمة الله وتتمجد ...» (٢تس٣: ١)

والقديس بولس يعطينا صورة صادقة للمستوى الحياتي (الاجتماعي) الذي كان يخدم في وسطه ويخدم هو له، والذي كان يشكِّل صورة الكنيسة الأُولى ومجمع القديسين الذين نتوق لو نضع تراب أرجلهم كُحْلاً لعيوننا:

+ «فانظروا دعوتكم أيها الإخوة:
أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء؛ بل اختار الله (منكم) جُهَّال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمُزْدَرى وغير الموجود ليُبْطِل الموجود لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه، **ومنه أنتم بالمسيح يسوع!!**» (١كو١: ٢٦—٢٨)
هذه هي مدينة كورنثوس.

وصورة أخرى لهؤلاء الذين غيَّرهم ق. بولس في هذه المدينة وصاروا معدودين قديسين وقد سبقونا إلى الأمجاد العليا:

+ «**لا تضلُّوا لا زناة، ولا عَبَدَة أوثان، ولا فاسقون، ولا مأبونون، ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون، ولا طمَّاعون، ولا سكِّيرون، ولا شتَّامون، ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أُناس منكم**، لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦: ٩—١١)

لهذا المستوى كانت إرساليات ق. بولس، ولهؤلاء كان يشقى ويسعى بالجهد متحملاً المخاطر والأهوال، ومن هذه العينة ذات الألوان العشرة القاتمة المُقْبِضة للنفس، قامت بداية كنيسة

كورنثوس أم مدائن اليونان في ذلك العهد!! ولا يخفى على القارىء أن كل الكنائس كانت على مستوى الفقر المُدْقِع، وأن نسبة العبيد فيها كانت هي الغالبة والسائدة (كو٣: ٢٢-٢٥). فحينما تسمع، أيها القارىء العزيز، أن ق. بولس كان رسولاً للأمم، وأنه صاحب الأسفار والإرساليات، فاذكر في أي الأوساط كان يخدم ولأي مستوى كان يبشِّر؛ بل ولقد حسبها هو نفسه في لحظة أنها على مستوى الإذلال: «إني أخاف إذا جئتُ أن لا أجدكم كما أريد ... **أن يذلّني إلهي عندكم** إذا جئت أيضاً، وأنوح على كثيرين ممَّن أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنا والعهارة التي فعلوها.» (٢كو١٢: ٢٠و٢١)

أما إن أردت أيها القارىء أن تأخذ من فم ق. بولس تصريحاً عن المستوى العام لإرسالياته فهذا هو تقريره: «إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونَعْرَى (يسلبه اللصوص كل ما معه وكل ما عليه من ملابس) ونُلْكَم (ضرب اللصوص وقطّاع الطرق واليهود أيضاً)، وليس لنا إقامة. ونتعب عاملين بأيدينا. نُشْتَم فنبارِك، نُضطَهَدُ فنحتمل، يُفترَى علينا فنعظ، صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء إلى الآن.» (١كو٤: ١١-١٣)

ولكن لأن ق. بولس كان يحمل أخلاقاً عظيمة حقاً في الحب والبذل والاتضاع الصادق والإخلاص والتفاني في الخدمة مع الحكمة والرزانة والتعقُّل، فقد اجتذب إليه ألوف وعشرات الألوف من الأتقياء الذين كانوا بالفعل مختارين ومعيَّنين للحياة الأبدية من كل الفئات والأوساط، من أحطِّها إلى أعلاها، هؤلاء صنع منهم ق. بولس قرباناً مقدَّساً للمسيح لحساب الأمم على مذبح العرش السماوي: «ولكن بأكثر جسارة كتبتُ إليكم جزئياً أيها الإخوة، كمذكِّر لكم، بسبب النعمة التي وُهبت لي من الله حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مُبَاشِراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدَّساً بالروح القدس.» (رو١٥: ١٥و١٦)

كذلك فقد ظهرت طفرات بين الشعب لأشخاص متيسري الحال؛ بل وأغنياء أيضاً على أعلى مستوى من البذل والتضحية، فنسمع أنهم احتضنوا الكنائس في بيوتهم، وبالتالي قاموا باستضافة الغرباء والضعفاء، فكانوا بمثابة الرئة التي كان يتنفس بها ق. بولس في هذه الكنائس.

+ «يُسلِّم عليكم في الرب كثيراً أكيلا وبرسكيلا مع الكنيسة التي في بيتهما.» (١كو١٦: ١٩)
+ «سلّموا على الإخوة الذين في لاودكية وعلى نِمْفاس وعلى الكنيسة التي في بيته.» (كو٤: ١٥)

+ «إلى فليمون المحبوب والعامل معنا وإلى إبْفِية المحبوبة، وأرْخِبُّس المتجنِّد معنا، وإلى الكنيسة التي في بيتك.» (فل١و٢)
+ «يسلِّم عليكم غايُس مُضيِّفي ومُضيِّف الكنيسة كلها.» (رو١٦: ٢٣)

كما ظهرت في الكنائس سيدات عظيمات حقاً على مستوى الخدمة العامة والبذل والعطاء بسخاء مثل فيبي شمَّاسة كنيسة كنخريَا وهي سيدة أرملة غنية، وأعمالها في روما، مما يجعلها تتنقل من مدينتها كنخريا ميناء كورنثوس إلى روما، وقد حملت رسالة ق. بولس معها إلى هناك (رو١٦: ١)، كذلك ليديا بائعة الحرير (الأرجوان) وهي من آسيا (أع١٦: ٤)، كذلك في كنيسة تسالونيكي بعضٌ من السيدات ذوات الحيثية أو المقام اللواتي أسماهنَّ في سفر الأعمال «نساء متقدمات» أي من عِلْيَة القوم، هؤلاء انضممن إلى ق. بولس في تسالونيكي (أع١٧: ٤). كذلك في بيريَّة آمن منهنَّ كثيرات من النساء اليونانيات الشريفات (ذوات كرامة) (أع١٧: ١٢)، وكانت هاته النسوة بمثابة ملائكة الرحمة في هذه الكنائس الفقيرة، فكانت كالبلسم الشافي لجروح ق. بولس من جراء عَوَز المؤمنين الجدد.

ولقد نال هذا الرسول المختار المعيَّن من الله دعوته بدعوة خاصة من المسيح الرب المحيي من السماء، ونال ختم الشركة في الخدمة الرسولية التي للاثني عشر من الرسل القائمين في أورشليم سنة ٥٠م وذلك بعد ١٤ سنة من قبوله الدعوة من المسيح والخدمة بين الأمم، وقد صادقوا على إرساليته وأعطوه يمين الشركة بصفته رسول الأمم الكارز بإنجيل الغُرلة أي الإيمان بالمسيح بدون رجعة للناموس ولا التعبُّد للسبت أو الختان وبقية العوائد اليهودية (غل٢: ١ إلخ ...، وأع١٥: ٢ إلخ ...)

وقد قام ق. بولس برحلاته التبشيرية الثلاث التي انتهت بسجنه في قيصرية وترحيله إلى روما حيث نال إكليل الشهادة هناك.

ثالثاً: التوقيعات التاريخية لتنقُّلات بولس الرسول:

هي محاولة لحصر الحوادث الهامة في حياة ق. بولس بعد أن تعيَّن رسولاً من المسيح إلى أن استشهد في روما، مع إعطاء تاريخ لكل منها بقدر ما أسعفَتْنا دراسات العلماء والمؤرخين لحياته(٢).

2. Wm.S.Plumer, *Commentary on Romans*, p. 8.

١ ــ بدء ظهور بولس في أفق الكنيسة سنة ٣٤م بقيامه بأول اضطهاد حتى نهاية سنة ٣٥م.

٢ ــ ظهور الرب لبولس واستلام الإيمان والرسولية سنة ٣٦م.

٣ ــ انطلاقه إلى العربية لمراجعة حياته وإيمانه سنة ٣٦ــ٣٨م.

٤ ــ عودة ق. بولس إلى دمشق وتدلّيه من السور للنجاة من الحصار سنة ٣٨م، **وذهابه إلى أورشليم** (لأول مرة بعد قبول الإيمان) وإخفاقه في مقابلة الرسل. لأن الكل كان خائفاً منه، حتى تدخل برنابا وتوسط له وقدّمه للكنيسة، ولكنه ظلّ غير معروفٍ بالوجه.

٥ ــ انطلاق ق. بولس إلى إقليم كيليكية، وهو موطن رأسه، سنة ٣٩م ليبشر بالإيمان الذي اضطهده وأتلفه.

٦ ــ دخوله إلى سوريا وتبشيره هناك سنة ٤٠م، ولكن لم يدخل كنيسة أنطاكية حتى سنة ٤١م.

٧ ــ بدء خدمة ق. بولس في أنطاكية، وتحمُّله اضطهاداً شديداً لثلاث سنوات سنة ٤١ــ٤٣م.

٨ ــ بدء اضطهاد هيرودس (أغريباس) سنة ٤٣م.

٩ ــ القديسان بولس وبرنابا ينحدران إلى أورشليم (ثاني زيارة لها) حاملين مساعدات لفقراء أورشليم واليهودية بسبب المجاعة سنة ٤٤و٤٥م، وانضمام يوحنا مرقس لهما، وبدء خدمة الأمم رسمياً.

١٠ ــ وصول الثلاثة: بولس وبرنابا ومرقس إلى قبرص والتبشير الكبير فيها سنة ٤٥م، وهذا بدء أول رحلة تبشيرية، وبدء تاريخ الكنيسة المسيحية في قبرص الذي يتوافق مع بدء تاريخ المسيحية في مصر.

١١ ــ بدء الخدمة في آسيا بمفيلية سنة ٤٥م وامتدادها إلى بيسيدية وليكأونية سنة ٤٦م.

١٢ ــ الصدام مع اليهود المسيحيين الراغبين في تهويد الأمم سنة ٤٨م.

١٣ ــ النزول إلى أورشليم (لثالث مرة) لحلّ النزاع، وانعقاد أول مجمع للرسل في أورشليم سنة ٤٩م.

١٤ ــ انفصال بولس عن برنابا ومرقس، وبولس يأخذ سلوانس (سيلا) وتيموثاوس سنة ٥٠م، حيث انطلقوا ثلاثتهم في كل مدن آسيا تقريباً شمالاً وشرقاً وغرباً. ثم عبروا إلى أوروبا. **وهذه تُعتبر ثاني رحلة تبشيرية.**

١٥ ــ ق. بولس في فيلبي لأول مرة سنة ٥١م، ومنها إلى أمفيبوليس، وأبولونية ثم إلى تسالونيكي وبيرية.

١٦ ــ طرد اليهود من روما سنة ٥٢م على يد كلوديوس، وزيارة ق. بولس أثينا، ومنها إلى كورنثوس حيث **قابل أكيلا وبريسكلا. ومنذ ذلك الحين بدأت رغبة ق. بولس الملحّة لزيارة روما.**

١٧ ــ انحدار ق. بولس إلى أفسس ولم يتأخر فيها سنة ٥٤م. وهناك تعرّف لأول مرة على أبولس الذي تولى أكيلا وبريسكلا تعديل إيمانه من المعمدانية إلى المسيحية. غير أن ق. بولس لم يتأخر في أفسس بل غادرها عائداً عن طريق البحر إلى قيصرية، ومن هناك صعد ليسلّم على الكنيسة في أورشليم (لرابع مرة) ومنها عاد إلى أنطاكية.

١٨ ــ بدء ثالث رحلة تبشيرية وعودة ق. بولس إلى أفسس سنة ٥٥م وبدء خدمته في مدرسة تيرانُّس لمدة سنتين (سنة ٥٥ــ٥٧م).

١٩ ــ عبور ق. بولس من تروي (ترواس) مرة أخرى إلى مكدونية ثم إلى اليونان سنة ٥٧م.

٢٠ ــ ق. بولس في فيلبي لثاني مرة سنة ٥٨م وبقية الكنائس في اليونان حتى إلى كورنثوس، حيث كتب رسالته إلى أهل رومية في ربيع سنة ٥٨م.

٢١ ــ انحدار ق. بولس صوب أورشليم (الزيارة الخامسة والأخيرة) ومعه مساعدات كل الكنائس لفقرائها في أواخر سنة ٥٨م.

٢٢ ــ ق. بولس في المحاكمة أمام حنان رئيس الكهنة سنة ٥٨و٥٩م، ثم أمام فستوس وأغريباس، وبناءً على التماسه رُفِعَتْ قضيته لأُوغسطس قيصر بروما. وظل في سجن قيصرية سنتين.

٢٣ ــ الرحلة الأخيرة إلى روما، حيث انكسرت به السفينة عند مالطة ووصوله إلى روما سنة ٦١م.

٢٤ ــ بقاؤه في روما أسيراً مُعْتقَلاً في بيته، يخدم المسيح لمدة سنتين حتى سنة ٦٣م.

٢٥ ــ المحاكمة الأُولى والإفراج عنه سنة ٦٣م.

٢٦ ــ **والمعتقد عند البعض:**

رحلة إلى أسبانيا سنة ٦٣م.

٢٧ ــ تواجده في كريت سنة ٦٤م ومنها إلى اليهودية ثم كولوسي ثم مكدونية.

٢٨ ــ ق. بولس في الشتاء في مدينة المَشْتَى: نيكوبوليس في غرب اليونان سنة ٦٥م.

٢٩ ــ ق. بولس في كورنثوس ثم في ترواس سنة ٦٦م.

٣٠ ــ ق. بولس في مالطة سنة ٦٧م ومنها أُخذ أسيراً إلى روما للسجن الثاني.

٣١ ــ نال إكليل الشهادة سنة ٦٨م.

جدول لأهم تواريخ حياة بولس الرسول:

يمكن تلخيص أهم التواريخ السابقة في الجدول التالي:

قبول القديس بولس للإيمان المسيحي	٣٦م
أول زيارة للقديس بولس لأُورشليم	٣٨م
ثاني زيارة للقديس بولس لأُورشليم	٤٤م
بدء أول رحلة تبشيرية.	٤٥م
ثالث زيارة للقديس بولس لأُورشليم ــ أول مجمع للرسل في أورشليم	٤٩م
بدء ثاني رحلة تبشيرية.	٥٠م
رابع زيارة لأُورشليم	٥٤م
بدء ثالث رحلة تبشيرية.	٥٤م
خامس زيارة لأُورشليم وهي آخر زيارة	٥٨م
السجن في قيصرية	٥٨ ــ ٦٠م
الترحيل إلى روما	خريف ٦٠ ــ ٦١م
أول سجن للقديس بولس في روما	٦١ ــ ٦٣م
البراءة ثم إعادة القبض والسجن (؟)	٦٣ ــ ٦٧م (؟)
الاستشهاد	٦٧ أو ٦٨م

الأشخاص الذين رافقوا بولس الرسول في رحلاته:

وهم جميعاً على مستوى اليقين من جهة تاريخهم ومواقعهم من سفر الأعمال(٣):

١ ــ سوباتير الذي من بيرية (أع٢٠:٤) Sopator.

٢ ــ أرِسْتَرخُس وسِكُونْدُس اللذان من تسالونيكي Aristarchus و Secondus (أع٢٠:٤).

٣ ــ غايُس الذي من دَرْبة (مضيِّف ق. بولس في كورنثوس) (أع٢٠:٤، رو١٦:٢٣).

٤ ــ تيخيكُس وتروفيمُس من إقليم آسيا (أع٢٠:٤و٥) اللذان رافقاه من كورنثوس إلى أورشليم في رحلته الأخيرة.

٥ ــ مرقس الذي من القيروان والذي فارق بولس أولاً (أع١٣:١٣) ولكنه انضم إليه أخيراً (كو٤:١٠ و٢تي٤:١١).

٦ ــ سيلاس (سلوانس) (أع١٥:٤٠) وقد كان **سيلاس مع لوقا** لما رافقا ق. بولس.

3. F. Prat, *The Theology of St. Paul,* Vol. 1, p. 9.

٧ ــ تيموثاوس: قابله ق. بولس في رحلته الثانية (أع١٦:١) ــ في لِسْترة ــ ثم ذهب معه من كورنثوس إلى أورشليم، ورافقه حتى روما وعاش معه في السجن.

٨ ــ في قيصرية تعرَّف على فيلبُّس أحد الشمامسة السبعة (أع٢١:٨). و يلاحظ أن فيلبُّس هو الذي أعطى ق. لوقا كل البيانات الواردة في سفر الأعمال من الأصحاح السادس حتى الثامن كشاهد عيان.

الأباطرة الذين عاصرهم بولس الرسول(٤):

١ ــ بدأ ق. بولس حياته أيام حكم **طيباريوس قيصر** الذي ظل إمبراطوراً ١٨ سنة قبل موت المسيح، ومات سنة ٣٧م، أي بعد ظهور ق. بولس بثلاث سنوات.

٢ ــ خَلَفَ طيباريوس في الحكم الإمبراطور **كاليجولا** الذي مات سنة ٤١م.

٣ ــ خَلَفَ كاليجولا في الحكم **كلوديوس** الذي مات مسموماً سنة ٥٤م.

٤ ــ خَلَفَ كلوديوس الإمبراطور **نيرون** الذي مات منتحراً سنة ٦٨م.

رابعاً: تاريخ وأماكن تحرير رسائل بولس الرسول(٥):

هذه التوقيعات التاريخية والطبوغرافية تتفاوت عند العلماء؛ ولكن في حدود ضيقة للغاية لا تتعدى السنة الواحدة في غالبية الأحوال. كذلك ترتيب الرسائل أيضاً تتفاوت فيها تقديرات العلماء، فمن قائل أن أولى رسائله هي إلى أهل غلاطية، إلى القائل لا بل تسالونيكي. ولكننا أخذنا برأي العالم المدقق «كونيبير» وهو أشهر وأدق مَنْ كَتَبَ عن ق. بولس:

أولى الرسائل: تسالونيكي الأُولى سنة ٥٢م. كُتِبَت في كورنثوس.

الرسالة الثانية: تسالونيكي الثانية سنة ٥٣م. كُتِبَت في كورنثوس.

الرسالة الثالثة: كورنثوس الأُولى ربيع سنة ٥٧م. كُتِبَت في أفسس.

الرسالة الرابعة: كورنثوس الثانية خريف سنة ٥٧م. كُتِبَت في فيلبي.

الرسالة الخامسة: غلاطية شتاء سنة ٥٧م. كُتِبَت في كورنثوس.

الرسالة السادسة: إلى أهل رومية ربيع سنة ٥٨م. من كورنثوس.

الرسالة السابعة: إلى فليمون ربيع سنة ٦٢م. كُتِبَت في روما.

الرسالة الثامنة: إلى كولوسي ربيع سنة ٦٢م. كُتِبَت في روما.

4. Plumer, *op. cit.,* p. 9.

5. Conybeare, *The Life and Epistles of St. Paul,* pp. 833-834.

الرسالة التاسعة: إلى أفسس ربيع سنة ٦٢م. كُتبت في روما.
الرسالة العاشرة: إلى فيلبي شتاء سنة ٦٢م. كُتِبَت في روما.
الرسالة الحادية عشرة: تيموثاوس الأولى صيف سنة ٦٧م. في مكدونية.
الرسالة الثانية عشرة: إلى تيطس خريف سنة ٦٧م. من أفسس.
الرسالة الثالثة عشرة: تيموثاوس الثانية ربيع سنة ٦٨م. السجن الثاني في روما.
الرسالة الرابعة عشرة: إلى العبرانيين سنة(؟).

خامساً: أسلوب الكتابة عند بولس الرسول:

[اشتهيت أمرين: أن أرى المسيح بالجسد، وأسمع بولس وهو فوق المنبر] (القديس أغسطينوس).

يقول العلاّمة وليم بلومر(٦):

[لم يمر سبتٌ أو أحدٌ منذ مات بولس حتى اليوم، لم تُقرأ فيه رسائله في الخدمة اليومية أو يُقتبس منها على منابر الوعظ أو يتلوها المؤمنون عن ظهر قلب في كل كنيسة على وجه كل الأرض. وهكذا وإلى مدى الدهر شاع اسم بولس وذاع في المسكونة كلها، فلم يوجد مؤمن واحد في أي مكان على الأرض لا يعرف بولس، حتى الشياطين عرفته واقشعرت منه: «فأجاب الروح الشرير وقال: أما يسوع فأنا أعرفه، و بولس أنا أعلمه، أما أنتم فمن أنتم؟ فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقوي عليهم حتى هربوا من ذلك البيت عُرَاة ومجرَّحين» (أع١٩: ١٥-١٧).]

وتفوُّق ق. بولس في الكتابة لم يأته من مؤهلاته السابقة كونه كان فريسيًّا معلماً للناموس، ولا بسبب اتقانه للسبعينية وضلوعه في العبرانية واليونانية، ولا لأي سبب آخر، ولكن لأنه اكتسب من رؤيته للمسيح رؤية للكلمة صادرة ملتهبة من ينبوعها الإلهي الحي. لقد انفتح ذهن ق. بولس واستنار بنور وجه المسيح الذي أضاء آفاق روحه وأعماق قلبه، فرأى الماضي بكل دقائقه مشروحاً بالروح بلا عناء، ورأى الصليب والقيامة حقائق ساطعة تغطي كل النبوات السالفة، وكل أعواز الإنسان. لهذا، فحينما كان ق. بولس يتكلم كانت المعرفة تأتيه من بعيد ومن قريب مسنودة بمئات البراهين، واضحة وسهلة، مُحقَّقة وأكيدة، فكان يصوِّرها بكلمات تجري من لسانه محمولة

6. Plumer, *op. cit.*, p. 13.

على النعمة والنور والحق الذي يضيء فكره لتستقر في قلوب المتعطّشين إلى البر.

فأسلوب ق. بولس الرقيق الدفّاق لم يكن من صياغته، ولكنه يصوِّر بكلماته ما جهّزته النعمة في أفق فكره ورؤياه منسَّقاً مزدحماً، وكان هو بالكاد يستطيع أن يلاحقه بالكلمات. لذلك أصبح دور المفسِّرين لكتابات ق. بولس هو محاولة جاهدة لتفصيص هذا الكمّ المزدحم بالمعاني حتى يلاحقه الفكر العادي الذي لم يتعوَّد التعامل مع انفتاح النعمة حينما تأتي بالمعارف مزدحمة متشابكة بهذا القدر.

والمفسِّر الروحي المقتدر في فك اشتباك المعاني في أسلوب ق. بولس، يُذْهَلُ وتدخله الرهبة، ويحس بالروح القدس حينما يتضح له أن أية آية بعد أن يكتشف الإنسان العادي ما فيها من معنى جميل جزل، لو عاد ودقَّق فسيلمح معنى آخر مختبئاً تحت طيَّات الكلام شديد العمق وشديد القوة وبليغ القصد. ولا مانع، لو أنه دقق أيضاً، من أن يكتشف معنًى ثالثاً غائصاً في عمق العمق يحتاج لجهد روحي أوفر للتعرف على قوته ومقاصده. ثم هل يمكن أن نقول بعد ذلك أن ق. بولس كان يتكلم مما عنده أو من يهوديته أو سبعينيته(*) أو فريسيَّته أو من مجرد معرفته وعلمه وذكائه وحِذْقه وإبداعه؟

يقولون إن ق. بولس كان «بليغاً» يتقن فن البلاغة، ولكن إن كانت البلاغة كما يعرفونها هي سلاسة الأسلوب وجمال اللفظ الذي يلتقط المعنى البديع من بُعْدٍ ويقرِّبه إلى الذهن ليحتضنه في يُسْر ورفق، حتى ليكاد الإنسان يصفِّق بكلتا يديه للإبداع؛ فالقديس بولس لم يكن بليغاً هكذا قط! فبلاغة الروح غير بلاغة الكلمة واللفظ والمعنى. بلاغة ق. بولس تتعدى الكلمات وتتحدى العقول. القديس بولس كان يترجم المستحيل على العقل فكراً وعملاً بكلمات تهتز لها الأرض وتصفق لها السماء، كما في هذه الآية: «الله ظهر في الجسد»!! (١تي٣: ١٦). هذه بلاغة الروح لبلوغ الحق، وهذا هو أسلوب ق. بولس الرقيق الدقيق الذي يتحدى عقل الإنسان ويُصعق عتوّ الشيطان. فهذه جملة بسيطة من ثلاث كلمات ونصف، تاه فيها العلماء وكتبوا فيها المعاجم وانجمعت عليها المجامع وتفرَّقت إزاءها الأفكار والمبادىء، فالذي أخذها كما هي ببساطتها المتناهية نجا وبلغ القصد، والذي حاول أن يُخضعها لبلاغة العقل ومنطق الفكر سقط من دونها وخسر نفسه والقضية.

(*) أي من إحاطته بأسفار العهد القديم في الترجمة السبعينية.

فبلاغة ق. بولس هي بلاغة الروح، وبلاغة الروح غير بلاغة الإبداع بالكلمات والمعاني. بلاغة الكلام تلذِّذ العقل وتتلاعب بالعواطف، وبلاغة الروح تصدمه وتتحدَّاه وتكشفه وتتعدَّاه فيتبعها صاغراً متتلمذاً إن شاء التلمذة الحقة للتوبة والحياة.

ق. بولس لا يمالئُ العقل ليستدرجه للاستحسان والقبول، ولا يداعب العواطف لتنفعل بالتصفيق، كما يفعل الخطباء والزعماء الذين يطلبون ودَّ الناس ويمالئون جيوبهم وأيديهم وحناجرهم. القديس بولس يُداهِمُ العقل ومعه الضمير، حينما يجعل السماء ترعد أمامهم بغضب الله ونقمته على الخطاة والزناة وفجور السرائر وخفايا السلوك، حتى ولو كان السامعون ملوكاً يرفلون في حلل المجد وعلى رؤوسهم التيجان: «وبينما كان (بولس) يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلكس (الوالي) ...» وطلب الاستعفاء حالاً: «وأجاب أما الآن فاذهبْ، ومتى حصلتُ على وقتٍ (وهيهات) أستدعيك.» (أع٢٤: ٢٥)

ق. بولس بليغ ببلاغة الحق والسماء التي لا يعاندها منطق أو يعترضها فيلسوف، استودعها المسيح في قلبه ليجرَّ الأمم مع ملوك وولاة لطاعة الإنجيل: «لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي (الحق) أمام أمم **وملوك** وبني إسرائيل.» (أع٩: ١٥)

ويلزم أن ننتبه، فلكي نقرِّظ أسلوب ق. بولس وكلامه وكتاباته، علينا أن نبحث أولاً ما هي مقاصد ق. بولس التي ملأت ذهنه وتفكيره ومشاعره من نحو الذين يخاطبهم أو يكتب إليهم؟ شيء لم يخطر قط على قلب خطيبٍ أو زعيمٍ أو نبيٍ أو مُصلحٍ، أيًّا كان علوُّ شأنه ومقامه. فالقديس بولس يطلب أن يُخضِعَ السامع للحق والبر والقداسة والتعفف والطاعة المذعنة لوصايا الله والحب والبذل والفداء!! هذه هي المقاصد العليا التي ألهبت قلب بولس وروحه ولسانه لينطق بما لم ينطق به ناطق قط إلاَّ المسيح.

فإذا أردت أن تعرف علوَّ شأن لغة ق. بولس ومنطقه وعمق أسلوبه ورفعة مقامه، فابحث عما كان يجيش به صدره بما يريده الله منه ليريده هو لسامعيه! لهذا، ليس عسيراً الآن أن نفهم كيف يقول: «أما نحن فلنا فكر المسيح»!! (١كو٢: ١٦)، أو ما يقوله عن الشيطان: «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١). هذا هو النور الذي كان يسطع في قلب ق. بولس وفكره ليضيء له خفيَّات الظلام ويكشفها له كشفاً!! لهذا كان كفؤاً للحديث لبني النور، والسخط على بني الظلام، والآن ليس عسيراً علينا أن نفهم كيف يقول: «في كل شيء نُظْهِرُ أنفسنا كخدام الله ... في كلام الحق، في قوة الله، **بسلاح البرِّ لليمين ولليسار**» (٢كو٦: ٤و٧)؛ «لأننا رائحة المسيح

الذكية لله **في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون، لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة.**» (٢كو٢: ١٥و١٦)

والقديس بولس لم يُؤتَى القدرة على رفع اليمين وإخضاع اليسار لحساب نفسه أو من رصيد نفسه، بل الذي أرسله أرسله على هذا القياس: «أنا الآن أُرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظُلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله.» (أع٢٦: ١٨)

ق. بولس التزم كموسى النبي بالمثال الواحد الوحيد الذي وضعه الله أمامه (خر٢٥: ٤٠، عب٨: ٥)، وهو يسوع المسيح ابنه، الذي ائتمنه على الخلاص، فقَبِلَ ق. بولس الأمانة من يد الله وكان أميناً غاية الأمانة على المثل الواحد الوحيد الذي استعلنه له الله كاملاً أمامه وعرَّفه بالسر (أف٣: ٣) الذي لم يُعرَّف به أحد من عظماء هذا الدهر (١كو٢: ٨)، سر الابن والجسد، وإلاَّ ما كانوا صلبوه وهو رب المجد!! فعلى قدر اتساع المجالات التي طرقها ق. بولس فهو لم يخرج عن المثال الذي وُضِعَ.

ق. بولس ارتفع باللغة البشرية إلى ما لم يرتفع إليها أحد قط غيره إلاَّ الرب يسوع، فجمع في حضن كلماته وبين صفحات رسائله كل طوائف الأمم وقدَّمهم للمسيح ذبيحة ناطقة على أعشاب مُرَّة تحكي عن آلام لا تدانيها آلامٌ إلاَّ آلام المسيح: «حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، مُباشِراً لإنجيل الله ككاهن، ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس» (رو١٥: ١٦)، «لكنني وإن كنت أنسكب على ذبيحة إيمانكم وخدمته أُسَرُّ وأفرح معكم أجمعين.» (في٢: ١٧)

سادساً: التوراة في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية وكيف تكشف عن تمكّنه من دراستها:

علاقة ق. بولس بالتوراة عموماً في كافة رسائله كنا قد استوفيناها شرحاً في كتاب: «القديس بولس الرسول حياته ولاهوته وأعماله» تحت عنوان «المصادر التي يستند إليها القديس بولس في تعليمه: أ ــ التوراة» (صفحة ١٣٨ ــ ١٥٢)، ولكن نختص الآن بما جاء في رسالة رومية:

١ ــ سفر التكوين: اقتبس منه خمسة نصوص استخدمها في قصة إبراهيم وإسحق ويعقوب وعيسو.

٢ ــ سفر الخروج: اقتبس منه أربعة نصوص، اثنان منهما يختصان بالوصايا

واثنان بموسى وفرعون من جهة أن الله يرحم مَنْ يشاء ويقسِّي مَنْ يشاء.

٣ ــ سفر اللاويين: اقتباسه لوصف الناموس أنَّ مَنْ يعمله يحيا به، أي الذي يُطيعه فقط.

٤ ــ سفر التثنية: يصف نعمة الإنجيل كيف أن الرب قَبِل الأمم لإغاظة اليهود، ثم كيف سيفرح الأمم بالخلاص الذي اشتركوا فيه مع اليهود، ثم أن لله وحده النقمة والغضب.

٥ ــ سفرا الملوك: اقتباسه نصَّين منهما: شكوى إيليا النبي ضد إسرائيل وكيف جاوبه الله.

٦ ــ سفر أيوب: اقتبس منه حرية الله في معاملة خلائقه.

٧ ــ سفر الأمثال: اقتبس منه واجب المسيحي إزاء أعدائه ويضيف عليه.

٨ ــ سفر هوشع النبي: اقتبس منه كيف رفض الله العشرة الأسباط ثم عاد وقَبِلَهم مُطبِّقاً ذلك على الأمم.

٩ ــ سفر يوئيل النبي: اقتبس منه كيف يقدم الله الخلاص العام للبشرية عامة (بدل إسرائيل).

١٠ ــ سفر حبقوق النبي: اقتبس منه الآية المشهورة: [«البار بإيمانه يحيا» (حب٢: ٤)] ليسند قانون البر بالإيمان.

١١ ــ سفر ملاخي: اقتبس منه المقارنة بين يعقوب وعيسو.

١٢ ــ سفر المزامير: وله منها خمسة عشر اقتباساً، سبعة منها منظومة معاً تصف مساوىء إسرائيل، وواحد يصف الطوبى للإنسان الذي غُفِرَت له خطاياه، وواحد يؤكد عدل الله في محاكمة جميع البشر، وواحد لشكوى القديسين الذين يتألمون من أجل البر، وواحد لعنة على الذين يضطهدون الآخرين يستخدمها في كيف تقسَّى شعب الله المختار، وواحد للمبشرين بالإنجيل وهو أصلاً لكواكب السماء كيف أذاعت أقوال الله، واثنان من جهة مجيء المسيَّا، وواحد يدعو الأمم ليسبِّحوا الله من أجل خلاصهم.

ولكن الكتاب الذي فاز بأكثر الاهتمام عند ق. بولس هو سفر إشعياء النبي:

سفر إشعياء النبي: اقتبس ق. بولس من الجزء الثاني لسفر إشعياء أقوال إشعياء في تعيير إسرائيل بخطاياهم، كما اقتبس من سفر إشعياء أربعة نصوص ليبرهن على عدم إيمان إسرائيل ورفضهم، ثم نصَّين يصف فيهما عودة خلاص البقية، كما اقتبس أيضاً نصاً يصف فيه حلاوة أقدام المبشِّرين بالإنجيل، وثلاثة نصوص عن دخول الأمم في الإيمان، ونصاً عن بركات الإيمان، ونصين على مجيء المسيَّا، ونصاً واحداً عن منتهى حكمة الله التي بلا حدود.

وإن الإنسان ليتعجب من حافظة (أي ذاكرة) هذا الرسول المؤيَّد بالنعمة، كيف يقتبس هذه الأربعة والثمانين نصاً من الذاكرة بحسب تحقيق أدقِّ العلماء في اللغة الآرامية واللغة اليونانية، لأنه لم يقتبسها قراءة بالعين من الأصل، فجاءت كلها غير حرفية، مما ينطق بأنها من ذاكرة واعية حديدية، أو قُلْ إنها مؤيَّدة بالنعمة. وقد جاء سبعون منها من الترجمة اليونانية للتوراة المسماة بالسبعينية، واثنا عشر من النص العبري، واثنان فقط لا نعلم مصدرهما. وكان ق. بولس يكتفي بالقول المشهور: **«بحسب الكتب»** أو **«كالمكتوب»** أو كلمة **«مكتوب»**، أو بسؤال سابق: «وماذا يقول الكتاب»؟ أو «يقول الله» وأحياناً مع ذكر اسم الذي تقبَّل الوحي، كداود أو إشعياء أو موسى.

والحقيقة التي تشهد للقديس بولس بتفوقه في دراسة التوراة بعمق معناها، هي أنه لم يقتبس اقتباساً واحداً لم يكن على مطابقة محبوكة بالمقصود منه، فلا نزوع ناحية الخيال ولا التهويل ولا التقريب ولا الضغط للمعنى أو الانحراف به، بل أصالة في النص المنتخب على أصالة في التطبيق، ليأتي البرهان ينطق بحكمة الله. وكان ق. بولس ينقل النص من تُربته اليهودية المغروس فيها، ليَشْتِله شتلاً على أرض مسيحية، فيزدهر في الحال ويثمر ثمراً كان هو المقصود منه أصلاً!! بل إنه كان ينقل النص من وسط نجوم السماء وكواكبها ويُلْبِسه على الرسل والمبشِّرين فينطق حالاً بتسبيح الله ــ في كل أقطار الأرض ــ بأعظم مما تنطق به السماء بكل نجومها!! (أنظر مز١٩: ٤ و رو١٠: ١٨). فالقديس بولس كان كمن اؤتمن على خزانة التوراة، يُعمِّد منها ما يشاء، ويُنصِّر منها ما يشاء، فتأتي وكأنها قيلت من أجل ذلك. فالقديس بولس هو القائل فيما يخص إبراهيم: «ولكن لم يُكتب من أجله **وحده** أنه حُسب له، بل من أجلنا **نحن أيضاً** الذين سيُحسب لنا

الذين نؤمن بمَنْ أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أُسْلِمَ من أجل خطايانا **وأُقيم لأجل تبريرنا**» (رو٤: ٢٣–٢٥)، «لأن كل ما سبق فكُتب، **كُتب لأجل تعليمنا**، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء» (رو١٥: ٤). هنا يستخدم ق. بولس المنطق الإلهي الفريد من نوعه، أن ما يقوله الله قابلٌ للتطبيق في كل زمان ومكان ولكل إنسان إن وُضع بالروح في مكانه! فقول الله أمرٌ مقضيٌّ به على الأرض (رو٩: ٢٨)، وكل حكم قضاء قابل للتطبيق كسابقة واجبة الصحة والنفاذ.

وفي كل هذا لا ننسى أن ق. بولس يقف على قمة تحقيق كل نبوات العهد القديم، فكل ما قيل بالأنبياء، هو أمامه مطبَّق، وكل مواعيد الله التي وُضعت في زمانها، تتحقق، وكل تلميحات وتصريحات الوحي الإلهي عن رضى الله على الشعوب والأمم العتيد أن يكون، على يديه تمَّ ويتم، وحلم الأنبياء عن الحَمَل والذئب كيف سيرعيان يوماً معاً (إش١١: ٦)، وُضع على عاتق ق. بولس أن يحققه، بل وأن يسوقهما معاً بعصا الإنجيل، كما رأيناه يفعل في رسالته إلى أهل رومية.

هكذا يقف ق. بولس ومعه بالفعل مفاتيح ملكوت السموات، ليس كما كان يدَّعي الفريسيون، ولكن بدعوة من الله وتسليم. فمفتاح كل ما كُتِبَ وتسجَّل في العهد القديم عن الخلاص الذي سيأتي حينما يأتي المسيَّا، وهوذا قد أتى ورآه ق. بولس رؤية العين وسمعه سَمْع الأُذن: «إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته، وتُبْصِر البار، وتسمع صوتاً من فمه» (أع٢٢: ١٤). والآن قد استؤمن ق. بولس على كل أسرار الله التي كانت محجوزة لا يُسمع ولا يُرى منها إلا تعبيرات وصور وأشباه كانت في أحسن حالاتها ألغازاً.

الآن يرى ق. بولس رؤى العين **الحجر** الذي رفضه البناؤون، أنه هو **يسوع** الناصري الذي رفضه **رؤساء الكهنة والكتبة**، وهو هو المسيَّا المسيح القائم من الأموات الذي صعد إلى أعلى السموات، وها هو نفسه يطلُّ عليه من علٍ، الرب الروح من السماء، ووجهه يضيء أكثر من الشمس، كناية عن ظهور واستعلان معرفته بوضوح أكثر من أي تعبير أو تصوير مادي سابق!!

فانظر، عزيزي القارىء، كيف انفتحت أسرار الله أمامه مكتوبة ومقروءة ومنظورة، مربوط أولها بآخرها كما في صفحة ناصعة البياض. والحقيقة أن ظهور الرب للقديس بولس من السماء بوجهه الإلهي المضيء بالنور بعد ست سنوات تقريباً من قيامته من الأموات وصعوده أمام تلاميذه، هو بحد ذاته إثباتٌ وبرهانٌ أكيدٌ على نيَّة وسرعة مجيئه الثاني الذي ظنه ق. بولس أن يكون وشيكاً عن إحساس شديد بقُرب المسيح.

هكذا نرى أن وقائع ظهور المسيح وحديثه مع ق. بولس تفك سر كل النبوات التي قيلت عن المسيَّا، كونه ابن الله، وكونه العبد المتجسد والمتألم، وكونه هو هو ابن داود الذي جعله أبوه ملكاً على كل ملوك الأرض، وعن مجيئه الأول والثاني. فلم يَعُدْ في كافة الأسفار قول واحد ولا عمل واحد غير مكشوف أمام فكر ق. بولس ووعيه الروحي، هذا بالإضافة إلى عمل الروح القدس فيه لمزيد من الاستعلان ولمزيد من التفسير. لقد ارتفع المسيح في أفق وعي ق. بولس ليربط الماضي بالحاضر بالمستقبل، ليوحِّد بين كافة النبوات والأسفار في شخص المسيح المنظور، ليطابق التاريخ السحيق منذ سقوط آدم على الواقع الحي المنظور، وليرتفع بتاريخ الله مع الإنسان من الأرض إلى السماء، من الزمن المتغير إلى الخلود الباقي بلا تغيير، ويسمو بكافة أجساد الآباء والأنبياء وقديسي العلي من سُكْنى القبور إلى سحابة شهود، أرواح حيَّة محيطة تشفع فينا وتشهد للذي قام من الموت وأقامها.

اسمع ق. بولس وهو يرى الماضي على الحاضر: «إنجيل الله الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد». ثم يتذكر في الحال الرب من السماء حينما ظهر له وقت الظهيرة يكلِّمه ويقول له: "أنا هو يسوع"!! فيقول: «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح ربنا.» (رو١: ٢و٣و٤)

ثم إذ استعلن ق. بولس، في ظهور المسيح وحديثه، كيف ظهر برُّ الله علناً في شخص المسيح الفادي وعاد بذاكرته على كل ما قاله موسى في الناموس والأنبياء في كتبهم قال: «وأما الآن فقد ظهر برُّ الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء!» (رو٣: ٢١)

وعندما قال المسيح للقديس بولس بسماع الأُذن: «اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً» (أع٢٢: ٢١)، تهلل بولس الرسول بالروح عندما تذكر كل ما قيل عن الأمم الذين كانوا محرومين من الناموس وبرِّ الناموس، وكيف نالوا البر هكذا بلا ناموس ولا برِّ أعمال الناموس، وكان كمَنْ يُصفق بيديه: «فماذا نقول، إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر، أدركوا البر بالإيمان (بالمسيح)». وتلفَّت حوله ليرى إسرائيل الذي قتل المسيح وظلَّ يفتخر بناموسه وبرِّ أعماله بينما هو قد تخلَّف عن البر الحقيقي، برِّ الله المستعلن في المسيح الذي اصطدموا به وقتلوه، فقال: «ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك البر ... فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل مَنْ يؤمن به لا يخزى.» (رو٩: ٣٠–٣٣)

وهكذا وقف ق. بولس يشرح الأسفار القديمة على ضوء المسيح الذي غطّى كل الأزمنة، ويشرح حقيقة المسيح الحاضر على ضوء العهد القديم الذي ألقى على المسيح كل ظلاله. وبالنهاية صارت كل وعود الله وأمانة الله وصدق الله في كل ما قال ووعد عن الخلاص الذي نوى بنفسه أن يكمّله بالمسيّا الآتي، صارت محقَّقة أمام عين ق. بولس وقلبه وتأكد من العلاقة بين الله والمسيّا أنها علاقة الآب مع ابنه، وتأكد من العلاقة الإلهية الجوهرية التي تربط الله بالمسيّا، الآب بالابن: فالله الذي كُنِيَ عنه في الأسفار **بالرب** هو هو المسيح الذي دُعي من الله بالرب، فربوبية المسيح جعلته في ربوبية الآب واحداً باللاهوت، وهكذا رأى كيف حلّ ملء اللاهوت جسدياً في المسيح لما تجسّد!! وكيف رأى المسيح «الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين» (رو٩: ٥)، أي على اليهود والأمم.

ق. بولس كان يرى في أشخاص العهد القديم تاريخاً حيّاً متحركاً يمتد عبْر الزمان متجهاً اتجاهه الثابت المؤكد صوب شخص المسيح: آدم، إبراهيم، إسحق، يعقوب، موسى، داود، كما كان لا يرى في هؤلاء الأشخاص إلاّ رموزاً للمسيح وعمله:

فآدم تراءى في نظر ق. بولس أنه كان مثالاً type = τύπος : **«الذي هو مثال الآتي»** (رو٥: ١٤)، آدم الثاني: «صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً ... الإنسان الأول من الأرض ترابيٌّ، الإنسان الثاني الرب من السماء.» (١كو١٥: ٤٥و٤٧)

وإبراهيم الذي نال براً من الله بمقتضى إيمانه، كان ذلك على أساس بر الله الذي سيأتي به واحد من نسله، أي المسيح.

وإسحق الذي قدّمه أبوه ذبيحة ـ ما خلا السكين ـ لم يكن إلاّ رمزاً للمسيح الذي قدّمه أبوه.

وإسرائيل الذي اختاره الله وأحبّه دون عيسو وجعله رأساً لشعبه المختار، كان رمزاً للمسيح إسرائيل الحقيقي رأس الكنيسة، شعب الله، القديسين.

وداود الذي اختاره الله من بين إخوته الحسان ومسحه ليكون ملكاً على إسرائيل، هو الرمز للمسيح الذي مسحه الله: «من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (عب١: ٩)، و«رئيس ملوك الأرض.» (رؤ١: ٥)

وبهذا وكأن المسيح هو الحقيقة الأُولى والعظمى أو «الحق الواحد الأول» الذي جاء كل

الأشخاص ليمثلوه ويتكلموا عنه وباسمه ويصوِّروه عن بعد!! ومنهم مَنْ كانت له أدوار أولى ناصعة ومنهم مَنْ كانت أدواره ثانوية في الظل، ولكن ما من شخصية ذُكر اسمها في العهد القديم إلاّ وظهرت لتخدم قضية المسيح الآتي والخلاص المعدّ!! حتى فرعون وحتى بلعام بن بعور ... فكله تاريخ أخرس، ولكن حينما ظهر المسيح صار التاريخ الأخرس الأصم كله يتكلم ويشهد، والأرض كلها والسموات ترددان أصداءَ شهاداته، وكل واحد وواحدة فيه يحكي عن دوره في استعلان برِّ الله الذي حمله يسوع المسيح في الزمان المحدد للإنسان في كل أمم الأرض.

سابعاً: أصالة الرسالة تاريخياً:

وهذا يشمل تاريخ مخطوطات هذا السفر من العهد الجديد على مدى العصور، وقد حقّق أزمنة كتابة ـ أي نساخة ـ المخطوطات كلٌّ من العالم تشندورف Tischendorf، والعالم سكريفنر Scrivener، والعالم مِلّ Mill، والعالم الإنجيلي التقي لايتفوت Lightfoot.

ويشمل تاريخ تداول سفر رومية ثلاثة مصادر:

الأول: مخطوطات باللغة اليونانية القديمة.

الثاني: نسخ مترجمة من المخطوطات اليونانية إلى لغات أخرى.

الثالث: اقتباسات نصوص من الرسالة في أعمال الكتّاب الكنسيين.

أولاً: المخطوطات اليونانية للأسفار المقدسة التي للعهد الجديد وتشمل رسالة رومية[٧]:

وهذه المخطوطات اليونانية تشمل بدورها قسمين:

أ ـ **قسم كُتِب بالحروف الكبيرة** (Majuscule / Capital) وكلها من مدوّنات ما قبل القرن العاشر.

ب ـ **قسم كُتِب بالحروف الصغيرة** (مثل خط الرقعة باللغة العربية وهي مشبوكة ببعضها)، وهي بعد القرن العاشر.

مخطوطات القسم الأول:

أي نصوص الرسالة إلى أهل رومية مكتوبة بالحروف الكبيرة فيما قبل القرن العاشر،

7. W. Sanday and A.C. Headlam, *A Critical and Exegetical Commentary on the Ep. to the Romans*, p. LXIII,ff.

والمحفوظة لنا حتى اليوم وهي إحدى عشرة مخطوطة:

١ ـ اثنتان من القرن الرابع الميلادي:

(أ) **الأولى المسمّاة بالسينائية** المرقمة بالحرف א = Codex Sinaiticus وزمن نساختها بحسب تحقيق تشندورف وسكريفنر سنة ٣٥٠م. وقد أحضرها تشندورف من دير سانت كاترين بسيناء مصر، وكانت محفوظة بمكتبة سان بيترسبرج St. Petersburg في روسيا، ثم اشتراها منها المتحف البريطاني. وتشمل رسالة رومية بأكملها.

(ب) **الثانية المسمّاة بالفاتيكانية** المرقمة Codex Vaticanus B وزمن كتابتها بحسب تحقيق تشندورف ٣٥٠م وبحسب سكريفنر ٣٢٥م. وهي بمكتبة الفاتيكان وتسجّلت في أرشيفها بتاريخ عام ١٥٣٣، ولها نسخ أخرى منقولة منها بعد زمن نساختها.

٢ ـ اثنتان من القرن الخامس:

أ ـ **الأولى المسمّاة بالإسكندرانية** المرقمة Codex Alexandrinus A وقد حقق زمن نساختها تشندورف ٤٧٥م وسكريفنر حققها لسنة ٤٥٠م، وكانت محفوظة بمكتبة الإسكندرية ولكن كانت مستخدمة في الخدمة داخل الكنيسة وعليها آثار الشمع، وقد أهداها البطريرك كيرلس لوقار الخلقيدوني (روم أرثوذكس) ـ وكانت في حيازة الكنيسة القبطية سابقاً ـ كهدية إلى الملك شارل الأول بإنجلترا سنة ١٦٢٨م، وهي الآن محفوظة بالمتحف البريطاني وتحوي رسالة رومية بأكملها مع كل الأسفار كاملة.

ب ـ **الثانية المسمّاة الإفريمية** المرقمة Codex Ephraemi C وزمن نساختها بحسب تحقيق تشندورف ٤٥٠م وكذلك سكريفنر. وكان يستخدمها القديس أفرآم في مؤلفاته، وهي الآن محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس.

٣ ـ واحدة من القرن السادس:

المرقمة D وتسمى كلارومنتانوس Claromontanus وزمن تحقيقها حسب تشندورف وسكريفنر ٥٥٠م، وهي محفوظة الآن في المكتبة الأهلية بباريس، وتحتوي على النص الكامل، ساقطاً منه الآيات (١:١، ١:٧، ١:٢٧، ١:٣٠)، وهي باللاتينية ـ اليونانية.

٤ ـ ثلاث مخطوطات من القرن التاسع:

الأولى مسمّاة سانجرمانسيس المرقمة Codex Sangermanensis E وقد حقق زمان نساختها تشندورف وسكريفنر ٨٧٥م، وهي نسخة من المخطوطة D لكاتب مجهول. وهي

محفوظة في مكتبة سان بيترسبورج بروسيا. وهي جريكولاتين، أي يونانية لاتينية، أي باللغتين.

الثانية المسمّاة أوجينسيس المرقمة Codex Augiensis F وزمن نساختها بحسب تحقيق تشندورف وسكريفنر ٨٧٥م. وقد أحضرها بنتلي Bentley من ألمانيا وهي الآن محفوظة بكلية الثالوث بكمبردج، وناقصة الآيات (١:١، ٣:٩) في كل من النصّين اليوناني واللاتيني.

الثالثة المسمّاة بويرنريانوس Codex Boernerianus G وحقق زمان نساختها تشندورف ٨٧٥م وسكريفنر ٩٠٠م. وهي الآن في درزدن.

على أن كلًّا من المخطوطات D, E, F, G هي باللغتين اليونانية واللاتينية وطبق الأصل في الترجمة.

٥ ـ ثلاث مخطوطات من القرنين التاسع والعاشر:

أ ـ **المسمّاة الموسكينسيس** والمرقمة Codex Mosquensis K وقد أُحضرت إلى روسيا من جبل آثوس وكانت في دير القديس ديوناسيوس، وهي موجودة الآن في موسكو. وهي من القرن التاسع.

ب ـ **المسمّاة الأنجيليكوس** المرقمة Codex Angelicus L، وهي من القرن التاسع وتحقق تشندورف وسكريفنر زمن نساختها ٨٥٠م. وهي موجودة الآن في مكتبة الأنجيليكوم في دير الأوغسطينيين بروما.

ج ـ **المسمّاة البورفيريانوس** المرقمة Codex Porphyrianus P، وهي من القرن التاسع، أحضرها تشندورف من الشرق وسمّاها على اسم الأسقف الذي يمتلكها، وهو الأسقف بورفيري.

وظهرت بعد ذلك مخطوطتان من القرن الثامن / التاسع، والقرن الخامس.

الأولى وتسمى لورا المرقمة Codex Athous Laurae S، وهي من القرن ٩/٨ وقد وجدت في لورا ـ أي شركة رهبان لورا في جبل آثوس ـ وهي لم تُسجَّل وتُدْرَس بعد.

الثانية المسمّاة باترينسيس المرقمة Codex Patiriensis T، وهي من القرن الخامس، وكانت سابقاً مِلْك رهبان باسيليوس في دير القديسة ماريه دي لاباتير بالقرب من مدينة روسّانو بإيطاليا، ونُقلت إلى الفاتيكان.

وبعد أن درس العلماء هذه المخطوطات دراسة علمية لغوية حرفية وتفحصوها بدقة بالغة،

استقروا على تقسيمها إلى ثلاث رؤوس يتبعها بقية المخطوطات:

الرأس الأولى: المخطوطة الإسكندرانية. وتتبعها النسخة السينائية ℵ ، والفاتيكانية B، والأفريمية C.

وهي التي كانت مستخدمة بالفعل في الخدمة داخل الكنيسة وعليها آثار الشمع المتساقط من يد رئيس الأساقفة بطريرك الإسكندرية وهو يقرأها في القداس، و قد رأيتها بنفسي (الكاتب).

الرأس الثانية: وهي بعد الأولى في الأهمية ويتبعها D, E, F, G، وتسمى مجموعة الجريكولاتين Greco-Latin أي باللغتين اليونانية واللاتينية، وهي التي كانت مستخدمة في كنائس الغرب.

الرأس الثالثة: وتسمى المجموعة البيزنطية و يتبعها النسخ الأكثر حداثة K, L, P، وهي النسخ التي كانت وقفاً على استخدام كنائس الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية).

وهذه النسخ هي الآن التي نتعامل معها ونتبع نصوصها اليونانية حرفياً وبدقة، والتي تُرجمت إلى كل لغات العالم حرفياً. ولكن **السؤال:** هناك ٣٠٠ سنة بين زمن هذه النسخ وزمن النسخة الأولى التي خرجت من تحت عين ويد ق. بولس. فهل هناك ما يطمئننا على أنه لم يحدث تغيير ما في آيات أو كلمات، أو حذف أو إضافة هذه الثلثمائة سنة؟

مفاجـأة:

ولقد فاجأ العالمَ الحدثُ التاريخي الذي أحدثه اكتشاف مجموعة شستر بيتي **Chester Beatty** في مصر، وهي من القرن الثاني الميلادي، مخطوطة باللغة اليونانية تحمل ضمن ما تحمل رسالة رومية. وبهذا اعتُبرت هذه المخطوطة أقدم وثيقة للأسفار المقدسة، وفيها رسائل ق. بولس وفي نهايتها الرسالة إلى العبرانيين وحدها. وهي البردية رقم ٤٦ (٨). والعجيب أن تأتي رسالة رومية متصدرة الرسائل جميعاً في هذه البردية. (أنظر ص ٥٣).

ثانياً: نسخ مترجمة من المخطوطات اليونانية إلى لغات أخرى:

وهي النسخ المترجمة حرفياً قبل القرن الرابع من مخطوطات أقدم من النسخ اليونانية التي بين

8. F.F. Bruce, *Romans*, p. 24.

أيدينا التي من القرن الرابع.

عندنا الآن نصان مترجمان لأسفار العهد الجديد جميعها ومن ضمنها رسالة رومية:

الأول: النص **اللاتيني** ويسمى الإيتالا Itala، والفولجاتا وهما النصان المستخدمان في الكنيسة الكاثوليكية حتى الآن.

الثاني: النص **السرياني** المسمى البيشيتا Peshitta

والنصَّان من القرن الثاني الميلادي. وهذان النصان يتَّفقان معاً باتفاق مدهش مع النص اليوناني من مخطوطات القرن الرابع مما يزيدنا يقيناً بنقاوة النص اليوناني نقاوة مذهلة للعقل.

النص القبطي: وظهر في نفس الوقت ـ أي في القرن الثاني ـ ترجمة قبطية باللغة القبطية مطابقة نصاً وحرفاً وروحاً مع النسخة الإسكندرانية اليونانية التي من القرن الخامس، وجاءت في نصين أساسيين، هما النص المترجم باللهجة الصعيدية والنص المترجم باللهجة البحيرية.

ولكن كل هذه النصوص الأخيرة المترجمة سواء اللاتينية الفولجاتا، أو السريانية البيشيتا، أو القبطية، هي من القرن الثاني. إذاً، هناك مائة سنة تفصلنا عن نسخة بولس الرسول.

فهل يوجد ما يسدُّ لنا هذه الثغرة الزمنية و يربط النص الذي في أيدينا بنص ق. بولس نفسه؟

نعم.

ثالثاً: اقتباسات نصوص من الرسالة في أعمال الكتَّاب الكنسيِّين:

وهي تشمل اقتباسات الكتَّاب الكنسيِّين الذين عاشوا في القرن الثاني التي اقتبسوها من النصوص الأقدم من النسخ المترجمة في القرن الثاني.

وهنا نأتي إلى ما اقتبسه الأساقفة ربما من نسخة بولس الرسول نفسه، مثل اقتباسات القديس كلمندس الروماني أسقف روما في سنة ٩٥م حيث تكون نسخة بولس الرسول المكتوبة على الرق (أي جلد الغزال) لم يمضِ عليها أكثر من ٣٧ سنة.

القديس إيرينيئوس: وهو يكتب سنة ١٨٥م اقتبس مراراً كثيرة من رسالة رومية التي بين أيدينا ومجموع اقتباساته يبلغ ٨٤ آية وهي بنصها كما هي الآن.

القديس يوستين الشهيد: سنة ١٥٠م اقتبس صفحة مطولة برمتها من رسالة رومية الأصحاح الثالث.

ماركيون الكافر: سنة ١٤٠م وكان بين يديه نسخة كاملة من رسالة بولس الرسول، يستشهد بها على نظريته المضلّلة. واقتبس منها ٣٨ آية بنصّها الصحيح ولا تزال أمامنا حتى الآن.

وقد احتفظ لنا بها العلامة ترتليان في دفاعه ضد ماركيون (Adv. Marc. V,13).

على أن ترتليان نفسه (١٩٠—٢١٠م) ترك لنا في أعماله أكثر من مائة آية من رسالة رومية.

كلمندس الروماني: سنة ٩٥م. وهنا نأتي لا إلى أقدم نص منقول من مخطوطة منقولة بل إلى نص منقول من النص نفسه. فقد ترك لنا كلمندس أسقف روما سنة ٩٥م في رسالته الخاصة إلى أهل كورنثوس نصوصاً من رسالة رومية (١:٢٨—٣٢) يُعتقد أنها منقولة من خط يد أو إملاء الرسول بولس نفسه!

وبهذا نصل إلى اليقين العلمي أن رسالة رومية التي نقرأها اليوم، سواء باللغة العربية أو أية لغة أخرى حديثة هي هي نفس الكلمات التي نطقها ق. بولس نفسه وخطّتها يد الكاتب منذ ١٩٣٠ سنة تقريباً.

وفي ختام هذا البحث نقدم لك عزيزي القارىء الكتب التي رجعنا إليها في هذا البحث:

1 — William Sanday and A.C. Headlam (1895) **Crit. and Exeg. Comm. on Ep. to Rome**

2 — H.A.W. Meyer (1884) **Ep. to Rom.**

3 — F. Godet (1883) **Comm. on the Ep. to Rom.**

4 - William G.T. Shedd (1879) **Crit. and Doct. Comm. on Ep. to Rom.**

ثامناً: زمن كتابة الرسالة إلى أهل رومية:

هذه الرسالة كتبت في السنة الرابعة من حكم نيرون، وكان قد انقضى على طرد اليهود من روما ست سنوات بسبب الشغب الذي أحدثه اليهود ضد المسيحيين (كرستوس).

كان ذلك في كورنثوس وهو في طريقه إلى أورشليم بعد أن أنجح الرب طريقه في تجواله بالبشارة المفرحة في نهاية رحلته الثالثة، بعد أن زار مدن إقليم مكدونية شمال شرق اليونان: فيلبي وتسالونيكي وبيرية، ومدن أخائية في الجنوب وأهمها كورنثوس وكنخريا. ثم بعد كتابته لهذه الرسالة في كورنثوس أسرع بحراً إلى ترواس ثم ميليتس، حيث قابل وفد رجال كنيسة أفسس، وربما كان معهم ما جمعوه من المساعدات، وانحدر إلى رودس ثم بتولمايس ثم قيصرية فأورشليم:

+ «ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم ... فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر فسأمضي ماراً بكم إلى أسبانيا وأنا أعلم أني إذا جئت إليكم سأجيء في ملء بركة إنجيل المسيح.» (رو١٥: ٢٥—٢٩)

يتضح من ذلك أن ق. بولس كتب رسالته إلى أهل رومية قبل البدء برحلة العودة من كورنثوس إلى أورشليم. وقد كان وقتئذ في بيت غايس المضياف، وأرسلها على يد ترتيوس الكاتب وفيبي خادمة كنيسة كنخريا، التي كانت تعدُّ لرحلتها إلى رومية.

كذلك يفيدنا في تحديد زمن كتابة الرسالة إلى أهل رومية، وزن محتواها بالنسبة إلى غيرها من الرسائل المبكرة مثل الرسالة إلى أهل غلاطية، والرسائل المتأخرة مثل الرسائل الراعوية إلى تيموثاوس وتيطس؛ إذ نجد أنه بالرغم من التشابه الشديد في المحتوى بين الرسالة إلى أهل غلاطية والرسالة إلى أهل رومية، إلاّ أن التي لغلاطية تبدو في عمقها الفكري واتساع مضامينها أقل بكثير من التي لرومية، مما يزكي القول بأن زمن كتابة الرسالة لرومية متأخر كثيراً عن زمن الكتابة لغلاطية. وبالمقابل نجد أن الرسائل الراعوية تحمل من التقدم في التقنين الكنسي والترتيبات الطقسية والتنظيم الإداري للكنيسة ما يغيب تماماً عن الرسالة إلى أهل رومية، حيث يبدو المضمون العام لا يزال فيها مشتبكاً في الأساسيات الإيمانية بالرغم من ارتفاع القدرة اللاهوتية التي قبض فيها ق. بولس على زمام الموضوعات الهامة جداً والعميقة في مستوى الإيمان العام. وهكذا ينحصر أمامنا زمن كتابة الرسالة إلى أهل رومية بين أعلى نقطة في الخط البياني لخدمة ق. بولس وأسفاره

وكتاباته، وبين المنحنى الذي يمتد في نزوله حتى ينتهي إلى روما ذاتها ومقره الأخير على طريق أوستيا.

وبحسب التحقيقات التي انتهى إليها العلماء في تحديد تواريخ تنقلات ق. بولس وكتاباته، استطاعوا أن يحددوا زمن كتابة الرسالة إلى أهل رومية بين عام ٥٥م[٩]، ٥٨م[١٠]. ولكن يرجح العالم الكاثوليكي الراهب فيتزماير أن زمن كتابتها كان في شتاء سنة ٥٧م[١١]. ويؤكد العالم السويسري المدقق جوديت أنها كُتبت بين ديسمبر سنة ٥٨م ويناير سنة ٥٩ ميلادية[١٢]. وعلى أي حال فالقديس بولس كتب رسالته إلى أهل رومية في بدء ولاية نيرون[١٣].

تاسعاً: كيف ومتى بدأت المسيحية في روما؟

لما كتب ق. بولس رسالته إلى أهل رومية كتبها وهو على يقين أنه لم يسبقه إليها رسول، وذلك من واقع المبدأ الأساسي الذي سار عليه في البشارة أينما فتحت أمامه أبوابها وهو: «ولكن كنت محترصاً أن أُبشِّر هكذا ليس حيث سُمِّي المسيح، لئلا أبني على أساس لآخر...» (رو١٥: ٢٠). فإذا وضعنا في مقابل هذا المبدأ الصريح قوله: «فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً» (رو١: ١٥)؛ يكون أمر المسيحية في روما حُرًّا من أية وصاية رسولية ويكون ق. بولس هو أول رسول يبشرهم بالرسالة تمهيداً لمجيئه إليهم.

ويمدُّنا العالمان سانداي وهدلم في شرحهما لرسالة رومية تقليداً كنسياً في روما عن المدعو رمزياً بالأمبروزياستر أي أمبروزو (إدعاءً)، وهو كاتب كنسي من القرن الرابع — غالباً يسمى هيلاريون — شرح رسالة رومية تحت اسم القديس أمبروسيوس. ويُعتقد أنه كان مواطناً من أهل رومية ومن كنيسة روما؛ يقول إن كنيسة روما لم تبدأ ببشارة أي رسول قبل مجيء ق. بولس إليها وأن أهلها لم يروا أية عجائب رسولية عُمِلَت بينهم، وأن الأمميين دخلوا الإيمان عن طريق اليهود المتنصِّرين. وتُعتبر هذه أقدم وثيقة تفيد بداية قيام الكنيسة في روما[١٤].

---

9. Jackson F.J.F and Lake, *Beginning of Christianity,* 1933, p. 460-466.
10. Conybeare, *op. cit.,* p. 832-833.
11. Joseph A. Fitzmayer, S.J., *Jerome Comm.,* p. 2991.
12. F. Godet., *Comm. on the Ep. to the Rom.,* p. 46.
13. Sanday and Headlam, *op. cit.,* p. XIII.
14. Sanday and Headlam, *op. cit.,* p. XXV, CL, p. 37. Ambrosiaster, *Commeantaria in XIII Epistola Paulinus.*

لهذا نجد رسالة ق. بولس إلى أهل رومية، التي يسميها التقليد عند معظم اللاهوتيين بـ «إنجيل بولس»، تحوي أركان البشارة بعمق وأصالة دون كافة الرسائل الأخرى التي كتبها ق. بولس، فهو قصَدَها أن تكون بالفعل بشارة.

هنا نجد أن وضع المسيحية في روما لا يحتمل بأي حال فكرة بشارة بطرس الرسول لهم في وقت سابق.

والمعتقد بوجه عام أن المسيحية دخلت روما على أيدي أول فوج من حجاج روما اليهود، الذين حضروا يوم الخمسين في أورشليم سنة ٣٠م، وشاهدوا عجائب ذلك اليوم الخالد الذي وُلدت فيه الكنيسة المسيحية على أيدي الرسل، وسط الجموع الحاشدة من يهود الشتات الذين حضروا ذلك العيد ورأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم أعجوبة تكلُّم الرسل وكل المجتمعين بألسنة الشعوب. وحجاج روما اليهود سمعوا حتماً كيف كان يتكلم الرسل بلغة أهل روما التي ولدوا فيها:

+ «وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم. فلما صار هذا الصوت، اجتمع الجمهور وتحيَّروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته. فبُهِتَ الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين (أميين)، **فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي وُلد فيها.** فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان **والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء** (رومانيون جنساً ووطناً) كريتيون وعرب، نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله ...

فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم ... فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحاً. فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس ... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.» (أع٢: ٥—٤١)

فالآن لو نحن قسمنا عشوائياً الثلاثة الآلاف على عدد الشعوب الحاضرة جميعاً وهم ١٥ جنساً، لأصبح يخص أهل روما من الذين آمنوا واعتمدوا في ذلك اليوم مائتا شخص تقريباً. هؤلاء عادوا إلى روما بالأخبار السارّة وكان المسيح معهم بحسب الوعد، وكوَّنوا أول مجتمع مسيحي في أوروبا.

ونحن نعلم جيداً أن الأفواج المسيحية الأُولى، كان الروح القدس يؤازرها بصورة علنية

وإعجازية. فحتماً نشطت هذه الجماعة الأولى في التبشير سواء في الأوساط اليهودية أو الوثنية، خصوصاً أنه كما سمعنا من سفر الأعمال كان منهم يهود ودخلاء، أي أن الذين قبلوا الإيمان واعتمدوا من حجاج روما كان منهم اليهود والرومانيون جنساً. إذاً، كانت نواة «الكنيسة» في روما منذ البدء يهوداً متنصرين وأمميين أي رومانيين مسيحيين. فالآن وفي الوقت الذي كان يكتب فيه القديس بولس الرسول الرسالة في سنة ٥٧م، تكون هذه الجماعة قد قطعت فترة زمنية لا تقل عن رُبع قرن، فلا بد أن المئتين قد صاروا آلافاً كثيرة، وقت كتابة الرسالة.

كذلك يتوجب علينا أن ندرك أن روما في ذلك العصر كانت مركز التجارة العالمية لكل أنحاء العالم، وكانت الطرق إليها مُهيَّئة ومؤمَّنة. فاحتمال نزوح المسيحيين من كافة بلاد العالم إلى روما أمر وارد حتماً، سواء للتجارة أو لكافة القضايا المهنية أو السياسية أو حتى القضائية لفكِّ المنازعات، خصوصاً من المسيحيين الذين آمنوا على يد ق. بولس من كافة كنائس آسيا واليونان، وهذا يؤكده سرعة مجيئهم لاستقباله عند وصوله إلى روما وهو أسير في سلاسل: «ومن هناك لما سمع الإخوة بخبرنا (خبر الوصول إلى روما) خرجوا لاستقبالنا إلى فورن أبيوس والثلاثة الحوانيت، فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع» (أع٢٨: ١٥). والملاحظ هنا أن هؤلاء المسيحيين من أهل رومية تكبدوا مشاقَّ رحلة طويلة لعدة أميال حتى يقابلوا ق. بولس حتى قبل وصوله إلى رومية. مما يفيد **أولاً** أن أخبار وصول ق. بولس وصلتهم قبل وصوله، وهذا يفيد أن هناك اتصالات حدثت بينما كان ق. بولس مقيماً في مالطة، **ثانياً** أن هؤلاء المسيحيين من أهل رومية يحتفظون بعلائق بنوية صادقة وقوية للقديس بولس.

هذا يوحي إلينا بالتالي أن المسيحية في روما كانت تمثلها جماعات وتكتلات حتَّمت بها اختلاف الأجناس واختلاف المهن وسُبُل الرزق. وهذه الحقيقة تبدو واضحة ناطقة في الأصحاح الأخير من رسالة ق. بولس إلى هذه الجماعات، فنجده يذكرهم جماعاتٍ جماعاتٍ ككنائس في البيوت، وكل كنيسة تجمع ذوي الشكل الواحد كما يقول المزمور: «الله يُسكن ذوي الشكل الواحد في بيت» (مز٦٨: ٦). فمثلاً يذكر ق. بولس:

أ ــ الجماعة الأولى: **بقيادة أكيلا وبريسكلا** والكنيسة التي في بيتهما: «سلِّموا على بريسكلا وأكيلا العاملَيْن معي في المسيح يسوع ... وعلى الكنيسة التي في بيتهما.» (رو١٦: ٣و٥)

ب ــ الجماعة الثانية: أهل أرستوبولس: «سلِّموا على الذين هم من أهل أرستوبولس» (رو١٦: ١٠)، واصطلاح **«من أهل»** يفيد ليس أعضاء الأسرة بل

العبيد المحرَّرين بواسطة أرستوبولس. وأرستوبولس هو، كما يُظن، أخو هيرودس أغريباس، نزح إلى روما وحرَّر عبيده هناك.

ج ــ الجماعة الثالثة: «الذين هم من أهل نرْكيسوس» (رو١٦: ١٢)، وهو طيباريوس كلوديوس نركيسوس، والمقصود عبيده الذين حررهم.

د ــ الجماعة الرابعة: وهم جماعة مؤتلفة معاً مكونة من: «أسينكريتس فليغون، هرماس، بتروباس وهرميس والإخوة الذين معهم.» (رو١٦: ١٤)

هـ ــ الجماعة الخامسة: وتضم: «فيلولوغوس، جوليا، نيريوس وأخته وأولمباس وجميع القديسين الذين معهم.» (رو١٦: ١٥)

ومن كلام ق. بولس وإعطائه أوصافاً لهم، يظهر أن منهم مَنْ كانوا في المسيح قبل ق. بولس، ومنهم مَنْ كانوا معه في السجن، ومَنْ خدم معه، ومَنْ هم أقرباؤه.

وهذه الجماعات ولو أنها متشرذمة، كل جماعة لها كيانها وبيتها الذي تجتمع فيه، إلَّا أنه كان هناك نوع من الأُلفة والمودَّة الأخوية تجمعهم معاً تحت مناسبات وظروف خاصة، لأن الرسالة أُرسلت لهم جميعاً معاً. وربما اجتمعوا بطريقة أو بأخرى وقرأوها مراراً.

ولكن من واقع هذه التحيات الحارَّة، لكل جماعة وللأفراد الذين ذُكروا كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها، يظهر بوضوح أن هذه الأسماء هي فقط التي عَثَرَ عليها ذهن ق. بولس القادح، وذلك من واقع معاملات سابقة وظروف جمعته بكل واحد منهم، طبعاً أثناء كرازته في البلاد الكثيرة التي طاف بها، أما هم فاستقروا أخيراً في روما.

من هنا نجد أنه من الخطأ البيِّن أن يظن العلماء أن هذه الخاتمة بهذه الأسماء لا تخص أهل روما وأنها مقتطعة من رسالة أخرى كانت مُرسلة إلى أفسس. ولكن الأمر واضح، إذ لو كانت مُرْسَلة لأهل أفسس، وأفسس عاش فيها ق. بولس سنتين ويزيد، ويعرف كل أهلها مئات وألوفاً، فكيف يذكر منهم هؤلاء، ٢٦ اسماً فقط، وماذا يكون وماذا يقول الباقون، هل نسيهم ق. بولس أو أهملهم؟

كذلك يُفهم من قول ق. بولس في تحيته الأُولى إلى جماعات رومية هؤلاء إذ يخاطبهم هكذا: «مدعوُّو يسوع المسيح، إلى **جميع الموجودين في رومية**، أحبَّاء الله، مدعوِّين قديسين» (رو١: ٦و٧). ويلاحظ القارىء أنه يخاطبهم بأنهم **«الموجودين في رومية»** وليس **«أهل رومية»**، مما يكشف ضمناً أن غالبيتهم ليسوا مستوطنين بل نازحين من بلاد أخرى ومقيمين في روما، فكيف ينطبق هذا على أفسس؟

كذلك يعترض العالم بروس[١٥] على الظن بأن هذه الخاتمة (الأصحاح ١٦) مأخوذة من رسالة لأفسس بقوله إن إرسال ق. بولس تحيات كنائس أخرى كثيرة لا يمكن أن يتوافق مع رسالة مرسلة إلى أفسس، بل المعقول أن تكون لروما وروما وحدها: «كنائس المسيح تسلّم عليكم.» (رو١٦:١٦)

والذي يؤكد صحة وأصالة الرسالة إلى أهل رومية أنها بقيت في خزانة كنيسة رومية حتى مجيء كلمندس الروماني سنة ٩٥م ليجد هذه الرسالة بجدّتها، فيستخدمها في تعليمه ويقتبس منها آيات كاملة في رسالته إلى أهل كورنثوس. ويقول الباحثون إن كتابات كلمندس ولغته تكشف عن أنه كان يحفظ رسالة رومية عن ظهر قلب.

بل ويرجح العالم بروس أن كنيسة رومية ومنذ أن وصلتها رسالة ق. بولس هذه، بدأت تقرأها في الاجتماعات اليومية عند التام الجماعة للوعظ والصلاة، حتى إلى زمن كلمندس[١٦]. علماً بأن الاجتماع اليومي والصلاة اليومية هما طقس يهودي قديم وثابت، تغلغل في روح الكنيسة المسيحية منذ ولادتها. فقد وُلدت الكنيسة في وقت صلاة الساعة الثالثة من النهار، واستمرت الكنيسة تمارس صلوات السواعي داخل الهيكل إلى أن أُحرق الهيكل، فاستمرت العبادة في الكنائس المنزلية على نفس المنوال.

وبحلول سنة ٩٦م ظهر أن رسائل ق. بولس كانت قد جُمعت معاً وصارت تُتداول بين الكنائس. فالقديس كلمندس الروماني كان يقتبس من رسالة ق. بولس الأُولى إلى أهل كورنثوس[١٧].

ويقول العالم ج. زنتس Zuntz، أن المجموعة — "الكودكس" — لرسائل ق. بولس المكوّنة من عشر رسائل ظهرت في الإسكندرية، وهو يعتقد أنها جُمعت ودُوّنت في هذه المدينة، وذلك بعد أن درس معالمها واكتشف أن الأسلوب في التعليق في الحواشي وفن التحرير هو إسكندري[١٨]. وتمّ هذا بحسب تقديره منذ أوائل القرن الثاني، وسميت منذ ذلك الحين بالمجموعة البولسية Corpus Paulinum. ومنذ أن دُوِّنت في هذه المجموعة لم يَعُدْ يُعثر على رسائل مفردة، وعن هذه النسخة أُخذت كل النسخ بعد ذلك.

15. Bruce, *op. cit.*, p. 257.
16. Ibid., p. 21.
17. Ibid.
18. G. Zuntz, *The Texts of the Ep.* 1954, p. 14-17, 276-279.

وقد وصل إلى يد العلماء أقدم مخطوطة، وتاريخها نهاية القرن الثاني، وتحتوي على الرسالة إلى العبرانيين وحدها في نهاية الرسائل كلها، وهي البردية رقم ٤٦ في مجموعة شستر بيتي التي عُثر عليها في مصر. ومعروف أن مصر هي أول بلد اعترف بصحة وقانونية الرسالة إلى العبرانيين وذلك منذ سنة ١٨٠م.

والطريف أن الرسالة إلى أهل رومية بحسب ترتيب المخطوطة تأتي متصدِّرة القمة كأول رسالة في مجموعة رسائل ق. بولس[١٩]، في حين أن مخطوطة الموراتوري الغربية الأصل والمنشأ (روما) تأتي فيها رسالة ق. بولس إلى أهل رومية في آخر المجموعة وقبل رسائل الأفراد تيموثاوس وتيطس وفليمون؛ والمجموعة يبلغ عددها ثلاث عشرة رسالة، حيث لا يوجد بها أصلاً الرسالة إلى العبرانيين، التي ظلت روما ترفضها طوال الأربعة القرون الأُولى.

وهكذا تكون الإسكندرية — وليست روما — هي التي اهتمت بالرسالة إلى أهل رومية وأعطتها مكانتها الأُولى بين الرسائل، الأمر الذي دخل في التقليد الكنسي حتى اليوم[٢٠]. وذلك ليس لكونها الأكبر حجماً، بل لأنها معروفة منذ البدء وخاصة عند علماء الإسكندرية أنها بمثابة الإنجيل للقديس بولس.

عاشراً: لماذا كتب بولس الرسول رسالته إلى أهل رومية:

هذا موضوع خطير يهم القارىء أن يُلمَّ به قبل أن يبدأ دراسته لرسالة رومية. فبحسب ظاهر الرسالة وكلام ق. بولس، يمكن أن يُقال ببساطة أنه كان يمهد بها لزيارته لروما، ولكن الحقيقة أن الرسالة تحمل اتجاهات روحية وسياسية خطيرة، كما تحمل اتجاهاً خلاصياً وإنجيلياً على أعلى مستوى من الأهمية:

أولاً: معلوم كما سبق وقلنا أن ق. بولس كتب رسالته إلى أهل رومية بعد اعتلاء نيرون العرش بأربع سنوات، وكان قد انقضى على طرد اليهود من روما بواسطة كلوديوس ست سنوات، بسبب الشغب الذي أحدثه اليهود ضد المسيحيين، أو بحسب تقرير المؤرخ الروماني الوثني تاسيتوس: «ضد مَنْ يُدعى كرِسْتُوس»، فطرد اليهود والمسيحيين معاً. ويبدو أن أكيلا وبريسكلا اللذين يُظن أنهما كانا مسيحيين وطُردا مع اليهود وتقابلا مع ق. بولس في كورنثوس وظلاّ يخدمان

19. Bruce, *op. cit.*, p. 24.
20. Ibid., p. 23.

لحساب ق. بولس ومعه في أفسس، هما اللذان أخبرا ق. بولس بكل ما حدث في روما. وهكذا علم ق. بولس بعودة أكيلا وبريسكلا مع باقي المسيحيين واليهود مرة أخرى، بعد هدوء الجو السياسي وانضباط الوضع الاجتماعي على يد نيرون، الذي كان قد ابتدأ حكمه بكثير من المهارة والحذق السياسي، فاستتب الأمر في كل الإمبراطورية حتى قيل أنها كانت من أحسن الأيام التي عاشتها الإمبراطورية منذ يوليوس قيصر.

فمن ضمن الأسباب الكثيرة التي ألحّت على القديس بولس لكتابة هذه الرسالة، هو حثُّ الجانب اليهودي المتنصِّر والجانب الأممي المتنصِّر ـ بعد عودتهما ـ إلى التعايش السلمي معاً بمنطق الإنجيل والخلاص المشترك، بل وحثُّهم على رفع مستوى المحبة لتقطع خط الرجعة على كل الاحتكاكات المحتمل حدوثها، مع احترام الحكام ورؤساء الدولة والخضوع والطاعة للمنوط بهم جمع الجزية والضرائب. كان هذا هو الجانب السياسي في الرسالة والذي يُحتَسَبُ على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لمستقبل الكنيسة مع الدولة. ولا يغيب عن بالنا قط أن ق. بولس وضع في اعتباره وهو يكتب هذه الرسالة، إمكانية وقوعها في يد الدولة ووصولها أيضاً حتى إلى يد نيرون، فهو قد استوفى فيها ما يجب أن يعرفه عن مسئوليته أنها من الله، كما استوفى ما يجب أن يعرفه عن مبادىء المسيحيين في الحياة.

ثانياً: صحيح أنه كان في نيّة ق. بولس زيارة روما، ولكنه وجدها فرصة أن ينشر رسالة إنجيله الذي استأمنه الرب يسوع على خدمته الخاصة بين الأمم، والذي استودعه إياه باقي الرسل على عاتقه، معطين إياه يمين الشركة، على أن تكون رسوليته مختصة بالأمم على أساس إنجيل الغرلة (غل٢:٧)، وذلك قبل أن يصل إليهم؛ وافتراض عدم وصوله لهم أمر محتمل على ضوء المعوقات الكثيرة السابقة.

لذلك يقول لهم ق. بولس بلغة هادئة رقيقة، متواضعة في ظاهرها، مع مديح وإطراء ـ وهو يضمر تبشيرهم بإنجيله الجديد بغير أعمال الناموس ولا سبت ولا ختان، هذا غير ما استلموه على إنجيل الختان الذي كان قد رسخ في قلوبهم وأذهانهم بضرورة الناموس وأعماله والسبت والختان وبقية العوائد:

+ «أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم، **أن إيمانكم يُنادَى به في كل العالم.**» (رو١:٨)

ويعطي سبب رغبته الشديدة الملحّة لزيارتهم بقوله:

+ «**لنتعزّى بينكم "بالإيمان" الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني.**» (رو١:١٢)

ولكنه يعود، وكأنه يميز إيمانه عن إيمانهم، بل ويكاد يلغيه فيقول لهم:

+ «فهكذا ما هو لي مستعد **لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً.**» (رو١:١٥)

فكيف يكون الذين «إيمانهم يُنادَى به في كل العالم» **يحتاجون إلى بشارة الإنجيل؟**

+ ثم يقول: «ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم.» (رو١:١٣)

فكيف أن الذين إيمانهم يُنادَى به في كل العالم يكونون ناقصين مثل هذا الثمر، وأي ثمر هذا؟

+ ثم يقول لهم: «متضرعاً دائماً في صلواتي عسى الآن أن يتيسَّر لي مرَّة بمشيئة الله أن آتي إليكم، لأني مشتاق أن أراكم لكي **أمنحكم هبة روحية لثباتكم.**» (رو١: ١٠و١١)

فكيف أن مَنْ يشكر الله دائماً على إيمانهم الذي يُنادَى به في كل العالم يكونون في خطر عدم الثبوت؟

+ ثم كيف وما معنى بعد أن يقول: «لنتعزَّى بينكم بالإيمان»، يعود ويفرِّق «الإيمان الواحد» هذا إلى **إيمانكم وإيماني؟؟** إذاً هما إيمانان!!

وهنا تنكشف رقة هذا الرسول المتواضع الذي يأخذ سامعيه «بمكر» حسب قوله هو في (٢كو١٢:١٦).

إذاً:

١ ـ هما إيمانان فعلاً: الإيمان بالمسيح الذي ينادي به بولس بدون أعمال الناموس؛ وإيمانهم بالمسيح الذي استلموه من اليهود المتنصرين على أساس حفظ الناموس والسبت والختان وكل عوايد اليهود!

٢ ـ **إن الهبة الروحية التي يقصدها لثباتهم هي تبشيرهم بإنجيل الإيمان بالمسيح لنوال برّ الله بدون الناموس وأعمال الناموس وبدون السبت وبدون الختان. لأن أي إيمان مسيحي يشترك مع عبادة الله بالناموس القديم ووصاياه معناه حتماً، إن آجلاً أو عاجلاً، هو السقوط من المسيح وفقدان النعمة.** اسمعه يقول لأهل غلاطية الذين تورَّطوا في نفس هذا الوضع:

+ «أيها الغلاطيون الأغبياء، مَنْ رَقاكُم (عمل لكم سحراً أي تعويذة) حتى لا تذعنوا للحق، أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسِمَ يسوع المسيح بينكم مصلوباً، أريد أن أتعلَّم منكم هذا فقط، أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ أهكذا أنتم أغبياء؟ أبعدما ابتدأتم

بالروح (الإيمان بالمسيح) تُكمَّلون الآن بالجسد (عمل الناموس)؟ ... **قد تبطّلتم عن المسيح** أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة.» (غل٣: ١–٣ و ٥: ٤)

٣ – حينما يقول لهم: «مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً»، فهذا تصريح خطير أن البشارة التي قبلوها سابقاً لقبول المسيح تحتاج إلى بشارة برفض الناموس وإلغاء السبت والختان وكل عوايد اليهود، حتى تبقى البشارة بالإيمان بالمسيح ثابتة قابلة لنوال برِّ الله لا يهددها برُّ الناموس الذي أَوْدَى باليهود وجعلهم يجحدون ابن الله ويصلبونه أيضاً.

وعلى هذه الركائز الثلاث تقوم رسالة رومية من أَلِفِها إلى يائها. وبسبب هذه العناصر الثلاثة كان ق. بولس ليس فقط مشتاقاً أن يذهب إلى روما، بل وقلقاً وحائراً ومهموماً أن تفلت رومية من كرازته، وهكذا يكون مستقبلها أن تفلت من الإيمان بالمسيح. لذلك لما رأى أنه تعوَّق عن الذهاب، أسرع بالرسالة وسكب فيها كل فكره وقلبه وروحه وإيمانه وكل ما استلمه من المسيح بالإعلان ليشرح لهم ما هو البر، بر الله بالإيمان خُلواً من الناموس.

لذلك تجده في مستهل رسالته يشدِّد على: «الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة **لإطاعة الإيمان في جميع الأمم** الذين بينهم أنتم أيضاً» (رو١: ٥و٦). ثم يعود ويركِّز: «لأني لست أستحي بإنجيل المسيح **لأنه قوة الله للخلاص** (بدون الناموس) **لكل مَنْ يؤمن** (بدون أعمال الناموس)، لليهودي أولاً ثم لليوناني. لأن فيه **مُعْلَنٌ برُّ الله بإيمان لإيمان** (أي بإيمان لإيمان فقط)، كما هو مكتوب: أما البار فبالإيمان يحيا» (رو١: ١٦و١٧). كل ذلك في مستهل رسالته، مُشدِّداً أن إنجيل المسيح هو إعلان برِّ الله بالإيمان بدون ناموس.

والعجيب أن هذه الحقيقة الجوهرية الوحيدة التي هي أساس كتابته لرسالته إلى أهل رومية تفوت على العلماء، كلّ مَنْ تصدَّر لشرح رسالة ق. بولس إلى أهل رومية، من القرن الثاني حتى القرن العشرين بدون استثناء[٢١]، فلم ينتبهوا لمعنى قوله: «**أمنحكم هبة روحية لثباتكم**»، ولا انتبهوا لمعنى قوله: «إيمانكم وإيماني»، ولا انتبهوا لمعنى قوله: «مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً»، ولا انتبهوا لمعنى قوله: «ليكون لي ثمر فيكم أيضاً» كرسول لإنجيل الغُرلة.

---

(٢١) لقد اعتقد العالم الألماني باور **Baur** أنه ربما وصلت أخبار للقديس بولس عن خلافات عقائدية في رومية، لذلك كتب رسالته ليوضح فيها أركان الإيمان بالمسيح، دون أن ينتبه إلى الحقائق المذكورة في الرسالة التي تفيد مباشرة لماذا هو يكتب رسالته إلى أهل رومية دون أن ينتظر أخباراً من أحد.

Sanday and Headlam, op. cit., p. XI

ولو انتبه العلماء إلى هذه الحقيقة، أي أن ق. بولس أسرع وكتب رسالته إلى أهل رومية ليضع لهم أساس الإيمان بالمسيح خُلواً من أية علاقة بالناموس أو السبت أو الختان أو كل عادات اليهود الأخرى ليضمن ثباتهم في الإيمان المسيحي — نقول لو انتبه العلماء إلى ذلك لما كانوا شغلوا أنفسهم بكتابة فصول بأكملها وعشرات الصفحات يتناقشون فيها هل ق. بولس كتب رسالته لمسيحيِّي اليهود أم لمسيحيِّي الأمم، دون أن يصلوا إلى أية حلول!!

والحقيقة أن ق. بولس لم يكتب لفئة معيَّنة، لأن اليهود المتنصِّرين كانوا يعيشون على **عبادة الناموس بجوار الإيمان بالمسيح**، وأن الأمم الذين تنصَّروا على أيدي اليهود المتنصِّرين **كانوا هم أيضاً قد استلموا منهم الإيمان بالمسيح مع عبادة الناموس والختان والسبت وكل العوايد**. فالقديس بولس كَتَبَ للجميع!! ما عدا قلة من أتباعه الذين نزحوا من كنائس آسيا واليونان واستقروا في روما، فهؤلاء تسلَّموا الإيمان الصحيح من ق. بولس.

وواضح من تحديد الزمن الذي كُتبت فيه هذه الرسالة، أن ق. بولس قد انتهى من سفريَّاته التبشيرية حول الشرق بمدائنه الكبرى، فابتدأ يرفع بصره إلى الغرب: «حتى إني من أورشليم وما حولها إلى إلليريكون (شمال غرب اليونان) قد أكملتُ التبشير بإنجيل المسيح ... وأما الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم، ولي اشتياق إلى المجيء إليكم منذ سنين كثيرة ...» (رو١٥: ١٩و٢٣)

ولم تكن روما فقط هي التي تشغل بالَه، بل وامتدّت طموحاته في التبشير حتى إلى أسبانيا، ولماذا لا، فهو مدعوٌّ من الرب لتبشير الأمم، أليس هو رسول تلك النواحي التي ترنو إليه ممثَّلة في ذلك المكدوني الذي دعاه في الرؤيا: «اعْبُرْ إلى مكدونية وأعنّا» (أع١٦: ٩)، اسمعه وهو يصرِّح بذلك: «فعندما أذهب إلى أسبانيا آتي إليكم، لأني أرجو أن أراكم في مروري وتشيِّعوني إلى هناك إن تملأتُ أولاً منكم جزئياً.» (رو١٥: ٢٤)

وعاد يكرر تصوُّره للخطة التي وضعها في قلبه وكأنه يرسمها رسماً: «ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين ... فمتى أكملتُ ذلك وختمتُ لهم هذا الثمر (المساعدات المالية التي جمعها من الكنائس لفقراء أورشليم) فسأمضي مارًّا بكم إلى أسبانيا» (رو١٥: ٢٥و٢٨). وفي الحقيقة لم يكن قصده الأساسي مساعدة فقراء أورشليم وحسب؛ بل كان وراء هذه الخدمة المباركة أملٌ في أن مثل هذه المساعدات المالية السخيَّة تُطيِّب قلب اليهود المتنصِّرين المتعصبين ضد الأمم. بمعنى أنه كان يقوم بعمل توثيق روحي وأخوي بين أهل الإيمان من الختان وأهل الغرلة، وبالتالي

تلطيف روح السخط الذي كان يحمله اليهود بالإضافة إلى متعصِّبي الكنيسة في أورشليم ضد ق. بولس بصفته الرسول الوحيد الذي يحمل رسالة الإيمان إلى أهل الغُرلة، أي المبشِّر بالإنجيل بلا ناموس ولا سبت ولا ختان. هذا الأمر يكشفه ق. بولس في رسالته إلى أهل رومية طالباً منهم الصلاة من أجل هذا الأمر بعينه، إذ يبدو أنه كان يتوجس خيفة من نيّات اليهود في أورشليم: «فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات، من أجلي، إلى الله لكي أُنقَذ من الذين هم غير مؤمنين من اليهود، ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين» (رو١٥: ٣٠و٣١). ولكن قد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد كان على حق في توجُّسه، لأنهم عملوا فيه ما عملوا حتى انتهوا به إلى القيود والسجن، وفي قيوده هذه جاءهم إلى روما سفيراً في سلاسل.

ولكن إن كنا نبحث عن لماذا كتب ق. بولس رسالته إلى أهل رومية، فينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن روما هي رسالته بالأساس. فروما موضوعة منذ الأزل في حسابات خدمة ق. بولس الذي أفرزه الله من بطن أمه ليعلن ابنه فيه للأمم: «أنه بإعلان عرَّفني بالسرّ ... أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته.» (أف٣: ٣و٦و٧)

لذلك اسمعه وهو يكتب في مستهل رسالته إلى أهل رومية مُزكّياً دعوته ورسالته إليهم: «يسوع المسيح ربنا، الذي به لأجل اسمه قبِلْنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان **في جميع الأمم، الذين بينهم أنتم أيضاً** مدعوُّو يسوع المسيح» (رو١: ٤ــ٦). فالقديس بولس كان وكأنه يحلم أنه في روما، فكان يردد: «يتحتم أن أرى رومية أيضاً» (أع١٩: ٢١). ويلاحظ أن كلمة «يتحتم» جاءت في الترجمة العربية «ينبغي» وهي ترجمة لا تعني بتحديد الضرورة أو الحتمية must. وقد أكَّد ذلك صوت مسموع من الله خاطبه في أعماقه وسمعه بولس الرسول وتحقق منه: «وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال: ثِقْ يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم هكذا يتحتم (ينبغي) أن تشهدَ في رومية أيضاً.» (أع٢٣: ١١)

لذلك نجد نبرة صوته في رسالته هذه تتَّسم بنوع الإلحاح الذي كان يعتمل في داخله من جهة الذهاب إليهم: «ثم لست أريد أن تجهلوا، أيها الإخوة، أنني مراراً كثيرة قصدتُ أن آتي إليكم ــ ومُنعتُ حتى الآن ــ ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم.» (رو١: ١٣)

والعجيب أن ق. بولس في إلحاحه على الذهاب إليهم، كان العامل الرسولي في قلبه يهيج

بالشوق من جهة العطاء الحر، فهو لم يكن يبغي إلاَّ أن يمنحهم البركة الرسولية: «لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم» (رو١: ١١)، التي يعني بها بركة رسولية الأمم، أي التعليم بالإيمان المسيحي خُلُواً من الناموس.

وهذا يؤكده تسجيل وصل إلينا من وثيقة كتبها المدعو الأمبروزياستر (وهو معروف أنه هيلاريون) يقول فيها بالحرف الواحد: «إنه من الثابت أن في زمن بولس الرسول كان هناك يهودٌ قاطنون في روما، كان قد تنصَّر بعضٌ منهم فعلَّموا الرومانيين الاعتراف بالمسيح مع احتفاظهم بالناموس»(٢٢)، وفي موضع آخر يقول أمبروزياستر (هيلاريون) أنه حتى هؤلاء اليهود كانوا في الأصل يهوداً دخلاءَ(٢٢)، ولم يذهب هناك أيٌّ من الرسل، ولم تُجرَ آياتٌ أو عجائبُ(٢٣).

حادي عشر: لمَنْ كتب بولس الرسول رسالته، أو مَنْ هم أهل رومية:

هل كانوا من متنصِّري اليهود؟ أم كانوا من متنصِّري الأمم؟ كان هذا السؤال سبب أبحاث كثيرة وآراء متباينة بين العلماء، ولكن بدراستنا لروح الرسالة إلى أهل رومية نجد أن ق. بولس كان يخاطب المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم على حد سواء، فللأمم كان يوجه لهم الكلام صريحاً هكذا: «فإني أقول لكم أيها الأمم بما أني أنا رسول للأمم أُمجِّد خدمتي» (رو١١: ١٣)؛ بل وحينما يخاطب الجميع معاً في مستهل رسالته يتضح أن الخلفية التي تحمل الاتجاه العام للرسالة تشير إلى أن الأمم لهم الأغلبية بلا نزاع: «الذي به لأجل اسمه قبِلْنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان **في جميع الأمم الذين بينهم أنتم أيضاً** مدعوُّو يسوع المسيح.» (رو١: ٥و٦)

ويبدو أن المتنصِّرين من الأمم كانوا في روما على أعلى مستوى من النضج الروحي والتقوى والصلاح، ومشهوداً لإيمانهم. فالقديس بولس يخاطبهم لا لكي يبشرهم بالإيمان، بل ليمنحهم ثباتاً، وليقدِّم من حصيد إيمانهم قرباناً إلى الله، بمعنى أن يختم على إيمانهم بعطية الروح القدس الرسولية لتكميل معرفتهم، ليصير أهل رومية كنيسة رسولية، والتي عبَّر عنها سابقاً: «لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم» (رو١: ١١)؛ «وأنا نفسي أيضاً متيقِّن من جهتكم يا إخوتي أنكم أنتم مشحونون صلاحاً ومملوؤون كل علم، قادرون أن يُنْذِر بعضكم بعضاً، ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الإخوة كمذكِّر لكم بسبب النعمة التي وُهِبَتْ لي من الله حتى أكون

22. F. Godet., p. 37,44.
23. Bruce, *op. cit.*, p. 15,16.

خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مُباشِراً لإنجيل الله ككاهن، ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدّساً بالروح القدس.» (رو١٥: ١٤ــ١٦)

وفي المقابل نجد أنه يخاطب اليهود المتنصّرين بوضوح: «هوذا أنت تسمى يهودياً وتتكل على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلماً من الناموس ... فأنت إذاً الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك؟» (رو٢: ١٧و١٨و٢١)، «أم تجهلون أيها الإخوة، لأني أكلم العارفين بالناموس ...» (رو٧: ١)

كذلك نجد ق. بولس يكلم اليهود والأمم معاً ــ وهم في الإيمان ــ من جهة الزيتونة الأصلية والزيتونة البرّية، وكيف قُطِعَتْ أغصان الزيتونة الأصلية أي اليهود، وطُعِّمت أغصان الزيتونة البرّية على الأصل الطيب (بخلاف الطبيعة). فللأمم يحذّر أن اليهود قُطعوا لعدم إيمانهم، فعلى الأمم أن يحذروا عدم الإيمان وإلاّ سيُقْطَعون، ولليهود يشجع أن بزلّتهم دخل الأمم وبعدم إيمانهم قُطِعُوا، فكم يكون بعودتهم وإيمانهم إلاّ حياة من بعد موت؟ والكلام هنا لليهود والأمم معاً حتى لا يستكبر أحد على الآخر أو يفتخر الواحد ضد الآخر.

أما العلماء الذين انحازوا إلى الفكر الذي يقول إن الأغلبية كانت من اليهود، مثل العالم ثيئودور زاهن(٢٤)، فكان اعتمادهم في هذا التقرير على تركيز تعاليم ق. بولس ضد الناموس، وكأنه يقصد اليهود فقط. ويرد عليهم العالم جون موري(٢٥) بأن ق. بولس يتكلم عن سطوة الناموس ثم إلغائه بموت المسيح، لأن موت المسيح على الصليب للناموس صار بمثابة موت لليهودي والأممي سواءً بسواءٍ، فلليهود رفع عنهم ثقلاً لم يكونوا قادرين على حمله، وللأمم تخطّى بهم ثقلاً كان يعترض خلاصهم: «لأن كل مَنْ أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك.» (رو٢: ١٢)

ونحن نرى أن موت المسيح على الصليب كمخالف للناموس، يُدْخِلنا نحن الأمم حتماً في مواجهة الناموس، لأن تحمُّل المسيح الرفع على خشبة، أي قبول موت اللعنة، هو حكم الناموس على الخاطىء، وأنا ــ كأممي ــ رجل خاطىء ــ بحكم الناموس ــ سواء علمت ذلك أو لم أعلم. فالمسيح قَبِل لعنة موت الخطية من أجلي، وبهذا تخطى بي الناموس وأحكامه، بمعنى: كأني كنت تحت الناموس في لحظة موت المسيح وقبلتُ مع المسيح حكم الناموس ومتُّ بناءً على ذلك، وقمت مع المسيح مُبرَّءاً من الناموس والخطية.

24. Theodor Zahn, *Introduction to the New Testament,* 1909. *ET.* Vol. I, p. 422.
25. John Murray, *The Ep. to the Romans,* p. XIX.

المسيحي والناموس:

قد يتهيأ لنا كمسيحيين أننا أحرار من الناموس كوننا لسنا يهوداً ولا كنا يهوداً، فالناموس لا سلطان له علينا. ولكن في الحقيقة، وكما يوضح بولس الرسول، فإن الناموس هو القانون الخاص بالخطية معرفة وتحديداً وعقوبة. فلو نحن وقعنا تحت سلطان الخطية، نكون قد وقعنا تحت سلطان قانون الخطية حتماً، أي نكون قد دخلنا حكم الناموس إلزاماً. لأن الناموس هو أصلاً قانون الله الذي وُضع من أجل التعامل مع الخطية. فبالرغم من أننا لسنا يهوداً وليس علينا أن نحفظ الناموس ببنوده، ولكن لأننا آمنّا بالمسيح والمسيح مولود تحت الناموس، لهذا يتسحَّب علينا الناموس اضطراراً. فبالرغم من أننا أخذنا المسيح مصلوباً وتعرّفنا عليه واتحدنا به عن طريق الموت الذي ماته من أجلنا، وأخذنا حكم هذا الموت في جسدنا لمّا اعتمدنا لموته، فإننا باشتراكنا الكامل في موته وأخْذِنا لحكم الموت للتبرئة، يصير لنا بحكم الضرورة والتبعيّة حق القيامة معه أو اشتراكنا في جسده ودمه اللذين بهما قام من الأموات. لكن وبالأساس، هذا **الحكم بالموت** الذي أنشأ التبرير، أي البراءة، هو أصلاً حكم الناموس. فنحن بإيماننا بموت المسيح وقيامته نكون قد تبرأنا من الخطية وبالتالي من الناموس ولم نَعُدْ تحت حكمه. ولكن إذا أخطأنا باختيارنا وعدنا **وملّكنا الخطية في جسدنا المائت** ــ وتحررنا من صليب المسيح ــ يسقط عنا تبرير المسيح، أي حكم البراءة، ونكون قد أعطينا للناموس فرصة لاستئناف حكم الموت علينا:

+ «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبولُ دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين.» (عب١٠: ٢٦و٢٧)؛
+ «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع **قد أعتقني من ناموس الخطية والموت** ... لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين **ليس حسب الجسد** بل حسب الروح.» (رو٨: ١و٢و٤)؛
+ **«لأن اهتمام الجسد هو موت ... لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله** (النعمة)، **لأنه أيضاً لا يستطيع، فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله.**» (رو٨: ٦ــ٨)؛
+ «إن عشتم حسب الجسد، فستموتون.» (رو٨: ١٣)؛
+ «ألستم تعلمون أن الذي تقدّمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة (لله) للبر.» (رو٦: ١٦)؛

+ «لأن أجرة الخطية هي موت.» (رو٦: ٢٣)؛
+ «لأن الذين استُنيروا مرة (المعمودية)، وذاقوا الموهبة السماوية (نعمة الفداء)، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا؛ لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم (بالخطية الإرادية) يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويُشهِّرونه.» (عب٦: ٤–٦)

ويعطينا هيبوليتس الروماني (توفي سنة ٢٣٥م) لمحة عن وضع كان قائماً في كنيسة روما في أيامه، وهو وجود شيعة بين المسيحيين لها سمات يهودية، ولكنها كانت منشقة عن جسم الجماعة ككل، مما يوضح أن صبغة اليهودية ظلّت عالقة ومتوارثة في داخل كنيسة روما ولكنها ظلت منحصرة غير قادرة على الاندماج في الجماعة، لذلك كان مآلها إلى الزوال[٢٦].

وأما الأسباب التي تجعلنا نتيقن أن العنصر اليهودي في كنيسة رومية كان هو الأضعف والأقل، فيُجملها لنا العالم السويسري المدقق جوديت Godet[٢٧] هكذا:

١ — من جهل رؤساء مجمع اليهود في روما عن أي شيء يخص شيعة اليهود المتنصِّرين في روما، يؤكد أنها كانت قلّة غير ظاهرة أو ملحوظة: «فقالوا له نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية، ولا أحد من الإخوة جاء فأخبرنا أو تكلم عنك بشيء رديء، ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى، لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوَم في كل مكان (ما عدا في روما طبعاً).» (أع٢٨: ٢١و٢٢)

٢ — إن اضطهاد نيرون للمسيحيين في روما، لو كانوا هم اليهود لما سمعنا قط بهذه المذابح الدموية، ولكن واضح أن المسيحية كانت غير منتمية إلى اليهود في شيء لا بقليل ولا بكثير. لذلك أُفرز المسيحيون بسهولة وقُدِّموا للموت، بينما الجماعات اليهودية بقيت سليمة لم يمسَّها سوء.

٣ — في رسالة ق. بولس إلى أهل فيلبي يوضح ق. بولس أن الكثرة الذين كانوا ملتفِّين حوله في روما كانوا من المسيحيين الأمميين، أما الذين كانوا من أصل يهودي فكانوا يقاومون تعليمه — طبعاً من جهة إلغاء الناموس والسبت والختان — وهؤلاء كانوا قلّة قليلة:

26. Hippolytus, *Apost. Trad.*, 20.5.
27. Godet, *op. cit.*, p. 43.

«حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية، وفي باقي الأماكن أجمع (الأمم)، وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوُثُقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف. أما قومٌ فمن حسد وخصام (يهود متنصِّرون) يكرزون بالمسيح ... فهؤلاء عن تحزّب ينادون بالمسيح ...» (في١: ١٣–١٦)

٤ — فيما يخص التقليد الذي يقول إن إنجيل القديس مرقس كُتب في روما للمسيحيين هناك، فالإنجيل يخلو تماماً من أي اقتباس لنصوص العهد القديم، وهذا يوضح أنه كُتب للأمم المسيحيين هناك وهم الكثرة، أو الكل الذي كان يمثل الكنيسة هناك.

٥ — رسائل القديس كلمندس أسقف روما التي كتبها بعد ٣٠ سنة من زمن كتابة رسالة ق. بولس إلى أهل رومية، تكشف عن روح وأسلوب وفكر أممي متنصِّر يخلو تماماً من أي اتجاه أو انحياز لليهودية. وهذا يؤكده العالم هارناك والعالم زاهن في مقدمة مجموعة الآباء الرسوليين طبعة جرهارد.

٦ — بخصوص الجدل الذي احتدم بخصوص التعييد للفصح والذي كان قد حدّده القديس يوحنا في كل كنائس أفسس ليكون مع فصح اليهود أي ١٤ نيسان، نجد أن الذي قاوم هذا التقليد بشدة وأصرَّ على جعل الفصح في ميعاد بعيد عن فصح اليهود هم مسيحيُّو روما. وهذا يكشف عن خُلوِّ المسيحية في روما من أي عنصر يهودي مسيطر بل العكس.

٧ — كذلك فإن السراديب في روما نجدها ملآنة بأسماء كلها محلّية أي رومانية صرف، لا يتخلّلها أسماء يهودية لتذكار موتاهم، مما يفيد أن المسيحية في روما بدأت واستمرت بعنصرها الأممي الغالب.

ثاني عشر: حالة المسيحية عموماً في روما زمن رسالة بولس الرسول إليها سنة ٥٧م:

لو فرضنا أن المسيحية وصلت روما في سنة ٣٠م أي بعد عيد الخمسين الأول في المسيحية، يكون قد انقضى على الحياة المسيحية في روما ما يقرب من ربع قرن. وهناك حادثة يحتفظ بها التاريخ في ذاكرته تعتبر ذات بال في هذا الأمر — أي حال المسيحية آنئذ — فهي توضح لنا إلى أي مدى بلغت قوة نفاذ المسيحية بين الأوساط الراقية في المدينة وخاصة الحاكمة، بل والملكية. ففي سنة ٥٧م قُبض على السيدة بومبونيا جراسينا Pomponia Gracina زوجة أوليوس بلوتيوس Aulus Plautius أحد القواد العظام في الإمبراطورية (وهو الذي اضطلع بغزو إنجلترا وضمّها إلى

روما سنة ٤٣م)، وذلك بتهمة اعتناق دين خرافي(٢٨) ــ وذلك على حد تعبير المؤرخ الروماني الوثني المعاصر تاسيتوس. وطبعاً يُفهم من كل الملابسات أنها اعتنقت المسيحية واعتمدت، وهكذا قُبِضَ عليها وماتت كشهيدة ووُجِدَ اسمها منقوشاً في أحد سراديب روما المسمَّى بسرداب القديس كالليستُس(٢٩).

من هذا يُفهم أن المسيحية في روما اجتذبت قلوب بعضٍ من عِلْية القوم، وخاصة في الطبقات الحاكمة. لهذا نفهم كيف وجد ق. بولس عند ذهابه إلى روما ــ مقيَّداً ــ ليكرز بالإنجيل، حتى ومن تحت القيود، وجد طريقه مفتوحاً إلى بيت قيصر وأهله. هذا نسمعه منه في رسالته إلى فيلبي: «ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدُّم الإنجيل، حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع. وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوُثُقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف» (في١: ١٢ــ١٤). وفي نهاية رسالته إلى فيلبي يذكر ق. بولس صراحة أن بعضاً من عائلة قيصر، أي نيرون نفسه، قد قَبِلُوا الإيمان واعتمدوا وصاروا مسيحيين (في٤: ٢٢).

أما الحالة العامة التي كانت عليها الكنيسة في رومية أثناء كتابة ق. بولس رسالته إليها(٣٠)، فالمعروف عادة من كتابات المؤرخين أن روما كانت ترزح تحت موبقات خلقية كثيرة ومظالم القياصرة وشذوذهم. ولكن الحقيقة أن الأمر لم يكن يخلو من حسنات فريدة، فحتى نيرون الذي تربَّع على عرش الإمبراطورية سنة ٥٤م، فبالرغم مما انتهى إليه حاله إلاَّ أن المعروف قطعاً أن في بداية حكمه ــ أي في زمن كتابة رسالة رومية ــ وُصفت الحياة المدنية والسياسية في روما بأنها "أسعد حقبة زمنية عاشتها روما منذ موت يوليوس قيصر"، حيث كانت الحكومة تتصف بالعدالة والحكمة، وكانت تمارس صلاحيتها بالحزم والدقة القانونية، فكانت تعامل الأقاليم بالحُسْنى، وكان حكامها منضبطين تحت تهديد العقابات الرادعة عن أي فساد أو تعسف. وكانت قد بلغت التشجيعات في إقامة المسابقات منتهى السخاء والوعي. وقد اشتهر البوليس الروماني بالانضباط المنقطع النظير، خاصة في العاصمة روما، وهم الذين ذكرهم ق. بولس في رسالته بكل احترام وتقدير: «والرئاسات (السلاطين) **الكائنة** (القائمة) هي مرتبة من الله ... فأعطوا الجميع حقوقهم

28. Tacitus, *The Annals,* 13.32, 3-5.
29. *Oxf. Dict. of Christ. Church,* p. 1089; Bruce, *op. cit.,* p. 18.
30. *The New Cent. Bib. Com.,* Romans, by Alfred E. Garvie, p. 9-11.

... الخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام» (رو١٣: ١ــ٧). وكثير من الحكام كانوا فلاسفة أو عاشقين للفلسفة، لذلك كان الاستعداد لاستقبال الأفكار المسيحية وارداً. ونحن نسمع أن بعضاً من أعضاء بيت قيصر نيرون قبلوا المسيحية: «**حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية** وفي باقي الأماكن أجمع ... يسلِّم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر.» (في١: ١٣ و٤: ٢٢)

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن بداية المسيحية في روما نشأت من العنصر اليهودي الذي كان قد استوطن روما منذ سنة ٦٣ ق م، حينما أسرهم القائد الروماني بومبي عند مجيئه من الشرق وصاروا عبيداً في روما، ولكن معظمهم تحرَّر. وقد كوَّن هؤلاء مجتمعاً قوياً ذا نفوذ ومجمعاً ــ يسمى مجمع الليبرتينيين (أع٦: ٩)، وقد اشتهروا بالتجارة وازداد عددهم جداً ثم انتشرت مجامعهم في أنحاء كثيرة من روما، ولكنهم كانوا يقطنون حيًّا معروفاً باسمهم في روما. ولا ننسى أن منهم كانت عائلة هيرودس الكبير. لذلك، فإن بداية الكنيسة في روما قامت على هذا العنصر اليهودي الذي تقبَّل المسيحية أولاً في أورشليم ثم نزحوا بها إلى روما كما ذكرنا في موضع آخر (أنظر صفحة ٤٩).

وأول ذِكْر لوجود مسيحيين في روما نسمع عنه في سبب طرد اليهود من روما على يد كلوديوس قيصر سنة ٥٢م، إذ يقول المؤرخ الروماني سويتونيوس: إن ذلك كان عقب ثورة قام بها اليهود بسبب شخص يدعى «كرِسْتوس». وأعتقد تماماً أن هذه الثورة قامت ضد المسيحيين الأوائل في روما في ذلك التاريخ، الذين كان منهم أكيلا وبريسكلا امرأته، ولكن سرعان ما عادوا جميعاً وازدهرت الكنيسة بعدئذ. هذا يعطينا فكرة عن المستوى الأخلاقي الذي ورثته كنيسة روما منذ البدء عن التقليد اليهودي المتحفظ جداً. وحينما نسمع ق. بولس في رسالة رومية يشدِّد جداً على ضرورة طاعة المسيحيين للحكام، فذلك كان موجَّهاً للعنصر اليهودي في الكنيسة بسبب نفورهم الذي ورثوه ضد الحكام الوثنيين.

ثالث عشر: تاريخ شرح رسالة رومية على يد كبار اللاهوتيين والمفسرين، والكتب التي استعان بها الكاتب في شرح رسالة رومية:

يقول العالم كرانفيلد Cranfield أستاذ اللاهوت في جامعة درهام (١٩٧٣):

[لم توجد وثيقة حظيت بالدراسات الدقيقة والمستفيضة مثل الرسالة إلى أهل رومية. والذي نعرفه من المؤلفات والمؤلفين أقل بكثير مما لا نعرفه!! والذي يصعب أن نأتي على ذكره في

هذا المجال وكل ما نتمنّاه أن نُظهر مدى غنى وخصب ما قُدِّم من شرح لهذه الرسالة](٣١).

ونحن سنحاول أن نقدم لمحة سريعة مختصرة عما ذكره هذا العالم مع آخرين أيضاً:

١ ــ إن أقدم شرح وصلنا لرسالة رومية هو للعالم أوريجانوس المصري (١٨٥ــ٢٤٥م):

أ ــ وقد جاءت مقتطفات منه في الفيلوكاليا Robinson, Cambridge (١٨٩٣).

ب ــ الشرح الذي أبرزته البردية حديثة الاكتشاف التي اكتُشفت في دير طره طريق القاهرة حلوان سنة ١٩٤١م، وهي تحوي الأجزاء (٣:٥ــ٥:٧)، وتغطي ٢٨ صفحة من البردية، وهي باللغة اللاتينية لأن كاتبها هو روفينوس، واللاتينية التي يكتب بها روفينوس في هذا الزمن المبكر جداً واضحة ويُعتمد عليها، وقد تم فحصها ودراستها بواسطة العالم شادويك(٣٢)، وزمن كتابتها يتوافق مع وجود أوريجانوس في أواخر أيامه في قيصرية بفلسطين. ويقول عنها العالم كرانفيلد إنها في غاية الأهمية، وتحمل مميزات خاصة سواء من جهة لغتها اللاتينية الرصينة أو ما تكشفه من عبقرية ذهن أوريجانوس وبحسب لغته:

> "A tremendous powerful intellect and immense learning, his knowledge of the Bible is extremely impressive, deeply learned ... a scholarly patience and attentiveness to detail and a deep sincerity."

وبنفس القدر درسها العالم وستكوت في:

Dict. of Chr. Biog. (IV.115-118)

٢ ــ ومن القرن الرابع وصلنا:

أ ــ شرح أكاكيوس الذي على قيصرية (مات سنة ٣٦٦م)، وكان نصف أريوسيٍّ.

ب ــ شرح ديودور الذي على طرسوس (مات سنة ٣٩٠م)، وقد كان معلماً للقديس يوحنا ذهبي الفم.

31. C.E.B. Cranfield, *ICC, Romans,* Vol. I, p. 30.
32. H. Chadwick, "Rufinus and the Tura Papyrus of Origen's Comm. on Rom.", in *JTS*, n.s. 10 (1959), pp. 10-42, cited by Cranfield, *op. cit.*, p. 32.

ج ــ شرح لأبوليناريوس (٣١٠ ــ ٣٩٠م).

د ــ شرح لديديموس ضرير مصر العالِم الذائع الصيت (٣١٣ــ٣٩٨م).

(هـ) وفي نهاية القرن الرابع أتحفنا الزمان بشرح ذهبي الفم الرائع والذائع الصيت، في أنطاكية (٣٤٧ــ٤٠٧م)، وقد ألقاها في شكل عظات في الفترة ما بين سنة ٣٨٧ إلى سنة ٣٩٧م، وهي تكشف عن ذهبي الفم كواعظ قدير، مزدحمة بالنصائح الأخلاقية. وهو بطل مِقْدام في شرح الكتاب المقدس ويُحسب أستاذاً أو أميراً في الشرح، وقد ترك لنا شرحه لكل رسائل ق. بولس، وكان منها الرسالة إلى غلاطية التي قدمها بصورة خاصة كشرح والباقي كعظات. وهو لاهوتي متميز يميل إلى الرمزية، قوي في الضغط على النواحي الأخلاقية والسلوكية، عنيف في التشهير بالعيوب والأخطاء. يستهل عظاته بشرح النص اليوناني ويعلّق على معناه وكلماته، يسهل عليه تتبُّع أعماق ق. بولس اللاهوتية ويتسلق معه حتى القمة. وشرحه لرسالة رومية مدرسيٌّ، لغوي، أدبي ذو رؤية روحية، يكشف عن دراية بالطبيعة البشرية. وهو شرح متميز يؤخذ به عند العلماء ولا يتجاهله أحد. ولكن بحسب حكم العالِمَيْن Sanday and Headlam، لا يتعمق المشاكل اللاهوتية فهو يَعْبر عليها سريعاً شأنه شأن لاهوتيِّي أنطاكية.

و ــ ومن لاهوتيِّي أنطاكية أيضاً شرح الأسقف ثيؤدور المبسويسطي من كيليكية (٣٥٠ــ٤٢٨م)، وقد كتب عن كل الأسفار ومعظمها قد ضاع. ولكن بقي منها أجزاء من شرح رسالة رومية وأجزاء من كورنثوس الأُولى والثانية، مع أجزاء باللاتينية من القرن الخامس لبقية رسائل بولس الرسول. وله أسلوب متميز حرٌّ أصيل، وهو مدقق ويحاول شرح الاصطلاحات اللاهوتية، ويفوق بقية الشراح في إدراكه لاتجاهات بولس الأخروية.

(ز) شرح القديس كيرلس الكبير الإسكندري (مات سنة ٤٤٤م)، يمتاز بالدراسة والوضوح ولكن يخلو من التذوق الأدبي، والشرح ليس كاملاً فقد تبقّى منه مقطوعات تملأ ٤٠ عموداً في مجموعة ميني Migne.

ح ــ شرح ساويرس جابالا (عاش سنة ٤٠٠م) وهو عدو القديس ذهبي الفم الأول والقديس كيرلس أيضاً.

بعد ذلك ظهرت شروحات كلها مأخوذة من شرح ذهبي الفم مثل: ثيئودوريت

(٣٩٣–٤٥٨)، يوحنا الدمشقي (٦٧٥ – ٧٤٩)، ثيوفيلاكت أسقف بلغاريا (القرن الحادي عشر).

ومن الكنيسة السريانية وصلنا شرح رسالة رومية للقديس أفرآم السرياني (٣٠٦ – ٣٧٣م)، ولكن باللغة الأرمنية، ولكن توجد لها ترجمة باللغة اللاتينية مطبوعة في فينيسيا سنة ١٨٩٣م.

ومن الكنيسة اللاتينية فإن أقدم ما وصلنا هو:

أ – شرح رسالة رومية مع غيرها لأمبروزياستر، وهو الاسم المزيف للكاتب الأصلي وهو هيلاريون الشماس في كنيسة رومية، وقد تسمّى هكذا لأن كتاباته اندسَّت مع كتابات أمبروسيوس وأخذت شكلها. ولكن أوريجانوس يذكر شرحاً لرسالة رومية لشخص اسمه «هيلاريون» ولا يُعرف مَنْ هو. ولكن قد عُرف منذ القرون الوسطى أن الشرح لأمبروسيوس. وإرازموس هو أول مَنْ رفض تسمية هذه الشروحات باسم أمبروسيوس وخلع عليها اسم أمبروزياستر وذلك في العصور الحديثة. ولكن توجد أبحاث ذات ترجيح تقول إنها لشخص يدعى إسحق وكان يهودياً وتنصَّر[٣٣]. وهي شروحات لثلاث عشرة رسالة، وزمن كتابتها يُحتمل أن يكون ما بين سنة ٣٧٤–٣٧٩م. وأهم ما فيها هي لغتها اللاتينية القديمة. وشرح رسالة رومية ذو امتياز واضح بأسلوبه المدرسي ونُضج التعبيرات مع إيجاز وبلاغة.

ب – شرح للقديس أغسطينوس أسقف هيبو: (٣٥٤–٤٣٠م). وهو ذو أهمية كبيرة للغاية في تاريخ الشرح لرسالة رومية. ولا يوجد منه إلاّ شذرات، وكُتب سنة ٣٩٤م. وفي كتاب اعترافاته (١٢:٨) يذكر كيف تأثر برسالة رومية وتغيَّرت حياته بقراءتها (رو١٣: ١٣...إلخ). وهكذا تنتهي حقبة الآباء في شرح رسالة رومية.

أما العصر الوسيط فظهر فيه كثير من الشروحات، ولكن ليست بذات الأهمية التي لعصر الآباء.

وهنا نأتي إلى عصر النهضة Renaissance وعصر الإصلاح Reformation، حيث انهالت الشخصيات المتعددة المواهب على شرح رسالة رومية أمثال John Colet، وهو عميد مدرسة القديس بولس بإنجلترا (١٤٧٦–١٥١٩م)، وقدمها كعظات سنة ١٤٩٧م في جامعة أكسفورد وقد

33. Cranfield, *op. cit.*, Vol. I, p. 35.

طُبعت سنة ١٨٧٢، وهي تكشف عن بداية النهضة في إنجلترا ومواضيعها شيِّقة للغاية.

وبعده جاءت حركة مارتن لوثر (١٤٨٣–١٥٤٦م) التي خلخلت الكنيسة الكاثوليكية، وانفرد بالإيمان، وشرح ما شرح من الأسفار، ولكن أهم أعماله رسالة رومية (طبعت سنة ١٥١٩). وبالرغم مما فيها من استنارة إلاّ أنها شديدة الوطأة على التحيز وصلابة الفكر العقائدي وبدء النزاع المرير في العقيدة بين الإيمان والأعمال، هذا النزاع الذي كان بلا معنى ولا أي داعٍ، فإنه يستحيل فصل الإيمان عن الأعمال. وقد عالجنا هذا الموضوع بصبر ودقة وإلحاح حتى نزيل هذه العقدة التي استعصت هذه المئات من السنين، وأضرَّت أكثر مما أفادت. ويكفي أن يكون بدء هذا الانفراط في عقد الإيمان على يديْ لوثر هو الذي انتهى بالغرب إلى هذا الانحلال المريع الذي تمزق فيه الإيمان إلى أكثر من ألف عقيدة!!! باتت أوروبا وأمريكا لا تعرف شيئاً عن إيمانها القديم بل ولا عن المسيح[٣٤]. وهكذا انتهى النزاع بين الإيمان والأعمال إلى لا إيمان ولا أعمال.

ومن بعد شرح لوثر جاءت شروحات فيليب ملانكتون Melanchton (١٤٩٧–١٥٦٠م)، وطبع شرحه لرسالة رومية سنة ١٥٤٠م. كذلك طبع جون كالفن Calvin (١٥٠٩–١٥٦٤م) شرحه لرسالة رومية سنة ١٥٣٩م، وكان شرح هذا العالم أقوى شرح لرجال الإصلاح.

وفي هذه الحقبة الزمنية ظهر شرحان لرسالة رومية لعالمين كاثوليكيين:

الأول: كورنيليوس آلابيد Cornelius a Lapide المدعو فان دن شتين Van den Steen، وهو راهب جيزويتي طبع مؤلفه سنة ١٦١٤م.

الثاني: إستيوس .Estius, G، وقد طُبع مؤلفه سنة ١٦١٤م بعد وفاته (١٦١٣م).

كما ظهر في هذه الحقبة عالمان إنجليزيان يستحقان الذكر لشرحهما للكتاب المقدس:

الأول: Hammond Henry (١٦٠٥–١٦٦٠م) زميل كلية أكسفورد، وكان ملكي النزعة. وقد ساعد على خروج أول موسوعة لشرح العهد الجديد سنة ١٦٥٣م، ويعتبر أبو كل شُرَّاح الكتاب الإنجليز.

الثاني: John Locke (١٦٣٢–١٧٠٤م) فيلسوف مشهور أوقف حياته لدراسة ق. بولس وكل رسائله. وشرحه ممتاز وتُرجمت أعماله إلى الألمانية.

(٣٤) دخل كاتب هذا الكتاب مكتبة دينية كبرى في لندن في سبتمبر ١٩٩٠ وطلب بعض الكتب عن شرح رسالة رومية فابتدرته المسئولة عن قسم اللاهوت بالسؤال: هل رسالة رومية في العهد الجديد أم في القديم؟! وهكذا صارت المعرفة في أوروبا.

كما ظهر عالمان ألمانيان لا يمكن إغفالهما:

الأول: J.A. Bengel: (١٦٨٧—١٧٥٢م) شرح الإنجيل باللغة اللاتينية التي كان قديراً فيها. ويُعتبر شرحه عالياً، وهو لوثري مدقق واضح مختصر، مدرسي وروحاني معاً، وهذا مما يندر حدوثه.

الثاني: فتشتاين Wettstein: (١٦٩٣—١٧٥٤م) انتقل من بازل إلى أمستردام، وهو بحّاثة لا يكلّ ويُعتبر من أعاظم العلماء، وقد استخدم النصوص الآبائية وأُغرم بجمعها. وقد أصدر شرحه في أمستردام سنة ١٧٥٢م.

ولكن بالنسبة للفكر الكنسي المحافظ، أي التقليدي، لا نستطيع أن نأخذ بهذه الشروحات، إذ ظهر فيها الميل إلى التحدي العقائدي والأفكار المنحرفة ومقاومة الأسرار والدعوة للتحرر والشرح المتغالي في تعصُّبه لفكر صاحبه — وليس لفكر ق. بولس كاتب الرسالة — ذلك بالرغم مما فيها من ألمعيَّة وعمق وإلهام أحياناً.

وبظهور القرن الثامن عشر — العصر الحديث — ظهرت الشروحات ذات الأبحاث العلمية والدراسات اللغوية الممتازة، التي كشفت عن حقائق ومعاني جديدة صححت كثيراً من المفاهيم.

شروحات علماء العصر الحديث:

(١) **جون تايلور John Taylor:** (١٦٩٤—١٧٦١). طُبع كتابه في شرح رسالة رومية سنة ١٧٦٦ في ٤٤٩ صفحة. وهو عالم ضليع في اللغة العبرية، بلغ في شرحه أقصى جهد يمكن أن يتصوَّره إنسان، فقدَّم للشرح بمقدمة طويلة جداً يشرح فيها كل ملابسات الرسائل، وينتهي إلى رسالة رومية ويشرح في مقدمتها رؤوس مواضيع كثيرة؛ ومن ضمنها يشرح معنى البرّ واستخداماته في كل العهد القديم والعهد الجديد في بحث كبير للغاية، ويعود ويشرح الرسالة من عدة نواحٍ، وينتهي بشرح المصطلحات التي وردت بها.

(٢) **روبرت هالدين Robert Haldane:** طبع شرحه لرسالة رومية سنة ١٨١٦ في ٦٥٩ صفحة. يمتاز شرحه بالدفء الروحي والروح العملية. وقد أحدث كتابه هذا نهضة روحية في سويسرا سنة ١٨١٦، انتقلت بعدها هذه الروح إلى كل فرنسا.

وهذا الشرح هو مجموعة المحاضرات التي ألقاها على الطلبة فألهبت روحهم وبدأت

بهم هذه النهضة الكبرى التي سميت باسمه، والتي قامت على المعرفة الإيمانية ودفْع النعمة معاً.

٣ — **ثولك F.A.G. Tholuck:** (١٧٩٩—١٨٧٧). أستاذ جامعة هال، متدين ذو أخلاق دينية وروحية عالية، طبقت شهرته العالم كله، وكان أثره في ألمانيا وخارجها شديداً، خاصة في أمريكا. وطُبِعَت أعماله سنة ١٨٢٤ وتُرجمت أكثر من مرة.

٤ — **العالم الألماني فرتش Fritzshe C.F.A.:** (١٨٠١—١٨٤٦). قدم شرحه في ثلاثة أجزاء. يدين له جميع الشراح الذين أتوا بعده، وقد اقتبسوا منه. وهو عالم لغوي ثبَّت قوانين اللغة اليونانية في العهد الجديد. وكان بلا شك أقوى بحَّاثة في زمانه.

(٥) **ماير H.A.W. Meyer:** (١٨٠٠—١٨٧٣) من هانوفر بألمانيا. بدأت سلسلة شرح ماير سنة ١٨٣٢ حتى وفاته، بقوة ودأب وسهر فائق الوصف. ويعتبر ماير مع زميله دي وت De Wette أعظم من قاموا بشرح الأسفار، مفتتحين عصر الشرح العلمي والشعبي معاً على مستوى أصول القواعد العلمية الدقيقة والفحص اللغوي. وقام بشرح الكتاب المقدس كله مع زملائه، واختص هو، فيما اختص به، برسالة رومية فكانت الدرة الفريدة في عصره وما بعد عصره. وقد تُرجمت كل مؤلفاته إلى الإنجليزية وأُعيد طبعها خمسين طبعة ولكنها نفدت كلها. ورسالة رومية تقع في ٥٥٨ صفحة.

٦ — **دي وت De Wette:** (١٧٨٠—١٨٤٩). أستاذ لاهوت في برلين ثم بازل بسويسرا. مؤلفاته مختصرة على كل أسفار العهد الجديد.

٧ — **ستيوارت، موزس Stuart, Moses:** (١٧٨٠—١٨٥٢). طبع رسالته في شرح رومية سنة ١٨٣٢. تُرجمت إلى الإنجليزية وانتشرت في أمريكا. وهو مدين فيها لشرح ثولك Tholuck ولكنه استحدث الكثير.

(٨) **هودج Dr. Hodge:** (١٧٩٧—١٨٧٨). أمريكي، أستاذ في برنستون ونيوجيرسي. طبع شرحه لرسالة رومية سنة ١٨٣٥ في ٧١٦ صفحة. يدين للألمان الذين درس على أيديهم بكثير من عبقريته.

٩ — **ألفورد Dr. Alford:** (١٨١٠—١٨٧١). عميد كنتربري. يمتاز شرحه للإنجيل

والرسائل بالقوة والعمق والتمييز والتدقيق المدرسي، تحدوه الصحة والرجاحة في كل ما كتب، وقد نقح وحده وبيده العهد الجديد باليونانية.

١٠ ـ **كرستوفر وردزوورث Christopher Wordsworth**: (١٨٠٩ ـ ١٨٨٥) أسقف لِنْلكن. وله إنجيله باليونانية وهو أقدم من إنجيل العميد ألفورد. وهو يمتاز بدراساته الآبائية وشرحه، ويمتاز بكونه أديباً مدرسياً مدبراً على مستوىً عالٍ.

١١ ـ **جويت Jowett B.**: (١٨١٧ـ١٨٩٣). أستاذ اللغة اليونانية بأكسفورد. أخرج طبعة شرحه لرسالة رومية سنة ١٨٥٥، وأعاد طبعها ل. كامبل L. Campbell. ويعتبر شرحه لرسالة رومية أول مؤلف في إنجلترا على المستوى الحديث تماماً. أسلوبه جيل وفكره حديث.

(١٢) **براون John Brown**: أصدر شرحه لرسالة رومية سنة ١٨٥٦ في أدنبره. علمي متسع ومدقق. ويقع في ٦٣٩ صفحة.

(١٣) **بلومر Wm. S. Plumer**: (١٨٠٢ـ١٨٨٠). أستاذ اللاهوت وواعظ فيلادلفيا الشهير ومعلم قدير. صدر شرحه لرسالة رومية في نيويورك سنة ١٨٧٠. لاهوتي وشرحه تعليمي ممتاز. يقع في ٦٤٦ صفحة.

١٤ ـ **فوجهان Dr. C.J. Vaughan**: عميد لانداف Landaff (١٨٥٩). أخرج طبعته في هذا التاريخ ثم أعاد توسيعها وطبعها سنة ١٨٧٤. دراسته دقيقة مدققة لرسالة ق. بولس ولمبادئه بحذق. أستاذ ماهر اعتمد على السبعينية والإنجيل باليونانية، وتعتمد شهرتها وقيمتها على اختياره الدقيق للنصوص.

١٥ ـ **كلي Dr. W. Kelly**: أخرج مذكراته عن رسالة رومية سنة ١٨٧٣. وهي نتاج أستاذ متمكن ودراسته عميقة متصلة وتستحق الكثير من الاهتمام.

١٦ ـ **بيت Dr. Beet**: أستاذ في كلية وسلي برتشمند. يشرح الرسالة بعناية فائقة، ويعتمد على الاتجاه اللاهوتي المنهجي. ظهرت أولى طبعاته سنة ١٨٧٧ وأعيد طبعها مراراً.

(١٧) **جوديت Dr. F. Godet**: (١٨١٢ـ١٩٠٠). أستاذ بنيوشاتل بسويسرا. ظهرت أولى طبعات شرحه لرسالة رومية في باريس بالفرنسية سنة ١٨٧٩، وتقع في ٥٣٠ صفحة

وتُرجمت إلى الإنجليزية وطبعت سنة ١٨٨١.

وجوديت مع ألترامير Altramare لاهوتيان فرانكو ـ سويس، على دراية وأصول ألمانية. وشرحهما لرسالة رومية متقاربٌ. ويُعتبر شرح كل منهما كاملاً أقصى الكمال، يعطي التفسير والشرح لأدق الدقائق ولكن تحت أسماء معاونيهما، ويُعتبَر شرحهما على أعلى مستوى من العلم وأصول البحث والدراسة، ويُعتبر نقدهما قليلاً للغاية.

١٨ ـ **ألترامير Altramare, Huges**: (١٨١٣ـ١٨٩٤). أستاذ في جنيف بسويسرا. طبع شرحه على رومية سنة ١٨٨٢م. كسابقه في الشرح ولكن يميل للأخذ من جوديت. ولكن له مواقف صلبة في الشرح، وتفرُّد برأيه.

(١٩) **مول Rev. H.C.G. Moule**: رئيس «ردلي هول» بجامعة كمبردج، وله شرحه لرومية في مجموعة Cambridge Bible for schools التي ظهرت سنة ١٨٧٩. وتقع في ٤٣٠ صفحة. أسلوبه مدرسي أنيق، ينفرد بشخصيته وشرحه عمّن سبقه، ولكنه مستوفي الشرح. ويُعتبر، في مستواه العلمي، ممثِّلاً للمستوى الإنجليزي الكنسي، وهو معلِّق مشهور يعلِّق في مجموعة Expositor's Bib.

(٢٠) **وليم ج. ت. شيد William G.T. Shedd**: (١٨٢٠ـ١٨٩٤). أستاذ كرسي شرح الإنجيل بكلية الدراسات اللاهوتية المتحدة بنيويورك. وشرحه عقائدي لاهوتي، يميل إلى المستوى الوعظي، علمي ومدقِّق. والكتاب يقع في ٤٣٩ صفحة.

٢١ ـ **جيفورد Dr. H.E. Gifford**: رئيس شمامسة لندن. ظهر شرحه لرسالة رومية في مجموعة The Speaker's Comm. سنة ١٨٨١م التي كان يرأسها، وأعيد طبعها منفردة. ويُعتبر شرح جيفورد أعظم شرح لرسالة رومية ظهر في إنجلترا، وعلى مستوى من الفطنة، وهو يحصر في مؤلفه كل الشروحات السابقة عليه من أقدمها إلى أحدثها. ويعتبر العالم هدلام أنه هو مدين شخصياً لهذا الشرح المتميز.

(٢٢) **العالم جور Charles Gore**: وهو كاهن وستمنستر وكاهن الملكة الخاص. أخرج شرحه لرسالة رومية سنة ١٨٨٩ في مجلدين من ٥٦٦ صفحة الطبعة الأولى والثانية، ثم أعيدت مرات عديدة.

٢٣ ـ **بارمبي Dr. James Barmby**: رئيس أساقفة هاتفيلد بدرهام وهو الذي قام بتأليف

الشرح لرسالة رومية في مجموعة The Pulpit Commentary في لندن سنة ١٨٩٠م. وهي صحيحة من كافة الوجوه ومنفردة في الرأي والأسلوب وشرحها قوي وعميق.

(٢٤) **سانداي وهدلام Sanday and Headlam**: إسكوتلانديان أنجليكان، نشرا شرحهما لرسالة رومية سنة ١٨٩٥، ويقع في ٤٥٠ صفحة، وظل شرحهما ثلاثة أرباع القرن هو المرجع الأساسي لكل دارسي هذا السفر في إنجلترا وربما في كل العالم. أعظم من أن يقرِّظه أي أستاذ، فهو حجة في كل الاتجاهات الأساسية لقيام شرح دقيق مفصَّل كامل. وقد نأى عنه البروتستانت لعدم تقييمه لشرح لوثر كما يشتهون، ولكنه حجة لدى الكاثوليك، وهو في الحقيقة يحمل كل السمات الممتازة التي يحتاج إليها الدارس والعالم والقارىء.

القرن العشرون:

حتى الحرب العالمية الأُولى ظهرت شروحات متخصصة كل واحد منها في مجاله، وكلها على مستوى الأصالة العلمية للعلماء:

١ ــ **ليتزمان Lietzmann**: أصدر شرحه لرسالة رومية سنة ١٩٠٦م في ألمانيا، ويعتبره الباحثون والدارسون مِنْجماً للمعرفة والبحث القيِّم وبالأخص الفحص اللغوي بجدارة.

٢ ــ **زاهن Zahn, Th.**: أصدر شرحه سنة ١٩١٠ في ليبزيج بألمانيا.

٣ ــ **باري Parry, R. St. J.**: أصدر شرحه بالإنجليزية سنة ١٩١٢ في كمبردج.

٤ ــ **كوهل Kühl, E.**: أصدر شرحه بالألمانية سنة ١٩١٣ في لايبزج بألمانيا.

٥ ــ **لاجرانج Lagrange, M. J.**: راهب دومينيكاني فرنسي، مدير ومؤسس مدرسة أورشليم للكتاب المقدس. يمتاز بتضلُّعه في العلم وصحة الفكر المدرسي والحكم على الأمور بدقة. صدر شرحه قبل الحرب الكبرى الأُولى بالفرنسية في باريس سنة ١٩١٦.

(٦) **ألفريد جارفي Alfred E. Garvie**: أصدرت له مجموعة New Cent. Bible Com. شرحه لرسالة رومية، وهو غاية في الاختصار وغاية في الدقة العلمية. يقع في ٣٢٢ صفحة من القطع الصغير جداً والبنط الصغير جداً.

(٧) **ريدل Riddle, M. B.**: وقد أصدرت له مجموعة Intern. Revis. Com. برئاسة

فيليب شاف شرحه الدقيق الممتاز لرسالة رومية وهو غاية في الإتقان العلمي. وبالرغم من اختصاره الشديد فهو بالغ الدقة والنفع. يقع في ٢٥٦ صفحة من القطع الصغير والبنط الصغير جداً.

(٨) **كارل بارت Karl Barth**: لاهوتي سويسري إصلاحي.

اعتبره اللاهوتيون قنبلة في الوسط اللاهوتي. أصدر شرحه بعد الحرب الأُولى مباشرة سنة ١٩١٩ في ميونيخ بألمانيا، وترجمته الإنجليزية بواسطة هوسكنز ظهرت سنة ١٩٣٣، واعتُبر كنقطة تحوُّل في تاريخ اللاهوت البروتستانتي. ويقرِّظه العالم باريت Barrett بأن قراءته تُعتبر جزءاً لا غِنى عنه من الثقافة اللاهوتية.

(٩) **دودد Dodd, C. H.**: ظهر مؤلفه سنة ١٩٣٢. وكما يقولون خرج مضيئاً مثل كل كتابات دودد المضيئة. مختصر للغاية، يقع في ٢٤٥ صفحة.

١٠ ــ **شلاتر Schlatter, A.**: أصدر شرحه بالألمانية سنة ١٩٣٥ بمدينة شتوتجارت.

١١ ــ **ألثاوس Althaus, P.**: أصدر شرحه بالألمانية سنة ١٩٣٥ في جوتنجن.

١٢ ــ **كيرك Kirk, K. E.**: أصدر شرحه بالإنجليزية سنة ١٩٣٧ بأكسفورد.

١٣ ــ **برونر Brunner, E.**: ألماني. شرحه مختصر. صدر سنة ١٩٣٨. ابتدأ رائعاً وفائقاً في علمه وأسلوبه، وانتهى ضعيفاً.

١٤ ــ **هوبي Huby, J.**: كاثوليكي فرنسي. أصدر شرحه سنة ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية في باريس.

(١٥) **نيجرن Nygren, A.**: أصدر شرحه بالألمانية سنة ١٩٥٢ في جوتنجن، وصدرت ترجمته الإنجليزية في نفس السنة (١٩٥٢) في لندن. وهو عميق ومتبحِّر وغير مدرسي. يقع في ٤٧٥ صفحة.

١٦ ــ **جوجلر Gaugler, E.**: ويُعتبر شرحه لرسالة رومية الذي ظهر سنة ١٩٤٥ في سويسرا واحداً من أعظم الأعمال التي ظهرت في العصر الحديث. وهو كاثوليكي قديم متمرس، مُلِم بالتقليد اللاهوتي بأجمعه.

١٧ – **كنوكس .Knox, J**: مساهمة كبيرة من أمريكا في استجلاء عظمة رسالة رومية. وقد صدر شرحه في مجموعة The Interpreter's Bible, Vol. 9 سنة ١٩٥٤.

١٨ – **هنتر .Hunter, A. M**: وقد صدر أيضاً سنة ١٩٥٤ في مجموعة .Torch Bible Com في لندن. وهو مختصر وجيد.

(١٩) **باركلي .Barclay, R**: صدر شرحه بالإنجليزية سنة ١٩٥٥ في أدنبرة.

٢٠ – **ميتشل .Michel, O**: أصدر شرحه بالألمانية سنة ١٩٥٥ في جوتنجن.

(٢١) **باريت .Barrett, C. K**: (لندن سنة ١٩٥٧). دقيق مختصر كامل، مدرسي، مستوفي كل العناصر، حديث، يقع في ٢٩١ صفحة.

٢٢ – **كوص .Kuss, O**: صدر بالألمانية سنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٥٩ على جزئين. وهو واحد من أضخم المؤلفات في شرح رسالة رومية. رائع متكامل، يقول عنه العالم كرانفلد أنه يستحق منا الصلاة حتى يُبقيه الرب ليكمّل عمله العظيم.

(٢٣) **جون موري John, Murray**: أصدر شرحه لرسالة رومية سنة ١٩٥٩. يقع في مجلدين في ٦٩٤ صفحة. أستاذ لاهوت في كلية وستمنستر فيلادلفيا بنسلفانيا. يستحق الإعجاب لغزارة علمه ودقته وصحة حكمه على الأمور.

(٢٤) **بروس .Bruce, F. F**: (سنة ١٩٦٣) حديث، قيم، مختصر، علمي، مستوفي، يقع في ٢٧٤ صفحة.

٢٥ – **كامبييه .Cambier, J**: سنة ١٩٦٧ بالفرنسية.

٢٦ – **متى بلاك Matthew Black**: أستاذ النقد الإنجيلي بكلية سانت ماري جامعة القديس أندروز باسكوتلاندا. صدر شرحه لرسالة رومية سنة ١٩٧٢. يعطي فكرة عامة عن شرح الرسالة بحسب المستجدات لدى العلماء في العصر الحاضر. وقد صدر شرحه في الطبعة الحديثة للمجموعة المسماة .New Century Bible Com برئاسة متى بلاك نفسه، وهي نفس المجموعة التي كانت قد أصدرت في طبعتها القديمة شرح رسالة رومية لألفريد جارفي.

(٢٧) **كايسمان .Käsemann, E**: أصدر شرحه بالألمانية سنة ١٩٧٤. وقد تُرجم إلى الإنجليزية سنة ١٩٧٩. تحليلي، دقيق غاية الدقة، يخرج عن التقليد والإيمان في بعض اتجاهاته، كثير النقد، شديد الوطأة في عدم احترام الوحي المقدس، يقع في ٤٢٨ صفحة.

(٢٨) **كرانفلد .Cranfield, C.E.B**: أصدر شرحه لرسالة رومية بالإنجليزية في مجلدين سنة ١٩٧٥ وسنة ١٩٧٩ في مجموعة International Critical Commentary. وقد سلك في شرحه وتفسيره المسلك التقليدي للمدرسة الإنجليزية في الشرح، وهو الاعتماد الكلي على النص اليوناني. وقد قام بترجمة الرسالة كلها ترجمة إنجليزية خاصة لنفسه وللقارىء طبعاً، وتُعتبر من أدق التراجم. ولم يخرج فيها عن التقليد العلمي الدقيق.

محافظ مثل كل علماء دورهام العظام من الأساقفة الذين شرحوا الكتاب وبالأخص إنجيل يوحنا[٣٥].

اعتمد على شروحات الآباء الأوائل في كثير من المواقف وبالأخص القديسين: ذهبي الفم، وكيرلس الكبير، وأفرام السرياني، وأغسطينوس، وأوريجانوس؛ مما يوضّح تمسّكه بالروح الآبائية الأُولى. كما اعتمد على كثير من علماء المدرسة الألمانية لتضلّعه في اللغة الألمانية. ومراجعه عموماً تُعتبر من الدرجة الأُولى في تصنيفها واتساعها.

(٢٩) **ليون موريس Leon Morris**: عميد سابق لكلية Ridley بأستراليا، وقد أصدر شرحه سنة ١٩٨٨ بالإنجليزية. واضح وعميق ومتوسّع، كثير الحواشي، يقع في ٥٧٨ صفحة.

• • •

أما الكتب التي عُدنا إليها في شرحنا لرسالة رومية فهي التي أخذت علامة ( ) وسجّلنا لها عدد صفحاتها.

(٣٥) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، ص٣٧٣ و٣٧٤ و٣٧٨.

فكرة عامة عن الرسالة إلى رومية

أردنا هنا أن نقدّم للقارىء فكرة متكاملة عن الرسالة ليقرأها مرة واحدة ويجمعها في رؤية واحدة وربما في جلسة واحدة، ليتعمق روحها ويستوعب مضمونها بل وربما يعيش إلهاماتها ليبلغ مقصد كاتبها.

إنها وثيقة تحمل لنا «**الإيمان الرسولي**» المُعْلَن من الله، حيث يتجلّى فيها المناداة بالإنجيل الخالد، إنجيل برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح بدون ناموس، المُعْلَن لجميع الأجيال لخلاص كل الشعوب. وهذا الإيمان هو الذي كان يملأ روح وقلب ق. بولس وهو يستعد لإملاء الرسالة:

+ «فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً، لأني لست أستحي **بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل مَنْ يؤمن**، لليهودي أولاً ثم لليوناني، **لأن فيه مُعْلَنٌ برُّ الله بإيمان لإيمان**، كما هو مكتوب: أما البارُّ فبالإيمان يحيا.» (رو١: ١٥-١٧؛ حب٢: ٤)

ومن هذه المقولة الواحدة التي تُعتبر الفكرة القائدة للرسالة، تنبثق بقية العناصر لتملأ هيكل الرسالة.

ويستغرق عرض «**برّ الله**» في رسالة رومية ثمانية أصحاحات (١-٨). ولكن قبل أن يخوض ق. بولس في التعريف بـ «**برّ الله**» ومصدره وعمله، ينزل إلى الأسباب الأُولى التي حتَّمت باستعلانه للخلاص بواسطة الإنجيل المُعْلَن فيه عمل هذا البر بالإيمان بالفداء الذي بيسوع المسيح.

الأصحاح الأول:

ليل العالم الذي طال، والإنسان ينزف مطروحاً على الأرض:

كأي مؤرخ أو فيلسوف أو مُصلح، كنا نعتقد بالأكثر أن ق. بولس سيعبر دون تفاصيل على مخازي الإنسان الذي سقط إلى الدرَك السفلي، متلطخاً بأوساخ أخلاقية يشمئز من سماعها أي

إنسان مهما بلغت خبرته في التعرف على هذه المخازي، ولكن ق. بولس ينبري كطبيب جرّاح يكشف ويفضح الجراح العفنة ويرفع الستار عن عوار جسد البشرية المطروح في الوحل، أمماً كانوا أم يهوداً في كل العالم، وهذا لكي يوضح لماذا سقط الإنسان تحت الغضب واللعنة، وما هو نوع الموت الأدبي والروحي الذي يعانيه. لذلك لم يمسك ق. بولس نفسه عن ذكر أقبح القبائح التي يقترفها الإنسان بلا خوف ولا حياء، ولا أمل للإنسان ولا رجاء في التوقف عند حد.

+ «الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضاً يُسرُّون بالذين يعملون.» (رو١: ٣٢)

وكأن العالم يجري في سباق مع الهلاك.

هكذا اعتنى ق. بولس أن يخصص له الأصحاح الأول برُمَّته موجِّهاً القول للأمم دون أن يذكُرهم بالاسم، مُعدِّداً خطايا قبائحهم وشذوذهم، حتى يدرك المؤمنون وغير المؤمنين إلى أي مدى أصبح استعلان بر الله في إنجيل ربنا يسوع المسيح للخلاص ضرورة حتمية لوقف نزيف هذا الهلاك الأبدي الذي كان يجريه الإنسان في نفسه بتمزيق جسده ونفسه وروحه على مذبح الشيطان.

والقديس بولس يقف أمام الخطية موقفاً واقعياً حازماً، فمهما كان تقديرنا لإلحاحها وسطوتها أو تصوُّر تفوُّقها على إرادة الإنسان، إلاَّ أنه يتحتم أن ندرك مقدار وقوع الذين فَجَرُوا في اقترافهم للخطية تحت غضب الله.

لأن الذين يتمادون في فعل الخطية ويتبارون في الاستجابة لإلحاحاتها لا يُحسبون مجرد خطاة وحسب، بل يُحسبون متعدِّين على الحق الإلهي. فإن انسياقهم وراء الخطية والباطل هو بعينه حجز للحق ومحاولة واعية أو غير واعية لطمس معالمه وإطفاء نوره وكأنهم يقاومون أو يتعدُّون على الله:

+ «لأن غضب الله مُعْلَنٌ من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم **الذين يحجزون الحق بالإثم**.» (رو١: ١٨)

وأن يقع الإنسان تحت غضب الله، فهذا هو قمة بؤس الإنسان وضياعه. وهو ليس مجرد تصوُّر أو نظرية، بل إن واقع بؤس الإنسان الخاطىء وحيرته في الحياة حينما يتيقظ قليلاً ويدرك مدى سقوطه عن الحق والبر والتعفُّف هو أخطر قضايا الإنسان على الأرض منذ خُلق الإنسان وسقط.

بل إن سقوط الإنسان تحت غضب الله من جرَّاء تماديه في الخطية، كفيل بحد ذاته أن يُشْعِر

الإنسان ليس فقط بأنه ابتعد عن الله وفقده، بل وبأنه يعمل ضد نفسه وأنه يهدم حياته بكلتا يديه.

الأصحاح الثاني:

وكما يستنفذ ق. بولس الأصحاح الأول بأكمله مشيراً إلى الأمم دون أن يذكرهم بالاسم، معدِّداً خطاياهم الخاصة بهم دون أن ينسبها لهم، وكأنها محسوبة ضمناً أنها خطايا الأمم؛ هكذا يبدأ الأصحاح الثاني مشيراً إلى اليهود دون أن يذكرهم بالاسم ويبدأ يعدِّد خطاياهم، وأبرزها وأخطرها هو دينونتهم للأمم في الوقت الذي فيه يقترفون هذه الخطايا عينها على المستوى المستور تحت غطاء عبادة يهوه العظيم، دون خوف أو حياء، ودون أية بادرة توبة أو رجوع، مما وفَّر لهم من غضب الله ما يساوي نفس المقدار الواقع على فجور الأمم. فللأمم يقول:

+ «لأن غضب الله مُعْلَنٌ من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم ... واتَّقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق.» (رو١: ١٨و٢٥)

ويلتفت نحو اليهود ويقول:

+ «ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.» (رو٢: ٥)

وهكذا يجمع ق. بولس الأمميَّ واليهوديَّ معاً، سواءً بسواء، أمام عدل الله أولاً قبل أن يقفا سوياً أمام رحمته!!

+ «شدة وضيق على كل نفس إنسان **يفعل الشر**، اليهودي أولاً ثم اليوناني.» (رو٢: ٩)
+ «مجدٌ وكرامة وسلام لكل مَنْ **يفعل الصلاح**، اليهودي أولاً ثم اليوناني.» (رو٢: ١٠)

وكما يرفع ق. بولس عن الأمميين أي «عذر ἀναπολόγητος» في خطاياهم لأن أمور الله منظورة «تُرى منذ خلق العالم مُدرَكة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته، **حتى إنهم بلا عذر**، لأنهم لما عرفوا الله لم يمجِّدوه أو يشكروه كإله...» (رو١: ٢٠و٢١)، هكذا أيضاً يرفع ق. بولس عن اليهود كل عذر في خطاياهم لأنهم يدينون الآخرين (الأمم) بينما هم يفعلون هذه الخطايا عينها في الخفاء: «لذلك **أنت بلا عذر أيها الإنسان** (اليهودي) كلُّ مَنْ يدين، لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها.» (رو٢: ١)

ثم يلتفت ق. بولس إلى اليهود في مواجهة ذاكراً إياهم بالاسم، ذاكراً خطاياهم التي هي على

نفس مستوى قباحات الأمم، ثم يُسْقِط ق. بولس السَّنَد والعضَد الذي يتفاخر به اليهودي ويتكل عليه وهو الناموس، بل ويزيد أن الذي يخطىء في ظل الناموس معتمداً على الناموس والختان بافتخار، كأنه ابن لإبراهيم، يُدانُ عن الخطية ويُدانُ عن احتقاره للناموس وامتهانه، بل ويُدانُ لأن اسم إله اليهود يُجدَّف عليه بسبب خطايا اليهود. وهكذا إن لم تزد خطايا اليهود على خطايا الأمم، فهي على الأقل توازيها: «الذي تفتخر بالناموس أبتعدّي الناموس تهين الله؟ لأن اسم الله يُجدَّف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب.» (رو٢: ٢٣و٢٤)

الأصحاح الثالث (٣: ١-٢١):

وهكذا يمهد ق. بولس للدخول في الأصحاح الثالث في مواجهة احتجاجات ـــ فرضية ـــ من جانب اليهود مثل هذا:

السؤال: إن كان الأمر كذلك، أي أني أنا اليهودي أُحتسب خاطئاً بسبب دينونتي للأمم الخطاة الأنجاس، فما قيمة الناموس إذاً، وما قيمة الختان وانتسابنا لإبراهيم؟

الجواب: مُضْمَرٌ عند ق. بولس وهو أن الناموس والختان والمواعيد وُضعت **لإظهار برّ الله** في وسط الشعوب، وذلك على أساس تتميم أقوال الله وعمل الصلاح بمقتضى وصايا الناموس. ولكن إذ لم يُعمل الصلاح بل الكذب والإثم فهل يزداد برُّ الله بكذبي في عين الأمم؟ هل صِدق الله (من جهة مواعيده) يزداد بكذبي؟ هل نعمل الشرور وننتظر من الله تتميمه لمواعيد الخير والبركة؟

وهنا يبلغ ق. بولس إلى الحقيقة النهائية المرّة بالنسبة للعالم أجمع:

+ « فماذا إذاً. أنحن (اليهود) أفضل؟ **كلاَّ البتَّة، لأننا قد شكونا:**
أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية،
... أنه ليس بارٌّ ولا واحد،
ليس مَنْ يفهم. ليس مَنْ يطلب الله،
الجميع زاغوا وفسدوا معاً،
ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد!،
حنجرتهم قبر مفتوح، بألسنتهم قد مكروا، سم الأصلال (الثعابين) تحت شفاههم،
وفمهم مملوء لعنة ومرارة، أرجلهم سريعة إلى سفك الدم، في طرقهم اغتصاب وسحق.
وطريق السلام لم يعرفوه، ليس خوف الله قدّام عيونهم،
ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين في الناموس.
لكي يستدّ كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله.» (رو٣: ٩-١٩)

وحينما يقول ق. بولس: «ويصير كل العالم تحت قصاص من الله»، فهذا عمل تجميع شموليٌّ ـــ تحت واقع واحد خاطىء متساوٍ ـــ ليشمل الجميعَ بعد ذلك حكمٌ واحد للتبرير المجاني. فقصاص الله هنا وإن بدا أنه غضب بما يتناسب مع عمل الإنسان، إلاَّ أنه سيتحول إلى تبرير بما يتناسب مع عمل الله. وبالنهاية: «الرحمة تفتخر على الحكم (العدل)» (يع٢: ١٣)، «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع.» (رو١١: ٣٢)

إشراق نور الله في وسط ظلمات العالم؛ ظهور برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح؛ وتضميد جروح الإنسان لاستعادة الحياة الأولى:

لا زلنا هنا في الأصحاح الثالث (٣: ٢١-٣١)(١):

«**وأما الآن** فقد ظهر برُّ الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢١و٢٢)

هنا يكون بولس الرسول قد بلغ الفكرة المركزية في رسالته إلى أهل رومية، إذ تُعتبر هذه الآية القلب النابض لإنجيل بولس الرسول الذي يدفع بدم الحياة ـــ دم المسيح ـــ في كيان الإنسان ليعطيه القيامة من الموت الذي تردَّى فيه.

وأما قول ق. بولس: «**وأما الآن**»، فيعني به نقطة الوصل بين زمن بؤس الإنسان وزمن برّ الله. ولكن كلمة «الآن» لا تقطع أو تفصل بين الزمنين، زمن البؤس وزمن البر، زمن الإنسان وزمن الله، ولكنها تُنهي حالة الغربة بين الإنسان والله، وتُنهي على حالة اختفاء برّ الله الذي كان موجوداً ولكنه غير ظاهر وغير مُسْتَعْلَن وغير معروف، ليُعْلَن برُّ الله وهو في حالة الوجود العلني والمستعلن في الظاهر المنظور؛ بل وفي الكيان الداخلي للإنسان أيضاً. وبمعنى آخر، فإن **برّ الله** انفتح من السماء بصورة علنية على «الجالسين في الظلمة وظلال الموت موثوقين بالذل والحديد، لأنهم عصوا كلام الله وأهانوا مشورة العليّ» (مز١٠٧: ١٠و١١)، وبالتالي، فإن الإنسان دخل بكل كيانه في إشراقة نور الله، واستقبل في أعماقه برَّ الله.

ولكن كان على ق. بولس أن يوضح لليهود ولغير اليهود بالتالي، أن «**برّ الله**» لم يكن جديداً

---

(١) يؤسفنا للغاية أن يرى أحد أئمة شراح الكتاب المقدس الألمان وهو جوانّس فايس ومعه كايسمان أيضاً أن هذا الفصل (٣: ٢١-٣١) هو أصعب فصل في فصول رسالة رومية وأكثرها غموضاً، في حين أن القارىء سيرى بنفسه أنه من أجمل وأوضح فصول رسالة رومية. J. Weiss: Beiträge p. 222. Cited by E. Käsemann, Comm. on Rom. 22.

أو غائباً، لأن الناموس الذي أعطاه الله كان يعلن عن بر الله، وكذلك الأنبياء أعلنوا عن بر الله بأنواع وطرق مختلفة. ولكن اليهود عجزوا عن أن يدركوا برَّ الله الذي في الناموس، لأنهم حوَّلوا برَّ الله المتأتي من طاعة وصايا الله في الناموس إلى برِّ أنفسهم المتأتي من الافتخار بأدائهم أعمال الناموس بالتدقيق. فصارت أعمال الناموس بالنسبة لهم مصدر تيه وضلالة وكبرياء، وليس لنوال بر الله بالناموس، وهكذا صار الناموس لهم للخطية والموت بدلاً من أن يكون للبر للحياة.

وليلنتبه القارىء أن **نقطة التيه والضلال كانت لليهود هي أعمال الناموس وليس الناموس!!** لأن الناموس والوصايا عند ق. بولس صالحة وعادلة والناموس روحي (رو٧: ١٤)، ولكن الافتخار وتمجيد الذات والتباهي بالتدقيق في أعمال الناموس هي التي جعلت لهم الناموس، بدل أن يكون للحياة، أن صار للموت.

(أ) مشهوداً له من الناموس:

لهذا يؤكد ق. بولس أن ظهور بر الله بالإيمان بيسوع المسيح، أي ظهور المسيح مُعلناً عن بر الله الذي سيكمله للإنسان بموته، لم يجيء ضد الناموس ولا من خلف الناموس ولا كأنه بدون الناموس، بل جاء مشهوداً له من الناموس والأنبياء. وذلك طبعاً بشهادة موسى في سفر التثنية عن مجيء المسيَّا النبي، الذي اسم الله فيه، والذي يتكلم الله به (تث١٨: ١٨و١٩)، كما يشهد جميع الأنبياء لمجيء المسيَّا. ولكن نقطة الضلالة والتيه التي سقط فيها اليهود لن تتكرر، وهي الاعتماد على أعمال الناموس. فبرُّ الله الذي ظهر بمجيء المسيح وموته وإن كان يعتمد على شهادة الناموس، فهو لا يعتمد قط على أعمال الناموس، ولكن يعتمد على نعمة الله المجانية بدون أعمال الناموس التي يتساوى أمامها كل بشر.

وهنا، وفي المقولة القائلة بأن برَّ الله بالإيمان بالمسيح **«لا يعتمد»** على أعمال الناموس، يكون الله قد أدخل الأمم مع اليهود سواءً بسواء، لأن الإيمان يكون واحداً للجميع، والتبرير واحداً بالنعمة.

+ « فأين الافتخار؟ قد انتفى! بأي ناموس؟ أبناموس الأعمال؟ كلاَّ: بل بناموس الإيمان!!
إذاً نحسب أن **الإنسان** يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس!!
أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بلى للأمم أيضاً!!
لأن الله واحد، هو الذي سيبرر **الختان بالإيمان والغُرلة بالإيمان!!** » (رو٣: ٢٧ــ٣٠)

وبضربة يمينية قاضية أنهى ق. بولس على زمن الناموس القائم على الأعمال ــ علماً بأن

الناموس لا يقوم ولا يوجد بدون أعمال ــ بقوله: « أفنُبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا بل نثبِّت **الناموس!!** » (رو٣: ٣١). فيسأل سائل: كيف؟ حيث الجواب جاهز: لأن المسيح جاء **مشهوداً له من الناموس**، ومجيء المسيح وهو مشهود له من الناموس يثبِّت أن الناموس من الله وأنه حق، بل ويثبِّت أن موسى نفسه كان صادقاً لأنه تنبأ بمجيء المسيح، بل ويجعلنا نفهم لماذا جاء موسى، لأن كون موسى يشير إلى مجيء المسيح كنبيٍّ مثله، ثم يجيء المسيح بالفعل، فهذا يعني أن رسالة موسى تنتهي عند المسيح وتتضح وتكمل. من هنا جاء قول المسيح أنه لم يجيء لينقض الناموس بل ليكمِّل ما بدأه موسى. لذلك، فموسى بل وكل الأنبياء لا يُفهم أحد منهم إلاَّ في المسيح الذي جاء ليحقق ما قالوه وتنبأوا به.

الأصحاح الرابع:

(ب) مشهوداً له من الآباء:

في الأصحاح الثالث واجه ق. بولس معارضي اليهود **للإيمان ببر الله بالمسيح «بشهادة الناموس»، و«الأنبياء»**. وهنا في هذا الأصحاح يقدم الشهادة الثالثة، لأن على فم اثنين أو ثلاثة تقوم كل قضية، وهي شهادة أعلى من الناموس وأقدم من الأنبياء، وهي شهادة إبراهيم المعروف بأنه **«أبو الآباء»!**

ق. بولس لا يرى في مجيء المسيح بداية للفداء أو بداية لعمل بر الله بالإيمان؛ بل يرى فيه النهاية التي انتهت إليها وكمَّلت كل أعمال وحركات التاريخ في الماضي، فالقديس بولس هنا يرفع بصره إلى التاريخ السحيق منذ أن ابتدأ لليهود تاريخ. فبحسب قول المسيح: «لأن الخلاص هو من اليهود» (يو٤: ٢٢)، يبتدىء الخلاص منذ أن بدأ اليهود!! وفي إبراهيم تبدأ العمليات الأُولى العظمى في تاريخ الخلاص ليس لليهود فحسب بل للأمم وكل العالم. فالفداء يبدأ منذ أن اختار الله إبراهيم من «أور الكلدانيين» وفصله من عالمه الأول. والإيمان يبدأ من إبراهيم حينما كشف الله عن عينيه ليرى الحياة تدبُّ في جسده الميت، فآمن إبراهيم بالله كاتصال حياة بحياة، حياة إبراهيم الجديدة في أعماق هيكله الميت بحياة الله الأبدية، فكان هذا هو بذرة الإيمان الأُولى التي جاء المسيح ليحققها في العالم كله.

فإبراهيم الذي كان يحوي في صُلبه الاثني عشر سبطاً؛ بل وكل الذين حُسِبُوا أولاده بالإيمان من الأمم ولو لم يروه، لم يكن هو نفسه بعيداً عن المسيح، لا بالزمن ولا بالكيان: «أبوكم إبراهيم تهلَّل بأن يرى يومي فرأى وفرح» (يو٨: ٥٦). هذه الشهادة أتت من فم المسيح. أما ق.

بولس فيرى أن إبراهيم هو أول مَنْ آمن ببر الله: «فآمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برًّا» (رو٤: ٣)، سواء في إيمانه بوعد الله بالحياة (إقامة نسل وهو مُمَاتٌ بالجسد) أو بتقديم ابنه ذبيحة للموت مؤمناً بأن الله قادر أن يقيمه من الموت، وكان هذا هو بعينه الإيمان بالمسيح المحسوب أنه استعلان لبرّ **الله! بالقيامة من الأموات!**

ق. بولس يحاجج أن أعمال إبراهيم كانت كلها تَقَويَّة، وكان إبراهيم رجلاً باراً فعلاً وكاملاً في كل أعماله، ولكنه لم ينل برَّ الله بأي عمل من الأعمال الكثيرة البارة التي عمل! فإن كان لإبراهيم أن يفتخر بأعماله البارة التقية فله أن يفتخر ولكن ليس لدى الله. لأن الإنسان الذي يطلب أجرة لعمل صالح عمله، تُعْطَى له الأجرة، لكن لا تُحْسَب له كأنها نعمة بل على أساس أنها دَيْنٌ. أي أن الإنسان بأعماله الصالحة يسدد ديون صلاح الله عليه، وهيهات إن سدَّدها بالأعمال.

ولكن إن وُجد إنسان عاجزاً عن عمل الصلاح ولكن يؤمن بأن الله قادر أن يبرر الفاجر، فإن إيمانه يُحْسَب له برًّا، لأن الإيمان بأن الله يبرر الفاجر يساوي الإيمان بأن الله قادر أن يقيم من الموت، لأن تبرير الفاجر قبل أن يأتي المسيح كان أمراً مستحيلاً كالإقامة من الموت.

ولكن إبراهيم نال **برَّ الله بالإيمان** لما آمن بأن الله قادر أن يقيم من الموت، سواء من موته الجسدي هو بأن يعطيه نسلاً، أو بإقامة ابنه وحيده من الموت حينما طلبه منه ذبيحة، فرفع السكين فوق رقبته ليذبح غير عابىء بموت مثل هذا، عالماً أن الله قادر أن ينجّي!!

هنا ق. بولس يرجع على اليهود رجعة شديدة: أن إبراهيم بالإيمان وبدون أعمال وهو لا يزال في الغرلة، نال بالإيمان وعد الحياة لنفسه بل وما يوازي القيامة من الموت بالنسبة لابنه. ثم لما نال بالإيمان برَّ الله، أعطاه الله طقس الختان كختمٍ لبرِّ الإيمان. إذاً فختانة إبراهيم تشهد «لبرِّ الإيمان بالقيامة من الموت والوعد بالحياة»!!! والإيمان ببر الله يثبت أن الختانة كانت لحساب الإيمان!

فأين افتخار إبراهيم؟ أبالأعمال التي كان يعمل حتى يستمر افتخارنا نحن أيضاً بالأعمال؟ أم ببرِّ الإيمان الذي ناله حينما آمن بأن الله قادر أن يُحيي و يُقيم من الموت، حتى إذا آمنّا نحن أيضاً بمَنْ أقام المسيح من الموت، أنه يقيمنا و يُحيينا نحن أيضاً معه من موت الخطية لننال بر الله؟

كذلك يوضّح ق. بولس من جهة إيمان إبراهيم الذي حُسِبَ له برًّا، أن بسبب هذا الإيمان أعطاه الله الوعد بميراث الأمم وهو لا يزال في الغرلة وقبل الختان، وليس بأعمال ناموس كان

يعملها. وهنا يبرز إيمان الأمم الذي يجعلهم أولاداً لإبراهيم بالإيمان حسب الوعد: «ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يُحسَبَ لهم (إيمانهم) أيضاً البر» (رو٤: ١١)، «كما هو مكتوب إني قد جعلتك أباً لأمم كثيرة أمام الله الذي آمن به، الذي يُحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة.» (رو٤: ١٧)

بهذا كله يُثبت ق. بولس أن «برَّ الله بالإيمان» كان موجوداً، وإبراهيم ناله ونال به «**الوعد**»، وكان الوعد لإبراهيم في نسله (بالمفرد) sperma: «ويتبارك **في نسلك** جميع أمم الأرض» (تك٢٢: ١٨)، أي أن الوعد أُرجىء إلى أن يأتي النسل (بالمفرد) أي الابن ـ أي المسيح ـ الذي فيه تتبارك أمم الأرض.

+ «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول "وفي الأنسال" كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد، وفي نسلك **الذي هو المسيح**.» (غل٣: ١٦)

و يلاحظ القارىء هنا أن هذا الوعد أُرجىءَ تنفيذه إلى أن يأتي النسل (المسيح) الذي وعد به. **والسؤال:** لماذا أُرجىءَ هذا الزمن الطويل من إبراهيم للمسيح؟ يقول ق. بولس إن ذلك بسبب التعديات، أي عدم صلاحية الأجيال المتعاقبة بعد إبراهيم للإيمان، ولهذا أضاف الله الناموس زيادة على الإيمان لتهذيب الأجيال غير الصالحة إلى أن يأتي المسيح. و يضعها ق. بولس **هكذا:**

+ «فلماذا الناموس؟

(الجواب): قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتي النسل (المسيح) الذي قد وُعِدَ له مرتّباً بملائكة في يد وسيط.» (غل٣: ١٩)

أما بخصوص عمل الناموس كمهذِّب ومؤدِّب فهذا واضح من قول ق. بولس:

+ «ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مُغْلَقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعْلَنَ. إذاً، قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان.» (غل٣: ٢٣و٢٤)

بهذا الدفاع الدقيق الواعي يوضح ق. بولس أن ظهور برّ الإيمان مشهوداً له من الناموس والأنبياء، ظهر هو أيضاً مشهوداً له من أب الآباء إبراهيم. على أن هذا البر بالإيمان بيسوع المسيح كان موجوداً مُسْتَودَعاً لخزائن نعمة الله، وقد تعطّل بدخول الناموس حتى أكمل تهذيب الشعب وتأديبه، وأصبح مستعداً لظهوره ومستعداً لقبوله.

ثم يعطي ق. بولس سماتٍ خاصة لإيمان إبراهيم بالله، وهي في الحقيقة سمات مباركة يرى ق. بولس أنها ينبغي أن تكون هي نفسها سماتٍ لإيماننا بمَنْ أقام المسيح من الأموات.

(أ) «فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء، ...

(ب) وإذْ لم يكن ضعيفاً في الإيمان، لم يعتبر جسده، وهو قد صار مُمَاتاً، إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مُماتيَّة مستودع سارة،

(ج) ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوَّى بالإيمان مُعطياً مجداً لله،

(د) وتيقَّن أن ما وَعَدَ به هو قادر أن يفعله أيضاً،

(هـ) لذلك أيضاً حُسِبَ له برًّا.» (رو٤: ١٨—٢٢)

والقديس بولس يعتبر أن هذا عُمل في وقته وقيل في زمانه وكُتب من أجلنا:

+ «ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسِبَ له؛ بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسَبُ لنا الذين نؤمن بمَنْ أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو٤: ٢٣و٢٤)

ويلاحظ القارىء الحبك المدهش في تدوين سمات إيمان إبراهيم وما ينبغي أن يكون عليه إيماننا:

(أ) فقيامة الرب يسوع المسيح من الأموات هي على خلاف الرجاء، هنا يتحتم أن يرتفع رجاؤنا فوق طبيعة أفكارنا.

(ب) ونحن لا ينبغي أن نكون ضعفاء الإيمان ولا نعتبر كثرة خطايانا وما أورثته لأجسادنا من موت وفساد.

(ج) ولا نرتاب في وعد الله «مَنْ آمن واعتمد خَلَص» (مر١٦: ١٦)؛ بل حينما نتقوى في الإيمان نمجد الله بإيماننا.

(د) نتيقن أن وعد الله نافذ المفعول.

(هـ) أن بإيماننا بالمسيح قد نلنا برَّ الله.

الأصحاح الخامس:

١:٥—١١ سمات الحياة الجديدة في المسيح يسوع.

وما أن بلغ ق. بولس في إعلانه عن بر الله بالإيمان بيسوع المسيح الذي أُسلم من أجل خطايانا

وأُقيم لأجل تبريرنا، ذلك في نهاية الأصحاح الرابع، حتى دخل الأصحاح الخامس بالتهليل لهذا البر، يعظِّمه ويعلِّيه ويعدِّد ما أفاضه علينا الله من برِّه بالمسيح، من **سلام، ونعمة، ورجاء، وصبر، ومحبة، وخلاص، ومصالحة.**

+ «**فإذ قد تبررنا بالإيمان:**

لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، ...

قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى **هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون،**

ونفتخر على رجاء مجد الله، ...

نفتخر أيضاً في الضيقات عالمين أن الضيق (بالإيمان ببر الله) ينشىء صبراً، والصبر تزكية والتزكية رجاء، والرجاء لا يُخزي

لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا، ...

ونحن متبرِّرون الآن بدمه **نخلص به من الغضب.** ...

ونحن مصالَحُون نخلص بحياته. ...

بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح، **الذي نلنا به الآن المصالحة.**» (رو٥: ١—١١)

وشتَّان، يا قارئي العزيز، بين ق. بولس في الأصحاحات السابقة وهو يعدِّد خطايا إنسان الأمم ثم خطايا إنسان اليهود، باكتئاب وحزن ومرارة قلب على حالة الإنسان عامة وهو واقع تحت غضب الله ينزف دم حياته قرباناً على مذبح الشيطان، وبين ق. بولس في هذا الأصحاح الخامس وهو مُتهلِّل بالروح يصف مفاعيل برِّ الله التي حازها الإنسان، كل إنسان، بإيمان ابن الله وكيف قادته النعمة من كلتا يديه لتُخرجه من تحت الغضب بدم المسيح لتُدخله في المصالحة الأبدية مع الله لشركة حياة تدوم.

ق. بولس هنا يصف الحياة الجديدة للإنسان، فالحجاب قد رُفِعَ أو أُبطِلَ لنرى مرة أخرى الإنسان وهو مقيم في نعمة الله، لا يعود بعد يحيا تحت مؤدِّب بل يمرح في حرية أولاد الله، لا يعود وخَلْفَه ناموس يعدُّ عليه خطاياه ويرسم العقوبة؛ بل دم المسيح الذي يمسح الخطية لتصبح كغيمة صيف إلى زوال.

لم تعد حياته قائمةً بعد على رصيد أعمال بل بإلقاء كل الهم بل كل الرجاء على الله، والنعمة تأتي في حينها، فبعد الحرب والعداوة جاء السلام وأقام، وبعد الانحصار تحت الغضب صارت المصالحة والإنعام، وبعد الحجاب الحاجب لوجه الله عنا صار لنا جراءة ودخول إلى الله ووقوف أمامه بلا لوم.

وعِوَض الضمير المحمَّل بهموم الخطايا والأعمال الميِّتة يسكن البر وتُغسَل الخطايا وتُزال الآثام، وعِوَض الخزي نفتخر على رجاء مجد الله. لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعْطَى لنا (٥:٥) الذي يشهد أننا صرنا أبناءً ومحبوبين. والمحبة «محبة الله ذاتها» هي التي تهذب إنسانيتنا من جديد، وهي التي تجعلنا نحتمل كل شيء ونصبر على كل شيء، ونصدق كل شيء، ونبذل كل شيء وننسى ذواتنا!!

لا زلنا في الأصحاح الخامس: (٥:١٢ـ٢١).
مقارنة بين كيف دخلت الخطية ومعها الموت
وكيف دخل البر ومعه الحياة ـ تاريخ لا يُنسَى:

انشغل ق. بولس في بقية الأصحاح الخامس ليعطي مختصراً عن تاريخ دخول الخطية في آدم، ومجيء البر في المسيح. لأنه بمجرد أن سجَّل ق. بولس سمات الحياة الجديدة في المسيح يسوع (٥:١ـ١١)، وبعد أن حدد قبلاً سمات الحياة القديمة للإنسان في الخطية والعار تحت الناموس (أصحاح ١و٢ وجزء من ٣)، ظهر بوضوح أن تاريخ حياة الإنسان قد انقسم إلى عصرين تحت رأسين: عصر الخطية والعصيان والموت تحت آدم، وعصر النعمة والبر والحياة تحت المسيح. لذلك أصبح علينا أن نوضح كيف دخلت الخطية والموت وكيف دخل البرُّ والحياة.

عصر الخطية والعصيان تحت آدم:

آدم أخذ طبيعة طاهرة منفتحة على الله تسمع لله وتطيع، وكانت بذلك مُهَيَّأة للخلود. وأعطى الله آدم وصية، وكان عليه أن يسمع ويطيع، وهو كفؤ لذلك، لكي تدوم طهارته ويمتد نحو الخلود. ولكن آدم، وعن معرفة وعمد، خالف الوصية لما انفتح على الشيطان وسمع له وأطاع، فدخلت الخطية، وهكذا أصبحت الخطية تعني مخالفة وصية الله والانفتاح على الشيطان بالسمع والطاعة.

وهكذا فَقَدَ آدم الانفتاح على الله، وتقبَّل في طبيعته الانفتاح على الشيطان. بهذا فَقَدَ طهارة طبيعته التي كان يستمدُّها من الله بالسمع والطاعة، وفقد بالتالي مسيرته نحو الخلود.

ووقع آدم تحت الحكم وأخذ عقاب **اللعنة** وهي الحرمان من نعمة الله؛ **والموت** وهو التوقف عن مسيرة الخلود. هذه كانت خطية آدم. ولو تأملنا هذه العناصر المفسدة التي دخلت الطبيعة البشرية وهي عدم الطاعة ثم المخالفة، ثم الانفتاح على الشيطان بالسمع والفكر والنظر والشهوة، ثم التعدِّي بالأكل، ثم فقدان الطهارة، وبعدها صدر حكم اللعنة وتخلِّي النعمة؛ نجد أن كل

عنصر من هذه العناصر ينتهي حتماً بالموت، وكلها مجتمعة تشكِّل داخل الطبيعة البشرية ما أسماه ق. بولس «**ناموس الخطية**»، أي قانون الخطية، الذي سجَّلته لحسابها داخل طبيعة الإنسان.

وسلَّم آدم ذُرِّيته هذه الطبيعة عينها، طبيعة غير منفتحة على الله بل منفتحة على الشيطان، طبيعة تحت اللعنة بمعنى أنها خالية من نعمة الله، قابلة للموت بمعنى توقُّفها عن الخلود (أي الحياة الأبدية). **ولكن آدم لم يسلِّم لذريته أيَّ فعلٍ من أفعال الخطية. لا فعل خطية أصلية ولا فعل خطايا فرعية، لأن «فعل» الخطية هو وحده الذي نُحاكَم نحن عليه الآن، لأننا نفعله بإرادة حرَّة، ولا نُحاكَم على الخطية التي أصبحت عنصراً عاماً داخل الطبيعة أو ناموساً، كما يسميه ق. بولس. فنحن ورثنا عن آدم، ليس أفعال الخطية؛ بل طبيعة الخطية**(*)؛ لذلك يقول ق. بولس في موضع آخر معبِّراً عن الطبيعة الخاطئة هكذا:

+ «ولكني أرى **ناموساً آخر في أعضائي** يحارب ناموس ذهني **ويَسْبِيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.**» (رو٧:٢٣)

أي أن الطبيعة البشرية التي ورثها الإنسان عن آدم دخلها ناموس الخطية بشكل محدَّد وسكن فيها. لم يتحوَّل هذا الناموس الدخيل العدو إلى طبيعة الإنسان، ولا طبيعة الإنسان تحوَّلت إليه، ولكنه ظلَّ ساكناً يعمل ضد الناموس الطبيعي وضد ناموس التقوى. فهو عدو! أي أن الخطية الرابضة في طبيعة الإنسان هي غريبة عن خلقة الإنسان الطبيعية، وهي تحارب داخل الإنسان ولا تكف عن الحرب، ولكن تبقى كما هي غريبة عن طبيعة الإنسان. ومهما ملكت ومهما سادت ستبقى غريبة عن طبيعة الإنسان. وبولس الرسول

(*) أما عنصر الخطية أو طبيعة الخطية، أو إذا تجاوزنا وقلنا «جوهر» الخطية، فهو المحسوب أنه تعدٍّ ضد الله. وهذا أخذه المسيح في جسده على الصليب ومات به ودانه وقتله، وهكذا كُفِّرَ عنه، وتبرأنا نحن منه وتبررنا أمام الله الآب، وهو الذي نتخلَّص منه بالمعمودية المقدسة.

ـ أما أعمال الخطية أو أفعالها، فلا تزال الطبيعة البشرية معرَّضة لها، وهي المطلوب الاعتراف بها رسمياً لدى الكاهن، وأخذ الحِلِّ، أي الغفران.

فطبيعة الخطية القاتلة (وهي العصيان ضد الله)، كفَّر عنها المسيح ورُفعت نهائياً عنا نحن المؤمنين؛ أما فعل الخطية فنحن مسئولون عنه، نعترف به ونأخذ عنه الغفران. لذلك يقول القديس يوحنا الإنجيلي: «كلُّ مَنْ هو مولود من الله (معمَّد) لا يفعل خطية (خطية للموت = عصيان ضد الله)، لأن زَرْعه (روح الله القدوس) فيه، **ولا يستطيع أن يخطىء** لأنه مولود من الله (معمَّد)» (١يو٣:٩). هنا عمل الخطية، بمعنى يقترف عملاً يحمل طبيعة الخطية، أي التعدِّي ضد الله ليكون كالله (أسماها القديس يوحنا: «خطية للموت» ـ ١يو٥:١٦)، هذا أمر مستحيل، إذ يقول القديس يوحنا: «**ولا يستطيع**»، لأن طبيعة الخطية رُفعت عنه، أي كفَّر عنها المسيح ولم تَعُدْ في طبيعته الجديدة. ولكنه يمكن أن يخطىء، بمعنى أن يفعل أفعالاً خطأ، ليست ضد الله. وهذه إذا اعترف عنها تُغفَر له (١يو١:٩).

يوضح ماهية هذه الطبيعة الخاطئة حينما تعرَّض لها المسيح هكذا:

+ «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع **قد أعتقني من ناموس الخطية والموت**.» (رو٨:٢)
+ «فالله إذ أرسل ابنه في شِبْه **جسد الخطية**، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد.» (رو٨:٣)

واضح هنا غاية الوضوح أن المسيح أخذ طبيعة الإنسان الخاطئة التي أسماها «جسد الخطية»، أما كلمة «شِبْه» فهي تحدد أن جسد الخطية في المسيح لم ينفعل للخطية، فالمسيح لم يفعل الخطية بالرغم من أنه كان حاملاً «لجسد الخطية».

هذه هي الطبيعة البشرية التي ورثها الإنسان عن آدم «جسد الخطية» (قبل فعل الخطية). فالفعل نحن نصنعه ونُحاكَم بمقتضاه.

فآدم سلَّم ذُرِّيته طبيعة خاطئة، بمعنى: منغلقة من نحو الله، منفتحة بحواسها على الشيطان، وبأُذن مفتوحة لمشورته، ونفس وعين قابلة أن تشتهي ما يزيفه لها الشيطان، وفكر قابل أن ينخدع بمكره، طبيعة تحت اللعنة والموت خالية من النعمة.

وهكذا دخلت الخطية إلى العالم بالإنسان الواحد آدم الأول. وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، **إذ أخطأ الجميع، أي فعلوا الخطية!!** ولكن الخطية دخلت العالم وأخطأ الجميع دون أن يعرف الإنسان بعد ما هي الخطية أو يميِّز بين أنواع أفعالها. فالكل أخطأوا بمعنى مارسوا أفعالاً تتفق وطبيعتهم الفاقدة للنعمة المنغلقة تجاه الله، والكل ماتوا بخطيتهم ولم يكن يوجد ناموس ـ أي قانون ـ يحدِّد ما هي الخطية وما هي أنواع أفعالها والعقوبة الرادعة لها، حتى جاء موسى وجاء الناموس. فكل الذين أخطأوا من آدم إلى موسى ـ أي إلى ظهور الناموس ـ أخطأوا ليس كما أخطأ آدم، لأن خطية آدم كانت **تعدِّياً** على وصيّة معيَّنة أعطاها له الله فحُسبت ضده. ولكن من آدم إلى موسى أخطأوا دون أن يتعدُّوا على وصايا. ولكن بالرغم من ذلك ملك عليهم الموت، بسبب فقدان النعمة من الطبيعة الخاطئة التي ورثوها والانغلاق تجاه الله مصدر الحياة والخلود.

على أن مجيء الناموس بعد ذلك لم يُعْفِ الذين تحت الناموس من موت الخطية، لأن الناموس لا يمنع الخطية ولا يُعفي من موت الخطية، بل جاء ليحدد الخطية ويحصرها تحت بند التعدّي، ليدرِّب الضمير ويؤدب الإنسان بالأدب السلوكي والأخلاقي تمهيداً لمجيء مَنْ سيجدد الطبيعة برُمَّتها!

عصر النعمة والبر تحت المسيح:

يحاول ق. بولس أن يُظْهِرَ أنه كما كان الإنسان هو المسئول عن دخول الخطية والموت، هكذا لا بد أن يكون الإنسان أيضاً هو الواسطة لمجيء البر والحياة، وذلك لسبب أدبي هام وهو أن الإنسان هو الذي تخاصم مع الله وأفسد العلاقة. فالتصالح ينبغي أن يأتي من طرف الإنسان ولو بدفع ثمنه من الله وبتدخُّله الشخصي. فالإنسان هو الذي يتصالح مع الله وليس الله هو الذي يتصالح مع الإنسان، فإن كان الله هو في الحقيقة العامل الفعَّال في الصلح «صالحنا لنفسه» (٢كو٥:١٨)؛ ولكن الصحيح هو «أن الله كان ـ **في المسيح** ـ مُصالِحاً العالم لنفسه» (٢كو٥:١٩). كذلك يوضحها أكثر ق. بولس بقوله: «نسعى كسُفراء عن المسيح ... **تصالحوا** مع الله» (٢كو٥:٢٠). فالمسيح جاء ليدعو الإنسان ـ في نفسه وبنفسه وبإنجيله وبدمه ـ ليتصالح مع الله.

لذلك نجد بولس الرسول يحاول أن يجعل المقابلة بين الخطية والبر، أو الموت والحياة، «**بإنسان**». الأول آدم، والثاني هو المسيح كممثل للبشرية، وهو بآن واحد ممثل لله باعتباره الابن الوحيد، فيقول:

+ «فإنه إذ **الموت** بإنسان، بإنسان أيضاً **قيامة الأموات**.» (١كو١٥:٢١)
لينتبه القارىء من تأكيد ق. بولس على كلمة «**إنسان**».
+ «لأنه كما في آدم **يموت** الجميع، هكذا في المسيح **سيُحيَا** الجميع.» (١كو١٥:٢٢)
+ «كأنما بإنسان واحد دخلت **الخطية** إلى العالم ...» (رو٥:١٢)
+ «فإذاً كما **بخطية واحدة** صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا **ببرٍّ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة**.» (رو٥:١٨)
+ «لأنه كما **بمعصية** الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً **بإطاعة** الواحد سيُجْعَلُ الكثيرون أبراراً.» (رو٥:١٩)
+ «لأنه إن كان بخطية الواحد قد **ملك الموت** بالواحد، فبالأَوْلَى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر **سيملكون في الحياة بالواحد** يسوع المسيح.» (رو٥:١٧)

وهنا يرفع ق. بولس المعادلة رفعاً صارخاً أن الذي فعله آدم ـ عصيان ـ لا يمكن أن يُقاس بعظمة ما فعله المسيح (برٌّ):

+ «وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية، لأن الحكم من واحد للدينونة؛ وأما الهبة فمن جرَّى خطايا كثيرة للتبرير!» (رو٥:١٦)

بمعنى أننا لو دخلنا في الأصول الأُولى، نجد أن حكم الموت صدر بناءً على خطية (عصيان) واحدة أخطأها واحد؛ أما نعمة التبرير ولو أنها جاءت بواحد وهو يسوع المسيح، إلاَّ أن عملها سيشمل جميع الخطايا لجميع الذين أخطأوا!!! أما الذي تسبَّب في فضح خطايا الإنسان وتبويبها وإظهار كثرتها الهائلة فهو الناموس.

ولكن بالرغم من هذه الكثرة الهائلة التي تفرَّخت منها الخطية، فإن النعمة تفاضلت بالمقابل وتزايدت جداً لكي تجبَّها جبّاً.

+ «ولكن حيث كثرت الخطية (بالناموس) ازدادت النعمة جداً (بالمسيح)» (رو٥: ٢٠).

لأن الغالب لا بد أن يكون أقوى من المغلوب.

وينتهي ق. بولس الرسول في هذه المقابلة المتوازنة، ذات الكفَّة الراجحة لحساب المسيح والنعمة، إلى انتهاء قضية ـ آدم ـ الخطية والموت، وذلك على صليب المسيح ليسود بدلاً منها حكم تبرير وحياة أبدية.

+ «حتى كما ملكت **الخطية** في الموت، هكذا تملك النعمة **بالبر** للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.» (رو٥: ٢١)

بولس الرسول كان رائعاً حقاً في هذه المقابلة. ولكن الذي يشد انتباهنا في هذه المقابلة هو أن الإنسان خرج رابحاً من هذه الحرب المُرَّة ضد الخطية. فالبداية حزينة أشد الحزن يلفُّها قتام الظلام، ولكن النهاية مشرقة ومبهجة حيث يرتفع الإنسان محمولاً على برِّ الله ليحيا حياة أبدية.

ولكن آية النصرة الفائقة التي استلهمها ق. بولس من المسيح، من واقع عمله العظيم الذي عمله لحسابنا، والذي به انحجبت الخطية بسطوتها عنا إلى الأبد، هي قوله الأخير:

+ «حيث كثرت **الخطية** ازدادت **النعمة** جداً!» (رو٥: ٢٠)، فأين سلطانكِ يا خطية؟!!

الأصحاح السادس:

بولس الرسول مشغول هنا بتحرير الإنسان من الخطية.

فالقديس بولس يعقِّب على آخر ما قال: هل معنى هذا أنه يمكن أن نظل نخطىء على رجاء أن النعمة في النهاية ستزداد؟

أو هل يمكن أن نُقدِم على فعل الخطية لكي تأتي النعمة؟

هنا لاهوت النعمة يكون في خطر، ليس من جهة الذين عرفوا النعمة ونالوها وعاشوا في بهجة

نورها وفرحها وقوة وصلابة وقفتها الحاسمة والقاطعة إزاء كل شر وشبه شر، إنما الذي يستغل هذه الثغرة الوهمية هم أعداء النعمة والمروِّجون للخطية.

لأن الذي عانى الموت عن الخطية بإيمان المسيح الفعال وبآلام الصليب سواء صلب العالم للنفس أو صلب النفس عن العالم، والذي عانى مرارة التوبة الممدوحة وذاق عذاب التألم بالجسد للكفِّ عن الخطية بصوم وسهر ودموع ونسك، كيف يعيش في الخطية بعد؟ كيف يتصوَّرها؟

بهذا المدخل العجيب يدخل ق. بولس في الأصحاح السادس ليستعرض علاقتنا نحن المؤمنين بالمسيح الذي مات من أجلنا ومُتْنا معه، ومن أجله نُماتُ كل النهار، وصُلِبَ وصُلِبْنا معه، فحمل من أجلنا اللعنة وحملنا نحن عاره، وتألم وتألمنا معه، ولا زلنا نتألم ونكمل آلامه. كل ذلك في شركةٍ تَبادَلْنا معه فيها كل ما عندنا وما لنا من طبيعة عتيقة معوجَّة وسلوك وأخلاق وفساد كامن في إنساننا العتيق، وأعطانا هو كل العناصر التي له واللازمة لطبيعة جديدة مقدسة. القديس بولس يأخذ من واقع اشتراكنا واتحادنا بالمسيح في المعمودية وفي الصليب مُنطَلَقاً حيّاً ليستعرض ماذا ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسيحي الذي عَبَر الموت والقيامة مع المسيح، وفي المسيح صار طبيعة جديدة.

فليس الأمر عند المسيحي ـ بعد: هيَّا نخطىء لتزداد لنا النعمة، بل إذ نحن مُتْنا مع المسيح، متنا عن الخطية والجسد والعالم والذات وقمنا مع المسيح، فهلمَّ نحيا حياة جديدة يسكن فيها البر: «هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة» (رو٦: ٤)، «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح.» (٢كو٥: ١٧و١٨)

نحن الآن الذين في الصلح وفي النعمة نقيم، ليس مجاناً نحيا ونتنعَّم، فعصير الحياة الذي نقيم به أوَدَنا الروحي، هو من برِّ المسيح الذي حوَّله لنا دماً يتقطر. يكفي أن نرفع الذهن لحظة لنتصوَّر كيف نستمد حياتنا من المسيح: «مَنْ يأكل جسدي **ويشرب دمي** فله حياة أبدية» (يو٦: ٥٤). أرجوك، أيها القارىء العزيز، أن لا تعبر على هذه الآية دون أن تتصوَّرها، **فالدم** لا يخرج إلاَّ بالذبح!! «**فالدم**» هو الحصيلة النهائية التي تحصَّلت عليها البشرية من وراء تعذيب وتأليم المسيح ثم صلبه الذي هو نتاج برِّ **طاعته** وبرِّ **حبه** وبرِّ **اتضاعه**. فنحن نشرب في دم المسيح «**برَّ المسيح**» ليستقرَّ في كياننا ويستقر في أعضائنا وفكرنا وحياتنا طاعةً وحباً واتضاعاً. فإن كان المسيح ببرِّ طاعته للآب على الصليب حررنا من الخطية، فنحن حينما نستقي دمه نستقي الحرية من الخطية متَّحدة ببر طاعته. فالحرية التي حررنا بها المسيح ليست حرية هوجاءَ عُرضة أن تتلفها إرادة

الإنسان مرة أخرى ويفسدها الجسد؛ بل حرية قائمة ومتحدة بالطاعة أو ببرِّ الطاعة وذلك للذي مات من أجلنا وقام. والقديس بولس يرى أن طاعة الخطية أنشأت عبودية لها ثم موتاً. فالحرية تنشىء حتماً طاعةً للبر، ويا لسعادة الإنسان إذ تعبَّد لبرِّ الله في المسيح، فهذا عينه هو الحياة. ولا ننسى أن برَّ الله هو التحام عدله مع رحمته، فالذي يبرِّره الله في المسيح يمر في عدله، فتُفرز خطاياه وتبرز كل مَناقِصِه مفضوحة كما على صليب!! ثم يمرِّر على الرحمة فيُغسل منها جميعاً ويُعطى صكّ براءة.

من هنا نفهم معنى قول ق. بولس في هذا الأصحاح:

+ «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا، إذاً لا تملكنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته، ولا تقدموا أعضاءكم آلاتِ إثم للخطية، بل قدموا ذواتكم لله، كأحياء من الأموات وأعضاءكم **آلات برٍّ لله**.» (رو٦: ١١ــ١٣)

+ «وإذ **أُعتقتم من الخطية** (بالدم)، **صرتم عبيداً للبر**.» (رو٦:١٨)

فالتحرر من الخطية التي للموت عند ق. بولس هو بعينه عبادة البر الذي للحياة.

+ «لأن أجرة الخطية هي موت وأما هبة الله (بر الله) فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا.» (رو٦:٢٣)

وفي كلمة أخيرة نفهم من ق. بولس أن برَّ المسيح، أو بالحري بر الله بالمسيح يسوع الذي غلب به الخطية والموت على الصليب، نحن نلبسه في المعمودية ونشربه في دم المسيح، ذلك بالإيمان، ليستقرّ في أجسادنا ونفوسنا وأرواحنا ليتحول برُّ المسيح فينا إلى حياة بارة وأعضاءِ برٍّ وأفكارٍ مبرَّرة. وبالنهاية:

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا ــ على الصليب ــ **لنصير نحن برَّ الله فيه**.» (٢كو٥:٢١)

لأن برَّ الله الذي منحه الله لنا من ذاته في ابنه يسوع المسيح هو برٌّ فعَّال.

+ «الذي قدَّمه الله **كفَّارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه، من أجل الصفح عن الخطايا** السالفة بإمهال الله، **لإظهار برِّه**، في الزمان الحاضر، ليكون باراً **ويبرِّر مَنْ هو من الإيمان بيسوع**.» (رو٣: ٢٥و٢٦)

إذاً، فحينما قال ق. بولس: «حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة "بالأكثر"»، فزيادة النعمة على الخطية كان ثمنها دم المسيح وآلامه. ونحن نأخذ النعمة بموت حقيقي عن الجسد والعالم بأهوائه وشهواته.

الأصحاح السابع:

إن كان ق. بولس قد خصَّص الأصحاح السادس **للتحرُّر من الخطية** لقبول برِّ الله فينا بواسطة يسوع المسيح لاكتساب القداسة والحياة وهذا واضح من قوله: «لأنكم لما كنتم عبيدَ الخطية، كنتم أحراراً من البر. فأيُّ ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن، لأن نهاية تلك الأمور هي الموت، وأما الآن إذ **أُعتقتم من الخطية** وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية» (رو٦: ٢٠ــ٢٢)؛

فالآن، وفي الأصحاح السابع، كان من الطبيعي أن يخصِّصه ق. بولس للتحرر من الناموس، لأن كل اختصاص الناموس هو التعامل مع الخطية. فإبطال الناموس متوقف على إبطال الخطية، كأن نقول مثلاً أنه إذا أُوقفت وانتهت كل التعديات والجرائم يكون من المنطق أن ينتهي القانون، أي قانون العقوبات، وتتوقف المحاكم ويُسرَّح القضاة، فإذا تمَّ فعلاً بطريقة عَلَوية أن تنتهي كل التعديات بأنواعها وكل الجرائم بأسمائها فلمَنْ يكون قانون العقوبات ولماذا؟

ق. بولس يضعنا الآن، بعد أن تحررنا من الخطية، على عتبة حياة جديدة فيها نلنا كل حريتنا من الخطية وعبوديتها وخوف الموت، فماذا يكون قانون العقوبات ὁ νόμος الذي نُحاكَمُ به؟

سؤال لا جواب له، فإن كنَّا قد تحررنا من كل الخطايا وأُعتقنا من عبوديتها وسلطانها بل وأُعتقنا أيضاً من أقصى عقوبة للخطية وهي اللعنة والموت، فلماذا الناموس والقانون والعقوبات؟ إذاً لا محل لها في جِدَّة الحياة، أو الحياة الجديدة التي تقوم على أساس بر الله ويحكمها بر الله: «وإذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر» (رو٦:١٨). وق. بولس يعطي تأكيده القاطع بالروح: «**فإن الخطية لن تسودكم**، لأنكم لستم تحت الناموس (بعد) بل تحت النعمة» (رو٦:١٤). ويمهد لذهن الأممي واليهودي معاً أن يفهما أن زمن أحكام الناموس الباترة قد ولَّى.

وقد أعطى ق. بولس مثالاً مصغَّراً لذلك، امرأة متزوجة برجل وهو في صنعته قاضٍ يحاكمها طول النهار في أكلها وشربها وفرحها وترحها ونومها ويقظتها، حتى وفي كلامها ومشيها وغسل يديها، فعليها أن تطيعه بمقتضى العقد، وإذا بهذا الزوج القاضي الذي مرَّر عمرها قد مات، فهي حرَّة إن صارت لآخر يحبها ويرحمها!

شكراً لله لأن الموت يلغي العقد!!

+ «يا إخوتي أنتم أيضاً قد مُتُّم للناموس بجسد المسيح، لكي تصيروا لآخر، للذي قد أُقيم من الأموات لنُثمر لله.» (رو٧:٤)

والآن نحو التطبيق الذي حيَّر الشرّاح!

ق. بولس في هذا المثل يضعنا موضع المرأة المظلومة تحت زيجة من قاضٍ مناكف لا يرحم، وكنا نظن أن بموت القاضي يكون في التطبيق موت الناموس لنتحرر نحن من ظلمه، ولكنه يقول أن الذي مات هو نحن!! «قد مُتُّم للناموس»، طبعاً من واقع شركتنا في موت المسيح، ولكن ق. بولس لم يقل أن المرأة ماتت؟ (التي في التطبيق تكون "نحن").

فليفهم القارىء أن هناك استحالة أن يقول ق. بولس أن الناموس مات لأنه لم يَمُتْ بل أُبطل؛ بل أُكمل في المسيح فقط، لأن الناموس هو كلمة الله الباقية إلى الأبد: «الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة ... الناموس روحي» (رو٧: ١٢و١٤). ولكن الذي مات حقاً هو الخطية والموت، فبالتالي يكون الناموس قد انتهى كيانه وسلطانه نهائياً من **حياة المؤمن**، ليس له على الإنسان سيادة قط: «لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة». فالمرأة تحررت من زوجها القاضي الظالم الدخيل عليها الذي فرض نفسه عليها زوجاً وهو ليس زوجاً؛ بل مجرد مؤدِّب قاسٍ أرسله الزوج الحقيقي لكي يهذِّبها بالعصيِّ والسياط لتصلح أن تكون له زوجة، فلمَّا انصلحت بالناموس صَلَحت أن تكون زوجة لزوجها الحقيقي المخطوبة له منذ الأزل وهو المسيح عريسها. فالمرأة (نحن) ليست زانية إن تركت الناموس (الذي أُبطل عمله)، ومرقت من تحته لتحتضنها النعمة وتعيش حريتها الحقيقية وسعادتها المخلَّدة مع المسيح والله.

كذلك إن كان الإنسان قد ارتبط بالناموس، فذلك عن طريق الجسد وليس الروح: «الناموس روحي أما أنا فجسديٌّ مَبيعٌ تحت الخطية» (رو٧: ١٤). وأي جسد؟ جسد الخطية الواقع تحت التأديب والعقوبة من الناموس من جرَّى خطاياه!! فماذا إن مات جسد الخطية؟ ألا نصير أحراراً في الحال من الناموس؟

+ «وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات (جسد الخطية) الذي كنَّا ممسكين فيه (بالناموس)، حتى نعبد بجدة الروح لا بعُتْق الحرف (الناموس والجسد).» (رو٧: ٦)

علاقة الناموس بالخطية عند بولس الرسول:

ق. بولس يخوض في الجزء الثاني من الأصحاح السابع (٧:٧-١٣) في العلاقة الغريبة بين الناموس والخطية.

فيتساءل أولاً: هل الناموس خطية؟ وهو يسأل ذلك ليردَّ على التوازي العجيب لما جاء في

الأصحاحين السادس والسابع بين تحرُّرنا من الخطية، وبين تحرُّرنا من الناموس بالتالي. فالأول أي **تحرُّرنا من الخطية** معروف أنه إنقاذ وخلاص من مصيبة الدهر والزمان التي حلَّت بالإنسان، فهل الناموس مصيبة أيضاً نسعى ونفرح أننا تحرَّرنا منه؟ هل الناموس كالخطية أو هل هو خطية؟

ق. بولس يرد: «حاشا». ويبتدىء يدلِّل أن الناموس هو الذي عرَّفنا بالخطية ولكن كيف؟

إذا تتبَّعنا الأصول الأُولى للناموس أو القانون الإلهي نجد أن صورته الأُولى صدرت من فم الله لما حذَّر آدم من أن يأكل من الشجرة المحرَّمة هكذا: «**وأوصى الرب الإله** آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر **فلا تأكل منها**، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت.» (تك٢: ١٦و١٧)

وأما بنوده الفرعية فقد حفظتها حواء عن ظهر قلب وردَّدتها على مَسْمع من الشيطان: «فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه **ولا تمسَّاه** لئلا تموتا» (تك٣: ٣). هذه أول صورة للناموس الذي وُضع للإنسان ليتعامل مع الله على أساسه. فما الذي حدث؟ الذي حدث **أن المنع بالقانون أنشأ أول حركة في الإنسان لتنبيه حاسة الترغيب بمقتضى القانون السيكولوجي المعروف أن كل ممنوع مرغوب**، أو بحسب آية سفر الأمثال: «المياه المسروقة حلوة وخبز الخفية (المأكول في الظلام) لذيذ (طبعاً عند الجاهل)» (أم٩: ١٧). ودليلنا على ذلك أن كل شجر الجنة كان شهياً: «وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة **شهية للنظر، وجيدة للأكل**» (تك٢: ٩)، ولم تكن الشجرة المحرَّمة بأفضل من أية شجرة في أي شيء: «فرأت المرأة أن الشجرة (المحرَّمة) جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً منها فأكل» (تك٣: ٦). فماذا كان يميز الشجرة المحرمة أكثر من باقي الأشجار إلَّا أنها **ممنوعة**؟ كما لا ننسى أن عامل الإغراء الشيطاني يعمل وينشط في المحرَّمات لينفخ في الرغبة التي تتحرك في الإنسان نحو الممنوعات، ونقول «ينفخ» فيها ولكن لا يخلقها، فالإنسان مسئول عن شهوته: «كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته.» (يع١: ١٤)

من هذا الفكر ينطلق ق. بولس ليقول: «**فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يَقُلِ الناموس لا تَشْتَهِ**» (رو٧: ٧). هنا لا يقصد ق. بولس الشهوة بمفهومها العام لأنها جزء من الطبيعة البشرية، ولكن يقصد ق. بولس **شهوة الممنوعات** التي ينص عليها الناموس مثل: «لا تَشْتَهِ حمار قريبك» (خر٢٠: ١٧، تث٥: ٢١). ففي الخبرات السيكولوجية المعروفة أنه بمجرد أن يقول الناموس ذلك،

يصبح حمار قريبي أحسن وأجمل حمار رأيته في حياتي. وهنا يدخل الشيطان ليغريني بسرقة حمار قريبي حتى ولو كان عندي عشرة حمير! وإليك قصة داود: قلق داود النبي يوماً فصعد على سطح الدار ليتمشى فلمحت عيناه امرأة تستحم، وكانت امرأة جاره فصارت في عينه أجمل امرأة رآها في حياته، فأرسل واغتصبها. ولكن ليضمن اغتصابها، أمر بقتل زوجها في الحرب، فأتاه ناثان النبي مُرْسَلاً من الرب ليقول له مَثَله: إن رجلاً غنياً له غنم ونعاج **كثيرة جداً**، جاءه ضيف (الشهوة) فأرسل وأخذ نعجة جاره وكان رجلاً فقيراً وذبحها، فماذا تقول بشأن هذا الرجل؟ فقال داود: موتاً يموت. ففاجأه النبي: **أنت هو الرجل!!** (٢صم ١١و١٢).

أفرأيت، عزيزي القارىء، أن الممنوع مرغوب وأن الإنسان يشتهي الممنوعات أشد مائة مرة من أن يشتهي ما له. هكذا أسس الناموس في نفس الإنسان ميلاً وشهوة جارفة إزاء كل خطية نبَّه عليها أن لا يأتيها الإنسان، وقصد الناموس أن يفضح الميول الخاطئة الدفينة في الإنسان ويكشفها له أمام عينيه.

هذا يضعه ق. بولس إنما باختصار شديد هكذا: «ولكن الخطية (الممنوعة) وهي متخذة فرصة بالوصية (المنع) أنشأت فيَّ كل شهوة!» (رو٧:٨). وهكذا يرى ق. بولس: «لأن بدون الناموس (قبل أن يجيء) الخطية ميتة» (رو٧:٨). وق. بولس يرى، برؤية متسعة، البشرية وهي في صبوَّتها قبل أن يأتيها الناموس أو يُفرَض عليها هكذا: «أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية (برزت إلى الوجود في فكر الإنسان) فمُتُّ أنا (لأن الناموس يقضي بالموت على كل مَنْ يخطىء خطية عن عمد).» (رو٧:٩)

وهنا، بشيء من الألم والتحسُّر يقول: «فوُجِدَتْ الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت» (رو٧:١٠). وحينئذ يسأل مستنكراً: «فهل صار لي الصالح موتاً؟» (رو٧:١٣). ق. بولس يردُّ على نفسه والسائل: «حاشا»! «بل الخطية، لكي تظهر خطية، مُنْشِئة لي بالصالح موتاً لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية.» (رو٧:١٣)

وقبل أن نشرح قول ق. بولس هذا، نسأل نحن أيضاً ونجيب: هل الناموس هو الذي أنشأ الخطية؟ الجواب مستحيل! لأن الناموس هو من الله والخطية فعل من أفعال الإنسان وإن كانت بتحريض من الشيطان. و يستحيل أن من الله ينشأ خطأ، ولكن عمل الناموس ينحصر في رصد وإظهار أو كشف كل أعمال الإنسان التي تصدر عن رغبات شريرة لا تتوافق مع مستقبل حياته الأبدية التي يريدها له الله، ثم إيقاع عقوبات رادعة، والحكم بالموت لتصفية سلوك الإنسان حتى

يتوافق في النهاية مع العمل العظيم الذي رسمه الله ليعطيه تجديداً في طبيعته، ورفعاً لمستواها، لتليق للحياة الأبدية معه.

هنا نتعرض لسؤال ق. بولس: «فهل صار لي الصالح موتاً؟» (رو٧:١٣). طبعاً يكون الجواب أن «الصالح»، الذي هو الناموس كما يقصده ق. بولس، لم ينشىء موتاً بل تأديباً، حتى وإلى الموت، وذلك لصالح أعظم من الناموس وهو قبول برِّ الله بالمسيح يسوع حينما يبلغ الإنسان تهذيبه وتأديبه اللائق: «قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح» (غل٣:٢٤). فإن كان الناموس هكذا بدأ قاسياً ومُنْشئاً عقوبة وموتاً، فالسبب هو لحصر الخطيئة في ضمير الإنسان لتأخذ ما يناسبها لا من الشهوة فيما بعد بل من البغضة، بل من الكراهية، بل من السهر والمتابعة والكشف والإخضاع. وهكذا ينتهي الناموس بنتيجة واحدة هي أن يُظهِر الخطية للإنسان أنها خاطئة جداً.

عجز الناموس:

وهنا يدخل ق. بولس في الجزء الثالث من الأصحاح السابع (٧: ١٤ــ٢٥) ليبيِّن كيف عجز الناموس عن أن يساند الإنسان في جهاده بسبب ضعف جسد الإنسان!

ولكن عندما بدأ ق. بولس يشرح أخذ يتكلم بصفته الشخصية:

+ «فإننا نعلم أن الناموس روحي، **وأما أنا** فجسديٌّ مبيعٌ تحت الخطية، **لأني** لست **أعرف ما أنا** أفعله، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل.» (رو٧: ١٤و١٥)

هنا انقسم اللاهوتيون وانقسمت الكنائس، هل ق. بولس يتكلم كمسيحي؟ أم بولس اليهودي يتكلم وهو تحت الناموس؟ ولكننا نحن نسأل: هل إنسان يهودي تحت الناموس ــ لا يعرف المسيح ــ يتكلم بهذه الحساسية الدقيقة من نحو الخطية؟ ويكون فيه هذا التمزق الحادث بين الإرادة الحُسْنى والفعل الشرير؟ وهل اليهودي له هذا النفاذ في البصيرة الروحية ليدرك الإنسان الباطن؟ والإنسان الباطن هو الإنسان الروحي.

وإن كان ق. بولس يتكلم كمسيحي فهو رسول له جِدَّة الحياة، وجسده العتيق قد مات، وكل شيء له قد صار جديداً، وهو تحت النعمة، فكيف يقول: «ويحي أنا الإنسان الشقي من يُنقذني من جسد هذا الموت؟» (رو٧:٢٤). لذلك نحن نقول إن ق. بولس لا يتكلم عن نفسه ولا عن حياته، لا كمسيحي ولا كيهودي، ولكنه يتكلم بفم إنسان مستنير من واقع ما بلغه من تهذيب الناموس كإنسان مدعوٍّ أن يتطلع إلى الله دائماً ويتصوَّر أنه تحت الناموس ويسعى جاهداً ليُرضي ما يلحُّ به الناموس عليه أن يكون فاضلاً وتقياً وصالحاً وقديساً كالله. وهذا كان ما بلغه

بالفعل كثير من الأنبياء مثل إشعياء النبي الذي وهو في مثل هذه الحيرة صرخ نحو الله:

+ «حقاً أنت إلهٌ مُحتجبٌ يا إلهَ إسرائيلَ المخلِّص.» (إش٤٥: ١٥)

+ «ليتك تشقُّ السموات وتنزل ...،
أنت سخطت إذ أخطأنا. ...
وقد صرنا كلنا كنجس، كثوب عِدَّة (منجَّس) كل أعمال برنا،
وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا.» (إش٦٤: ١–٦)

الإرادة جاهزة بوحي الناموس وتشجيعاته، ويعود الإنسان إلى الجسد يطالبه فلا يستجيب، ينتهر الأعضاء فيجدها متعاهدة مع الخطية، يبحث في أعماق نفسه ووجدانه وشعوره فيجد النيَّة متأججة من نحو القداسة فيعود إلى الناموس يبحث ويفتش في التلمود والمِشْناه والهالاكاه فلا يجد ما يسند ضعفه ولا بكلمة. يستصرخ الناموس أن يعين ضعفه فلا يسمع من الناموس إلاَّ النواهي والتحذيرات: افعل ولا تفعل، والغسلات والتطهيرات والتقدمات والتضحيات وإيفاء النذور، ولا يجد فيها كلها ما يرفع قدراته الجسدية لتستجيب للإرادة الطيبة.

+ «لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل، ...
الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد، ...
لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل، ...
أجد الناموس لي: حينما أريد أن أفعل الحُسْنَى **أن الشرَّ حاضر عندي**.»

(رو٧: ١٥–٢١)

وهكذا يقف الإنسان الذي يتطلع إلى الحياة الفضلى الحقيقية بحسب ما يقول الناموس، فيجد أن الناموس يقف عند المطالب فقط ولكن لا يمد بأية معونة من نحو الجسد للتنفيذ، فالناموس يقول اعمل ولا يعطي القوة على العمل. لهذا بقي الناموس محصوراً في «الإرادة الحسنى» مفصولاً فصلاً تاماً عن الفعل: «لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل ... لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيَّ.» (رو٧: ١٩و١٧)

وهكذا يقف الناموس يلهب الإرادة، وتبقى الخطية بكل قوتها تلهب الشهوة في الجسد. وينتهي ق. بولس إلى الاعتراف بالانقسام داخل الإنسان غير المتصالح: «فإني أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي» (رو٧: ٢٢و٢٣). وبذلك ينتهي الإنسان إلى عبودية

الخطية!! وهو تحت الناموس!! بل وله التشبث بالناموس الفاضل، ناموس الله في الضمير. هذا هو التمزُّق الذي بلغه الإنسان وهو يسعى نحو الله وليس أمامه إلاَّ الناموس الذي يأمر ولا يُعِين.

ق. بولس هنا يصوِّر صرخة الإنسان المكتومة وهو تحت الناموس من نحو الله ليرسل خلاص مسيحه، أو هو يصوِّر استحالة استمرار الناموس بالنسبة لإنسان يودُّ أن يرتقي بضميره ليتبع القداسة وكأنه يُحرج الله ويستحثه على النزول.

+ «ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت.» (رو٧: ٢٤)

وهكذا يأتيه الرد حالاً من السماء، ليس للقديس بولس بل للبشرية كلها التي يصرخ باسمها ق. بولس ممثِّلاً حالها قبل أن يأتي المسيح: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا **يهلك** كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦)، وبلغة ق. بولس: «وأما الآن فقد ظهر برُّ الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا **وأعوزهم مجد الله**.» (رو٣: ٢١–٢٣)

والقصد كل القصد عند ق. بولس هو كشف عجز الناموس عن أن يمد بالإنسان نحو القداسة والبر، وأن مجيء المسيح أمر كان يحتِّمه عجز الناموس نفسه، مع ضعف الجسد المتعاهد مع الخطية، فلا الناموس قادر أن يسند الجسد ولا الجسد قادر أن ينتفع بشيء من الناموس.

لقد أبدع ق. بولس أيَّما إبداع في هذا التمثيل الحركي المحكم لعجز الناموس لكي يحيله بعد ذلك — عن جدارة — إلى الاستيداع بعد أن أكمل مشواره عند حد الإرادة الحُسنى!! وتوقَّف!! أما أن يفعل الصلاح فهذا ليس من شأنه! وفعلاً فهذا ليس من شأنه بل من شأن المسيح وحده الذي يقول ويفعل: «بدوني لا تقدرون أن **تفعلوا شيئاً**!!» (يو١٥: ٥)

وهذا كله يمهد به ق. بولس للأصحاح القادم الذي يدور حول عمل المسيح في الإنسان الخاطىء ذي الجسد الضعيف ليجعله إنساناً روحياً غالباً الجسد والخطية. ولكن في ختام صراخ ق. بولس من جهة عجز الناموس وضعف الجسد معاً: «ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت»، وكأنه ينعي صراحة تعطُّل الناموس، يعود فجأة وكأنه قد استُعلن له المسيح من السماء قادماً لمعونة الإنسان في الوقت الحرج فيتنفس الصعداء مهلِّلاً: «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا.» (رو٧: ٢٥)

ولكن لا ينتهي الأصحاح السابع عند هذا الحد ــ مع أنه كان يتحتم على مَنْ قسَّم الأصحاحات أن ينتهي عند هذا الحد ــ الذي بلغ فيه ق. بولس قمَّة النجاح في التعبير عن عجز الناموس وإجابة الله التي جاءت في حينها تماماً بالمسيح يسوع، ولكنه للأسف أضاف آية هي أصلاً تتبع الأصحاح الثامن أربكت جميع الآباء والعلماء واللاهوتيين بلا استثناء لأنها تقول: «إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية» (رو٧: ٢٥) بعد أن قال مباشرة: «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا». فظنَّ الشراح أن ق. بولس وهو في المسيح لا يزال يشكو؛ بل لا يزال يخدم الخطية بالجسد، والعجيب أن الجميع سقطوا في هذا الفهم الخاطىء مع أن هذا بحد ذاته يتنافى نهائياً مع كل مبادىء وتعبيرات بولس الرسول عن نفسه شخصياً بعد أن نال بالإيمان بالمسيح الخليقة الجديدة والحياة الجديدة والسيرة التي في السموات وإماتة الجسد والشهوات وخدمة الأعضاء للبر، والجسد الذي صار هيكلاً للروح القدس، وتقديم الجسد ذبيحة حيَّة بالعبادة الروحية، فهل بعد هذا كله يخدم ق. بولس الخطية بالجسد؟؟؟

أما شرح الآية: «إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية» فيأتي شرحها في الأصحاح الثامن.

الأصحاح الثامن:
التحرر من ناموس الخطية والحياة حسب الروح

وقد خصَّصه ق. بولس في كيف جاء المسيح خصيصاً ليجبُر عجز الناموس، وليرفع من شأن الجسد، ويجعله خاضعاً للروح، قادراً على مسايرة الإرادة الصالحة، ليخدم ناموس الله بدل ناموس الخطية، ويشدِّده بتشجيعات ومعونات رائعة حقاً.

أول كل شيء يلزم أن ننقل الآية (٢٥) من الأصحاح السابع لتكون الآية الأُولى في الأصحاح الثامن فتُقرأ هكذا:

١ ــ «إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله، ولكن بالجسد ناموس الخطية»؛

٢ ــ «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين: ليس حسب الجسد، بل حسب الروح».

ولكن «إذاً» في الآية الأُولى ἄρα οὖν ترجمتها الصحيحة **«وعلى هذا يكون بهذا كله»**

To sum up(٢). أما «إذاً» في الآية الثانية ἄρα νῦν فترجمتها **لذلك يكون الآن.**

والمعنى يكون كالآتي: الآية الأُولى تجمع كل ما قيل ــ عن عجز الناموس ــ في الأصحاح السالف لتجعله سبباً وأساساً لعمل المسيح في الآية الثانية هكذا: «وعلى هذا كله يكون إني أنا نفسي **بعد ما كنت** بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية» أصبح «لا دينونة **الآن** على الذين هم في المسيح يسوع ...». والمعنى واضح أن بمجيء المسيح انقضى الانقسام الخطير داخل الإنسان بين الذهن الذي التهب بناموس موسى وناموس الفضيلة ووقف عاجزاً أمام سطوة ناموس الخطية العامل في أعضاء الجسد للموت. والسؤال: **كيف يكون ذلك؟**

هنا يبدأ ق. بولس أول شرحه لعمل المسيح داخل الإنسان: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني (صحتها "حرَّرني" ἠλευθέρωσεν) من ناموس الخطية والموت» (رو٨: ٢). **كيف كان ذلك؟**

هنا يبدأ ق. بولس يشرح أن العجز الذي واجه الناموس إزاء ضعف الجسد عالجه الله بقوَّته الخاصة ونعمته المتفاضلة جداً ورحمته المنسكبة من العلاء، إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية نفسه فواجه الخطية داخل الجسد وحكم عليها حكمه النهائي إذ تقبَّل عقوبتها الكليَّة، أي الموت، بينما هو ليس خاطئاً، وذلك في جسده، ومات بالفعل لأنه حمل خطايا غيره أي البشرية، ثم قام من الموت بجسد ممجَّد مقتدر تخلَّص من الخطية ذاتها كطبيعة ومن كل أفعالها نهائياً، ومن الموت وكل ضعف، صائراً إنساناً جديداً يحيا بالروح، ثم أعطانا نفسه جسده ودمه، ونفسه، وروحه لنولد منه بالإيمان ولادة جديدة بالروح فننال الإنسان الجديد بالروح.

وهكذا بدأ الإنسان يحيا بالروح باهتمام الروح بمساعدة بر الله وروحه القدوس، ولا يعطي للجسد فرصة لتكميل اهتمامه. ويعطي ق. بولس علامة مميَّزة للعائشين بالروح أنهم بالفعل لا يهتمون بما للجسد، لأن روح الله يكون ساكناً فيهم. والذي فيه روح الله أو روح المسيح فهذا يكون بِرُّ الله عاملاً فيه والجسد فيه يكون من جهة الخطية مائتاً. ولكن لأن روح المسيح وهو روح القيامة يكون فيه، فهو يكون حيَّاً أو في حالة قيامة مع قيامة المسيح، والذي يعيش القيامة لا يعود مديوناً للجسد ليعيش حسب شهواته بل بالروح الذي فيه يميت أعمال الجسد. وهكذا يبدأ روح الله يقود أولاد الله معطياً إياهم إحساس التبنِّي لله، وينطق فيهم بقوة لمخاطبة الله كأب حقيقي.

37. Lightfoot, *Ep. to Rom.*, Chapter 7.25.

أما العزاء والتشجيع الذي يصير للإنسان بالمسيح عوض أحزان الخطية وخذلان الناموس فهو فوق الوصف، ويستغرق فيه ق. بولس حتى نهاية الأصحاح:

- إن ميراثنا كأولاد لله محفوظ لنا في السموات، مع المسيح الابن الوحيد، بعد أن كنا مُباعين تحت الخطية.
- إن آلام الزمان الحاضر يوازنها داخل القلب إحساسٌ غامرٌ بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا، عوض الآلام بدون رجاء أو عزاء في الناموس.
- إننا بالرجاء الحي نشعر بأننا خلصنا بالفعل وسنخلص أيضاً، عوض المستقبل المغلق بالنسبة للحياة التي كانت تحت الناموس.
- الروح يعين ضعفاتنا ويشفع فينا، وهو بمثابة السماء كلها في صفِّنا.
- الاقتناع الكلي أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله (لم تَعُدْ التجارب والمؤذيات علامة غضب من الله).
- إن المسيح هو بِكْرٌ بين إخوة، فكل ما يجري علينا جرى عليه، لذلك هو يعلم ما نتألم به (نحن لسنا وحدنا غرباء على الأرض).
- إن الله معنا، فلا يعود كل من يقوم ضدنا بذي وزن أو قيمة (لأننا في حماية من يستطيع أن يحمينا).
- كل ما نحتاجه فهو حتماً سيعطيه لنا، لأن الذي لم يشفق على ابنه بل بذله من أجلنا كيف لا يعطينا معه كل شيء (الغنى الحقيقي).
- لا قيمة لكل الأعداء الخفيِّين والظاهرين وكل مَنْ يشتكي ضدنا أو علينا، لأن الله برَّرنا وسيبرِّرنا، فتزكية الله أقوى من جيش.
- إن لا شيء في أتعاب هذا الزمان حتى الموت يمكن أن يفصلنا عن محبة المسيح، بل نعتبر كل الضيقات انتصارات.
- وبالنهاية، لا توجد قوة في السماء أو على الأرض قادرة أن تفصل بيننا وبين حب الله من نحونا في المسيح يسوع.

بانتهاء الأصحاح الثامن يكون ق. بولس قد أحاط بالإيمان المسيحي في إطار استعلان برِّ الله بالإيمان بيسوع المسيح.

الأصحاح التاسع:

الناموس يقف عثرة أمام إسرائيل فيحرمها من استعلان بر الله بالإيمان بيسوع المسيح

ولكن ليس الناموس هو الذي يرفض الخضوع لإعلان برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح: «لأن غاية الناموس هي المسيح» (رو١٠:٤)، ولكن إسرائيل هي التي تحصَّنت بالناموس لتقاوم به إعلان بر الله الحي والمحيي في شخص المسيح. وهذا آخر نموذج يقدمه ق. بولس ليوضح به أن الناموس عاجز بحد ذاته عن أن يقود الإنسان نحو الأفضل.

اصطدام إسرائيل بصخرة الخلاص:

+ «ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر، لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس **بالإيمان** بل كأنه بأعمال الناموس. فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة، كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة، وكل مَنْ **يؤمن به** لا يخزى.» (رو٩: ٣١-٣٣)

لم يكن سهلاً على ق. بولس أن يبدأ الأصحاح بهذه الحقيقة المرة، ولكنه مهَّد لها بكثير من الرقة واللطف وإبداء حسن النية، بل وبتوجع القلب، وذلك حتى لا يؤذي شعور اليهود الذين في روما. فالرسالة رسالة سلامية بعيدة عن المحاجاة، وكلماتها منتخبة بإتقان لتنزل على قلوب جميع الموجودين في روما برداً وسلاماً.

ولكن لا يفوته هنا أن يطلق مبدأً خطيراً، فلأن إسرائيل رفضت المسيح فهي ليست جديرة بعد باسم «إسرائيل» المجيد، أب الآباء المبارك، رمز المحبة القوية التي ارتبطت بها البشرية كلها بالله في هذا الشخص والاسم. فيقول إنه ليس كل الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، بل أولاد الموعد فقط، والموعد كان بالإيمان، فكل الذين آمنوا بالمسيح يكونون هم الإسرائيليين حقاً، «أي ليس أولاد الجسد (الختانة) هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلاً» (رو٩:٨). على أن ق. بولس يقطع أن بقية إسرائيل ستخلص لأنها **ستؤمن**.

هنا يُدخِلُ ق. بولس قانوناً آخر وهو قانون الاختيار، وهو غير ناموس الختان، كعلامة ميراث لأولاد الوعد فيقول: «**لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو**» (رو٩: ١١). وطبعاً **كلُّ مَنْ يؤمن فهو مدعو!!**

ويكرر ما قاله الله لموسى: «إني أرحم مَنْ أرحم وأترأف على مَنْ أترأف» (رو٩: ١٥). فلا يستطيع أحد أن يفرض نفسه على الله بإدعاء ميراث جسدي: «ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم» (رو٩: ١٦). ورحمة الله حاضرة وجاهزة بالإيمان و بالإيمان فقط: «كل مَنْ يؤمن به لا يخزى.» (رو٩: ٣٣)

فإزاء عناد إسرائيل وتحصُّنه بالناموس ورفضه برَّ الله المعلَن بالإيمان بيسوع المسيح، قدّم الأمم عليهم ليثبت فعلاً أنه: «هو يرحم من يشاء ويقسِّي مَنْ يشاء ... لكي ينادَى باسمي في كل الأرض» (رو٩: ١٨و١٧)، «ولكي يبيِّن غنى مجده على آنية رحمة (كفخّاري يصنع فازة جميلة وهي الكنيسة) قد سبق فأعدّها للمجد التي أيضاً دعانا **نحن** إياها ليس من اليهود (الذين آمنوا) فقط بل من الأمم أيضاً كما يقول في هوشع أيضاً سأدعو الذي ليس شعبي (الأمم) شعبي والتي ليست محبوبة (الوثنية) محبوبة، ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه (رواق الأمم) لستم شعبي أن هناك يُدْعَون أبناء الله الحي.» (رو٩: ٢٣—٢٦)

وهكذا ينتهي ق. بولس من حيث ابتدأنا نحن فيقول: «... إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر، **البر الذي بالإيمان**. ولكن إسرائيل وهو يسعى في **أثر ناموس البر** لم يدرك ناموس البر» (رو٩: ٣٠و٣١). الترجمة هنا سقيمة وصحتها كالآتي: «وإسرائيل وهو يسعى في أثر البر الذي في الناموس لم ينجح في تتميم ذلك بالناموس. "لماذا؟" لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس، لذلك فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة (المسيح)» (رو٩: ٣٢). بمعنى أنهم وهم متمسكون بالناموس وأعمال الناموس ظَهَرَ المسيح، وبدأ يقول لهم انه هو المرسَلُ إليهم حسب الوعد، وعد الله لإبراهيم، فأخطأوه وأخطأوا إليه وأهانوه وقتلوه. هكذا أعمى الناموس أعينهم فاصطدموا بصخر الدهور.

الأصحاح العاشر:

- **البر الذاتي فوّت عليهم بر الله.**
- **شعب معاند ومقاوم.**

ق. بولس هنا يتعرض للأصحاح الثاني بمزيد من الشرح لوضع اليهود بالنسبة لاستعلان بر الله بالإيمان بيسوع المسيح.

فبعد أن يطيب خاطرهم بكلمة في البداية: «لأني أشهد لهم أن لهم غيرة لله» (رو١٠: ٢)،

يعود وينزعها منهم: «ولكن ليس حسب المعرفة» (رو١٠: ٢). والغيرة التي بدون معرفة إما تؤذي النفس أو تؤذي الغير، ولكنها آذتهم وآذت غيرهم. فعدم المعرفة عندهم ظهرت في كونهم يجهلون معنى وقيمة «بر الله». لماذا؟ لأنهم كانوا مشغولين ومحصورين في بر أنفسهم: «إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم، لم يخضعوا لبر الله» (رو١٠: ٣). فهي بديهية: كيف يزكي الله مَنْ هو مشغول بتزكية نفسه؟ والمشغول بتزكية نفسه لا يعرف معنى الخضوع لله وبالتالي الخضوع لبر الله. لذلك تجمَّدوا في محيط الناموس لأنهم وجدوا في أعماله مجالاً مريحاً للمباراة في تبرير وتمجيد ذواتهم. مع أن الناموس وضعه الله ليوصِّل إلى بر الله في المسيح بالإيمان وينتهي عنده: «لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل مَنْ يؤمن.» (رو١٠: ٤)

مع أننا بالمقارنة نجد أن الحصول على البر الذي بالناموس قانونياً، يستلزم أن الإنسان يعمل كل أعمال الناموس قانونياً، وهذا جعله الله في حيز المحال بشهادة بطرس الرسول: «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (أع١٥: ١٠)، حتى يعجزوا ويدركوا أنه يتحتم أن يلتجئوا إلى برّ الله المجاني الذي بالإيمان، الذي لا يكلِّف الإنسان الصعود إلى السماء ولا الهبوط إلى الهاوية، ولكن: «الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها. لأنك إنْ اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خَلَصتَ.» (رو١٠: ٩و٨)

ولكن إسرائيل لم يطيعوا كلمة البشارة المفرحة، لم يصدقوا الخبر، وكأنها نيَّة مُبيَّتة كامنة في عنادهم الشديد القاسي، والقديس بولس يُشهِد عليهم إشعياء النبي: «يا رب مَنْ صدق خبرنا؟» (إش٥٣: ١). ثم يعود ق. بولس ويتساءل: هل لم يسمعوا خبر البشارة؟ ويرد على نفسه بالنبوة: «إلى جميع الأرض خرج صوتهم (الرسل) وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم.» (رو١٠: ١٨)

ثم يعود ويسأل: ألعلَّ إسرائيل لم يعلم؟ ويرد مستشهداً بموسى أولاً ثم إشعياء فيما معناه أنهم إذا ادَّعوا عدم المعرفة فهي قد أُخذت منهم وأُعطيت للأمم لإغارتهم وإغاظتهم، حسب قول المسيح تماماً: «إن ملكوت الله يُنزَعُ منكم ويُعْطَى لأمة تعمل أثماره.» (مت٢١: ٤٣)

ويختم ق. بولس الأصحاح بنبرة حزينة في صوت الله نفسه: «وُجِدتُ مِنَ الذين لم يطلبوني (الأمم)، وصرتُ ظاهراً للذين لم يسألوا عني»؛ وفي المقابل نحو إسرائيل: «طول النهار بسطتُ يديَّ إلى شعب (اليهود) معاند ومقاوم.» (رو١٠: ٢٠و٢١)

والآن، هكذا ينجح ق. بولس في التأكيد على أن الإيمان ببر الله في المسيح يسوع لمَّا تعطَّل في

طريقه للشعب المختار ــ بسبب تمسكهم الشديد ببر أنفسهم بعناد ومقاومة ــ وجد طريقه سهلاً إلى الأمم الذين تعرَّفوا على المسيح مع أنهم لم يطلبوه، واستعلنوا فيه البرَّ الذي لم يسألوا عنه!

الأصحاح الحادي عشر:
«هكذا سيخلص جميع إسرائيل».

القديس بولس يرتفع في هذا الأصحاح إلى مستوى النبوة، حاملاً همَّ شعب الله القديم بين ضلوعه، وفي تضرع كصلاة الرب في إنجيل يوحنا الأصحاح السابع عشر، يتكلم بصيغة الابتهال الواثق من الشعب الذي له «التبنِّي والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مُبارَكاً إلى الأبد آمين» (رو٩: ٤و٥)، الذين: «لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة» (رو١٠: ٢). ويسأل في يقين الإجابة: «هل عثروا لكي يسقطوا نهائياً؟» يقول: «حاشا ...» ثم يبوح بالسر الذي استودعه الله في قلبه من جهة شعبه الذي أحبَّه، كما استودع الله دانيال سر الأيام الأخيرة من جهة شعبه أيضاً، هكذا:

+ «لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر، لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماءَ، أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو١١: ٢٥و٢٦)

فبالرغم مما حمَّلهم به ق. بولس من الأسباب التي أدَّت إلى حرمانهم من استعلان برِّ الله في المسيح يسوع، و بالرغم من وصفهم بعدم الطاعة والعناد والمقاومة و بالجهل وعدم المعرفة وتمسكهم ببر أنفسهم، إلاَّ أنه يستكثر أن يكون الله قد رفضهم لأن هذا عنده مستحيل: «فأقول: ألعلَّ الله رفض شعبه؟ حاشا ... لم يرفض الله شعبه!!!» (رو١١: ١و٢)، «فأقول ألعلهم عثروا لكي يسقطوا. حاشا بل **بزلَّتهم صار الخلاص للأمم** لإغارتهم.» (رو١١: ١١)

فإن كان الله قد سمح أن تكون زلَّة إسرائيل سبباً لخلاص الأمم، ألا تكون هذه نبوة عما سيتم حينما يتوبون عن الزلَّة ويرجعون إليه فيشفيهم، ومن جميع ما جلب عليهم يعفيهم؟: «فإن كانت زلَّتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحري ملؤهم؟ ... إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون اقتبالهم إلاَّ حياة من الأموات.» (رو١١: ١٢و١٥)

ثم يدخل ق. بولس في تصوير كيف نُحِّيت من إسرائيل ومن أصل أو جذر شجرة إبراهيم وإسحق ويعقوب المباركة، الأجيالُ الأخيرة الرديئة، لتُطعَّم مكانها فروعٌ من أصول الأمم التي

كانت بذورها مُرَّة ورديئة، ليصير أصلٌ واحدٌ جيدٌ للإنسان عامة، فتعود وتتم بركة الله لإبراهيم أن في ابن له (نسله sperma) وهو المسيح تباركت وستتبارك **جميع الأمم**. وحينما يدخل ملؤ الأمم، تعود وتنفتح مراحم الله على الشعب المحبوب الذي وإن كان إلى «لُحَيْظة تركتكِ (ولكن) وبمراحم عظيمة سأجمعكِ، بفيضان الغضب حجبت وجهي عنكِ لحظة و بإحسان أبديٍّ أرحمكِ، قال وَلِيُّكِ الرب» (إش٥٤: ٧و٨). والرب لا يخلف الوعد ولا ينسى الميعاد، لأنه ساهر على كلمته (إر١: ١٢) ليُجريها، ووعده في وسط السنين يُحييه (حب٣: ٢)، «لأنه مُتمِّمُ أمرٍ وقاضٍ بالبر. لأن الرب يصنع أمراً مَقْضياً به على الأرض.» (رو٩: ٢٨)

ثم يلتفت ق. بولس للأمم ويقول محذراً حتى لا يشمت أحد بمن يؤدبه الله لئلا يدخلوا تحت التأديب عينه: «فهوذا لطف الله وصرامته، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا وأما اللطف فلك إن ثبتَّ في اللطف، وإلاَّ فأنت أيضاً ستُقطع. وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيُطعَّمون» (رو١١: ٢٢و٢٣). ثم أليس هذا هو واقع العالم الآن، عالم الأمم، تلك الأجيال الأخيرة، التي لم تثبت في الإيمان وجحدت الفضيلة وعبدت الرذيلة والفسق وجدَّفت على الله وصنعت كل الموبقات؟

وهكذا يسجِّل ق. بولس أجرأ ما تجرأ عليه بالنبوة التي أعطيت له، ويرسم تاريخاً لإسرائيل والعالم يتحقق في ملء الأيام، وهوذا الآن بدأ يتحقق!!!

فالأمم باتوا الآن على ميعاد مع التأديب والقطع؛
واليهود وقفوا على استعداد للعودة!!

الأصحاح الثاني عشر:
المسيحي والحياة اليومية (١)

بعد ما شرح ق. بولس في رسالته حال العالم من أمم و يهود،
واستعلان برِّ الله في ملء الزمان،
وكيف رفضه اليهود وقبلته الأمم،
ثم ارتفع ق. بولس بالرؤيا والنبوة ورسم ما ستتمخض عنه أيام المستقبل بحسب قضاء برِّ الله الذي يغطِّي الأزمنة وكل الدهور لرجعة إسرائيل وخلاصها، يعود بنا إلى برِّ الله المستعلَن في المسيح يسوع ليرى ما يتوجَّب علينا من تحقيق أعظم قدر من مراحم بر الله على مستوى حياة يوم بيوم.

فعلى قائمة الأعمال المتوجِّبة على مَنْ نال بر الله بالمسيح، يوصي ق. بولس الإنسان المسيحي أن

يقدِّم جسده ذبيحة عبادية: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله، أن تقدِّموا **أجسادكم ذبيحةً حيةً مقدسةً مرضيةً** عند الله عبادتكم العقلية.» (رو١٢: ١)

والسؤال لماذا بدأ ق. بولس بهذا التحديد: «تقديم أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضيَّة عند الله»؟

هنا واضح أن إزاء ما قدَّم المسيح "جسده ذبيحة حية مقدسة مقبولة عند الآب"، فنلنا بها برَّ الله، هكذا لكي نستعلن قوة هذا البر في حياتنا اليومية العملية ونعيشه كل يوم، علينا أن نقدِّم **عبادة يومية** قوامها بذل الجسد على مذبح حب الله، بصلاة واعية إنجيلية، وتسبيح قلبي بمزامير روحية وتهليل وشكر على الدوام. هذه هي **العبادة أي الخدمة الليتورجية الناطقة** = λογικὴν λατρείαν. فعوض ذبائح الناموس الحيوانية الخرساء التي تُهدَرُ منها الحياة، يقدِّم المسيحي الذي نال برَّ الله في ذبيحة المسيح، ذبيحة عاقلة ناطقة بالخدمة في الصلاة الإلهية اليومية سواء الفردية أو الكنسية! هذا هو أول مفاعيل برِّ الله لتبرير الإنسان، أي لتقديسه. لذلك سمَّى ق. بولس هذه العبادة الناطقة ذبيحة «**مقدسة**»، فالليتورجية اليومية هي ذبيحة مقدسة باسم المسيح للتقديس.

وبعدها استطرد ق. بولس مباشرة ليفصل الذبيحة المقدسة عن ما للعالم لتبقى مقدسة: «ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو١٢: ٢). هنا يرى ق. بولس أن المسيحي له شكل المسيح وليس شكل العالم. فعليه أن يتغير كل يوم عمَّا للعالم، من واقع عشرته للمسيح، فيتجدَّد ذهنه بكلمة الإنجيل والتأمل والحديث مع الرب.

وعلى القارىء أن يلاحظ هنا، وكأن ق. بولس يتابع الإنسان المسيحي بعد خروجه من الصلاة والتسبيح وتقديم ذبيحة الليتورجية الحيَّة المقدسة، ليواجه العالم في عمله اليومي الذي يفرض عليه الاحتكاك بجميع أصناف الناس الذين يكوِّنون «شكل» العالم. وهنا يطالبه ق. بولس أن لا يكون له شكل العالم، لا لغته ولا مسرَّاته ولا أسلوبه في التفكير والحكم على الأمور أو التصرف. هنا يرى ق. بولس أنه يتوجب على المسيحي أن يكون له **ذهن جديد روحي** يستلهم من خلاله ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة التي ينبغي أن يتصرف بمقتضاها في وسط العالم ليحتفظ بقداسته.

وهكذا، عزيزي القارىء، تلاحظ أن ق. بولس إنما يكتب بإلهام فائق وصايا مترتبة بعضها على بعض، كل منها له مبدأه وله غايته، والكل يحكمه برُّ الله الموهوب لنا في المسيح يسوع لحياة مقدسة.

ثم يتكلَّم ق. بولس عن الإيمان، كيف أن الله يقسِّمه على الناس بحسب مقادير قاماتهم الروحية، فكل إنسان أُعطي نصيباً من إيمان له اختصاصه في موهبة معينة. وإن تقسيم الإيمان وتنويع المواهب هو لغاية عظمى في عطية برِّ الله للإنسان حتى يتكامل الناس فيما بينهم، ويكمِّلون بعضهم بعضاً كأعضاء في جسد لتظهر كنيسة المسيح كقوام واحد متعدِّد الأعضاء والمواهب في اتحاد وانسجام عملي يشمل جميع نواحي الحياة بغرض استعلان المسيح للعالم لتكميل خطة الخلاص العظمى ببرِّ الله.

الأصحاح الثالث عشر:

المسيحي والعلاقات العامة (٢)

الدولة ـ السلوك الأخوي ـ التسلُّح الخلقي الشخصي

لاحظ تسلسل الوصايا البديع عند ق. بولس كمبادىء أساسية في لاهوته.

الأول: العبادة كذبيحة حية عاقلة ناطقة.
الثاني: الاستقلال الشخصي والتغيير المتواصل عن شكل هذا الدهر.
الثالث: التحام المؤمنين عن طريق مواهبهم لتأدية الخدمة كجسد واحد منسجم.
الرابع: العلاقات التي تربط الإنسان بالدولة.
الخامس: الواجبات المفروضة تجاه الدولة، الجزية والجباية.
السادس: السلوك الأخوي تجاه المؤمنين عامة.
السابع: عدم الاشتراك في أعمال الظلمة أو تدبير خطط لتكميل الشهوات.

الدولة:

ق. بولس يعتبر أن الحكام هم تحت تدبير الله وتوجيهه، وهم خدام الله، مُرتَّبين من الله، ولكن يوازن هذا المبدأ مبدأ آخر أهم: «ينبغي أن يُطاعَ الله أكثر من الناس» (أع٥: ٢٩)، بمعنى أن الحاكم إذا طالب المواطن أن يقدِّم له العبادة كأنه الله، أو تجبَّر وطلب أن لا يُعبد الله فمخالفته تصبح ليست حقاً فقط، بل وواجباً أيضاً.

فطاعتهم هي من طاعة الله، ومقاومتهم مقاومة لتدبير الله، وكل مَنْ يقاومهم يقع تحت دينونة الله.

الأعمال الصالحة ترفع الخوف من الحكام.

الأعمال الشريرة يقابلها الانتقام.

الخضوع للحكام ليس عن خوف بل من أجل الضمير. فالإكرام لمَنْ له الإكرام.

الضرائب تُستوفى بالكامل بحسب الحقوق التي للدولة: «الجزية لمَنْ له الجزية، الجباية لمَنْ له الجباية.» (رو١٣: ٧)

السلوك الأخوي:

«لا تكونوا مديونين لأحد بشيء» (رو١٣: ٨) للإبقاء على الحرية الروحية الشخصية، فالدَّين مهما كان يُنقِصُ من الحرية الروحية. أما ديون المحبة فهي جيدة، فعليَّ أن أُحِبَّ أكثر، حتى ولو كنت أُحَبُّ أقل! إذا نشطت المحبة وكان لها السيادة فإنها تضبط كل السلوك وتمنع كثرة من الخطايا وتكمِّل كل الناموس.

التسلُّح الخلقي:

الزمن يسرق الإنسان، فالساعة **الآن** هي دائماً ساعة يقظة للخلاص، والآن دائماً أقرب للخلاص من أمس.

الماضي في الجهالة هو ليل الإنسان، ونهاره جهاد.

وقول ق. بولس: «فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا» (رو١٣: ١١)، يبدو أنه كان بسبب إحساسه المبهم بأيام ضيق قاتمة في الأفق. إذاً، فالخلاص قد قَرُب أو قد قرب كماله، وهو في هذا يحاكي الرب عندما قال: «ومتى ابتدأت هذه تكون، فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن **نجاتكم تقترب**.» (لو٢١: ٢٨)

الليل لأعمال الخزي في السر والخفاء، والنهار للسلوك بلياقة والتسلُّح بالنور أي بالصدق والصراحة والوضوح وأن يلبس الإنسان صفات المسيح. والامتناع عن تدبير الأمور لاسترضاء شهوات الجسد.

الأصحاح الرابع عشر: وجزء من الأصحاح الخامس عشر

المسيحي والعلاقات العامة (٣)

السلوك الروحي تجاه الضعفاء وذوي الأمزجة والعوايد والأفكار الرجعية

المسيحية تقوم على الحرية، حرية أولاد الله بالروح، فلا يحكم أحدٌ على أحدٍ، ولا يدين أحدٌ أحداً آخر. ولكن المسيح، وهو حرٌّ أصلاً من الجميع، أخلى ذاته وتواضع ووضع دينونة الآخرين على ذاته، ولم يُرضِ نفسه لتكميل عمل الآب من نحو خلاص الإنسان وصلاحه ومنفعته ووحدته معاً وفي الله. فالمسيحية بالرغم مما تدعو إليه من الحرية الشخصية، فهي تحمل همَّ الآخرين وخاصة الضعفاء والمرضى والمساكين ليس في الجسد فقط؛ بل وفي التفكير والعمل والسلوك. لأن غاية المسيحية هي وحدة الإنسان، هي التجميع، والمسيح هو هو قوة التجميع، لذلك فهو النموذج الأساسي لحياة كل فرد وحياة الجماعة، هو النواة التي يتحتم أن يبني عليها كل إنسان نفسه ويتقبل غيره. لذلك، فإن أخطر تجربة تواجه المسيحي ــ لاختبار مدى وجود المسيح فيه ــ هو مدى قبوله للأضعف ومدى بذله وحبه لبنيان الآخرين.

لأنه بحسب وصية المسيح: إن سلَّمتم وأحببتم وبذلتم من أجل الذين يسلِّمون عليكم ويحبونكم ويبذلون من أجلكم، فأيُّ فضل لكم؟ فالعشارون والخطاة يصنعون ذلك (مت٥: ٤٦و٤٧).

والقديس بولس يتبع نفس الخط الروحي: «فيجب علينا نحن الأقوياء (بالمسيح فينا) أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نُرْضي أنفسنا. فليُرْضِ كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان، لأن المسيح أيضاً لم يُرضِ نفسه ...» (رو١٥: ١ــ٣)، «اقبلوا بعضكم بعضاً، كما أن المسيح أيضاً قَبِلَنا لمجد الله» (رو١٥: ٧). ويعود ق. بولس ويصرِّح عن الغاية التي ينظر إليها من وراء هذا: «وليُعْطِكُمْ إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع، **لكي تمجِّدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد**.» (رو١٥: ٥و٦)

هذا هو منتهى إرادة الله والمسيح وق. بولس من نحو الأمم!! أن ترفع الأمم أصواتها باتحاد لتسبِّح الله!!

ويستشهد ق. بولس بالأنبياء لإثبات قصد الله هذا:

+ «من أجل ذلك **سأحمدك في الأمم**، وأرتِّل لاسمك!!» (رو١٥: ٩)
+ «**تهللوا أيها الأمم مع شعبه** (اليهود).» (رو١٥: ١٠)

وهنا ينكشف ضمناً أن هذا الأصحاح بكامله كان وقتئذ مكرساً للوحدة بين الأمم واليهود المتنصِّرين.

+ «سبِّحوا الرب **يا جميع الأمم**، وامدحوه **يا جميع الشعوب**.» (رو١٥: ١١)

بهذا يفرح ق. بولس ويتهلل أيضاً وكأنه يمجد الله بخدمته للأمم كمقدِّم ذبائح، معتبراً أن تسابيح وتراتيل الأمم هي الذبيحة الجديدة غير الدموية، الذبيحة العاقلة الناطقة عوض العجول والتيوس، وأن الرب أقام ق. بولس كاهناً للأمم لكي يدرِّبهم على تقديم هذه الذبائح ويشترك في تقديمها لله: «حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مُباشِراً لإنجيل الله ككاهنٍ، ليكون قربان الأمم (تسابيحهم وعبادتهم) مقبولاً مقدساً بالروح القدس.» (رو١٥: ١٦)

بهذا يختم ق. بولس تعاليمه الإلهية في هذه الرسالة المباركة الشاملة عندما يصل إلى منظر الأمم وجميع الشعوب مع اليهود المسيحيين وهي تسبِّح وترتِّل لله وللمسيح في كل أنحاء الأرض، مُقدِّمة ذبائحها بالحمد، قرباناً مقدساً ليل نهار.

أما تعليقنا على رؤية ق. بولس هذه فنقول: نعم، قد تم، ولا يزال يتم.

بقية الأصحاح الخامس عشر:

يوضح ق. بولس حدود الخريطة التي بشَّر مدنها من أورشليم إلى أقصى حدود اليونان الشمالية الغربية، موضحاً أنه اتخذ مبدأ عدم خدمة أي مدينة سبق أن خدم أو كان يخدم فيها رسول آخر، ويقصد رسل الختان. والسبب في ذلك هو أنه لم يكن يقبل أن يُرْسي الإيمان بحسب إنجيله، أي إنجيل الغرلة، أي البشارة بالمسيح دون الناموس والختان والسبت أو أيٍّ من عوائد اليهود، ويكون غيره من رسل الختان في نفس الوقت قد أرسى إنجيل المسيح على أُسس يهودية. وطبعاً لم يكن هذا من فكره أو من مزاجه الخاص، ولكنه التزاماً بطاعة حدود الأمر الذي كلَّفه به المسيح الرب من السماء: «اذهب فإني سأُرسلك **إلى الأمم بعيداً**.» (أع٢٢: ٢١)

ثم يكشف ق. بولس للموجودين في رومية عن نيَّته في الذهاب لتبشير أسبانيا وأنه يودُّ أن يمر بهم في طريقه إليها.

كما يوضِّح ق. بولس أنه أثناء كتابته لهذه الرسالة كان يعد العُدَّة للعودة إلى أورشليم من رحلاته في اليونان حاملاً مساعدات لفقراء أورشليم، وأنه بمجرد أن يسلِّمها للقديسين هناك سوف ينطلق إليهم. ولكن للأسف فقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد تعوَّق في فلسطين سنتين قضاهما سجيناً في سجن قيصرية، وصحيح أنه غادرها إلى رومية ولكن هذه المرة سفيراً في سلاسل!!

وهنا يختم ق. بولس رسالته.

الأصحاح السادس عشر:

وقد سبق أن تكلمنا عنه في صفحة ٥٠ و ٥١، كما سنعود إليه بالتدقيق في معرض الشرح للأصحاحات. ولكن الآن الذي يهمنا هو روح هذا الأصحاح الذي يزدحم بالتحيات وإرسال السلام المعطَّر برائحة المسيح، والشهادة، والأسر، والخدمة، ووضع العنق من أجل المسيح، وماذا يمكن أن نستخلص منه فيما يختص بموضوع الرسالة وهو الإيمان في المسيح وعمله.

ويكفي أن نضع أمام عين القارىء العلاقات المذكورة في هذا الأصحاح سواء بين الأشخاص والمسيح أو بين الأشخاص وق. بولس أو بين الأشخاص والكنيسة، لنرى مفاعيل الإيمان والروح الفائضة بغنى من هؤلاء الأشخاص والتي تنمُّ عن علاقات إيمان وثيق وحب عميق وإيثار الآخرين على الذات والبذل حتى السجن والموت، مع الفرح المتهلل في الآلام والرضى والشكر بالواقع المرّ:

+ خادمة الكنيسة، تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين ـ صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضاً (رو١٦: ١و٢).
+ «العاملَيْن معي في المسيح يسوع، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم.» (رو١٦: ٣و٤)
+ «حبيبي الذي هو باكورة "آسيا" للمسيح.» (رو١٦: ٥)
+ تَعِبَتْ لأجلنا كثيراً.
+ نسيبيَّ المأسورَيْن معي اللذين هما مشهوران بين الرسل. وقد كانا في المسيح قبلي.
+ حبيبي في الرب.

+ العامل معنا في المسيح.
+ المزكَّى في المسيح.
+ الكائنَيْن في الرب.
+ التاعبَتَيْن في الرب.
+ المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب.
+ المختار في الرب.
+ سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة، كنائس المسيح تسلِّم عليكم.
+ طاعتكم ذاعت إلى الجميع. فأفرح أنا بكم.
+ وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم آمين.
+ أُسلِّم عليكم في الرب.
+ مضيِّفي ومضيِّف الكنيسة كلها.

من هذا العرض المزدحم بالعلاقات التي تحكي عن مدى عمق وترسُّخ الإيمان المسيحي في الجماعة المذكورة وبلوغ حالات نادرة من الحب الباذل الفادي المُذْهل للعقل: «وضعا عنقيهما من أجل حياتي» (رو١٦: ٤)، نستشفُّ بكل قوة ووضوح العلاقات التي كانت تربط بولس الرسول بهؤلاء الأحباء الأوفياء الأمناء على أساس المسيح وبرِّ الإيمان الذي نالوه وقوة الفداء التي تغلغلت قلوبهم وملأت حياتهم فعلاً وعملاً. فحينما كانت تتكلم الكنيسة في العصور الأُولى عن «شركة القديسين» كانت تتكلم من واقع حيٍّ!! فهذه هي صورة واقعية ناطقة للحياة الجديدة الجماعية بين المسيحيين.

وحينما وصف ق. بولس هؤلاء المؤمنين الأمناء الأحباء بأنهم بمثابة أعضاء متوافقة في جسد واحد يغتذي من جسد المسيح ودمه، بل هو هو جسد المسيح؛ فبولس الرسول لم يكن حالماً ولا متأملاً في ما وراء الطبيعة، بل كان ناظراً إلى مُثُل حيَّة هي التي أوحت إليه بهذا التعبير.

هكذا يجيء الأصحاح السادس عشر في رسالة رومية كختم صدقها، أو تصديقاً لكل ما جاء فيها من مفاخر إيمان المسيح وعمله وحبه. فإن كان بين الذين يسلِّم عليهم ق. بولس في روما مَنْ هم رسل للمسيح، كانوا في المسيح قبل ق. بولس، إذاً فكل ما قال ق. بولس في الرسالة إليهم هو على مستواهم. وإن كنا عند قراءة قول ق. بولس عن دعوة هذه الأمثلة الرائعة حقاً ليكونوا: «رعيَّة مع القديسين وأهل بيت الله» (أف٢: ١٩)، بعد أن كانوا غرباء عن المسيح والموعد و بلا

إله في العالم، فكنا نستكثر هذا عليهم وعلينا، ولكن الآن و بعد أن استعرضنا حال هذه الجماعات التي اعتمدت فلبست المسيح عن حق وفعل، لا نعود نستكثر، بل نصدق ونبارك عليهم ونبكي على حالنا.

ولا يفوتنا أن نلقي نظرة على حال المرأة في روما وعند ق. بولس والمسيح وفي القرن الأول للمسيح، ونحن لا نكاد نصدق ما نرى. فالمرأة استوت على مركز مرموق في الكنيسة وعند الرسول والمؤمنين. فماذا كانت ومَنْ كانت في ذلك الزمان الأول؟ كان مركزها خادمة أي شمَّاسة عاملة في الكنيسة، ولكن «كما يحق للقديسين»، تساعد الكثيرين وق. بولس أيضاً، عاملة مع بولس الرسول. عمل ق. بولس في الأمم لتقديم قربان الأمم، ليكون قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس، فوضعت عنقها من أجل حياة ق. بولس، افتدت رسولاً من موت!! شُكرها على فم الرسول، كذكصولوجية تُقرأ في الكنيسة في كل الأمم في جميع كنائس العالم!! ولها كنيسة في بيتها مع رجلها، وعلى القارىء أن يعود إلى الآية الثالثة في الأصحاح السادس عشر ليقرأ اسم برِسْكا أو بريسكلا مذكوراً قبل اسم زوجها أكيلا ليفهم أنها كانت روح كنيستها التي كانت تصرف عليها من عرق جبينها!!

«ومريم» التي تعبت من أجل ق. بولس كثيراً وكأنها أخذت وظيفة مرثا مع مريم عند المسيح فجمعت الحب والطاعة والخدمة معاً. وهكذا تبدو المرأة في شخصية «برسيس» عند ق. بولس محبوبة وذات أتعاب في الرب!

وهكذا تحمل رسالة رومية تكريماً لائقاً ووفاءً صادقاً واعترافاً بفضل المرأة على الكنيسة الأُولى للأمم!! ويكفي أن يكون فضل المرأة في رسالة رومية أن «فيبي» **الأخت هي التي حملتها**، ويا لهول حملها على مركب شراع، سافرت فيه من كورنثوس باليونان عَبْر بحر إيجة وأدريا والمتوسط لترسو في أوستيا، بعد سفر مضنٍ مدة أسبوعين على الأقل، وفي أحسن الظروف. لقد احتلت فيبي عند ق. بولس مركز المجدلية عند المسيح، ومن ذا يقرأ رسالة ق. بولس إلى أهل رومية ولا يذكر اسم فيبي وفي كل العالم تذكاراً لها؟!!

الأصحاح الأول

حالة الأمم

١ ـ رو١: ١ـ٧: بولس الرسول يقدم نفسه، ويقدم إنجيله، ويقدم المسيح، ويطرح موضوع إرساليته للأمم ومنها أهل رومية.

٢ ـ رو١: ٨ـ١٧: موضوع زيارته لروما التي طالما تمناها، وإعلان القصد منها وهو تبشيرهم بإنجيل الغُرْلة القائم على نوال بر الله بالإيمان بالمسيح بدون ناموس.

٣ ـ رو١: ١٨ـ٣٢: غضب الله المُعْلَن على خطايا الأمم، لأن ليس لهم عذر في خطاياهم، لأنهم بعد ما عرفوا الله لم يعبدوه، فأسلمهم لذهن مرفوض.

والمعنى المختفي هو: إزاء خطاياهم الشنيعة، كان يتوجب حسب عدل الله إما أن يبيدهم بالطوفان أو بنار وكبريت، أو ينزل بنفسه ويخلصهم معلناً برَّه المجاني لهم! وقد آثر الحل الثاني لأنه كان قد سبق ووعد الإنسان بعد الطوفان أنه لن يعود ويفني الإنسان (تك٨: ٢١).

[١:١-٧] الافتتاحية

+ «بولس عبد ليسوع المسيح، المدعو رسولاً، المُفْرَز لإنجيل الله،
+ الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة،
+ عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.
+ يسوع المسيح ربنا الذي به لأجل اسمه قَبِلْنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم.
+ الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوُّو يسوع المسيح،
+ إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين قديسين،
+ نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح».

من مطلع الرسالة يؤكد ق. بولس أنه يكتب من واقع تعبُّده الخاص للمسيح، ومن مركز دعوته الخاصة كرسول، ومن مهنته التي أُفرز لها من البطن ليبشِّر بابن الله الذي أعلنه الله فيه. القديس بولس ينفي أن يكون له شيء من وراء هذه الرسالة، ولكن يذكر اسمه أولاً ليحمل مسؤولية وشرف ما يكتب، ثم يعود ويذيب اسمه تحت وهج وضياء اسم المسيح. كذلك لا يُنهي الآية الأولى إلاَّ بعد أن يُبرز موضوع الرسالة بأكملها ويردُّها إلى أصلها ومنبعها: إنجيل الله! ثم يقدم بعد ذلك المسيح، الذي هو بالأساس موضوع الإنجيل ومادته وغايته، أولاً في طبيعته التي تحمل **الصورة البشرية** بصفته إنساناً يهودياً، من نسل داود، والتي تحمل أيضاً حقيقته الإلهية **«ابن الله»، محققاً** ذلك من قيامته من الأموات، الأمر الذي لا يأتيه بشرٌ. هذا هو يسوع المسيح عند ق. بولس الذي يكرز به، إنسانٌ يحمل كل ما للإنسان، وهو الإله الذي له كل ما لله بآنٍ واحد. الذي فيه أراد الله أن يحقق للإنسان ما لم يَستطِعْه الإنسان، والذي به أخذ العالم اتجاهه الجديد نحو الله، وقاد البشرية في موكب نصرته نحو السماء موطنه الذي جاء منه، مُعطياً للإنسان كل انتصاراته التي انتصر بها على عالم الشر والخطية والجسد! مانحاً صفته الأُولى «القدوس» لكل مَنْ آمن به، صائراً هو القدُّوس البِكْر بين إخوة قديسين كنيسة أبكار شعب الله المقدس.

وواضح جداً من هذه المقدمة أن ق. بولس قصد منذ أول الرسالة أن يكشف عن طبيعة الرسالة كونها التعليم الصحيح عن الإيمان بالمسيح، يطرحه لشعب يتخاطب معه بالرسالة عندما عزَّ

عليه المسير إليهم، ومن طبيعة الكلام يتضح تماماً أنه يتكلم للجميع. وهو لا يخص أمميين أو يهوداً، بل هو يطرح الإيمان حرًّا مستقيماً ليكون دستور الحياة لكل إنسان. ولكن على أساس أنه هو رسول الأمم الذي يكرز بالمسيح مصدراً وحيداً للإيمان لنوال برِّ الله خُلْواً من ناموس وسبت وختان، الأمر الذي سيكشفه في الآية (١: ١٦و١٧).

١:١ **«بُولُسُ عبدٌ ليسوعَ المسيحِ المدعُوُّ رسولاً المُـفرَزُ لإنجيلِ اللهِ».**

«بولس عبد ليسوع المسيح»:

عبد δοῦλος، والقديس بولس لا يريد أن يتصاغر بل يريد أن يرفع سيده، يرفعه إلى أقصى قمة يمكن أن يرفع الإنسان إليها أحداً ليحتل مركز «المعبود». والعبودية قد تأتي قسراً أو أسْراً، ولكن عبودية ق. بولس وقع فيها حباً، وما أعجب الحب إذا بلغ حدَّ العبادة، وما أعظم العبادة إن كانت عن تباريح المحبة. صحيح أن لقب **«العبد»** لله والمسيح يلتزم به أي إنسان، ولكن ق. بولس كان يتباهى به! كعبد مُشْترىً بثمن ثمين ليصير إلى الأبد مؤتمناً على شرف حَمْل اسمه!!

كان في القديم، وبحسب تقليد الرومان، أن الذي يكون له عبد أمين وأراد أن يحرِّره، يعطيه أن يحمل في نهاية اسمه لقبه الشرفي الخاص، كما سنسمع في الأصحاح (١٦) حينما يذكر ق. بولس بعض العبيد المحرَّرين باسم «أهل أرستوبولس»، «أهل نرْكيسوس»، كما يذكر أيضاً في نهاية رسالته إلى فيلبي «أهل بيت قيصر»، هؤلاء كلهم عبيد أعطاهم الأمراء العظام شرف اسمهم لهم. أما المسيح فقد أعطى جسده ودمه، أعطى بنوَّته لله!! أعطى روحه القدوس كعربون ميراث في مجد الله.

إن أعظم شرف يمكن أن يناله إنسان على الأرض أن يُدْعَى خادماً للرب يسوع المسيح، هذا الذي رفع من قَدْر بشريتنا التي وقعت تحت ذل وهوان الخطية، «ليجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه» (رؤ١: ٦)، كيف وبماذا؟ بخدمة اسمه وحمل صليبه والاعتراف بربوبيته!

والقديس بولس كان يشعر بمهمة الرسولية بكل دوافعها الإلهية. اسمعه وهو يقول: «إذاً نسعى كسُفَراء عن المسيح **كأن الله يعظ بنا،** نطلب **عن المسيح: تصالحوا مع الله**» (٢كو٥: ٢٠). فوظيفة الرسول تعني عند ق. بولس أنه اؤتمن على كلمة الله وحمل اسم المسيح (أع٩: ١٥)، وأُعطي بالروح القدس المناداة بالإيمان. بهذا الإحساس الشديد كان ق. بولس يخدم ويتكلم ويعظ: «فإنني وإن افتخرت شيئاً أكثر بسلطاننا الذي أعطانا إياه الرب لبنيانكم لا لهدمكم لا أخجل». (٢كو١٠: ٨)

«ليسوع المسيح»:

«يسوع» هو الاسم الذي تعيَّن له من الآب بفم الملاك ليعني **«مُخلِّص»** (مت ١ : ٢١). فقد أعلن الله عن عمله في اسمه، وهي كلمة أرامية من مقطعين «ياه» = يهوه أي الله، «شوع» من هوشعنا أي خلِّصنا. وعلى القارىء أن يلاحظ مسار عمل الله من خلال الأسماء، فيشوع الأول عبد موسى أُعطي أن يُدخلهم كنعان ويقسِّم لهم أرض الميراث ويريحهم. وها يشوع الجديد، أي «يسوع»، يحقق بالروح ما عجز عنه يشوع الأول بالنسبة للأرض. وسفر العبرانيين يكشف عن هذه المقابلة البديعة: «لأنه لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر» (عب ٤ : ٨)، ذاك كان عبداً وخادماً لموسى، وهذا ابن الله.

«المسيح»: من الكلمة العبرية «مسيَّا» أي ممسوح بالدهن من الله، والمتنبأ به هكذا: «من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز ٤٥ : ٧). وقد عُرِفَتْ البهجة بعد ذلك بأنها صفة القيامة هكذا: **«تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات»** (رو ١ : ٤)، **«ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين.»** (رو ٨ : ٢٩)

«المدعو رسولاً»:

رسول ἀπόστολος بالعبرية shaliah وتُعرف وتُنطَق بالعربي «سلِّيح»(١). لقد "دُعي بتكليف" باختيار صادر من فوق: «الذين سبق فعيَّنهم، فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم أيضاً. والذين برَّرهم فهؤلاء مجَّدهم أيضاً» (رو ٨ : ٣٠). فهو رسول بالأمر، والأمر صادف هوىً في نفسه، فتقبَّله ليكون له حياة!

+ «من ثم أيها الملك أغريباس لم أكن معانداً للرؤيا السماوية.» (أع ٢٦ : ١٩)

لقد باتت دعوة الرسولية عند ق. بولس أعز وأثمن ما يملك في حياته، إذ اعتبرها تكليفاً سماوياً آتياً من الله الآب والمسيح رأساً: «بولس رسول، لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات.» (غل ١ : ١)

«المُفْرَزُ لإنجيل الله»:

المُفْرَز: ἀφωρισμένος

ق. بولس يتلاعب بالألفاظ بمهارة روحية، فالفريسي كلمة عبرانية تفيد المفرز أيضاً

(١) فنقول باللغة العربية القديمة: الرسل السلِّيحون الأطهار وهي مجرد تكرار لكلمة «رسل».

«فريزي». **فهو وإن كان قد صار فريسياً** ـ أي أفرز نفسه حسب عبادة الآباء الأضيق ـ لأنه كان طريقاً نسكياً وتعليمياً قائماً على الحرف والتدقيق الناموسي الشديد، إلاَّ أنه قد أُفرز من الله بالروح وهو في البطن، وتخصَّص لحمل إنجيل الخلاص حسب عبادة الروح الحر المتسع. فهو وإن كان قد أفرز نفسه للناموس، إلاَّ أن الله سبق وأفرزه وهو في البطن للإنجيل! (غل ١ : ١٥).

ونحن نسمع هذه الكلمة «أفرز» مرة أخرى من صوت الروح القدس نفسه: «قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه.» (أع ١٣ : ٢)

الآن من المهم أن نضع كلمة **«مدعو»** مع كلمة **«المفرز»**. فالدعوة من فوق من الله، والإفراز من بين الناس، فالسلطان إلهي والعمل بشري.

ق. بولس أحسَّ بدعوته ـ بعد أن دعاه الرب من السماء ـ أنها بدأت منذ زمن بعيد مع إرميا، مع الأنبياء الأحباء الذين كان يهيم بهم ق. بولس ويتمثَّل، فرنين الدعوة لإرميا النبي كان يطنُّ في أذنه، وكان يتسمَّع على نغماتها دعوته التي أتته من السماء: «فكانت كلمة الرب إليَّ قائلاً **قبلما صوَّرتُك في البطن عرفتك، وقبلما خرجتَ من الرحم قدَّستُك، جعلتُك نبياً للشعوب**» (إر ١ : ٤و٥). هذه اختصرها ق. بولس فيما يخص نفسه في كلمات قليلة حتى تفوت على القارىء، فهو يخجل أن يعلو إلى قامة إرميا: «ولكن لما سَرَّ **الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته** ...» (غل ١ : ١٥). ولكن الروح ينطق بانطباق الدعوة، والإلهام يركِّز على كلمة «الشعوب»؛ فإرميا إن كان قد تنبأ، فالقديس بولس خدم!! والقديس بولس حاول أن يتلافى كلمة «قدَّستُك» عند إرميا فجعلها عنده «أفرزني»، ولكن المعنى والمبنَى واحد تماماً. والعجيب ـ كما سبق وقلنا ـ أن الكلمة العبرية المقابلة لقوله «أفرزني» هي قريبة جداً من العربية وأقرب إلى كلمة «فريسي» «Prs».

فالله أفرزه من بطن أمه، ليكون عَلَماً بين جيله، وليحمل لواء الأمم على كتفه وحيداً من كل أجيال بني إسرائيل!! أما هو فأفرز نفسه وامتهن الفريسيَّة ـ دون أن يدري ـ ليستقصي منتهى **قوة الناموس**، استعداداً لليوم الذي ينحِّيه فيه من مسعى الخلاص فيبلغ الناموس على يديه منتهاه!

ونظرة ق. بولس إلى حياته في ضوء اقتناعه أن الله أفرزه من البطن، هي أن الله كرَّس حياته برُمَّتها. فإن كان قد كرَّسه من البطن فقد كرَّس مولده في الشتات، وصَبْوَته في طرسوس، وتعليمه عند رجلي غمالائيل. لقد وقعت على ق. بولس كلمة الدعوة العُليا من الله وهو في البطن، حيث

تم اختياره كإناء سبق فأعدَّه: «لأن هذا لي إناءٌ **مختار** ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل» (أع٩: ١٥). وحسب تعبيره، كان يرى كيف أعدَّه الله بطول أناة: «لكي يبيِّن غِنَى مجده على آنية رحمة قد سَبَق فأعدَّها للمجد. التي أيضاً دعانا نحن إياها ...» (رو٩: ٢٣و٢٤)

«لإنجيل الله»:

الإنجيل εὐαγγέλιον «البشارة المفرحة» كترجمة لنص الكلمة، وبالإنجليزية **Gospel** وهي من مقطعين God (الله) + spell (ينطق). والبشارة المفرحة تجمع بين موت المسيح وقيامته، وكلا الحدَثين هما للفرح: «الذي أُسلِم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥). وبهما معاً نلنا العتق والحرية ثم البر.

وكلمة «الإنجيل» هي البشارة «إيفانجليون»، واردة بالعهد القديم في إشعياء ولكن في صيغة اسم الفاعل مِنْ: «بَشَّر».

+ «على جبل عالٍ اصعدي يا مبشِّرة εὐαγγελιζόμενος صهيون، ارفعي صوتك بقوة يا مبشِّرة أورشليم، ارفعي لا تخافي، قولي لمدن يهوذا هوذا إلهُكِ، هوذا السيد الرب بقوة يأتي، وذراعه تحكم له، هوذا أجرته معه، وعُمْلَتهُ قدامه، كراعٍ يرعى قطيعه، بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات.» (إش٤٠: ٩—١١)

+ «ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر εὐαγγελιζομένου، المُخْبر بالسلام، المبشِّر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون قد مَلَكَ إلهُكِ.» (إش٥٢: ٧)

هكذا عرف ق. بولس الإنجيل من دراسته السابقة أنه بشارة الخلاص التي أُعطي أن يخدمها ويعلن برَّ الله فيها، وأن موضوع الإنجيل ومضمونه بحسب رؤية الأنبياء وإشعياء في القديم هو: «**هوذا السيد الرب بقوة يأتي**»، «**قد ملك إلهكِ**» «**قومي استنيري**»، «**عهداً جديداً**»، «**أسكب من روحي على كل بشر**»، «**يُخرج الحق إلى النصرة**»، «**أبصَرَ نوراً عظيماً**»(٢).

وليت القارىء يقف كثيراً عند قول ق. بولس وهو يصف الإنجيل أنه «**إنجيل الله**»، فهذا هو أحد مفاتيح فهم لاهوت ق. بولس. **فالله مصدر الخلاص** بيسوع المسيح، **والبرُّ هو برُّ الله** في المسيح يسوع، والموت هو طاعة **لأمر الله الآب**، **والقيامة هي بقوة الله**، والصعود هو: «**رَفَّعه الله**

(٢) إش٤٠: ١٠ و٥٢: ٧ و٦٠: ١؛ إر٣١: ٣١؛ يؤ٢: ٢٨؛ مت١٢: ٢٠ و١٦: ٤.

أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم»(*) (في٢: ٩)، والجلوس هو: «اجلس عن يميني» (عب١: ١٣)، وحتى حلول المسيح في القلب بتأييد الروح القدس في الإنسان الباطن هو بحسب «غنى مجده (مجد الآب).» (أف٣: ١٦)

ولكن يلزمنا هنا أن نوضح أمام القارىء أهمية اختيار المسيح لبولس بطريقة فائقة وإعجازية للبشارة بإنجيل الخلاص للأمم، بل وأهمية إنجيل ق. بولس هذا دون سائر الأناجيل الأربعة، فهو الإنجيل الوحيد الذي أنهى على اعتبار الناموس قانوناً للعبادة، بل نحّاه كليًّا من طريق الخلاص، وألغى السبت وأبطل الختان، وهكذا فتح طريق العبادة والخلاص للأمم بلا قيود: «لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو٦: ١٤)، «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (المسيح).» (رو٨: ١)

ثم لو ينتبه القارىء، يفهم في الحال لماذا أراد ق. بولس أن يبشر أهل روما بالإنجيل وهم مؤمنون، وإيمانهم مشهودٌ له بحسب تعبير ق. بولس؟ أليس ذلك لكي يرفع عن كاهلهم التزامهم بالناموس والسبت والختان ومعظمهم من الأمم؟؟ فمن أجل هذا فقط كان يشتاق ويصلي ويطلب من الله وينتهز كل الفرص، لكي يذهب إليهم ليبشرهم بالمسيح خُلْواً من الناموس والسبت والختان وبقية عوايد اليهود التي عطَّلتهم عن الإيمان. فلمّا لم يستطع الذهاب فوراً أرسل هذه الرسالة إليهم، إلى أهل رومية، لتكون لهم إنجيلاً يصحح ما استلموه عن الإيمان والعبادة من اليهود المتنصِّرين.

٢:١ **«الذي سَبَقَ فوَعَدَ به بأنبيائهِ في الكتبِ المقدَّسةِ».**

ق. بولس ينبه أذهان الأمم أن الإنجيل الذي استؤمن عليه والذي ينادي به الآن لهم قد وُضِعَتْ أساساته منذ البدء، ونَطَقَ باستعلاناته الأنبياء، نبيٌّ بعد نبي، كتسليم الروح لأجيال الدهور السابقة، فهو إنجيل الله المرسوم منذ الأزل كسرٍّ مكتوم، قد وُهِبَ لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن يبوحوا بسرِّه فيما يخص خلاص الأمم: «الذي في أجيال أُخَر لم يعرَّف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرُسُلِه القديسين وأنبيائه بالروح، **أن الأمم شركاءَ في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل**، الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته.» (أف٣: ٥—٧)

(*) الاسم الذي هو «**فوق كل اسم**» هو «رب لمجد الله». فهو لا يعادله إلا اسم الله!!! فهو أعلى من الملائكة لأنه رب الملائكة وكل السماء.

ق. بولس هنا يعطي الانطباع العام أن لإنجيله بالعهد القديم صلة وصلات، وسوف نرى كم يستمد إلهاماته من أفواه الأنبياء الملهَمين: «وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء.» (١ كو١٤: ٣٢)

والقديس بولس حينما يقول: **«الذي سبق فوعَدَ به»**، فهو يلقي الضوء على الإنجيل كله أنه تحقيقٌ لوعد الله، وحتى الروح الذي يتكلم في فمه هو «روح الموعد القدوس». وهكذا يقف الإنجيل ليصل بين الوعد وتحقيقه، و يقف ق. بولس مع كل الرسل يستجلون من القديم إلهاماته ليزيدوا الواقع صِدْقه وثباته: «لأن كل ما سبق فكُتِبَ، كُتِبَ لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاءٌ.» (رو١٥: ٤)

٣:١ **«عن ابنه، الذي صار من نسل داود (من جهة) حسب الجسد».**

«عن ابنه»:

شبه جملة تحمل في طياتها كل الإنجيل وتعبِّر عنه!! ق. بولس هنا يضع التقليد الكنسي أمامنا، مرَّة واحدة، كحقيقة لا تحتاج إلى توضيح، فهذا هو الابن الذي تحققت فيه كل مواعيد الله: «لأن مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النَعَم وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا» (٢ كو١: ٢٠)، لكن الترجمة العربية هنا سقيمة، وصحتها كالآتي: «لأن كل مواعيد الله تجد فيه تحقيقها بالنَعَم، وفيه أيضاً نقول آمين».

وقول ق. بولس هذا القول المختصر «عن ابنه» يبدو لكثير من الشراح أن ق. بولس قصد هكذا أن يضع هذا التعريف أمامنا بدون شرح. ولكن الحقيقة أن شرح «عن ابنه» يأتي مباشرة فيما يتبع من الكلام، سواء ما يخص ناسوته أو لاهوته في وضعهما الاستعلاني كمسيًّا ملك إسرائيل وكالابن الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب.

ولكن في قول ق. بولس **«عن ابنه»** أي ابن الله، إشارة صريحة عن سبق وجود المسيح في علاقته الأزلية بالآب بحسب لاهوت ق. بولس الذي أوضحه في مواضع أخرى:

+ «فالله إذ **أرسل ابنه** في شبه جسد الخطية ...» (رو٨: ٣)
+ «الذي **لم يُشفق على ابنه، بل بذله** لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهَبُنا أيضاً معه كل شيء.» (رو٨: ٣٢)
+ «لما جاء ملء الزمان، **أرسل الله ابنه** مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس.» (غل٤: ٤)

وفي كل هذا لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن ق. بولس وهو في افتتاح رسالته إنما يضع الخطوط

الأساسية لبشارته بإنجيل الله فيما يخص المسيح أنه **«الابن»**، الذي وإن كان قد تجسد فهو الباقي كما هو ابناً لله كما هو منذ الأزل. لذلك يتحتم أن نفهم كل ما يُقَال عن الابن على أساس أنه ابن الله. فقول ق. بولس: «ابن الله الذي صار»، فكلمة **«صار»** هنا يتحتم أن تُفهم على أساس أنه ابن الله، وأنه بقي ابناً لله بعد أن صار من نسل داود حسب الجسد. ومن الوجه الآخر حينما يؤكد ق. بولس أن إنجيل الله الذي ينادي به هو بآن واحد إنجيل ابن الله الأزلي، فهو يعطي اعتباراً لماذا هو قد أُفرز من البطن وأُرسل بدعوة سمائية للقيام بهذه المهمة العظمى. فالقديس بولس دائماً أبداً يربط علوَّ شأن رسالته بعلوِّ شأن الذي أرسل من أجله.

«الذي صار من نسل داود حسب الجسد»:

«صار»: γενομένου

وضعها ق. بولس لتأتي في المقابل مع **«تعيَّن»** ὁρισθέντος ، **فهو وإن كان قد صار من نسل داود، فهو هو الذي تعيَّن أنه هو ابن الله**، وهذا ما سيجيء في الآية القادمة. فهنا **«صار»** تفيد أنه انتقل من حالة إلى حالة أخرى(٣). (والأفضل أن يُقال أنه أخذ حالة جديدة على حالته دون أن تزيد عليه شيئاً أو تنقص منه شيئاً شأن المطلق الأزلي. فالمطلق لا ينقص ولا يزيد فهو الكل، والكل في الكل، وملء الكل. والكل لا يزيد ولا ينقص لأنه كل الكمال)، دون أن يفقد ما له أو يتغير عما هو عليه، على أساس أنه ابن الله وكان ابناً لله وبقي ابناً لله بكل ما له من لاهوت شخصي وعلاقة إلهية بالله. فكلمة «صار» هنا تفيد أنه انتقل من حالة ابن الله غير المنظور إلى حالة ابن الله المنظور في الجسد كابن داود، حيث بنوته لله اختفت في بنوته لداود كمسيًّا أو ابن الإنسان، فلما مات اختفت بنوته لله إلى حين عن الأنظار العقلية: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت»(٤)، وامتنع على العقل حتى تصوُّرها. ولكن لما قام من بين الأموات استُعلنت بنوَّته لله ورُئيت وتحددت.

فكلمة **«صار»** هي في مقابل **«تعيَّن»**. نجد الأُولى تختص باختفاء اللاهوت وظهور الناسوت في ذات شخص ابن الله، أما الثانية «تعيَّن» فتفيد ظهور الذي كان مختفياً واستعلان الذي كان غير مُعْلَن، حيث تحدد أن الذي تجسد وظهر كابن الإنسان هو هو بعينه ابن الله الذي كان قبل أن يتجسد. فبالقيامة من الأموات استُعلن كل ما للمسيح على ضوء لاهوته أنه هو ابن الله، الذي أخلى

3. Sanday & Headlam, *op. cit.*, p. 6.

(٤) مز٣٧: ٢١ بحسب النص القبطي الذي يُقال في أسبوع الآلام.

ذاته وأخذ شكل العبد وأطاع ومات ليقوم، ليُعْلِنَ أنه تجسد ليموت، ومات ليقوم، لكي بتجسُّده يأخذ ما لنا و بقيامته يعطينا ما له.

«حسب الجسد»:

هذا الاصطلاح بحد ذاته يكشف مباشرة أن المسيح هو أعظم من بشر بالرغم أنه صار بشراً. لأنه إن كان قد صار إنساناً حسب الجسد، فهو أصلاً أعظم من إنسان، ولما صار إنساناً ظل أعظم من إنسان، لذلك جاء التكميل حتمياً: أما حسب الروح فتعيَّن ابن الله!! أي إلهاً بلا نزاع. والمعنى يكون (الذي هو ابن الله صار إنساناً بجسد منظور، فلما مات وقام من الأموات بقوة حياة جديدة تحدَّد أنه هو هو ابن الله الذي كان قد صار جسداً)!

ق. بولس يتكلم هنا من التقليد الشفاهي الكنسي الذي لقَّنه الرسل للكنيسة. ولكن كون ق. بولس يُرَدِّدهُ كأمر صائر من واقع المسيح وشخصه، فهذا ينبيء أن ق. بولس استلهم من المسيح ما يصادق على هذا الحق التقليدي الموروث.

نحن نعلم تمام العلم أن المسيح وافق الأعمى ابن تيماوس في صراخه للمسيح منادياً: «يا يسوع ابن داود ارحمني» (مر١٠: ٤٧). أما المسيح فيرتفع بهذا المفهوم إلى أن ابن داود **هو رب داود بآن واحد**، وذلك في الحوار البديع الذي دار بين المسيح وتلاميذه بخصوص ما جاء في مزمور داود ١١٠: ١ (أنظر مر١٢: ٣٥—٣٧). ولكن على كل حال فهنا الإشارة واضحة أنها تخص ملوكيته المسيَّانية وليس تصويراً لحالة اتضاع.

أما بخصوص النبوات التي تحققت في المسيح بهذا الشأن، فهما اثنتان واحدة لناثان النبي مع داود والأخرى لإشعياء:

+ «كان كلام الرب إلى ناثان (النبي) قائلاً: اذهب وقل لعبدي داود ... متى كمُلَت أيامك واضطجعت مع آبائك، أُقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك **وأُثبِّت مملكته، هو يبني بيتاً لاسمي** (في ثلاثة أيام أقيمه) **وأنا أُثبِّت كرسي مملكته** (مملكتي ليست من هذا العالم) **إلى الأبد**. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.» (٢صم٧: ٤و٥ و ١٢—١٤)
+ «ويخرج قضيب من جذع يسَّى — (أبي داود) — و ينبت غصن من أصوله **ويحل عليه روح الرب ...**» (إش١١: ١و٢)

١ : ٤ «**وتعيَّنَ ابنَ الله بقوةٍ من جهة (حسب) روح القداسةِ بالقيامةِ من الأموات يسوعَ المسيح ربِّنا**».

«تعيَّن»: ὁρισθέντος

أصل الكلمة ὅρος وتعني «**حدود**» ومنها «يحدد» ὁρίζω (٥)، و يقول عنها ذهبي الفم: [ما معنى يحدد إذاً؟ يعني يُعيِّن أو يُظهر أو يُقيم أو يُعترف به من الجميع.](٦)

المعنى الذي استقر لدى العلماء يفيد «تحقق» **vindicated**. **فهو ابن الله أولاً الذي صار جسداً** أي تجسد في صورة مختفية كإنسان، ولكن عاد فظهر «وتحدَّد» أنه ابن الله لمَّا قام من الأموات بقوة روح القداسة الذي فيه، وكان مختفياً فاستُعلن. وهي نفس الكلمة التي جاءت في سفر الأعمال لتفيد التعيين أو التحديد: «ونشهد بأن هذا هو المعيَّن ὡρισμένος من الله ديَّاناً للأحياء والأموات» (أع١٠: ٤٢). هنا التعيين أو التحديد لا يفيد حدوث شيء جديد لشخص المسيح أو لطبيعته؛ بل مجرد التحقق مما له أو تحديد هويَّته أو وضعه فيما هو له أصلاً، بمعنى جلوسه على عرش بنوَّة الله. فالقيامة من الأموات لم تعطِ للمسيح شيئاً جديداً؛ بل كشفت حقيقته — «أنا هو القيامة والحياة» (يو١١: ٢٥) — التي كانت مختفية في بشريته، وهي قوة لاهوته التي فيه والتي لم تفارقه قط باعتبار أن القيامة من الأموات معجزة إلهية عظمى، **فهي قوة الله**.

لذلك جاء تعيينه بقوة أنه ابن الله، لما قام من الأموات كما هو بقوته الذاتية التي قام بها من الموت بجلال عظيم، والتي عبَّر عنها ق. بولس بـ «روح القداسة». والقديس بولس لم يقل الروح القدس وإلاَّ يُفهم أن الذي أقامه هو الأقنوم الثالث، ولكن الحقيقة أن لاهوته الخاص المعبَّر عنه بروح القداسة هو الذي به قام، وقد كان فيه ولم يستحوز عليه بالقيامة ولكن كان فيه، وهو الذي حفظ الجسد بدون فساد إلى أن أقامه من بين الأموات. علماً بأنه من الخطأ والخلط أن يُفهم أن الروح يؤثر ويعمل في المسيح، ولكن الحقيقة والواقع أن المسيح يعمل بالروح. على أنه حينما يقول الكتاب **إن الله أقامه من بين الأموات** (رو٦: ٤)، فهو التعبير عن الواقع المنظور للإنسان، ولكن الحقيقة أنه هو والآب واحد، والآب حالٌ فيه، فهو في الله والله فيه، وهو الله مع الآب. لهذا يقال أن الله أقامه كما يُقال أنه هو قام بإرادته وسلطانه وحده (١تس٤: ١٧)، «لي سلطان أن أضعَها ولي سلطان أن آخذها أيضاً.» (يو١٠: ١٨)

5. Leon Morris, *op. cit.*, p. 44 n. 46.
6. Chrysostome, *op. cit.*, *ad. loc.*

وهكذا فعبارة «تعيَّن ابن الله» هي في مقابل «صار من نسل داود»، ولكنها تفيد «استلم علناً ما هو له — أي البنوَّة لله. وهنا كلمة «**بقوة**» تفيد قوة القيامة من الأموات بمجد وسلطان إلهي، لأن قوة القيامة من الأموات لا تعادلها أية قوة في العالم، **فهي قوة إلهية** بروح القداسة الذي فيه. وعملية التوازي التي انشغل بها العلماء بين الآيتين لتخدم قضية الطبيعتين في المسيح دخيلة على ق. بولس، ولا تخدم إلاَّ النزاع اللاهوتي الكنسي الذي انتهى إلى مجمع خلقيدونية بالتقسيم بين الطبيعتين اللتين للمسيح بصورة صارخة تمس الاتحاد الذي صار إليه التجسد. فالقديس بولس يقسِّم حياة المسيح وليس طبيعته إلى مرحلتين، وليس إلى طبيعتين: المرحلة الجسدية بالظهور الأرضي بالميلاد من نسل داود، والمرحلة الروحية بالظهور أو الاستعلان السمائي الروحي بالقيامة من الأموات لإعلان حقيقته.

وأيضاً محاولة العلماء قصر التوازي بين الآيتين لكي يخدم حالة الهوان والاتضاع في المسيح ليقابلها حالة القوة والمجد، هي أيضاً ليست واردة هنا بالذات في فكر ق. بولس. وربما بالعكس، فمرحلة الظهور الأرضي بالميلاد اتجه بها هنا ناحية داود ليستعلن من خلاله وعد «**الملوكية المسيَّانية**» وتثبيت كرسيها إلى الأبد وذلك **تحقيقاً لرجاء إسرائيل** وأحلامها في المسيَّا، ثم تعيينه ابناً لله بالقيامة من الأموات تفيد استلامه ما له، أي مجد البنوَّة الأسمى لله الذي له، ليصير «**رئيساً على كل ملوك الأرض**» (**رؤ١: ٥**) **والبشرية قاطبة**، «مملكتي ليست من هذا العالم» (يو١٨: ٣٦)، وذلك **تحقيقاً لخلاص العالم كله** وليس إسرائيل وحسب.

وهنا يلزم أن ننبه أن كلمة «**صار**» من نسل داود ليست هي «**صار**» جسداً ἐγένετο كما جاءت في إنجيل القديس يوحنا لتفيد الكينونة Being، ولكنها تفيد المجيء فقط γενομένου = descended. أي أن الفعلين «**صار**» من حيث الجسد و«**تعيَّن**» من حيث الروح لا يفيدان حالة الكينونة الطبيعية للمسيح، طبيعة الناسوت وطبيعة اللاهوت، ولكن يفيدان التحرك الذي كشف عن هويَّة المسيح كمسيَّا ثم باعتباره ابن الله، وليس طبيعته. خاصة وأن ق. بولس هنا يعرِّف مَنْ هو «**المسيح في شخصه**» وليس في طبيعته، لأن ق. بولس بالتالي ينسب نفسه وخدمته وإنجيله في مقدمة رسالته هذه لشخص المسيح وليس لطبيعته.

«**بقوة من جهة روح القداسة**»:

القصد الأساسي من هذا التعبير ليس لتوضيح «عامل القيامة» بل توضيح **مَنْ هو المسيح في شخصه**. فكما صوَّر لنا ميلاده من نسل داود ليعلن إنسانيته بالتجسد التي صار إليها وصارت فيه،

عاد في المقابل بسرعة ليصوِّر لنا حقيقته اللاهوتية. فهنا قوله: «من جهة روح القداسة»، يتحتم أن تكون ملتحقة بشخصه ومُشيرة إلى قوته الذاتية لتكمِّل الصورة عن مَنْ هو «يسوع المسيح ربنا». إذاً فقوله «من جهة روح القداسة» يفيد ظهور واستعلان شخصه الإلهي المستتر، أو لاهوته الذي كان قد احتجب إرادياً، ليظهر بالجسد بلا خوف ولا رهبة.

«**بقوة**»:

تتبع التعيين ولا تتبع القيامة بحد ذاتها، لأنها جاءت هكذا: «تعيَّن ابن الله بقوة»، وذلك في مقابل «**صار من نسل داود**». فكما كان **التنازل** في الظهور بالجسد كابن الإنسان، كذلك بالمقابل جاء **التعاظم بقوة** في استعلان بنوته لله! أي أن هذا الإعلان عن بنوته لله جاء بقوة، وهذه القوة وضحت في القيامة من الأموات، التي هي أصلاً ليست من اختصاصات إنسان أيًّا كان!! لذلك نقول مرة أخرى، لهذا لزم أن تكون القيامة من الأموات خاصة كقوة له وفيه، معبِّرة ومُبرْهِنة عن بنوَّته لله أي لاهوته.

«**من جهة روح القداسة**»: κατὰ πνεῦμα ἁγιωσύνης

κατά تُترجم «**حسب**» أفضل.

تماماً في مقابل «صار من نسل داود **بحسب الجسد** κατὰ σάρκα»، بمعنى أنه كما بحسب الجسد هو ابن داود؛ كذلك هو بحسب «**روح القداسة**». وهنا **إشارة واضحة إلى الطبيعة الروحية الإلهية** في شخصه، بمعنى أنه إن كان قد صار ابن داود فهذا بحسب الجسد الذي أخذه لنفسه، ولكنه هو ابن الله بحسب روح القداسة الذي له أصلاً، أي لاهوته. فالقصد الأساسي عند ق. بولس من هذه الآية **هو التعريف بشخص يسوع المسيح ربنا**.

ولكن هذا لا يمنع أن يُقال أن الله أقامه من الأموات أو أن الروح القدس أقامه من الأموات، فهذا يثبت أن القيامة من الأموات عمل اختُصَّ به الله في اتجاه البشرية التي يمثلها المسيح، عمل اشتركت فيه الأقانيم الثلاثة بالضرورة، لأن قيامة المسيح بالجسد حُسبت لحساب الإنسان. **فالآب** برَّره في القيامة لكي يتبرر فيه كل مَنْ يؤمن بالقيامة: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى (الفداء) **الله ظهر في الجسد "تبرَّر في الروح"** ...» (١تي٣: ١٦)، **والروح القدس** أعلن قداسته لكي يستعلن قداسة كل مَنْ يؤمن بقيامته، **والابن** أعلن بنوَّته لله لكي ينال التبنِّيَ لله كلُّ مَنْ آمن بقيامته. لذلك فكل مَنْ اعتمد، فهو حتماً يعتمد باسم الآب والابن والروح القدس! لينال الحياة الجديدة بالقيامة من الأموات.

«بالقيامة من الأموات»: ἐξ ἀναστάσεως νεκρῶν

وترجمتها الحرفية: "القيامة من بين الأشخاص المائتين".

هنا يلاحظ أن ق. بولس يشدِّد على الجمع في كلمة «الأموات»، فهو ليس قيامة من الموت حسب، لأن هذه تكون صورة فردية لقيامة المسيح محصورة في ذاته، ولكن يجمعها لتكون بالقيامة من الأموات أو «مِنْ بين» الأموات لتصحَّ عربياً، حتى يمهد الذهن ويحصره لما تؤول إليه قيامته من قيامة الأموات الذين آخاهم كبكرٍ بين إخوة. لذلك يدعوه ق. بولس عن جدارة: «هو البداءة **بكرٌ من الأموات**» (كو١: ١٨)، «وإن كان روح الذي أقام يسوع **من الأموات** ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح **من الأموات** سيُحْيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)

ويُلاحَظ دائماً في لاهوت ق. بولس أنه عندما يتكلم عن مجيء المسيح من نسل داود، فهو يشير إشارة مباشرة إلى حقيقة أنه المسيَّا الموعود لليهود كملكٍ أبدي. وحينما يتكلم عن المسيح كمولود، فهو يشير إشارة مباشرة إلى مجيء «يوم الرب» وتحقيق بدء إسخاتولوجيا الأنبياء في العهد القديم بالنسبة للدهر الآتي واكتمال الدهور(٧).

١: ٥ **«الذي به لأجلِ اسمِهِ قَبِلْنا نعمةً ورسالةً لإطاعةِ الإيمانِ في جميعِ الأممِ».**

ق. بولس هنا يتكلم بفم المسيحيين عامة ثم عن نفسه. فكمسيحيين يقول: «قَبِلْنا نعمة»، وعن نفسه يقول: «ورسالة»، وهذا توضحه آية قادمة في الأصحاح ١٢: ٦: «ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا ...».

«الذي به قَبِلْنا نعمة»:

النعمة هي عطية الله المجانية لكل مَنْ يؤمن والتي لا تُعطى بحسب الاستحقاق أو لأي جهود ذاتية، فهي من جانب واحد، وهو الله الذي رأى أن يعطي بحسب غنى مجده وبمقتضى فقر الآخرين: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو٣: ٢٣و٢٤). ويلاحظ أن ق. بولس يوضح أن قبولنا نعمة الله هو بواسطة المسيح. وتوسُّط المسيح معروف أنه تم بالفداء الذي أكمله على الصليب. فالقديس بولس نال مع الآخرين

7. Barrett, *The Ep. to Rom.*, p. 20.

نعمة الفداء والتي من خلالها قَبِل، بنوع من التعيين والاختيار، الرسولية أيضاً. والملاحظ أن ق. بولس قَبِل الاثنين في وقت واحد لا فارق زمنياً بينهما على الإطلاق، فقد دُعي للرسولية ومعها النعمة المجانية، وهذا هو الاستثناء الأول في كل أسفار العهد الجديد. لذلك ظل ق. بولس ينادي بمجانية النعمة طول حياته، بل ويكاد يصرخ في وجه كل واحد يحاول أن ينالها بجهده أو بعمل الناموس. والرب صمم أن يدعوه للرسولية ويداه ملطَّختان بدم الذين استشهدوا تحت يديه، ووهبه نعمته وهو بحال رديئة للغاية، وهكذا أظهر الله في ق. بولس طول أناته وقوة رحمته وغنى صفحه عن الخطايا السالفة بل وتغاضى عن جهله وعدم إيمانه. وذلك كله لكي يستطيع بولس أن يبشر بهذا كله وعلى أساس هذا كله:

+ «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قوَّاني **أنه حَسِبَني أميناً، إذ جعلني للخدمة، أنا الذي كنتُ قبلاً مجدِّفاً ومُضطهِداً ومفترياً ولكنني رُحِمْتُ لأني فعلت بجهل في عدم إيمان، وتفاضَلَتْ نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة** التي في المسيح يسوع.» (١تي١: ١٢ـ١٤)

«لإطاعة الإيمان لأجل اسمه في جميع الأمم»:

إن النعمة المجانية واختيار الرسولية ــ بهذا الشكل الفريد الذي دُعي به بولس الرسول ــ كانت هي القوة المتفجرة في قلب ق. بولس للعمل بلا هوادة، بل وبكل سلطان النعمة لإطاعة الإيمان بين الأمم، عالماً بأن حالهم السيء جداً والرذيل للغاية لم يكن أسوأ ولا أرذل من حاله هو (بولس) وهو على طريق دمشق. فكما ألزَمَتْ النعمة بولس، لما تفاضلت جداً عليه، أن يتبع الرب، هكذا وضع بولس في قلبه أن يُلزِم كل إنسان بالنعمة أن يأتي للرب:

+ «... المسيح فيكم رجاء المجد، الذي ننادي به منذرين كل إنسان ومعلِّمين كل إنسان بكل حكمة، لكي نُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع، الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.» (كو١: ٢٧ـ٢٩)

وبولس الرسول يركِّز ويشدد على كلمة «**لإطاعة**» كمن يملك سلطة الإلزام بالطاعة، وهي قوة نعمة الله التي فيه، وكان يملكها حقاً من واقع أمرين: رداءة سيرته السابقة ومحبة المسيح الفائقة: «مُسْتَأْسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠: ٥). فقوة إقناع ق. بولس تأتي من خبراته الرديئة جداً وقوة نعمة الله الفائقة جداً معاً.

وق. بولس يكتب هذا من واقع شعوره أنه هو الرسول الوحيد المختار ــ ليس عن تأهيل،

والمعيَّن من الله، بمقتضى أمر النعمة ــ لخدمة الأمم التي كان يعتز بها ويفتخر: «فإني أقول لكم أيها الأمم بما أني أنا رسول للأمم أُمجِّد خدمتي.» (رو١١: ١٣)

«لأجل اسمه»:

رجعة مبدعة من ق. بولس حتى لا يظن السامع أو القارىء أن الإنجيل والإيمان والطاعة والرسالة والنعمة ينتهي عملها عند الأمم كغاية، كلاَّ، بل كل ذلك هو **«لأجل اسمه»**!! أو كما يقول ويتغنى ق. بولس بذلك في رسالته إلى أفسس: «إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته، **لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب**، ... لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح» (أف١: ٥و٦و١٢). صحيح أن خدمة الرسولية عند ق. بولس هي للأمم ولكنها بالنهاية **«لأجل اسمه»**!!

والقديس بولس يرفع الأمم فوق هامة رأسه تقديراً وتبجيلاً ولكن "من أجل اسمه": «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً، ولكن بأنفسنا **عبيداً لكم من أجل يسوع**.» (٢كو٤: ٥)

٦:١ **«الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوُّو يسوع المسيح».**

«بينهم» في المكان لأن روما هي في وسط العالم الوثني أي الأمم، وفي الإنجيل لأنهم مدعوون بالكرازة بيسوع المسيح، وهنا تأتي دعوتهم على مستوى دعوة بولس وإن كانت تتفاوت جداً في الرتبة، فهؤلاء لدعوة الإيمان كمؤمنين، وهذا لدعوة إطاعة الإيمان كرسول، ولكن كرامة الدعوة من كرامة الداعي، فهم في نظر ق. بولس مُكرَّمون وقديسون بسبب طاعتهم لدعوة إنجيل المسيح.

٧:١ **«إلى جميع الموجودين في رومية، أحباءَ الله مدعوِّين قديسين. نعمةٌ لكم وسلامٌ من الله أبينا والربِّ يسوع المسيح».**

لو لاحظ القارىء ودقق في الملاحظة، لوجد في الآية (١: ٥) أن ق. بولس يخاطب الأمم: «في جميع الأمم الذين بينهم أنتم». هنا يستدرك ق. بولس ليضم اليهود المتنصِّرين في شمولية: «إلى جميع الموجودين في رومية».

«أحباء الله مدعوِّين قديسين»:

هنا يضم المحبة الأُولى التي برَّحت بقلب يهوه من نحو شعبه المختار، والكلام في هذا الأمر

كثير، إلى المحبة الثانية والأقوى والأكثر دوماً التي في المسيح يسوع ومن أجله. فالكلام هنا لليهود والأمم في الإنجيل الواحد. وهذه المحبة، محبة الله، هي نفسها التي ربطت قلب الرسول بهم، فالذي دعاه دعاهم والذي أحبَّه أحبَّهم. وحينما يقول ق. بولس: «مدعوِّين قديسين»، فهو يكرِّم دعوتهم التي للقداسة. فالدعوة لأتِّباع الله هي دعوة إفراز واعتزال من وسط العالم للالتصاق بالله، وهي هي بعينها دعوة للقداسة. إذاً، فهم مدعوُّون ليكونوا قديسين.

والقداسة أو التقديس تتعدى التخصُّص لله إلى قبول روح الله للتقوى والطهارة والقلب العابد.

ولا يفوت على القارىء أن المسيحية عند ق. بولس قداسة، والإيمان بالمسيح هو تقديس، والمؤمنون بالمسيح قديسون هم!

ولكن «الشعب المقدَّس» «وقديسي الله العليّ»، تقليد نبوي منذ العهد القديم، يوصف به شعب الله المتمسك بالله. هكذا يصف الروح لدانيال النبي كيف سيملك شعب الله بعد ضيق الأيام ويكونون مملكة أبدية: «والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء **تُعطى لشعب قدِّيسي العلي**، ملكوته ملكوت أبدي.» (دا٧: ٢٧)

والآن، ورث المسيحيون هذا الوعد، وصاروا شعباً لله العلي بالإيمان والاختيار والمحبة والتبنِّي التي خصَّهم بها الله في شخص ابنه يسوع المسيح. وهكذا ورثوا لقب «قديسي العلي» والمملكة هي ملكوت الله، والعربون تسلَّم لنا وهو قائم في قلوبنا.

«نعمة لكم وسلام = χάρις καὶ εἰρήνη»:

وهبة النعمة χάρισμα هي دعاء إفخاريستي من عمق الليتورجيا الكنسية، ويبدو أنه كان هو الدعاء المسيحي السائد في الكنيسة الأُولى، ولكن كان يُلقى من الأسقف للشعب، لأن «هبة النعمة» هي هبة رسولية أو أسقفية χάρισμα. وقد وردت في قول ق. بولس هكذا: «لأني مشتاق أن أراكم لكي **أمنحكم هبة روحية** لثباتكم.» (رو١: ١١)

والنعمة في أصلها هي محبة الله التي تنسكب إزاء الإيمان بالله. والقديس بولس لا يعطيها من ذاته، بل من ملء حضور المسيح الذي أصبح هو حياته: «لي الحياة هي المسيح» (في١: ٢١)، «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). فالنعمة التي يهبها ق. بولس هي نعمة محبة الله الموهوبة له في المسيح ذات العطايا المتعددة، فهي نعمة الله والمسيح.

كذلك السلام، هو حالة توجد فيها النفس من جراء حضور الله في شخص يسوع المسيح حيث

ترفع عن الإنسان كل ضغطة العالم والشرير. فسلام الله أعلى بكثير من السلام الذي يشعره الإنسان عند الراحة النفسية، لأنه حالة مقيمة في أعماق الروح والنفس بسبب حضور المسيح، فهو سلام «لا يُنزع» بحسب قول المسيح (يو١٦: ٢٢). لأن لا أحد ولا أي شيء يقدر أن ينزعه منا، لا أحد ولا شيء يقدر أن يفصلنا عن المسيح وعن محبة الله التي لنا في المسيح (رو٨: ٣٥ـ ٣٩)، لأن المسيح نفسه موجود في إقامة روحيَّة سرِّية بقوة داخل النفس والروح.

ولا ننسى أن هذه الحالة هي أعلى وآخر معيار روحي طلبه لنا المسيح من الله أن يكون لنا وقد كان: «وعرَّفْتُهم اسمك، وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٦)

وق. بولس يعرِّف نوع هذا السلام بأنه يفوق العقل ويحفظ الفكر والعقل في المسيح: «وسلام الله الذي **يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع.**» (في٤: ٧)

وواضح من مضمون النعمة والسلام أنهما عطيَّتان متحدتان توجدان معاً، وكلٌّ منهما تؤازر الأخرى في قلب الإنسان. ليت الله يهبهما بحسب سخاء غنى نعمته لكل قارىء.

وبهذه الافتتاحية يكون ق. بولس قد قدَّم نفسه مُعرَّفاً برسالته وإنجيله، وقدَّم إنجيله مُعرِّفاً بالمسيح المسيَّا وابن الله. ثم موضحاً علاقته المهنية (كرسول) بالأمم و بالتالي بروما والموجودين فيها، باثَّاً فيهم النعمة مع السلام من لَدُنِ الله الآب والمسيح يسوع.

ثم بعد ذلك يدخل ق. بولس في الغَرَض الذي من أجله كتب الرسالة.

[١ : ٨ ـ ١٥] الغرض من الرسالة

القديس بولس يعتبر نفسه، في أدب جم، مسئولاً عن روما!! فهو الرسول الوحيد للأمم، وروما عاصمتهم جميعاً؛ فإن كان قد خدم من أورشليم حتى إلى إلليريكون، أي الجزء الشرقي من إمبراطورية الأمم، ولم يَعُدْ فيها مكان بعد لم يؤسس فيه كنيسة لاسم المسيح، فقد صوَّب نظره ناحية الغرب إلى أسبانيا مروراً بروما، لا كأنها الأقل بل لأنها الباب المفتوح نحو الغرب. وشرح لهم كيف كان يطلب التصريح من الله بصلوات أن يفتح له الرب الطريق إليهم.

ثم، وفي أدب كثير، يشرح لهم الأسباب التي عوَّقته عن المجيء إليهم هذه المدة الزمنية بطولها،

ولكن الأمر الذي نستغرب له هو مخاطبتهم بكثير من الرقة التي تبلغ حد التنازل عن مستوى الاعتداد برسوليته التي نعرفها عن ق. بولس فيقول لهم: «لنتعزَّى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً **إيمانكم وإيماني**» (رو١: ١٢). ولكن يبدو أن وجود رسولَيْن للمسيح ـ مشهورَيْن بين الرسل ـ بين أهل روما يقول عنهما أنهما كانا قبله في المسيح مما يفيد أنهما من تلاميذ المسيح القدامى، أن ذلك هو الذي جعله يُحجم عن فرض لغة رسوليته من المستوى الأعلى: «سلِّموا على أندرونكُوس ويونياس نسيبيَّ المأسورين معي **اللذين هما مشهوران بين الرسل، وقد كانا في المسيح قبلي.**» (رو١٦: ٧)

ولكن مهما كان من أمر الرسولَيْن المشهورَيْن، فهما من رسل الختان، أما بولس الرسول فهو الوحيد المعيَّن رسولاً للأمم، فالضرورة تُلْزِمه أن يمنح روما هبة من رسوليته، ونحن لا نجهل معنى: «**الهبة الخاصة برسوليته**» هنا، **فهي نعمة إنجيل المسيح بدون الختان أو السبت أو الناموس!!** أي هي هبة حرية أولاد الله من قيود الناموس وتخريجات الفريسيين(٨).

ثم هبة إنجيل الغرلة الذي يكرز به ق. بولس تمتد لتشمل الإعلان عن **برِّ الله الذي ظهر في المسيح يسوع**، مشهوداً له من كافة الأنبياء! من هذا نفهم مدى إلحاح الروح على ق. بولس ومدى إلحاح ق. بولس على الله أن يفتح له الطريق نحو روما، لا لأن روما لم تكن قد بُشِّرت بالمسيح، فهي قد بُشِّرت والإيمان فيها فعَّال، ولكن لأن الإنجيل المعمول به في روما هو إنجيل الختان، أي التمسك بوصايا الناموس وأعياده وسبوته والختان مع كل عوايد اليهود من غسل وتطهير ونوافل عبادة فقدت قيمتها بالنسبة للخلاص الذي ظهر بظهور المسيح.

من هنا كان همُّ ق. بولس الذي أقْلَقَه سنين كثيرة، وكانت صلواته وتثقيل الروح عليه، كل هذا دفعه أن يُسرع في فكِّ قيود الإيمان المسيحي هناك من الناموس وملحقاته، لئلا تضرب جذورها ويصعب اقتلاعها فيما بعد. هنا نفهم قوله: «كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعاً دائماً في صلواتي عسى الآن أن يتيسَّر لي مرة بمشيئة الله أن آتي إليكم» (رو١: ٩و١٠)، «مراراً كثيرة قصدتُ أن آتي إليكم ... ليكون لي ثمر (رفع معوقات الإيمان المسيحي من تسلُّط الناموس) فيكم أيضاً كما في

(٨) بولس الرسول كان يمنح السامعين له هبة «الإيمان» بقوة تعطيهم **الثبات في المسيح**، لأن الإيمان الذي كان يستعلنه لسامعيه هو **إيمان بحضور المسيح فيهم وبفعل الروح القدس باقتناع داخلي فعَّال**. وسوف نرى في عروض الرسالة أن الإيمان الذي كان يسلِّمه ق. بولس لسامعيه كان هو الإيمان الحي الفعَّال الذي لا ينفصل عن المسيح موضوعه ومُعْطِيه، فلا يمكن أن نأخذ الإيمان دون أن نأخذ المسيح، ولا يمكن أن نؤمن بالمسيح دون أن يكون المسيح هو العامل فينا بالإيمان، وليس بأعمال الناموس بعد.

سائر الأمم» (رو١: ١٣). بل ونفهم معنى قوله: **«ما هو لي»** في هذه الآية: **«فهكذا ما هو لي مستعدٌ لتبشيركم** أنتم الذين في رومية أيضاً لأني لست أستحي **بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل مَنْ يؤمن»** (رو١: ١٥و١٦). فما هو الذي لبولس خاصة والذي هو مستعدٌ للتبشير به، إلاَّ ما يختص برسوليته للأمم بحسب إنجيل الغرلة؟ أي الإيمان الحرُّ النقي ــ بالرب يسوع الميت والمُقام ــ الخالي من وصايا الناموس وتعقيداته ومن التقيُّد بالأوقات والسنين والشهور ولا تَمَسّ ولا تَذُق؟ هذا هو قوة الإيمان المسيحي بحسب إنجيل بولس للأمم، الذي بحسب تعبيره هو **«قوة الله للخلاص»**.

١ : ٨ **«أولاً أشكرُ إلهي** (الله الذي لي) **بيسوع المسيح من جهةِ جميعكم أن إيمانكم يُنادَى به في كلِّ العالم».**

أولاً وقبل كل شيء، يُبرِّئ ق. بولس ذمة رسالته من نيَّة تعليمهم الإيمان، فإيمانهم مُعترَف به ومشهود له في كل العالم. إذاً، ومن البداية، يوجِّه ق. بولس سهمه الروحي الحاذق إلى **تنقية الإيمان**، وليس تلقين الإيمان. فإن كان لهم إيمان بالمسيح قبل هذا، فلله الشكر والحمد، إذ قد أصبح توجيه إيمانهم إلى النعمة الخالصة بعيداً عن الناموس والوصايا الجسدية أسهل، والطريق إليه مفتوح. هذا من جهة اليهود المتنصِّرين أهل الختان الذين أخذوا المسيح على أساس الناموس الذي عتق وشاخ وهو على ميعاد مع الزوال!

أما من جهة الوثنيين الذين اقتبلوا المسيح على أيدي متنصِّري اليهود، فقد أتاهم الفرج ليُعتقوا نهائياً من أية محاولة للتهويد.

هذا القصد الدفين من وراء الآية كشفناه أمام القارىء ليدخل إلى مضمون الرسالة كلها على نور مع ق. بولس.

أما من جهة تركيب الكلام واللغة فلا يمكن أن يفوتنا تعبير ق. بولس عن علاقته بالله حينما يقول:

«إلهي»: τῷ θεῷ μου

هنا التركيب ليس في صيغة مضاف ومضاف إليه بل: سيد مالك، وعبد مملوك، فهو إلهُه لأن الله قد مَلَكه، ومَلَكه بثمن غالٍ جداً وهو دم ابنه الوحيد!! اسمعه وهو يحكي ويتباهى بعلاقته هذه بالله والمسيح هكذا: «لأنه وقف بي هذه الليلة **ملاك الإله الذي أنا له، والذي أعبده** قائلاً: لا

تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر ...» (أع٢٧: ٢٣و٢٤). فالقديس بولس باع نفسه لله الذي اشتراه.

على أن ق. بولس الذي يدعو نفسه «عبد ليسوع المسيح»، يرى الله الذي هو أبو ربنا يسوع المسيح أنه **أبونا أيضاً**: «الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب **إرادة الله وأبينا** τοῦ θεοῦ καὶ πατρὸς ἡμῶν .» (غل١: ٤)

فالقديس بولس يعبد الله والمسيح عبادة حب ومسرَّة، ليس عن قهر أو فرض أو إجبار. فالله بعد أن أظهَرَ غِنَى حبه لنا في شخص ابنه وورَّثنا ميراث البنين، صار لنا إلهاً وأباً معاً؛ إلهاً نعبده وأباً نتفانى في حبه.

١ : ٩ **«فإن الله الذي أعبُدُهُ بروحي في إنجيلِ ابنِه، شاهدٌ لي كيف بلا انقطاعٍ أذكرُكُم».**

«أعبده بروحي»: λατρεύω ἐν τῷ πνεύματί μου

ق. بولس يفرِّق بين العبادة بحسب الفروض والواجبات الموضوعة مع الترتيبات التقليدية المسلَّمة، وبين العبادة بالروح. فكل عبادة بالجسد يرتفع بها ليجعلها عبادة بالروح على أساس نظرية الختانة للقلب والأذن في مقابل ختانة الجسد. فالثانية بدون الأُولى غُرْلَة، والأُولى بدون الثانية طَهارة وقداسة: «لأننا نحن **الختان الذين نعبد الله بالروح**، ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد ...» (في٣: ٣)، «لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً ... بل ختان القلب بالروح ... الذي مَدْحُه ليس من الناس بل من الله.» (رو٢: ٢٨و٢٩)

هنا ق. بولس يقصد من قوله: «أعبده بروحي»، عبادة القلب التي تنفرد بها روح الإنسان في داخله دون أن يظهر بها للناس، **فهي** عبادة صادقة جداً لأنها تخلو من أية مظاهر أو ادِّعاء أو افتخار، هي في الحقيقة انسحاق قلب وخضوع للنعمة بإحساس وجود الله في الداخل.

«في إنجيل ابنه»:

لقد أصبح إنجيل المسيح، أي الأخبار السارة التي تختص بالمسيح، من جهة الموت والقيامة والخلاص الذي أكمل، هي حدود و بنود عبادة ق. بولس وخدمته وكرازته وتقواه التي يقدمها لله عوض حدود و بنود الناموس.

«شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم»:

ق. بولس يستشهد الله على ما كان في فكره وما كان في ضميره دائماً كلما وقف للصلاة أمام الله أو كلما جاء ذكر روما في مخيلته، هذا يعبِّر عنه بقوله: «بلا انقطاع»:

+ «فإن **الله شاهد لي كيف أشتاق** إلى جميعكم في أحشاء يسوع المسيح.» (في ١ : ٨)
+ «ولكني **أستشهد الله على نفسي** أني إشفاقاً عليكم لم آتِ إلى كورنثوس.» (٢كو ١ : ٢٣)
+ «فإننا لم نكن قط في كلام تملُّق، كما تعلمون ولا في عِلَّة طمع، **الله شاهدٌ**.» (١تس ٢ : ٥)
+ «**أنتم شهود والله** كيف بطهارة وببر وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين.» (١تس ٢ : ١٠)
+ «**الله** أبو ربنا يسوع المسيح، الذي هو مبارك إلى الأبد، **يعلم** أني لست أكذب.» (٢كو ١١ : ٣١)
+ «والذي أكتب به إليكم **هوذا قدام الله أني لست أكذب** فيه.» (غل ١ : ٢٠)

والقديس بولس يستشهد الله هنا في رسالته إلى أهل رومية ليؤكد لهم أنه ــ ودون أن يعلموا أو يطلبوا ــ كان يصلِّي وكان يذكرهم أمام الله طالباً دائماً أن تُفسح له مشيئة الله للذهاب إليهم، ولكن مُنع. ونحن نعلم أن الروح القدس هو الذي كان يفتح ويغلق طريق الخدمة أمامه حسب نعمة الله وتدبيره.

+ «وبعد ما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في آسيا.» (أع ١٦ : ٦)
+ «فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بثينيَّة فلم يَدَعهم الروح.» (أع ١٦ : ٧)

١٠:١ **«متضرِّعاً دائماً في صلواتي عسى الآن أن يتيسَّر لي مرَّةً بمشيئةِ الله أن آتيَ إليكُم».**

لماذا؟؟؟

هنا كان إلحاح ق. بولس بالتضرع الدائم في الصلاة لكي يسهِّل الله طريقه إلى روما، كما ذكرنا سابقاً، **كان من واقع مسئولية كانت تثقل كاهله من جهة البشارة في روما عاصمة العالم كله بإنجيله، إنجيل الغرلة الذي بلا ناموس ولا سبت ولا ختان ولا أي من عوايد اليهود، هذا بحسب دعوة المسيح له لخدمة الأمم. لأن ق. بولس كان يرى أن خلاص**

الأمم يتوقف بدرجة قصوى على قبول الإيمان المسيحي دون رجعة إلى التهوُّد، عالماً ومتيقناً أن الناموس بكل مشتملاته وطقوسه كان قد حُكم عليه بالزوال، فأيُّ مزج للإيمان المسيحي باليهودية ــ وكانت هذه بدعة في الكنيسة الأولى ــ سيعرِّض البشارة بين الأمم إلى التوقف بل إلى الزوال. من هنا يظهر لنا سر الإلحاح العجيب الذي كان يتأجج في قلب ق. بولس ويستشهد بالله على نفسه كيف كان يصلي ويتضرع ويذكر هذا الأمر بلا انقطاع!

ويؤسفنا غاية الأسف أن هذا الأمر فات نهائياً على جميع الشُّرَّاح وبلا استثناء، فجاء شرحهم لهذا الإلحاح عند ق. بولس كمحاولة مستميتة للخوض في مفهوم الكلمات وحسب، ولفُّوا وداروا بلا أي مقصد، حتى بات الشرح مُملاً مصطنعاً، لا يتناسب قط مع حقيقة غيرة ق. بولس وصِدْق دعواه وإخلاص نيته واستشهاد الله على ما في ضميره: أنه يودُّهم أن يكونوا في إيمانهم بالمسيح غير مديونين بعد للناموس بكل أعماله.

١١:١ **«لأني مشتاقٌ أن أراكُم لكي أمنحكم هِبَةً روحية لثباتِكم».**

صحيح أن ق. بولس لم يكن يعرف من كل الموجودين في روما سوى حوالي ستة عشر شخصاً فقط، فهل كان هذا الشوق لهذا العدد وحسب؟ ثم أنه يذكر عن الذين يعرفهم أن إيمانهم كان صحيحاً وأن بعضهم كان قبله في المسيح، فهل إلى هؤلاء فقط كان يشتاق أن يمنحهم هبة روحية لثباتهم؟

في الحقيقة إن ق. بولس هنا إنما كان يخاطب جميع الموجودين في روما الذين سيقرأون والذين سيسمعون، فما هي هذه الهبة؟ بولس الرسول يتكلم من واقع رسوليته الفريدة الخاصة والمتخصِّصة للأمم! ونحن نعلم أن المسيحية التي دخلت روما لم تدخل عن طريق رسول الأمم، أي لم تدخل عن طريق إنجيل بولس، إنجيل الغُرلة، الإنجيل الذي بلا ناموس ولا سبت ولا ختان. إذاً، فالإيمان المسيحي القائم في روما قائم على أساس إنجيل الختان، إنجيل حفظ الناموس والسبت والختان وعوايد الناموس، الذي لا يصلح ولا يمكن أن يصلح للأمم، الذي يحمل ضرورة التهوُّد قبل قبول المسيح!!

واضح، إذاً، أن هبة **بولس** الرسولية التي يشتاق بل يلحُّ على الله وعلى الزمن أن تواتيه الفرصة لكي يهبها لمؤمني روما هي **الإيمان ببرِّ المسيح بدون ناموس ولا سبت ولا ختان ولا عوايد لليهود، بهذا يمكن أن يثبت إيمانهم ويدوم.**

١٢:١ **«أي لنتعزّى بينكم بالإيمانِ الذي فينا جميعاً إيمانِكم وإيماني».**

انظر، أيها القارىء، وتعجّب على تواضع هذا الرسول ورقّته التي بلغت إلى ما هو غير معقول. رسول يريد أن يتعزى بإيمان مَنْ يريد أن يبشّرهم بإنجيل المسيح؟؟ ولكن في الحقيقة ليس هذا تواضعاً منه ولا رقّةً بل هو المعقول، عين المعقول، فالرسول بالكلمات العذبة المهذبة التي تقطر ودًّا ولطفاً، يخفي نقداً واضحاً لكل ذي بصيرة، فهو يقول: «**إيمانكم وإيماني**»؟ هنا الإيمان بالمسيح يعاني في روما أموراً جعلته يختلف عن إيمان رسول الأمم.

واضح من الكلام أن ق. بولس في أدبه ورقّته يَعِدُهم بحوار أسماه «**تعزية**» ينتهي بهم إلى أن يصير إيمانهم هو إيمان بولس، الذي أخذه من المسيح بإعلان، ومن المسيح أخذ أمراً مُلزِماً أن يبشّر به، «فويل لي إن كنت لا أُبشّر.» (١كو٩: ١٦)

فبقدر ما يقدّم القديس بولس هنا هذا اللطف وهذا التودد لكي يبلغ إلى تحقيق رسوليته بالكرازة بإيمان المسيح كما تعلّمه من المسيح، بقدر ما تجده في مواضع أخرى لبلد آخر يكشف النقاب عن سلطان لا يلين لتنفيذ أمر رسالته باعتداد وجبروت: «هادمين ظنوناً وكل عُلْوٍ يرتفع ضد معرفة الله، ومُستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان، متى كملت طاعتكم.» (٢كو١٠: ٥و٦)

فلماذا الرقة في أمر روما!؟ لقد سبق وأن شهد ق. بولس لإيمان أهل روما أنه يُنادَى به في كل العالم. فهو إيمان بالمسيح يحمل غيرة متّقدة وفاعلية، فهو جدير بأن يشكر الله عليه كثيراً، وجدير بأن يَقْرُبَه ق. بولس بلطف أكثر حتى يضع لمساته الأخيرة عليه، أو بحسب قوله يهبهم هبته الروحية الرسولية ليصير إيمانهم صالحاً مؤسساً على صخر المسيح، فلا تزعزعه تعاليم الناس ووصايا كفيلة بأن ينقدها الضمير فتُنسى أو لا تستسيغها الروح وتبلوها الأيام فتَبْلَى، وتعصف بها البدع فتُطوى، أما الإيمان بالمسيح فهو كقول المسيح، على الصخر، صخر الدهور الذي يبقى!!

١٣:١ **«ثم لستُ أريدُ أن تجهلوا أيها الإخوةُ أنني مراراً كثيرة قَصَدْتُ أن آتي إليكم. ومُنِعْتُ حتى الآن ليكون لي ثمرٌ فيكم أيضاً كما في سائرِ الأمم».**

ق. بولس يكرر أن كرازته في روما كان معمولاً حسابها منذ زمن طويل، ورتب السفر لها مراراً ولكن في اللحظة الأخيرة يأتي المنع من فوق (أنظر شرح الآية ٩). وإلى الآن، أي إلى لحظة كتابة الرسالة، فإن النية والقصد موجودان ولكن التنفيذ لم يأتِ الإذن به من الله.

«ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم»:

هنا يكشف النقاب عن القصد القائم أساساً من ذهابه إلى روما، وهو مباشرة الكرازة بإنجيله الخاص بالأمم، أي التبشير بالإيمان ببر الله الذي ظهر بدون ناموس وهو مشهود له من الناموس والأنبياء، البر المجاني بالإيمان بيسوع المسيح ابن الله الذي بذله الله كفّارة لخطايا العالم يهوداً وأمماً، عِوَض البر بالناموس الذي لم يستطع أن يحصل عليه أحد، فأغلق على الجميع في العصيان لكي يرحم الله الجميع بالإيمان. وهذا أسماه ق. بولس: «ليكون لي **ثمرٌ** فيكم»، أي ثمر الكرازة بإنجيل الغُرْلة الخاص بالأمم، وهو الإيمان بالمسيح بدون ناموس كما حصل في سائر الأمم.

١٤:١ **«إني مديونٌ لليونانيينَ والبرابرةِ للحكماءِ والجهلاءِ».**

يلاحظ القارىء أن ق. بولس احتسب كرازته بإنجيله بين الأمم وحصوله على ثمر فيهم هو لحساب المسيح، فالمسيح وكّله على وكالة وأعطاه نعمة ورسالة وآزره بمواهب فوق العادة، وهكذا أصبحت بشارته بين كافة الوثنيين بكافة ألوانهم متوجبة عليه توجيباً: «فويلٌ لي إن كنت لا أبشر» (١كو٩: ١٦). هو دَيْنٌ عليه لكافة الأمم يصير همّاً عليه إن لم يُصَفِّ حسابه معهم بغاية ما يستطيع، كما يقول: «أُنفِقُ وأُنفَقُ لأجل أنفسكم» (٢كو١٢: ١٥)، حيث "أُنفِق" الأولى تعني صرف كل ما يملك، صحة وسهراً ومالاً وترحالاً، و"أُنفَق" الثانية تعني يموت كل يوم ميتات كثيرة، وهو في كل هذا بقدر ما يُنفِق ويُنفَق يزداد حساب رصيده لدى المسيح مجداً مذخراً له في السماء. لذلك نسمعه في آخر أيامه وهو على ميعاد مع سيف نيرون يقول: «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، **حفظت الإيمان (لحساب المسيح)، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر**، الذي يَهَبُهُ لي في ذلك اليوم الرب الديّان العادل.» (٢تي٤: ٧و٨)

أما أن ق. بولس يذكر تعدد الجنسيات وتعدد القامات الثقافية وامتياز الحكمة البشرية أو غيابها، فهذا لكي يوضح أن الإنجيل الذي يبشر به لا يعتمد على شيء من مثل هذه الامتيازات البشرية أو غيابه، لأنه إنجيل الحياة الجديدة للإنسان الذي يعطي طبيعة جديدة روحية لكل مَنْ يؤمن، لا فرق، مع نِعَم ومواهب روحية لا تعتمد على استعداد المواهب الطبيعية بل ترقى بها جميعاً: «فانظروا دعوتكم أيها الإخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدرَى وغير الموجود ليبطل الموجود. لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه.» (١كو١: ٢٦ــ٢٩)

١٥:١ «فهكذا ما هو لي مُستعدٌّ لتبشيرِكم أنتم الذين في رومية أيضاً».

الكلام هنا محصور في امتياز ما هو لبولس عن كل ما هو للآخرين: رسل وأنبياء ومعلمين، فما هو هذا الامتياز الخاص ببولس إلاَّ إنجيل الغرلة!!! الذي لا يقوم على أعمال الناموس ولا على السعي لنوال البر الذي بالناموس، بل البر المجاني، بر الله الخاص الموهوب للإنسان بالإيمان بيسوع المسيح: «الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥). هذا ما بشَّر به ق. بولس في جميع البلاد، وأسس عليه الكنائس، وحارب من أجله المحاربة الحسنة حتى وطَّد البر بالإيمان فوق البر بالناموس وزاد وقوي حتى أُلغى هذا الأخير من حساب ملكوت الله!

ويلاحظ القارىء هنا أن ق. بولس رفع الغطاء عن عملية الذهاب إلى رومية بدون مواربة وبدون استخدام الألفاظ المعسولة: «لنتعزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني»، وجعلها صريحة واضحة وضوح الشمس في الضحى: «مستعد لتبشيركم أنتم أيضاً». وما معنى هذا؟ إلاَّ أن إيمانهم يحتاج إلى مراجعة جذرية، بل وتعديل، بل وإحلال وإبدال ما عتق بما جدَّ: ناموس بنعمة، وخدمة حرف بروح، وأعمال بإيمان، وبرٌّ كالسراب؛ إلى برٍّ يدوم ما دامت الشمس وبعد أن تزول الشمس!

هذا هو الذي لبولس، هذا هو إنجيله.

ويلاحظ القارىء أن كلمة «تبشيركم» هي الفعل من اسم الإنجيل أي البشارة εὐαγγελίσασθαι.

وهنا يبدأ ق. بولس يفصح عن إنجيله الذي يبشر به ويكشف قوته. فما هو إنجيل المسيح عند ق. بولس؟

[١: ١٦و١٧] «إنجيل المسيح» بحسب القديس بولس الرسول

قلبُ الرسالة

١٦:١ «لأني لست أستحي بإنجيلِ المسيح لأنه قوَّةُ الله للخلاصِ، لكلِّ مَنْ يؤمنُ، لليهوديِّ أولاً ثم لليونانيِّ».

«لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطىء فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين.» (مر٨: ٣٨)

«لكنني لست أخجل لأنني عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم.» (٢تي١: ١٢)

«لست أستحي بإنجيل المسيح»:

المسألة ليست خجلاً نفسياً وكأننا نشعر بالنقص حينما نبشر بالمسيح، ولكن الأمر يتعلق بشهادة هي بحد ذاتها شهادة لمصدر قوة أعلى من كل العالم، قوة الله لخلاص الإنسان. فنحن نشهد لقوة تحمل الحياة للإنسان بل تحمل له قوة الخلاص نفسها. فكيف نستحي ونحن نبشر بقوة الخلاص؟ وافتخار ق. بولس بأنه لا يستحي راجع إلى أنه يستمد قوة من الإنجيل الذي هو مصدر قوة الخلاص والحياة.

والقديس بولس يضع هنا تفرقة مؤقتة بين الإنجيل وعمله بالإنجيل. فالقديس بولس يفتخر بالإنجيل باعتباره هو بحد ذاته قوة الله للخلاص، تلك القوة التي يجب أن نرفعها فوق مستوى أفق حياتنا وموتنا. فالقديس بولس أُهين مئات المرات في كل مدينة وكنيسة، فكانت كرازته كلها جروحاً ودموعاً، ولكنه كان يفتخر بإنجيل الله لأنه كان يستمد منه القوة والشفاء والإحساس الدائم أنه أعظم من منتصر. القديس بولس كان يستحي ويخجل من مرضه ولكنه لم يستح من جروح الرب وصليبه أبداً. القديس بولس مات، ولكن بقيت قوة الله التي كانت فيه والتي شددته حتى أكمل سعيه، وهي باقية في أسفاره يغتذي منها العالم، قوة الله للخلاص أقوى من حياتنا وموتنا وأقوى من كل العالم، هكذا عرفها ق. بولس وتعايش معها، لذلك لم يستح بإنجيل الله. والإنجيل هو قوة الله ليس بمعجزاته، بل باستعلان الله الذي فيه، واستعلان قوته العاملة في كلماته وفي تسليمه للإنسان سر الحياة الأبدية في قوة الخلاص الحاضر واستعلانها الكامل في الحياة

الأخرى. أما الخلاص الذي هو المجال الذي تظهر فيه قوة الله فسيكون موضوع الرسالة كلها.

ولكن كلمة نقولها للقارىء العزيز: إن كانت تعوزك قوة الله، فتتلمذ على إنجيله، اجعله درسك الليل والنهار: «طوبى للإنسان الذي يسمع لي ساهراً كل يوم.» (أم٨: ٣٤)

القديس بولس يقول عن **اختبار** إن الكرازة بالمسيح مصلوباً تثير عند الحكماء من أهل العالم اشمئزازاً، كيف يكون مُخلِّصاً من حُكِمَ عليه بلعنة الصليب؟ والذي لم يستطع أن يفدي نفسه كيف يفدي الآخرين؟ وعثرة الصليب تبدأ من اليهود وقد بدأت ببولس وجعلته يرتكب حماقات ضد المسيح والمسيحيين. أما عند الحكماء ــ وروما مليئة باليهود والحكماء ــ فالصليب عندهم جهالة: «لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلِّص المؤمنين **بجهالة** الكرازة» (١كو١: ٢١)، «فإن كلمة الصليب عند الهالكين **جهالة** وأما عندنا نحن المخلَّصين **فهي قوة الله**.» (١كو١: ١٨)

وق. بولس اعتبر حمل الصليب بمثابة حمل عار المسيح!! طبعاً العار الموصل إلى المجد! «فلنخرج إذاً إليه خارج المحلّة حاملين عاره» (عب١٣: ١٣). ولكن في المقابل السرّي غير المنظور، نجد أن الصليب عند الذين حملوا الصليب قد أعطاهم قوة المسيح: «ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود **عثرة** ولليونانيين **جهالة** وأما للمدعوين، يهوداً ويونانيين، **فبالمسيح قوة الله وحكمة الله**.» (١كو١: ٢٣)

بهذا المعنى تماماً يكتب ق. بولس لأهل رومية وفيهم اليهود وفيهم الحكماء ويقول: «لست أستحي بإنجيل المسيح» وهو يُضمر الافتخار.

«لأنه قوة الله للخلاص»:

لينتبه القارىء، فإنجيل المسيح ــ أساساً ــ ليس كلاماً للمعرفة ولا استعلاناً لأسرار الله، ولا تعليماً للتهذيب والتقويم، فهذه إن كانت واردة ولكنها ليست الأساس، فالأساس هو أن الإنجيل قوة δύναμις، قوة الله، تعمل في الذي يؤمن، تعمل على كل المستويات في الفكر والوعي المسيحي والإرادة والنفس والشعور، حتى في الجسد. لأن الإنجيل قائم على عملية تغيير كبرى بواسطة المسيح جازها المسيح لحسابنا، من موت لحياة، من حالة خطيئة ولعنة إلى حالة بر ومصالحة، هذا التغيير هو قوة عمل الله الخاص بنعمة خاصة تؤازر الذين يؤمنون.

وقوة الله للخلاص المذخرة في إنجيل المسيح تعمل على مستويين، مستوى الذي يؤمن ومستوى الذي لا يؤمن، فرفض الإنجيل هو رفض حياة أو رفض «القوة المخلِّصة المحيية» للإنسان: «لأننا

رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون، لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة.» (٢كو٢: ١٥و١٦)

ولكي يأخذ القارىء صورة عملية حيَّة لقوة الخلاص في إنجيل المسيح والإيمان به، فليعلم أن قوة الخلاص في الإنجيل تتركز بصورة واضحة في قوة قيامة الرب من بين الأموات. هذه القوة التي أقامت المسيح من الموت هي بعينها قوة الخلاص في الإنجيل، **فهي** موضوع البشارة المفرحة التي كان يطلبها الإنسان منذ أن سقط آدم وهي الآن ملء يديك، بل وقلبك. ولكن لا تطلب لها علامات ولا تنتظر أنها تظهر لك أو لغيرك، فالعامل للخلاص في هذه القوة هو الروح القدس وهو روح الخلاص أي روح الحياة الجديدة للإنسان، ولا يحسّه إلاَّ من بدأ يحيا الحياة الجديدة، أي من يؤمن بالخلاص، أي من يؤمن **أولاً** بالرب يسوع المسيح، **وثانياً** أنه مات من أجل خطايانا وقام لتبريرنا وأنه أعطانا الحياة الأبدية.

«للخلاص»:

ليس هنا مجال التكلم عن **الخلاص لأنه يشمل الفداء والغفران والمصالحة ونوال التبني للحياة الأبدية**، التي أكملها المسيح بذبيحة نفسه على الصليب، **والتبرير والقيامة**، التي هي بحد ذاتها تعلن عن بر الله الذي صار للإنسان بالإيمان بالمسيح. فالخلاص هو ثمرة قوة عمل بر الله المستودعة في الإيمان بالمسيح وما عمله المسيح في الإنجيل!

والخلاص دخل العالم لما دخل المسيح بدمه إلى الأقداس العليا في السموات وتراءى أمام الله لأجلنا، فوجد فداءً أبدياً، لا يزال المسيح يكمِّله لنا في السموات بالشفاعة، ومؤازرة الروح القدس، حيث سيظل الخلاص يتكامل فِعْلُه حتى إلى منتهى الدهر. فالخلاص قرين حياة الإنسان على الأرض، كل مَنْ يؤمن بالمسيح، وبآن واحد هو قرين حياة الدهر الآتي بالرجاء وسبق التذوق: «لأن الذين استُنيروا مرَّة (المعمودية) وذاقوا الموهبة السماوية (بر الله والخلاص) وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة **وقوات δυνάμεις الدهر الآتي...**» (عب٦: ٥و٦). فقوات الدهر الآتي هي مفاعيل عمل الخلاص الذي أكمله الله في المسيح مستعلنة على مستوى الروح في السموات.

وكلمة الخلاص عند ق. بولس غنية وخصبة وسوف نوفيها حقها أولاً بأول كلما صادفتنا، لأن لها في كل مجال معنى، لها في الأرض معنى ولها في السموات معنى، وفي كل موقف قوة. ويكفي أن يكون الإنجيل برمَّته عند ق. بولس هو قوة الله للخلاص!! والخلاص رسالة الحياة الأبدية هنا وهناك.

«لكل مَنْ يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني»:

هذا الخلاص الذي هو ثمرة بر الله المجاني استُعلن باستعلان بر الله بواسطة المسيح في مقابل إيمان الإنسان، حيث الإيمان لا يعتمد على مؤهلات الإنسان ولا ماضيه، فكل مَنْ يؤمن يخلص: «آمِنْ بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك» (أع١٦: ٣١)، «لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص.» (رو١٠: ١٠)

أما قوله: «لليهودي أولاً ثم لليوناني»، فهذا الترتيب ليس من عند الله ولكن بمقتضى تاريخ الخلاص نفسه، لأنه عُرض أولاً لليهود ثم عن طريق اليهود قُدِّم للأمم. ولكن ليس الأمر مسألة تاريخ فقط بحد ذاته فهو تاريخ **الاختيار**، والاختيار لازَمَه ناموس فيما بعد، والناموس انتهى بالمسيح. لذلك لولا الناموس ما تمهّد طريق الخلاص، فهو الذي رفع صراخ الإنسان المجاهد ضد الخطية بصوت المغلوب والمُطالِب بالرحمة، فسمع الرب وأتى ببرِّه من السماء. وحينما ازدادت الخطية جداً بحصار الناموس، زاد سلطان النعمة وامتدَّ وتجاوز الناموس ليشمل الذين بلا ناموس.

وحينما يقول ق. بولس: «**لكل مَنْ يؤمن**» دون اعتبار لأية مواهب أو امتيازات من جهة الإنسان، فهنا يرتفع ضمناً بامتياز عمل الله للخلاص بصورة رائعة فوق هامات أطوار الناس ومقدراتهم وامتيازاتهم بما في ذلك الناموس، **إذ جعل خلاص الله أقوى من أن تحدّه قوة أو ضعف من جهة الإنسان أو يحده زمان أو مكان أو جنس، فهو يخترق الزمان بما احتوى ليستقر عمله في الأبدية! لذلك فعظمة الخلاص وجلاله وشموله وتفوقه سيُستعلن لنا فوق بالأكثر! فالخلاص عمل آتٍ من السماء أصلاً بقوة فائقة من السماء ليسود على الإنسان والخطية والزمن ويصارع كل معوقات انطلاق الإنسان نحو الله لكي يستقر في الحياة الأبدية في حضرة الله!**

وعمل الخلاص وإن رُئي على مستوى الواقع الزمني الآن حينما نرى أنفسنا وقد انعتقنا من ماضينا ومن ضعفنا ولبسنا صورة الإنسان الجديد، فما هذا إلاّ مقدمة، فالخلاص سوف يُرى بأجمل بهائه وأعظم قدراته، عند الوقوف في الدينونة العتيدة، لنرى ختم الخلاص الذي على جباهنا وقد أَهَّلنا للوقوف عن يمين الله في حِمَى المسيح، لنسمع نُطق البركة ونرى الميراث المعدَّ!

وكل من يساوره شك في فعل الخلاص وعمل قوته ومواعيده، عليه أن يتحسس إيمانه، فحيثما يكون الإيمان، يكون الخلاص، فإيماننا هو الوعاء المقدس الذي نحمل فيه خلاصنا

وكلّما زدْنا إيماننا بالحب والبذل والاتضاع، تراءى لنا الخلاص في أبهج صورة، سلام وتسبيح وهتاف بالمجد لحضرة المسيح في القلب.

فالقديس بولس لا يتكلم عن نظريات بل يحكي عن واقع يعيشه ومسيح يراه وحياة أبدية تدب في أعضائه.

١: ١٧ **«لأن فيه مُعْلَنٌ برُّ الله بإيمانٍ لإيمانٍ كما هو مكتوبٌ أما البارُّ فبالإيمانِ يحيا».**

هذه الآية هي مفتاح الرسالة برمّتها، بل مفتاح لاهوت ق. بولس كله. لأن بر الله المعلن من السماء في شخص ابنه يسوع المسيح ميتاً ومُقاماً ومرفوعاً فوق أعلى السموات من أجل خلاص الإنسان وحياته؛ يشكِّل هيكل الإنجيل بل ويفرض نفسه فوق كل عنوان وكل آية.

ما هو بر الله؟

إن أكثر التعاريف التي توضح ما هو بر الله وكيف يتم بالنسبة للإنسان هو نفس التعريف بالخلق. فالله خلق العالم من لا شيء. هكذا البر، فالله أراد أن يبرر الإنسان من لا شيء، إنه في الواقع الروحي خلقة جديدة. فإن كان الخلق اعتمد أولاً وأخيراً على إرادة الله وعلمه وحكمته وتدبيره وحبه، لإيجاد الحياة والعالم من لا شيء وعلى صورة حسنة، وخصَّ الإنسان بصورة حسنة جداً، هكذا التبرير اعتمد اعتماداً كليًّا على إرادة الله وعلمه وحكمته وتدبيره وحبه لإيجاد أو لخلق الإنسان بالروح على صورة حسنة جداً فوق العادة.

ولكن بالرغم من لباقة هذا التعريف أي بالنسبة للخلق، فإن تبرير الإنسان يفوق عملية الخلق عمقاً وهدفاً!! فكون الله يخلق **من لا شيء** أرضاً وسماءً وبحراً وطيراً وحيوانات مآلها إلى الفناء شيء، وكون الله يبرر إنساناً — ليس من لا شيء — بل من حالة سلبية فهو واقع تحت الخطية ومستعبد للفساد — **ليرفعه إلى رتبة الحياة معه إلى الأبد**، فهذا يفوق معنى خلق العالم من لا شيء آلاف المرات!!

هنا أصبح يلزم أولاً، لكي يبرر الله الإنسان، أن يغسله ويطهّره غسلاً وتطهيراً جذرياً شديداً يشمل كل كيانه حتى يليق بالتبرير: «وهكذا كان أناس منكم لكن **اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم** باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦: ١١)

فالبر سواء في العهد القديم أو الجديد هو «بر الله» وليس للإنسان ما في الوجود برٌّ، لا بعمله

ولا بتقواه ولا بتتميمه وصايا الله مهما كان هذا التتميم صحيحاً وحرفياً. ولكن الله هو الذي يبرر الإنسان من واقع برِّه الخاص فيتبرر الإنسان أو يصير باراً، ولكن ببر الله. أما بر الله فهو اصطلاح سهل للغاية، فهو تعبير قضائي أو شرعي معناه أن الله عادل ورحيم معاً، و يعبِّر عن هذا الالتقاء (مز٨٥: ١٠) بالقول:

+ «هل إلى الدهر تسخط علينا؟
هل تطيل غضبك إلى دور فدور؟
ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك
أرنا يا رب رحمتك وأعطنا خلاصك
... الرحمة والحق التقيا البر والسلام تلاثما
الحق من الأرض ينبت والبر من السماء يطَّلع.» (مز٨٥: ٥و٦و٧و١٠و١١)

هنا «الرحمة والحق» في الله وعند الله هما البر تماماً، **فالرحمة لا تستقر إلاَّ على الحق، والحق هو العدل، والرحمة دائماً تشق طريقها وسط الصخر وفي أحلك الظروف حتماً تنتصر لأنها مسرَّة الله، فإذا اتفقت الرحمة مع الحق نتج البر، والبر معه السلام حتماً!!** «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله.» (رو٥: ١)

ولكن كيف تستقر **الرحمة على الحق** أو العدل بالنسبة للإنسان وهو **مملوءٌ باطلاً وخطيةً**؟ هذا تم بصليب المسيح. فالفداء الذي أكمله المسيح رفع عن الإنسان الباطل والخطية وأوقفه أمام الله أي أمام الحق (العدل) بلا لوم!!

وهكذا **تأهل الإنسان «بالعدل»** أن ينال الرحمة من الله، وهكذا انسكب البر: البر من السماء، والحق أي العدل أشرق في الأرض، حينما تجسد المسيح على الأرض وأكمل الفداء فتبرأ الإنسان بالعدل! فعدل الله صارم لا يستطيع إنسان أو ملاك أن ينجو إن هو وقع تحت حكم عدل الله. ويحكي أيوب عن ذلك فيقول:

+ «هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه.» (أي١٥: ١٥)
+ «هوذا عبيده لا يأتمنهم وإلى ملائكته ينسب حماقة.» (أي٤: ١٨)

وأمور عدل الله (أي حق الله) ضرورة لأنها هي الموازين التي تقوم عليها أعمال خلقته ــ لأنها كلها تنطق بحق الله ــ وهي لا تقبل الخطأ قط فهي دائماً أبداً في الصحيح المطلق الذي لا يستطيع الإنسان أن يعرفه قط، لأن كل عدل الإنسان وقياساته وموازينه لا يمكن بل ومن المستحيل أن تبلغ

الصحيح المطلق مهما تقدم العلم و بلغت التكنولوجيا أقصاها، فلا بد من «خطأ الصفر» zero error ولا بد من التصحيح إذا لزمت الصحة. أما عدل الله فهو الصحيح المطلق، فمَنْ ذا يستطيع أن يقف أمامه؟

ولكن الله يتدخل برحمته ــ وهنا يظهر بر الله ــ فيرفع عمَّنْ يرفع عنه أحكام عدله و يُبرىء مَنْ يبرىء: «أرحم من أرحم وأتراءف على مَنْ أتراءف.» (رو٩: ١٥)

ولكن الله لا يرحم جزافاً ولا يتراءف جزافاً، ولكن لا بد أن يكون الإنسان قد استوفى كل اعتبارات عدل الله! فكيف يكون ذلك؟ وهل ممكن؟ بل هذا هو المستحيل بعينه، فكيف تصرَّف الله إزاء المستحيل لدى الإنسان؟ فالآن لكي يكون عند الله رصيد ضخم من رحمته يخفف به أو يعفو به عن أحكام **عدله** الصارمة، وهي صارمة جداً لأنها لا بد أن تستوفي **الحق**، قدَّم ابنه ليستوفي فيه أحكام عدله التي وقع الإنسان تحت صرامتها. بمعنى أن الله تولى بنفسه أن يرفع عن الإنسان لعنة الخطية بشرط أن يكون الإنسان نفسه هو الذي يتلقى صرامة عدل الله. فلأن الإنسان لا يقوى على صرامة عدل الله تجسَّد ابن الله، أي أخذ **جسد الإنسان «ككل»** وأكمل فيه عدل الله بقبول اللعنة وجزاء الموت عن الخطية. **وهكذا وقف الإنسان في المسيح مبرَّأً أمام عدل الله، لائقاً لنوال بر الله لأنه صار بلا لوم!!** فمنذ أن مات الابن على الصليب تمَّ العدل فبدأت الرحمة تفتخر على العدل وتتباهى، ونجا الإنسان من حكم الموت وتبرَّر الفاجر!!

وهكذا ظهر برُّ الله على الأرض يوم أن مات الابن على الصليب بعد أن أكمل عدل الله وقام فتبرر الإنسان في عيني الله.

هذا هو بر الله، وهكذا تبرر الإنسان.

يوجد مفهومان لكلمة «البر»:

١ــ **فالبر الذي من الله** المعرَّف بالألف واللام، هو الذي يناله الإنسان بالإيمان بدون ناموس و بالتالي بدون أعمال الناموس:

«بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس ...» (رو٣: ٢١)

«إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس.» (رو٣: ٢٨)

وهو نفسه البر المعرَّف بالألف واللام الذي جاء في آية حبقوق النبي: «والبار بإيمانه يحيا» (حب٢: ٤)، التي استشهد بها ق. بولس. وهذا يعتبر براً فائقاً عن قدرات الإنسان وطبيعته وفهمه. تماماً كما وضعها داود النبي واستشهد بها ق. بولس: «طوبى

لرجل لا يحسب له الرب خطية.» (مز٣٢: ٢)

٢ ـ **البر الأخلاقي** وهذا هو البر الذي يكتسبه الإنسان بعمله، أي بعمل الناموس، وهو البر العادي الذي في متناول الإنسان، لأنه بر مصنوع بقدرة الإنسان. هذا البر يستحيل أن يكون بدون عمل وإلاَّ لا يكون براً بل كذباً وادعاءً.

وهكذا نرى أن بر الله لا يكون بعمل الإنسان؛ بل بالإيمان بالله والمسيح، فهو بر إلهي بعمل الله، أما بر الإنسان فهو يُصنع بالعمل الإنساني والجهد الإنساني **وهو بر أخلاقي. في عين العالم أو الفلاسفة**، فإن البر المعترف به عندهم هو بر الإنسان الذي يكتسبه الإنسان بجهده وفضائله المعمولة، أما بر الله الذي يناله الإنسان بدون ناموس و بدون أي عمل (أي بصليب ربنا يسوع المسيح) فهو عند العالم والفلاسفة خرافة وجهالة كما أورده ق. بولس (١ كو١: ٢٣).

والآن، فإن طاعة الإنسان للناموس واجتهاده بالأعمال المنصوص عنها فيه هو بر الإنسان. **ومعيارها الناموسي: «اعمل وأنت تحيا»**، أو كما قالها موسى واستشهد بها ق. بولس: «الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها» (رو١٠: ٥). وهذه لا تحتاج إلى رؤية أو إيمان أو استعلان فالذي يعملها يحيا بها. أما البر الذي من الله و بلا ناموس ولا أعمال فهو برٌّ فائقٌ، ليس على قدرات الإنسان وأعماله فقط؛ بل فائق على العقل البشري، ولا يمكن الحصول على فهمه إلاَّ بانفتاح الذهن بالإيمان بالاستعلان كما في كل تعاليم ق. بولس والإنجيل: «أما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر (على الصليب) فإيمانه يحسب له براً.» (رو٤: ٥)

أما لماذا يكون بر الله فائقاً على العقل والقدرات البشرية، فلأنه قائم **أولاً** على عمل الفداء الذي أكمله المسيح من أجل الإنسان ليوقفه موقف البراءة، أو كما يقول ق. بولس «بلا لوم» أمام الله، وهذا مستحيل أن يدركه الإنسان لا بالعمل ولا بالفكر، ثم نوال رحمة الله التي تفوق كل إمكانيات الإنسان وتصوراته لأنها فوق استحقاقه. لذلك يقول الرب عنها إني أرحم مَنْ أرحم وأتراءف على مَنْ أتراءف (خر٣٣: ١٩). هذا هو مفتاح بر الله ـ ونحن يستحيل أن ننال رحمة إلاَّ بالمسيح، والرحمة يستحيل على الإنسان أن يفهمها أو يحسَّها إلاَّ إذا أخذها. ونحن أخذناها مجاناً بالمسيح.

أما معيار بر الله فهو «البر يُحيي»: «البار بالإيمان يحيا»، وما معنى يحيا؟ هل يأكل ويشرب وينام؟ هل تطول أيامه على الأرض؟ بل يعني أنه يعمل أعمال البر، الأعمال التي تشهد

لله ولبر الله، أعمال الصلاح التي تشهد لصلاح الله: «لكي يروا **أعمالكم الحسنة** ويمجدوا أباكم الذي في السموات.» (مت٥: ١٦)

فبرُّ الإنسان: «اعمل وأنت تحيا»، أما برُّ الله: «آمن لتنال بر الله فتعمل»، في الأولى اعمل أولاً وفي الثانية آمن أولاً. فمن جهة بر الإنسان: اعمل وإلاَّ تموت، «مَنْ خالف ناموس موسى ... يموت بدون رأفة» (عب١٠: ٢٨). فالعمل هنا دَيْنٌ، وهو عمل إنسان.

أما من جهة بر الله: فالذي يؤمن يتبرر أمام الله فيحيا ويعمل أعمال الله، فالعمل هنا نعمة وهو عمل الله: «نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف٢: ١٠)

علماً بأنه يستحيل الانتقال من بر الإنسان ـ أي البر بالأعمال والناموس ـ إلى بر الله الذي بالإيمان أو الخلط بينهما: «لأن بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه» (رو٣: ٢٠)؛ ولكن الانتقال من بر الله إلى الأعمال حتمي، إذ يستحيل على مَنْ يؤمن ويتبرَّر أن لا يعمل.

كذلك يلزم أن نفهم ونعي ونتحقق أن هناك نوعين من الأعمال:

١ ـ **أعمال يعملها الإنسان يظن أنها تبرره أمام الله**: وهي تكون بطبيعتها مُرَّة و بضيق يتمِّمها، وتحتاج إلى جهد شديد وعزيمة مستمرة متكررة وإلاَّ يتراخى الإنسان وتهبط روحه، وقلَّ أن يوجد فيها العزاء والراحة، بل كلما يزداد جهاده، يزداد إحساسه بالعوز والفقر.

٢ ـ **أعمال يعملها الإنسان بحرارة إيمانه** و بشدة فرحه وتعلُّقه بالمسيح و بإحساسه أن المسيح غفر خطاياه على الصليب بدون استحقاق منه، وأن المسيح أحبَّه ودعاه واختاره بنعمته ليس لشيء صالح فيه؛ بل بمقتضى صلاحه هو وكثمرة لحبِّه الذي كلَّفه سفك دمه من أجله: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). وهذه الأعمال تؤازرها النعمة، لذلك تكون أعمالاً صادقة تزداد ولا تنقص، تزداد كل يوم حرارة وإصراراً وعزيمة، ويؤتى بها المستحيلات، في سهر، **في صوم متواصل**، في خدمة بلا ملل، في تواضع حقيقي، في بذل بلا عقل و بلا حدود. وكلما عمل الإنسان وجاهد يزداد فرحاً لعمل أكثر وجهاد أكثر ويحس في أعماق روحه أن الله بنعمته هو الذي يعمل هذه الأعمال: «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا.» (في٢: ١٣)

وهذا النوع من الأعمال المؤازرة بالنعمة تؤكده خبرة آباء البرية الأوائل:

[إن الروح القدس يجعل عمل الله للإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل، سواء كان تعب الأصوام أو سهر الليالي أو السكون أو خدمة الآخرين أو الصدقة، فإن كل أمور الله تصير له حلوة.] (أنبا مقار ــ عظة ٥٧)

[وأنا أعلِّمكم عملاً آخر يثبت الإنسان من بدايته إلى نهايته، وهو أن يحب الله من كل نفسه ومن كل قلبه ومن كل نيَّته ويتعبَّد له، **وعند ذلك يعطيه الله قوة عظيمة وفرحاً فتحلو له جميع أعمال الله، وكل أتعاب الجسد أيضاً والهذيذ والسهر وحمل نير الرب يصير عليه خفيفاً حلواً ...**

فإذا نلتم يا أولادي هذه المواهب الفاضلة، فلا تظنوا أنها من أعمالكم؛ بل هي قوة مقدسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم.] (أنبا أنطونيوس ــ رسالة ١٨و٦)

وإن كان الخلاص هو قوة الله المعلنة بالمسيح في الإنجيل، فبرُّ الله هو أساس قوة الخلاص المُعلَن والفعَّال في الإنجيل وبالإنجيل، فبر الله ليس صفة لله بل قوة استُعلنَت في المسيح يسوع «بإقامته من الأموات» لتصير هذه القوة في متناول الإنسان، كل مَنْ يؤمن بالقيامة من الأموات، مشتركاً بل متحداً مع المسيح كما في موته كذلك في قيامته بالإيمان.

فالإنجيل في نظر ق. بولس هو قوة الله للخلاص، ونوال هذه القوة يتم بالخضوع تحت قوة الإنجيل الذي يكون بالإيمان!! كذلك بر الله هو قوة الله للخلاص المعلن من السماء في المسيح ميتاً ومقاماً، فالخضوع تحت قوة موت المسيح وقيامته ــ الذي يكون بالعماد ــ هو التبرير المؤدي إلى الخلاص. «وهكذا كان أُناس منكم. لكن اغتسلتم (الإيمان + المعمودية) بل تقدَّستم (بالروح القدس) بل تبررتم (نلتم بر الله بالخلاص) باسم الرب يسوع و بروح إلهنا.» (١ كو٦: ١١)

نفهم من هذا أن الإيمان هو نوال قوة الخلاص بالإنجيل إذا خضعنا لقوة الإنجيل، فالإيمان بإنجيل المسيح **هو** ــ بحد ذاته ــ **قوة للخلاص،** إذا انتبهنا إلى أن الإيمان **فعل خضوع للإنجيل. كذلك بر الله الذي في المسيح المذخر في موته وقيامته، فإذا بلغنا بقوة الإيمان إلى الخضوع لقوة عمل الخلاص الذي في موت الرب وقيامته الذي هو أصلاً لنا ومن أجلنا، نلنا قوة موت المسيح وقوة قيامته وبالتالي بر الله.** «لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله» (رو١٠: ٣). فإذا خضعنا نحن لبر الله الذي استُعلن **في موت**

المسيح نلنا غاية بر الله الذي في المسيح وهو العتق من الخطية، وإذا خضعنا لقوة برّ الله الذي استُعلن في قيامته من الأموات **نلنا التبرير للحياة الأبدية.**

هذا هو بر الله المعلن في إنجيل المسيح: قوة للغفران في موت المسيح، وقوة للحياة في قيامة المسيح، نناهما بالخضوع الإيماني الفعلي فنُحسب أننا متنا مع المسيح وقمنا مع المسيح بقوة بر الله المجاني الممنوح لنا بالإيمان!

والقديس بولس يسمِّي الخضوع لبر الله ــ سواء في موت المسيح أو قيامته ــ بالعبودية للبر: «أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو **للطاعة للبر،** فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ... وإذ أُعتقتم من الخطية (في موت المسيح) صرتم **عبيداً للبر،** ... هكذا الآن قدموا **أعضاءكم عبيداً للبر** للقداسة» (رو٦: ١٦و١٨و١٩). لاحظ هنا أيها القارىء العزيز أنه بعد أن ننال البر يتحتم أن نعمل أعمال البر.

والذي نرجوه من القارىء أن ينتبه مرة أخرى **أن بر الله هو من طبيعة الله، فهو قوة تسود على كل مَنْ يقبلها ويخضع لها. والله قدَّم لنا برَّه الخاص في موت المسيح وقيامته كقوة ذات سيادة، إذا خضعنا لها بالروح من القلب سادت علينا وملكتنا. وحينئذ نحصل على بر الله الذي في موت المسيح، وهو غفران الخطايا المجاني، ونحصل على بر الله الذي في قيامة المسيح، وهو القيامة للحياة الأبدية، وكأننا مُتنا مع المسيح وقمنا مع المسيح، لنحيا لله!!**

بهذا نفهم أن المسيح صار لنا واسطة لنوال برّ الله. إذا قبلنا المسيح قبلنا فيه برّ الله بالضرورة:

+ «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء.» (١ كو١: ٣٠)
+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه.» (٢ كو٥: ٢١)

فإذا كان الإنجيل الذي يكرز به ق. بولس يحمل قوة بر الله، إذاً يكون برُّ الله قد انفتح على العالم كله، يهوداً وأمماً، كما يقول ق. بولس (١ كو١: ٢٣).

«من إيمان لإيمان»: ἐκ πίστεως εἰς πίστιν

واضح هنا روح الحركة والامتداد سواء في الذي يؤمن، فكل إيمان يبلغه يدفعه كقوة إلى إيمان أعلى وأعمق: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد

إلى مجد ἀπὸ δόξης εἰς δόξαν كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨)، «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً» (٢كو٤: ١٧)؛ أو تكون الحركة والامتداد في الإيمان نفسه إذ ينتقل الإيمان من مستوى إلى مستوى أعلى وأعمق على وزن: «الروح يفحص كل شيء **حتى أعماق** الله» (١كو٢: ١٠)، أي من عمق إلى عمق. وواضح أن تاريخ الخلاص في الكنيسة يرتقي ويمتد ويزداد وضوحاً وصفاءً من جيل إلى جيل. وبالنهاية يكون القصد أن حركة الإيمان لن تنقطع حتى تبلغ غايتها حتى إلى ملء الخليقة الجديدة.

ولكن الذي يتحدد أمام ذهننا من هذه الآية أن **«بر الله» في إنجيل المسيح ينحصر إعلانه واستعلانه في الإنجيل بالإيمان ومزيد من الإيمان**. وبلمحة خاطفة ملهمة استطاع ق. بولس أن يجد لهذا المبدأ معياراً مختصراً ذا قوة واستضاءة من نبوة حبقوق: «والبار بإيمانه يحيا» (حب٤: ٢). ولكن هذا التعبير النبوي لا يتلاءم ومقصد ق. بولس تماماً من البر، لأنه معروف أنه «ليس بارٌّ ولا واحد» (رو٣: ١٠)، وليس للإنسان برٌّ ذاتي. وقد جاءت في حبقوق: «والبار **بإيمانه يحيا**»، ولكن تركيز ق. بولس هو على البر الذي من الله ذاته، وليس على البار ولا على برِّ البار. فكأن ق. بولس يقول بمعيار جديد بالإنجيل بالمقابل لحبقوق: **«إن المؤمن ببرِّ الله يحيا»**، وهذا هو الإنجيل حقاً وفعلاً.

بلوغ حالة العالم حدَّ الغضب مما استوجب تدخل بر الله سواء عند الأمم أو عند اليهود سيان

(١: ١٨–٣: ٢٠)

والكل أعوزهم بر الله

تمهيد:

عاملان أساسيان كانا يتحكمان في الخط الفكري اللاهوتي عند ق. بولس، جمعا عنده رؤية العالم في بؤرة واحدة يراها من بعيد ومن قريب ويتحاور معها، وهما **أولاً** أنه يهودي أصلاً، **ثانياً** أنه دُعي رسولاً للأمم كافة وأحبَّ رسالته وانكفأ عليها بكل ما يملك، يخدمها كأنها ابن رضيع يكبر في حضنه. فالعالم عند ق. بولس هو يهود وأمم.

وحينما فكَّر ق. بولس ورسم في ذهنه خطوط رسالته إلى أهل رومية، حيث أراد أن يبرز عنصر بر الله بالإيمان بيسوع المسيح، البر الذي دخل العالم بدخول المسيح، لكي بواسطة الإنجيل يغيِّر وجه الأرض أمماً ويهوداً، «وأن يصالح به الكل لنفسه» (كو١: ٢٠)، عاد ق. بولس إلى الوراء كرسَّام ماهر ليلتقط صورة للعالم بدون المسيح أو بالحري بدون بر الله.

أسلوب ق. بولس في هذا الجزء غير موجَّه لا لليهود ولا للأمم، فهو لم يقصد أن يكون تبكيتاً لأحد أو محرِّكاً لتوبة أحد، كما لم يقصد التشهير لا بالأمم ولا باليهود بل ولا حتى بالعالم بصورة معنوية.

ولكن كان الهدف الذي انقضَّ عليه ق. بولس **هو الطبيعة البشرية**، التي ورثها الإنسان من آدم سواء في ثوبها اليهودي المزركش بالناموس الذي جاء ليستر خزيها فكشف عورتها، أو تحت رداء الوثنية المتهتك الذي أبرز كل عوارها ولم يُخفِ منها شيئاً، ليضع الاثنين بهدوء تحت غضب الله وبإحكام.

وهكذا يوضح بولس الرسول كيف بلغت حالة البشرية في موازين الله حدَّ الغضب الذي لا يمكن تجاوزه ــ بحسب عدل الله ــ فإما الإعدام ــ وقد تعهَّد الله للإنسان أن لا يعود يستخدم الفيضان أبداً (تك٨: ٢١) ــ وإما أن يتدخل الله بنفسه ليحمل عن الإنسان ثمن هذا الغضب ويبرئه.

والقديس بولس عندما كشف عن حال الطبيعة البشرية في أقبح صورة يمكن أن يقدمها ناقدٌ نافذ الصبر ونافذ البصيرة، كان كمن يقف من وراء هذه الطبيعة البشرية كرسول، ومعه بشارة الطبيعة الجديدة، وكطبيب مجهَّز بأدوات التطبيب والعلاج، بل مجهَّز بروح الله، ليقلع ويغرس ويهدم ويبني، فكان كخبير في كشف القروح المنتنة، جريء ومقتحم بقدر ما وثق في مشرطه في العلاج والشفاء. لم يترك فضيحة افتضحت بها البشرية إلاَّ وأفرزها، لأنه كان ضامناً للاغتسال والتقديس والتبرير. لقد استوفى أولاً كل أسباب صحة غضب الله المعلن من السماء على بني الإثم، لكي يطرح بعدها بر الله المعلن من السماء ليمحو كل غضب وليبرر الفاجر!

[١: ١٨ ــ ٣٢] غضب الله المعلن على خطايا الأمم

١٨:١ **«لأن غَضَبَ الله مُعْلَنٌ من السماءِ على جميع فجورِ الناسِ وإثمِهم الذين يحجزُونَ الحقَّ بالإثم».**

«غضب الله مُعْلَنٌ»: ὀργὴ θεοῦ

إن هناك نقلة من الآيات ١٦و١٧ إلى الآية ١٨ أحدثت فجوة، ولكن بإعادة تركيب الكلام يتضح أن هناك استمرارية مسبَّبة بين الآيات هكذا:

«فيه (أي في الإنجيل) **مُعْلَنٌ** ἀποκαλύπτεται بر الله للناس، **لأن** غضب الله **مُعْلَن** ἀποκαλύπτεται من السماء على جميعَ فجورهم وإثمهم ...». والمعنى باختصار الكلمات يكون: بر الله معلن في الإنجيل بالإيمان، **لأن** غضب الله مُعْلَن من السماء! وذلك سواء بالنسبة لكل فرد بمفرده، أو على الجنس البشري بجملته.

وكون البر الإلهي هنا يُستعلَن أولاً، فذلك لأن الغضب قد اشتعل. وهذا يوضح أن البر ليس هو العدل، لأن هنا البر أُعلن ليتلافى الغضب. وإذا أردنا تفسيراً أكثر دقة نقول، إن البر أُعلن ليُبطل الغضب، وهذا ما ينتهي إليه ق. بولس في رسالته. ولكن الغضب لا يتوقف طالما أسبابه لم تتوقف، كذلك البر، فهو أُعلن ليظل عاملاً. على أن كلًّا من البر والغضب سيبلغ منتهاه بالدينونة الأخيرة بالنسبة للذي يؤمن والذي لا يؤمن. والقديس بولس يعبِّر عن دوام فعل الخلاص إزاء دوام فعل الغضب حتى إلى ساعة الحكم في الدينونة هكذا:

«فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المُخلَّصين فهي قوة الله.» (١كو١: ١٨)

ورائحة المسيح ستظل «لهؤلاء رائحة موت لموت ولأُولئك رائحة حياة لحياة.» (٢كو٢: ١٦)

أما المعنى الذي يحتويه القول: «لأن غضب الله **مُعْلَنٌ** ἀποκαλύπτεται من السماء»، فهو أن الخطية لما زادت أحدثت رد فعل في موازين الله بصورة لا يمكن تجاوزها، وهكذا دخلت مؤشرات الموازين حدود الغضب. وكأنما السماء انفتحت مرة واحدة لتعلن عن قلق عدل الله على مصير الإنسان، إنما بصورة **رؤيوية** «أبوكاليبتال»، هذا أصل معنى كلمة «إعلان» في العربية ἀποκάλυψις ، إعلان رؤيوي لا يلحظه إلاَّ الذين وُهبوا الرؤيا، وذلك يكون بالإنجيل. فالإنجيل الذي يحمل الإعلان عن بر الله من السماء يحمل أيضاً الإعلان عن غضب الله من السماء.

والقديس بولس لا يتكلم عن غضب حدث أو أُعلن في الماضي، بل في المضارع وبنفس زمن فعل الإعلان عن بر الله، فالبر مُعْلَنٌ في الإنجيل الذي فيه مُعْلَنٌ غضب الله. بمعنى أن الأخطاء والخطايا التي يذكرها ق. بولس هنا في هذا الأصحاح ليست في الماضي البعيد ولا القريب كأنها نتيجة لغياب بر الله أو معرفة الله، بل هي أخطاء في وضح نهار المعرفة. فالتقدم الفلسفي قد بلغ أوج إدراكاته، وتركز كل همِّ الفلاسفة في وصف الله ووصف صفاته وبلغوا في ذلك مبلغاً متقدماً للغاية، وبالرغم من ذلك فقد بلغوا أيضاً من التعدي على معرفته وعلى حقوقه صوراً صارخة تتعارض مع معرفتهم.

وق. بولس حينما يقول: «**غضب الله** مُعْلَنٌ من السماء» لا يضع الجملة في صيغة شخصية عاطفية أن الله غاضب، وإلاَّ كان ذلك تدميراً للمحبة الحقيقية عند الله، ولكن يضع الإعلان عن الغضب بصورة حقيقية واقعة ليس إلاَّ. فالله في الحقيقة لا يغضب ــ أخلاقياً ــ ولكن موازين العدل عنده هي التي يتحرك المؤشر فيها أنها تجاوزت حدودها تجاه خطايا الناس، فينذر بأنه يتحتم إجراء تحجيم للخطية حتى لا تطغى على مستقبل الإنسان أو على محبة الله للإنسان.

+ «وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً ...» (تك١٨: ٢٠)
+ «فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي ...» (تك٦: ١٣)

ولكي يتضح أن إجراء الحسم ضد الخطية الذي جاء من واقع غضبٍ معلنٍ من الله في حالة نوح والفيضان لم يمس حُبَّه، نسمع أنه اتخذ إجراء الإبادة وهو في غاية الأسف والندم ــ إن جاز هذا التعبير على الله ــ وقطعاً فإن أسَف الله أخذ صورة في الطبيعة الإلهية أشد بأساً وأسى مما يصيب الطبيعة البشرية، ولكن يصعب قياسها. «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل

تصوُّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. **فحزن الرب** أنه عمل الإنسان في الأرض **وتأسف في قلبه.**» (تك٦: ٥و٦)

ولكي نقيس حالة الغضب بما يعمله الله للذين وقعوا تحت الغضب ـ منتهى الغضب ـ نقرأ هكذا: «لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم ... وكما لم يستحسنوا أن يُبْقُوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق.» (رو١: ٢٤و٢٨)

لذلك من العسير أن نعثر على التعبير الروحي أو اللاهوتي الذي يعبِّر عن غضب الله، لأنه لا يوجد عند الله غضب. ولكن حالة الإنسان نفسه هي التي تحكي عن الغضب الواقع تحته: «أسلمهم إلى شهواتهم ... **أسلمهم الله** إلى أهواء الهوان ... **أسلمهم الله** إلى ذهن مرفوض». هذا أقصى تعبير عن حالة الغضب (ولا يمكن أن نقول إنه غضب إلهي). ولكن الإنسان لا يحس في عملية تسليم الله لهم إلى شهواتهم وإلى أهواء الهوان وإلى ذهن مرفوض، أن الله في حالة غضب؛ بل يبدو وكأن الله يأمر من بعيد بتسليمهم إلى كل هذا، ليبقى هو بمعزل عن حالة الغضب ولكي يبقى دائماً في حبه للإنسان والعالم الذي خلق.

والغضب، كونه مُعْلَناً من السماء، ليس له طبيعة سماوية حتى يُفهم أنه إلهي، ولكن قول ق. بولس أنه معلن من السماء يفيد أنه لا يمكن تلافيه.

ولكن هل من علاقة بين طبيعة الإنسان وبين طبيعة الغضب الذي يقع تحته؟ نعم فالعلاقة قائمة، لأن الغضب هو أحد مفاعيل اللعنة التي نالها الإنسان! وما اللعنة في حقيقتها إلاّ خروج الإنسان من لدن الله ودخوله في حالة هوان وتَرْكٍ مرٍّ للغاية، نسمعه من فم المسيح وهو يعانيه من أجلنا: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مر١٥: ٣٤). هذه صرخة لعنة آدم، شربها المسيح من كأس الغضب حتى الثمالة، والثمالة كانت موتاً!!

والغضب مع اللعنة صفَّى المسيح حسابهما مع الله من أجل الذين آمنوا والتصقوا به، على أن للغضب يوماً يصفي فيه الديان حساب بقية الذين رفضوا تصفية المسيح هذه!!

«ذلك اليوم يوم سخط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب يوم بوق وهتاف ...» (صف١: ١٥و١٦). هذا هو يوم الغضب في الدينونة الذي يحدده ق. بولس للذين استهانوا بلطف الله وطول أناته، وفَجَروا واستمروا في فجورهم ولم يتوبوا:

«ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة. الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.» (رو٢: ٥و٦)

فالعالم يتحرك زمنياً نحو نهاية معروفة ومحددة يكتسب فيه من يكتسب فرصاً للتوبة والخلاص ليوم الخلاص، ويكتسب فيه من يكتسب رصيداً من الغضب ليوم الغضب.

«فقال الرب إني قد رأيت مذلَّة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مُسَخِّريهم. إني علمت بأوجاعهم، فنزلتُ لأُنقذهم ...» (خر٣: ٧و٨). وهكذا نرى موازين الله وكيف أنها حساسة جداً سواء من جهة العدل عند الظالمين أو الرحمة عند المظلومين: «إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته» (٢تس١: ٦و٧). أما الغضب بصورته الفعلية النافذة فله يوم أسماه ق. بولس بيوم الغضب (رو٢: ٥).

«على جميع فجور الناس وإثمهم» ἀσέβειαν καὶ ἀδικίαν

«على جميع»:

حرف "**على**" هنا يوضح السلطة والانقضاض بروح النقمة والسخط، و"**جميع**" تفيد امتناع الاستثناء، وهذه شبه الجملة كم هي جد خطيرة ومفزعة، إنها صورة مقتطعة من منظر الدينونة، تأخذ طريقها عَبْر الزمن إلى الإنسان اللاهي عن خلاصه الرافض لبر الله بالإيمان والتوبة.

أما الذين يفعلون **الفجور** ἀσέβειαν (وهي كلمة عكس "التقوى" εὐσέβεια) فهم الذين يُحتسب فجورهم تعدياً على حقوق الله.

وأما الذين يفعلون **الإثم** (وصحتها الظلم ἀδικία) فهم الذين يقترفون الخطايا تجاه الإنسان.

«الذين يحجزون الحق بالإثم»:

وهذا هو الذي يضعهم تحت الفئة المقاومة لله إذ أن إثمهم وفجورهم يخفي حق الله ويعطِّل رحمته. وهذه العملية تظهر بوضوح صارخ عند المؤمنين والحاملين لاسم المسيح والمدَّعين **لمعرفة الحق** فإن إثمهم وفجورهم ليس يخفي الحق فقط بل ويعطِّله ويجلب ضده أي ضد الحق الاستهزاء والشتيمة، وهذا نفس ما خاطب به ق. بولس اليهودي: «الذي تفتخر بالناموس أبتعدِّي الناموس **تهين الله** لأن اسم الله يُجدَّف عليه بسببكم بين الأمم.» (رو٢: ٢٣و٢٤)

والأمر نفسه ينطبق على المسيحي والخادم والمبشِّر فإن عثرته تخفي الحق وتهين الله.

هنا التطبيق واضح وسهل ولكن حينما نواجه التطبيق على حالة الأمم الذين لم يسمعوا بالإنجيل والحق والله والمسيح، ماذا يكون الوضع؟

ق. بولس هنا يُدخل عاملاً خفياً كثيرون يجهلونه وهو أن الإنسان أيًّا كان ومنذ البدء، منذ نسل آدم الأول، جعل الله في نفسه وفي أعماق روحه إحساساً برهبة الله. فالإنسان خرج من لدن الله وتغرَّب عنه بخروج آدم، هذا صحيح وهذه كانت كارثة الإنسان، ولكن الله لم يخرج عن الإنسان ولا هجره قط، وقصص الآباء — وبعد آدم مباشرة — تحكي عن هذه الصلة من طرف الله. هذه الظاهرة أو هذا العمل الخفي أسماه ق. بولس: «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم **لأن الله أظهرها لهم**».

١٩:١ **«إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم»**(١٠).

«ظاهرة» و«أظهرها»: φανερόν, ἐφανέρωσεν

هذه لغة الإدراك المباشر وليس المعرفة الملقنة أو العلمية، لغة الإدراك الفطري، فالله في ذاته مدرَكٌ كاملٌ يُدرِك ولكن لا يُدْرَك كمالُه، وإدراك الله ليس بالعقل المادي الذي يعيش على المنظور المُقاس، بل بالوعي الفطري لأن الله خفيٌّ لا يمكن أن يظهر للحواس.

ولكن ق. بولس لا يقصد المعرفة الباطنية في داخل الإنسان، بل المعرفة المعلنة في المنظورات خفيًّا. فالإنسان إذا نظر إلى السماء والطبيعة من حوله، وفي تعامله الوثيق مع الخليقة من نبات وحيوان وإنسان، يدرك الله الذي صنع كل شيء ووراء كل شيء بحسٍّ لا يخطىء، فإذا **خضع** لهذا الإحساس بدأ يعلن عن وجود الله أكثر فأكثر. ولكن أخطر ما يقترفه الإنسان في حياته هو أنه عندما يحس بالله ويبدأ يتعرف عليه من واقع الحياة حوله، لا يُبْدِي الخضوع والاعتراف به فيتجاهل صوته ووجوده. على أن قصة حياة كل القديسين منذ بدء الدهور تبدأ من هنا، عندما أحسَّ كلٌّ منهم بالله، فبدأ يكرِّمه ويمجِّده ويخضع له ويطيع وَحْيَه، وبدأ الله يقترب إليه ويضمه ويعلن له ذاته أكثر فأكثر. هذه خبرة ق. بولس في توراته وفي علاقاته بالله، فهو يتكلم عن خبرة ويقين المكتوب.

(١٠) أنظر كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص٨٤٨.

وق. بولس شرح هذا الفكر بأكثر وضوح في أحد المواقف:

+ «أيها الرجال لماذا تفعلون هذا (كاهن الوثن أراد أن يقدم ذبائح لبولس وبرنابا باعتبارهما آلهة هبطت من السماء)، نحن أيضاً بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل **إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها**، ...، مع أنه **لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً، يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً**.» (أع١٤: ١٥و١٧)

+ «الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي ولا يخدم بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء. إذ هو يعطي الجميع حياة، ونفساً وكل شيء، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض. وحتم بالأوقات المعيَّنة وبحدود مسكنهم، لكي يطلبوا الله لعلَّهم يتلمسونه فيجدوه، مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد.» (أع١٧: ٢٤—٢٨)

٢٠:١ **«لأن أموره غير المنظورة تُرى مُنْذُ خَلْقِ العالم، مُدْرَكَةً بالمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ ولاهُوتَهُ، حتى إنَّهم بلا عُذْرٍ».**

هنا يأتي فعلان مترادفان «تُرى» καθορᾶται ، «مدركة» νοούμενα

فأعمال الله في الخليقة ومصنوعاتها **تُرى** بالعين وتُفهم بالعقل. ولكن من خلال هذه الرؤية العينية يتم **إدراك** آخر واعٍ بالروح يظهر فيه الله بعظمة وهيبة لاهوته كخالق.

والنتيجة التي ينتظرها الله من ذلك أنْ يفرِّق الإنسان بين **الله الذي ينبغي أن يُعبد**، وبين الخليقة والمصنوعات فيها التي تخدم صانعها والتي خُلقت ليستخدمها الإنسان وليس ليجعلها آلهة ويتعبد لها. ولكن بسبب عدم التفرقة بين الخالق والخليقة، صنع الإنسان لنفسه الآلهة. فكانت بداية انحطاطه وتسفُّله إلى الدرك السفلي. ويقول سفر الحكمة: «لأن مبدأ الزنا التفكر في اختراع الأصنام ثم وجد أنها فساد الحياة.» (حك١٤: ١٢)

وليت القارىء ينتبه أن الآية العشرين تشرح الآية (١٩): «فأموره غير المنظورة تُرى» هو شرح لقوله: «إذ معرفة الله ظاهرة (تُرى) فيهم لأن الله أظهرها (غير المنظورة) لهم».

«وأموره غير المنظورة» عاد ق. بولس فشرحها بعد ذلك بقوله: «قدرته السرمدية ولاهوته». أما وقوع الكلمتين «**غير المنظورة**» و«**تُرى**» بالتتابع فهي مضادة — أي كلمة ضد أخرى —

ولكن الحقيقة هنا غاية في الأهمية بالنسبة للتفريق بين رؤيا العين والعقل ورؤيا الروح والوعي، فأمور الله إذا رُئيت بالعين والعقل، فهي لا تُرى ولكن في نفس الوقت تُرى بالروح بوضوح. فحينما نتطلع إلى السماء وما فيها لا نرى الله، ولكن إذا أغمضنا العين وانطلقنا بالوعي الروحي نبحث عن الله فيها نجده ويكون وجوده أشد يقيناً من رؤية العين للشمس.

الله هنا حاضر في الخليقة بوجوده الخفي غير المنظور، فالخليقة تنطق بجبروته.

ف **"غير المنظور"** هنا « ἀόρατα » هو لاهوته وتعني الطبيعة الإلهية = θειότης وهذه هي المرة الوحيدة التي ذكرت فيها هذه الكلمة في جميع أسفار العهد الجديد، وهي تختلف عن θεότης التي ذُكرت عن ملء اللاهوت الذي حلّ في المسيح جسدياً (كو٢:٩).
أما **الرؤية** هنا فهي بالإدراك الواعي وليس العقلي.

ونصف الآية الثاني **«مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته»** هو تكرار توضيحي للجزء الأول. فالسماء والأرض والبحر وبقية المصنوعات الهائلة والمهيبة في السماء بشمسها وأقمارها ونجومها ومجرّاتها وسُدُمها، وفي الأرض من جبال ووديان وأنهار وعواصف وزلازل وبراكين، هذه تحكي عن قدرة الخالق ولاهوته.

على أنه يتحتم أن لا يفوتنا العامل الخفي الذي بثَّه الله في الخلقة الروحية داخل الإنسان،' وهو استعلان الله وإدراكه بالوعي الروحي من واقع الموجودات في العالم حوله، هذه الصلة السرّية بين الخالق والخليقة. فهنا حتماً خيط ذهبي ممتد وقائم من يد الصانع إلى أعماق صنعته؛ بل من فكر الله لفكر الإنسان الذي يفكر بقوة الله، من روح الله لروح الإنسان الذي يتنفس بنسمة الله. هذا العامل الخفي السرّي الذي يصل بين الله والإنسان، هو الأداة التي يترجم بها الإنسان أسرار الأعاجيب في الخليقة من حوله.

«حتى إنهم بلا عذر»: ἀναπολογήτους

ليس **"العذر"** هنا منصباً على الجهل بالله، لأن ق. بولس يبرهن على أنه يستحيل على الإنسان أن يجهل خالقه. هل يجهل الإنسان نفسه؟ فالإنسان كقول ق. بولس يحيا ويتحرك ويوجد بالله.

ولكن ليس لهم عذر من جهة أنهم لما عرفوه لم يعبدوه؛ بل تكابروا على معرفة الله التي أظهرها لهم، وتصرفوا كأنهم لم يعرفوها، وارتدُّوا إلى ذواتهم يعملون ما يثبت أنهم ثائرون على مَنْ أعطاهم ليس المعرفة بنفسه فقط بل ثائرون على نفخة الحياة التي أعطاهم!

«ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حيَّة» (تك٢:٧). فهذا النَّفَس عينه هو الحبل السُّرِّي الذي لا يزال يربط روح الإنسان بالله.

و **«بلا عذر»** كلمة قضائية ينطقها القاضي وقت الحكم مؤذناً بدخول المتهم تحت العقوبة. أما التهمة أو الجريمة فهي عبادتهم المخلوق دون الخالق. وق. بولس يقصد بها أنهم سيقفون أمام الديان بلا منطق ولا نطق إزاء ما اعتدُّوا به وتعدوا على الخالق وداسوا معرفة الله.

وهنا يقولها ق. بولس للأممي، وبعد قليل سنسمعها وهو يقولها لليهود: «أنت بلا عذر أيها الإنسان (اليهودي) كل من يدين (الأممي) لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك.» (رو٢:١)

فالأممي عبد الأصنام وازدرى بالله الخالق، واليهودي دان الأممي في ازدرائه بالله، فوقع تحت الحكم لأنه وهو يعرف الله اعتدَّ بذاته وبرَّر نفسه وصنع نفس ما صنعه الأممي في إهانة اسم الله بسبب تعدياتهم على وصاياه.

٢١:١ **«لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي».**

هنا الرد على القول «إنهم بلا عذر»، إذ تبدأ الآية: «لأنهم»، فهم بلا عذر لأنهم لما عرفوا الله لم يمجِّدوه أو يشكروه. هذا في الحقيقة هو ثمر المعرفة، لأن المعرفة الصحيحة الروحية هي عطية من الله حسب قول ق. بولس: «الله أظهرها لهم»، فيتحتم أن يكون لها ثمر لحساب صاحب المعرفة الذي ألهمها. فالله أصلاً أعطى ويعطي المعرفة عن نفسه بأنواع وطرق مختلفة لتنتهي كلها إلى تمجيده وشكره. فإذا لم تطرح هذه المعرفة التي وهبها لهم ثمراً لحسابه، فمن الحق والواجب أن يرفع الله هذه المعرفة، فيكون هذا وبالاً على الإنسان لأنه يرتد في الحال من تمجيد الله إلى تمجيد نفسه، أو حتى إلى تمجيد القرود والقطط والتماسيح والخنافس، يعمل لها أصناماً وطواطم، ويعبدها ويتفاءل بها، وهو في هذه الحماقة ليس له عذر!!

والوثنية والأصنام ليست وقفاً على الوثنية فيما قبل المسيح، بل وفي المسيحية نجد أن كل من يخفق في معرفته لله المعرفة الصحيحة على مستوى التمجيد والشكر فإنه يرتد إلى عبادة كل ما هو ليس الله، سواء بالخرافات أو الطواطم أو السحر أو الجان أو المال أو الذات.

«لم يمجّدوه أو يشكروه»: ἐδόξασαν ηὐχαρίστησαν

يمجدونه في شخصه الذي أدركوه بالوعي في أعماله المجيدة التي تحكي عن علو مجده، وهذا نوع العبادة الشخصية لله حيث يبدو الله إلهاً ممجداً يقابله اتضاع الإنسان حتماً تحت الإحساس بتفوق الله وعظمته التي لا تحد.

يشكرونه في ما عمل كرد فعل انعكس على نفوسهم، وهذا هو نوع العبادة التأثيرية من جراء خيرية الله وعنايته وهي عبادة التسبيح المتهلل العاطفي، التي توصل إلى الشوق والتقرب إليه.

ولكنهم لا مجّدوه كإله بعد أن عرفوه، ولا شكروه كصانع الخيرات من أجل أعماله. وهذا بحد ذاته يُحسَبُ عليهم احتقاراً لمجد ألوهيته وسلباً لخيرات أعماله، ويا ليتهم توقفوا عند تجاهل واحتقار لاهوتية الله وسلب خيراته بالصمت، ولكنهم تمادوا في تجاهلهم، فكانت النتيجة أن سحب الله شعاع نوره من فكرهم فصاروا حمقى أي ذوي أفكار **باطلة**، فالحماقة هي الباطل.

«حمقوا ἐματαιώθησαν **في أفكارهم»:**

وهذا بلغة الكتاب يعني أن أفكارهم انحطت إلى مستوى الأباطيل فساروا وراء الباطل. «هكذا قال الرب ماذا وجد فيَّ آباؤكم من جورٍ حتى **ابتعدوا عني** وساروا وراء الباطل τῶν ματαίων وصاروا باطلاً (= حمقوا ἐματαιώθησαν)» (إر٢: ٥)، بمعنى أن الذي ينزل إلى مستوى الحماقة يصبح أحمقاً.

+ «لأن جميع الناس الذين فيهم نقص معرفة الله هم باطلون (بطّالون) = μάταιοι، ومن الصالحات المنظورة ما استطاعوا أن يعرفوا الكائن ولا انتبهوا إلى الأعمال فعرفوا الصانع، لكنهم ظنوا النار أو الروح أو الريح السريعة أو دائرة النجوم أو الماء الراكد أو النورين في السماء (الشمس والقمر) هي التي تخدم سياسة العالم فاعتقدوا أنها آلهة.» (حك١٣: ١و٢)

+ «الرب يعرف أفكار الإنسان أنها **باطلة** μάταιοι.» (مز٩٤: ١١)

وق. بولس اقتبس هذه الآية كما هي: «الرب يعرف أفكار الحكماء أنها باطلة μάταιοι.» (١كو٣: ٢٠)

كل هذه الشواهد تؤكد أنه بمجرد أن يفقد الإنسان أو يتهاون في تقديره الصحيح لله وتقييمه لأعماله المنظورة، فإنه يفقد في المقابل رجاحة التفكير في وزن الأمور الروحية. فتجد الفلاح

الصعيدي الأمي يحكي عن مجد الله وأعماله بعمق وتفهم ودراية؛ وفي المقابل تجد مَنْ هم في درجة الحكماء وذوي المراتب العليا في المعرفة، فلاسفة ومعلمين وقضاة ومحامين، يتحاشون الكلام عن الله أو مجده أو أعماله لأنهم لا يحسُّون بها، وإذا تكلموا عنها اضطراراً تجدهم سطحيين خالين من أي إدراك صحيح أو انفعال. هنا نرى أن حكمتهم وعمق ذكائهم وفطنتهم التي يُشار إليها بالبنان في مجال أعمال العالم قد انسحب منها ما يخص الله، لأن الله سحب منهم ما له، فأبقى لهم ما لهم وما للعالم الذي تكرَّسوا له وأخذ منهم الذي له.

«وأظلَمَ قلبهم الغبي»:

القلب هنا هو مركز الشعور والعواطف والإحساس الروحي، والموصِّل إلى الوعي الروحي للإنسان، فبمجرد أن ينسحب من الإنسان شعاع نور معرفة الله، ترتد المشاعر والعواطف والأحاسيس من المستوى العالي الراقي فيما لله والروح لتنحصر في آفاق الماديات والمحسوسات. لأن القلب يفقد وعيه وفطنته فيصير القلب غبيّاً ἀσύνετος أي بلا تمييز. وهكذا يغيب عنه نور الله ويرتد إلى الذات والعالم، فينحبس في دائرة الظلمة بعيداً عن نور الله.

٢٢:١ **«وبينما هُمْ يزعُمُونَ أنهم حكماءُ صاروا جُهلاءَ»**.

هنا يبدأ ق. بولس في درجات النزول.

الخديعة التي يقع فيها هؤلاء الذين سقطوا من معرفة الله وتجاهلوه، هي أن حكمتهم الدنيوية تبقى لهم كما هي، ولكن إذ يسحب الله معرفته التي أظهرها لهم لا تتبقى لهم إلاّ حكمة أرضية فارغة تحصرهم في مجال الجهالة دون أن ينتبهوا. فبينما يظنون أنهم لا يزالون حكماء، يستطيع أي إنسان له علاقة صادقة بالله أن يحكم عليهم بالجهل والحماقة. وهكذا إذ تنسحب معرفة الله من محيط وعيهم تبتدىء الانهيارات الخلقية.

٢٣:١ **«وأبدلُوا مَجْدَ الله الذي لا يَفْنَى، بشِبْهِ صورةِ الإنسانِ (الفراعنة وآلهة أثينا) الذي يفنى، والطيورِ (الصقر) والدوابِ (عجل أبيس) والزحافاتِ (التمساح)»**.

«صنعوا عجلاً في حوريب وسجدوا لتمثال مسبوك.» (مز١٠٦: ١٩)

المجد δόξα هنا يأتي بمعنى الكرامة في عبادة الله بحسب الفكر العبري ليقابل الهوان في عبادة الأصنام.

هكذا نضح الغباء والحماقة من الفكر المظلم في الداخل إلى عمل في الخارج يحكم على حماقتهم القلبية ويفضح جهالتهم التي بلغوا إليها. إذ تنعمي بصائرهم عن الله ليعبدوا آلهة من صنع حماقتهم بشبه الناس أو الحيوانات أو الزواحف أو حتى الحشرات.

هنا درجة انتقال إلى أسفل في انهيار أخلاقي واضح، ولكن في هذا السقوط الأخلاقي الأول تحوّل لهم الإثم ـــ كتعدٍّ على الله ـــ إلى مصير، فصار الإنسان عابد وثن له أخلاقه وسلوكه الخاص، بدل الالتصاق بالله ذي المجد والجلال والخلود، وإلى الانحطاط لمستوى الالتصاق (العبادة) بالحيوانات وما دون، التي مآلها إلى الزوال. وكأنما اختار الإنسان الانتقال من التطلع إلى الخلود صعوداً إلى الارتباط بالزوال هبوطاً، فتفنى أفكاره وأعماله وحياته وكل آماله مع الأصنام التي اختارها ليعبدها من دون الله. إنها مأساة الإنسان الأُولى ولكنها كانت مأساة منحطّة وأليمة في تاريخ الإنسان العظيم!

١: ٢٤ «لذلك أسلَمَهُم الله أيضاً في شهواتِ قُلوبِهِم إلى النَّجاسةِ لإِهانةِ أجسادِهم بينَ ذواتِهِم».

والآن إذ استقلّوا عن الله وعملوا لأنفسهم آلهة حسب شهوات قلوبهم، أسلمهم الله إلى شهوات قلوبهم، من يد ليد، من يده التي صنعتهم إلى يد شهوتهم التي ستتولى استعبادهم وإذلالهم.

وعلينا أن نلاحظ أن الله لم يسلِّمهم ليصنعوا الخطية، ولا فِعْلُهم للخطايا كان نتيجة غضب الله عليهم، حاشا أن يكون تصرف الله معهم سبباً في خطية، بل إن الله أسلمهم ليعملوا ما كانوا يشتهونه، أو بتعبير أكثر وضوحاً أن الله رفع يده عنهم فأكملوا هم شهوة قلوبهم! فلو كانوا اتّقوه لأبقى معرفته فيهم، ومع معرفته حِفْظٌ وعناية.

هنا ثلاث درجات في الانهيار متتابعة يسلِّمهم الله فيها إلى ذواتهم:
الأُولى: «أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة.» (١: ٢٤)
الثانية: «أسلمهم الله إلى أهواء الهوان.» (١: ٢٦)
الثالثة: «أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض.» (١: ٢٨)

الانهيار الأول سلّمهم الله على مستوى نجاسة **الجسد**.
الانهيار الثاني سلّمهم الله على مستوى أهواء **النفس**.
الانهيار الثالث سلّمهم الله على مستوى **الذهن** المرفوض.

وتحت هذه الانهيارات الثلاثة دخل فيضان الخطايا بكل أصنافها جسدية ونفسية وذهنية.

القديس بولس هنا لا يحاصر الأمم ولا يحاصر اليهود؛ بل يستعلن تاريخ الخطية حيث تدخل الوثنية بأصنامها واليهود بأصنامهم والفلاسفة والحكماء بأصنامهم، الكل سيّان في مجرى التاريخ. الواحد يسلم للآخر والكل وقع تحت العصيان، وق. بولس كان يتكلم عن التاريخ حتى اللحظة التي كان يعيشها وهو على قمة ازدهار الخطية في غليان العالم الوثني. هذا التاريخ المنسوب لآدم أو بالحري لخطية آدم.

وذهن ق. بولس مربوط ضمناً بتاريخ صنمية إسرائيل. فأول صورة تاريخية بلغتنا عن تمييز عبادة الله من العبادة الصنمية جاء في بكور تاريخ إسرائيل، حيث باشر الله أول تسليم «أسلمهم الله» παρέδωκεν.

+ «فعملوا عجلاً في تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا بأعمال أيديهم. فرجع الله **وأسلمهم ليعبدوا جند السماء** كما هو مكتوب في كتاب الأنبياء: هل قربتم لي ذبائح وقرابين أربعين سنة في البرية يا بيت إسرائيل، بل حملتم خيمة مولوك ونجم إلهكم رمفان، التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها، فأنقلكم إلى ما وراء بابل.» (أع٧: ٤١ــ٤٣)

هنا تسليم الله لشعب إسرائيل كان عقوبة قضائية، رَفَعَت عنهم نعمة معرفته فسقطوا في شهوة قلوبهم ليعبدوا نجوم السماء وتماثيل آلهة كاذبة. وهذه هي نتيجة «غضب الله»، حيث يترك الله الإنسان ويسلِّمه لشهوات نفسه، فيلحقه الفساد في الداخل والخارج، لكي يرتدع الإنسان ويعلم أنه لن يستطيع أن يحيا بدون الله أو يناصبه العداء. ولكن في كل هذا يكون الإنسان هو القاتل وهو القتيل. فكل ما تمنّاه واشتهاه يتركه الله ليستقي منه الفساد والهلاك. والقضاء هو هو منذ أخطأ آدم: كل من يحتقر وصية الله يرفع عن نفسه النعمة ويجلب على نفسه اللعنة!

وهذا هو منظر العالم والإنسان حينما يقطع أغلال العبودية لله ـــ عن وهم ـــ لينال حريته الكاذبة، فينال لعنته باستحقاق.

«أسلمهم الله ... إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم»:

النجاسة: ἀκαθαρσίας

ليس للنجاسة تعبير إيجابي في اللغة اليهودية فهي: **«عدم الطهارة»**. وتشمل النجاسة في تعبيرات ق. بولس كل أنواع الشذوذ الجنسي أو شذوذ الجنس الواحد (٢كو١٢: ٢١، غل٥: ١٩،

أف٥: ٣، كو٣: ٥، ١تس٤: ٧). ولكن أسوأ تعبير عن النجاسة عند ق. بولس ورد في هذا الأصحاح في الآية (٢٧). وكان تعليق ق. بولس عليه أنه أشنع منظر للإنسان وهو يهين جسده مع جسد آخر: «بين ذواتهم». وهذا محسوب أنه الجزاء أو القصاص العادل إزاء ضلالتهم. وكلما أهانوا الله، سقطوا في إهانتهم لأجسادهم.

٢٥:١ «الذين استبدَلوا حقَّ الله بالكذبِ واتَّقَوْا وعَبَدُوا المَخْلُوقَ دُونَ الخَالِقِ الذي هو مُبارَكٌ إلى الأَبَدِ آمين».

«حق الله»: τὴν ἀλήθειαν

القصد منها استعلان حقيقة الله لهم كما أظهرها الله لهم في وعيهم العام.

الكذب: τῷ ψεύδει

هنا الكذب ينصبُّ على واقع الصنم باعتباره شخصية وهمية غير موجودة تُخفي الحق، فهو عين الكذب وليس فقط كذباً، ولكنه يقود إلى الضلالة وهي المسير في الكذب.

ثم يشرح ق. بولس كيف استبدلوا الحق (عبادة الخالق) بالكذب (عبادة المخلوق).

وهنا ق. بولس أخذته الرعدة فاستغاث بالله من هذا السلوك فأعطاه البركة: «الذي هو مبارك إلى الأبد آمين». قالها ليطرد عنه تصوُّر هذا الشر المُستَطير. وهي مقولة على لسان كل يهودي.

٢٦:١ «لذلك أسْلَمَهُم الله إلى أهواءِ الهَوَانِ، لأن إناثَهُم استبْدَلْنَ الاستِعْمالَ الطَّبيعيَّ بالذي على خِلافِ الطَّبيعَةِ».

وهكذا في النهاية صرَّح ق. بولس بما كان يُكنُّه في قوله: **«شهوات قلوبهم»**، **«النجاسة»**، **«إهانة أجسادهم بين ذواتهم»**، **«أهواء الهوان»**، وهو بأن نساءهم استبدلن الاستعمال الطبيعي للجنس بالذي على خلاف الطبيعة. وكفَّ ق. بولس عن التوضيح: فالمرأة مهما توقحت ينبغي أن تُلفَّ سيرتها بالحشمة!!

«إناثهم»: θήλειαι

لم يذكر ق. بولس كلمة «نساء» γυναῖκες، تماماً كما لم يذكر بعد ذلك كلمة «رجال» ἄνδρες بل «ذكور» ἄρσενες لأن الضربة مصوَّبة هنا للجنس وليس لأفراد، والتشهير واقع على الأجساد العامة، والنقمة حاقت بالطبيعة البشرية ككل إناثاً وذكوراً. أما لماذا بدأ ق. بولس

بالإناث فذلك لكي يصف فداحة الفضيحة. واللغة اليونانية تحمل في مدخل الجملة حرف τε ـ سقط في الترجمة العربية ـ لتترجم صحيحاً هكذا: «حتى إن إناثهم» تمادياً في وصف التمادي في المصيبة!!

«أهواء الهوان»: πάθη ἀτιμίας

لقد جمع ق. بولس في هذا التعبير كل انحرافات الشهوات وحبسها في منظر الهوان! والهوان هو القبح عندما يبلغ الدرك الأسفل. فإذ رفض الإنسان أن يبقى في أمان عبادة الله ليبقى في شرف خلقته وليُبقي على فضيلة إناثه وذكوره، أسلمه الله لهوى نفسه ليَهْوِيَ نحو فضيحة جنسه.

وهكذا لما قلب الإنسان عبادته من الخالق إلى المخلوق، انقلبت عليه طبيعة خلقته، ففقدت الأنثى القصد الطبيعي من خلقتها، وكذلك الذكر، وكأن الإنسان بات مهدداً بالفناء لو أن هذه المصيبة عُمِّمت أو حاقت بالجنس كله. فالزنا يمكن أن يعطي نسلاً ولو في الحرام، أما مصيبة تسفُّل اللهو الجنسي بين الإناث معاً، وبين الذكور معاً فلا يعطي إلاَّ العار والدمار والتردُّد بالكبريت والنار.

وأضاف التاريخ لهذه اللعنة في هذه الأيام وبأ «الإيدز AIDS»(١٠) كتصفية للحياة سريعاً يتبعها الرعب حتى القبر.

٢٧:١ «وكذلِكَ الذُّكُورُ أيضاً تارِكِينَ استِعْمَالَ الأُنثَى الطَّبيعيَّ، اشتَعَلُوا بشَهوتِهِم بعضِهِم لبعضٍ فاعِلِينَ الفَحْشاءَ ذكوراً بذكورٍ، ونائِلِينَ في أنفسِهِم جَزاءَ ضَلالِهِم المُحِقَّ».

سقط في الترجمة العربية أهمية الحرف τε ويترجم "حتى"، فهكذا ينبغي أن تبدأ الآية: «كذلك حتى الذكور ...» ويقصد بها ق. بولس التعبير عن التمادي وذلك بإحساس الضيق. فالموضوع مُقرِف ولكن ليس من سبيل إلى المعالجة إلاَّ الكشف.

«بشهوتهم»: ὀρέξει

تعبير عن **شهوة حيوانية**، لأن هذا الفعل منحرف عن الشهوة الطبيعية للرجل، ويشترك فيه

---

(١٠) وهو المرض الناجم عن هذه الخطية ويُعرف في الطب باسم مرض فقدان المناعة، ونشأ بسبب اجتماع جماعة من شباب أمريكا مع نوع من أنثى الغوريلا وهي القرود في وسط أفريقيا، فحملوا العدوى الكامنة في هذا الحيوان ونقلوها إلى بلادهم ومنها إلى كل أنحاء العالم. وهذا المرض لا شفاء له وقد دوَّخ جميع علماء العالم. وكأن الله لا يريد لهذه الخطية شفاءً حتى يجعلها عاراً ثابتاً على الإنسان، كأحد المخازي العظمى التي ستكون سبباً في نهاية تاريخ العالم.

كل من الكلاب والقرود والحمير، دون كافة الحيوانات الأخرى.

وحينما يقول ق. بولس: «اشتعلوا بشهوتهم» بهذا التعبير، فإنه يوضح باللغة اليونانية أنه اشتعال بشهوة غير طبيعية لأداء وظيفة الجنس الطبيعي، ولكنه شهوة حيوانية دخيلة على طبيعة الإنسان.

«فاعلين الفحشاء»: ἀσχημοσύνην

الفحشاء هنا هو الفعل القبيح الفاضح: «لأن الأمور الحادثة منهم سرًا **ذِكْرُها أيضاً قبيح αἰσχρόν**» (أف٥: ١٢). هذا الوصف يزيد من اتهام هذا الفعل بالتجريم.

«نائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المُحِقّ»:

إرجاع كل شناعة هذا الانحطاط الخلقي إلى العقاب الذي حل بالإنسان نتيجة تركه لله!! جزاءً وفاقاً!!! فبقدر ضلالهم عن الحق، حقّ عليهم السقوط في شناعة فعلة الفحشاء هذه الكريهة اسماً وفعلاً!

وكلمة «**المُحِقّ**» هنا تفيد دقة موازين الله في العقاب، فكلمة «بالتقريب» ليس لها وجود في موازين الله، فبين الخطية والعقاب ميزان يحسب التكلفة ألف حساب ليقع العقاب مغطياً الخطية غطاءً ليس فيه تفريط أو إفراط.

وعلى الساقط في نقع هذا الوحل أن يدرك أن عقاب هذه الخطية ملازم لها: **فهي** شهوة لا تشبع ولا تهدأ ولا تنطفيء، تقرض الجسد قرضاً، تسلبه اتزانه وتسحب منه عافيته، تفسد مزاجه وحِسّه وذوقه وتخلُّ بكل موازين أخلاقه، ولا تترك الإنسان إلاّ بعد أن تُلحق به العار والدمار، هذا إنْ تَرَكَتْه!! وهذا هو الغضب المُعلَنُ من السماء على الفاجرين.

١: ٢٨ **«وكما لم يستَحْسِنُوا أن يُبْقُوا الله في معرفتِهِم، أسلَمَهُم الله إلى ذهنٍ مرفوضٍ ليفعَلُوا ما لا يَليقُ».**

«يستحسنوا» ἐδοκίμασαν (مشتقة من δόκιμος = لائق)

هذه الكلمة تستخدم عادة في الحكم على العملة أنها عملة لائقة أو **غير لائقة**[11]. ووردت

11. Lightfoot, *Ep. to the Rom., ad. loc.*

كلمة في هذه الآية عكسها أي "غير اللائق" في لفظة ذهن مرفوض **ἀδόκιμον** . وهكذا تبدو اللغة اليونانية في هذه الآية فيها طِبَاقٌ وتقابل بمعنى: "لما **لم يرضوا** أو يقبلوا أو يستحسنوا أن يبقى الله في ذهنهم، أسلمهم الله إلى ذهن **غير مَرْضي** أو غير مقبول أو غير حسن أو مرفوض!!" أو على مستوى العملة المقبولة والمرفوضة يكون ما في ذهن ق. بولس هكذا: "لما لم يعاملوا الله كعملة مقبولة أو جيدة، هكذا جعل الله ذهنهم عملة غير مقبولة، أي رديئة". تماماً كما صوَّرها إرميا قديماً: «فضة مرفوضة **ἀποδεδοκιμασμένον** يُدْعَوْن، لأن الرب قد رفضهم **ἀπεδοκίμασεν**» (إر٦: ٣٠). ونلاحظ هنا أيضاً البداية بـ «"كما" لم يستحسنوا» التي تضع العقاب بعد ذلك على التوازي المساوي مع الجنوح عن الله والبعد عن طاعته.

من هذا السقوط المتتالي أو الذي سميناه الانهيارات المتوالية نتبيَّن هكذا ثلاث درجات:

الدرجة الأُولى: الإنسان يتعرَّف على الله بالوسائل العامة، طبيعية أو فكرية أو بالوعي المفتوح. ثم يرفض الإنسان أن يتبع الرب أو يتعبَّد له أو يُبقيه في معرفته، ويبدأ يشرب من معارف أخرى مضادة لله. فيسقط في فخ الأصنام التي لها صورة الإنسانية بالشبه أو الحيوانية ويتعبَّد لها.

الدرجة الثانية: يتركهم الله، أي يسلِّمهم إلى فكر أجسادهم الأرضية، فيستمرئوا الشهوة الردية ويرفضوا العودة.

الدرجة الثالثة: يسلمهم الله إلى ذهن مرفوض فتنفتح الخطية عليهم كنهر يشربونها كالماء. وهنا في هذه الدرجة تأتي العقوبة مصوَّبة نحو ذهن الإنسان قاعدة أفكاره وتصوراته، وهو أعز وأغلى ما يملك من مكوِّنات شخصيته. فإن كانت العقوبة السابقة قد اتجهت ناحية فك الحراسة الإلهية عن قوى الجنس ليسقط الإنسان في أشر شهوات الحيوانات، فهنا يرفع الله العناية عن حكمة الذهن ليتشرد الإنسان في كل تصوُّرات قلبه الشريرة.

وحتى وفي آخر درجة من السقوط تجدهم يكابرون بأنهم يعرفون كل شيء ويعرفون الله وهم يخدمون الخطية باجتهاد.

+ «كل شيء طاهر للطاهرين (ذوي المعرفة الملتصقة بالله) وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً **بل قد تنجَّس ذهنهم أيضاً وضميرهم.** يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم

بالأعمال ينكرونه إذ هم رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون.»
(تي١: ١٥و١٦)

هكذا ينتهي الإنسان الذي رفض أن يُبقي الله في معرفته، إذ يصبح في حالة أخلاقية متفاقمة في الشر، من ضعف إبصار لضعف بصيرة إلى تزييف في الرؤيا إلى العمى فلا يرى النور في الظهيرة، مهجورين من النعمة، فاقدين للبصيرة وهي أسمى ما يملكه الإنسان!

+ «لا تضلوا فإن المعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق الجيدة. اصحوا للبر ولا تخطئوا لأن **قوماً ليست لهم معرفة بالله** ἀγνωσίαν ...» (١ كو١٥: ٣٣و٣٤)

«ليفعلوا ما لا يليق»:

الذهن غير اللائق إن فعل فلابد أن يفعل الأفعال غير اللائقة. والإنسان إنسان بأفعاله اللائقة لأن بها يأخذ مكانته في العالم بين الناس، فإن لم تكن له أفعال لائقة يصير فاقداً لحقيقة وجوده بين الناس، لأنه فاقد لحقيقة وجوده أمام الله.

١: ٢٩—٣١ **«مَمْلُوئِينَ من كلِّ إثْمٍ (وزناً) وشَرٍّ وطَمَعٍ وخُبْثٍ، مَشحونِينَ حَسَداً وقَتْلاً وخِصاماً ومَكْراً وسوءًا. نمَّامينَ مُفترِينَ مُبغِضينَ لله ثالِبينَ مُتعظِّمين مُدَّعِينَ مُبتَدِعينَ شروراً غيرَ طائعينَ للوالدَيْن، بلا فَهْمٍ ولا عَهْدٍ ولا حُنُوٍّ ولا رِضىً ولا رَحمَةٍ».**

لقد اكتشف علماء اللغة والكتاب المقدس خطأً في النساخة دقيقاً للغاية أضر بتسلسل المعاني والأوضاع في سرد الخطايا، إذ اكتشفوا أن كلمة πορνεία زنا هي دخيلة كخطأ نساخة وصحتها πονηρία وترجمتها "مولع بالأذية"، وقد جاءت الطبعات الأخيرة من الإنجيل اليوناني وقد رُفع منها صفة الزنا وعوضاً عنها وُضع صفة المؤذي أو المولع بالأذيَّة.

وهكذا أصبح يمكن بسهولة تقسيم كل الموبقات الأخلاقية في هذه الآيات إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأُولى وتجمعها كلمة "مملوئين من كل إثم: **أذية وشر وطمع وخبث**"،
المجموعة الثانية وتجمعها كلمة "مشحونين: **حسد وقتل وخصام ومكر وسوء**"،
المجموعة الثالثة وتأتي اثنين اثنين: "**نمامين ومفترين، مبغضين الله ثالبين، متعظمين**

مدعين، مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولا عهد، بلا حنو ولا رضى ولا رحمة".

والذي يرجح ازدواج هذه الصفات السيئة في المجموعة الثالثة محاولة حفظ الوزن الصوتي والتركيبي في اللفظ اليوناني بين كل اثنين مثل:
حسد وقتل: φθόνου / φόνου كذلك،
بلا فهم ولا عهد: ἀσυνέτους / ἀσυνθέτους

وعلى العموم نجد في النغمة اليونانية التي سرد بها ق. بولس هذه الصفات نوعاً من الوزن العام من النثر المحبوك، فالمجموعة الأُولى تبدأ ἀδικία وتنتهي κακία: أديكيا / كاكيًا. وهذا في الحقيقة يعطينا فكرة عن حضور ذهن ق. بولس الحاد في موهبة الكلام المحبوك واللغة الرصينة وهو يسرد هذه المجموعة العجيبة المتسعة الشاملة لكل رزايا الأخلاق التي رآها والتي سمعها والتي قرأ عنها عند الشعوب التي عاشرها والتي درس أخلاق مواطنيها.

وكان بودنا أن نخوض في هذه الصفات الأخلاقية المنحرفة ونوفِّيها حقَّها في التفسير السيكولوجي أي النفسي، ولكن وجدنا أن هذا لا يقصده ق. بولس، وهو عمل ينبغي أن يقوم به المتخصصون في السلوكيات الاجتماعية والنفسانية.

١: ٣٢ **«الذين إذ عرَفُوا حُكْمَ الله أن الذينَ يعمَلُونَ مِثلَ هذه يستوجِبُونَ المَوْتَ، لا يفعَلُونَها فقط، بل أيضاً يسرُّون بالذين يَعمَلُون».**

هنا ق. بولس يستحدث خطية جديدة غير المسلسل الذي ذكره في الآيات السابقة ويحتسبها أكثر شناعة، إذ يعتبر أن الذين يعرفون أن ثمن انحرافهم هو الموت (الروحي) ولا يكفُّون عن الفعل بل يتمادون نحو استحسان وتشجيع ممارسة هذه الأفعال، فإن حالتهم تكون أشد سواداً من الذين يفعلون وحسب!

وهذه الفئة المتمادية في عقوقها واضح أن تأثيرها في إفساد الناس أشد وأكثر خطورة، وهي في الحقيقة وبهذه الصورة تكون قد بلغت أعلى درجة تحدٍّ لله وبالتالي في الانهيار الخلقي والانحطاط الإنساني. لأنها وهي تعرف خطر ما تقترفه، تقترفه وتساعد على اقترافه؛ بل وتستحسنه بنوع من التلذذ، هنا قمة الحضيض الخلقي في عالم الخطية وآخر ما بلغت إليه حالة الإنسان بسبب هجران الله.

ولكي يدرك القارىء مدى قحَّة هذا الصنف من الناس، فلينتبه إلى قول ق. بولس حين يقول إن الذين إذ يعرفون حكم الله بالموت لـمَنْ يعملها ليس فقط لا يرتدعون؛ بل ويعملونها؛ بل ويُسرُّون بالذين يعملونها أيضاً؟

أيَّة بجاحة وأيُّ موت أدبي وأخلاقي وحسِّي بلغه مثل هؤلاء؟

في الحقيقة وفي رأينا أن مثل هذه الحالة تذكِّرنا بحالة ما قبل الطوفان، ولكن عوض أن يميت الله كل حي، مات ابن الله الحي لينقذ العالم من طوفان الخطية والموت!

هذه كانت حياة الناس قبل أن يولد المسيح ...

تعقيب

يلاحظ في نهاية هذا الأصحاح خاصة من عدد (١٨—٣٢) أن ق. بولس ابتدأ يوجِّه الاتهام بصورة عامة للإنسان ككل، ولكنه أخذ الوثنيين (الأمم) كعيِّنة ذاكراً أهم شذوذهم وأخطائهم، هكذا بالتالي يبتدىء الأصحاح الثاني بالهجوم بصفة عامة على الإنسان ككل ولكنه يتخذ اليهود كعيِّنة كاشفاً أهم فضائحهم، ولكن دون أن يذكرهم بالاسم حتى العدد (١٧) من الأصحاح الثاني.

الأصحاح الثاني
حالة اليهود

١ — رو ٢ : ١—١١ : معيار محاكمة اليهود.
٢ — رو ٢ : ١٢—١٦ : امتلاكهم الناموس لم يبرِّرهم.
٣ — رو ٢ : ١٧—٢٤ : كيف تعدَّى اليهود على الناموس.
٤ — رو ٢ : ٢٥—٢٩ : الختان لا يبرِّر.

الأصحاح الثاني
حالة اليهود

صحيح أن هذا الأصحاح مصوَّب ناحية اليهودي، ولكن ق. بولس يستهلُّه بتهمة خاطفة يوجهها نحو القارىء نفسه والسامع الذي مرَّ بذهنه هو أيضاً على سلسلة الخطايا التي ذكرها هنا مشمئزاً متململاً ناقداً ساخطاً على هؤلاء المنحرفين والساقطين في وحل الخطايا؛ ويبتدره: يا مَنْ تدين هؤلاء، انتبه، لأنك فيما تدين غيرك تحكم بأن واحد على نفسك لأنك تفعل هذه الخطايا بعينها، فالذي لم يزنِ ولكن نظر بشهوة إلى أمرأة فإنه يُحسَبُ بالقلب زانياً، فكيف تفلت من غضب الله؟ والذي أخطأ في واحدة من الوصايا فقد أخطأ في الكل. فالخطية هي خطية سُمُّها قاتل، شربْتَ منه القليل أو الكثير!! «فماذا نقول؟» (رو٣: ٥)

تقول، ولكن كان يوجد بالعالم آنذاك ألوف من الحكماء الأخلاقيين كالفيلسوف الأخلاقي زينون وأتباعه كل جماعة الرواقيين الفضلاء، والحكيم سينكا، وجماعة أخناتون بمصر، ونساك الهند وغيرها، وجماعة العباد الأسينيين باليهودية، والثرابيوتا بمريوط بمصر. والرد على ذلك: ليس مَنْ يعرف الصلاح بصالح، وليس مَنْ يحفظ الناموس ناموسياً يكون، ولا مَن يمتنع عن فعل الشر بار، وليس لمَنْ يشاء ولا لمَنْ يسعى. «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس مَنْ يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (رو٣: ١٢)، «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو٣: ٢٣)، «الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع» (رو١١: ٣٢). والذي أخطأ في الناموس بالناموس يُدانُ، والناموس لم يبرر أحداً، والذي أخطأ بدون الناموس بدون الناموس يهلك، لأن غاية الناموس هي المسيح للبرِّ، لأن الخلاص هو من اليهود، «ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات.» (مت٧: ٢١)

[٢: ١-١١] معيار محاكمة اليهود

١: ٢ «لذلك أنت بلا عُذرٍ - أيها الإنسانُ - كلُّ مَنْ يَدينُ لأنك في ما تَدينُ غيرَكَ تحكُمُ على نفسِك لأنك أنت الذي تدينُ تفعلُ تلكَ الأمورِ بعينِها».

نلاحظ هنا التعميم في الوقوع تحت الدينونة بالقول «كل مَنْ يدين». تماماً كما عمَّمها ق. بولس في الأصحاح الأول: غضب الله على «جميع فجور الناس».

وكما يقع الأممي تحت دينونة اليهود فيما يقع فيه من فجور،

كذلك يقع اليهودي تحت دينونة الأممي فيما يقع فيه بنفس الفجور: «لأن اسم الله يُجدَّف عليه بسببكم بين الأمم.» (رو٢: ٢٤)

كذلك كما رفع ق. بولس العذر عن الأمم فيما يفجرون: «... حتى إنهم بلا عذر» (١: ٢٠)،

هكذا يرفع ق. بولس العذر عن اليهود فيما يدينون: «أنت بلا عذر أيها الإنسان كل مَنْ يدين ...» (٢: ١)

وهكذا يحاصر ق. بولس الأمم واليهود حتى لا يفلت أحد مما صنع، ومما أغضب الله به.

إن أوضح شرح لهذه الآية نقرأه في إنجيل ق. لوقا من كلام المسيح:

+ «وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين هذا المثل: إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار، أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا: اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع وأُعشِّر كل ما أقتنيه، وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهمَّ ارحمني أنا الخاطىء. أقول لكم: إن هذا نزل إلى بيته مبرَّراً دون ذاك.» (لو١٨: ٩-١٣)

كذلك ق. بولس نفسه يقدّم شرحاً لهذه الآية عينها بعد ذلك بوضوح ما بعده وضوح في الآيات من (١٧-٢٤) من نفس الأصحاح.

يلاحظ في هذه الآية أنها موجَّهة للإنسان كل مَنْ كان - «كل مَنْ يدين» - دون تحديد

لهوية أو فئة أو جنس، فهنا قانون قضائي عام يُحاكَمُ به الإنسان أمام الله وضميره والآخرين أيضاً، دون تمييز أو أي عذر. وهذا يذكّرنا بقول المسيح للذين أدانوا المرأة الخاطئة وحكموا عليها بالرجم بحسب الناموس: «مَنْ كان منكم بلا خطية فليَرْمِها أولاً بحجر» (يو٨: ٧)، فكانت النتيجة أنهم خرجوا جميعاً من حضرة الرب، أي استقالوا كقضاة، إذ يتحتم على القاضي الذي يحكم في خطية ما أن لا يكون هو متهماً بها. ومن أجل هذا القانون عينه أصبح المسيح هو الديّان الوحيد للأحياء والأموات لأنه كان بلا خطية، كما أصبح هو الشفيع الوحيد عن خطايا العالم كله لأنه حمل خطية العالم كله!

ولكن ينبغي أن ننبّه ذهن القارىء أن القصد الأساسي من هذه الآية وما بعدها ليس هو الدينونة، فهنا لسنا بصدد تعليم عن الدينونة — بل إن قصد بولس هو أن يكشف عن أن الإنسان — أي إنسان — وبالأكثر اليهودي، هو متهم بحد ذاته بأنه يفعل مثل هذه الخطايا — بنوع ما — لو هو دقّق في الضمير وبالفكر وراجع نفسه على ضوء حق الله.

والذي يزيد من ثقل دينونة الذين يدينون الآخرين ويحصرهم تحت الغضب أكثر من الآخرين هو السؤال: على أي أساس تدينون؟ فهم يدينون على أساس **معرفتهم الصحيحة بالحق والحياة الفاضلة ودقائق عدل الله!!** لذلك عندما ينكشف أنهم يفعلون تلك الأمور عينها ومع أن عندهم مثل هذه الموازين، تصبح خطيتهم أعظم!!

من هنا يأتي سر الكلمة الأُولى في الآية: «**لذلك**»، فهي تعقيب خطير على ما سلف؛ لماذا؟ لأن كل الخطايا التي ذكرها ق. بولس في الأصحاح الأول تقوم أصلاً على المعرفة القليلة التي يستشفها الإنسان الأممي الطبيعي من مظاهر الخلقة، وما يستعلنه الله له في الوعي الروحي العام. إذاً، فما بالك بالذي يدين هذه الخطايا على أساس علم أكثر ومعرفة أدق بالله وبوصاياه ثم هو يعملها؟؟

ونحن نضعها أمام القارىء متصلة هكذا: «الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت ... **لذلك** أنت بلا عذر أيها الإنسان (العارف أكثر بأحكام الله) ... إذ تفعل تلك الأمور عينها».

وهنا نبدي تعجبنا واندهاشنا من الشُّرّاح الذين قالوا بعدم لزومية كلمة «لذلك» وأسقطوها من الشرح!!

والذي نخرج به من هذه الآية عموماً أن ق. بولس يستحدث خطية جديدة تماماً يسقط فيها الإنسان عامة واليهودي خاصة، وهي **التعامي عن خطاياه** وعدم فرزها في الضمير وطرحها أمام الله، مثل ذلك العشار الحاذق الذي سرق برَّ الله من الفريسي، فنزل إلى بيته الأبدي مبرراً، بينما انحدر الفريسي إلى دينونة القضاء. ففوق جميع الخطايا وأخطر من جميع الخطايا هو التعامي عن الخطايا وإخفاؤها في طيات الضمير دون عرضها أو التعرُّض لها، وكأنما يحفظها الإنسان ليُحاكَمَ بها أمام الله يوم الدينونة: «لأننا لو كُنَّا حكمنا على أنفسنا لما حُكِم علينا» (١كو١١: ٣١). هنا قيمة التوبة، هنا قيمة الاعتراف بالخطايا.

٢:٢ «**ونحن نعلمُ أن دينونةَ الله هي حَسَبُ الحقِّ على الذينَ يفعلونَ مثلَ هذه**».

ق. بولس هنا يطرح قضية مُسلَّماً بها، وهي أن الله حق ويقضي بالحق، والحق في كل قضية تُعرض عليه تحمله القضية في طياتها. فالقديس بولس لا يُلمِّح على الناموس ولا على أي نظام قضائي آخر؛ بل يسجِّل حقيقة قائمة يعلمها الجميع ويعلمها الضمير: «الذين يُظهِرُون عمل الناموس (بدون الناموس) مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجّة.» (رو٢: ١٥)

إذاً، فدينونة الله على مَنْ يفعلون هذه الخطايا هي بمقتضى الحق الإلهي الذي لا تتدخل فيه اعتبارات من جهة اختلافات الناس. فاليهودي كالأممي أمام الحق، والحكم بمقتضى الحق يرضاه الجميع بلا احتجاج «نحن نعلم».

٢:٣ «**أفتظنُّ هذا أيها الإنسانُ الذي تدينُ الذين يفعلونَ مثلَ هذه وأنت تفعلُها أنكَ تنجُو من دينونةِ الله**»؟

السؤال هنا استنكاري ويركِّز عليه ق. بولس بنوع من التشهير والتهكم على كل مَنْ يستثني نفسه من حكم الله وهو يفعل مثل هذه الخطايا، متذرعاً بانتمائه إلى إبراهيم أو الناموس. وهنا ق. بولس يردِّد ما قاله المعمدان: «ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة (القلوب الحجرية التي للأمم) أولاداً لإبراهيم. والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار.» (مت٣: ٩و١٠)

يلاحظ هنا أن ق. بولس يكرر طرح السؤال على «الإنسان» عامة، ولكنه يتخذ من اليهودي مثالاً واضحاً. ولكن الكلام يسري على كل إنسان، فلا اعتبارات خاصة يمكن أن تستثني أي إنسان من دينونة الله، لأنها بحسب الحق وليس في الحق استثناء.

٢: ٤ **«أم تستهينُ بغِنى لُطفِهِ وإمهالِهِ وطولِ أناتِهِ، غيرَ عالمٍ أن لطفَ الله إنما يقتادُكَ إلى التوبةِ».**

خطران محدقان بك أيها الإنسان، كُنتَ من كنت:

الخطر الأول: أن تستثني نفسك من دينونة الله لأي سبب كان، إن كنت تفعل مثل هذه الخطايا، كما جاءت في الآية السابقة.

الخطر الثاني: أن تستخف برحمة الله وصبره على الخطاة، كونه لا يُنزل بهم العقاب في هذا الدهر علناً، كما جاء في هذه الآية.

ثلاث صفات طبيعية في الله على أعظم مستوى من الخير والرحمة يتعامل بها الله مع الخطاة في هذا العالم يلزم أن نضعها في الاعتبار جداً، وإلاَّ تتحول ضدنا إلى مزيد من الغضب ومزيد من قسوة في الدينونة العتيدة.

اللطف: χρηστότητος وهو الشفقة، **وإمهاله** (احتماله) ἀνοχῆς ، **وطول أناته** μακροθυμίας .

فمعاملات الله مع الخاطىء (دون أن يلتفت أو ينتبه هو) غاية في الرقة والحنو، ويطيل أناته بصبر فائق عليه ليتوب، يحاصره بكل عوامل النصح والتوجيه، وأحياناً التأديب الحاني، لعلَّه يلتفت إلى هذه الرقة والحنان فيتحشَّم ويتوب. ولكن ليس إلى النهاية، ففي وقت ما، لا يعلمه الخاطىء، تنتهي فترة السماح الممنوحة له، ويدخل في دور رفع العناية ويا لها من مصيبة!

هنا ق. بولس يصرخ في وجه الخاطىء المستمرىء للطف الله ولطول أناته ويقول له: انتبه فهذا اللطف وهذا الصبر وطول الأناة سيُحْسَبُ ضدك، فلا تهينها بالاستمرار في خطيتك، فهي ليست لتستغلها لحساب الشيطان، هي فقط لحساب توبتك.

إن مصيبة الإنسان ـ الخاطىء الذي أشفق الله عليه برحمته وأدخله في غنى لطفه ـ أن ينسى أن لهذه النعم والمراحم والألطاف مطالبَ وحقوقاً عند الإنسان، وهي التوبة طبعاً. فإذا تغاضى

الإنسان عن مطالبها وحقوقها واستمرأ خيرية الله بالاستمرار في غيّه دون الاعتبار لاستيفاء الواجبات المفروضة عليه ثمناً لهذه النعم، فإن غنى لطف الله وإمهاله وطول أناته تتحوَّل إلى شهادة ضده في يوم الدينونة وإلى عوامل للندم أشد قسوة من خطاياه.

لاحظ هنا أن ق. بولس لا يعظ الإنسان ولا يقود الرجل اليهودي إلى التوبة؛ بل يخاطب الخاطىء الذي لا يريد أن يتوب واليهودي بالتالي الذي يستهتر بمراحم وغنى ألطاف الله عليه في الماضي الطويل ولا يريد أن يتَّعظ، ويواجه مثل ذلك الإنسان بقوله: «غير عالم»، أي كأنك تتجاهل حقيقة معاملات الله معك، لذلك فالعقوبة فادحة.

٢: ٥ **«ولكنكَ من أجلِ قساوَتِك وقلبِكَ غيرِ التائبِ، تذخَرُ لنفسِك غضباً في يوم الغضبِ، واستعلانِ دينونةِ الله العادلةِ».**

يومان في حياة الإنسان:

يوم هو الآن المحسوب أنه يوم الخلاص: «هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو٦: ٢)، حيث الخلاص معدٌّ في كل لحظة والمعونة حاضرة والصلاة مسموعة والقبول حاضر: «في وقت مقبول سمعتُك، وفي يوم خلاص أعنْتُك، هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص.» (٢كو٦: ٢)

أما اليوم الثاني: فهو للذي فاته اليوم الأول، وهو يوم الغضب الذي ينتظر القساة غير التائبين؛ حيث يقول فيه النبي: «ذلك اليوم يوم سخط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب، يوم بوق وهتاف ... وأُضايق الناس فيمشون كالعمي لأنهم أخطأوا إلى الرب ...» (صف١: ١٥-١٧)

هذا اليوم صوَّره ق. بولس في (١: ١٨): «غضب الله مُعلَن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم».

وهنا يسرع ق. بولس ويتحدث عن الفرصة المعروضة اليوم، يوم اللطف والإمهال وطول الأناة، يوم التوبة والركب المنحنية، الذي سيُرفع ويحل محلّه الغضب المعلن والدينونة المعدَّة.

ق. بولس يسمِّي إهمال حقوق الله الآن وتسويف العمر باطلاً وتأجيل التوبة، والهروب من الصلاة ومواجهة النفس، يسمِّيها «قساوة» = σκληρότητα، أما الكلمة اليونانية فيعرفها أصحاب ضغط الدم العالي فهي التصلُّب (= سكلروزيس) الذي يصيب الشرايين، هكذا الذين لا

يلينون أمام لطف الله، فالحياة تفقد صحتها والقلب يتقسَّى!

والقديس بولس بالتعبير اليوناني يشرح أن القساوة تتراكم يوماً بعد يوم، خطيةً بعد خطية، فتنمو القساوة وتزداد وكأنما الإنسان يذَّخر = θησαυρίζεις الغضب في وعاء قلبه غير التائب ويحفظه بعناية ليستعلن يوم الدينونة، يوم الغضب. هنا لا يفوتنا أن ق. بولس يتكلم مع اليهود المشهورين بقساوة القلب وغلظ (قساوة) الرقبة: «طول النهار بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم.» (رو١٠: ٢١)

«يوم الغضب»: ἡμέρα ὀργῆς

يومَ ينتهي تاريخ لطف الله مع الخطاة ويتوقف طول أناته، يومَ يُقفل باب التوبة، يومَ ينتهي الوقت المقبول ويوم الخلاص المفتوح خصيصاً لحساب الخطاة، حيث يقفل التاريخ آخر صفحاته ويتوقف عمله ويفقد وجوده ومعناه!! حيث اللطيف الطويل الأناة على الخطاة يعلن نفسه الديان! ولكن أي غضب هذا الذي يحمله اللطيف الطويل الأناة إلاَّ غضب الحق الذي إذ يسمعه المدان يقول نعم آمين أنا المستحق لغضب الله. لأنها دينونة العادل وقضاء العدالة التي استوفت كل ما يمكن أن تستوفيه من إعطاء الفرص والتغاضي عن المماطلة أياماً وشهوراً وسنيناً دون جدوى، لقد أطالت العدالة كل ما عندها من طول الأناة، لذلك أسماها ق. بولس **الدينونة العادلة** δικαιοκρισίας في كلمة واحدة، حيث الحكم بمقتضى الأعمال وكأن الأعمال هي التي ستدين صاحبها.

٢: ٦–١١ **«الذي سيجازي كلَّ واحدٍ حَسَبَ أعمالِه، أما الذين بصبرٍ في العملِ**
الصَّالِحِ يطلُبُونَ المَجْدَ والكرامةَ والبقاءَ فبالحياةِ الأبديَّةِ،
وأما الذين هم من أهلِ التحزُّبِ ولا يطاوِعُونَ للحقِّ بل يُطاوِعُونَ للإثمِ
فسَخَطٌ وغَضَبٌ، شِدَّةٌ وضيقٌ على كلِّ نفسِ إنسانٍ يفعلُ الشرَّ، اليهوديِّ أولاً
ثم اليونانيِّ، ومجدٌ وكرامةٌ وسلامٌ لكلِّ مَنْ يفعلُ الصلاحَ، اليهوديِّ أولاً ثم
اليونانيِّ، لأن ليسَ عند الله محاباةٌ».

هذه الآيات أربكت لاهوتيي البروتستانت وحاولوا ما أمكن إيجاد الحلول لها دون جدوى، وذلك بسبب المشكلة اللاهوتية التي خلقها البروتستانت لأنفسهم وهي وضع الإيمان والأعمال في مضادة، وذلك تأثراً من جحد ق. بولس لأعمال الناموس كأن تكون الأعمال في الناموس وسيلة للتبرير، فعمَّموا عجز الأعمال حتى في الصلاح وفي المسيح.

ولكن ق. بولس في هذه الآيات لا يقارن بين الإيمان والأعمال، بل يتعامل مع الأعمال وحدها على أساس الصالح منها وغير الصالح، حيث الذين يعملون الصلاح وضعهم في جانب الذين يطاوعون الحق أي الله، وأما الذين لا يعملون الصلاح فأسماهم أهل التحزب الذين يطاوعون الإثم.

على أن الجزاء لهذا وذاك لا يقع في هذا الزمان، بل التصفية والحساب يكون يوم «دينونة الله العادلة» والتي سيجازي فيها كل واحد حسب أعماله.

وحل المشكلة التي واجهت اللاهوتيين يكون كالآتي: أن الأعمال الصالحة التي سيجازي عنها الله الذين يعملونها بصبر طالبين المجد والكرامة يستحيل أن يكون قد نجح في عملها إلاَّ الصالحون المؤمنون الذين بلغ الإيمان عندهم مستوى الشركة مع المسيح، أي نالوا بر الله بالإيمان بالمسيح.

أما السؤال بعد ذلك: لماذا امتنع ق. بولس عن ذكر الإيمان والبر بالمرة في هذه الآيات؟ الجواب: لأن ق. بولس بصدد محاكمة **«أعمال الفجور»** عند الذين تجاهلوا الله، الذين استحسنوا أن لا يُبقوا الله في معرفتهم فرُفعت عنهم العناية، وبهذا أُسلموا إلى غرائزهم وشهواتهم ليفعلوا ما لا يليق. فالقديس بولس لكي يرفع محاكمة الله في الدينونة إلى مستوى العدل، ولكي يدين بالعدل أعمال هؤلاء — الذين طاوعوا الإثم — كان لزاماً عليه أن يضع في المقابل **أعمال الصلاح** التي أتمَّها الصالحون الذين طاوعوا الحق.

فالإيمان هنا مستتر ويقابله عند الذين هم من أهل التحزب جحدهم للحق والله أي جحدهم للإيمان، أيضاً في وضعه المستتر.

وهكذا يكون سر عمل الصلاح هو الإيمان، وسر عمل الإثم هو ترك الله. فهنا تزكية العمل الصالح هي هي تزكية الإيمان، وفضح عمل الإثم هو فضح ترك الله.

ولكي نوضح الأمر أكثر نقول إن الإيمان له عمل صالح حتماً وإن عدم الإيمان ليس له إلاَّ عمل الباطل قسراً. فالصالحون يرحبون بالدينونة لأن: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع.» (رو٨: ١)

لذلك، فالدينونة حسب الأعمال ستزكي المؤمنين الأمناء الذين سبق الله فأعدَّ لهم أعمالاً صالحة ليسلكوا فيها، ولكن لغير المؤمنين فأعمالهم تتبعهم لقضاء الدينونة.

أما نتيجة المحاكمة في يوم الدينونة فأوردها ق. بولس هكذا: بالنسبة **لعمَّال الصلاح** الذين أتموا الصلاح بالصبر طالبين المجد والكرامة فسيجازيهم الله **بالحياة الأبدية مع مجد وكرامة وسلام.**

بالنسبة لأهل التحزب الذين أثاروا الشقاق والتحزب فسيجازيهم الله **بالسخط والغضب مع الشدة والضيق.**

وهكذا يتحقق أن ليس عند الله محاباة. فعمل كل واحد يحدد مجازاته.

وإصرار ق. بولس دائماً على تقديم اليهودي على اليوناني سواء في عمل الصلاح أو في عمل الشقاق ثم في المجازاة عن هذا وذاك، فسببه واضح:

أما في الصلاح فاليهود هم أصحاب فضل لأن الخلاص من اليهود،

أما في السخط والضيق فاليهود نصيبهم أوفر لأنهم أخذوا امتيازات المعرفة أكثر!!

ولكن لينتبه القارىء! فالقديس بولس ليس هنا بصدد عمل مقارنة بين الصالح وغير الصالح، أو ينتحي ناحية العظة لكي يفضِّل عمل الصلاح أو يذم عمل الإثم، ولكن قصد ق. بولس منذ البدء هو فرز الذين انصدوا عن معرفة الله وآثروا تجاهله لإشباع شهواتهم، وهو هنا يريد أن يسوقهم إلى يوم الدينونة تحت الغضب وإنما على أساس الحفاظ على عدالة الله، لذلك أقحم الذين هم أعمال صالحة لكي – فقط – يكشف أن أعمال الفجور والإثم لا عذر لها!! أنت بلا عذر أيها الإنسان!! لأن إزاء الشر الذي تعمله يوجد من يعمل الصلاح، فأي عذر لك؟

[٢: ١٢–١٦] إمتلاكهم الناموس لم يميِّزهم

١٢:٢ **«لأن كلَّ مَنْ أخطأ بدونِ الناموس فبدونِ الناموس يَهلِكُ، وكلُّ مَنْ أخطأ في الناموس فبالناموس يُدانُ».**

«لأن» γάρ هنا تشرح ما سبق، **فالأصحاح الأول** كله يحكي بإحكام أن: «كل مَنْ أخطأ بدون الناموس يهلك»، وكل ما جاء في الأصحاح الثاني حتى الآن يحكي أن أصحاب الناموس لا يزكيهم الناموس بل يدينهم، فالناموس أي التوراة بجملتها لا تحمي حاملها من الغضب الآتي، ولكن الذي يزكيه ويحميه من الغضب هو الأعمال الصالحة. لأن الدينونة لن تكون على أساس الناموس بل على أساس الأعمال سواء بالناموس أو خارج الناموس سيان. وهكذا بالصدق والحق صارت الدينونة عادلة إذ سيتساوى فيها مَنْ كان له ناموس ومَنْ لم يكن له ناموس، فالعمل الصالح يزكيه والعمل الشرير يدينه، ولا كرامة للناموس ولا لحامل الناموس.

لأن قيمة الناموس الوحيدة هي أنه يدين العمل الشرير.

وسوف يوضح ق. بولس أن الأممي أُعطي ضميراً له قدرة الشكاية والإحتجاج على صاحبه أيضاً.

وهنا يتساوى اليهودي والأممي أمام الاتهام، الأول من الناموس والثاني من الضمير.

١٣:٢ **«لأن ليسَ الذينَ يسمعونَ الناموسَ (كل سبت) هم أبرارٌ عند الله، بل الذين يعملونَ بالناموسِ هم يُبرَّرون».**

واضح هنا أن الناموس بحد ذاته كعطية وُهِبَتْ لليهود لا تبررهم، ولكن الله هو الذي يبرر بالعمل الصالح. إذاً، إنْ فعل الأممي عملاً صالحاً، فالله يبرره بدون الناموس.

١٤:٢ **«لأنه الأممُ الذين ليس عندهم الناموسُ متى فعلوا بالطبيعةِ ما هو في الناموس فهؤلاءِ إذ ليس لهم الناموسُ هم ناموسٌ لأنفسهم».**

أي كما أن الذي يخطىء بدون الناموس فبدون الناموس يهلك، كذلك كل مَنْ يفعل ما في

الناموس «وهو بدون الناموس» فبدون الناموس يحيا بالعمل الصالح الذي عمل. والمثل في ذلك واضح في كرنيليوس:

«فقال كرنيليوس (أممي): منذ أربعة أيام إلى هذه الساعة **كنت صائماً** وفي الساعة التاسعة **كنت أصلي** في بيتي وإذا رجل قد وقف أمامي بلباس لامع وقال: يا كرنيليوس **سُمعت صلاتك وذُكرت صدقاتك أمام الله.**» (أع١٠: ٣٠و٣١)

وكان تعليق ق. بطرس الذي أُعلن له من السماء أن لا يقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس هكذا: «ففتح بطرس فاه وقال بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه بل في كل أمة الذي يتّقيه ويصنع البر مقبول عنده.» (أع١٠: ٣٤و٣٥)

١٥:٢ **«الذين يُظهِرونَ عملَ الناموسِ مكتوباً في قلوبهم** (الناموس غير المكتوب الذي وهبه الله لضمير كل إنسان) **شاهداً أيضاً ضميرُهم وأفكارُهم فيما بينها مشتكيةً** accuse (على عمل الإثم) **أو محتجّةً** excuse (الأصح عاذرةً)».

ق. بولس لا يقول إن هناك ناموساً طبيعياً عاماً، ولكن يقول إن كل إنسان أُعطي من الله ضميراً قادراً أن يقود ويحكم ويدين ويشهد على صاحبه بمستوى الناموس المكتوب. وقصد ق. بولس ليس التقليل من شأن الناموس الموسوي المكتوب، بل إدخال الأمم تحت عامل إلهي يدين كما يدين الناموس كل يهودي. كذلك كل أُممي له ما يدينه من قِبَل الله وهو ضميره، والقصد النهائي أن دينونة الله عادلة سواء عندما يبرر بالعمل الصالح بالناموس أو بدون الناموس، أو يدين بالناموس أو بدون الناموس.

وعلى القارىء أن يتذكر أن الآباء الأُول القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب وكل مَنْ جاء بعدهم حتى موسى، كانوا يعيشون بالناموس المكتوب في قلوبهم، تقودهم ضمائرهم، وكانت أعمالهم الصالحة تشهد على صدق وقوة وسمو هذا الناموس غير المكتوب القادر أن يحفظهم في حمى القدير ورضاه.

وحينما يقول ق. بولس: **«شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكيةً أو محتجةً (الأصح عاذرةً)»**، فهو يبرز عاملين في أعماق الإنسان ـ الضمير والأفكار ـ يشهدان على أعماله وأفكاره، يقفان معاً في صف الله يوم الدينونة، بحيث تأتي الدينونة ولها ما في داخل الإنسان مؤيدان لا يخفي عنهما شيء، وهكذا تصبح دينونة الإنسان عدلاً منتهى العدل بل يتقبلها الإنسان

عن اقتناع وقناعة، التي يعبِّر عنها ق. بولس بالقول: «لكي يستدَّ كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله.» (رو٣: ١٩)

وكم يكون الشكر لله من أجل حفاظ الله على صوته داخل الضمير، ذلك الرسول الإلهي الذي لم تستطع قوى الشر أن تحطمه، فهو باقٍ ما بقي الإنسان، يحكي للإنسان في كل لحظة عن موقعه من الله، يشهد ضده محتجاً عند الخطأ، ويشهد معه لتزكية الفعل الصالح الذي يعمله.

١٦:٢ **«في اليوم الذي فيهِ يدينُ الله سرائرَ الناسِ حسبَ إنجيلي بيسوعَ المسيحِ».**

إذاً لن تكون الدينونة بمقتضى الناموس بل بإنجيل المسيح، حيث المسيح هو الديان للأحياء والأموات.

هنا ق. بولس في ختام تصويره لخطايا الناس ومدى عدم فاعلية الناموس المقروء في أمور الدينونة وعلو شأن الأعمال فوق الأقوال ودخول الضمير كأحد شهود العيان عند الدينونة لضمان عدالة القضاء، حينئذ جاء الإعلان عن شخصية الديان والقانون الذي بمقتضاه تتم الدينونة. فطالما الإنجيل هو القاعدة الأساسية التي ستتم بها الدينونة فحتماً يكون صاحب الإنجيل هو الذي سيضطلع بأعمال الدينونة. وهنا إيضاح ضمني بالمجيء الثاني للمسيح الذي ينص عليه إنجيل بولس.

واحتياط ق. بولس في تحديد الضمير كرسول عن الديان سبق الله واستودعه كعضو أساسي في خلقة الإنسان الروحية، جعل إدخال الذين بلا ناموس تحت دينونة الديان هو عمل شرعي ليقف الوثني بجوار اليهودي جنباً إلى جنب تحت عدالة القضاء بنفس بنود القضاء. وإذ قد أوضح ق. بولس أن الدينونة ستكون بمقتضى الأعمال، وأن الإنسان أي إنسان لا يعدم الأعمال الصالحة، أصبح لا فضل للذين لهم الناموس عن الذين ليس لهم ناموس، كما أصبحت الدينونة عن الأعمال الشريرة مُسَلَّماً بها، حيث يقف الناموس شاهداً على الذين في الناموس، بينما يشهد الضمير على الذين بلا ناموس.

ولكن طالما قال ق. بولس إن إنجيل المسيح هو الذي سيكون القاعدة للدينونة العتيدة، فحتماً يدخل عنصر الإيمان والتبرير فوق الأعمال، معها و بدونها، كعنصر أساسي سيعود ق. بولس ليوضحه في أصحاحات قادمة. ولكن دخول الإيمان والتبرير بالإيمان في شأن الدينونة لا يغيِّر شيئاً من واقع الدينونة بحسب الأعمال التي قد تحتَّمت منذ البدء. ولكن سوف نرى أن دخول عنصر

التبرير بالإيمان في الدينونة إنما سيزكي الأعمال الصالحة، دون أن ينسخ شيئاً من دينونة الأعمال الشريرة.

«يدين الله سرائر الناس»:

توجد أعمال ظاهرة وتوجد أعمال غير ظاهرة، كما توجد أعمال صالحة وأخرى شريرة. هنا دينونة الله ستتغلغل إلى ما هو في داخل نية الإنسان وفكره وضميره بجوار ما ظهر من الأعمال، فالدينونة تشمل كل كيان الإنسان. هنا تصحيح لفكر اليهود أن الدينونة تكون على ظاهر الأعمال فقط، ولكن الله يهمه الخفي قبل الظاهر، لأن الظاهر لا يشرح الإنسان بقدر ما يشرحه الداخل. الإنسان تغرّه المظاهر ويحكم بمقتضاها، وحكمه يكون غير عادل تماماً، أما الله فلا تغرّه المظاهر ولا يأخذ بالوجوه لأنه يكشف أعماق الإنسان ويعرف ما بداخل الإنسان، فهو إذا حكم يحكم من الواقع الكلي الذي يحيط بالإنسان من الخارج والداخل: «إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله.» (١كو٤: ٥)

ودينونة الله تشمل خفايا الظلام وآراء القلوب، فبقدر ما ستكون في صف الأعمال الصالحة تكشف عن أعماقها ودوافعها، بقدر ما ستزيد الضوء على الأعمال الشريرة لتفضح دوافعها، لذلك فهي لازمة من لوازم عدل الدينونة وإضافة جليلة لإبراز عدل القاضي ومدى صلاحيته المذهلة إذ له مثل هذه القدرة على كشف مخبئات الضمائر والقلوب والنيات، تمجّد ذلك الديان تعالَى وتبارَك! ولكن كم من أعمال شريرة ظهرت بشرّها المُستطير وأدانها الناس أشر إدانة سيُخلَى ساحة أصحابها من أية إدانة عندما يكتشف القدير عدم ثبوت نية الشر بل ووضوح نية الخير أو عجز الإنسان عن إدراك ما فيه من شر: «يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليكِ؟ ... فقال لها يسوع ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي أيضاً.» (يو٨: ١٠و١١)

ولا يستطيع أحد أن يقول بمحاباة الله كديان عندما يقف المسيحي بضميره المستنير بالروح القدس والذي بلغ أعلى درجات الاستنارة والحساسية مع غير المسيحي الذي لا يضيء ضميره إلاّ بصيص نور خافت أتاه الله له من فضله، لأن الضمير المستنير سيكون حسابه جدّ عسير، فبقدر ما أخذ من وزنات سيُطالَبُ، أما الذي لم يوهب إلاّ القليل فلن يُطلَبَ منه إلاّ القليل. وقضاءٌ على هذا المستوى لهو قضاء عادل أشد العدل. هذا هو الذي يريد أن ينتهي إليه ق. بولس قبل أن يدخل في عمل بر الله بالإيمان بيسوع المسيح، حيث ينفتح على الإنسان مجال الخلاص العجيب حيث تفتخر الرحمة فوق العدل، ويتعالى بر الله فوق العمل البشري!

[٢: ١٧—٢٤] كيف تعدّى اليهود على الناموس

لليهود أيضاً!!

«الذي تفتخر بالناموس أبِتَعَدّي الناموس تهين الله»

٢: ١٧—٢٤ **«هوذا أنت تسمّى يهودياً وتتّكِلُ على الناموس وتفتخرُ بالله،**
وتعرف مشيئته وتميّزُ الأمورَ المتخالِفةَ متعلّماً من الناموس،
وتثِق أنك قائدٌ للعُميانِ ونورٌ للذين في الظلمةِ،
ومُهذِّبٌ للأغبياءِ ومُعلّمٌ للأطفالِ ولك صورةُ العلمِ والحقِّ في الناموس،
فأنت إذاً الذي تُعلّم غيرَكَ ألستَ تُعلّمُ نفسَكَ؟
الذي تكرزُ أنْ لا يُسْرَقَ أتسرقُ؟
الذي تقولُ أنْ لا يُزنَى أتزني؟
الذي تَستكرِهُ الأوثانَ أتسرقُ الهياكِلَ؟
الذي تفتخِرُ بالناموسِ أبتعدِّي الناموسِ تُهينُ اللهَ؟
لأن اسمَ الله يُجدَّفُ عليه بسَبَبِكم بينَ الأمم كما هو مكتوبٌ».

قبل أن ندخل مع ق. بولس في كشف عيوب اليهود على ضوء سلوكهم تجاه الناموس حتى يظهر مدى الإخفاق الهائل الذي مُني به اليهود في انتفاعهم بالتوراة والناموس ومعرفة الله، يليق بنا أولاً أن نأخذ فكرة عن رأي المسيح فيهم بخصوص هذا الأمر. ونحن هنا نجمع بعض ما قاله المسيح في مواقف متعددة دون ترتيب ليتبين لنا أن الروح الذي كتب به ق. بولس عن اليهود في كل رسائله إن هو إلاّ رَجْعٌ لرأي الله نفسه!

أقوال المسيح عن سلوك اليهود تجاه التوراة والناموس

بخصوص المعرفة: «ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، **ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم.**» (لو١١: ٥٢)

«على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه

فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا **لأنهم يقولون ولا يفعلون.**» (مت٢٣: ٢و٣)

«اتركوهم هم **عميان قادة عميان** وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة.» (مت١٥: ١٤)

بخصوص الأعمال: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون **لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة.**» (مت٢٣: ٢٥)

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون **لأنكم تشبهون قبوراً مبيَّضةً تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة.**» (مت٢٣: ٢٧)

«هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل **مشحونون رياءً وإثماً.**» (مت٢٣: ٢٨)

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون **وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان.**» (مت٢٣: ٢٣)

«**أيها القادة العميان** الذين يُصفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل.» (مت٢٣: ٢٤)

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم **تأكلون بيوت الأرامل** ولعلَّة تطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم.» (مت٢٣: ١٤)

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً، ومتى حصل **تصنعونه ابناً لجهنم** أكثر منكم مضاعفاً.» (مت٢٣: ١٥)

«بيتي بيت الصلاة يُدعَى وأنتم **جعلتموه مغارة لصوص.**» (مت٢١: ١٣)

«لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ... **أنتم من أب هو إبليس** وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا.» (يو٨: ٣٩و٤٤)

«كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم **تقبلون مجداً بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه.**» (يو٥: ٤٤)

واضح من شهادة المسيح الواقعية بخصوص معرفة اليهود وأعمالهم أنهم أخفقوا إخفاقاً عظيماً في الانتفاع من التوراة والناموس. لقد حولوهما إلى مصدر ربح مادي، واستغلال للشعب، وسرقة ونهب. وجعلوا الناموس ستارة، يختفون وراءها ليعملوا كل الموبقات الأخلاقية، واتخذوا الناموس سلماً يصعدون عليه للكبرياء وتعظيم الذات وتقبُّل التحيات والكرامات والمجد! وفي كلمة أخيرة قالها لهم المسيح تشمل كل سيرتهم، أنهم حوَّلوا بيت الله الذي للصلاة بيت تجارة ومغارة لصوص. شبَّههم المسيح بأُجراء في كرم الله نهبوا الكرم ورفضوا أن يعطوا الله صاحبه حقه، ثم تحولوا إلى ابن صاحب الكرم وقتلوه ليستقلوا بالكرم ــ أي الناموس ــ ليعمل لحسابهم مباشرة دون الرجعة لله! ويا لله!!

هنا نأتي للقديس بولس لنستمع منه كيف يشرح ما شرحه المسيح من وجهة نظره إنما بالروح، علماً بأن ق. بولس لم يقرأ ولم يَعْلم شيئاً مما قاله المسيح هنا لأن الأناجيل كُتبت بعد رسائل ق. بولس بأكثر من عشر سنوات.

رأينا في كل ما سبق كيف أدخل ق. بولس الكل تحت الدينونة، فُجَّاراً وأثمة وإباحيين ومتمردين وكل أصناف المتمرغين في كل أنواع الخطايا، ومعهم على خط سواء المتعاظمين بعلمهم من فلاسفة وحكماء والذين يتعالون بفضائلهم ويدينون الآخرين وهم في الخفاء صانعو نفس التعدي ونفس الإثم.

والآن يلتفت ق. بولس إلى اليهود لا من مركز الناقد الحاقد ولكن من موقف الذي كان مثلهم وأكثر، ولكن يتكلم ويُعلِّم ويحذر ويبشر كمن رحمه الرب: «الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً.» (أف٢: ٣)

٢: ١٧و١٨ **«هوذا أنت تسمَّى يَهُودياً وتتَّكلُ على الناموس وتفتخرُ بالله وتعرف مشيئتَهُ وتميِّزُ الأمورَ المتخالِفَةَ مُتعلِّماً من الناموس».**

كان اسم اليهودي يثير في نفس صاحبه الكبرياء والاعتداد بالذات [اللهم أشكرك لأنك لم تخلقني امرأة ولا أممياً] (*). فصفة اليهودي تعني أنه فوق الأمم والعالم، والأقرب إلى الله، مختون، مُطهَّر، ابن إبراهيم، صاحب الوعد والأرض والمدَّخر له الدهر الآتي بخيراته. حسناً. والكلمة: **«"تسمى "يهودياً"» ἐπονομάζῃ** أي الملقَّب كلقبٍ فخري.

(*) Morris, Leon, *The Gospel acc. to St. John*, p. 274.

«وتتكل على الناموس»:

ق. بولس هنا يكشف إحدى خصائص الفكر اليهودي المضلِّلة أنه بمجرد أن يسمع اليهودي الناموس يُقرأ يوم السبت يعتبر نفسه أنه حائز على رضا الله، الأمر الذي شجبه ق. بولس سابقاً بقوله: «لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يُبرَّرون» (رو٢:١٣). والمسيح كشف هذا الرجاء الكاذب ـ على موسى ـ الذي اتكل عليه اليهود: «لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب يوجد الذي يشكوكم **وهو موسى الذي عليه رجاؤكم.**» (يو٥:٤٥)

والمسيح حينما قال لتلاميذه: «أنتم أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكُم به» (يو١٥:٣)، كان تصحيحاً لما ظنه اليهود في سماع التوراة وحسب، هذا الذي ينقده ق. يعقوب الجليل بين الرسل: «ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم» (يع١:٢٢). وشتان بين كلام المسيح والناموس، لأن كلام المسيح بحسب تعليم المسيح هو «روح وحياة» (يو٦:٦٣)، وهو بحسب بطرس: «كلام الحياة الأبدية عندك» (يو٦:٦٨)، ورحمٌ يولد منه الإنسان جديداً: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد.» (١بط١:٢٣)

«وتفتخر بالله»: καυχᾶσαι

كان اليهودي يعتدُّ بين الأمم بعبادته لله الواحد، فكان الله موضع افتخاره، حسناً.

ويلاحظ أن ق. بولس يستخدم كلمة «يفتخر» بصورة نقدية شديدة ليفرق دائماً بين ما هو حق في العبادة وما هو غش وخداع. والأسلوب مأخوذ من إرميا النبي: «هكذا قال الرب: لا يفتخرنَّ الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه؛ بل بهذا ليفتخرنَّ المفتخر بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الربُّ الصانع رحمة وقضاءً وعدلاً في الأرض لأني بهذا أُسَرُّ، يقول الرب.» (إر٩: ٢٣و٢٤)

«وتعرف مشيئته»: τὸ θέλημα

في أسلوب ق. بولس اللاهوتي يستخدم كلمة «المشيئة» بالصيغة المطلقة لتعبِّر عن مشيئة الله دون ذكر كلمة «الله»، فهي في اليونانية هكذا: «وتفتخر بالله وتعرف المشيئة ...» بمعنى الخبرة في معرفة مشيئة الله.

«وتميِّز الأمور المتخالفة»: δοκιμάζεις τὰ διαφέροντα

وقد جاءت عند ق. بولس في رسالة فيلبي: «حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكي تكونوا مخلصين وبلا عثرة ...» (في١:١٠). ويقصد قضايا الدين والإفتاء فيها عن دراسة.

«متعلِّماً من الناموس»:

هنا «متعلماً» κατηχούμενος تأتي فعلاً متصرفاً (المشتقة منها كلمة «كاتشيزم» Catechism المعروفة ـ أي كتاب التعليم الديني)، لأن المعرفة الناموسية كانت مقررة وموضوعة في كتب للحفظ عن ظهر قلب.

٢:١٩و٢٠ **«وتثقُ أنكَ قائدٌ للعُميانِ ونورٌ للذينَ في الظلمةِ ومهذِّبٌ للأغبياءِ ومعلِّمٌ للأطفالِ ولكَ صورةُ العلمِ والحقِّ في الناموسِ».**

هذه الآية مربوطة بالسابقة ومترتبة عليها. فالذي أتقن كاتشيزم الناموس يصبح قائداً للعميان أي الجهلة، ونوراً للذين في الظلمة أي الأمم، ومهذباً للأغبياء أي المتعوِّقين في العلم، ومعلماً للأطفال أي مدرس في المجمع لفصول الصغار ـ حسناً.

وأخيراً يُفرِّغ افتخار اليهودي وثقته من أصالة هذه المعرفة في الحق فينعتها بأنها مجرد صورة بغير جسد وتصوُّرٌ ليس له أساس، بقوله: «ولك صورة العلم والحق في الناموس».

«صورة»: τὴν μόρφωσιν

«صورة» هنا جاءت ليس بوصفها صورة طبيعية صحيحة أي شكل واضح =μορφή ولكن صورة مشوّهة من الصورة الطبيعية التي نسميها مجرد كاريكاتير أو ملامح بالقلم.

كل هذا وكأن ق. بولس يقول في كل هذا جيد وحسن، ولكن ... وهنا ينقلب على هذه الصفات عينها ويجعلها مصدر ملامة وأُسَّ المصيبة:

٢:٢١و٢٢ **«فأنتَ إذاً الذي تُعلِّمُ غيرَكَ ألستَ تعلِّمُ نفسَكَ؟ الذي تَكرِزُ أنْ لا يُسْرَقَ أتسرقُ؟ الذي تقولُ أنْ لا يُزنَى أتزني؟ الذي تستكرِهُ الأوثانَ أتسرقُ الهياكلَ؟».**

فالعلم الذي حصَّلتَه لم تنتفع به لنفسك، علَّمت غيرك ولم تتعلَّم، فصرت أجهل من الذين تُعلِّمهم، وكلام المسيح يرد على هذا بالتصديق: «اتركوهم هم عميان قادة عميان، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة (واحدة).» (مت١٥:١٤)

ثم أنت الذي تحرص على عفة اليد، أتمد يدك بالسرقة؟ هنا صعب علينا أن ندرك أية سرقة يقصد، ولكن ق. بولس يكلم الذين يدركون حالهم. والمسيح يرد على هذا بالتصديق: «تأكلون بيوت الأرامل ولعلّة تطيلون صلواتكم.» (مت٢٣:١٤)

ثم أنت الذي تحرّض على طهارة الجسد وقداسة السيرة والسريرة أتزني؟ هنا تهمة الزنا لصيقة باليهودي واليهود والأمة اليهودية، فليس أكثر من هذه الكلمة في جميع النبوات كعلّة تعيير ومعايرة لسلوك الأمة والشعب جميعاً، ولا ندري عن أسباب تفشّي هذه المصيبة بهذه الصورة.

الذي تذم الأوثان أتسرقها؟ يبدو أن اليهود كانوا قد أباحوا سرقة الأوثان، كما صنع أجدادهم في مصر: «طلبوا من المصريين **أمتعة فضة وأمتعة ذهب** (غالباً على هيئة تماثيل) وثياباً. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم **فسلبوا المصريين**.» (خر١٢: ٣٥و٣٦).

وهكذا بهذه العلل الثلاث التي خرج بها اليهودي المفتخر بالله، أدخله ق. بولس في صفة المرائي الذي يقول ولا يفعل، يدّعي العلم وهو متسربل بالجهالة، يتظاهر بالتقوى وهو لص، ويتصنّع الطهارة وهو من الداخل منحل الخلق. وفي هذا يصدّق الرب على قول ق. بولس: «تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة.» (مت٢٣: ٢٧)

والآن بنظرة مقارنة لما قاله المسيح عن اليهود وما قاله ق. بولس نجد المطابقة واضحة وشديدة.

٢: ٢٣و٢٤ **«الذي تفتخرُ بالناموس أبتعدّي الناموس تُهينُ الله؟ لأن اسمَ الله يُجدَّفُ عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوبٌ».**

هكذا يحصر ق. بولس اليهودي في دائرة المتعدّي على الناموس بسلوكه، حيث افتخاره به يصير اغتصاباً وغشاً. فإن كان اليهودي المفتخر بالله والناموس يتعدّى بسلوكه على الناموس، فقد أهان بذلك اسم الله في الحقيقة. وقد لاحظ ذلك الذين من الأمم، فخطايا اليهود لم تكن خافية عليهم لأنهم كانوا يقترفونها بتصلف وكبرياء وعناد ــ كما اليوم، لذلك احتقر الأمم إله اليهود. والقديس بولس يقتبس ذلك من إشعياء النبي: «ماذا لي هنا يقول الرب؟ حتى أُخِذ شعبي مجاناً: المتسلطون عليه يصيحون (يفتخرون) يقول الرب، ودائماً كل يوم اسمي يهان» (إش٥٢: ٥). ولكن الترجمة هنا ليست من السبعينية، وق. بولس يأخذ من السبعينية وترجمتها كالآتي: «والآن لماذا أنت هنا، هكذا يقول الرب، لأن شعبي أُخِذ مجاناً. تعجّب أنت وولْوِلْ، هكذا يقول الرب، لأنه بسببكم اسمي يُجدَّفُ عليه دائماً بين الأمم».

وحزقيال النبي يصوّر بوضوح قول ق. بولس: «فلما جاءوا إلى الأمم (في السبي أو في الشتات كما جاءت في إشعياء بقوله: لماذا أنت هنا أي لماذا جئت إلى السبي إلا بسبب خطاياك) حيث

جاءوا، نجّسوا اسمي القدوس (بأعمالهم)، إذ قالوا لهم هؤلاء شعب الرب وقد خرجوا من أرضه (غضب الله). فتحننتُ على اسمي القدوس الذي نجّسه بيت إسرائيل في الأمم حيث جاءوا. لذلك فقل لبيت إسرائيل، هكذا قال السيد الرب، ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل، بل لأجل اسمي القدوس الذي نجستموه في الأمم حيث جئتم. فأقدّس اسمي العظيم المُنجّس في الأمم الذي نجستموه في وسطهم (بأعمالكم) فتعلم الأمم أني أنا الرب يقول السيد الرب حين أتقدّس فيكم قدام أعينهم.» (حز٣٦: ٢٠–٢٣)

نعم أيها الرب الإله القدوس قد رأينا ونشهد أنك عادل وقدوس، فليتقدس اسمك وليأت ملكوتك نحن شعبك من بني الأمم!! ومن هنا نفهم معنى تعليم الرب يسوع لتلاميذه الاثني عشر صلاة «أبانا الذي» التي تبدأ «ليتقدس اسمك» حيث يكون المعنى: هبنا أن نعمل الصلاح بين الناس ليروا أعمالنا الصالحة فيقدسوا اسم الله!!

[رو٢: ٢٥–٢٩] الختان لا يبرِّر

٢: ٢٥ **«فإنَّ الختانَ ينفَع إنْ عملتَ بالناموس ولكن إنْ كُنْتَ مُتَعَدِّياً الناموسَ فقد صار ختانُك غُرْلَةً».**

«عَمِلْتَ»: πράσσῃς

هي الكلمة المفتاح في الآية بل في كل الآيات السالفة واللاحقة. فالعمل هو مقياس صحة الناموس وصحة الحامل لاسم الله والناموس. هذه الآية رفيعة المستوى في البلاغة اللفظية والمعنوية. إن كان الناموس هو المقياس لسلوكك، فالناموس ذو نفع، أما إن كان سلوكك يتعدى الناموس فناموسك هراء!! وعلى نفس المقياس يوضع اسم الله، ولهذا يُجدَّفُ على اسم إله اليهود بين الأمم بسبب سوء سلوك اليهود مع ادعائهم وافتخارهم بالله والناموس!!

ومعيار يهودية اليهودي وعلامة انتمائه لله وافتخاره بطهارته دون الشعوب جميعاً هو ختانته، فإن هو نجّس ختانته فقد صارت ختانته نجاسة أي غرلة!!

هنا مفارقة بين ذهنية ق. بولس المنفتحة بالروح في استجلاء حقائق الناموس، وبين ذهنية اليهودي المنغلق على حرفية الناموس. فاليهودي يقول: إن الختان هو ختمُ كمال الناموس، وبمجرد أن أنال الختان فأنا يهودي ومكمل للناموس. أما القديس بولس فيقول: لا، هذا خداع، فالناموس يصير ناموساً حقاً بتكميل أعماله، والختان يصير ذا نفع إن عَمِلْتَ بالناموس، فإن كُنتَ مختتناً ولم

تعمل بالناموس فختانتُك لا قيمة لها بل هي غُرْلة، أي على مستوى الأمم في النجاسة الطقسية. هنا المفارقة الخطيرة بين الحرف والروح، بين التمسك بالمكتوب على مستوى الجسد وبين الارتفاع بالمكتوب على مستوى الروح، بين الختانة كرمز أو رسم للطهارة والتبعية لله وبين الطهارة كسلوك يثبت التبعية لله!

اليهودي يفتخر بختانته في اللحم؛ أنها تذكرة دخول إلى الله وشهادة خلاص. وق. بولس يقول: إذا لم تَعِش طاهراً وتسلك بأوامر الله وتعمل بوصاياه، فلن تنفعك ختانتك ولن ترى الله ولا خلاصه. القديس بولس هنا يحاصر اليهودي في الختان، وهو أعزُّ وآخر ما يملك، ليقنعه أنه يتمسك بالوهم والسراب؛ ويسلبه مجد ختانته التي عليها يتكل وكأنها ستدوم معه في السموات. ولكن ق. بولس لا يذمُّ الختان بل يذمُّ المختتن الذي يعمل ضد ختانته، فهو يقول: إن الختان ينفع إن كان الختان يوصل إلى أعمال الناموس ووصاياه. والقديس بولس في موضع آخر ينفي أن يكون لليهودي أية مِنَّة وراء الختان من جهة عمل الفضيلة: «لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن تختتنوا أنتم (المسيحيين) لكي يفتخروا في جسدكم.» (غل٦: ١٣)

٢: ٢٦و٢٧ **«إذاً إنْ كان الأغرَلُ يحفَظُ أحكامَ الناموسِ أفَمَا تُحْسَبُ غُرلَتُه خِتاناً؟ وتكونُ الغرلةُ التي من الطبيعةِ وهي تكمّلُ الناموسَ تدينُك أنت الذي في الكتابِ والختانِ تتعدَّى الناموسَ».**

«أحكام الناموس»: δικαιώματα تترجم «أحكام بر الناموس».

هنا ولكي يكشف ق. بولس عدم نفع الختان لليهودي إن هو لم يلتزم بأعمال الناموس الفاضلة، عَكَسَ الوضع، إذ جعل الإنسان الذي بلا ختانة في العالم، أي الذي ليس يهودياً، إن هو عمل بفضائل الناموس فإن غُرْلَته، أي عدم ختانته، تُحسبُ له ختاناً، بمعنى أنه يُحْسَبُ ابناً لإبراهيم!! وتكون عدم ختانة الإنسان غير اليهودي تدين اليهودي الذي يفتخر بالكتاب والختان بينما هو يتعدى على فضائل الناموس!

ق. بولس يقصد من ذلك أن الأصل في الناموس هو أن الله يطلب أن يكون الإنسان ملتزماً بالعمل الفاضل حتى يصير الإنسان في علاقة بالله. فإذا سأل سائل وكيف يتمم الإنسان كل أعمال الناموس الفاضلة حتى يصير في علاقة فاضلة مع الله، سيرد ق. بولس على هذا حالاً بقوله بالإيمان بيسوع المسيح الذي أكمل كل أعمال الناموس وكل شيء لحساب مَنْ يؤمن به. فإذا كان لغير المختون أي الأممي هذا الإيمان أصبحت الختانة لا قيمة لها بالنسبة له!! إذ يُحسب بالإيمان

وبدون ختان واحداً من شعب الله كيهودي **أكمل جميع أعمال الناموس** - الأمر الذي لم يحصل عليه يهودي حتى اليوم - وهكذا حل الأممي بالإيمان بيسوع المسيح محل اليهودي الكامل جداً غير الموجود!! وحلَّ الإيمان محل الناموس الذي أخفق اليهودي أن يستخدمه للحصول على علاقة فاضلة بالله.

ثم بالتالي فإن الإنسان وهو في الغرلة، أي وهو بحسب الطبيعة غير مختتن ولكنه أكمل الناموس، يدين اليهودي الذي يتمسك بشكل الختانة ويفتخر بالكتاب ولكنه يتعدى الناموس والكتاب.

٢: ٢٨و٢٩ **«لأنَّ اليهوديَّ في الظاهِرِ ليسَ هو يهودياً ولا الخِتانُ الذي في الظاهِرِ في اللحمِ ختاناً، بل اليهوديُّ في الخَفاءِ هو اليهوديُّ، وختانُ القلبِ بالروحِ لا بالكتابِ هو الختانُ. الذي مدحُه ليسَ من الناسِ بل من الله».**

هنا في اللغة يرتفع ق. بولس إلى مستوى البلاغة. فاليهودي والختان في الآية (٢٨) هما على مستوى الصفة الفخرية الفاقدة قيمتها، وفي الآية (٢٩) يعيدهما ق. بولس من صفة إلى موضوع، ومن مستوى الافتخار الفاقد القيمة إلى موضوع حقيقي ذي قيمة عالية جداً تصل إلى أن الله يمدحه.

«الظاهر والخفاء»: φανερῷ, κρυπτῷ

اليهودي في الظاهر هو يهودي أعمال الناموس والمتعدي على الناموس!! هو المفتخر بالله والذي بسببه يجدَّف على اسم الله بين الأمم، هو الذي يتعالى بختانة اللحم وهو غير مختون بالقلب والأذن [كقول الشهيد استفانوس لهم (أع٧: ٥١)]، ويعتبر أن ختانته "كارت" عبور إلى الدهر الآتي.

أما يهودي الخفاء فهو الذي يعمل بالناموس ليراه الله ويجازيه علانية. والفارق بين الاثنين يقع في صميم الانتقال باليهودية والختان من المظهر البشري المخادع إلى الجوهر غير المنظور المؤمَّن ضد الخداع وغير المنظور لدى البشر ولكن منظور فقط لدى الله.

ولو يلاحظ القارىء، يرى أن في الآية الأُولى (٢٨) توجد صفات ظاهرة ممدوحة من الناس ولا يوجد موضوع حقيقي، في مقابل الآية الثانية (٢٩) حيث يرى موضوعاً حقيقياً غير ظاهر للبشر، وليس صفات ظاهرة، وممدوح من الله. هذا في الواقع هو الفارق بين الحق الإلهي والزَّيْف البشري. أما الذي في الظاهر فقد عرَّفه بولس بقوله: «في الظاهر في اللحم»، أما الخفاء فلا يقصد به غير المنظور أو في الداخل وحسب بل الوجود في السر الإلهي غير المنظور الذي يُستعلن لله الآن ولكن في النهاية أي في الدهر الآتي يُستعلن للخليقة كلها.

ولكن مَنْ هو اليهودي في الخفاء الذي مَدْحُه من الله؟ ثم ما هي الختانة في القلب؟

«يهودي مدحه من الله»:

ق. بولس هنا يلعب بالألفاظ(١)، فاليهودي باللغة العبرية يُنطق «يهودي **Yehudi**»، **ومَدْحُه** تُنطق «هودايا **hodayah**»، وكأن اليهودي الحق هو المدَّاح لله والذي يمدحه الله!! وهذا هو المعروف في العهد القديم، فيعقوب أبو الآباء أقرن يهوذا بالمدح: **«يهوذا إياك يحمد (يمدح) إخوتك»** (تك٤٩: ٨)، بل وأمه دعته يهوذا على أساس مدح الله: «وحبلت أيضاً وولدت ابناً وقالت هذه المرة **أحمد الرب** لذلك دعت اسمه **يهوذا** ثم توقفت عن الولادة» (تك٢٩: ٣٥). الله وحده الذي يعمل في الخفاء، والذي يعمله في الخفاء يعمله «بالروح القدس»، «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه» (يو١٤: ١٧). **فاليهودي في الخفاء هو الذي قَبِلَ** الروح القدس فصار يهودياً بالحق، أي مختاراً ومحبوباً ومقدساً ومتبنًّى!! وهذا يتم له بالعماد وقبول الإيمان الذي به يتزكى أمام الله فيما لم يمكنه أن يتزكى به بأعمال الناموس.

أما ختانة القلب فهي **خلع جسم خطايا** البشرية بالموت مع المسيح والقيامة معه (كو٢: ١١و١٢) ــ التي يتساوى فيها الذكر والأنثى في المسيح، **فالختانة الظاهرة في اللحم** عند اليهود في العهد القديم كانت وقفاً على الرجل، أما ختانة العهد الجديد في المسيح (وهي المعمودية) فقد صارت للذكر والأنثى على السواء ــ وقبول مَسْحة «دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب **يطهر** ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٤)

ق. بولس طرح العنوان «اليهودي في الخفاء» و «ختانة القلب» وترك ملء الموضوع عندما يحين وقته ويفسح له المجال.

ويُلاحَظ أن الشُّرَّاح تباروا في الاستشهاد بآيات الأنبياء في ختانة القلب والتي قصدوا منها المثل الأعلى لإسرائيل، ولكن هذا لم يتحقق لإسرائيل. والذي قاله الأنبياء (إر٤: ٤، تث١٠: ١٦) كان نبوة عن عمل الروح القدس حينما تجيء أيامه. أما القديس بولس هنا فهو لا يتكلم عن اليهودي النموذجي، لأنه لا يوجد اليهودي النموذجي، وإلا لما كانت الحاجة إلى مجيء المسيح. فاليهودي النموذجي الوحيد هو المسيح، وقد تعيَّن أن يكون آدم الثاني وإسرائيل الجديد الذي منه وُلدنا لنكون شعب الله بالحق وأولاد إبراهيم بالإيمان، ولو لم يكن إبراهيم قد رآنا، بل أولاد الله وورثة الله.

1. Barrett, *op. cit.*, p. 60.

الأصحاح الثالث

١ ــ رو٣: ١ــ٨ : امتيازات اليهود لم تُعْفِهم من العقاب لأنهم لم يكونوا أمناء.

٢ ــ رو٣: ٩ــ٢٠ : اليهود متساوون مع الأمم في الوقوع تحت الدينونة.

٣ ــ رو٣: ٢١ــ٢٤ : ظهور بر الله بالمسيح، ومَنْحُه بالإيمان للجميع، كنعمة بالفداء.

٤ ــ رو٣: ٢٥و٢٦ : «عَصَبُ اللاهوت المسيحي» هو: عمل الكفارة الذي أكمله المسيح، ثم الإيمان بالدم للصفح عن الخطايا، لإظهار بر الله.

٥ ــ رو٣: ٢٧ــ٣١ : توقف العمل بالناموس، وبدء العمل بالإيمان للتبرير بدون أعمال الناموس، والله لليهود والأمم بالإيمان الواحد!

[٣: ١-٨] امتيازات اليهود لم تُعفِهم من العقاب لأنهم لم يكونوا أمناء

وما هي قيمة اليهودي إذاً؟

٣: ١-٨ «إذاً ما هو فضلُ اليهوديّ أو ما هو نفعُ الختانِ. كثيرٌ على كلِّ وجهٍ. أمّا أولاً فلأنهم آستؤمنوا على أقوالِ الله. فماذا إنْ كان قومٌ لم يكونوا أمناءَ. أفلعلَّ عدم أمانتِهم يُبطِلُ أمانة الله. حاشا. بل ليكُنْ الله صادقاً وكلُّ إنسانٍ كاذباً، كما هو مكتوبٌ لكي تتبرّر في كلامِكَ وتغلِبَ متى حوكمتَ.
ولكن إن كان إثمُنا يبيِّنُ برَّ الله فماذا نقولُ؟ ألعلَّ الله الذي يجلبُ الغضبَ ظالمٌ؟ أتكلم بحسب الإنسان، حاشا. فكيف يدينُ اللهُ العالمَ إذ ذاك. فإنه إن كان صدقُ اللهِ قد ازدادَ بكذِبي لمجدِهِ، فلماذا أُدانُ أنا بعدُ كخاطئٍ. أما كما يُفترى علينا وكما يزعُمُ قومٌ أننا نقول لِنفعلْ السَّيئاتِ لكي تأتي الخيراتُ. الذين دينونتُهم عادلةٌ».

وكأن رد الفعل على كل ما قاله ق. بولس يجيء بصيغة السؤال هكذا: إن كان اليهودي هو يهودي فقط في الخفاء، وإن كانت الختانة الحقة هي ختانة القلب لا اللحم وهذا حق؛ فلماذا اختار الله الأمة اليهودية وهي أمة كل أعمالها في الظاهر والعلن، ولماذا الختانة التي نُصَّ على أن تكون في اللحم وفي اليوم الثامن حسب أمر الرب؟

الاتهام هنا ليس موجهاً لليهود؛ هو موجه لله، فلا بد أن يتبرر الله، وليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً.

أما الأمة اليهودية فهي في ضوء اختيار الله لها فهي ذات فضل، فقد استأمنهم الله لمدى ألفي سنة (أي من موسى إلى المسيح) على أقواله أي أسفاره المقدسة، وأمّا الختانة في اللحم فبحسب تدبير الله السابق فهي ختم هذا الاختيار. وقد أغدق الله عليهم من مراحمه وحبه وعطاياه، ولكنه جاء يطلب الثمر فلم يجد إلاّ العقوق. فما ذنب أسفار الله المقدسة إن كان قوم من هؤلاء لم يكونوا أمناء لهذه الأسفار أو لاختياره ولختم اختياره؟ هل عدم أمانتهم تصيب أمانة الله في أقواله

وأسفاره؟ أو تبطلها؟ حاشا!! فالله وكل ما قاله الله في كل أسفاره سيظل صادقاً أبداً والإنسان هو وحده المسئول عن أعمال كذبه دائماً!! وإذا دخل الله وكلامه ووعوده دائرة حكمنا، فحتماً هو وحده المزكّى والبار في كل ما قال وما يقول ويعمل.

فالآن هل يترك الله هؤلاء القوم يبررون الله بالفم في الظاهر ويخفون الإثم في القلب ويهينون اسمه الذي يفتخرون به: «هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً» (مر٧: ٦)؟ فماذا نقول وماذا تقول الأمم، هل إثم اليهود يخدم بر الله؟ أو هل الخطية تبيِّن برَّه؟ فلماذا يدين الله بقية العالم؟ مَنْ قال هذا؟ وإذا جلب الله الغضب على الأمم بسبب خطاياهم ـ وشعبه المختار يعيث فساداً ـ ألا يكون ظالماً؟ وهل ممكن أن صدق الله وبرَّه يزدادان في أعين الناس بينما شعبه يمارس خدمته له ويمجِّده بالكذب والتدليس؟(١) إن دينونة الله بل وعدله أيضاً حتماً يفقدان محتواهما إن كانت الخطية تنشىء براً!!

هنا يورد ق. بولس موضوعاً كان قد أثار شجون نفسه إذ طلع عليه ناقدوه وكانوا كثيرين، بأن ق. بولس يعلِّم: «لنفعل السيئات لكي تأتي الخيرات». وفي الحقيقة، إن هذا القذف في حق ق. بولس يرجع إلى عدم فهم هؤلاء الناقدين لعدة مواقف تكلم فيها ق. بولس بما قد يفيد مثل هذا الاتهام الجاهل، فقد علَّم هكذا: «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رو٥: ٢٠) (أنظر شرحها في موضعها)، كذلك: «وأما الناموس فقد دخل لكي تكثر الخطية» (رو٥: ٢) (أنظر شرحها في موضعها)؛ كذلك: «أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية» (رو٧: ٢٥) (أنظر شرحها في موضعها). من هذا فهم الجهلاء أن ق. بولس يكرِّم الخطية، ويا للشناعة!

(١) والآن عزيزي القارىء ألا ترى معي من قول ق. بولس هذا أن ليس في مقدور الإنسان أن يختبىء وراء خدمة الله العلنية أو ممارساته الكنسية، مهما كان اجتهاده في الظاهر ومهما كان تمجيده لله بالكلام، وهو في الخفاء لا يعطي الله حقَّه ولا يسلك بالتقوى والبر والتعفف؟ هل يزداد مجد الله بكذبي أم تزداد كرامة الله بنجاسات قلبي وفكري؟

[٣: ٩ـ٢٠] اليهود متساوون مع الأمم في الوقوع تحت الدينونة

٩:٣ **«فماذا إذاً أنحن أفضل. كلاّ البتة. لأننا قد شكونا أن اليهودَ واليونانيين أجمعين تحت الخطيةِ».**

هنا يعطي ق. بولس معلومة تكاد تكون مقطوعة عن ما سبق من هذا الحوار إذ يقول: **«فماذا إذاً أنحن أفضل؟** ويرد: **كلاّ البتة لأننا شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية.** والآن مَنْ هم هؤلاء الـ **«نحن»**؟ هل اليهود، هل الأمم، هل المسيحيون؟

وللرد على ذلك يلزم أن يكون الرد منحصراً في معنى كلمة «نحن»، أنها هي في وضع أفضل من اليهود. ولكن ق. بولس لا يتكلم إلاّ بفم اليهود، إذاً فهو يهودي في وضع أفضل من اليهود ولكن ليس أفضل من اليهود!! فما هو؟ الجواب إنه يهودي قد أفرزه الله ليحمِّله الأمانة التي أخفق فيها "قوم لم يكونوا أمناء"، وهم اليهود الذين خالفوا أوامر الله وتعدوا على الناموس. والآن نعيد السؤال بفم ق. بولس: «فماذا إذاً أنحن أفضل؟». وهنا يتضح أن ق. بولس يتكلَّم عن اليهود الذين دخلوا الإيمان، والسؤال ينص على وضع عام كان فيه الذين آمنوا بالمسيح من اليهود والذين لم يؤمنوا سواء بسواء تحت الخطية. ولكن لما استُعلِن بر الله، آمن الذين آمنوا من اليهود، ليس لأنهم كانوا أفضل ولكن لأنهم آمنوا فصاروا في الوضع الأفضل دون فضل منهم، وحالة ق. بولس قبل أن يظهر له المسيح تشهد بذلك جداً! وهنا يصل ق. بولس إلى مفتاح الإيمان ببر المسيح المجاني الذي ليس لأحد من البشر فضل أو استحقاق في قبوله.

والآن ينبغي أن يلتفت القارىء إلى أنه بهذا يكون ق. بولس قد وصل إلى تحقيق القول الذي قاله في مستهل الأصحاح: **«إذاً ما هو فضل اليهودي أو ما هو نفع الختان؟ كثير على كل وجه».** كيف؟ لأن من هؤلاء اليهود ومن واقع علاقة الله بهم واستئمانهم على أقواله ومن تشديدهم على أوامره التي منها الختان، يكونون بذلك قد حفظوا العهد وحفظوا الميراث والتراث إلى أن جاء منهم المسيح: «الخلاص هو من اليهود» (يو٤: ٣١)، وهذا القول هو من فم المسيح، ولكن ق. بولس يقول إن هذه المرة جاء بر الله ـــ بواسطة المسيح ـــ بدون الناموس ولكن مشهوداً

له من الناموس. وإلى هنا تراجع اليهود ـــ الذين لم يؤمنوا بالمسيح ـــ إلى الخلف. على أنهم بقوا أصحاب فضل بالنسبة لنا وفقدوه بالنسبة لهم، وسيظلون أصحاب فضل بالنسبة لنا، وفاقدين له بالنسبة لأنفسهم إلى أن يرد الله لهم فضلهم بأن يقبلهم إليه مرة أخرى فيؤمنون به. وبصورة أكثر وضوحاً نقول إن اليهود سلَّمونا المسيح، فكانوا بذلك أصحاب فضل علينا ولا يزالون إلى الأبد، ولكنهم هم لم يؤمنوا به، ففقدوا قيمة فضلهم علينا ولكن إلى زمان حينما يقبلهم الله ويرد لهم فضلهم وجيلهم علينا بأن يُظْهِرَ لهم ذاته فيؤمنوا به.

١٠:٣ **«كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد».** مقتبسة من جا٧: ٢٠.
١١:٣ **«ليس مَنْ يفهم ليس مَنْ يطلب الله».** مقتبسة من مز١٤: ٢، مز٥٣: ٢.

١٢:٣ **«الجميع زاغوا وفسدوا معاً،
ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد».** مز١٤: ٣ و٥٣: ٣.
١٣:٣ **«حنجرتهم قبر مفتوح بألسنتهم قد مكروا».** مز٥: ٩ سبعينية.
«سم الأصلال تحت شفاههم». مز١٤٠: ٣.
١٤:٣ **«وفمهم مملوء لعنة ومرارة».** مز١٠: ٧.
١٥:٣ **«أرجلهم سريعة إلى سفك الدم».** إش٥٩: ٧ و أم١: ١٦.
١٦:٣ **«في طرقهم اغتصاب وسحق».** إش٥٩: ٧.
١٧:٣ **«وطريق السلام لم يعرفوه».** إش٥٩: ٨.
١٨:٣ **«ليس خوف الله قدام عيونهم».** مز٣٦: ١ سبعينية.

من الذاكرة اقتبس ق. بولس هذه الآيات التي عثرنا عليها في مواضعها التقريبية. والقديس بولس يستشهد بها ليبرهن على ما سبق وقال: «لأننا قد شكونا أن **اليهود** واليونانيين **أجمعين تحت الخطية».** وهو يعود أيضاً ويؤكد هذا القصد بتعقيبه على هذا السجل الحافل بالملامة على اليهود بقوله:

١٩:٣ **«ونحن نعلمُ أن كلَّ ما يقولهُ الناموسُ (التوراة والمزامير والأنبياء) فهو يكلِّمُ به الذين في الناموس (اليهود) لكي يستدَّ كل فَمٍ ويصيرَ كلُّ العالمِ تحت قصاصٍ من الله».**

وبهذا ينتهي ق. بولس إلى أن الجميع قد أُغلق عليهم في العصيان **«لكي يستدَّ كل فم».**

هذا من جهة اليهود لأن هذا هو حكم الله عليهم في الناموس، وبالتالي الأمم: «**ويصير كل العالم تحت قصاص من الله**».

وهكذا ينتهي ق. بولس إلى ما كان يخطط له منذ أول الرسالة أن العالم صار في أشد الحاجة إلى استعلان بر الله. لأن الناموس أخفق في علاج الخطية بسبب طبيعة الإنسان الضعيفة الواقعة تحت اللعنة وتحت عبودية الخطية. ونلاحظ في مستهل هذا السجل الحافل بالدينونة على اليهود أنه يُلمِّح: «**ليس بارٌّ ولا واحد**»، وهو بذلك يمهِّد لمجيء البار الذي سيبرِّر الكثيرين.

٢٠:٣ «**لأنه بأعمالِ الناموسِ كلُّ ذي جسدٍ لا يتبرَّرُ أمامَه، لأن بالناموس معرفةَ الخطيةِ**».

هنا ينتقل ق. بولس نقلة كبيرة وخطيرة من إلقاء اللوم بفم الله في التوراة على اليهود الذين أفسدوا علاقتهم بالله أشد إفساد، فلا فَهْمَ، ولا طلبَ الله، ولا عملَ صلاحٍ، بل حناجر تقذف النتن من الألفاظ، وألسنة ماكرة، وشفاه تلفظ السموم، وفم يلعن بمرارة، وأرجل تجري للقتل، وتحايل للاغتصاب والنقمة، يقولون طول النهار «شالوم شالوم» ولا يعرفون طريق الشالوم! لأن خوف الله منزوع من وجههم!!

ق. بولس ينتقل من ملامة الناموس لليهود، إلى كشف حقيقة عجز الناموس لأنه لم يقدر أن يبرِّر أحداً ليقف أمام الله بلا لوم. لأنه (أي الناموس) وُضع ليحكم على الخطايا فقط ويدين الخطاة، وذلك لمحاصرة الخطية والخطاة، وتمهيداً لمعالجة الاثنين بظهور برِّ الله الذي له وحده القوة لمحو الخطية كما تُمحَى سحابة صيف تحت وهج الشمس، وبتبرير الخاطىء بأن يولد من جديد، ليوقفه أمام الله بلا لوم!!

[٣: ٢١–٢٤] ظهور برِّ الله بالإيمان بيسوع المسيح

ابتدأ ق. بولس رسالته إلى أهل رومية بذكر انتشار الخطية وتغلغلها في العالم الوثني، ثم بانتشارها وتغلغلها في العالم اليهودي.

أما نصف العالم الأول، أي الوثني، فلم تُسعفه المعرفة الطبيعية بالله ــ كما ينبغي ــ من الداخل بالوعي والضمير، ومن الخارج بآيات الكون؛ وأما نصف العالم الثاني، أي اليهودي، فلم

تسعفه معرفته بالناموس ــ كما ينبغي ــ ولا العمل بمقتضاه. وهكذا انتهى ق. بولس بخلاصة أن فائدة الناموس هي «**لمعرفة الخطية**» وحسب. وهكذا تمهَّد الأساس الذي من أجله **تدخَّل بر الله!**

وهنا يكون ق. بولس قد انتهى في رسالته من التمهيد اللازم لاستعلان ربنا يسوع المسيح وضرورته ودقة الميعاد الذي اختاره، إذ انتهت معرفة الإنسان بالله سواء الطبيعية أو الناموسية إلى مزيد من التورط في الخطية حتى صار الجميع تحت سلطان الخطية: «ليس بار ولا واحد»، ليس صالحٌ، ليس فاهمٌ الله، الكل فسدوا وزاغوا معاً، ودخل العالم في ليله الذي طال جداً.

وهنا يبتدىء ق. بولس بالإعلان عن فجر البشرية الجديد «ولكن **الآن** ...». هذا «**الآن**» هو الذي يبشِّر ق. بولس به، ومن أجله يكتب رسالته. فالذي حدث «**الآن**» هو نقطة التحوُّل العظمى في تاريخ عالم الإنسان بشقَّيه اليهودي والأممي على السواء، وهذا التحوُّل ليس من جهة عالمه الذي يعيش فيه ولا حتى من جهة ما يخصه في ذاته بل من جهة علاقته بالله ومستقبل حياته الذي كان يلفُّه الليل البهيم.

أما الحدث الذي حدث فقد انطلق من السماء، فالله ظهر في الجسد بعد أن احتجب عن الإنسان كل الأزمنة السالفة: «حقاً أنت إلهٌ محتجبٌ يا إله إسرائيلَ المخلِّصَ» (إش ٤٥: ١٥). شقَّ سماءه فجأة ونزل، وأنهى سنين عزلته: «ليتك تشق السموات وتنزل ... ها أنت سخطت إذ أخطأنا ... وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة، وآثامنا كريح تحملنا، وليس من يدعو باسمك أو ينتبه ليتمسك بك، لأنك حجبت وجهك عنا وأذبتنا بسبب آثامنا ...» (إش ٦٤: ١و٥و٦و٧). لقد دخل الله عالم الإنسان بكل ثقله؛ بل بكل برِّه، بل بكل حبه، بل وبروحه أيضاً. الله صار في مواجهة الإنسان وجهاً لوجه (برُسُوبون)، فلم يَعُد للناموس مكان ولا مكانة. لقد انزوى الحرف لما هلَّ الروح، وسقط الموت ومعه الخطية لما أشرقت الحياة ومعها برُّ الله الذي يغفر ويحيي ويقيم من الموت. كان همُّ الناموس أن يعتَسَّ(*) وراء خطايا الإنسان ليحسبها عليه ويُطبِّق حكم الموت بلا رحمة، فصار همُّ الله أن يسترضي قلب الإنسان ببرِّه الخاص غير حاسب له خطاياه، يُصالحه ويغسله بيديه ويُقدِّسه ويقرِّبه جداً إلى نفسه. وكل ما عمله الله في «**الآن**» التي يذكرها ق. بولس، وكيف ظهر برُّه هكذا علانية، كان كله معلوماً سابقاً لدى الأنبياء، وقد ذكروه مراراً وشهدوا له تكراراً والناموس أيضاً اعترف به ومهَّد له.

(*) أي يتبع الإنسان ويكشف خطاياه.

٢١:٣ **«وأما الآن فقد ظهرَ برُّ الله ــ بدونِ الناموسِ ــ مشهوداً له من الناموس والأنبياءِ».**

فكما كان أن «غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم» (رو١: ١٨)، **لا يفرِّق بين أممي ويهودي**، لأن ميزان قضاء الله لا يأخذ بالوجوه، ولا فرق بين الذين يفعلون الخطية بدون الناموس أو في الناموس؛ هكذا فجأة، يُستعلن ظاهراً من السماء «برُّ الله» بالإيمان بيسوع المسيح **إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون بالمسيح، لا فرق بين مَنْ يؤمنون وهم في الناموس وبين الذين يؤمنون ولم يكن لهم ناموس، فكما لا فرق في الغضب كذلك لا فرق في البر.**

«أما الآن»: Nuvi δὲ

"الآن" ظرف زمان مختوم بالزمان، ولكن إذ يضع ق. بولس أمامه حرف «أما» للتفريق، أصبح «الآن» ظرف زمان يقسِّم الزمان بما يحمله. فإن كان الزمان السالف مربوطاً بالناموس ربطاً لا رجوع عنه، صار منذ **الآن** لا ناموس بالمرة بل فكاك وقَطْعُ رُبُط.

فإن كان الغضب قد اقترن بالناموس بسبب التعدي، فالبرُّ جاء بدون الناموس ليشفي التعدي. ولكن حذارِ أن نفهم عن الناموس أنه كان غريباً عن برِّ الله. فالناموس مقدَّس وعادل وصالح وروحي (رو٧: ١٢و١٤)، ولكن الإنسان اليهودي هو الذي أخفق أن ينال البر الذي في الناموس، لأنه حاول أن يستحوذ عليه لنفسه ليصير باراً في عين نفسه، كأبيه آدم الذي أراد أن يكون كالله عارفاً الخير والشر فكسر الوصية التي كانت لحياته فجعلها لمماته، هكذا اليهودي: «ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر **ناموس البر**، لم يدرك ناموس البر، لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس، ... لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله (بظهور المسيح) لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل مَنْ يؤمن.» (رو٩: ٣١و٣٢، ١٠: ٣و٤)

فالقديس بولس في الحقيقة يهدف إلى وضع مقارنة دقيقة بين «بر الله بالناموس» الذي أخفق اليهود في الانضواء تحته، وبين «بر الله بدون الناموس» الذي كان يمكن لليهود أن يبلغوه لو كانوا قد خضعوا لبر الله الذي في الناموس: «لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ــ (الذي كان في الناموس) ــ ويطلبون **أن يثبتوا بر أنفسهم: لم يخضعوا لبر الله** (في المسيح الذي انتهى الناموس إليه).» (رو١٠: ٣)

والدليل المفيد الذي يصحح لنا نظرتنا دائماً نحو الناموس ــ فلا يزلُّ فكرنا عندما ينقد ق.

بولس أعماله ــ هو قوله الواضح: «لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل مَنْ يؤمن» (رو١٠: ٤). أي أن الناموس وُضع ليمهِّد للمسيح ويعمل لحسابه، بمعنى أن الناموس لم يوضع ليبقى أو ليدوم، بل ليعمل لحساب المسيح، حتى إذا جاء المسيح يكون الناموس قد بلغ غايته ونهايته، فإلى هنا تنتهي أعمال الناموس.

من هنا نفهم بوضوح قول ق. بولس في هذه الآية أعلاه: «أما الآن فقد ظهر بر الله ــ بالإيمان بيسوع المسيح ــ **بدون الناموس**». هنا تأتي حقيقة «بدون الناموس» ضرورة مطلقة، وحتمية زمنية ومنطقية وواقعية بآن واحد. فمستحيل أن يجتمع صليب المسيح مع الناموس!! ولا الناموس مع صليب المسيح!! لذلك فإن قول المعمدان: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو٣: ٣٠) ينصبُّ في الحقيقة ليس على شخص المعمدان بقدر ما ينطبق على حال زمان المعمدان وما قبل المعمدان من ناموس وأنبياء جميعاً، بل وحتى أن يُلقى المعمدان في السجن وتؤخذ رأسه بحد سيف هيرودس لم تكن هذه جريمة بقدر ما كانت نبوة رمزية فائقة الدقة، تعبِّر عن توقف العهد القديم برمته ودخول عهد النبوة وما يتعلق بها من أحداث وناموس وتقاليد وعادات في سجن الزمان وتحت سيف التاريخ الذي لا يرحم: «وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال.» (عب٨: ١٣)

وهل كان الحكم بصلب المسيح على خشبة العار جريمة بقدر ما كانت نقطة تحوّل في تاريخ الإنسان والعالم والخليقة كلها بإنهاء عصر الناموس؟ فكلمة **«بدون الناموس»** هنا إشارة إلى بلوغ الناموس غايته العظمى بظهور المسيح.

وهنا يصدق قول المسيح: «لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. **ما جئت لأنقض بل لأكمل.** فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، **حتى يكون الكل.**» (مت٥: ١٧و١٨)

تقول لي معترضاً: فكيف يُقال «بدون الناموس»، و«الناموس عتق وشاخ وهو قريب من الاضمحلال» وهو ترتيب الله وكلماته؟ الرد واضح لأن المسيح **«أكمل الناموس»**، ولأنه حقق **كل وعد الله الذي في الناموس بحروفه**، فقد حقق المسيح شرطه الذي اشترطه: «لا يزول حتى **يكون الكل**» وقد **«كان الكل»** في المسيح بالفعل حينما قالها المسيح على الصليب: «قد أُكمل»، فتحتم زواله.

من هذا نفهم أن العهد الجديد ليس ضد العهد القديم بل تكميل له، فلم نَعُدْ نُطالَبُ بشرائعه

بل نتمتع بكمالها وجمالها وكأننا أكملناها جميعاً في المسيح. والبر بالإيمان بالمسيح ليس ضد أعمال الناموس بل تكميلاً لها، فلم نَعُدْ نُطالَبُ بنصوصها بل نتمتع بكمالها وجمالها وكأننا أكملناها جميعاً. «ولكن قبلما جاء "الإيمان" كنا محروسين تحت الناموس مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلَن.» (غل٣: ٢٣)

وق. بولس يريد أن يزيد قوله هذا تأكيداً، أي أنه لا يتكلم ضد الناموس بل يكرِّمه بقوله عن مجيء بر الله بدون الناموس أنه مشهود له من الناموس ومن الأنبياء أيضاً، فإن كان الناموس يشهد لظهور بر الله بالإيمان بيسوع المسيح، فالتبرير بإيمان يسوع المسيح هو تكميل الناموس حتماً. وقول ق. بولس: «الناموس والأنبياء» هنا، فهو يعني به جميع الأسفار المقدسة بكل ما حوت واحتوت.

هنا يصر ق. بولس على وحدة الأسفار المقدسة في القديم والجديد، أي وحدة العهدين وكل وعود الله. ولكن ق. بولس بالرغم من هذه الاستمرارية الموحَّدة بين العهدين، إلا أنه بقوله "**أما الآن**" و"**ظهور بر الله**" العلني مشهوداً له من الجميع: ناموس وأنبياء، لا يزال يرفع بر الله بالإيمان بيسوع المسيح فوق الجميع، لأنه يحوي كل قوة الماضي وكل مواعيده وخيراته وإنعاماته. وبهذا التعبير ــ أي شهادة الناموس والأنبياء ــ يتسجّل «**بر الله**» بالإيمان بيسوع المسيح شرعاً كقانون إلهي له صفة العمومية والفعل. لذلك سنسمع حالاً كيف يجعل ق. بولس عمله شاملاً «**إلى كل وعلى كل** الذين يؤمنون»، أي بلا تمييز بين يهودي وأممي.

كذلك، حذارِ أن نفهم من قول ق. بولس أن بر الله ظهر **بدون الناموس**، يعني أن بر الله لا يطالب بالأعمال جملة! ولكن **أعمال الناموس** هي التي سقطت من أعبائنا بظهور بر الله **بدون الناموس**، ولكن بر الله شرَّفنا بوضع نير أعمال البر على أرواحنا وفي قلوبنا وما أسعده نيراً، نير الحب والبذل والفرح في العطاء والسخاء في التوزيع، نير الصلاة والتسبيح والتمجيد والفرح الذي لا يُنطَق به ومجيد، نير أعمال التواضع والمودة الأخوية الصادقة واحتمال أخطاء الآخرين بصبر المسيح!! والنير يوضع على كتفين كتفنا وكتف المسيح إن صحَّ التعبير!! لأن نير المسيح يضعه الروح القدس على أعناقنا ويسنده سرًّا من ورائنا.

٢٢:٣ **«برُّ الله بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ إلى كلِّ وعلى كلِّ الذين يؤمنونَ، لأنه لا فرقَ».**

ليس الإيمان بالله هو المختص بإعطاء «**بر الله**»!! بل الإيمان بيسوع المسيح! لأنه بعد قليل سوف يظهر لنا أن الصليب والموت هما محور فعالية استعلان بر الله. إذاً فبرُّ الله مستعلن في شخص

يسوع المسيح من جهة كل الدور الفدائي الذي قام به. وإعطاءُ المسيح اسمه الكامل: «يسوع المسيح» هو عند ق. بولس جمع شمل خصائص المسيح ما قبل التجسد وبعده، ما استُعلن في القديم بمعنى المسيا وما تم في ملء الزمان مولوداً من امرأة، وما أُكمل على الصليب وما تعيَّن بالقيامة من الأموات: أنه هو ابن الله!! هذا كله هو بعينه «موضوع» الإيمان الذي له نصيب بر الله، الذي يشمل المسيح كمُخلِّصٍ وفادٍ ومُصالِحٍ وربٍّ لمجد الله الآب.

«إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق»:

أولاً وقبل كل شيء ليت يثبت في ذهن القارىء وفي قلبه **أن الإيمان بالمسيح يعني أول ما يعني أنك لا تستطيع أن تعمل شيئاً تخلّص به نفسك. هذا قد أثبته الله لنا عملياً باستعراضه لنا تاريخ إسرائيل مع الناموس!! إسرائيل جرت وراء الناموس وحاولت باستماتة أن تبرر نفسها بأعمال الناموس، فانتهت إلى التجديف على الله وقتل ابنه الوحيد. الإيمان بالمسيح هو الإيمان ببر الله الكامل بعد جحد الإنسان بالكامل!! إذاً فليس أمام الإنسان للخلاص إلاّ رحمة الله وسخاء برّه.**

ق. بولس يعطي بر الله بالإيمان بيسوع المسيح صفة التشريع السماوي الذي له قوة النفاذ العام والشامل دون أي امتياز أو تفريق بين مؤمن ومؤمن، ويقصد بذلك أن في المسيح لا شعوبية خاصة، ولا أمة ممتازة على أمة، ولا إنسان يتميز على إنسان إلاّ بإيمانه، والإيمان واحد لأن البر واحد. فبر الله هو بر الإيمان!! والإيمان عند ق. بولس يعطيه صفة الشخصية مثل الناموس، فهو يقول: «ولكن قبلما جاء **الإيمان** كنا محروسين تحت الناموس مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلَن.» (غل٣: ٢٣)

فـ«**الإيمان**» هو «**فعالية نعمة**»، و«**البر**» **نتيجة النعمة**، وليس عند نعمة الله تمايز في العطاء لأنها مجانية، فالنعمة واصلة لكل مَنْ يؤمن: «إلى كلِّ مَنْ يؤمن»، ومنسكبة منسكبة: «على كلِّ مَنْ يؤمن»، وهذا يعني أن بر الله بالإيمان بيسوع المسيح صار حقاً لكل مَنْ يؤمن. وهذا له عند الله سبب غاية في العطف والرحمة والحنو، وهو أنه كما أن الخطية استعبدت وأذلّت الجميع بلا تفريق والكل استقى من سمِّها مجاناً بل ظلماً، فبالمثل جعل الله برّه المجاني من حق كل مَنْ يطلبه، أي يؤمن به، حيث جعل الله فعل الإيمان بالمسيح هو المقابل المداوي لفعل الخطية المميت.

٢٣:٣ **«إذ الجميعُ أخطأوا وأعوزَهم مجدُ الله».**

نعم فمنذ آدم، منذ أن عرف الإنسان الخير والشر وطلب أن يكون كالله، فَقَدَ ما لله، فقد جمال الصورة ومجدها. فإن كان موسى قد لمع وجهه لمّا سمع من فم الرب كلمات الناموس الزائل، فماذا كان وجه آدم وهو يتقبل كل يوم من فم الله علم معرفته في ذاته وفي الخلائق من حوله التي خلق والتي سُلمت إليه ليعطيها أسماءها ويتعايش معها؟ لقد فقد آدم لمعان وجهه وروحه، وفقدناها نحن من بعده، فقد أخذنا طبيعتنا منه فاقدة لنعمة الله وليس مجده وحسب!! بل وفقدنا رؤية الله جملة وتفصيلاً: «لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر٣٣: ٢٠). وليس مجد الصورة الذي أعوزنا وحسب، بل مجد الله والتطلع إليه: «حقاً أنت إلهٌ محتجبٌ يا إله إسرائيلَ المخلِّص» (إش٤٥: ١٥). هذا أنين إشعياء الذي «رأى مجد الرب وتكلم عنه» (يو١٢: ٤١) برؤيا خاطفة سرعان ما أنْسته ما رأى كمن يرى وجهه في مرآة وسرعان ما ينسى ما رأى! ونحن نعلم أن الرب يسوع أعاد لنا رؤية مجد الله بالروح:

+ «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر.» (يو١: ١٨)
+ «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني.» (يو١٧: ٢٢)
+ «ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب.» (يو١: ١٤)
+ «قد كنا معاينين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً.» (٢بط١: ١٦و١٧)
+ «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا **لإنارة معرفة مجد الله** في وجه يسوع المسيح.» (٢كو٤: ٦)

إذاً فـ «مجد الله» الذي أعوز الجميع لما أخطأ الجميع له وجهان: وجه عند الإنسان، إذ لما شُوِّهت صورة الإنسان أصبحت فاقدة قدرة التطلع في أصلها، أي نور ومجد وجه الله أو التعرّف على ماهيته وصفاته؛ والوجه الآخر عند الله، إذ حجب الله وجهه عن الإنسان لئلا يُصْعَق الإنسان ويموت: «لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر٣٣: ٢٠)!! فالشمس تُعْمِي البصر المريض.

وكأنما ذَكَرَ الله رحمته لآدم وحنَّت أحشاؤه على صورته التي خلق، فجعل بره الذي استودعه في شخص يسوع المسيح ابنه لا ينحصر فقط في رفع الخطية — عن الإنسان — التي دمرت علاقته مع الله، بل ويمتد برُّه في المسيح ليعيد مجد الله لصورته، ويعيد لصورته نعمة التطلع في مجد الله مرة أخرى: «وأُظهر له ذاتي.» (يو١٤: ٢١)

ويا لهذا المنطق الصحيح العجيب، فكما أن الخطية أفقدت الإنسان مجد الله ورؤيته، هكذا

جاء بر الله ليرفع الخطية فيعيد للإنسان، بالتالي وحتماً، مجد الله ورؤيته!!

لقد أعطانا الإيمان ببر الله الذي في المسيح يسوع، بموته وقيامته، حق الشركة في المسيح وفي أعمال بره، وبالتالي صرنا في المسيح، فارتاحت الصورة على أصلها وشعَّ شعاع مجد الابن في قلوب متَّقيه ومحبيه. ولما صرنا شركاء ألمه وموته، صرنا شركاء مجده بالضرورة: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو٨: ١٧). وهكذا بجرأة المفدي يهتف ق. بطرس: «أنا الشيخ رفيقهم **والشاهد** لآلام المسيح **وشريك المجد العتيد أن يُعلَن**.» (١بط٥: ١)

ألم ينتهِ تبرير الله في المسيح يسوع إلى خليقة جديدة فينا وكأنما هي عودة إلى الفردوس، إنما بالروح، للوجود مع الله في الذُّكصا العظمى، حيث نرى مجد الله ونشترك فيه؟!!

«أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني (بالإيمان) يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم» (يو١٧: ٢٤)، «متى أُظهر المسيح حياتنا، فحينئذ **تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد**» (كو٣: ٤). وهكذا أعاد بر الله للإنسان كل ما فقده بسبب الخطية حتى مجد الله!!

٢٤:٣ **«متبرِّرين مجاناً بنعمتِه بالفداءِ الذي بيسوعَ المسيح».**

هنا استعراض حالة تبرير حاصلة إنما بصورة مجانية، أي غير مدفوع لها ثمن من جهة الإنسان.

وفي الحقيقة إن كلمة «متبررين» وحدها تفيد المجانية الكاملة، فلماذا إضافة «مجاناً» هنا؟ السبب هو إعطاء المقابل المساوي (عند الله) لما سبق في الآية التي قبلها: «إذ الجميع أخطأوا **وأعوزهم مجد الله**»، فكان الرد المقابل عند الله ومن واقع أحشاء رحمته: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح»!!

إحساس ق. بولس هنا بالحرمان الفادح من بر الله الذي عمَّ البشرية جميعاً بسبب الخطية وبدون استثناء وحرمانهم بالتالي من مجد الله هو الذي جعله يصف التبرير «إلى كل وعلى كل من يؤمن». إنه بلا مقابل من جهة الإنسان، بلا عمل يُطلب منه، إنما هو من **سخاء نعمة الله المقابل لسُخْرة الإنسان المرَّة تحت الخطية**.

فالتبرير وإن كان في طبيعته هو موهوب كنعمة من قِبَل الله للإنسان في المسيح يسوع، ولكن ق. بولس يضيف عليه **المجانية** بمعنى عدم مطالبة الإنسان الميت الواقع تحت الذنوب والخطايا بأية

حركة من جهته إلاّ حركة قلب يقول نعم آمين: «ونحن أموات بالخطايا، أحْيَانَا مع المسيح، بالنعمة أنتم مُخلَّصون (مجاناً)» (أف ٢: ٥). هذا هو بر الله الذي وصل إلى الميت في ذنوبه وانسكب على الخاطىء المنكفىء على خطيته فأحياها. كنداء المسيح على لعازر الميت الذي بلغه وهو في الهاوية فقام!

«متبررين»:

الله بار وهو الوحيد في برّه. ولا يوجد بار غير الله. أنظر الآية ٣: ١٠ وشرحها في موضعها. أنظر أيضاً شرح الآية: «ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع» (٣: ٢٦). وحينما يقول ق. بولس: «الله يبرر»، أي يعطي الفعل من البر، فهو يعني أن الله يعطي برّه للإنسان بمعنى يعطي تزكيته القضائية مسنودة باستيفاء حق العدالة، وهذا الأمر مستحيل على الإنسان الحصول عليه إلاّ ببر الله بعمل النعمة الكامل. لأنه لا توجد أية قاعدة عند الإنسان يُبرَّأ على أساسها. وهنا تقترب الكلمة من التبريء، ولكن الفارق بين التبريء والتبرير، هو أن الذي يُبرَّأ يصير فقط بلا اتهام ولكن المبرَّر هو المزكّى من الله وله في الله نصيب، إذ قد حصل على غفران كامل لخطاياه فحاز على بر الله. وهنا يتعالى جداً البرّ عن البراءة، **فالبراءة تجيء عن عدل فقط أما التبرير فيجيء عن رحمة وعدل معاً، والإنسان يستحيل أن يتبرأ أمام العدل أبداً ولكن بدخول عنصر الرحمة ينال الإنسان التبرير**، أي البراءة + التزكية.

ولكن التبرير ينتهي عند احتساب الخاطىء مبرَّراً، أي حائزاً على البر من الله، فهو مزكّى فقط؛ ولكن لا يُحتَسَب أنه فاضل أو صاحب فضيلة، لأن هذا يأتي من أعمال البر. فالتبرير لا يقف بالإنسان عن العمل والسعي والجهد في وصايا الله، بل يزكيه لها ويدفعه إلى الاشتغال بها عن شغف وحب وحرارة وكفاءة. فالبار بالإيمان يحيا وبالبر يعمل أعمال البر ليصير فاضلاً. لأن التبرير هو عمل الله الذي يعمله «الآن» ولكن لحساب الدهر الآتي حينما يتبرر الإنسان أمام كرسي الديان. فالتبرير الذي يتم الآن بالإيمان يحتاج إلى إثبات حالة لا تتم إلا بالأعمال البارة التي بمقتضاها يتم التبرير يوم الدينونة حيث يجازي الله كل واحد حسب أعماله. فكيف يُجازَى البارُّ إن لم تكن له أعمال في البر؟

وأعمال البر غير أعمال الناموس، فالبر حياة في المسيح والله، وعِتقٌ من الموت والخطية، فأعماله أعمال حياة مع الله والمسيح، أمّا أعمال الناموس فالذي كان يعملها يحيا بها والذي لا يعمل يموت بلا رحمة، ولم يعملها أحد. لأن الناموس بأعماله كان فقط يمهد للمسيح والمسيح كان غايته.

«بنعمته»:

لقد جاء بر الله عوض الناموس، لأنه إن كان الناموس يكشف الخطية ويدين ويحكم كقضاء عدل بالموت، فإن برَّ الله يعفو ويزكي ويغفر كل خطية كقضاء رحمة لإعطاء حياة من موت. كذلك إن كانت أعمال الناموس نيراً على أكتاف الذين تحت الناموس لم يستطيعوا حمله، لا الآباء ولا الأنبياء من بعدهم باعتراف ق. بطرس (أع ١٥: ١٠)، فالنعمة، نعمة الله، جاءت بالبر لتهب مواهب وعطايا البر لخدمة الله الحي بواسطتها: «ولكن مَنْ أنا ومَنْ هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب هكذا لأن منك الجميع **ومن يدك أعطيناك.**» (١أي ٢٩: ١٤)

وكون ق. بولس يقرن كلمة «**مجاناً**» بكلمة «**بنعمته**» ليصف عملية التبرير، فهو يجعل هذا التبرير كعمل من جهة الله لا يقوم إطلاقاً على أي استحقاق من جهة الإنسان كمقابل مباشر للآية (٢٠): «لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطية». **فإن كان العجز محتماً بالناموس من جهة الإنسان لنوال عفو أو رحمة** من جهة خطايا الإنسان أو حكم الموت، إذاً فقد تحتم بالمقابل أن «**يظهر بر الله مجاناً بنعمته**»، وذلك هو المقابل من عند الله بحسب غنى رحمته. ولكن ليس كأن عدل الله قد سقط!!

«بالفداء الذي بيسوع المسيح»:

«الفداء»: ἀπολυτρώσεως

الفداء معروف من الفدية التي تُدفع لفك رقبة (من في العبودية) أو فك أسر من بين يدي عدو غاصب. والكلمة تشمل المعنيين: الدفع والفك معاً، فهي فداء مدفوع الثمن. وللقديس بولس توضيح شديد لهذا المعنى: «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا» (أف ١: ٧). فهنا الأسر هو أسر أو عبودية تحت الخطية، والفداء الذي تم به فك ربط الخطية دُفع ثمنه بدم المسيح، فتم غفران الخطايا من قِبَل الله. ولكن فك رُبُط الخطية يشمل، في معنى الفداء بالدم، إلغاء الخطية نفسها كسيِّد مستبد. فدم المسيح ألغى الخطية (عب ٩: ٢٦) وبالتالي ألغى كل متعلقاتها على الإنسان(٢).

هذا هو استيفاء عدل الله من نحو الإنسان، هذا هو الثمن المدفوع من قِبَل الله لرفع كل تغريم واقع على الإنسان. وهكذا فالثمن المدفوع من يد الله جعل الإنسان يحصل على بر الله مجاناً بنعمته. أي أن **مجانية نعمة البر** قد استوفت ثمنها إزاء العدل، حتى يمكن تبرير الإنسان وهو خاطىء بل

2. Lightfoot, *op. cit., ad loc.*

وهو مائت في ذنوبه وخطاياه، ودون أن يُطلب منه أن يأتي ولا حركة واحدة. لقد مرَّر الله برّه إلى الإنسان وعلى الإنسان بعد أن استوفى عدله على الصليب وسُفك دم ابنه الوحيد. فوصل إلى الإنسان وعليه، **مجاناً بنعمته، دم المسيح وصليبه!** وهكذا تم تبرير الإنسان مجاناً بنعمته بالفداء الذي دفعه الله في المسيح يسوع.

+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي **لكم من الله،** وأنكم لستم **لأنفسكم** لأنكم **قد آشترِيتُم بثمنٍ**، فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو٦: ١٩و٢٠)
+ «**قد آشترِيتُم بثمنٍ** فلا تصيروا عبيداً للناس.» (١كو٧: ٢٣)
+ «المسيح **افتدانا من لعنة الناموس** إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة.» (غل٣: ١٣)
+ «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس **ليفتدي الذين تحت الناموس** لننال التبني.» (غل٤: ٤و٥)

وهكذا يرى ق. بولس أن الله في المسيح أعطانا برَّه، **ولكن** بعد تكميل الفداء والتقديس بالدم. «بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء.» (١كو١: ٣٠)

[٣: ٢٥و٢٦] عَصَبُ اللاهوت المسيحي

هو عمل الكفارة الذي أكمله المسيح
ثم الإيمان بالدم للصفح عن الخطايا، لإظهار بر الله

٣: ٢٥ **«الذي قدَّمَه الله كَفـَّارةً بالإيمانِ بدمِهِ لإظهارِ برّه من أجلِ الصفحِ عن الخطايا السالفةِ بإمهالِ الله».**

كفَّارة: ἱλαστήριον «كبوراه» بالعبرية.

الكلمة أصلاً مأخوذة من غطاء التابوت الذهبي في قدس الأقداس الذي يتراءى فوقه الله، ليقبل من رئيس الكهنة تقدمة دم ذبيحة الكفارة التي يكفر بها عن خطايا رئيس الكهنة والشعب. فأصبح غطاء التابوت يفيد معنيين: الأول أنه **كرسي أو عرش الرحمة** الذي من فوقه حينما يرى الله الدم يمارس عمل مغفرة خطايا الشعب، فيتغاضى عنها **أو يغطيها برحمته**، فلا تعود تُنظَرَ من

الله. والمعنى الثاني مكان نضح الدم. وهكذا يصبح الإيلاستيريون أو «**الكبوراه**» أو الشاكيناه بمعنى «السكن» والتي تحوَّرت في اللغة العربية وصارت «**كفَّارة**»، وهي تقابل رحمة الله مع الخطية بتوسط دم الذبيحة لغفران الخطايا، أو سترها أو تغطيتها:

+ «الذي يقال له قدس الأقداس، فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد ...، وفوقه كروبا المجد مظللين الغطاء (إيلاستيريون) ... فرئيس الكهنة فقط (يدخل) مرة في السنة ليس بلا دم يقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب.» (عب٩: ٣–٧)
+ «وقال الرب لموسى كلِّم هارون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء (إيلاستيريون) الذي على التابوت لئلا يموت **لأني في السحاب أتراءى على الغطاء.**» (لا١٦: ٢)
+ «فلما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلم معه (الله) كان يسمع الصوت يكلمه من على الغطاء (إيلاستيريون) الذي على تابوت الشهادة من بين الكروبين، فكلَّمه.» (عد٧: ٨٩)

أما كون الغطاء (إيلاستيريون) يُسمَّى «كرسي أو عرش الرحمة» فواضح في المزمور: «يا راعي إسرائيل اصغ، يا قائد يوسف كالضأن، **يا جالساً على الكروبيم** أشرق.» (مز٨٠: ١)

ومعروف أن الكاروبيم كان فوق الغطاء يغطي الغطاء.

وقد عبَّر عنه أحد المترجمين اللاتين بأنه المكان حيث **«السعي للحصول على الرحمة».**

ومعروف أن أول مَنْ ترجم غطاء التابوت بكرسي الرحمة هو أوريجانس الإسكندري في شرحه لرسالة ق. بولس إلى أهل رومية[٣]. ومن هذا الشرح امتد المفهوم أن المسيح نفسه هو بمثابة **كرسي الرحمة**. وقد عبّر عن ذلك القديس يوحنا: «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو١: ١٤)، لأنه حيث يُرى مجد الرب ملموساً على الأرض فهو الإيلاستيريون. أما الإيلاستيريون الحقيقي فهو عرش الله في السماء حيث دخل الرب يسوع إلى الله الآب في الأقداس العليا وقدَّم دمه «فوجد فداءً أبدياً.» (عب٨: ١٢)

ولكن تحليل هذه المعاني وإن كانت مدركة تماماً ومشروحة عند الإسكندرانيين منذ فيلو اليهودي وأوريجانس، فهي على أغلب الأحوال لم تكن مفهومة على هذا المستوى عند أهل روما.

3. Origen, *Comm. ad. Rom.*, Lib. III, 8.

والمهم في هذا كله هو حقيقة ذبيحة الكفارة التي أتمها المسيح على الصليب وقدَّم دمها إلى الله الآب فأكمل بها الفداء في مفهومه العملي كثمن فادح مدفوع لتحرير الإنسان.

وق. بولس وإن كان أكثر الرسل في تركيزه على الفداء «**بالدم**» كذبيحة كفَّارة، إلاَّ أن «الفداء» هو ميراث رسولي عام للكنيسة.

فبحسب بولس الرسول:

+ «الذي فيه لنا **الفداء بدمه غفران الخطايا** حسب غنى نعمته (الله الآب).» (أف١: ٧)
+ «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي **يفدينا من كل إثم** ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في **أعمال حسنة.**» (تي٢: ١٤)
+ «الذي لنا فيه **الفداء بدمه غفران الخطايا.**» (كو١: ١٤)

وبحسب بطرس الرسول:

+ «عالمين أنكم **افتُديتُم**، لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل **بدم كريم** كما من حمل بلا عيب ولا دنس **دم المسيح**، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.» (١بط١: ١٨—٢٠)

بحسب لوقا الإنجيلي:

+ «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع **فداءً** لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه.» (لو١: ٦٨و٦٩)
+ «فهي (حنة النبيَّة) في تلك الساعة وقفت تسبِّح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين **فداءً** في أورشليم.» (لو٢: ٣٨)
+ «ونحن (تلميذي عمواس) كنا نرجو أنه هو المزمع أن **يفدي إسرائيل.**» (لو٢٤: ٢١)

وبحسب متى ومرقس الإنجيليين:

+ وذلك على لسان المسيح رأساً:

«كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فدية **λύτρον** عن كثيرين.» (مت٢٠: ٢٤، مر١٠: ٤٥)(٤).

(٤) ليرجع القارىء إلى شرح معنى الفداء في كتاب: «القديس بولس الرسول — حياته ولاهوته وأعماله»، للمؤلف، ص٢٧٧—٣٠٠.

علماً أيها القارىء العزيز أن الفداء الذي أكمله الرب يسوع بدمه كفَّارة لكل مَنْ يؤمن به، لم يكن حدثاً تاريخياً أتى بثماره وانتهى، ولكنه حدث قائم دائم كان منذ الأزل في تدبير الله وتمَّ في ملء الزمن، ولا يزال فعَّالاً في المسيح وبالمسيح، وبعد أن أكمله ظل مكمَّلاً له وسيبقى كذلك، فهو المسيح الفادي، لأن الفداء عمل أخروي ستُستعلن قوته وعظمته وشموله في **يوم الفداء القادم.**

«المسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً» (١كو١: ٣٠) كعمل دائم في شخصه.

«إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو **عربون** ميراثنا، **لفداء المُقتنى** لمدح مجده» (أف١: ١٣و١٤). لاحظ هنا «عربون ... الفداء».

«ولا تُحزِنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم **ليوم الفداء.**» (أف٤: ٣٠)

والفداء هو الذي جعل برّ الله ممكناً وجعلنا مؤهلين للتبرير، فلولا دم المسيح ما كان برٌّ ولا كان تبرير.

«الذي قدّمه الله»: προέθετο = set before himself

وتترجم صحيحاً هكذا: «قدَّمه أمامه».

المعنى هنا خصب وعميق. فالفعل «قدَّمه» لا يرتاح على الزمن بل على الحالة والمكان أو الأصح المكانة، فالله **قدَّم يسوع المسيح (كفَّارة) ليكون أمامه**(٥) — على الدوام — بوضع كياني دائم **هو وضع الكفَّارة، حتى يمكن أن يعلن أو يظهر برّه الخاص ويمنحه للإنسان حتى يتم الصفح عن خطايا الإنسان السالفة. كيف؟** المعنى هنا خطير، **فالله بدون ذبيحة كفارة المسيح تقف رحمته، بمعنى تتوقف عن العمل بسبب العقوبة التي وقع تحتها الإنسان بانتظار حكم العدل الذي يستحقه الإنسان، ولكن بعد أن أكمل المسيح مطالب العدل الإلهي بأن أخذ العقوبة كاملة في جسده — أي جسد الإنسان المستحق العقوبة — أصبح بر الله بلا عائق يعمل بمنتهى رحمته، فتم الصفح عن كل خطايا الإنسان السالفة المحفوظة بطول أناة الله إلى هذا اليوم، يوم الكفارة العظيم.**

5. Lightfoot, *Ep. to Ephes.* 1:10, and Rom. 3:25.

أي أن عبارة «قدَّمه الله» لا بد أن تُترجَم عربياً ترجمة صحيحة مؤداها حسب المفهوم اليوناني: «**الذي قدَّمه الله أمامه كفَّارة**» ولتكمل حسب قصده أو غرضه.

وكلمة «غرض» يؤكد عليها العالم اللغوي الكبير الأسقف لايتفوت(٦)، فهذا الاصطلاح προέθετο جاء بمعنى «قَصْد» أو «غرض» للقديس بولس أيضاً: «حسب مسرته التي **قصدها** προέθετο ... الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب "**قَصْد**" **πρόθεσιν** الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف١: ٩و١١)

كذلك فإن اصطلاح «الذي قدَّمه الله» يشمل حسب العلماء(٧) معنى العلنية، أي أن الله قدَّم يسوع المسيح أمامه كفَّارة غرضاً له، ولكن علناً أمام العالم ليُجري برَّه على الناس!!

«بالإيمان بدمه»:

واضح أن تبرير الله للإنسان أصبح ممكناً بتقديم يسوع المسيح أمامه كفَّارة، لأن بهذا الدم يتم الصفح عن الخطايا السالفة. وماذا عن الإنسان؟ أما الإنسان فأصبح عليه أن يقدِّم الإيمان بالمسيح حتى ينال منه عمل الكفارة، أي الصفح عن الخطايا. وهنا يعمل بر الله مباشرة تجاه الإنسان للتبرير، إذ لم يبقَ عائق يعوق عمل البر.

«لإظهار برِّه»:

نؤجل شرحها للآية القادمة تحت جملة: «**إظهار برِّه**» المتكررة.

«من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله»:

هنا تخصيص إظهار برِّ الله من أجل الذين آمنوا بالله وكان إيمانهم عظيماً ومشهوداً لهم حتى من جهة أعمالهم الصالحة والبطولية أيضاً الذين قيل عنهم: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى فإنه في هذا شُهد للقدماء ...» (عب١١: ١و٢). وظل ق. بولس في رسالة العبرانيين يذكر من أول هابيل إلى أخنوخ إلى نوح «البار» إلى إبراهيم إلى سارة إلى إسحق ويعقوب، ثم موسى وجدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل وجميع الأنبياء، الذين بالإيمان قهروا ممالك **صنعوا براً** نالوا مواعيد سدّوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء، عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لأنهم كانوا

6. Ibid.
7. J. Murray, *Ep. to the Romans*, pp. 117 n. 21,118.

يطلبون قيامة أفضل، جُرِّبوا في هزء وجلد ثم قيود وحبس، رُجموا، نُشروا، جُرِّبوا، ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا في جلود غنم وجلود معزى، معتازين مكروبين مُذَلِّين تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض، «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان.» (عب١١)

نعم هذا قليل جداً من كثير جداً الذين شملهم برُّ الله ــ بأثر رجعي ــ عندما أظهر برَّه بتقديم يسوع المسيح كفارة عن الخطايا السالفة لهؤلاء القديسين الأماجد حينما احتمل الله بطول أناة كثيرة حرمانهم من بر الله العتيد أن يُعلَن في الزمان الحاضر!!

٢٦:٣ **«لإظهار برِّه في الزمانِ الحاضرِ ليكونَ باراً ويبرِّر مَنْ هو مِنَ الإيمانِ بيسوعَ».**

مرة أخرى وبصورة واضحة ومستقلة يربط ق. بولس بين إمكانية ظهور بر الله وبين تقديم المسيح كفَّارة أمامه علناً أمام العالم، **فلماذا هذا التكرار؟**

«لإظهار»: πρὸς τὴν ἔνδειξιν

الكلمة اليونانية تشمل من المعنى أكثر من «إظهار»، فهي يُظهر ويُحقق. وهنا يكرر ق. بولس وضع الكلمة مرة أخرى لشدة أهمية معناها. فقد قال سابقاً: «الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه **لإظهار برِّه** من أجل الصفح **عن الخطايا السالفة بإمهال الله**». وهنا إعادة لنفس المعنى باستخدام نفس الوضع أنه قدَّم يسوع المسيح أمامه كفَّارة حتى يستطيع إظهار وتحقيق برِّه، ولكن هنا ليس **من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله كما جاءت في الآية (٢٥) والتي يُقصَد بها تبرير الذين آمنوا وماتوا على الرجاء: «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد (مواعيد إبراهيم) بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيُّوها ... لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم لأنه أعدَّ لهم مدينة**» (عب١١: ١٣و١٦). بل هنا يزيد: «**لإظهار برِّه في الزمان الحاضر**». ويقصد من موسى حتى اليوم وإلى الدهر! كل من يوجد في إيمان يسوع المسيح!!

واضح هنا أن برَّ الله يرتكز على الإيمان وذلك في العصور السابقة على ظهور الناموس، بينما انشغل الناموس بالأعمال، أو انشغل الذين أرادوا أن يتزكوا ويتبرروا بالأعمال بما في الناموس من أعمال، **ففات عليهم ذخيرة الإيمان الذي له الوعد**: «ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر، **لماذا؟** لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان (كما فعل إبراهيم والآباء الأوائل) بل كأنه بأعمال الناموس.» (رو٩: ٣١و٣٢)

كم أن ق. بولس هنا عظيم وعظيم حقاً! إذ لم يَفُتْ عليه ذكر أصحاب الإيمان الذين أتوا قبل أصحاب الأعمال الذي عاشوا هم أيضاً بالإيمان. ولكنه يأسف على أن حتى هؤلاء (أي أصحاب الإيمان الذين أتوا قبل الناموس) وهم لم ينالوا المواعيد، أنه لم يتحقق لهم وعد الله (أي الوعد بظهور برِّ الله في المسيح)، «هذا هو إمهال الله» ـــ الذي ظنه الشُّرَّاح **أنه إمهال غضب من أجل خطايا!** كيف يصح هذا وهم بحسب صدق الوحي يقول عنهم: **«في الإيمان مات هؤلاء أجمعون»** (عب١١: ١٣)؟ بل يزيد على الإيمان قوله: **«صنعوا براً»** وهذا هو برُّ الإيمان! بل ويصرِّح الله في إبراهيم أن **إيمانه حُسب له براً. إذاً فإمهال الله τῇ ἀνοχῇ هو في احتماله عدم إظهار برّه لهم إزاء إيمانهم الذي حُسب لهم براً. إذ بالرغم من أنه صفح عن خطاياهم إلاّ أنهم «لم ينالوا المواعيد» أي حُرموا من رؤيتهم لبرِّ الله في المسيح بسبب عامل الزمن فقط!** فيقول الكتاب عنهم إنهم رأوها بالروح، بالإيمان، بالنبوة، من بعيد وحيّوها مؤكدين أنهم كانوا يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً.

عجبي على بولس هذا الرائي الذي يكشف الرؤى البعيدة حسناً كيف لم يفلت من وعيه أن يعطي لهؤلاء الآباء والأجداد والأنبياء الأماجد حقَّهم في بر الله بالمسيح، فأعطاهم الحق والاستحقاق بإيمانهم أن يطالهم دم المسيح بأثر رجعي من داخل إيمانهم الحي بالله لينالوا **«صفحاً»** عن خطاياهم.

يلاحظ القارىء هنا ورود كلمة **«الصفح» πάρεσιν لأول مرة فهي تختلف تماماً عن المغفرة ἄφεσιν . فالصفح هو العبور على الخطايا دون النظر إليها، أي تجاوزها،** وهذا لم يحدث قط في تدبير الله إلاّ فيما يخص هؤلاء القديسين الأوائل والأماجد الذين أظهروا قوة إيمانهم وشُهِدَ لهم من الله. فهنا إظهار بر الله بذبيحة كفَّارة دم المسيح، عاد عليهم بالتصديق على «الصفح» الذي نالوه سابقاً حينما أمهلهم الله بطول إمهاله أن لا يعلن لهم برّه هذا حتى لا يخلصوا بدوننا: «إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل (الإيمان بدم المسيح) لكي لا يكملوا بدوننا» (عب١١: ٤٠). وهكذا صحّ لهم الآن أن يستأهلوا للخلاص والمجد ببرِّ الله المُعْلَن في المسيح وبحسب إيمانهم!!!

«ليكون باراً ويبرِّر مَنْ هو من الإيمان بيسوع المسيح»:

هذا هو صليب ربنا يسوع المسيح في مضمونه السري اللاهوتي الفائق العمق والمعنى.

فالله معروف منذ الدهور أنه بار حقاً. هذه هي طبيعته وليس صفته، ولكن هذه الطبيعة لم

تظهر كفاعلة، بل ظهرت منذ البدء كصفة. وهنا كانت خسارة الإنسان التي لا يمكن أن يتصوّرها أحد، فامتناع الله عن أن يمارس برّه عملياً في إنسان حرمنا كل هذه الدهور السالفة من التعرُّف عليه، كونه الله صاحب البر والحب والغفران والأُبوة الحانية التي ما بعدها أبوة. فقد عرفته كل الأجيال السالفة أنه لا يبرىء الخاطىء أبداً: «والآن إن غفرت خطيتهم وإلاّ فامحني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى **مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي.**» (خر٣٢: ٣٣)

وحينما عرَّف الله نفسه من جهة طبيعته العاملة مع الإنسان قال هكذا: «حافظ الإحسانِ إلى ألوف، غافرُ الإثم والمعصية والخطية. **ولكنه لن يبرىء إبراءً**» (خر٣٤: ٧)، أي يغفر الإثم والمعصية، فلا يهلك الإنسان ولكن يستحيل أن يُبَرىء، أي أن الخاطىء في القديم ولو أنه كان لا يموت بفعل خطيته جسدياً ولكن كان لا يتزكى أمامه، وعندما يأتي يوم الدينونة لا يتبرأ! وقالها الرب صراحة: «لأني لا أبرِّر المذنب» (خر٢٣: ٧). ومهما قيل عن البر والبار في العهد القديم فالمعروف أن هذا كله في محيط الإنسان، أما أمام الله «فإنه لن يتبرر قدامك حيٌّ.» (مز١٤٣: ٢)

فالرب وحده هو البار: **«الرب هو البار»** (خر٢٩: ٢٧)، «فاحص القلوب والكلى الله **البار**» (مز٧: ٩)، وأما غير الرب فلا يوجد قط بارٌّ على مستوى الله إلاّ **«عبدي»** لقب المسيح في العهد القديم، **«وعبدي البار»** بمعرفته **«يبرر كثيرين»** (إش٥٣: ١١). وهنا كلمة «البار» لا تفيد صفة بل طبيعة كالله تماماً. لذلك هو قادر أن **يبرِّر**: «لأنهم باعوا **البار** بالفضة» (عا٢: ٦)، وهكذا عُرف في الحال أنه المسيح!

وهكذا قدَّم الله المسيح كفَّارة ليكون الإيمان بدمه فرصة للصفح عن الخطايا وغفرانها من واقع العدل الإلهي. وهكذا تم التمهيد العملي لإظهار برِّ الله الذي كان مخفياً في الدهور السالفة وغير عامل بين الناس، وبذلك أعلن الوحي أنَّ بإظهار بر الله بذبيحة المسيح تمَّ الصفح عن الخطايا السالفة لكل رجال الله الذين حفظوا الإيمان عالياً ونالوا التبرير لأنه شُهِدَ لإيمانهم من الله نفسه، ذلك في **الزمان السالف**، أما في **الزمن الحاضر**، فبذبيحة المسيح تم العدل فتم إظهار واستعلان بر الله عملياً أنه حقاً بارٌّ.

فطبيعة الله استُعلنت وأُظهرت في المسيح يسوع ابن الله، كيف بذله الله من أجلنا حباً للعالم كله وبراً لكل مَنْ يوجد في إيمان المسيح! فكون الله يبذل ابنه من أجلنا رحمة وحباً للعالم كله يعني أن برَّ الله أُظهر علانية بلا مانع. وأن يُسفك دم ابن الله للصفح عن خطايا السابقين أصحاب

الإيمان المشهود له وللغفران لخطايا الزمن الحاضر، فهذا يعني أن طبيعة الله البارة أُظهرت للوجود لتعمل عملها في الإنسان باقتدار، أولاً عدلاً ثم برًّا، ليشمل الماضي والحاضر وكل ما يشمله الزمن إلى نهاية الزمن، لأن الزمن الحاضر عند الله ممسوك بالزمان الآتي ولا يفترق عنه. وهكذا أصبح قصد إظهار برّ الله هو **أولاً** ليكون الله بارًّا في عين الإنسان والعالم (مع أن الله بارٌّ في ذاته)، بعد أن كان برُّه مكنوناً في الأزمنة السالفة، **وثانياً** لكي يبرر كل مَنْ وُجِدَ في إيمان المسيح، أي الإيمان ببر الله الذي أُظهر في ذبيحة المسيح حيث بعد التبريء ينال التبرير. فبعد حصول الإنسان على البراءة الكلية من كل خطاياه، تأهّل لعمل برّ الله لنوال رحمة ونعمة وفيض روحه القدوس.

وقفة قصيرة مع القارىء

إنها رؤية جديدة أُعطيت لنا بهذه الآيات لكي نرى أعمال المسيح في الفداء بتقديم ذاته كفَّارة من أجل خطايانا، إنها في الحقيقة **أعمال برّ الله** أُظهرت في شخص يسوع المسيح. فصحيح أن دم المسيح يُطهِّرنا من كل خطية ولكن على أي أساس؟ إنه على أساس برّ الله، **لأن غفران الخطايا بحد ذاته ليس هو منتهى الخلاص، لأن غفران الخطايا هو بمثابة حكم براءة، ولكن حكم البراءة لا يقدِّمنا إلى الله، إنه يعتقنا من الدينونة بينما نظل نحتاج إلى تزكية إيجابية من الله، نحتاج إلى وثيقة إرضاء لله، نحتاج إلى ما يقرِّبنا من الله ليس قرابة المكان ولا قرابة القُرْبى، نحتاج إلى شهادة أننا نتبعه أو أننا من أهل بيت الله. هذا هو عمل برّ الله الذاتي، أي منح شيء من ذات الله، من برِّ طبيعته، من غنى مجده وسخاء رحمته ونعمة محبته.**

إن كفَّارة المسيح والإيمان بدمه رفعت عنا حكم عدل الله، لقد استوفى المسيح بذبيحته وموته كل عقوبات كانت مفروضة علينا تجاه أحكام عدل الله. فلما رفعها المسيح أصبحنا في مواجهة برّه ورحمته بلا أي عائق. وهكذا أهّلنا المسيح بذبيحته لقبول برّ الله.

برُّ الله انفتح علينا في عطاء المحبة: «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا.» (رو٥: ٥)

برُّ الله انفتح علينا في هبة التبني: «أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله.» (١يو٣: ١)

برُّ الله انفتح علينا بمنحه حلول ابنه في قلوبنا: «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم ... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة

المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف٣: ١٦و١٧و١٩)

بر الله انفتح علينا فأخذنا حق أن ندعو الله أبانا: «بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب.» (رو٨: ١٥)

بر الله انفتح علينا فأعطانا حق الميراث في أمجاده الخاصة مع المسيح ابنه: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو٨: ١٦و١٧)

هذا هو عمل بر الله فينا بَعْدَ ما رفع المسيح الغضب المستحق علينا بسبب خطايانا. هذا هو مضمون الآية: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء». فالفداء إذ رفع الغضب صرنا داخل بر الله مجاناً. فالمسيح فدى؛ والله برَّر؛ المسيح رفع الغضب؛ والله سكب رضى الأبُوة بكل عطاياها. المسيح غفر الخطايا بدمه؛ والآب صالحنا في الحال لنفسه وكشف أعماق طبيعته لأرواحنا. المسيح أكمل الفداء؛ والآب بدأ التبرير. علماً بأن برَّ الله في شموله الكلي يشمل بالضرورة كل عمل الفداء أيضاً.

[٣: ٢٧ـ٣١]

+ توقف العمل بالناموس
+ العمل بالإيمان للتبرير بدون أعمال الناموس
+ الله لليهود والأمم بالإيمان الواحد

٣: ٢٧ **«فأين الافتخارُ؟ قد انتفى. بأيِّ ناموسٍ؟ أبناموسِ الأعمالِ؟ كلاَّ، بل بناموسِ الإيمانِ».**

كنا نحلِّق معاً أيها القارىء في سماء بر الله وبركات التبرير، ولكن يأخذنا ق. بولس مرة أخرى لنواجه معاً عدم جدوى التبرير الذاتي بكل صوره، وأشنع صورة لذلك كانت باستخدام أعمال الناموس التي بها يحاول الإنسان أن يسرق برَّ الله لنفسه فلا هو يتبرر ولا يَدَعْ الله يبرره.

هنا يستخلص ق. بولس من الآية (٢٤) القول: «متبررين مجاناً». وبعد أن أثبت حصولها الفعلي بذبيحة الكفارة التي رفعت كل أحكام التعدي وبالتالي كل أحكام الغضب المستحق، فانفتح علينا بر الله بسخاء وبدون مقابل لأن المقابل كله دفعه المسيح، يسأل هنا: أين موضع

الافتخار للإنسان هنا؟ والمسيح حمل خطايانا كلها فبرَّرنا الله وزكَّانا بسبب المسيح، ويعود يسأل أين الناموس هنا وأعماله؟ هل بناموس الأعمال صُلب المسيح ومات ثم قام؟ أم بناموس الأعمال أعطانا الله برَّه الخاص وزكَّانا من فضل غناه؟ ويرد ق. بولس بل بناموس الإيمان، نعم فبالإيمان بدم المسيح والكفارة التي قُدِّمت ننال الغفران، و بالإيمان بأبوة الله ننال برَّه. فالإيمان بالمسيح يعطينا ما في يد المسيح، والإيمان بالله يعطينا ما لله. ولكن المفتخر بأعماله كيف يؤمن بأعمال الله؟ والذي يسعى لتحقيق برِّ نفسه كيف يؤمن ببر الله؟ أو حتى يثق في الله.

٣: ٢٨و٢٩ «إذاً نحسِبُ أن الإنسانَ يتبرَّرُ بالإيمانِ بدونِ أعمالِ الناموسِ. أم الله لليهودِ فقط؟ أليس للأممِ أيضاً؟ بَلَى للأممِ أيضاً».

هنا ينتهي ق. بولس إلى حقيقة ذات رنين عالٍ، لأن الأعمال التي يذكرها ق. بولس هنا للناموس ليست أعمالاً خاطئة؛ بل يفترض أنها أعمال بمقتضى الوصية الصالحة والمقدسة والمرضية والروحية، ولكنه يقول إنه حتى هذه الأعمال لا تبرر الإنسان أمام الله، فالذي يبرر هو الله من برِّه الخاص والوحيد. والذي يمكنه أن يحصل هكذا على بر الله الخاص، هو الذي يؤمن: يؤمن بالمسيح وما عمله المسيح وما عمله الله بالمسيح. هنا ق. بولس يكلِّم اليهودي الذي آمن بالمسيح، فيقول له إنك بالإيمان تبررت بدون أعمال الناموس.

ومن هنا يخلص ق. بولس إلى حقيقة واضحة أن اليهودي الذي تبرر بالإيمان بالمسيح بدون أعمال الناموس يعطي النور الأخضر للأممي وهو بدون ناموس أصلاً لكي يتبرر بالإيمان بالمسيح، وإلاَّ، هنا يسأل ق. بولس سؤالاً استنكارياً لليهودي المؤمن بالمسيح ويقول له، أم يظل الله لليهود فقط حتى بعد أن آمنوا بالمسيح؟ وذلك بحسب التعصب اليهودي العنصري لله. ويرد ق. بولس على اليهودي بل على نفسه: بلى، أي نعم ــ إزاء السؤال المنفي ــ هو للأمم أيضاً.

٣: ٣٠ «لأن الله واحدٌ هو الذي سيبرِّرُ الختانَ بالإيمانِ والغرلةَ بالإيمانِ».

تكملة للآية السابقة أن الله للأمم كما هو لليهود، بمعنى أنه واحد لهؤلاء وهؤلاء، لا تمييز بينهما، فإن كان قد أظهر برَّه فهو قد أظهره للجميع لكل مَنْ يؤمن، فإن آمن اليهودي فهو سيبرره وإن آمن الأممي فهو سيبرره بالمثل. والقصد من هذه الآية هو جعل الإيمان هو المعيار الوحيد الذي يبرر الإنسان أيًّا كان.

وهكذا بدخول الأمم في الإيمان بالله جُعل الله ليس لليهود فقط بل وللأمم على قدم المساوة. ومن ذلك يتحقق أن الله واحد فعلاً للجميع وهو ليس بعد إله إسرائيل بنوع التخصص.

٣: ٣١ «أفنبطلُ الناموسَ بالإيمانِ؟ حاشا. بل نثبّتُ الناموسَ».

في الحقيقة العكس هو الصحيح وهو مفتاح لشرح هذه الآية، فإن عدم الإيمان بالمسيح، وبالتالي عدم الإيمان ببر الله ــ الذي أُظهر بذبيحة المسيح ــ هو الذي يبطل الناموس، وهذا هو الذي حدث لليهود الرافضين!! لأن الناموس «شهد» للمسيح، لأن المسيح جاء **«مشهوداً له من الناموس والأنبياء»**. فالإيمان بالمسيح يثبت أن الناموس حق وأنه شهد للحق. وإن كان «الناموس مؤدبنا **إلى المسيح**» (غل٣: ٢٤)، فإن آمنا بالمسيح أثبتنا أن الناموس مؤدب حقيقي، وإن كان **«غاية الناموس هو المسيح»** (رو١٠: ٤)، وآمنَّا بالمسيح، أصبح الناموس صادقاً في دعوته. ولكن إن رفضنا المسيح، أبطلنا بالفعل الناموس كوننا أبطلنا شهادته وأبطلنا عمله التأديبي وأبطلنا صدق دعوته!! إذاً و بالتالي يكون إيماننا بالمسيح يثبِّت الناموس، وكل مَنْ يقول إن الإيمان بالمسيح يعطل الناموس يكون غير عادل بالنسبة للإيمان بالمسيح و بالنسبة للناموس أيضاً.

ولكن الخطأ الفادح بل والخطر أن نطلب بعد الإيمان بالمسيح **«أعمال»** الناموس، لأن ذلك يبطل الإيمان بالمسيح ويوقف عمل بر الله: «قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة.» (غل٥: ٤)

و بهذه البلاغة في الحوار المصطنع الذي عمله ق. بولس مع نفسه، ينتهي إلى حقيقة غاية في الإيجابية، فالناموس إذا استُخدم لبرِّ الإنسان في ذاته فهو وَبَالٌ على الإنسان، وإذا فُحص في نور استعلان المسيح وجدناه شاهداً أميناً له ومعلماً ومؤدباً يسلمنا من يد موسى ليد المسيح، وليس ليُبطل، فالحق الذي فيه يظل يعلن ويشهد للمسيح، أي أن الإيمان بالمسيح يرتد على الناموس يثبِّته ويكرِّمه ويستخدم الحق الذي فيه الذي يشهد له.

هنا يشهد ق. بولس للعهد القديم أنه حق وصدق وقائم كشاهد للمسيح وأن البر الذي بالإيمان بيسوع المسيح أي العهد الجديد يثبِّت العهد القديم.

الأصحاح الرابع

البر بالإيمان في العهدين

البر مشهودٌ له من إبراهيم

١ — رو ٤:١—٨ : إبراهيم تبرر بالإيمان وليس بالأعمال.

٢ — رو ٤:٩—١٢ : إبراهيم تبرر قبل الختان.

٣ — رو ٤:١٣—٢٥ : على مثال إبراهيم يكون الوعد هو: البر بالإيمان، لا بناموس ولا بأعمال ولا بختان.

مقدمة

إن همَّ القديس بولس في هذا الأصحاح هو أن يبرهن من الأسفار (الناموس) على صحة العقيدة التي قدمها في الأصحاحات السالفة، وهي التي تقوم بالدرجة الأُولى على تعارض الأعمال في الناموس مع الإيمان بالمسيح بصورتها العامة، والتي استغرق في تدعيمها في الأصحاح الثالث في الآيات ٢٠و٢٢ و٢٥و٢٦و٢٧ و٢٨و٣٠. وفي هذا الأمر يلتجىء إلى وضع إبراهيم ــ وهو أبو الآباء والرمز الأعلى لليهود في أعماله وإيمانه ــ أمام الله وكيف أنه ليس بالأعمال بل بالإيمان تزكى وتبرر.

وبنظرة متسعة يرى ق. بولس أن الإيمان بالرب يسوع المسيح الذي صار هو القوة لنوال برّ الله لم يأتِ طفرة، وأن المسيح لم يكن البداية في معرفة «الإيمان» بل هو نهاية وختام استعلانات الإيمان في العهد القديم كما في سجلات الإيمان في العهد القديم والتي شملت حتى آخر الأنبياء، والتي جاء أول نموذج لها في إيمان هابيل المسمَّى الصدِّيق أو **«البار»**.

«**بالإيمان** قدَّم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين، فبه شُهد له أنه بار إذ شهد الله لقرابينه، وبه وإن مات يتكلم بعد» (عب١١: ٤، راجع تك٤: ٢٠). أمّا لماذا ذبيحة هابيل أفضل، فلأنها من «أبكار ومن أسمن غنمه». فعلامة المحبة واضحة، **والمحبة مع الذبيحة تشكل صورة للبرّ**، لأنها علاقة على مستوى البذل والحب مع الله. لذلك «شُهد له أنه بار»، **ولكن برَّه كان على أساس الإيمان القائم على الحب والبذل وليس مجرد عمل!**

وشهادة الله لهابيل وإنْ لم ترد وقتها في سفر التكوين، إلا أنها جاءت متأخرة على فم المسيح نفسه في (مت٢٣: ٣٥): «لكي يأتي عليكم كل **دم زكيٍّ** (صحة ترجمتها دم بارٍّ αἷμα δίκαιον) سُفِك على الأرض من دم هابيل الصديق δικαίου إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح». وكذلك في (١يو٣: ١٢): «وذبح أخاه ولماذا ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة δίκαια». ولكي يؤكد الكتاب المقدس أن دم هابيل

حُسب ذبيحة حقيقية، ذُكر أنه يتكلم أمام الله: «صوت دم أخيك **صارخٌ إليَّ من الأرض**» (تك٤: ١٠). ومن هنا جاء في آية سفر العبرانيين: «إن مات يتكلم بعد»، بمعنى أن هابيل لم يمت بل ظل حيًّا بعد الموت، أما الذي مات بالفعل فهو قايين. ولذلك حُسب هابيل أول شهيد بار ودمه دم شهيد يتكلم أمام الله (رؤ٦: ٩). وهكذا فإن إيمان هابيل الذي به قدَّم ذبيحته بالإيمان والحب هو الذي تبرر أمام الله، وهابيل بهذا الإيمان الذي تبرر لا يزال يتكلم أمام الله كأقوى تعبير عن مفهوم البر بالإيمان.

ثم تتواتر نماذج الإيمان المبرِّر من هابيل نزولاً حتى إبراهيم الذي بإيمانه أيضاً نال برّ الله، وهو النموذج الأقوى والأشد صلة ببر الله الذي أُعلن في يسوع المسيح. **لأن إيمان إبراهيم الذي حُسِبَ له برًّا نال به الوعد الأعظم بمجيء الابن (النسل) الذي تتبارك به كل أمم الأرض أي المسيح**، وإن كان اليهود قد أضاعوا على أنفسهم صورة إبراهيم كنموذج لأعلى إيمان ظهر على الأرض والذي حُسب به أبا الإيمان، وذلك حينما جعلوه الأب الجسدي أو الطبيعي صاحب ختانة الجسد لهم. فاليهودي حينما يقول ويفتخر أنه ابن لإبراهيم فإنه يحصر نسبه لإبراهيم في الجسد وبالتالي في الميراث الأرضي، في حين أن **أُبوَّة إبراهيم بحسب وعد الله هي لكل الأمم**. «لأني أجعلك **أباً لجمهور من الأمم**. وأُثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً، وملوكٌ منك يخرجون» (تك١٧: ٥و٦)؛ **علماً بأن ذلك الوعد أخذه إبراهيم قبل عهد الاختتان في اللحم!!** «وأُقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك (= عهد الإيمان وليس الختان)» (تك١٧: ٧). إذاً، فوعد الله لإبراهيم ونسله قائم على الإيمان بالله وليس على الختان أو الناموس. والختانة ليست بالتالي في الجسد بل في الإيمان الذي اشتهر به إبراهيم ونال به المواعيد.

والاستشهاد بإبراهيم وإيمان إبراهيم والبر الذي ناله بالإيمان يُعتبَر الحَكَم الفَصْل والشاهد الوحيد والأعظم لكل لاهوت ق. بولس والأساس الذي يُبنَى عليه صدقُ دعواه بالإيمان بالمسيح لنوال برّ الله!! إبراهيم تبرر بالإيمان وليس بأعمال الناموس لأن الناموس جاء من بعده بأربعمائة سنة، فبالإيمان وحده نال إبراهيم التبرير من الله، ومن خلال هذا الإيمان نال الوعد (بالنسل) بالابن الذي يأتي وتتبارك به كل أمم الأرض، الذي هو المسيح الذي يكرز به ق. بولس بدون الناموس!

ونحن لو تصوَّرنا اختزال الزمن لأمكننا أن ندرك قوة هذه الحقيقة القائمة على الإيمان بدون أعمال الناموس. فلو تصوَّرنا أن المسيح جاء بدل موسى، لأدركنا أن إيمان إبراهيم أوصلنا إلى

الإيمان بالمسيح مباشرة. وهنا يأتي السؤال الذي يسأله ق. بولس لنفسه: «فلماذا الناموس (إذاً)؟» (غل٣: ١٩). فالناموس جاء زيادة كحالة متوسطة بين إيمان إبراهيم وإيمان المسيح، والسبب يقوله ق. بولس أنه: «**زيد بسبب التعدِّيات**» (غل٣: ١٩)، أي أن الخطية كثرت فكان لابد من حصرها والتعامل معها بالتهذيب والتأديب حتى يأتي الجيل الذي يدرك فيه قيمة إيمان إبراهيم وسلوكه البار حتى يتأهل لبر الله المعلَن في المسيح يسوع.

وكان الأصل في الناموس أن يتعامل الشعب اليهودي مع وصاياه على مستوى إيمان إبراهيم بالله، ولكنهم طرحوا الإيمان بالله وبدأوا يتبارون بأعمال الناموس لينالوا بها الكرامة والمجد والبر الذاتي، فضاع منهم فضل الناموس، وتحوَّلت وصاياه لهم إلى دينونة لأنهم حوَّلوها لحساب مجدهم الذاتي:

«ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك **ناموس البر** (بالله) **لماذا؟** لأنه فعل ذلك **ليس بالإيمان** (على مستوى إيمان إبراهيم أبيهم) بل كأنه بأعمال الناموس» (رو٩: ٣١و٣٢). ويزيد ق. بولس في هذه الآية بما يفيد أن الناموس كان أصلاً موضوعاً لكي إذا استخدمه اليهود بالإيمان، أي بالعلاقة الصحيحة مع الله، فإنه سينتهي بهم حتماً إلى الاستنارة الروحية وإلى إعداد الفكر والقلب والضمير إلى قبول المسيح عندما يأتي: «لأن غاية الناموس هي المسيح» (رو١٠: ٤)، أي قصد المسيح الأساسي الذي لابد أن ينتهي إليه وينتهي عنده. ولكن ق. بولس يقول إنه بدل أن يقبلوا المسيح لما جاء، رفضوه وقاوموه وقتلوه، وهذا بيِّنة على أنهم استخدموا الناموس لحسابهم وليس لحساب الله والمسيح. فيقول: «فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة (المسيح)، كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة (للذين أساءوا استخدام الناموس وبرروا ذواتهم بأعماله بدل أن يبرروا الله) وكل مَنْ يؤمن به (الصخرة أي المسيح) لا يُخْزَى.» (رو٩: ٣٢و٣٣)

ثم في شأن إيمان إبراهيم يقول ق. بولس إن إبراهيم كانت أعماله صالحة ولكن الله لم يحسبها له برًّا، فطاعته لله وخروجه من أور الكلدانيين وهو لا يعلم إلى أين يذهب، ثم بناؤه مذبحاً للرب وتقديمه ذبائح ودعاؤه باسم الله الحي، وتغرُّبه في الأرض طولاً وعرضاً إطاعة لصوت الله دون أن يفكر قط في الرجوع لأهله وعشيرته ووطنه الأول، هذا بالإضافة لطاعة وصية الله له: «سر أمامي وكن كاملاً» (تك١٧: ١)، إشارة إلى سلوك إبراهيم بمخافة الله والتقوى، كل هذه لم يحسبها له الله أنها برٌ. ولكن لما آمن إبراهيم بوعد الله أن يكون له ولد وهو في سن المائة سنة وسارة في سن التسعين، حُسب إيمانه له برًّا. لماذا؟ لأن الوعد مستحيل تحقيقه حسب القياس العقلي، فهو من

جهة الإنجاب فَقَدَ القدرة ومن جهة سارة فقدت عادة النساء بمعنى استحالة الخلفة، ولكن على خلاف الرجاء آمن إبراهيم على الرجاء، فلم يكن ضعيفاً في الإيمان بل تقوَّى مُعطياً بهذا الإيمان مجداً لله. لقد أحس إبراهيم بالحياة تدبُّ في كيانه، فإيمانه أحياه من بعد موات!

لما آمن إبراهيم بوعد الله بالنسل زاد الله له الوعد، فبدل أن يكون له إسحق ابناً للوعد وحسب، امتد الله بإسحق ابن الوعد ليكون من نسل إبراهيم من بعد إسحق ولدٌ آخر — المسيح — يأتي ويكون بركة لجميع أمم الأرض. فإيمان إبراهيم هو الذي أثمر في آخر الدهور بمجيء ابن الوعد الأعظم يسوع المسيح.

بهذا يبرهن ق. بولس أنه لا يستحدث موضوع البر بالإيمان في شخص يسوع المسيح، فهو قائم فعلاً شرعياً ومسجَّلٌ تسجيلاً دقيقاً في العهد القديم. وبهذا يكون العهد الجديد بالإيمان ببر الله الذي أُظهر في شخص يسوع المسيح بالفداء **تحقيقاً** لوعد الله لإبراهيم **وامتداداً** للإيمان الذي حُسِبَ لإبراهيم برًّا **وتكميلاً** لمواعيد الله الصادقة والأمينة في العهد القديم.

بهذا نرى أن ق. بولس كان يقصد ما يقول تماماً: «وأما الآن فقد ظهر برُّ الله بدون الناموس **مشهوداً له من الناموس والأنبياء** برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢١و٢٢)

[٤: ١—٨] إبراهيم تبرَّر بالإيمان وليس بالأعمال

٤: ١ «فماذا نقولُ إنَّ أبانا إبراهيمَ قد وَجَدَ حَسَبَ الجسدِ».

هنا ق. بولس يتكلم بفم يهودي معارض: أنت تقول أن الإنسان يتبرر بالإيمان فقط لذلك فليس لأحد فخر في ذلك أمام الله. فما رأيك أن إبراهيم له من أعماله ما يجعله يفتخر حسب الجسد؟

هنا **يرد** ق. بولس تكملة للآية الأُولى قائلاً:

٤: ٢ «لأنه إن كان إبراهيمُ قد تبرَّرَ بالأعمالِ فله فخرٌ. ولكن ليس لدى الله».

وهذه حقيقة مُسلَّم بها أن ليس للإنسان أن يفتخر بأعماله أو بما للجسد إطلاقاً أمام الله. فإن افتخر بأعماله فله أن يفتخر لنفسه وبين الناس حيث لا أجر ولا تبرير. ولكن إبراهيم حسب

الكتاب لم يُحسَب له البر على أعماله بل على إيمانه، فقد انتفى الفخر وانتفت الأعمال في محيط تبرير الله.

٤: ٣ **«لأنه ماذا يقولُ الكتابُ فآمنَ إبراهيمُ باللهِ فحُسِبَ له برًّا».**

هنا ق. بولس يأخذ هذه الآية من النسخة العبرية وليست السبعينية (تك ١٥: ٦)، ولكنه استعار من السبعينية صيغة المبني للمجهول في «حُسِبَ له»، لأن العبرية تقول: «حسبها له».

هنا ق. بولس ينفي ما يعتقده اليهود من جهة الإيمان بالله أنه يُحسَب عملاً والذي أخذه المسيحيون أيضاً — عن خطأ — (١مكابيين ٢: ٥٠—٦٠)؛ ولكن الإيمان عند ق. بولس هو «بالخبر» وليس عملاً ولا هو فضيلة، ولا هو اختبار بل **إن الطاعة للبشارة بالخبر أو بالكلمة هي التي تُدخل الإنسان في الوعد بالخلاص.**
هكذا كان إيمان إبراهيم، وهكذا ينبغي أن يكون إيماننا المسيحي.

«حُسِبَ له»: ἐλογίσθη

تعني باليونانية كما بالعبرية «أُضيف لحسابه» كرصيد. بهذا المعنى يكون الكتاب **قد اعتبر أن الإيمان هو الرصيد المحفوظ للإنسان عند الله، الذي بمقتضاه يدخل الإنسان في حيز الوعد، غير محسوبة له خطاياه كما قالها ق. بولس سابقاً:** «لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة.» (رو٣: ٢٥)

٤: ٤و٥ **«أما الذي يعملُ فلا تُحسبُ له الأجرةُ على سبيل نعمةٍ بل على سبيل دَيْنٍ؛ وأما الذي لا يعملُ ولكن يؤمنُ بالذي يبرِّرُ الفاجرَ فإيمانُه يُحسَبُ له برًّا».**

لكي نوضح هذا المبدأ الذي أدخله ق. بولس في اللاهوت وهو من صميم عمل التجارة نقول:
إن إنساناً كان يخدم الفقراء باجتهاد من ماله، فكان الله يحسب له الأجرة أولاً بأول بأن وعد أن يعطيه مائة ضعف في هذا الدهر مع ضيقات والوعد بالحياة الأبدية. ولكن حدث أن هذا الإنسان استثقل هذا العمل واستخسر أمواله أن تضيع هباءً حسب ظنه، فبعد قليل امتنع. فماذا تكون النتيجة إلاّ أن يوقف الله مدخراته المودعة لحسابه؟ فلا مائة ضعف ولا حياة أبدية. فما رأي القارىء في تسمية هذه الصفقة؟ إنها القيام بعمل على سبيل الأجرة. فلما توقف العمل توقفت الأجرة.

والآية الأخرى إنسان عابد وثن اضطرمت في أحشائه محبة الله وتوقيره فآمن بالله وباع نفسه كلية لله فتعبَّد له بإخلاص وأنكر ذاته تحت مشيئة الله وسار بالكمال أمامه، فماذا يعطيه الله؟ وعلى أي حساب يحسب له إيمانه؟ هل على سبيل أجرة؟ كلاّ. هل على سبيل تعويض في هذا الدهر؟ كلاّ؛ وإن حدث يكون أقل جداً مما يستحق، بل إنه يحسب له إيمانه برًّا، أي يُزكّيه الله ويقرِّبه إليه ويسبغ عليه رحمته فلا يذكر له خطاياه السالفة، فلا يعود يحتاج شيئاً البتة. هذا إيمان إبراهيم الذي كان مع عائلته في أور الكلدانيين عابدَ وثنٍ، ثم دعاه الله فأطاع، الذي صار نموذجاً صحيحاً للإيمان.

ولكي نوضح الآية الثانية (٤: ٥) أكثر نعطي الآية الآتية من ق. بولس لأهل كورنثوس، وفيها يذكر كيف كانوا أهل فُجرٍ وإثمٍ وتعدٍّ ثم آمنوا بالمسيح فحُسِبَ إيمانهم برًّا ونالوا المواعيد!!

+ «لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. **وهكذا كان أناس منكم**، لكن (إذ آمنتم) اغتسلتم بل تقدستم بل **تبررتم** باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦: ٩—١١)

بل نقرِّب فهم هذه الآية أكثر إذا أخذنا بأن الفاجر هو أنا، ولكني ندمت، وإذ ليس لي قدرة على أي عمل يُرضي الله آمنتُ من كل قلبي بأنه قادر أن يبرِّرني. هنا، وبحسب وعد الله والإنجيل وخبرات الكنيسة على مدى ألفي سنة، فإن الله يحسب إيماني برًّا. فانظر أيها القارىء مع **ق. بولس** كيف أن الإيمان يعلو فوق الأعمال وينال حظوة لدى الله وتُحسب له الأجرة نعمة ونعمة دائمة وإلى الأبد. في حين أن الأعمال تُحسب أجرتها على قدر قيمتها وتُحسب أولاً بأول، فإذا توقفت توقف الأجر، وإذا صارت رديئة كان الأجر أردأ.
هذا هو تحليل ق. بولس لبرِّ الإيمان في مقابل أعمال الناموس.

وهذا الأمر لا يدخل في السجال المعروف بين العقائد: هل الخلاص بالإيمان أم بالأعمال؟ فهذا لا وجود له عند ق. بولس ولا عند غير ق. بولس ولا في الإنجيل جملة. فالخلاص بالإيمان والأعمال معاً. فلا خلاص بدون إيمان ولا إيمان بدون أعمال. والدينونة العتيدة لا بد أن ندخل فيها بأعمالنا، ولكن بدون إيمان لا يتزكى عمل ما ولا إنسان ما.

٤: ٦-٨ **«كما يقولُ داودُ أيضاً في تطويبِ الإنسانِ الذي يَحْسِبُ له الله براً بدونِ أعمالٍ. طوبى للذين غُفِرَت آثامُهم وسُتِرَت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يَحْسِبُ له الربُّ خطيةً».**

هنا ق. بولس يعطي من قول داود ما يشرح عمل تبرير الله للإنسان بدون أعمال أو بالحري بدون محاسبته على أعماله الخاطئة. فالتبرير جاء عند داود **«غُفرت آثامهم»**، **«سُترت خطاياهم»**، بتعبير: «لم يحسب له الرب خطية».

فهنا حالة أخرى لنوال بر الله غير حالة إبراهيم، وكل منهما حصل على بر الله بدون أعمال. أما إبراهيم فواضح أن بالإيمان بالله حُسب له إيمانه براً. أما داود وهو طبعاً يقصد نفسه — ويقصد ضمناً خطيته الشنيعة زناً وقتلاً واغتصاباً معاً — فالبر الذي ناله داود هو على أساس أن الله لم يحسب له خطيته وغفرها له، دون أن يذكر أعمالاً جيدة أو صالحة.

وق. بولس يقصد من مَثَل داود أمرين:
الأول: أن بر الله يشمل الخاطىء بدون أعمال،
الثاني: أن بر الله يشمل غفران الخطية.

أما الذي ربط بين المثلين في عرف ق. بولس فهو كلمة **«حُسب له»**. فإبراهيم «حَسِبَ له الله إيمانه براً»، وداود **«لم يحسب له الله خطية»**. ولم يهتم ق. بولس أن يذكر في حالة داود حتى الإيمان — وهو قائم حتماً — ولكن أخذ ق. بولس بقول داود معتبراً قول المزمور: **«طوبى»** للرجل الذي لم يحسب له الرب خطية، أن هذه الطوبى هي حالة برٍّ لأن ترجمة «الطوبى» = سعادة، والطوبى لا تُحتَسَب للإنسان هنا على الأرض فقط ولكن بالأكثر جداً عند الله. فسعيد هو الإنسان عند الله إن كان الله لا يحسب له خطية. فهنا يكون انتفاء الأعمال في حالة داود كسبب لنوال البر أو السعادة شديد الوضوح جداً، إذ توجد بدلاً منها أعمال فاجرة تستوجب الموت بلا رحمة. فبرُّ الله في حالة داود شديد الوضوح أنه من طرف الله فقط، وشناعة خطية الطرف الآخر (الإنسان) لم تستطع أن توقف عمله. **لذلك اعتُبِرَت مراحم الله على داود مثلاً أعلى يدلُّ على مراحم الله على بني الإنسان: «مراحم داود الصادقة»**. ولا يخفى على القارىء أن داود كان رمزاً للمسيح وهو بآنٍ واحد إنسان تلفُّه الخطية من كل جانب. لذلك ففي داود تقابلت الخطية بأشنع صورها مع البر فغلب البرُّ لحساب مراحم الله على بني الإنسان. لذلك كم تغنَّى داود بمراحم الله!!

[٤: ٩-١٢] إبراهيم تبرَّر قبل الختان

هل إعلان الله لإبراهيم أن إيمانه يُحسب له براً ينطبق على الأمم؟ وهل عدم حسبان الله للإنسان خطية وغفران آثامه في مزمور داود ينطبق على الأمم؟
وبمعنى آخر هل هذا يخصني أنا الأممي؟
نعم يخصنا في الصميم وهذا هو شغل ق. بولس الشاغل بل مهمة المسيح الكبرى، فانتبه أيها القارىء:

٤: ٩-١٢ **«أفهذا التطويبُ هو على الختانِ فقط أم على الغرلةِ أيضاً؟**
لأننا نقولُ إنه حُسِبَ لإبراهيمَ الإيمانُ براً. فكيف حُسِبَ؟ أوهو في الختانِ أم في الغرلةِ؟
ليس في الختانِ بل في الغرلةِ. وأخذَ علامةَ الختانِ خَتْماً لبرِّ الإيمانِ الذي كان في الغرلةِ،
ليكونَ أباً لجميعِ الذينَ يؤمنون وهم في الغرلةِ كي يُحْسَبَ هم أيضاً البرُّ. وأباً للختانِ للذينَ ليسوا من الختانِ فقط بل أيضاً يَسلُكون في خُطُوات إيمانِ أبينا إبراهيمَ الذي كانَ وهو في الغرلةِ».

يطرح ق. بولس العلاقة بين الإيمان الذي حُسِبَ لإبراهيم براً وبين طقس الختان. لأنه بالنسبة للرجل اليهودي، تُعتَبر الختانة أهم مؤهلاته كابن لإبراهيم وعلامة عهد الله مع إبراهيم، فغير المختون لا نصيب له في العهد بل ولا يُحسَب من عداد الشعب المختار.
وهكذا يدَّعي اليهود أن بعلامة الختان ورثوا بر الإيمان الذي لإبراهيم باعتبارهم أبناء الجسد المختونين للعهد!
ق. بولس يرد على ذلك بالسؤال:
هل نال إبراهيم برَّ الإيمان قبل أن يختتن أم وهو مختتن؟ الجواب واحد معروف: فإبراهيم نال بر الإيمان من الله قبل أن يختتن بمدة طويلة والبرهان كالآتي:
إن عهد الختان والأمر بالختان في الأصحاح (١٧) من العدد (١٠-١٤) صار حين كان إسماعيل ابن هاجر قد بلغ الثالثة عشرة من عمره. **أما يوم الإيمان العظيم الذي حُسِبَ له فيه براً:**

+ «فإذا كلام الرب إليه قائلاً لا يَرِثُك هذا (ألعازر الدمشقي خادم بيت أبرآم) بل الذي يخرج من أحشائك هو يَرِثُك. ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تَعُدَّها وقال له هكذا يكون نسلك **فآمن إبراهيم بالرب فحسبه له براً** ...

وأما ساراي امرأة إبراهيم فلم تلد له. وكانت له جارية مصرية اسمها هاجر... فدخل على هاجر... فقال لها ملاك الرب ها أنت حُبلى فتلدين ابناً **وتدعين اسمه إسماعيل** لأن الرب قد سمع لمذلتك.» (تك١٥: ٤و٥؛ ١٦: ١و٤و١١)

يوم الاختتان:

+ «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُخْتَنُ منكم كل ذكرٍ. فتُخْتَنون في لحم غُرْلتكم. فيكون علامةَ عهدٍ بيني وبينكم.» (تك١٧: ١٠و١١)

+ «**في ذلك اليوم عينه خُتِنَ إبراهيم وإسماعيل ابنه**، وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين خُتِنَ في لحم غرلته **وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة** حين خُتن في لحم غرلته.» (تك١٧: ٢٦و٢٤و٢٥)

واضح من هذا العرض المؤيَّد بالآيات أن **إبراهيم نال بر الإيمان قبل أن يختتن ليس بأقل من أربع عشرة سنة!!** أما الختانة بحد ذاتها فصارت علامة أو ختماً ظاهراً في اللحم **لبر الإيمان الذي ناله سابقاً.**

وهنا واضح غاية الوضوح أن الله أكرم إبراهيم وأعزَّه ليس من أجل الختانة بل من أجل إيمانه العظيم الذي لم يكن قبله ولا بعده إيمانٌ مثله. لأنه من أجل هذا الإيمان الذي نال لسببه نعمة في عيني الله وتكريماً لشخص إبراهيم أن أحبَّ الله إبراهيم جداً كما يقول ق. يعقوب الجليل في الرسل: «فآمن إبراهيم بالله فحُسب له براً ودعي خليل (صديق) الله φίλος θεοῦ.» (يع٢: ٢٣)

ودُعِيَ أيضاً على لسان إشعياء النبي إبراهيم حبيبي: «وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم حبيبي ὃν ἠγάπησα.» (إش٤١: ٨ - حسب السبعينية)

إذاً، فليس الختان، بل الإيمان، هو الذي وهب إبراهيم برَّ الله، ويقول ق. بولس هنا أنه قد انفتح الباب للأمم، لأن ليس وهو في الختان بل وهو في الغرلة تأهَّل إبراهيم لبر الله بالإيمان ومن واقع حياة إبراهيم أمام الله، المحسوب في ذلك الوقت أنه لا يزال من الأمم قبل علامة الختان.

إذاً، فإبراهيم بالتالي هو أب كل من يؤمن - وهو في الغرلة - بكلمة الله ووعده كما إبراهيم، أي أب كل الذين في الغرلة وآمنوا كما آمن إبراهيم وهو في الغرلة. تماماً كما أنه أبٌ للذين في الختان وكانوا على مستواه في الإيمان بالله، لا كأن الختان يؤهلهم لأبوة إبراهيم أبي الإيمان بل إيمانهم.

وبالتالي كما الختان كذلك الناموس، فإبراهيم نال بر الله ونال كل المواعيد ولم يكن ناموس بعد!! لأن الناموس أُعطي ليد موسى بعد وعد الله لإبراهيم بمدة ٤٣٠ سنة!! لذلك لا يستطيع الناموس أن يؤكد برَّ الله لإبراهيم أو الوعد بالنسبة للأمم التي ستتبارك في نسله، كما لا يستطيع الناموس أن ينسخ عهد الله هذا: «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله، لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد (نسل أي ابن) وفي نسلك sperma الذي هو المسيح. وإنما أقول هذا أن الناموس الذي صار (بعد وعد إبراهيم) بعد أربعمئة وثلاثين سنة لا ينسخ (يلغي) عهداً قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد.» (غل٣: ١٦و١٧)

وهنا منطق ق. بولس السليم أن الناموس لو أنه بعد هذه المدة حاول أن يُخْضِعَ وعد الله لإبراهيم لشروطه وطاعة أعماله ووصاياه لكان الوعد قد أُلغي. لماذا؟ لأن الوعد لم يوضع له شروط إلاَّ الإيمان ولم يذكر عن هذا الناموس شيئاً.

[٤: ١٣ـ٢٥] على مثال إبراهيم يكون الوعد هو البر بالإيمان لا بناموس ولا بأعمال ولا بختان

٤: ١٣و١٤ «فإنه ليسَ بالناموسِ كان الوعدُ لإبراهيمَ أو لنسلِهِ أن يكون وارثاً للعالم بل ببرِّ الإيمانِ. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثةً فقد تعطَّلَ الإيمانُ وبَطَلَ الوَعْدُ».

تعطّل الإيمان: بسبب دخول عنصر جديد يتحكم في الوعد لم يكن منصوصاً عليه، في حين أن الوعد لم يرافقه أي شرط، إلاّ الإيمان فقط.

وبطل الوعد: لأن شرط الناموس الجديد يستلزم دخول تكميل أعمال الناموس، وأعمال الناموس لم يستطع أن يكمّلها أحد، فبالتالي لن يستطيع أن يبلغ الوعد أي أحد، وهكذا يكون قد أبطل الوعد.

هذا منطق ق. بولس الواضح وحجته القوية بالنسبة لوعد الله الذي كان لإبراهيم بالإيمان ولنسله وليس بالناموس، وقد تمَّ وتحقق وأُظهر برُّ الله علناً بمجيء يسوع المسيح (نسل إبراهيم الموعود به الذي تتبارك به الأمم، وقد تباركت!!

فالناموس جاء وليس معه وعد ولا هو قادر أن يحقق مواعيد، بل بالكاد حكم أن الذي يعمل بالناموس يحيا بأعماله والذي لا يعمل تحلُّ عليه اللعنة، لعنة الناموس. فأين بركة إبراهيم؟ وأين إيمان إبراهيم الذي يُنَالُ به بر الله والمواعيد؟

٤: ١٥ «لأن الناموسَ ينشىءُ غضباً، إذْ حيثُ ليسَ ناموسٌ ليسَ أيضاً تعدٍّ».

الناموس ليس في جعبته جوائز يهبها للذين ينجحون في تأدية وصاياه؛ بل عقوبات فقط للذين يخالفون. فصورة الناموس العامة هي الشروط والعقوبات(١).

(١) مثل ذلك أن نقول إن من يحفظ قانون الجنايات والجنح جيداً ولا يتعدى على أي قانون منها يدخل ملكوت الله. هل هذا ممكن؟ أو حتى معقول؟ هكذا الحال بالنسبة للناموس، فترجمة كلمة «**الناموس**» هي «**القانون**». ولكن الحقيقة هي أن من يعمل بقوانين العقوبات ولا يتعدى على أيٍّ منها يحيا في العالم بدون عقاب فقط!! لذلك قال الرب عن وصايا وأحكام الناموس: «فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها. أنا الرب.» (لا١٨: ٥)

فالعلاقة التي تربط الذين تحت الناموس بالله هي علاقة خوف ونقمة وغضب بسبب التعدّي. ولا مفر من ذلك، لأن الناموس غير قادر أن يهب بر الله إلاّ بالإيمان، والناموس قائم على الأعمال. فالذي يسلك بحسب ناموس الأعمال **بدون الإيمان** لن يصل إلى استرضاء الله: «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه.» (عب ١١: ٦)

٤: ١٦ «لهذا هو من الإيمانِ كي يكون على سبيلِ النِّعمةِ ليكون الوعدُ وَطيداً لجميع النسلِ ليسَ لِمَنْ هو من الناموسِ فقط بل أيضاً لِمَنْ هو من إيمانِ إبراهيمَ الذي هو أبٌ لجَميعِنا».

أي أن الوعد ليس من الناموس، فالله أعطاه (أي الوعد) لإبراهيم **كنعمة** بسبب إيمانه العظيم حقاً، لهذا أصبح الوعد مفتوحاً لجميع مَنْ يسلك سلوك إبراهيم مع الله، أي بالإيمان، سواء في الناموس والختان أو بدون ناموس وبدون ختان. فالله بالفعل سمَّى أبرآم إبراهيم بعد أن أعطاه الوعد، جاعلاً إياه أباً لأمم العالم: «فسقط أبرآم على وجهه وتكلَّم الله معه قائلاً: أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد أبرآم بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم.» (تك١٧: ٣ـ٥)

إبراهيم لم يكسب الوعد باستحقاق عمل أو ناموس أو أي شرط من الشروط. وعد الله لإبراهيم هو النموذج الأعلى والأعظم لعمل بر الله لمن يؤمن به كنعمة، وهكذا افتتح إبراهيم طريق الإيمان أمام الأمم.

مواصفات إيمان إبراهيم

(أ) ٤: ١٧ «كما هو مكتوبٌ إني قد جعلتُكَ أباً لأممٍ كثيرةٍ. أمامَ الله الذي آمَنَ به الذي يُحْيي المَوْتى ويَدْعو الأشياءَ غيرَ الموجودةِ كأنها موجودةٌ».

«أمام الله»:

تفيد هنا "في اعتبار الله"، أي أن إبراهيم سيكون أباً لجمهور الأمم في اعتبار الله، نفس الله الذي آمن به. أي أن الأمم ـ أي نحن ـ نُعتبر أمام الله الآن أننا أولاد إبراهيم ولو لم يعرفنا إبراهيم (راجع إش٦٣: ١٦)، وكأننا كنا حاضرين يرانا أمامه حينما نطق بالوعد الذي وعده الله وإبراهيم واقف أمامه.

فالخالق الذي يخلق من العدم، يقول كُنْ فيكون، فالقول عنده يسبق الوجود، وكلمة الله تنشىء الوجود والحياة، لعازر يشهد على ذلك. لذلك حينما نتعامل مع كلمة الله، علينا أن نثق ونتأكد أننا نتعامل مع قوة الله الخالقة من العدم القادرة أن تعمل أكثر مما نفتكر!!

ق. بولس هنا يكشف الأساسات التي قام عليها إيمان إبراهيم بالله. فإبراهيم كان بالنسبة لإنجاب البنين، هو وسارة، في حكم الأموات، وخاصة سارة التي بلغت من السن شيخوخته التي لا رجاء قط في أن يكون لها ابن. فإبراهيم صار ابن مائة سنة وسارة تسعين سنة. هذا معنى قول ق. بولس **«الذي يُحيي الموتى»**.

«ويُحيي الموتى» كصفة من صفات الله لها أبعاد في علاقة الله بعد ذلك مع نسل إبراهيم بالإيمان!! فإنجاب ابن من مستودع سارة الميت في شيخوخة إبراهيم يقابله تسلسل للبركات التي في الإيمان ببر الله، أي قيام الكنيسة كنيسة الأمم من موت الخطية: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٥)؛ بل وقوة الله على إحياء الموتى يتعاطاها كل متقدم إلى المعمودية حينما ينشدون له نشيد المعمودية: «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤)، حيث النائم هو الميت بتعبير المسيح في أمر لعازر؛ بل ويقابله قول المعمدان للمفتخرين بنسبهم لإبراهيم: «ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (مت٣: ٩). والحجارة هنا تعبير عن منتهى الموت الذي يتوازى مع إمكانية جعل أولاد الوثنيين أولاداً لإبراهيم بالإيمان.

وانطلاقاً من صفة الله وقدرته أن يُحيي الموتى، يراها ق. بولس بعد ذلك في إقامة الرب يسوع المسيح من الأموات، ليكون هذا محكّاً للإيمان بقدرة الله لنوال بر الله. وكأن البر بالإيمان هو في الله المحيي الموتى والمقيم من الأموات والخالق على مستوى واحد؛ بل ومعها أيضاً الإيمان ببر الله نفسه!! وكأنما هذه الآية تحمل تاريخ الخلاص بل تاريخ العالم والإنسان كما في جنين! لذلك سوف نرى أن الإيمان بالله ونوال بر الله يتوقفان على هذا المعنى الواحد: أن نؤمن أن الله قادر أن يقيم من الأموات!! وفي حوار إبراهيم مع الله حينما استبعد إبراهيم أن يكون له ولد، قالها الله وكأنه يرى إسحق أمامه: «وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق ...» (تك١٧: ١٨و١٩). هذا معنى قول ق. بولس عن الله: **«ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة»**.

هذا هو الأساس الأول في إيمان إبراهيم بالله!! ولقد اختبر الله هذا الأساس عند إبراهيم

اختباراً عنيفاً لم يُختبر إنسان مثله على الأرض إذ طلب الله منه بعد ذلك أن يقدّم ابنه حبيبه إسحق الذي نال به الوعد ليقدمه ذبيحة!! فلم يتردد جبّار الإيمان وانتهى إلى أن قيّد الولد ومسك السكين لولا منعه الله. **هنا اختبر الله إيمان إبراهيم هل حقاً يؤمن بالله أنه قادر أن يقيم من الموت؟** إبراهيم نجح في أصعب اختبار للإيمان ولم يتزعزع إيمانه بأن الله يُحيي الموتى! هكذا تمجد الله وهكذا مجّد الله إبراهيم: «أكرِمُ الذين يكرمونني.» (١صم٢: ٣٠)!!

(ب) ٤: ١٨ **«فهو على خلافِ الرجاءِ آمَنَ على الرجاءِ لكي يصيرَ أباً لأممٍ كثيرةٍ كما قيلَ هكذا يكونُ نسلُكَ»**.

مرة أخرى يركز ق. بولس على كيف آمن إبراهيم على خلاف الرجاء. أنّى لرجلٍ بلغ مائة سنة أن ينجب ولداً؟ أو امرأة بلغت التسعين سنة وقد **تآكل** رحمها «مماتية مستودع سارة» νέκρωσιν τῆς μήτρας (رو٤: ١٩)، كيف يحمل رحمها ولداً ثم يولد؟ هذا كله يدعو إلى عدم الرجاء لأنه بخلاف الطبيعة، ولكن إبراهيم آمن على الرجاء، والرجاء هو بكلمة الله التي قالها، فهو القادر على كل شيء أو بالحري القادر على أن يُحيي الموتى. ومن هذا الرجاء صار إبراهيم أباً ليس لإسحق ونسله بل لأمم كثيرة، بهذا الإيمان، لأنه به أخذ الوعد أن يكون أباً لأمم كثيرة. لهذا حينما نقول: «ونؤمن بقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي»، فنحن نُعلِن الرجاء الذي فينا ونعيشه ونمجده على أساس مَنْ أقام الرب يسوع من الأموات وهكذا نشترك فيه.

«هكذا يكون نسلك»:

هي الجملة التي قالها الله لإبراهيم وهو يشير إلى نجوم السماء: «ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعدّها. وقال له: هكذا يكون نسلك. فآمن [إبراهيم] بالرب فحسبه له برًّا» (تك١٥: ٥و٦). كانت هذه اللحظة هي لحظة مستقبل الأمم كلها الذي لا يُرى، يتعين ويتحقق على مستوى غير الموجود كأنه موجود، عندما آمن إبراهيم بما لا يُرَى ــ على خلاف الرجاء، أي بالرغم من الموت الذي كان يدبُّ في جسده ــ أن يكون له هذا النسل، وبها صار فعلاً أباً لكل الأمم كلِّ من آمن بالله بإيمان إبراهيم.

(ج) ٤: ١٩ **«وإذْ لم يكُنْ ضَعيفاً في الإيمانِ لم يعتبرْ جسدَهُ وهو قد صارَ مُماتاً** νενεκρωμένον **إذْ كان ابنَ نحوِ مائةِ سنةٍ ولا مُماتيَّة مستودَعِ سَارَةَ»**.

إن إيمان إبراهيم وازن كل هذه المستحيلات برجائه الحي القوي في الله. فغلب رجاؤه في الله

ضد كل هذه المستحيلات. إيمان إبراهيم لم ينظر إلى الجسد بل إلى الله الذي هو فوق المستحيلات، الخالق القادر أن يجدد ما خلق!! وأن يعطي حياة لِمَا مات فيه بل ويقيم من الموت! فلأن إبراهيم لم يعتبر جسده الذي لم يكن أفضل من ميت بالنسبة لإنجاب البنين، بل ثبّت نظره في الله الحي القادر على أن يحيي، أحسّ إبراهيم بالحياة تسري في جسده الميت فآمن بالله عندما اتصلت حياته الجديدة بالحياة المستمدة من الله. فإيمان إبراهيم كان صلة حياة جديدة بحياة الله، كان إيماناً حياً بالله المحيي، وهكذا ارتفع إيمانه ليستقبل بر الله المنسكب بالحياة فيه. فإيمان إبراهيم صار على مستوى حياة الله وبالتالي على مستوى برّ الله الذي هو من صميم طبيعة الله. إبراهيم حصل على برّ الله كحياة جديدة متصلة بالله.

وق. بولس في سفر العبرانيين يعطي صورة أخرى رائعة كيف حملت سارة وولدت إذ اعتبر أنها أخذت القدرة على الإنجاب من واقع إيمانها الحي بالله. فبعد أن بدأت بالشك، تقوّت باليقين هكذا: «بالإيمان سارة نفسها أيضاً **أخذت قدرة** على إنشاء نسل، وبعد وقت السن ولدت إذ حَسِبَت **الذي وعد صادقاً**.» (عب١١: ١١)

هذا الإيمان في الواقع، سواء إيمان سارة أو إبراهيم، هو الإيمان بالمستحيلات أو ربما بما هو فوق المستحيلات. هذا الإيمان يمثل نوال قدرة في الإنسان من الله فائقة فوق قدراته الجسدية والنفسية والعصبية، قدرة حياة جديدة تتدفق من الله كخلق جديد أو لتجديد ما خلق!!

(د) ٤: ٢٠ **«ولا بعدمِ إيمانٍ ارتابَ في وعدِ الله، بل تقوّى بالإيمانِ مُعطِياً مَجْداً لله».**

عدم الإيمان والارتياب هما من صنعة العقل، ولكن إبراهيم كان ناظراً إلى الله وقد قَبِلَ المواعيد فتعلّق فكره وقلبه بالله كمنفذ، وبالمواعيد كأنها نافذة. هذا شأن الإيمان. وهكذا كل معوّقات الإيمان، لما طرحها إبراهيم من فكره، كانت النتيجة أن الرؤيا زادت أمامه فتقوّى بالإيمان. **والارتياب** هنا جاء مقابله «**تقوّى**». حينما يطرح الإنسان الشك بحزم، يأتيه اليقين إتياناً ليملأ الفراغ الذي احتله الشك. وكلمة "تقوّى" هي في اللغة اليونانية تأتي بمعنى امتلأ قوةً. فيا ويل الإنسان إذا أعطى مكاناً للشك في مواعيد الله، فالشك ينهب الإيمان ويضيّع صورة الله. ولكن إذا امتلأ قلب الإنسان بيقين الثقة في الله وحده، فإن ذلك يكون بمثابة تمجيد لله. فالله يتمجّد في الإيمان لأنه يُستَعْلَن على حقيقته؛ حيث يكون هو مصدر الثقة الوحيد وليس معه آخر. فإذا ملك الله كل فراغ الفكر والقلب، كان هذا بمثابة قمة الإيمان بل قمة الحب بل قمة الشركة بالروح. بهذا يتمجد الله ويهب هباته.

الله تكلم، فأخذ إبراهيم كلمة الله حجّة، لم يسلّمها لمحاكمة العقل بل أغلق عليها في خزانة اليقين الحتمي. انظر أيها القارىء وافهم، إن يقين إبراهيم بكلمة الله صار هو ميراث الإيمان لنا، أي صار إنجيلاً!! فالإنجيل بحد ذاته هو كلمة يقين صدق الله، إن تمسّك بها الإنسان كحجّة لنفسه ضد أي ارتياب وأعطاها حقها الإلهي كيقين، جعل الله صادقاً وشهد لصدق الله بإيمانه وحياته. بهذا يُستَعلَن الله كصادق وأمين فيما يقول؛ هذا هو تمجيد الله.

ق. بولس سوف يورد كلمة «ارتاب» في الأصحاح ١٤: ٢٣ كفعل خطية، وهو يساوي عدم الإيمان حتى ولو كان في مجرد الأكل إن كان هذا الطعام يوافق أو لا يوافق، حلال أم حرام: «وأما الذي **يرتاب** فإن أكل **يُدان**، لأن ذلك ليس من الإيمان وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية».

ويعقوب الرسول يقول واصفاً الشخص المرتاب بموج البحر يعلو ويهبط ثم يتلاشى: «ولكن ليطلب بإيمان (واثقاً في مواعيد الله وصدقه) غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب.» (يع١: ٦و٧)

(هـ) ٤: ٢١ **«وتيقّنَ أنّ ما وَعَدَ به هو قادِرٌ أن يفعلَهُ أيضاً».**

النتيجة المباشرة للآية السابقة، إذ تمسّك (إبراهيم) بيقين الإيمان في قلبه وفكره من نحو الله، دون أن يطلب شيئاً في بادىء الأمر، أي قَبِلَ الوعد. انتقل هذا اليقين من نحو الله في ذاته إلى اليقين من نحو عمل الله بسهولة. فإن كان الله عند الإنسان هو كل شيء في ذاته وهو في شخصه يملأ كل قلبه وفكره، فحتماً يصبح الله في إيمان الشخص أنه قادرٌ أن يفعل كل شيء، خاصة إذا كان قد وعد وعداً. «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا.» (أف٣: ٢٠)

ولكن ميزة حالة إبراهيم فوق ما تقدمه آية رسالة أفسس هنا أن إبراهيم لم يطلب وعداً ولا ميراثاً، وحتى الولد الذي تبرع الله أن يعطيه له لم يطلبه، ولكنه عرض حالته الحزينة أمام الله بانكسار قلب دون تذمر ردًّا على تحية الله له: «بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرآم في الرؤيا قائلاً لا تخف يا أبرآم أنا ترسٌ لك، **أجرُك** كثيرٌ جداً. فقال أبرآم أيها السيد الرب! ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالِكُ بيتي هو أليعازر الدمشقي!! ... وقال إبراهيم ليت إسماعيل يعيش أمامك.» (تك١٥: ١و٢، ١٧: ١٨)

وهكذا بدأت وعود الله تتواتر على إبراهيم أكثر جداً مما كان يظن أو يفتكر.

٤ : ٢٢ **«لذلك أيضاً حُسِبَ لهُ براً».**

بعد أن سرد ق. بولس عناصر إيمان إبراهيم انتهى إلى ما رأى الله أن يمنحه جزاء إيمانه فأجزل العطاء إذ أعطاه برَّه!!

والآن نلخِّص عناصر إيمان إبراهيم:

(أ) **الله يُحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة.**

(ب) **على خلاف الرجاء آمن على الرجاء.**

(ج) **لم يعتبر جسده وهو مماتٌ في الجسد**، إذ كان ابن نحو مائة سنة، ولا مماتية مستودع سارة.

(د) **ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله** بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله.

(هـ) **تيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً.**

ولكن لماذا أسهب ق. بولس هكذا في توضيح عناصر إيمان إبراهيم إلاَّ لأنه سيجعلها هي بعينها القاعدة التي ينطلق منها ليبني عليها إيماننا بالله؟

فيا عزيزي القارىء، لا تستثقل استطراد ق. بولس في أمر إيمان إبراهيم و برّ الله لإبراهيم، فهو إنما بتؤدة يبني إيماننا الصحيح في المسيح، فكل عنصر من عناصر الإيمان من طرف إبراهيم والبر من طرف الله سوف نرى أنه هو بعينه جزء حي من هيكل إيماننا و برِّنا في الله بل هيكل عبادتنا وتجديد خلقتنا.

٤ : ٢٣ ـ ٢٥ **«ولكن لم يُكتبْ من أجلِهِ وحدَهُ أنه حُسِبَ له بل من أجلنا نحنُ أيضاً الذينَ سيُحْسَبُ لنا الذين نؤمِنُ بمَنْ أقامَ يسوعَ ربَّنا من الأمواتِ، الذي أُسْلِمَ من أجلِ خطايانا وأُقيمَ لأجلِ تبريرنا».**

والآن يدخل بنا ق. بولس إلى الإيمان المسيحي وقد حفر وعمَّق ووضع أساسه جيداً:

فأولاً: قد أثبت ق. بولس أن بر الله حرٌّ غير مقيَّد، سواء عند الله في العطاء، أو عند الإنسان في الاستقبال أو القبول بلا أي شروط تُطلب من الإنسان عن طريق العمل الجسدي أو أية امتيازات، أياً كانت جسدية أو غير جسدية.

ثانياً: أن الإيمان هو الطريق الوحيد الذي به يسترضي الإنسان وجه الله.

ثالثاً: أن الإيمان المطلوب من الإنسان لا بد أن يكون مناسباً جداً لصفات الله:

أ ـ أن الله يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة وكأنها موجودة.

ب ـ أن الله لا يلتزم بحالة الإنسان في ضعف أو شيخوخة أو حتى المماتية. فهو يعمل حتى في الحالات التي لا رجاء فيها البتة والتي ضد الطبيعة وغير المعقولة، فليس شيء عسيراً عند الله.

ج ـ الله لا يقبل الارتياب في الإيمان، وإنما الله يعمل في الإيمان المملوء ثقة ويقيناً.

د ـ إن الله بارٌّ بمعنى أنه إذا وعد فلا بد أن يفي وينفذ ما وعد. فوعود الله تؤخذ جميعها أنها صادقة وواجبة التنفيذ.

وهنا في هذه الآية (٤ : ٢٣) يكشف ق. بولس عن معنى وقيمة العهد القديم برمته بكل أحداثه بالنسبة لإيماننا وحياتنا ومبادئنا في العهد الجديد.

فمثلاً لذلك يرى أن الله منح إبراهيم برَّه أو حَسِبَ إيمانه برًّا ليس لأن إبراهيم كان يناسب برّ الله فقط؛ بل ليعطي من إبراهيم مثلاً ونموذجاً حياً يُحتذى، بل جعل برّه الذي حسبه لإبراهيم قابلاً للتوريث لكل مَنْ يؤمن بإيمان إبراهيم. بمعنى أن الله افتتح بإبراهيم عهد الإيمان الحائز على برّ الله بالنسبة للبشرية كلها.

فإن كان الله أظهر بره أول ما أظهر مع إبراهيم واحتفظه له بوعد أن يرثه نسله وتتبارك به أمم الأرض، هكذا تفتحت أذهان الأمم واستعدت لمجيء النسل الموعود به، وجاء النسل بالفعل مولوداً من امرأة هي بنت إبراهيم وتحت الناموس، يسوع المسيح حسب الوعد.

ولكن كان بر الله الممنوح لإبراهيم هبة لم ينلها أحد غيره، فكانت فريدة من نوعها وكان هو أيضاً **فريداً في جيله** بل وكل الأجيال، هذا كان بالإختبار الحر حسب مشيئة الله. ولكن الله بإظهار بره في المسيح يسوع ابنه، أراد أن يكون برُّه **عاماً شاملاً يناله كل إنسان**، لذلك أظهر برَّه **ظهوراً ذاتياً** في شخص ابنه ظهوراً كاملاً وكلياً «بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء» (١ كو ١ : ٣٠). ثم قدم ابنه في الجسد ذبيحة تحمل كل خطايا الإنسان، لكي بالفداء بدمه تُمسح كل الخطايا. وهكذا فإن الله بتقديم ابنه فعلاً ذبيحة أمامه يكون قد وفَّر ـ لكل إنسان يؤمن بأن الله ذبح ابنه ثم أقامه من الموت فعلاً ـ إيماناً مساوياً لإيمان إبراهيم تماماً، وبذلك يكون قد أكمل بموت المسيح هدفين: **الأول** الإيمان بالله الحي أنه قادر أن يقيم من

الأموات؛ **والثاني** أن يؤمن بمغفرة الخطايا، لأن ذبيحة ابن الله حملت خطايا العالم كله.

وهكذا رفع عن الإنسان العائق العام الخطير الذي كان يمنع حصوله على برّ الله: «لأني لا أبرر المذنب» (خر٢٣: ٧)، «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع.» (إش٥٩: ٢)

هكذا أصبح الإيمان بالمسيح الفادي هو الإيمان الذي يجعل الإنسان مفتوحاً على بر الله بلا مانع.

فالإيمان بالمسيح يشمل عنصر الفداء أي **الموت، والقيامة**، فالإيمان بموت المسيح يعطينا غفران الخطية أولاً، أما إيماننا بقيامة المسيح فيعطينا برّ الله: «الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥). **وما علاقة ذلك بإيمان إبراهيم؟** هنا الإيمان بأن الله أقام المسيح من الموت حيًّا هو بعينه إيمان إبراهيم بالله المحيي، أي إيمان إبراهيم الذي تحقق منه في ذاته أنه نال حياة بالنسل وهو مماتٌ في الجسد، لأنه كما وعده الله بأن يكون له نسل: «بإسحق يدعى لك نسل»، وهو ابن مائة سنة وآمن بوعد الله، حُسب له إيمانه برًّا، هكذا نحن ـــ يقول ق. بولس ـــ إذ نؤمن بأن الله أقام المسيح من الأموات، ليس كميلاد إسحق من رحم ميت وشيخوخة أب فانية بل أقامه حيًّا من الموت ذاته في أشنع صفاته. بهذا يحسب لنا نحن أيضاً هذا الإيمان برًّا، لماذا؟ لأن المسيح لم يقم لنفسه، لأنه مات من أجلنا، لذلك فهو قد قام من أجلنا بل قمنا معه وفيه، فقيامة المسيح هي قيامتنا وحياة المسيح من بعد الموت هي حياتنا، أي إن الإيمان بقيامة المسيح هي حياتنا الجديدة فيه مع الله، وهذا هو هو برُّ الله.

هكذا صار بظهور برِّ الله بالإيمان بيسوع المسيح نوال البشرية كلها حياة من بعد موت، فبرُّ الله هنا بلغ أقصاه وأصبح مظلّة تغطي كل البشرية، كل مَنْ يؤمن بقيامة المسيح من الأموات. فبدل أن كان برُّ الله لإبراهيم حالة تكاد تكون استثنائية جداً أنشأت ميلاد ابن في شيخوخة، صار برّ الله بالمسيح نعمة شاملة مفتوحة بسخاء لحياة البشرية كلها من بعد موت شديد وشنيع وهو موت الخطية الذي لم يكن له منه قيام.

الأصحاح الخامس

١ ـــ رو ٥: ١ـــ١١ : إذ قد تبررنا في المسيح لنا سلام مع الله.

٢ ـــ رو ٥: ١٢ـــ٢١ : من العبودية تحت خطية آدم إلى الحرية ببر المسيح.

الأصحاح الخامس

هكذا ببلاغةٍ وعمقِ تفكيرٍ وبإلهامِ النعمة، انتقل بنا ق. بولس من بر إبراهيم إلى بر المسيح، شارحاً العلاقة الوطيدة بين إبراهيم والمسيح، فهي علاقة وعد إلهي أُعطي لإبراهيم ونُفِّذ بالمسيح. وهذا الوعد كانت قاعدته التي انطلق منها إيمان إبراهيم، الفائق القدر في جيله وكل الأجيال، والذي نال به بر الله مع وعد بنسل يأتي من إبراهيم يحمل بركة الله لإبراهيم وفيه تتبارك كل الأمم. وفعلاً جاء المسيح من نسل إبراهيم حاملاً برَّ الله، ليس مجرد عطية للتبرير كما لإبراهيم، بل برَّه الشخصي الذاتي في ابنه الوحيد. وانتهينا في الأصحاح الرابع بخلاصة غاية في الاختصار ولكن غاية في الإحكام والشمول، أن هذا الابن الحامل لبرِّ الله الذاتي مات من أجل خطايانا ليرفع العائق الدهري الذي حَرَمَنا من بر الله، وهو الخطية التي حجبت وجه الله عنا والتي أوقعتنا تحت حكم الموت بمقتضى عدل الله. ولكن المسيح حملها في جسده ومات مكمِّلاً عقوبتها فينا لأننا مُتنا معه بجسد بشريتنا الذي حمله ليمثِّل كل إنسان في الوجود أمام عدل الله، وهكذا نلنا الغفران بذبيحته الكفارية. وقام المسيح من بين الأموات وأقامنا معه لحياة جديدة خلصنا فيها من خطايانا ونلنا بها بر الله في المسيح. لأن المسيح صار برَّنا وصرنا فيه مبرَّرين: «بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً.» (١كو١: ٣٠)

[١:٥–١١] إذ قد تبررنا في المسيح لنا سلام مع الله

١:٥ «فإذْ قد تبرَّرنا بالإيمانِ لنا سلامٌ مع الله بربِّنا يسوعَ المسيح».

واضح هنا أن ق. بولس يتكلم عن الإيمان بالله، الله الذي أقام يسوع المسيح من الأموات، الله المحيي. وهو نفس الإيمان الذي نؤمن به أن المسيح أقامنا معه في حياة جديدة وقد تحررنا من الخطية والموت، فصرنا في المسيح في دائرة بر الله، مبرَّرين بدم المسيح، حيث تبرير الله هو العكس تماماً لغضب الله. فالخاطىء واقع تحت غضب الله كما رأينا في الأصحاح الأول، وهنا قد رَفَعَ المسيح

عنَّا حكم الموت أي حكم الغضب فدخلنا في تبرير الله وقد انتهى الغضب بأسبابه، وهذا هو سلام الله الذي نعيش فيه أمام الله بربنا يسوع المسيح.

وهكذا أنشأ لنا الإيمان بالمسيح حالة سلام مع الله من واقع التبرير الذي نلناه بالإيمان والشركة في موت المسيح وقيامته. فالسلام مع الله هو أول حصيلة التبرير بالإيمان بالمسيح، وهو أظهر علامة في المسيحية. على أن السلام المسيحي ليس هو حالة فكرية أو قلبية نابعة من الإنسان، بل هي حالة اتصال وعلاقة بالله. فالسلام يأتي وينسكب من الله، فهو سلام الله الذي يفوق كل عقل (في٤: ٧). وهو سلام يحيط بالإنسان ويرتفع به فوق كل تهديدات العالم وسطوة الشر ومخاوف الأعداء. فسلام الله هو بحد ذاته نصرة فوق العالم، هذا من جهة النظر نحو العالم، ولكن السلام الأعظم والأقوى هو تجاه النظرة نحو الله، فبالمسيح ينتهي كل نزاع ومخالفة مع الله لأن مع المسيح ندخل تحت أبوة الله.

«لنا سلام مع الله»:

إنها حقيقة لا تحتاج إلى تتميم، لأن المسيح رفع الدينونة عنا: «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح، لأن ناموس روح الحياة (القيامة) في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو٨: ١و٢)

هكذا وإذ قد صرنا في حالة تبريء أولاً، أي خرجنا من تحت **قضاء غضب الله بالموت واللعنة**، وبالتالي دخلنا في برِّ الله أي **قضاء الرحمة والتزكية**، فنحن الآن مُصالَحون وأكثر من مُصالَحين، نحن لنا سلام مع الله. هذه ليست حالة خبرة إيمانية ولا هي سَعْيٌ من طرف الإنسان، بل إن هذا هو عمل الله في المسيح. إنها مبادرة كاملة من جهة الله من نحونا والعالم مدبَّرة تدبيراً أزلياً بإحكام: «أي إن الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة.» (٢كو٥: ١٩)

ولكن لمزيد الأسف قلَّ من أحسَّ بعمل الله هذا. قليلون هم الذين يتمتعون بسلام الله المجاني هذا، فالكل يحسب أنه يلزم عليه أن يعمل أشياء كثيرة ليدخل في مصالحة مع الله وسلام، كأنَّ دم المسيح غير كافٍ، مع أن الله أكمل صلحه وسلامه مع كل نفس آمنت بالمسيح. «فالقلب يؤمن به للبر» والبر يصنع سلاماً في الحال: «**فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله**». هل نؤمن؟ هل نقبل سلام الله الذي يطرحه أمامنا هكذا في ملء بر المسيح ودمه؟ «ورب السلام نفسه **يعطيكم السلام دائماً** من كل وجه.» (٢تس٣: ١٦)

٥: ٢ «الذي به أيضاً قد صار لنا الدخولُ بالإيمانِ إلى هذه النعمةِ التي نحن فيها مقيمون ونفتخرُ على رجاءِ مجدِ الله».

تكملةً لحالة السلام التي دخلنا إليها إذ قد تبررنا بالإيمان بالمسيح، أي نلنا بر الله بذبيحة المسيح الكفارية، يزيد ق. بولس ويوضح أن حالة السلام هذه هي النعمة التي دُعِينَا إليها لنبقى وندوم فيها، ولكن يشدِّد ق. بولس أنه ليس بذواتنا ندخل إلى السلام أو إلى النعمة كحالة نقيم فيها وكأننا في حضرة الله، بل إن الدخول إليها هو بالمسيح يسوع. فقد قال المسيح، وهو يعلِّم تلاميذه قبل الانطلاق والدخول إلى الأقداس العليا وتكميل الفداء لنا، إنه هو الباب والطريق وبدونه لا يستطيع أحد الدخول إلى الآب. والآن يتضح من بولس الرسول أن المسيح ليس هو الباب والطريق وحسب بل هو أيضاً الذي يدخل بنا إلى الله وإلى سلامه ونعمته، بقوله: «قد صار لنا "به" الدخول προσαγωγήν إلى هذه النعمة» وهذا يشدده قوله لأهل أفسس: «لأن به لنا كلينا (يهود وأمم) **قدوماً** = دخولاً προσαγωγήν في روح واحد إلى الآب» (أف٢: ١٨)، كذلك: «الذي به لنا جراءة وقدوم = دخول προσαγωγήν بإيمانه عن ثقة.» (أف٣: ١٢)

هذه هي حالة البر الذي نلناه بذبيحة المسيح التي جعلت له هذه الدالة العظمى ليس فقط أن يدخل هو وحسب، بل ويُدخلنا معه إلى الآب كل حين لنجد سلاماً ونعمة وإقامة.

«ونفتخر على رجاء مجد الله»:

يترجم بعض الشراح الثقاة هذه الآية هكذا: «ونفرح في الرجاء بالشركة في مجد الله».

قد سبق ق. بولس وذمَّ الذين يفتخرون بأعمالهم وبالله وهم يهينون اسمه بتعدياتهم، فكان افتخارهم وبالاً عليهم إذ حُسب أنهم يتعظمون ويتمجدون على حساب الله، فضاع إيمانهم سُدىً وانتهت أعمالهم إلى دينونة: «هوذا أنت تسمى يهودياً وتتكل على الناموس وتفتخر بالله ... الذي تفتخر بالناموس أبِتعدِّي الناموس تهين الله؟» (رو٢: ١٧و٢٣) ولكن الآن: «من افتخر فليفتخر بالرب» (١كو١: ٣١). لقد لاق بنا أن نفتخر (نفرح) ونحن مقيمون في سلام الله ونعمته، وخلفنا ذبيحة مقدَّمة باسمنا للفداء ومغفرة الخطايا، وأمامنا المسيح يُدخلنا باستحقاقه إلى الله كل حين. لقد صار افتخارنا (فرحنا) بالله تمجيداً له. فإن كان ماضينا ممسوحاً بالدم، وحاضرنا سلاماً ونعمة مقيمة، فكيف لا نرجو مستقبلاً فيه نمجد الله بافتخار (بفرح) وتهليل كما رقص داود أمام تابوت الله؟ إن هذه الآية بجملتها صدرت من قلب ق. بولس وهو في حالة نشوة حقيقية وفرح أبدي وعلى رأسه إكليل الابتهاج. انتبه إلى ما يقول: «النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر (ونفرح) على رجاء مجد الله». هذا الوصف قاله إشعياء من وراء الدهور وهو يصف حالة إنسان حاز الفداء:

«ومفديُّو الرب يرجعون، ويأتون إلى صهيون بترنُّمٍ، وفرحٌ أبديٌّ على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد.» (إش٣٥: ١٠)

الذي نال بر الله في المسيح هو في حالة سلام. لا يعود العالم يكون له مصدر قلق أو حزن أو كآبة أو تنهد، بل هو في النعمة يقيم. لا يشغل باله شيء قط إلاَّ تمجيد الله وانتظار المجد العتيد، حتى ولو في الضيق والآلام:

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُسْتعلَنَ فينا.» (رو٨: ١٨)

+ «والذين سبق فعيَّنهم فهؤلاء دعاهم أيضاً، والذين دعاهم فهؤلاء **برَّرهم أيضاً، والذين برَّرهم فهؤلاء مجَّدهم أيضاً.**» (رو٨: ٣٠)

وهكذا ينتهي التبرير إلى التمجيد، فالبر حتماً يشهد للمجد. فعوض أن «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو٣: ٢٣)؛ صاروا بالإيمان بالمسيح في سلام ونعمة يفرحون ويفتخرون ويترجون مجد الله! لأن «المسيح فيكم رجاء المجد.» (كو١: ٢٧)

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد أنه حينما يسكن المسيح في القلب بإيمان صادق فأولى علامات بلوغ الفداء فعلاً، هو «الفرح» الناشىء من النصرة. والفرح هو بنسبة بزوغ الفجر للمجد العتيد أن يكون.

٥: ٣و٤ «وليسَ ذلكَ فقط بل نفتخرُ أيضاً في الضيقاتِ، عالمينَ أن الضيقَ يُنشىءُ صبراً، والصبرُ تزكيةً، والتزكيةُ رجاءً».

هنا استطراد للمزيد من تقييم حالة البر والسلام والنعمة، فإن كانت هذه تؤدي بنا إلى الافتخار برجاء الشركة في مجد الله العتيد أن يكون لنا، فنحن لسنا واهمين أو عائشين على الخيال كأنَّ افتخار الرجاء الذي أصبح فينا من جراء التبرير بالإيمان هو مجرد تصوُّرات، بل إن هذا الافتخار بالرجاء عينه الذي ننتظر به المجد الآتي، نحن نعيشه هو هو الآن في الحاضر: أي هذا الافتخار بالرجاء، ونحن تحت الضيق كأقسى اختبار يمكن أن يُختَبَرَ به رجاؤنا وإيماننا وبرُّنا الذي من الله، فإننا نفتخر أيضاً في الضيقات، حيث الافتخار هنا يترجمه روحياً ق. بولس في موضع آخر «بالفرح»: «فرحين في الرجاء.» (رو١٢: ١٢)

«الضيق ينشىء صبراً»:

ينشىء صبراً ليس عن تمرين ولا عن النظر إلى ما بعد الضيق، ولا بانتظار العِوَض من الله، ولا بالاحتمال الأخلاقي بضبط النفس أو الشكر الظاهري. **ولكن باستعلان أسباب الضيقات ومعناها في الله.** فإذا انفتحت بصيرة الإنسان ــ بالصلاة ــ ولو ثلاث مرات ليعرف سبب الضيق، فإنه يستعلنه كعمل داخل في تدبير الله ويعرف أسبابه في الله، وهكذا يرتاح إلى الضيق ويقبله، ويحتمله ويشكر عليه بل ويفتخر به في السر والعلن: «من جهة نفسي لا أفتخر إلاَّ بضعفاتي ... ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات **أُعطيتُ** (من الله) شوكة في الجسد، ملاك الشيطان، ليلطمني لئلا أرتفع. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني، فقال لي: تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل. فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح. لذلك أُسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي.» (٢كو١٢: ٥و٧ــ١٠)

في هذه الآيات التي يعترف بها ق. بولس لنا من جهة اختباره لمحنة جسدية رافقته عمره وأضعفت جهده وأساءت إلى نفسيته وكرازته، يوضح لنا كيف عرف أسبابها من الرب وكيف تعلَّم من الرب أيضاً كيف يقبلها ويصبر عليها ويشكر، فإن كانت هي هكذا أعطيت له من الله فلزم لا الصبر بل الافتخار.

إن أي ضيق أو ألم أو خسارة تصيب الإنسان المسيحي، ما هي إلاّ ظل الصليب وقع عليه من قرب، حيث يتطلب الأمر سرعة الانتباه بالاستعداد الحسن لحمله عن رضى لأنها شركة حقيقية في آلام الرب.

«والصبر تزكية»:

فالضيقات للإنسان المسيحي دعوة تمحيص لحساب التزكية يصفها بطرس الرسول جيداً بقوله: «مع أنكم الآن إن كان يجب تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة، لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني ــ مع أنه يُمتحن بالنار ــ توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط١: ٦و٧)

الإنسان المسيحي لا يستعفي من صليبه، ولا يشفق على نفسه، ولا يتململ بالضيق كأنه غير مستحق لصليب المسيح. إن كل آلام وضيقات هي مقبولة بل وموضع سرور **«لأجل المسيح»:** «أُسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح ...»

(٢كو١٢: ١٠). فإذا استقبلها المسيحي لأجل المسيح تحل عليه قوة المسيح: «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح.» (٢كو١٢: ٩)

كل ضيقة وألم تحمل في داخلها ثمرة شهية يشتهيها كل حكيم اسمها «الصبر»، ليس بالمفهوم الدنيوي السلبي، بل بالمفهوم الأخروي العالي القيمة. فالصبر عملة سماوية: «وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لي: هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض مَنْ هم ومن أين أتوا؟ فقلت له: يا سيد أنت تعلم. فقال لي: **هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة** وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً ...» (رؤ٧: ١٣ــ١٥)

واضح من آية سفر الرؤيا هنا أن أصحاب الثياب البيضاء هؤلاء تمحَّصوا بالضيقة العظمى وتزكوا وغسَّلوا ثيابهم أي تنقَّت سيرتهم بدموع توبتهم وغسل يدي النعمة حتى ابيضت: «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيضُّ كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف» (إش١: ١٨)، حيث القرمز φοινικοῦν هو الأحمر القاني كثياب الملوك purple، أما الدودي κόκκινον فهو الأحمر الفاقع scarlet. هذا ما عمله الضيق في نفوس هؤلاء القديسين بيَّضها كالثلج! فاستحقوا ما استحقوا من الترائي أمام وجه الله وفي خدمته مُقيمين الليل والنهار حيث لا ليلَ ولا نهارَ.

«والتزكية رجاءً»:

لقد بدأ ق. بولس بالرجاء بقوله: «نفتخر على رجاء مجد الله». وظلَّ يتعقب مسيرة الرجاء حتى مسك بأولها فوجدها في الضيق، وتتبع الضيق عند المسيحي الحاصل على بر المسيح فوجده أثمر صبراً، وعُرِض الصبر على المثمِّنين فثمَّنوه بالتزكية، والتزكية في تفسير الروح هي الرجاء.

«والرجاء لا يخزي»:

ونطقها «لا يُخزي» أي أن الرجاء الذي لنا في الله والمسيح لا يُخزينا، أي لا يتخلى عنا فنظهر وكأننا ترجَّينا أوهاماً:

+ «إليك صرخوا فنَجَوْا، عليك اتكلوا فلم يخزوا.» (مز٢٢: ٥)
+ «يا إلهي عليك توكلت، فلا تَدَعْني أخزى.» (مز٢٥: ٢)
+ «لا أُخزى لأني عليك توكلت.» (مز٢٥: ٢٠)

والسؤال: وما الذي يؤكد لي ذلك وكيف أعرف أني لا أُخزَى؟

٥: ٥ «والرجاءُ لا يُخزِي لأن محبةَ الله قد انسكبَت في قلوبِنا بالروحِ القدسِ المُعطى لنا».

إن برهان الرجاء الحي قائم في قلوبنا، ولسنا بحاجة أن نسأل كيف نحصل عليه أو كيف نطمئن إلى عمله فينا مستقبلاً، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا مع الروح القدس وبه حينما أُعطي لنا. إن شهادة الروح القدس في داخلنا أننا أولاد الله وأننا محبوبون، نعيشها ونحسُّها ونختبرها. محبة الله ليست عطيةً قائمةً بمفردها يعطيها لنا الله من بعيد لبعيد، محبة الله من طبيعته مثل برِّه، يعطيها من ذاته. فمحبة الله توثِّق ما بيننا وبين الله لتجعل صلتنا معه بالفكر والقلب والروح على مستوى الشركة الحية والارتباط في الحياة والحركة والوجود: «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت» (يو١٦: ٢٧)، لذلك فرجاؤنا في الله حقيقة قائمة نحسها الآن وننتظرها في استعلانها الأخير، في يقين الصلة التي تربطنا بالله في محبته القائمة في قلوبنا والفعّالة بالروح القدس.

محبة الله حينما انسكبت في قلوبنا، استولت على قلوبنا، لأن المسيح اشترانا بدمه لحساب أبيه، فنحن بالروح القدس وفعل المحبة الأبوية الذي غزا قلوبنا، انتقلت ملكيتنا لله بكل ما لنا، بما فيه رجاؤنا، فصرنا نرجو الله لأن الله صار مالك حياتنا ولا نستطيع ولا نقدر أن نرجو سواه. والروح القدس لما سكبه الله في قلوبنا أفهمنا أنه «عربون» قائم في قلبنا يشهد أننا لسنا ملكاً لأنفسنا بل للذي اشترانا، لنحيا من الآن له على أساس حياتنا هناك، فرجاؤنا الآن حي بالروح القدس كصورة طبق الأصل من ملء تحقيق عمله معنا هناك.

محبة الله يصفها ق. بولس أنها انسكبت، والذي ينسكب نعرف أنه الروح القدس، فالمحبة تظهر هنا كقوة مندفقة دخلت كنهر داخل قلوبنا لتملأها، لتملأ كل ركن فيها وتفيض [قلبي يفيض سلاماً] «فاض قلبي» (مز٤٥: ١). المحبة محمولة على الروح القدس تفيد أنها من طبيعة الله، دخلت صميم طبيعتنا لتتعادل مع بغضة العالم وتحيِّد قوة ضغطته على عقولنا وقلوبنا وضمائرنا، تمسح الدمعة من أعيننا وترفع الكآبة وتبطل التنهد وتشرق في قلوبنا نور الله. فالمحبة الإلهية خالقة شافية معزية ملاطفة، ليست كمحبة أهل العالم وأهل الجسد، بل محبة لها أجنحة تأخذ النفس وتطير بها في أجواء السلام والراحة العليا لتذوق بها الحياة العديمة الموت مع الله.

وعجبي على العلماء الذين تنازعوا في أمر هذه المحبة، هل هي محبة الله لنا أم محبتنا لله، انقسموا وتشايعوا وتفرقوا. مع أنه يستحيل أن يكون لنا محبة لله إن لم تنسكب محبة الله أولاً في

قلوبنا: «لأنه هو أحبنا أولاً» (١يو٤: ١٩). وهل محبتنا لله تنسكب في قلوبنا بالروح القدس؟ نحن مندهشون لانحياز أعاظم اللاهوتيين هكذا إلى الحرف واللغة حتى نسوا اعتبار الروح.

وق. بولس سبق ووضع العنوان الأساسي الذي من تحته يتكلم ويعلِّم قائلاً: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله ...» فهو بصدد وجودنا في حالة التبرير، ومن أساس عمل التبرير أن يرفع من قلوبنا كل تبرير لذواتنا، فالبر كلُّه بر الله، والبر انسكب علينا ومعه حبُّ مُعْطيه. هذا هو واقعنا الذي نعيشه وهو نفسه الذي نترجاه هناك في المجد.

لذلك سوف يشرح ق. بولس حالاً أنه إن كان التبرير أو ما يشمله من سلام ونعمة وحب منسكب، فهذا كله لحساب الخاطىء بصورة قاطعة: «لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء (خطاة) مات في الوقت المعيَّن لأجل الفُجّار» (رو٥: ٦). إذاً، فهو حب الله المنسكب وليس حبنا لله، لأن حُبَّنا لله إنما يأتي كردِّ فعلٍ فقط.

٦: ٥ «لأن المسيحَ إذْ كنا بعدُ ضعفاءَ ماتَ (المسيح) في الوقتِ المعيَّنِ لأجلِ الفُجّار».

هنا تركيب الآية باليونانية يعطينا معنى يتوه منّا في الترجمة العربية مؤداه الحرف «لأن» γάρ في البداية وحرف «بعد» ἔτι الذي جاء قبل «ضعفاء». فالمعنى يجيء: «وبالأكثر ونحن بعد ضعفاء مات المسيح ...». وهنا يجيء تركيب الآية لتلتحم بسابقتها هكذا: «وليس فقط محبة الله انسكبت في قلوبنا بالروح القدس بل **وبالأكثر** ونحن بعد ضعفاء مات المسيح ...». وهكذا حرف «لأن» جاءت ترجمته غير صحيحة في بداية هذه الآية. والأوجب أن تكون **«وبالأكثر»**[1].

«في الوقت المعيَّن»:

تفيد هنا وبحسب موضوع الرسالة ولاهوت ق. بولس: في الوقت الذي أكمل فيه الناموس مهمته وبلغ الجنس اليهودي أَوَجَ إدراكه للحق والخطية ثم تغاضى عن الحق وتمسك بالخطية. هنا فإن كل يوم زيادة سيكون استنزافاً للحق وضياعاً لفرصة استعلان بر الله. فلزم وتحتَّم بحسب تدبير الله أن يظهر بر الله ويستعلن الحق للإنسان في هذا الوقت تماماً.

«لأجل الفُجّار»:

تعبير واضح صريح بلغ أقصى قوته في مفهوم عمل بر الله الذي أُظهر في المسيح، وقيمة الفداء

1. Lightfoot, *op. cit., ad. loc.*

الشمولي للإنسان، وبلوغ أذن الله إلى مستوى سماع أنين أصغر نفس بشرية طغى عليها الفساد. وهذا التعبير العظيم المتضع الحاني من جهة الله يقابله تعبير المسيح: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.» (مت٩: ١٢)

٥: ٧و٨ **«فإنه بالجهد يموتُ أحدٌ لأجلِ بارٍّ. ربما لأجلِ الصَّالحِ يَجْسُرُ أحدٌ أيضاً أن يموتَ. ولكن الله بيَّنَ محبَّتَهُ لنا لأنه ونحنُ بعدُ خطاةٌ ماتَ المسيحُ لأجلنا».**

هنا ق. بولس ينتقل من ما أشبَعَه الله علينا من نِعَمِ برِّه: سلاماً وفرحاً ونعيماً مقيماً، إلى صاحب البر نفسه الذي به تبررنا، إلى شخص يسوع المسيح العجيب. فهو هنا يتأمل كيف وبأية خلفية مات من أجل أناس فُجّار أثمة، وهو يتعجَّب من أنه بالنسبة للناس عموماً، فإنه صعب للغاية أن يضحي إنسان بحياته من أجل رجل بار، والبار هنا هو الإنسان التقي المنعزل الذي تنحصر حياته في العبادة والتقوى ولا تلتفت إلى ما يحتاجه الناس، فالبار مشغول باسترضاء الله. ويعود ويقول ق. بولس إنه ربما يوجد إنسان يمكن أن يضحي بحياته في سبيل إنسان صالح؛ لأن الصالح إنسان محب ودود صاحب أفضال وخدمات، ويهمُّه فرح الناس والتفريج عن ضيقاتهم، هو مُحسن وخيِّر، لهذا قد يوجد من يضحي بنفسه في سبيل إنقاذ حياة هذا البار. ولكن لا نحن كنا صالحين ولا أبراراً حينما مات المسيح من أجلنا بل فُجّاراً وخطاة. فهذا هو عجب المسيح، لأنه بهذا أوضح أنه أعلى من قامة البشرية بما لا يُقاس.

ق. بولس يشرح هذا لمسيحيين وليس هو يرغِّب آخرين في الإيمان، فهو يحاول أن يقيِّم عمل الفداء الذي أكمله المسيح لكي نصير قادرين أن نحسَّ ونفهم محبة المسيح هذه الفائقة على قدرات معرفة العقل.

هل يُعقل أن يموت أحد من أجل أناس أردياء أشرار خطاة فُجّار؟ إلاّ إذا كان يملك من الحب، بل ومن عظم الحب، ما يتوازن مع التضحية بحياته، ولكن أي حب هذا؟ إلاّ إذا كان حباً قادراً أن يرفع عن كاهل الخطاة خطيتهم وعن الفجّار فُجرهم؟ وهل يوجد للحب قدرة مثل هذه إلاّ إذا كان هو حب المسيح؟ ولماذا كل هذا؟ لكي يصالح الخطاة بأبيه ويقدِّمهم إليه بلا لوم في حبه الذي كلَّفه دمه!

وهكذا ينكشف المصدر الذي يستمد منه الابن عمله، فالفداء الذي عمله المسيح، هو لحساب استرضاء حب الآب من نحو العالم والإنسان الخاطىء. فالغرض أساساً أن الآب يريد أن يصالح

الإنسان الخاطىء لنفسه!!! «في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا.» (١يو٤: ١٠)

هذا هو سر إمكانية موت البار من أجل الخاطىء، حب الآب الذي يتسامى فوق ضعف الإنسان حينما يبلغ الضعف بالإنسان إلى حالة اللاعودة، وحينما يبلغ الإدراك إمكانية قبول عمل المحبة الفائق الإدراك. وهكذا صار حب الآب هو سر الفداء وسر الفداء هو سر الحب الإلهي. وهل الابن ممكن أن يقوم بهذا العمل إلاّ إذا كان مرسوماً له من الآب.

٥: ٩ **«فبالأولَى كثيراً ونحن متبرِّرون الآنَ بدمِهِ نخلُصُ به من الغضبِ».**

وق. بولس لا يقنع بسرد ما حقَّقه برّ الله لنا بالفداء بيسوع المسيح في حاضرنا سواء في النعمة التي نحن فيها مقيمون، أو في سلام الله الفائق، أو في الفرح بالرجاء المُعدّ، بل يريدنا أن نفرح ونتهلل بخلاصنا العتيد أن يكمله لنا المسيح في يوم الدينونة العظيم، يوم قضاء الغضب على أبناء الغضب، إذ سنوجد في ذلك اليوم مختومين بالدم. هنا ق. بولس يريدنا أن نثق أنه كما بدأ الخلاص بهذه القوة الفائقة من محبة الله التي استُعلنت في عملية الفداء غير المعقولة والفائقة على كل تصوُّر، هكذا سينتهي بما هو جدير بهذه المحبة وما يكمِّل سر الفداء على المستوى السماوي، لأن الذي حفظ الألفا فيتا (أ-ب)، فهو حتماً واصلٌ إلى الأوميجا وهي الياء. فالألف وهو المسيح سلامنا إن تعلمناه جيداً وعرفناه في القلب، حينئذ سيُستعلن لنا بالنهاية كالأوميجا، كملء السلام والنعمة والفرح والافتخار في المجد. فالخلاص أو عمل التبرير الذي نستمتع به الآن في سلام ونعمة مقيمة سوف يتألق بتهاليل المجد حينما نوجد في الدينونة معفيّي الديون، وفي يوم الغضب يُنادى اسمنا لنقف عن اليمين، يمين القاضي، لا كمجرمين بعد بل كمن سيدينون العالم وملائكة (١كو٦: ٣). **«وتنتظروا ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي.»** (١تس١: ١٠)

هكذا يوضح لنا ق. بولس معنى التبرير على مستواه العملي سواء الآن أو مستقبلاً، فإن كنا قد بدأنا التبرير بالسلام مع الله فحتماً سينتهي بالخلاص يوم الدينونة. هكذا يغطي تبرير الله حياة الإنسان وزمانه وما بعد مماته. فالذي أحيا المسيح من الأموات سيحيينا من بعد الموت لنجده في السماء يمسك بيدنا لينقلنا من الشمال إلى اليمين، من المشكو في حقِّهم إلى براءة ثم تبرير، إذ سيكون الذي بذل حياته، ودمه عليه — عن خطايانا — هو قاضينا والمحامي عنا:

«مَنْ **سيشتكي** على مختاري الله؟ **الله هو الذي يبرر**، مَنْ هو الذي **يدين؟ المسيح** هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً **يشفع فينا**.» (رو٨: ٣٣و٣٤)

«متبررون الآن بدمه»:

ق. بولس اعتنى فيما سبق أن يجعل الإيمان أساس نوال بر الله، حيث البر هو بر الله والإيمان إيمان بالله الذي أقام يسوع المسيح من الأموات. والآن يعتني أن يوضح لنا التبرير إياه ولكن في الواسطة التي بها أُظهر بر الله. فبر الله الذي كان متعطلاً عن العمل في محيط الإنسان بسبب الخطية، استطاعت ذبيحة المسيح الكفّارية المُعبَّر عنها **بالدم** أن ترفع عائق عمل التبرير، لذلك بدأ الأصحاح: «فإذ قد تبررنا بالإيمان»، وبقية مفهوم كيف تبررنا واضح أنه بعمل الفداء بذبيحة الكفَّارة، بسكب دم المسيح الذي هو بروح أزلي قادر أن يطهر ويغسل ويقدس **ويبرر!** وهنا في هذه الآية يقولها واضحة مختصرة: «متبررون الآن بدمه»، حيث هذا الاصطلاح المختصر جداً يحوي تاريخ التبرير كله.

كما لا يفوتنا هنا أن «بر الله» الذي انفتح علينا «بدم المسيح»، استُعلن عاملاً أولاً في المسيح نفسه إذ أطاع كل مستلزمات تبرير الله للإنسان من طاعة واتضاع واحتمال بصبر حتى الموت، فهنا واضح بر المسيح نفسه. فبرُّ الله مُنح لنا بدم المسيح الذي هو المعيار الأعظم لاستحقاق حلول بر الله في الإنسان يسوع المسيح الذي منه أخذ طريقه إلينا بسهولة. فدم المسيح يحمل بر الله وبر المسيح بآن واحد ولحسابنا بالدرجة الأُولى. فدم المسيح هو الحامل لبر الله والفاعل به في طبيعتنا، والذي أول مفاعيله الغسل والتطهير والتقديس للتبرير، ثم تقديمنا إلى الله للدخول في حضرته:

+ «فإذ لنا أيها الإخوة **ثقة بالدخول إلى الأقداس** بدم يسوع ... لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان **مرشوشة قلوبنا** (بدم المسيح) من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا (روحياً) بماء نقي (المعمودية).» (عب١٠: ١٩و٢٢)

فالآن يصبح دم المسيح هو المبرِّر الشرعي الوحيد، وهو بذاته سبب **«برِّ الله» وأساسه قانونياً**، ونحن نقول **قانونياً** على أساس أحكام الدينونة العتيدة أن تكون في يوم الغضب فيما يخص هذا الدم:

+ «من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة، فكم عقاباً أشرَّ تظنون أنه يُحسَبُ مستحقاً مَنْ داس ابن الله وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً.» (عب١٠: ٢٨و٢٩)

أي أن الدم الذي يبرِّر الآن هو بذاته الذي سيدين.

«نخلص به من الغضب»: σωθησόμεθα (فعل مستقبل)

يلاحظ في لاهوت ق. بولس أن الخلاص يأتي عنده في الماضي وفي المضارع وفي المستقبل:

+ في الماضي:

«لأننا بالرجاء **خلصنا** ...» (رو٨: ٢٤)

+ في المضارع الدائم:

«ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم **مخلَّصون**.» (أف٢: ٥)

«لأنكم بالنعمة **مخلَّصون** بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله.» (أف٢: ٨)

+ في المستقبل:

«**نخلص** (في المستقبل) به من الغضب ... نخلص (في المستقبل) بحياته.» (رو٥: ٩و١٠)

«لأن كل مَنْ يدعو باسم الرب **يخلص** (في المستقبل).» (رو١٠: ١٣)

«إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو **فسيخلص** ولكن كما بنار.» (١كو٣: ١٥)

فالخلاص حالة «حياة»، حياة ذات مواصفات أخلاقية خاصة تبدأ يوم يبدأ **فعل الإيمان** في الحياة وتستمر وتمتد ولا نعرف لها نهاية، لأن المفديين والمُخلَّصين في السماء يزدادون في كل شيء، فلكل وقت وزمان «خلاص». فمنذ أن وُلد المسيح وُلد الخلاص وهو مستمر ودائم في السماء: «وسمعتُ صوتاً عظيماً قائلاً في السماء **الآن صار خلاص** إلهنا وقدرته وملكه **وسلطان مسيحه** لأنه قد طُرح المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً.» (رؤ١٢: ١٠)

إن الخلاص الذي صنعه الله مع الإنسان فعل حركي فعّال بدأ يوم الصليب ولن ينتهي أبداً.

٥: ١٠ **«لأنه إن كنا ونحن أعداءٌ قد صُولِحْنا مع الله بموتِ ابنِه، فبالأَولَى كثيراً ونحن مُصالَحُون نخلُصُ بحياتِه».**

«صولحنا مع الله»: κατηλλάγημεν τῷ θεῷ

يهم جداً أن نعرف بل وأن نثق أن الله لا يعادي أحداً، كما أن الله لا يغضب على أحد، فالله محبة، ولكن الإنسان هو الذي يقع من الله موقع العداوة ويضع نفسه موضع الغضب (أنظر شرح الآية ١: ١٨ صفحة ١٦٠ـ١٦٢ عن الغضب). لذلك حينما يأتي موضوع المصالحة، فالله لا يتصالح معنا بل نحن نتصالح مع الله، نحن الذين ننهي حياة العداوة مع الله. لذلك تحتم وجود

الوسيط المُصالِح بين الناس والله، **وقد جاء المسيح وصنع الصلح من جهتنا مع الله** بأن أرضَى وجه الله بطاعته وبذله لنفسه حتى الموت ليفك عداوتنا التي صنعتها خطايانا وتعدياتنا على وصايا الله (إش٥٩: ٢):

+ «ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح.» (٢كو٥: ١٨)
+ «أي إن الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة.» (٢كو٥: ١٩)
+ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداءً في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن.» (كو١: ٢١)

ولو أن الله هنا هو صاحب المبادرة للمصالحة، ولكنه أرسل ابنه في جسد إنسان ليتكلم باسم الإنسان وليسترضي وجه الله ببره وهو حامل جسد الإنسان، بل ويقدم ذبيحته الكفَّارية بجسده الذي هو جسدنا وباسمنا وكأنه رئيس كهنتنا.

على أن عداوتنا لله لم تكن عداوةً شكلية أو أدبية بل عداوة **فكر وعمل**: «وأنتم الذين كنتم قبلاً **أجنبيين وأعداءً في الفكر في الأعمال الشريرة** قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه» (كو١: ٢١و٢٢). فالعداوة هنا قائمة على ثلاث ركائز:

الركيزة الأُولى: أننا كنا أجنبيين عن الله لسنا من شعبه ولا من خاصته، وهو بالتالي متغرب عنا بقدر تغربنا عنه.

الركيزة الثانية: الفكر، أي كل تصورات قلب الإنسان، كانت شريرة (تك٦: ٥) وتمثل الجزء الفطري من العداوة.

الركيزة الثالثة: الأعمال الشريرة. هنا العداوة أصبحت تحدِّياً مباشراً لشخص الله ووصاياه بأعمال تسيء إلى الله والناس.

وق. بولس هنا يصوِّرنا ونحن في حالة العداوة هذه، حيث تقدَّم الله بمبادرته بإرسال ابنه وإظهار بره بموته من أجلنا ليرفع منا سبب الغربة والعداوة بالفكر والعمل ويقرِّبنا إليه ويصالحنا بأبيه.

«فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته»:

التركيز هنا يجيء على عمل **حياة المسيح**. وهذا الأمر يمثل كشفاً خطيراً لجزء هام من عمل

الخلاص يغيب عن كثيرين وهو «حياة المسيح» الآن!!

فالقديس بولس في تسلسله السابق للآيات قدَّم:

١ ـ المسيح **مات** لأجل الفجَّار.
٢ ـ ونحن بعد خطاة **مات** المسيح لأجلنا.
٣ ـ ونحن متبررون الآن **بدمه** نخلص به من الغضب.
٤ ـ ونحن أعداء صولحنا مع الله **بموت** ابنه.

يلاحظ هنا أن هذه العناصر الخاصة بعمل بر الله في المسيح تركَّزت في **موته وفي دمه. والسؤال الآن: وأين حياته** أو ما هو عمل حياته؟ وهل انتهى إظهار بر الله في المسيح بموته وسفك دمه فقط؟

هنا يستعلن لنا ق. بولس الجزء المنسي من عمل بر الله وعمل الفادي بعد أن أكمل فداءه وهو عمل حياته الآن!! فالقديس بولس لكي ينبِّه ذهننا إلى علو شأن حياة المسيح من جهة تكميل عمل بر الله فينا أو عمل الخلاص عموماً يقول: إن كان موت ابنه صنع صلحاً مع الله (أبيه) فماذا تكون حياته؟ حيث التركيز هنا ولأول مرة على اقتران الموت **بالابن** لكي يُظهر أن علاقة الابن بالآب هي قوة موته.

ق. بولس يرد: «فبالأولى كثيراً ونحن مُصالَحون نخلص بحياته». هنا بالتالي يكون التركيز على حياة الابن أمام أبيه كقوة خلاص.

فقول ق. بولس: **«نخلص بحياته»**، يحمل في خلفيته القيامة من الأموات، ولكن يتجه مباشرة إلى حياة الابن الآن مع أبيه وفي المجد. الأمر هنا يدخل في البلاغة المنطقية أننا بموت المسيح نخلص فنصير في صلح مع الله! فكم بالحري ـ بحياة المسيح الآن ـ ونحن مخلَّصون ومصالَحون؟ إلاّ مزيداً من الخلاص ومزيداً من الصلح والقُرْبَى بديمومة أبدية؟ والآن عودة أخرى للمقارنة، فإن كنا ونحن أعداءٌ وأموات بالذنوب والخطايا أظهر الله محبته لنا وأحيانا مع المسيح وصالحنا به، فماذا الآن من جهة محبة الله وفعلها من أجلنا والابن المحبوب حيٌّ يتراءى أمام وجه أبيه الآن في مجده ونحن أيضاً مصالحون؟

ق. بولس يقول إننا **نخلص بحياته**، وهذا يشمل حتماً الامتداد بالخلاص الذي تم لنا بموته، أي أنه بحياته يمتد خلاصنا إلى تمام التمام:

+ «وأما هذا (المسيح) فمن أجل أنه **يبقى إلى الأبد له كهنوت (شفاعة) لا يزول** فمن ثم يقدر **أن يخلّص أيضاً إلى التمام** الذين يتقدمون به إلى الله **إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.**» (عب٧: ٢٤و٢٥)

ولا ينسى القارىء هنا أن خبرة ق. بولس الحيّة وإيمانه الحار المتدفق بالمسيح بدأت بالمسيح الحي من السماء الرب المحيي. رآه في أعظم قوته ومجده وانتصاره في السماء، **حيث تدفقت في ق. بولس تيارات جارفة من حياة المسيح المقام والممجّد وفي الوجه الأكثر لمعاناً من الشمس.** القديس بولس عرف الخلاص في حياة الرب المقام، وامتلأ بنعمة حياته حتى صرّح: «لي **الحياة** هي المسيح» (في١: ٢١)، «المسيح **يحيا** فيَّ.» (غل٢: ٢٠)

وبكل صراحة واتضاع نقول إنها خبرة إيمان تعوزنا، ونحن في أشد الحاجة إلى التعرف على المسيح **الحي** أو حياة المسيح التي لها قوة تكميل الخلاص حتى التمام، لأن حياة المسيح أصبحت هي قوة الحياة في الخلاص لنا:

+ «فنحن أيضاً ضعفاءُ فيه لكننا **سنحيا معه بقوة الله** من جهتكم.» (٢ كو١٣: ٤)
+ «فوضع يده اليمنى عليَّ قائلاً لي: لا تخف أنا هو الأول والآخر، **والحي وكنت ميتاً، وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين** آمين، ولي مفاتيح الهاوية والموت.» (رؤ١: ١٧و١٨)

وفي عرف القديس بولس أن موت المسيح إن كان هو الذي أنشأ فينا قوة موته للخلاص، فشركتنا في آلامه وموته تنشىء فينا قوة حياته:

+ «لأننا نحن الأحياء **نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً** في جسدنا المائت.» (٢ كو٤: ١١)

١١:٥ **«وليسَ ذلكَ فقط بل نفتخرُ أيضاً بالله بربّنا يسوعَ المسيح الذي نِلْنا به الآنَ المُصالَحةَ».**

«وليس ذلك فقط»:

تعود على كل ما سبق، أي محبة الله التي تُرجمت إلى فداء وخلاص وصلح وحياة في المسيح، هذا كله يُضَاف إليه أننا صرنا في موضع الافتخار بمحبة الله التي صارت لنا في المسيح يسوع إن بموته أو بحياته، هذا الذي نلنا بواسطته الصلح الدائم مع الله.

«الآن»: νῦν

تفيد حالتنا الحاضرة التي بلغنا فيها ملء المصالحة مع الله. وهي تتصل مباشرة بالآية: «الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان **إلى هذه النعمة "التي نحن فيها مقيمون" ونفتخر على رجاء مجد الله**» (رو٥: ٢)، «لأنه يقول في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم خلاص أعنتُك. هوذا **الآن وقت مقبول،** هوذا **الآن يوم خلاص.**» (٢ كو٦: ٢)

وهكذا وبرؤية شاملة نرى معنى التبرير الذي أظهره الله لنا في شخص ابنه يسوع المسيح ميتاً وقائماً من الموت:

+ «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢١و٢٢)
+ «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله.» (رو٥: ١)
+ «صار لنا الدخول بالإيمان ــ ببر الله ــ إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون.» (رو٥: ٢)
+ نفتخر في الضيق إذ أصبح الضيق ونحن في نعمة الله هذه ينشىء فينا رجاءً لا يخزى.
+ «محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا.» (رو٥: ٥)
+ «أظهرت محبة الله لأننا ونحن أموات بعد بالخطايا مات المسيح لأجلنا.» (أنظر رو٥: ٨)
+ وإذ قد تم لنا التبرير بدم المسيح نثق أننا قد خلصنا من الغضب يوم الغضب.
+ ونحن مُصالَحون الآن مع الله يتحتم أن يكمل خلاصنا بحياة المسيح الحي القائم يشفع فينا أمام الآب.
+ نفتخر بالله وبالمسيح الذي نلنا به المصالحة.

[٥: ١٢–٢١] من العبودية تحت خطية آدم
إلى الحرية ببر المسيح

+ «كأنما بإنسان واحد دخلت **الخطية** إلى العالم وبالخطية الموت ... حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة **بالبر** للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.» (رو٥: ١٢و٢١)

دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وعلى نفس الدرب والطريق دخل المسيح إلى العالم فأنشأ النعمة والحياة عوض الخطية والموت. ويلذُّ جداً للقديس بولس أن يرى أنه كما بإنسان واحد – آدم – دخلت الخطية ودخل الموت إلى العالم، كذلك بإنسان واحد يسوع المسيح الذي دخل العالم رُفع الموت فرُفعت الخطية.

كان العالم كنسل لآدم يسير منحدراً في طريق الهاوية لنهاية مرعبة مثقَّلاً بخطايا تزداد شناعة بمرور الزمن، فكان الزمن ضد الإنسان وهو يسرع به نحو الهلاك. وإذ بالمسيح يولد على هذا الطريق المنحدر وفي لحظة من زمان الإنسان عينه وتحت ثقل الخطايا عينها، ولكن كونه ابن الله الحامل للحياة الأبدية والمحمَّل بأثقال مجد الله وبرّه الفائق المنزه عن كل خطية، نزل تحت ثقل كل خطايا العالم وبقوته الفائقة حملها على كتفيه، وجرَّ الإنسان وراءه صاعداً في ذات طريق الرعب والهاوية التي انحدر إليها الإنسان هذه الآلاف من السنين، ليعبرها كلها ويلقيها وراء ظهره ويتعادل مع الزمن ثم يلغيه ليكتب للإنسان زمنه الجديد، زمن الصعود والعودة إلى الله، زمن الحب عوض اللعنة، زمن الخلاص والتهليل عوض العبودية والنحيب، زمن الحياة الأبدية عوض الموت.

صحيح أنها خطية واحدٍ – آدم الإنسان الأول – ولكن الخطية ارتبطت بالطبيعة، وسلَّم آدم لذريته الطبيعة التي زلَّت وأخطأت وفقدت نعمة وجودها في حضرة الله وفارقتها النعمة الحافظة والمدبِّرة، فصارت مُستهدفة للموت ولمن له سلطان الموت. آدم لم يُسلِّم خطايا بأي نوع كانت، ولكن سلَّم طبيعة مستهدفة للخطية لأنها فاقدة النعمة وفاقدة الحفظ والتدبير الإلهيين، قابلة لكل خطية وقابلة للموت لأنها فاقدة للحفظ والنعمة معاً. وكان الموت الجسدي هو الصورة المنظورة للموت الروحي، فانطراح الجثة على الأرض منتنة هي صورة حزينة جداً وكئيبة للغاية، ولكنها طبق الأصل من انطراح النفس والروح من حضرة الله ومن سماء نعمته فاقدة لرائحة نعمته الذكية.

وهذه الأجيال التي توالدت آلافاً ثم ملايين ثم ملايين الملايين، لم تَزِدْ في عين الله عن كونها صورة آدم وطبيعة الإنسان التي سقطت من أمام وجهه، فالكثرة الكثيرة لم تكن إلاّ تفتتاً أصاب الصورة الواحدة. وهذه الكثرة المتفتِّتة هي مجموعة، في رؤية الله، إلى صورة واحدة لم تزد عن كونها تشوَّهت، ولكنها لا تزال حاملة لطبيعتها الواحدة لشخص آدم، ولكن تحت تعدد أسماء وأشكال وألوان. الكل يحمل الخطيئة والموت، ولكن لكل واحد خطاياه ذات الأشكال والألوان المتعددة والخطية واحدة والموت واحد!

خطية آدم أنه مدَّ يده إلى ما لا يحل له تحت إغواء ومكر الشيطان وتزييف الحقائق والاستهانة بتحذيرات الله، وخطية كل ابن لآدم وُلد له على الأرض هي هي بعينها: يمد يده إلى ما لا يحل له تحت غواية الحية القديمة والجديدة، فتسري فيه اللعنة والموت كما سرت اللعنة والموت في أبيه الأول. فالطبيعة هي بعينها الطبيعة الساقطة، ومع اللعنة والموت الفساد والفناء، أجيال وراء أجيال. فالإنسان مهما تكاثر وتعددت فروعه فهو أصل واحد، وعلى الأصل وقع التشويه فحملت الفروع صورة الأصل، هذا هو قانون الطبيعة؛ لا لأن الخطية صارت جزءاً من طبيعة الإنسان، فهذا محال، ومحال لأن طبيعة الإنسان خُلقت أصلاً على صورة الله، وصورة الله منزَّهة عن أن يكون في أصلها الخطية والفساد. فالله خلق الإنسان أصلاً على الخلود، ولكن الطبيعة البشرية تقبَّلت الخطية كعنصر فساد دخل خلسة في تكوينها فأورثها الموت والفساد، والموت والفساد ليسا هما على مستوى الجينات أي مكونات الخليقة في التوريث، ولكنهما عنصران يتحكمان في الطبيعة البشرية ككل، وهذه هي اللعنة تماماً. هذا كان بمقتضى حكم **دخل تحته الإنسان بحرية إرادته** وبالرغم من تحذير الله. وبصدور الحكم بالموت والفساد، انقطع ما كان للإنسان من صلات وثيقة بالله من طرف واحد وهو الإنسان. وكان هو الغضب منتهى الغضب الذي دخل الإنسان تحته وكان هو العقوبة والتأديب معاً.

وهكذا دخلت الخطية إلى العالم تحمل في بطنها الموت، وكلُّ مَنْ وُلِدَ منها كان مآله إلى القبر.

ولا تقل هذا ظلم، فالله ليس بظالم قط ولكنه حكم التأديب والتهذيب الذي كان يتحتم أن تدخله الطبيعة البشرية لتتهذَّب، لتصلح في حالة تأدُّبها للقداسة، فترتفع فوق مستواها لتصبح طبيعة الإنسان بالنهاية أقرب إلى طبيعة الله وتتحصَّن من السقوط والموت إلى الأبد.

ولكن ليس أبناء آدم معفيين من اللوم حينما يقعون تحت الموت وهو عقوبة كانت في الأصل

على الأصل أي على آدم، لأن الكل أخطأ وأخطأ بإرادته بل وبحرية إرادته. هذا ما يستشعره كل إنسان صادق مع نفسه. فكل إنسان يعرف الخير والشر ويعمل الشر بإرادته، وكأنه مجبر وهو ليس مجبراً قط، وهذا مما يزيد الإنسان سخطاً على الخطية وعلى الطبيعة التي تشتهي الخطية، وذلك كله حتى يرفع الإنسان وجهه نحو الله ليطلب الخلاص والحرية ويطلب الرحمة والقرب من الله. وليس هذا نداءً غريباً عن طبيعة الإنسان، فطبيعة الإنسان تحنُّ إلى أصلها وترنو إلى المصدر الذي انحدرت منه وتتوق إلى الالتصاق به.

والله لما وضع الناموس لموسى، قصد قصداً أن يكشف كل هذه الانفعالات داخل الطبيعة البشرية، ليدرك الإنسان أنه يعرف الخير والشر وأنه يفعل الشر بإرادته بل ولا يستطيع إلاّ أن يفعل الشر مهما أراد الخير ومهما تاقت نفسه إلى الصلاح، ليدرك الإنسان الخطية وماهية الخطية وما جلبته الخطية عليه وعلى آبائه من قبله، لكي يطلب الخلاص من الله مجاناً ورحمة من عند الله وقُرْباً.

لقد طرح الله الناموس ليستنفذ كل طاقة الإنسان في المحاولات لبلوغ رضى الله، ليرى نفسه في النهاية أنه بهذا الناموس عينه ازداد توغلاً في الخطية، وفي الطريق حاول أن يسترضي نفسه لا الله، بل واستطاع أن يخطف كرامة الله بادّعائه البرَّ وهو سارقٌ لبرِّ الله، وانتهى إلى نفس خطية أبيه آدم إذ وجد أنه يريد التألُّه اختطافاً وبمعونة الخطية والشيطان تحت غطاء أعمال الناموس والبر والتقوى.

وهكذا تساوى الخطاة الغارقون في خطيتهم والمتسفِّلون بفجورهم مع الأتقياء الأدعياء الأوصياء على الناموس والقائمين القوَّامين على تعليم برِّ الله سواءً بسواءٍ، ليثبت الله للإنسان أن الطبيعة البشرية تتساوى في جميع أبناء آدم من جهة معرفة الخير والشر والنزوع إلى الشر والتوغُّل فيه مهما أُعطيَت الأدوات لمحاولة ردع الإنسان عن الانجذاب للخطية والتعبُّد لها؛ ليصرخ الإنسان صرخته الأخيرة بفم ق. بولس: «ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت.»!! (رو٧: ٢٤)

وبالنهاية وبعد أن تهذَّب هكذا الإنسان بالناموس، وتأدَّب وعرف مَنْ هو وما هي الخطية، لا يستطيع أحد بعد سواء بالناموس أو خارج الناموس أن يقول إني أُعاقَبُ على خطية غيري أي آدم، بل قانون الله يبقى عالياً شامخاً أن مَنْ أخطأ يموت: «**النفس التي تخطىء هي تموت**» (حز١٨: ٤)، «**لأن أجرة الخطية هي موت**» (رو٦: ٢٣). صحيح أن الناموس عرَّف الموت برجم الجسد ولكن وراء رمز الناموس يقف القانون الأخطر وهو الموت الروحي بالتغرب عن الله: «**إني لا أبرر المذنب**» (خر٢٣: ٧)، «**مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي**» (خر٣٢: ٣٣). وقد

وُجد أن: «الجميع زاغوا وفسدوا معاً» (رو٣: ١٢)، و «ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو٣: ١٢)، و «أغلق على الجميع معاً في العصيان.» (رو١١: ٣٢)

نحن لم نرث الخطية من آدم، بل ورثنا طبيعة لها خبرة الخطية وجانحة نحو الخطية، عليها حكم الموت لأنها فقدت نعمة الوجود مع الله ففقدت رعاية الله وحفظه وعنايته وتدبيره، فالتهمها الموت وَوَرَثها الفساد!!

وبولس الرسول لا يمر على هذه الحقائق إلاّ وصولاً للمسيح، فهو لم يستغرق في شرحها بل أسرع ليبلغ بها إلى المسيح.

وبينما تقف البشرية وقفة واحدة محكومة بالموت تحت سلطان الخطية، حائرة بلا أي بصيص من رجاء حتى بعد الناموس، يظهر برُّ الله فجأة من السماء وعلى الأرض بآن واحد؛ إذ بالطبيعة البشرية تظهر في واحد آخر غير آدم تماماً، مع أنه من نسله، يحمل طبيعته تماماً مع أنه يحمل طبيعة الله فيها وملئها، بلا خطية أصلاً وفرعاً. وبعكس ما أتاه آدم مع الله قديماً قدَّم المسيح له الطاعة في منتهاها والخضوع لكل وصاياه، ومع أنه أعلى شأناً من آدم بسبب لاهوته الذي يملأ جسده البشري إلاّ أنه أخذ عمل العبد وأطاع الله حتى الموت موت الصليب. وبذلك فإنه بقدر ما أخطأ آدم في حق الله، قدَّم المسيح المجد كل المجد: «أنا مجَّدتُك على الأرض» (يو١٧: ٤)، وكل ما دمَّره آدم في خلقته وعلاقته بالله استعاده المسيح وصحَّحه وصالحه.

ولكن الله لم يرسل المسيح ليُصلِحَ ما أفسده آدم بل ليحمل طبيعة الإنسان، ليرتقي بها إلى فوق الإنسان فغرس فيها النعمة عوض الخطية، ووهبها روح الحياة الأبدية والقداسة لتقوى على سلطان الموت وتدوسه. وهكذا صار الربح الذي نالته طبيعة الإنسان بالمسيح أعظم بما لا يُقاس من الخسارة التي خسرتها في آدم.

وتاريخ الإنسان الذي كان ينحدر بسرعة نحو الفناء، انقلب صعوداً ليؤرخ للخلاص والحياة الأبدية: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات.» (في٣: ٢٠)

١٢:٥ «**من أجل ذلك كأنَّما بإنسانٍ واحدٍ دَخَلَت الخطيةُ إلى العالمِ وبالخطيةِ الموتُ، وهكذا اجتازَ الموتُ إلى جميعِ الناسِ إذْ أخطأَ الجميعُ**».

هذه الآية مترتبة على ما فات. فالقديس بولس يريد أن يقول: على وزن المحمول والمحمول عليه:

كما أن بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، إلخ ... كذلك بإنسان واحد دخل البر وبالبر الحياة! إلخ ...

وقد قالها نصاً بعد ذلك في الرسالة الأولى إلى كورنثوس هكذا:

+ «فإنه إذ الموت بإنسان؛ بإنسان أيضاً قيامة الأموات.» (١ كو١٥: ٢١)

+ «لأنه كما في آدم يموت الجميع؛ هكذا في المسيح سيُحيا الجميع.» (١ كو١٥: ٢٢)

ولكن ق. بولس انشغل بالمحمول عليه (آدم) وترك المحمول (المسيح) إلى النهاية بسبب الاستطراد في وصف أعمال آدم.

ولكن هنا أيضاً وفي هذا الأصحاح، إذ بعد أن استطرد فيما حدث لآدم، عاد في الآية (١٨) ليوضح الأساس الذي أراد أن يبني عليه المقارنة:

+ «فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة؛ هكذا ببرٍّ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.» (رو٥: ١٨)

وق. بولس يريدنا أن ندرك كيف أتانا بر الله، ففي النصف الأول لهذا الأصحاح أوضح ما هي حياة التبرير عملياً وهنا في النصف الآخر يوضح تاريخ دخول الخطية إلى العالم أو في الحقيقة إلى الطبيعة البشرية، وكيف وبأية قوة اقتلعها المسيح من طبيعة الإنسان مع تقديم مقارنة بين دخول الخطية والموت ودخول النعمة والحياة.

«إذ أخطأ الجميع»:(٢)

هنا الأمر الهام والخطير في الآية الذي انقسم فيه الشراح إلى مَنْ يقول أن **الناس تعدُّوا في حياتهم الخاصة الفردية، وإلى مَنْ يقول أن الكل تعدُّوا لما أخطأ آدم أو في خطية آدم.**

---

(٢) هذا الأمر شغل بال الأجيال وانقسم الكل في فهمه وشرحه، وقد انحرفت الأفكار عن الفهم الصحيح فتولدت ثلاث هرطقات خرجت بضامين ضارة بالإيمان والعقيدة، ومفسدة في المجال الأخلاقي والسلوكي واللاهوتي أيضاً. وقد قام العالم البحَّاثة فيليب شاف(*) بعمل بحث كبير في هذا الموضوع لم نشأ أن نربك فكر القارىء بالأفكار الخاطئة الواردة به، لأن نظريتنا دائماً هي تقديم الإيجابيات للقارىء لينتفع بها في حياته وليس مبدأنا تقديم علوم ومعارف نحشو بها عقول الناس، قد يرسخ الخاطىء منها خلسة في فكر القارىء فيضر أكثر ألف مرة مما ينفع.

الهرطقة الأُولى تقوم على حتمية الخطية باعتبارها خِصْلة طبيعية في الطبيعة، أي صفة جوهرية في طبيعة الإنسان ويقول بها جماعة المؤمنين بتأليه الكون، أي وحدة الله والكون وهذا خطأ وبيل. =

(*) Philip Schaff (Lange) Romans pp. 191-195. Cited by International Revision Comm. Ep. to Rom. by M.B. Riddle p. 88.

والحقيقة أن القول الأول ناقص والقول الثاني ناقص أيضاً، والفكر الصحيح هو كما قاله ق. بولس: **«إذ أخطأ الجميع»**، أي فعلوا بأنفسهم الخطية. فالخطية دخلت العالم ليس كعنصر طبيعي موروث في الطبيعة بل كعنصر **«طبَّاع»** يمكن التحكم فيه إلى حد ما. كذلك الموت دخل العالم وساد بسيادة الخطية ولكن سيادة الموت ليست حتمية (جسدياً أو روحياً)، بدليل مَنْ أخذوا إلى السماء بدون أن يجوزوا الموت (الجسدي) كأخنوخ وإيليا، وبدليل مَنْ برَّرهم الله كإبراهيم وإسحق ويعقوب فلم يُعتبروا أمواتاً روحياً، لأن المسيح يقول إن الله ليس إله أموات بل إله أحياء في قوله عن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. فالجميع أخطأوا لأنهم لم يستطيعوا أن لا يخطئوا وليس لأنهم حتماً كانوا لابد أن يخطئوا، وإلاَّ كيف يُدانون عن خطايا وُضِعَ عليهم حتمية صنعها؟ هنا عدل الله لا يجد له مقراً، ويُلام قضاء الله وحاشا. لأنه يستحيل أن يدين الله إنساناً أخطأ بدون إرادته. فالكل أخطأ بإرادته، ولهذا يحق لله أن يدين.

= **والهرطقة الثانية** ويقول بها جماعة بلاجيوس ويحللون خطية آدم إلى أن يبلغوا بها إلى التهوين منها، ويجعلونها حدثاً تافهاً لا تخرج عن كونها عدم طاعة صبيانية كانت في جملتها لا تزيد عن نموذج سيىء ليس إلا، وهذا شر مُستَطِير.

والهرطقة الثالثة وهي التي يقول بها أفلاطون وأوريجانوس الإسكندري وتقوم على أساس سبق وجود النفس البشرية على خلقة الجسد، وقد قاومها الآباء وشجبوها.

أما المحاولة الرابعة فقدمها القديس أغسطينوس ويسمونها النظرية الواقعية ويقول بالصلة الكائنة بين آدم ونسله وقت الخطية وأن بخطيته الفردية أفسد الطبيعة البشرية وسلَّمها لنسله فاسدة وآثمة **فصار بواسطتها شركة لاشعورية ولاشخصية بين آدم وكل نسله في نفس الخطية، أي خطية آدم.** لذلك فإن خطأ أغسطينوس غير متعمَّد في شرح ما جاء في الآية (١٢) في قول ق. بولس: «وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس "إذ" أخطأ الجميع» ἐφ' ᾧ πάντες ἥμαρτον فجعلها: «فيه أخطأ الجميع». ولكن قول ق. بولس واضح أن الجميع أخطأوا ونتيجة خطأهم دخل الموت. والعذر لأغسطينوس في هذا الانحراف بالمعنى واضح لأن «إذ» جاءت باللاتينية = in quo وهي قد تفيد «وفيه» (Barrett, p. III n.1)، حيث كان يرجع إلى الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) في كتاباته.

وأخيراً النظرية الفدرالية (التضامنية الاتحادية) (الفدرال Federality وتعني تضامن أو معاهدة)، والتي قال بها أول من قال هم الهولنديون وأخذ بها مجمع وستمنستر في إنجلترا؛ وفيها يعتبر آدم بمثابة كاهن البشرية أو ممثل البشرية على المستوى الكهنوتي، وأساس التضامن هو **من طرف واحد**، وهو آدم. وبنود التضامن تقوم أساساً على العمل في مقابل تضامن النعمة عند المسيح. وهكذا فالمفروض في آدم أن يمارس مهنته ككاهن للبشرية عن كل البشرية التي ستتبعه أو تتسلسل منه، حتى إن أي عمل يعمله ـــ سواء طاعة الله أو عصيان الله، مع كل ما يترتب على هذا العمل ـــ يحتسب أنه لهم جميعاً؛ كما حدث في المسيح إذ أن بر آدم الثاني احتُسب أنه لشعبه، أي أتباعه، أي المؤمنين به. وهنا نتوقف لأن لنا اعتراضاً شديداً على هذه النظرية. لأن التوازي بين عمل آدم في الشر لا يمكن أن يقوم أمام الذي عمله المسيح في إظهار بر الله بأي حال من الأحوال، لأن المسيح لم يأتِ ليصلح ما أفسده آدم؛ بل جاء ليغيِّر الطبيعة البشرية بجملتها، كما قال المسيح ليولد الإنسان من جديد. فلا توازٍ على الإطلاق بين ما أفسده آدم وما عمله المسيح. كذلك يستحيل التوازي بين ما ورثناه نحن من آدم في الخطية وما ورثناه من المسيح في برِّ الله، لأن الأول أخذناه في طبيعتنا والثاني أخذناه فوق الطبيعة من طبيعة الله.

كذلك، كما سبق وقلنا، فإن الخطية ليست عنصراً موروثاً في الطبيعة البشرية التي سلّمها آدم لأولاده، ولكنه سلّم طبيعة انفتحت على الشيطان وأصبحت مُستهدَفة لكل حيله ومؤثراته بالفكر أولاً ثم الحواس جميعاً. فهنا احتمال الخطية وارد ولكن ليس حتمياً.

كذلك آدم لم يسلّم الخطية لأولاده كفعل من الأفعال يمارسونه هو بعينه عن حتمية واضطرار ولكنه سلّم طبيعة عارفة بالخير والشر، ومعرفتها للشر هي التي تجرُّها لعمله وليس لديها القوة لمقاومته، لأن قوة مقاومة الخطية **هي قوة نعمة الله** التي فقدها آدم حينما طُرد من أمام وجه الله. فآدم ورَّث طبيعة فاقدة للنعمة مُستهدَفة لإغراء الخطية. كذلك استُعبد أولاده للخطية والشر، ولا عذر للإنسان، لأنه بإرادته ومعرفته يخطىء، ولا لوم على الله، **لأن النعمة ليست حقاً من حقوق طبيعة الإنسان. والإنسان ـ آدم ـ فقدها بإرادته!!! من هنا فالأطفال لهم طبيعة ليست شريرة ولكنها فاقدة للنعمة، لذلك فهي طبيعة قابلة للموت.**

وفرق بين حالتين: حالة إنسان يخطىء أي يتعدى ـ بالأعمال ـ ويموت فيُحسَب له الموت الجسدي عقوبة، لأن الموت الجسدي هو عقوبة جسدية لأعمال الخطية، أي التعدي بالجسد؛ والموت الجسدي هو الصورة المنظورة للعقوبة الروحية غير المنظورة وهي الموت الروحي، أي الانفصال عن الله، فالذين يُعاقَبون ظاهرياً بالموت الجسدي ثمناً لخطاياهم التي عملوها يتبعه موت روحي غير منظور وهو العقوبة الحقيقية.

أما الحالة الأخرى، أي الذين يموتون وليست لهم أعمال خطية ـ تعدٍّ ـ كالأطفال، فالموت الجسدي لا يُحسب عقوبة، وبالتالي لا يكون لهم موت روحي: «أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم إن ملائكتهم في السموات **كل حين** ينظرون وجه أبي الذي في السموات» (مت١٨: ١٠). ونفس الأمر مطبَّق كما يقول ق. بولس بعد ذلك على الذين ماتوا من آدم إلى موسى (رو٣: ٢٥)، لأنهم ماتوا دون أن يكون عليهم ناموس ولا معرفة للتعدي فلماذا ماتوا، والجواب ماتوا لأن الطبيعة البشرية أخذت حكماً عاماً بذلك. **ولكن الموت يكون عقوبة فقط على التعدي،** وهؤلاء لم يخطئوا بالتعدي، فالموت لهم لم يكن عقوبة بل انتهاء فترة اختبار وحياتهم محفوظة لهم في السموات، لأنه «ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (مت٢٢: ٣٢) في قوله عن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. وق. بولس يتكلم عنها كالآتي:

أولاً: المثل وقد جاء في (رو٥: ١٣): «على أن الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموسٌ، لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي.» (رو٥: ١٣و١٤)

ثانياً: الحكم بمقتضاهم: «الذي قدمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه **لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله**» (رو٣: ٢٥). لشرح هذه الآية في هذا الموضع أنظر صفحة ٢٢٣و٢٢٤ (الأصحاح الثالث).

وهنا لا يَحسِب لهم الله الموت عقوبة بل انتقالاً على أساس أن خطاياهم دخلت تحت الصفح، لا بمقتضى ناموس بل بمقتضى إمهال الله، إلى حين استعلان بره لهم.

«بإنسان واحد»:

يقصد آدم (آية ١٤). ويلاحظ أن ق. بولس لا يذكر حواء، لأن آدم هو الذي استلم الوصية وكان هو أصل ورأس المرأة، وقد كسر الوصية. فإن كان قد امتنع آنئذ عن أن يأكل ويكسر الوصية، ما كان نسله قبلوا الخطية.

كما يلاحظ أن ق. بولس لم يذكر الشيطان هنا لأن ق. بولس يتتبع أثر الخطية وتدرُّجها ولا يبحث في أسبابها.

«الخطية»: ἁμαρτία هومارتيا

وهنا يلاحظ أن الخطية شيء والتعدي شيء آخر παράπτωμα، وهنا يوردها ق. بولس معرَّفة بالألف واللام كعنصر مشخَّص مرعب امتدت سيادته على العالم. وإليك تعبيرات ق. بولس عن الخطية كشخص له وجود وفعل:

+ «ملكت الخطية في الموت» (رو٥: ٢١) = تملَّك كملك.
+ «الخطية لن تسودكم (تتسيَّد عليكم) κυριεύσει (من κύριος = سيد = Lord)» (رو٦: ١٤) = تصير سيداً على الإنسان.
+ «الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني» (رو٧: ١١) = فهي تخدع وتذبح!!
+ «لكي تظهر خطيةً منشئةً لي بالصالح موتاً» (رو٧: ١٣) = الخطية تذبح ليس بسكين؛ بل أيضاً بتزييف كلمة الله!!

وهكذا يفتح ق. بولس ذهننا على صورة الخطية كجبار مرعب لا حدود لتخريبه.

«دخلت الخطية إلى العالم»:

ق. بولس يقصد عالم الإنسان، وق. بولس بحسب فكره الواضح من كتاباته يبيِّن أن الشر كان موجوداً خارج عالم الإنسان قبل أن يخطىء الإنسان:

+ «يا الله العظيم الأبدي الذي خلق الإنسان على غير فساد. والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس، هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد».

(صلاة الصلح للقداس الباسيلي، مأخوذة من سفر الحكمة ٢: ٢٣و٢٤).

ولكن الشر كان محصوراً في عالم الملائكة، بدليل أن الشيطان، وهو المحسوب أحد الملائكة الساقطين، هو الذي سرَّب الخطية للإنسان ومنه إلى العالم. ولكن ق. بولس مرتبط بالتكلم عن عمل الخطية في عالم الإنسان.

«الموت»: ὁ θάνατος

قوة سلبية تسلب الحياة، مرافقة للخطية، وهي ترافقها وجوداً سلبياً، فأينما وُجدت الخطية وُجد الموت. وكلاهما قوة غريبة أصلاً عن طبيعة الإنسان. وقد وُجدا كلاهما معاً في الكتاب المقدس منذ التكوين (٢: ١٧). ويعتقد البعض أن الكلام هنا عن الموت الجسدي، ولكن في المقابلات بين الموت والحياة في الآيات القادمة (١٧و١٨و٢١)، يوضح أن الحياة حياة مع الله وهي حياة أبدية، وهذا المقابل يحتم أن يكون مقابله الموت الروحي، لأن الموت الجسدي هو عقوبة الجسد. ولكن الخطية تأثيرها الأخطر والأعظم هو على الروح، وهي أصلاً موجهة ضد الله، الذي نستمد منه حياة الروح. لذلك يكون الموت المذكور هنا هو موت الجسد والروح، وهو الموت الأبدي المرعب، وهو للجسد والنفس كليهما، والمعبَّر عنه بالموت الثاني:

+ «مَنْ له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس، مَنْ يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني.» (رؤ٢: ١١)

+ «مبارك ومقدس مَنْ له نصيب في القيامة الأُولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم.» (رؤ٢٠: ٦)

القيامة الأُولى هي الآن، وهي الإيمان بقيامة الرب من الأموات ويتبعها توبة وقبول روح الحياة في المسيح يسوع، بتجديد الطبيعة ونوال ترياق عدم الموت أي جسد الرب ودمه.

«وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار، هذا هو الموت الثاني. وكل مَنْ لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار» (رؤ٢٠: ١٤و١٥). هذا بعد تمام وكمال دينونة الأحياء والأموات ثم دينونة الشيطان. وهكذا ينتهي الموت من تعبيرات الأحياء عند الله، وينتهي وجود الهاوية أي مكان الأرواح المنتظرة يوم الدينونة.

ويلاحظ قول الله لآدم: «يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك٢: ١٧)، وبالرغم من ذلك لم يمت

مباشرة بعد أكله وكسره للوصية، وهذا برهان واضح أن **الموت كعقوبة عملية ممتدة** تحمل كل هذه الرواية التي نحكي عنها.

«إذ أخطأ الجميع»:

لشرحها أنظر ص ٢٧٢ هامش (٢).

ولكن يلزمنا هنا أن نضيف الاستطرادات التي أدخلها ق. بولس على موضوع «إذ أخطأ الجميع» في قوله:

+ **«إن كان بخطية واحد مات الكثيرون.»** (رو٥: ١٥):

فهنا ليست خطية آدم وحدها هي التي أماتت الكثيرين، بل لأن خطية آدم هي التي أخذ عليها آدم الحكم، والحكم صدر ضد طبيعة الإنسان التي دخلت تحت حكم الموت الزمني. ولكن الموت لم يدخل العالم بخطية آدم وحده بل **«إذ أخطأ الجميع»**، فخطية الجميع هي التي ملَّكت الموت عليهم. حسب القانون الإلهي: **«كل مَنْ يخطىء يموت»**، وليس كل من يولد من آدم يموت، فأخنوخ وُلد من آدم ولم يَذُقِ الموت، وإيليا وُلد من آدم ولم يذق الموت أيضاً. **وهذان كان واحد منهما قَبْل الناموس والآخر بعد الناموس!**

+ **«فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة»** (رو٥: ١٨):

هنا الخطية الواحدة لآدم هي التي صدر بسببها **الحكم على الطبيعة البشرية**، وبالتالي إلى كل ذي جسد لابن آدم الحامل لطبيعة آدم. الدينونة هنا هي المحاكمة أو القضاء بالإدانة، ولكن ليست خطية آدم هي التي ندخل بها الدينونة **بل طبيعة آدم**؛ وذلك سواء أن اشتركنا في خطية آدم أي التعدي، حيث الدينونة تؤدي إلى عقوبة، أو لم نشترك في خطية آدم كالأطفال البسطاء الأطهار، فلأنهم حاملون طبيعة آدم فهم يموتون بالحكم الصادر على الطبيعة. ولكن آدم أخذ الحكم على تعدِّيه، أما هؤلاء الأطفال فيسري عليهم الحكم دون تعدٍّ. لذلك سبق وقلنا إن الحكم هنا بالموت على الأطفال ليس كعقوبة، لأنها محاكمة لا تستوفي شروط الإدانة حيث لا معرفة ولا إرادة، ولا عمل بالتالي.

+ **«لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة»** (رو٥: ١٩):

هنا المعصية هي نفسها التعدي. **فمعصية آدم أو تعدِّيه على وصية الله أدخلت على طبيعته خبرة العصيان والتمرد على الله**، وهكذا سلَّم أولاده طبيعة مفتوحة على نفس الخبرة، خبرة العصيان على أوامر الله. وهكذا تسببت معصية آدم في انفتاح الكثيرين على الخطية، ولكن ليس تحت إلزام، فالطبيعة مفتوحة أي مُستهدفة للخطية، والإنسان يخطىء

بعد ذلك بإرادته وبالفعل وعن دراية فيكون مسئولاً عن خطاياه. فآدم سلَّم أدوات أو آلات الخطية في الطبيعة، ولكن لم يسلِّم فعل الخطية. وأدوات الخطية هي العين المفتوحة على الشر، والأذن واللسان والقلب، بل والفكر والضمير الذي يرضى بمشورة الشر ويتوافق مع الخطية، ولكن للإنسان سلطان عليها: «ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية ... كما قدَّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم.» (رو٦: ١٣و١٩)

ملاحظة هامة:

ليلتفت القارىء هنا إلى أن ق. بولس لا يقصد في هذه المقارنة بين آدم والمسيح في هذا الأصحاح أن يركِّز باللوم على آدم أو أن يعفي الخطاة من تحمُّل مسئولية خطيتهم. لأن الشُّرَّاح أخذوا بالحرف واعتبروا أن ق. بولس بأقواله المذكورة عاليه يهدف إلى أن الخطية الأصلية، أي خطية آدم، هي وحدها المسئولة عن خطايا الناس ودينونتهم، وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة التي شرحناها عاليه. ويعتمدون في ذلك على قول ق. بولس: «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١كو١٥: ٢٢). ويخرجون من هذا القول بأنه يتحتم أن تكون الآية بالتالي: [لأنه في آدم يخطىء الجميع]. هذا ما يقول به جميع العلماء، ويتساوى في ذلك كل من باريت وبروس وكايسمان وريديل وبولتمان والبقية، ويذكره جون موري بالحرف الواحد[٣] — وإن كان العالم جون نوكس لا يأخذ به[٤] — وفي الحقيقة إن هذا التخريج خاطىء وغير منسجم مع كل تعاليم بولس الرسول، لأن شرح: «في آدم يموت الجميع» لا يكون باعتبار خطية آدم بل «**طبيعة آدم**». فنحن لا نموت بخطية آدم بل نموت بطبيعة آدم وبسبب خطايانا!! كذلك فشرح ما يستخرجونه من الآية الأولى بقولهم: «لأن في آدم يخطىء الجميع» لا يكون معناه بأي حال أننا نخطىء في خطية آدم بل نخطىء بطبيعة آدم ولكن بإرادتنا نحن.

ولذلك فإن كل محاولات العلماء وإصرارهم في التمسك بأن الآية (١٢) من الأصحاح الخامس: «وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس **إذ أخطأ الجميع**»، تعني أنهم لم يخطئوا بإرادتهم أو بأعمالهم بل بخطية آدم، وبالتالي تكون عقوبة الموت هي منحدرة من آدم ليس إلاَّ، ولا علاقة لها بخطايانا، كل هذه المحاولات هي محاولة وإصرار غير واقعي ولا يتمشى مع مسئولية الإنسان عن خطاياه ويجعل الموت والدينونة التي وقع فيها الناس أمراً تعسفياً من الله، وحاشا.

والوحيد من العلماء الذي ألح إلى أنه بخطايانا وليس بخطية آدم نحن نموت، وإنما في صيغة

3. J. Murray, p. 187.
4. The Interpreter's Bible, vol. 9, p. 462f.

مدغمة، هو العالم لايتفوت[٥] إذ يقول: إن عقوبة آدم الذي سقط إنما تشمل من يتبعون آدم في خطيته أو مثل خطيته.

وقول ق. بولس يعارض ذلك التفسير بوضوح في هذا الأصحاح بالذات أن الدينونة جاءت **بخطية واحد** ولكن هبة المسيح للتبرير جاءت بسبب **خطايا كثيرة**: «لأن الحكم من واحد **للدينونة** وأما الهبة فمن جرَّى **خطايا كثيرة** للتبرير» (رو٥: ١٦)؛ هذا يعني أن تبرير الله لم يأتِ بسبب خطية آدم ولا أننا صرنا خطاة بخطية آدم، ولكن جاء ليرفع خطايا كثيرة نحن مسئولون عنها في طبيعتنا التي أخذناها من آدم، وهذا واضح من قول ق. بولس: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٥). فذنوبنا وخطايانا هي التي أوقعتنا في الموت الروحي وليس ذنب آدم وخطيته. والقديس بولس لم يقل "ونحن أموات في خطية آدم أحيانا مع المسيح".

٥: ١٣و١٤ **«فإنه حتى الناموس كانت الخطيةُ في العالم. على أن الخطيةَ لا تُحسبُ إن لم يكن ناموسٌ. لكن قد مَلَكَ الموتُ من آدمَ إلى موسى وذلك على الذين لم يُخطئوا على شبهِ تَعَدِّي آدمَ الذي هو مثالُ الآتي».**

القصد الأساسي للقديس بولس من هاتين الآيتين هو لكي يثبت أن «**الجميع أخطأوا**». فالخطية دخلت العالم في الطبيعة البشرية المنفتحة على الخطية، ولكن الخطية لم تحسب أنها تعدٍّ على مستوى تعدِّي آدم على وصية الله إلاَّ بعد مجيء الناموس. فكل الذين عاشوا من آدم إلى موسى أخطأوا ولكن دون أن يُحسبوا كمتعدِّين على وصايا إذ لم يوجد ناموس لهم. لذلك قيل: «**لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة**» (رو٣: ٢٥). أي للذين أخطأوا قبل الناموس مثل إبراهيم حيث يعمل فيهم بر الله بالمسيح بأثر رجعي، أي على الذين أخطأوا بدون ناموس، فلا يُحسبون متعدِّين مع أنهم أخطأوا. ولكن لكي يتضح أنهم أخطأوا نعلم أنهم ماتوا، ولكن موتهم هذا لم يُحسب لهم عقوبة حيث لا تعدٍّ حيث لم يكن ناموس، فهؤلاء شملهم برُّ الله بالمسيح. (أنظر شرح الآية ٣: ٢٥و٢٦ صفحة ٢١٨—٢٢٣).

أما كيف ماتوا، فليس هذا — كعقوبة — بسبب خطية آدم، بل لكونهم حاملين طبيعة قابلة للموت أنهت مهمتها على الأرض لتبدأ عملها في السماء: «إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا.» (عب١٢: ١)

5. Lightfoot, Thornapple Comm., *Ep. to the Rom.*, *ad. loc.*

بداية توضيح بولس الرسول للدور الذي قام به المسيح في مقابل آدم بالنسبة للبشرية

[رو ٥: ١٢—٢١]

«... آدم الذي هو مثال الآتي»:

هنا يضع ق. بولس آدم **مثالاً** τύπος للآتي أي المسيح. والمثال هنا في اليونانية τύπος تفيد «الطبعة» أو «الصورة» التي تنشأ من ضربة الختم على ورقة. فالصورة أو الطبعة أو المثال إذا ارتفعنا بها إلى مستوى الشخص، يكون آدم هو العيّنة أو الصورة أو الرسم أو النسخة الحاملة الشبه المرسوم للأصل الأعلى ἀρχέτυπος. هنا يعبِّر ق. بولس عن المسيح كالأصل الذي تصوَّر منه آدم باعتباره الآتي تاريخياً بعده: «هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حيَّة، وآدم الأخير روحاً مُحيياً.» (١ كو١٥: ٤٥)

هكذا يظهر في لاهوت ق. بولس أن الوحيد الذي قيل عنه أنه مثال المسيح هو آدم، باعتبار أن المسيح (ابن الله) هو أصل الصورة، أصل الطبعة archetype للإنسان الأول الذي وحده يحل محل آدم الإنسان الأول كممثل للبشرية الجديدة وكرأس لها، إذ اعتُبِرت أنها إنسان واحد في المسيح: «وهو رأس الجسد الكنيسة» (كو١: ١٨) والجسد هو البشرية الجديدة وهي الكنيسة.

وقد أرجأنا إلى هنا الحديث عن المقارنة التي انشغل بها ق. بولس بين آدم والمسيح منذ الآية (١٢)، لأن ق. بولس انشغل في الآيات (١٢و١٣و١٤) بأوصاف آدم وحده وما بدر منه وما نتج عنه دون أن يذكر المقابل أي المسيح. وأخيراً هنا في الآية (١٥) بدأ يدخل في هذه المقارنة.

وق. بولس يقدِّم آدم ومعه البشرية التي انحدرت منه في مقابل المسيح والبشرية الجديدة التي خرجت منه بنوع من المقابلة التي تبدو وكأنها متضادة، ولكن يتخللها عنصر التضامن federality، وكأن آدم كان متضامناً من طرف واحد مع نسله أي العالم دون أن يراه حينما أخطأ، فورَّثه نتائج أعماله. كذلك المسيح إنما بصورة سرية أعلى وأعظم، تحقق لنا بالاستعلان أنه كان متضامناً مع الذين سيؤمنون به تضامناً ألصق وأكثر قُرباً وشركة في موته وآلامه الخلاصية وموته الفدائي وقيامته المبرِّرة، بحيث اشترك المؤمنون به في كل ما أتاه من أعمال الخلاص والفداء والتبرير. وكان

تضامن المسيح مع الذين سيؤمنون به من طرف واحد أيضاً، أي طرفه هو دون أن يدري الطرف الآخر — أي نحن — ما الذي يُعمل له ومن أجله وفيه (جسد بشريته).

وإذا تجاوزنا الهوة الكبيرة التي تفرق بين الشخصيتين وبين النتيجتين — المتحصلتين منهما — التي تجعل التوازي بينهما شبه مستحيل بالنسبة لعمل كل منهما وأثره، إذا تجاوزنا ذلك يمكن أن ندخل في هذه المقارنة. فمن حصيلة المقارنة التي يقدِّمها ق. بولس هنا بين آدم والمسيح يبدو لأول وهلة أن ما أفسده الأول أصلحه الثاني. ولكن الحقيقة أن الإنحصار في المقارنة في هذا الحيز الضيق — أي ما أفسده الأول أصلحه الثاني — لا يفي بالمساحة الهائلة التي غطاها المسيح. فالذي أفسده آدم هو في الطبيعة البشرية، وما أصلحه المسيح في الطبيعة البشرية لا يمثل حقيقة عمله، فالمسيح لم يصلح الطبيعة البشرية وحسب بل إنه خلقها من جديد خلقة جديدة. فأية موازنة أو تقابل يمكن أن تغطي هذا المجال من طرف آدم؟؟ آدم ورَّث أولاده طبيعة فيها وعي الخطية وعليها حكم الموت، والمسيح لم يرفع الخطية وحسب!! ولم يُلغِ الموت وحسب!! بل عوض الخطية أعطى بر الله تمجد وتبارك وتعالى!! وعوض الموت أعطى الحياة الأبدية مع الروح القدس!! آدم أعطى أولاده الذين ولدوا منه إنسانيته العاجزة المطرودة من وجه الله والمرفوع عنها النعمة؛ والمسيح أعطى مجده ولاهوته وقوته وسلطانه للذين آمنوا به، فوُلدوا له من الله!! ليصيروا أولاد الله!

لذلك أستميح القارىء عذراً أني سأختصر في شرح هذه المقارنة التي جاءت في أصحاح (٥: ١٢—٢١) في الحدود التي رسمها بولس الرسول، وكما لم يشأ هو أن يخوض فيها ليتتبع أصولها، وذلك اختصاراً منه ليضم دفتيها معاً في ذهن القارىء بأسلوبه البسيط الحي، كمقارنة عامة، وسوف نأخذ نحن أيضاً أسلوبه في هذا الأمر.

ترتيب المقارنة

	آدم	المسيح
٥: ١٥	«لكن ليس **كالخطية**» (صحتها تعدي παράπτωμα)	«هكذا أيضاً الهبة»،
	«لأنه إن كان **بخطية** (صحتها تعدي παραπτώματι) واحد مات الكثيرون»	«فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين».

١٦:٥	«وليس كما بواحدٍ قد أخطأ»	«هكذا العطية»
	«لأن الحكم من واحدٍ للدينونة»	«أما الهبة فمن جراء خطايا (صحتها تعديات παραπτωμάτων) كثيرة للتبرير».
١٧:٥	«لأنه إن كان **بخطية** (صحتها تعدّي παραπτώματι) الواحد قد ملك الموت بالواحد»	«فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح».
١٨:٥	«فإذاً كما **بخطية** (صحتها تعدي παραπτώματος) واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة»،	«هكذا ببرٍّ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة».
١٩:٥	«لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة»،	«هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً».

١٥:٥ **«ولكن ليس كالخطيةِ هكذا أيضاً الهبةُ. لأنه إن كان بخطيةِ واحدٍ ماتَ الكثيرونَ فبالأولى كثيراً نعمةُ الله والعطيةُ بالنعمةِ التي بالإنسانِ الواحدِ يسوعَ المسيح قد ازدادت للكثيرينَ».**

«ولكن ليس كالخطية (صحتها التعدي παράπτωμα) هكذا أيضاً الهبة» مشروحة في بقية الآية لأن «الهبة» وهي نعمة الله التي بالمسيح يسوع **بالفداء** لا يمكن أن تُقارَنَ بخطية آدم. والتعبير المستخدم هو **«فبالأولى كثيراً»** ليس من جهة الكم العددي للنعمة بالنسبة للتأثير العددي للخطية، لأنه معروف أن الكم العددي الذي تُحدثه الخطية في الإنسان أكثر من جهة عدد الخطاة، ولكن المقارنة بقوله: «فبالأولى كثيراً» تفيد اليقين والفيض والتأثير الممتد والأبدي. فعمل الله لا يُقارَنُ بعمل الإنسان.

وقوله: «بتعدي واحد مات **الكثيرون**»، «الكثيرون» هنا واقعة في المقارنة من الواحد، أي آدم وحده، الذي لمَّا تعدَّى، مات بسبب هذا الواحد الكثيرون. وفي الجانب الآخر: النعمة والمسيح، جاء **«الكثيرون»** أيضاً. ولكن في الحقيقة نعلم أن عمل المسيح ليس جزئياً من جهة خلاص البشرية **بل كلياً**، فكلمة «الكثيرون» ليست بمفهوم الكثرة العددية بل بمفهوم الكلية والشمولية بالنسبة لعمل النعمة. وينتهي ق. بولس في المعنى إلى أن آدم أخطأ فمات الكثيرون، والمسيح فدى فازدادت النعمة **فخلص الجميع!** كل مَنْ يؤمن.

ويلاحظ أن هذه الآية بجملتها محمولة على الآية (١٢) على الجزء: «إذ أخطأ الجميع»، وتأتي هكذا: «وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس **إذ أخطأ الجميع**، ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين».

وكأن ق. بولس يريد أن يقول: آدم هو «مثال» الآتي أي المسيح يسوع، وكان المفروض فيه بسبب هذا التشابه بين الـ τύπος والـ ἀρχέτυπος أن يورِّث أولاده نعمة الله التي كان يقيم فيها مع الله، ولكن للأسف تعدّى على الله فمات الجميع بسببه. ولكن شكراً لله بيسوع المسيح لأن نعمة الله التي في المسيح يسوع ليست في مستوى ولا اعتبار خطية آدم بل بالأولى كثيراً جداً هي أزيد، لأنه إن كانت خطية آدم وهو واحد تسبَّبت في موت كثيرين، فقد جاء الإنسان الواحد يسوع المسيح **ومنح نعمة الله بعطية البرِّ المجانية** بصورة أزيد وأقوى وأكثر دواماً وفعالية.

ويلاحظ القارىء أن السالبية التي ينعت بها بولس آدم في الآيات (١٥—١٧) لا تدخل في المقارنة، ولكن بولس يستخدمها كسبب لازدياد النعمة وهي المحصِّلة التي سينتهي إليها آخر الأصحاح: «حيث كثرت الخطية **ازدادت النعمة جداً**» (رو٥: ٢٠). فهي ليست مسألة مقارنة بين شخص آدم وشخص المسيح، لأن المقارنة غير موجودة ومستحيلة. فآدم كمثال τύπος شوَّه صورته التي أخذها من الأصل ἀρχέτυπος ، فلا مجال للمقارنة. ولكن ق. بولس يحاول أن يثبت أن ما أفسده آدم لم يُصلحه المسيح فقط بل إنه تعدَّى مسألة الإصلاح بكثير. فالخطية التي أحدرها آدم إلى الطبيعة لم يرفعها المسيح وحسب، بل وغرس مكانها النعمة. أما الموت الذي حلَّ كعقوبة فلم يرفعه المسيح فحسب، بل وغرس عِوَضه في طبيعة الإنسان الحياة الأبدية، حياة الله. والدينونة التي وقع فيها الناس بسبب الخطية لم يُعفِ المسيح الإنسان منها وحسب أي لم يَمنح البراءة فقط بل ومَنح برَّ الله أي التبرير، إذ يُحسب الإنسان أنه ليس بريئاً فقط بل وبارٌّ أيضاً أمام الله!! هذا توضحه محاولات ق. بولس المستميتة في استخدام الاصطلاحات التي تشير إلى الفارق الهائل بين ما أفسده آدم وما عمله المسيح:

+ **«ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة»**،
+ **«فبالأولى كثيراً»**،
+ **«قد ازدادت للكثيرين»**،
+ **«إن كان بخطية الواحد مَلَكَ الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة»**،

+ **بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً».**

هنا يقول ق. بولس بوضوح:
إن الخطية بسلبياتها وآثارها المدمرة لا تُقارَنُ بأي حال من الأحوال مع عظمة النعمة.

كذلك الدينونة بكل مُرعباتها لا يمكن أن تُقارَنَ في سلبيتها وخسارتها بما يعمله التبرير للحياة.

كذلك لا يمكن أن يُقارَنَ الموت كعقوبة الذي ملك على الجميع بكل خساراته وخوفه ورعبه بتملُّك الحياة الأبدية في المسيح.

١٦:٥ **«وليسَ كما بواحدٍ قد أخطأ هكذا العطيةُ. لأن الحكمَ من واحدٍ للدينونة، وأما الهبةُ فمن جرّى خطايا (صحتها تعدّيات παραπτωμάτων) كثيرةٍ للتبريرِ».**

لاحظ هنا أن فعلاً واحداً سلبياً أو خطية واحدٍ امتدت إلى كثيرين، في مقابل أفعال سلبية كثيرة أي تعديات، انتهت بقوة واحدٍ أي برّ المسيح.

يضيف ق. بولس هنا هذه المقارنة غير المعقولة ولا المتوازنة أبداً ليظهر أن عمل المسيح أعلى وأقوى وأعظم في إيجابياته من السلبيات التي ترتبت على تعدّي آدم، فيقول إنه بسبب تعدّي واحدٍ لإنسان واحد وهو آدم دخلت الدينونة. ثم يقيس ذلك على عمل التبرير، فيجد أن التبرير جاء ليس ليوازن ويلغي خطيةً واحدةً أو الدينونة، بل ليوازن تعدّيات كثيرة يلغيها ويضع مكانها تبرير الله ليصبح الإنسان محبوبَ الله. فهنا الدينونة تقاس بخطية واحد، ولكن التبرير تُقاس قوته بأثره في إلغاء **تعديات كثيرة**، وليس ذلك فقط بل وبعد ذلك تقريب الإنسان إلى الله كمحبوب.

وكأن القديس بولس يريد أن يقول إن ما عمله آدم ولو أنه مُحزن جداً وأثره سيء للغاية على البشرية ولكن الذي عمله المسيح في المقابل أعظم وأعظم بما لا يُقاس. هنا الهبة أي النعمة المجانية لا حدود لعملها ولا حدود لقوتها، في مقابل محدودية الخطية ومحدودية الدينونة.

كذلك يلاحظ القارىء هنا وضوحاً ما بعده وضوح لشرح «إذ أخطأ الجميع» (رو٥: ١٢)، فهنا يضع المقارنة صارخة بين «خطية آدم» وبين «**خطايا كثيرة**». إذاً فـ «الجميع أخطأوا» لا تحمل معنى أنهم خطاة بخطية واحدة لآدم الواحد، بل معنى أنهم مارسوا خطايا كثيرة كانوا

سيدانون عليها لولا لحقهم تبرير نعمة الله بالإيمان بيسوع المسيح (أنظر شرح «إذ أخطأ الجميع» في موضعها).

١٧:٥ **«لأنه إن كان بخطيةِ (صحتها بتعدّي παραπτώματι) الواحدِ قد مَلَكَ الموتُ بالواحدِ؛ فبالأولى كثيراً الذين ينالونَ فيضَ النعمةِ وعطيةَ البرِّ سيَملِكونَ في الحياةِ بالواحدِ يسوعَ المسيح».**

«لأنه إن كان»: εἰ γάρ

تأتي في بداية الجملة لتثبيت القول السابق وتعليله، مع امتداد قليل في الفكر. حيث التكرار هنا للآية السابقة يزيد من أهمية النتيجة المباشرة التي سيصل إليها في النهاية.

«فبالأولى كثيراً»: πολλῷ μᾶλλον

«**فبالأولى كثيراً** الذين ينالون فيض النعمة»، في مقابل الآية (١٥) حيث تأتي «**فبالأولى كثيراً** نعمة الله». في الآية (١٥) التشديد **واقعٌ على النعمة** وتفوُّقها مقابل الخطية، أما هنا في الآية (١٧) فالتشديد واقعٌ على الذين **ينالون فيض النعمة ويملكون في الحياة الأبدية** في مقابل الذين **يخطئون ويملك عليهم الموت**. من هنا يتضح أمامنا فكر ق. بولس وهو يشدّد في أطراف المعادلة: فالخطية لا تُقاس بالنعمة، والذين ملك عليهم الموت لا يُقاسون بالذين نالوا فيض النعمة وعطية البر.

يلاحظ القارىء رنّة النُصرة والتفوّق دائماً في عرض ق. بولس للذين ينالون النعمة والبر ويملكون في الحياة مع المسيح في مقابل رنّة الخسارة والانهزام والأسى عند الذين غلبتهم الخطية ومَلَكَ عليهم الموت.

كما لا ينبغي أن تفوت علينا هذه المقارنة البديعة الفائقة الوصف بين الذين يملك عليهم الموت والذين يملكون في الحياة الأبدية في المسيح يسوع!! من هنا نفهم قول سفر الرؤيا: «الذي أحبنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا **ملوكاً وكهنة** لله أبيه» (رؤ١: ٥و٦). إنها تعني أننا نملك «في المسيح» في الحياة الأبدية. فعِوَض أن كان يملك علينا الموت؛ صرنا نملك نحن في الحياة. أما قول سفر الرؤيا أنه جعلنا **كهنة لله**، فيعني القدرة والنعمة للدخول إلى الله في الأقداس وخدمة النفوس المقدسة.

١٨:٥ «فإذاً كما بخطيةٍ (صحتها بتعدٍّ παραπτώματος) واحدةٍ صار الحكمُ إلى جميع الناسِ للدينونةِ، هكذا ببرٍّ واحدٍ صارت الهِبَةُ إلى جميع الناسِ لتبريرِ الحياةِ».

«إذاً»: Ἄρα οὖν

بمعنى «بناءً على كل ما فات».

ق. بولس يختم المقارنة ويبلورها في جملة قصيرة:

تعدٍّ واحدٍ في مقابل برٍّ واحدٍ!،

صار الحكم إلى جميع الناس، صارت الهبة إلى جميع الناس،

للدينونة، في مقابل لتبرير الحياة!!

ولكن الذي يشغلنا هنا هي العمومية، فالحكم بالدينونة صار فعلاً إلى جميع الناس، فهل صارت هبة البر إلى جميع الناس؟ هنا البر له صفة العمومية بكل تأكيد لأنه «بر الله» بيسوع المسيح الذي صُلب من أجل العالم كله. فهي عمومية دون التعميم، فالعمل، أي التبرير، عام وشامل يشمل كل إنسان في الوجود وُجد أو سيوجد ولكن دون تعميم، بمعنى أن البشرية لا تدخل جملة في التبرير كفعل من جانب الله بل دخولها إلى التبرير هو فعل بشري مفتوح للجميع، ولكنه يعتمد على الإيمان بالله وبر الله بالمسيح يسوع. فكل إنسان إن أراد تبرَّر، إن آمن واعتمد تبرَّر.

«لتبرير الحياة»:

هي مترادفة مع قول ق. بولس السابق: «سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح».

فتبرير الحياة هو بواسطة المسيح حيث ننال منه هبة بر الله بالإيمان بموته وقيامته فننال حياة جديدة لا تتبع حياة الخطية والموت والدينونة؛ بل هي حياة مبرَّرة في المسيح.

١٩:٥ **«لأنه كما بمعصيةِ الإنسانِ الواحدِ جُعِلَ الكثيرُونَ خطاةً. هكذا أيضاً بإطاعةِ الواحدِ سيُجعَلُ الكثيرُونَ أبراراً».**

ق. بولس يدخل هنا في المقارنة السببية، كيف أخطأ آدم وكيف تبرر المسيح، فربط الخطية بعدم الطاعة وربط التبرير بالطاعة. وانتقل هذا الوضع من عصيان آدم إلى كل مَنْ عصى الله من نسله، كذلك في المسيح انتقلت طاعة المسيح لله إلى كل مَنْ آمن بالمسيح ليتبرر بهذه الطاعة.

«جُعل الكثيرون خطاةً ... سيُجعل الكثيرون أبراراً»:

«جُعل» هنا سواء في حالة آدم أو حالة المسيح، تعني: هذا ليصير خاطئاً وذلك ليصير بارًّا، وهي لا تفيد العمل الإلزامي، لذلك لجأ ق. بولس لكلمة «الكثيرون» مع أن المعنى هنا ولا شك يفيد «الكل». لأن حرية الإرادة لدى الخاطىء هي التي تجعله خاطئاً، وحرية الإرادة لدى طالب البر هي التي ستبرره؛ أما طاعة المسيح لله فقد فاقت طاعة إبراهيم بمراحل، لأن إبراهيم أطاع ليقدم ابنه ذبيحة إرضاءً لأمر الله، ولكن المسيح قدَّم نفسه ذبيحة للموت وأطاع حتى الصليب. فإن كان إيمان إبراهيم برَّره أمام الله أو حُسب له برًّا، فإن الذي يؤمن بالذي عمله الله في ابنه يسوع المسيح بالأولى جداً والأكثر أصبح إيمانه يُبرِّره أو يُحسب له برًّا. هنا التبرير أو حساب البر هو قوة الله في المسيح التي وهبها المسيح لنا للتبرير، والتي استعاد بها طاعة العالم ومصالحة الله.

+ «وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب». (في٢: ٨—١١)

هنا **«كل ركبة، ممن في السماء ومَنْ على الأرض»**، هذه الشمولية تجمع في طياتها وضع العالم الإسخاتولوجي أي الأخروي عند استعلان حق المسيح الكلي. لأن المقارنة التي يعملها ق. بولس بين آدم والمسيح تشمل ضمن ما تشمل المضادة الزمنية بين الماضي بخطيته والمستقبل الزاهر ببرِّه الذي لا يمكن الحصول على صورة كاملة له الآن إلاّ بالرجاء من خلال الإيمان والرؤيا الصافية الروحية.

فعدم طاعة آدم التي يحققها أولاده الآن ومنذ خرج آدم من لدن الله هي في المحيط الجسدي الزمني؛ أما **طاعة المسيح لله** في سر الفداء بالصليب فهي فعل روحي عالٍ جداً؛ فبالرغم من أنه حدث في الجسد إلاّ أنه يضرب جذوره في اللازمن واللاجسد، ويمتد لكي يُستعلن في الآخرة على مستوى الروح. ولكننا نحن نحيا الآن في فجر الأبدية، وأشعتها الصادرة من المسيح تنير أمامنا معنى البر وقوته ونحن على طريق الحياة والخلود. لذلك يقول ق. بولس: «سيُجعل الكثيرون أبراراً»، وقد وضعها في الصيغة المستقبلية: «فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء برٍّ» (غل٥: ٥). هكذا يُحتسب البر هبة تكميل الدهور، مع أنه تاج الزمن ودرَّة الحياة الحاضرة.

وهكذا استطاعت طاعة المسيح أن تلغي عدم طاعة آدم وكل ما تأتَّى منها!! وأن تفتتح أزمنة الخلاص ورضاء الله وعالم الروح.

٢٠:٥ **«وأما الناموسُ فدَخَلَ لكي تكثُرَ الخطيةُ (صحتها التعدي παράπτωμα). ولكن حيثُ كثُرَت الخطيةُ ازدادت النعمةُ جداً».**

ذِكر الناموس هنا إضافي كعمل وسيط بين موسى والمسيح، ولكن ق. بولس يعلم جيداً أن الناموس ليس عنده ردٌّ على ما هي الحياة الأبدية، فكل همِّ الناموس هو في الخطية والتعدي.

القصد الوحيد من هذه الآية هو كلمة **«يكثر التعدي»**، لأن ق. بولس سبق وكرر قوله عن التعدي لآدم الواحد وهي خطية «العصيان» وأنها كانت في آدم مخفية، ولما تسلمها نسله ظلت مخفية تعمل دون أن يلحظها أحد ودون أن يحصرها الفكر والضمير. ولكن الله يقصد أن يظهر ضمير الإنسان من كل الأعمال الشريرة، فكان لابد من ناموس يوضح أنواع الخطايا ويكشفها للضمير ويعطي عنها عقوبات رادعة لإيقاظ الضمير وإخافته، والتي تصل إلى حد الموت إن هي بلغت حد العصيان الإرادي.

وهنا يتحتم أن يعلم القارىء أن كل التطهيرات والذبائح والقرابين الناموسية كانت تُقدَّم عن خطايا السهو فقط(٦)**، أما الذي يخطىء عن عمد فليس له ذبيحة بل «موتاً يموت»: «مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي» (خر٣٢: ٣٣). وهكذا دخل الناموس ــ على الهامش**(٧) ــ ليكشف أنواع الخطايا العاملة في قلب الإنسان وفكره دون أن يعالجها تمهيداً لتقديمها إلى الطبيب الشافي لإلغائها جميعاً بذبيحة المسيح الكفارية، ببر الله الخاص الذي تدخَّل في الوقت المعيَّن ليهب رحمة شاملة لجنس الإنسان الذي تعذَّب تحت عبودية الخطية والخوف من الموت كل أيام حياته، فعمل الناموس هنا يختص بتأكيد خطورة الخطية وحسب.

إذاً فالقديس بولس واضح في قوله: «ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً» بمعنى أن بر الله الذي كان يعيشه آدم قبل أن يخطىء، أو حتى بر الله الذي كان لازماً ليرفع خطية

(٦) أنظر كتاب: «القديس بولس الرسول. حياته ولاهوته وأعماله»، للمؤلف، ص٢٨٥ و٢٨٦ وسفر اللاويين الأصحاح الرابع بأكمله.

(٧) يلاحظ هنا بوضوح تفاهة أثر الناموس في مغفرة الخطايا أو التعديات، لأنه مقصور فقط على خطايا وتعديات السهو فقط. أما خطايا العمد، أي التي بكامل الإرادة والوعي فلا صلة للناموس بها بكل ذبائحه، لأن خطية العمد أو الإرادة جزاؤها الموت حتماً بلا أي نقاش أو علاج. فقاضي الناموس يحكم على المتعدِّي بالموت وبلا رحمة لأن ليس له سلطان الرحمة أو التبريىء. وهكذا وقف الناموس أمام خطايا العمد بلا حراك وبلا أهلية وبلا اختصاص، تاركاً معالجتها للمسيح. من هنا نفهم بصورة قوية قول المسيح: «ما جئت لأنقض بل "لأكمِّل"» (مت٥: ١٧). وإذا أردنا أن نشبِّه ــ إلى حدٍّ ما ــ سلطة الناموس القضائية بسلطان المسيح القضائي الفائق، فهو كنسبة قاضي الجنح في المحكمة الابتدائية بقاضي النقض في محكمة القضاء العالي Supreme court الذي له أن يُبرِّىء القاتل ولا أحد من بعده يَدين، وإن دان فلا أحد يُبرِّىء.

واحدة كخطية آدم بعد أن أخطأ، ليس كبرَّ الله ونعمته التي أصبحت لازمة لرفع جميع خطايا البشرية بكثرتها الهائلة. فصحَّ قول ق. بولس أنه كلما كثرت الخطية **ازدادت قوة النعمة جداً**، ليس **لكي تقوى على كثرة الخطايا** فتلغيها، ولكن الزيادة هنا هي في عملها المتسع الذي يورث الإنسان هذه النعمة بطولها وعرضها، فسالبية الخطايا الكثيرة لا يوازيها ويلغيها إلاَّ مزيد من إيجابية النعمة الفائضة: «قد غُفِرَت خطاياها **الكثيرة** لأنها أحبت **كثيراً**.» (لو٧: ٤٧)

ملاحظة أخيرة على هذه الآية وعلى الأصحاح كله:

في الترجمة العربية حدث قصور في ترجمة παράπτωμα بالخطية، وهذا أضر بالحس اللاهوتي الدقيق. فالخطية هي ἡ ἁμαρτία أما البارابتوما παράπτωμα فهي التعدي. فالترجمة الصحيحة للآية: «وأما الناموس فدخل لكي **يكثر التعدي** وحيث كثرت **الخطية** ازدادت النعمة جداً». لأن الناموس يحوِّل الخطية غير المنظورة إلى تعدٍّ ظاهر. والناس يخفون خطاياهم بحذق ومهارة ولكن لا يستطيعون أن يخفوا تعديهم لأنه يكون علنياً وضد نواميس موضوعة. لذلك يقول ق. بولس: «إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً **تعدٍّ**» (رو٤: ١٥) مع أنه توجد **خطية** مائة بالمائة ولكن غير منظورة لأنها لم تتحول إلى تعدٍّ. فالخطية يمكن أن توجد حينما لا يوجد ناموس. ولكن إذا دخل الناموس فضح التعدي وكشف الخطية المستترة.

فالناموس دخل لكي يثبت على الإنسان تعدِّيه ويكشف كل أنواع تعدياته أمام نفسه والضمير. لذلك **فالتعدي هو نقض أو كسر وصية خاصة محددة ومعينة، أما الخطية فهي كسر مبدأ أبدي خالد أعظم من أعظم قانون وضعي له قواعد وبنود.**

وللعلم فإن المترجم العربي لم يلتفت أبداً لهذا الفارق الكبير بين الخطية والتعدي في هذا الأصحاح الأخير مما زعزع المفهوم اللاهوتي ويلزم تصحيحه كله.

٢١:٥ **«حتى كما مَلَكَت الخطيةُ في الموت؛ هكذا تَملِكُ النِّعمةُ بالبرِّ للحياةِ الأبديةِ بيسوعَ المسيح ربنا».**

لقد سبق ق. بولس في الآية (١٧) وقال ما يشابه هذا: **«قد ملك الموت»**، ولكن هنا: **«كما ملكت "الخطية" في الموت»**. وما الفرق؟ الفرق أن بخطية واحدة ملك الموت كحكم، حيث أصبح الموت هو الملك والسيد على الطبيعة البشرية، ولكن في الآية (٢١) **ملكت "الخطية" في الموت**، فالذي ملك وساد هو الخطية متسلحةً بالموت وذلك بعد أن صارت الخطية الواحدة

تعديات بلا حصر بعد أن كثرت وتعددت بدخول الناموس. فالناموس رفع من قدر الخطية وسلطانها وجعلها تستخدم الموت للإرهاب والسيادة. ولكن شكراً لبر الله في المسيح يسوع الذي أسقط هذه السيادة المتملكة للخطية والمتحصنة بالموت، إذ ألغى الموت، فانكسرت شوكة الخطية وفقدت سلطانها الذي تحصنت فيه. لذلك فبقدر ما تعظمت وتكاثرت التعديات وأصبحت قابضة على الموت لحسابها، هكذا أيضاً، لما جاءت النعمة وأسقطت هذه السلطة المتملكة والشديدة للخطية، حلَّت محلها بنفس القدرة والسيادة، فمَلَكَ البر للحياة الأبدية. ولكن الخطية ملكت على الجسد وأرعبته بسلطان الموت، أما النعمة فبجوار أنها فكَّت أَسْر الجسد من عبودية الخطية ورعبة الموت، فإنها أورثت الروح مُلك الحياة الأبدية ببر الله.

+ «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية.» (عب٢: ١٤و١٥)

ويلاحظ القارىء أن تملُّك النعمة بالبر على حياة الإنسان الروحية عوض تملُّك الخطية بالموت هو أعلى وأقوى وأبقى بلا حدود. فالذي امتلَكَ الحياة الأبدية من ذا الذي يستطيع أن يزعزعه؟ خاصة أن الذي يملك بالنعمة في الحياة الأبدية يملك في المسيح من واقع بر الله الممنوح لنا بواسطته. ففي الحقيقة نحن نملك في الحياة الأبدية «ببر الله» الممنوح لنا في المسيح الممجد، فمن ذا الذي يختطف منَّا بر الله هذا؟ وعطايا الله بلا ندامة.

وهكذا ينتهي ق. بولس من هذه المقابلة بين آدم والمسيح بحقيقة ثابتة: أنه كما ملكت الخطية على الإنسان بالموت، هكذا بعد أن فكَّ المسيح يدها عن رقبة الإنسان جعل الإنسان يملك في الحياة الأبدية ببر الله في شخصه.

ولكن ينبغي أن يرتفع عالياً في أفق الضمير أنه بعد أن يملك بر الله على حياة الإنسان فلن تستطيع الخطية أن توقف عمله، كما أن التألم والمعاناة التي يعانيها أولاد الله بسبب ظلم العالم وضعف الجسد لا يتعارض مع بر الله أو يوقف مجانيته.

الأصحاح السادس

الانعتاق من سلطان الخطية

١ — ٦: ١—١١ : الموت عن الخطية بالمعمودية = «الموت مع المسيح».

٢ — ٦: ١٢—٢٣ : المعمودية تحررنا للطاعة، لتحقيق عمل البر في حياتنا.

الأصحاح السادس

إن بر الله الذي منحه لنا كعطية نعمة، بواسطة المسيح، ليرفع عنا حكم الموت الذي استحققناه بسبب خطايانا وتعدياتنا، لم يأتِنا بجرَّة قلم أو بمجرد نطق ملكي، بل كان ثمنه غالياً جداً، ثمنه دم ابنه مع آلام ومعاناة حتى الموت موت الصليب، كل هذا من أجل خطايانا. فالنعمة التي نعيشها الآن ونقيم فيها مع سلام الله بسبب تبريرنا: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله» (رو٥:١)، هي ذات ثمن مدفوع — دم ابن الله على الصليب. وإن كان المسيح قد اكتسبها لنا بقوة وفاعلية وفيض في مقابل كثرة شرورنا وآثامنا وتعدياتنا، فإنه اكتسبها مقابل كثرة معاناة وآلام وموت ليس لتوازن خطايانا وتعدياتنا وحسب بل وتلغيها إلغاءً بمفعول كفَّارتها. فحينما قال ق. بولس في نهاية الأصحاح السالف: «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً»، فذلك كان ثمنه باهظاً جداً جداً.

وهكذا يفتتح ق. بولس الأصحاح السادس بهذا السؤال رداً على آخر ما قاله في الأصحاح الخامس: «فماذا نقول، **أنبقى في الخطية لكي تكثر لنا النعمة؟**»، هذا سؤالُ مَنْ لا يعرف كيف ازدادت لنا النعمة. وحينما قال ق. بولس إننا لم نَعُدْ نعيش في عصر الناموس ولا تحت أوامره بل تحت نعمة تبرير المسيح (رو٦:١٤)، فهل هذا معناه أن **نخطىء** لأننا صرنا **أحراراً؟** هذا أيضاً سؤالُ مَنْ لا يعرف كيف تحررنا من الناموس، لأن ثمن تحررنا من الناموس هو المسيح أكمله في نفسه، وأكمل كل أحكامه ولعنته في نفسه، وتقبَّل لعنته في جسده إذ **سُمِّر على الصليب** وصار لعنة من أجلنا **ليفك الناموس** نهائياً عنا.

إذاً، فأصبح ليس من حقك أن تقول **أنا حُرٌّ** أخطىء كما أشاء، **فجسد المسيح المسمَّر على الصليب** يستصرخك. كذلك ليس من حقك أن تقول أنا أَمي ما لي والناموس بَقِيَ أو رُفع، فصرخة المسيح على الصليب: «**إلهي إلهي لماذا تركتني**» (مت٢٧:٤٧)، التي هي هي قبول اللعنة — التي في طبيعتك التي ورثتها من آدم — هي بعينها تُذكِّرك أنك تحررت من الناموس — الذي

هو صدى حكم الله الأول على آدم(١) — بأغلى ثمن!!

فإن كنت تسأل: وماذا أعمل؟ وما معنى موت المسيح وسفك دمه على الصليب بالنسبة لإمكانية توقفي عن الخطية، أو ما معنى أن يقبل المسيح اللعنة على الصليب بالنسبة لعلاقتي مع الله؛ يقول لك ق. بولس في هذا الأصحاح إن المسيح لما مات على الصليب وسُفِكَ دمه لم يمت من أجلِ نفسه ولم يمت كمستحق الموت أبداً ولم يمت وحده! بل مات بجسد البشرية كلها من آدم إلى آخر ابن لآدم، وأنت واحد من هذه البشرية، فهو مات بك وفيك ومن أجلك وبسبب استحقاقك أنت للموت، فصار موته موتك بل أنت قد مُتَّ معه، وهو مات للخطية فأنت مُتَّ للخطية معه بموته، وبموته الذي هو موتك عتقك من الخطية لأن «**الخطية ملكت في الموت**»، كما قال لك في الأصحاح الخامس. والآن إذ ألغى المسيح الموت بموته الذي هو موتك، فقد توقفت الخطية فيك إذ فقدت سلطانها الذي كانت تملك وتعمل فيه وهو الموت. **فلأن الموت لم يعد حكم عقوبة عليك** بسبب تعدياتك السابقة واللاحقة، فالخطية فقدت سلطانها القاتل عليك. والآن إذ مُتَّ مع المسيح، مُتَّ عن الخطية، وعليك **الآن أن تُميت — ضمير الخطية — بإرادتك الحرة وبما قبلته بالنعمة وعطية البر بموت المسيح من أجلك**. فالقوة «قوة موت المسيح» فيك فاخضع لها وأَمِتْ الخطية في أعضائك بقوة الروح الذي فيك، قوة نعمة روح موت المسيح. وأنت الذي مُتَّ بجسد المسيح عن الخطية هل أصبح لك حرية أن تعيش بعد فيها؟ دم المسيح وجسده فيك يشهدان عليك!

كذلك يقول لك ق. بولس في هذا الأصحاح إنك لست بعد تحت ناموس بل تحت نعمة، تحت بر الله بالمسيح. وعوض طاعة الناموس العسيرة غير المربحة أصبحتَ مطالباً بأن تطيع موجبات النعمة لك ومطالب بر المسيح فيك. فإن أطعت مطالب بر المسيح وأوامر النعمة، يسود عليك بِرُّ المسيح وتملك فيك النعمة فلا تعود عبداً للخطية ولا لأوامر الناموس، بل ابناً للنعمة، ابناً حرًّا لله.

---

(١) الناموس باليونانية يعني القانون بالعربية. **وبذرته الأُولى التي تشكَّل عليها هي حكم الله على آدم بعد أن أخطأ وتعدَّى**. فالذي شكَّل الناموس هو الخطية والتعدِّي. فكما ساد «حكم» الله على آدم بعد أن صار متعدِّياً، هكذا ساد «الناموس» أو يلزم أن يسود على الإنسان عامة وبلا استثناء — لما صار متعدِّياً — ولكن أفرز الله شعب إسرائيل ليطبِّق عليه الناموس نيابة عن الإنسان في العالم ككل، ليعلِّم ويهذِّب ويؤدِّب عيِّنة من الطبيعة البشرية، لكي بالنهاية يفرز منها إنساناً هو «المسيح» والرب ليرفع بواسطته «الحكم» و«الناموس» معاً عندما تعامل مع الخطية والتعدِّي، ورفع أثرهما المدمر من الطبيعة البشرية. **فالأمم ولو أنهم كانوا ليسوا تحت تأديب «الناموس» إلا أنهم كانوا تحت حكم الله الأول على آدم الذي هو بعينه النسخة الأُولى الأصلية المختصرة للناموس.**

[٦: ١-١١] الموت عن الخطية بالمعمودية

«الموت مع المسيح»

٦: ١و٢ «فماذا نقولُ. أنبقى في الخطيَّةِ لكي تكثُرَ النعمةُ. حاشا. نحنُ الذينَ مُتْنا عن الخطيةِ كيف نعيشُ بعدُ فيها».

«أنبقى»: ἐπιμένωμεν

وترجمتها العربية بحسب المعنى الكلي تكون: وهل بلغ الأمر إلى هذا الحد أن يُفرَض علينا البقاء في الخطية(٢).

«حاشا»:

هنا الاستبعاد شديد وصارخ كمَنْ يستبعد وجود الحق والباطل معاً أو الحياة والموت معاً.

«متنا عن الخطية»:

اختصاراً لما سيجيء في الآيات (٤و٥و٦). أي أننا متنا على صورتين أو بفعلين، فعل الموت مع المسيح على الصليب يوم مات، وفعل الموت والدفن مع المسيح في المعمودية يوم العماد.

وكيف متنا عن الخطية سيشرحها ق. بولس بعد ذلك في الآيات (١٠و١١) من هذا الأصحاح وفي الآية (٤) في الأصحاح السابع. كذلك: «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

«كيف نعيش بعد فيها»:

السؤال استنكاري شديد السالبية ليعبِّر عن استحالة. كيف أموت مع المسيح كمسيحي وأعيش في الخطية؟ لأنه قال: «نحن الذين متنا» بفعل ماضي، أي أكملنا موتنا عن الخطية، بمعنى أننا الآن محسوبون أمواتاً بالنسبة للخطية، والجسد فينا محسوب أنه قَبِلَ قوة الموت مع المسيح.

2. Lightfoot, *op. cit.*, *ad. loc.*

فكيف نعيش بعد في الخطية؟ والموت هنا كما سبق وقلنا تمّ على فعلين، فعل الصليب كواقع جزناه مع جسد المسيح، وفعل المعمودية كواقع جزناه بالإيمان والروح القدس. هذه هي مبادىء الخطوات الأُولى في لاهوت بولس الرسول التي ينطلق منها ليستعلن الخليقة الجديدة في المسيح يسوع. فالموت هنا والحياة، أي الموت عن الخطية والحياة بالبر في المسيح، ليسا نظريات؛ بل وقائع وحقائق ثبت وجودها وثبت عملها وثبت نجاحها بصورة غامرة في كل كنيسة وكل مكان وزمان. فالموت عن حياة الخطية والحياة في بر المسيح بالقيامة، هو مضمون الإنسان الجديد، إنسان المسيح وليس إنسان آدم، إنسان عمل نعمة الله وسلامه. ليس كنموذج هنا أو هناك، ولكن ملايين وملايين صارت لهم طبيعة جديدة حقاً، لها ثمارها التي تنطلق وتتكلم وتعمل بصورة يخضع لها كل منطق وكل عقل. طبيعة جديدة في المسيح وليست طبيعة آدم بعد.

هنا يختفي ضمناً العنصر الأخلاقي بالدرجة الأُولى، فالذي مات عن الخطية هو في الحقيقة مَنْ تقدَّس بدم المسيح وبروح التجديد للتقديس بالمعمودية. والتقديس متزامن مع التبرير، فكل مَنْ تبرر تقدَّس، ولكن ليس العكس، بمعنى أن البر بالإيمان والتقديس بالمعمودية، فالإيمان يؤدي إلى المعمودية وليس العكس. فالتقديس عنصر أخلاقي وبالمفهوم اللاهوتي الكنسي هو التخصص لله أو الحياة بحسب الله. لذلك يجيء سؤال الاستنكار واضحاً هنا، بعد أن تبررنا وتقدسنا كيف نعيش مرة أخرى في حياة الخطية؟

تغطية لمعنى وفعل المعمودية(٣)

(رو٦: ٣-١٢)

٦: ٣و٤ «أمْ تجهلُون أننا كلَّ مَنْ اعتمدَ ليسوعَ المسيح اعتمدنا لموته. فدفنَّا مَعَهُ بالمعموديةِ للموتِ حتى كما أُقيمَ المسيحُ من الأمواتِ بمجدِ الآبِ هكذا نسلُكُ نحن أيضاً في جدَّةِ الحياةِ».

المعمودية في أيام ق. بولس وفي منهجه اللاهوتي، ولا تزال إلى الآن، أمر لا يُجهل، فهي فعل المسيحية الأول وهي أشد قوة ومعنى وفعلاً من الختان عند اليهود. فغير المختتن عند اليهود هو ليس يهودياً، وغير المعمَّد في المسيحية الأُولى وإلى الآن في الكنائس التقليدية لا يُحسب مسيحياً.

(٣) أنظر كتاب: «القديس بولس الرسول: حياته ولاهوته وأعماله»، للمؤلف، ص ٣٩٠-٤٠٤.

ولكن المعمودية ليست كالختان، مجرد شكل أو طقس خارجي في الإيمان المسيحي؛ بل هي الميلاد الجديد، الخلقة الجديدة، الميلاد من فوق، الميلاد من الماء والروح، الميلاد لله، الميلاد بالكلمة، الختم الحي، الاستنارة: «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤)، الاعتماد لموت المسيح، الدفن مع المسيح، القيامة مع المسيح. هذه كلها ليست أسماء ولا اصطلاحات؛ بل هي أفعال روحية لمواضيع روحية تخص معنى المعمودية، لو فُحصت واحدة فواحدة لا يسعها كتاب، نكتفي منها الآن:

«اعتمد ليسوع المسيح»:

والصحيح اعتمد في يسوع المسيح εἰς .

الاعتماد ليسوع المسيح هو اختصار للاصطلاح اللاهوتي: «اعتمدنا **في** اسم يسوع المسيح»، حيث أن كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح صار تابعاً ليسوع المسيح، صار مسيحياً!! «فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول **أنا لبولس** وأنا لأبلُّوس وأنا لصفا **وأنا للمسيح** ... أشكر الله أني لم أعمِّد أحداً منكم ... حتى لا يقول أحد إني عمَّدت باسمي.» (١كو١: ١٢و١٤و١٥)

«اعتمدنا لموته»:

الترجمة هنا ليست دقيقة، والصحيح **اعتمدنا في موته** εἰς τὸν θάνατον .

وهذا التعبير واقعي من كل الوجوه، من وجهة المسيح، فالمسيح مات من أجل خطايانا حاملاً إياها في جسده على الخشبة آخذاً في جسده عقوبة الموت واللعنة عنها. ومن جهتنا، فنحن متنا أولاً بالخطايا والذنوب موتاً حقيقياً واقعياً بالروح: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٥). ثم بالإيمان بالمسيح آمنَّا بصليبه وبموته عنا بالجسد، حيث الجسد هو جسد البشرية الذي يمثلني ويمثل كل ذي جسد. فإذاً أنا مُتُّ مع المسيح وفيه بالجسد وأكملت العقوبة واللعنة معه، وها أنا بالإيمان اعتمدت ـ أي انصبغت. فالبابتزما هي صبغة ليست بالماء فقط بل بالدم لأنه لا موت ولا صليب بدون دم ـ إذاً أخذت موت المسيح وختمه في جسدي: «ولكن الذي يثبِّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (٢كو١: ٢١و٢٢). «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق ـ إنجيل خلاصكم ـ الذي فيه أيضاً (المسيح) إذ آمنتم خُتمتُم (اعتمدتم) بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا.» (أف١: ١٣و١٤)

«فدُفنَّا معه بالمعمودية»: συνετάφημεν

هذه الكلمة اليونانية تبدأ بـ συν وتعني «مع»، وبقية الكلمة من أصل كلمة «طافوس»

أي «مقبرة»، بمعنى أننا قُبرنا أو دُفنَّا معه. هنا ثلاثة اصطلاحات للمعمودية: **اعتمدنا فيه، واعتمدنا في موته، ودُفنَّا معه**؛ وهي تفيد الشركة في الموت الكامل، ومرة أخرى نقول إنها ليست تأملات ولا نظريات، ولا اجتهاداً، بل إن جسد المسيح الذي جاز به الآلام والصلب والموت والدفن هو هو جسدنا مضافاً إليه بالنسبة له ملء اللاهوت جسدياً. وهكذا جزنا معه كل ما جاز، ونلنا فيه كل أعمال لاهوته في الجسد، إذ صارت آلامه وصلبه وموته ودفنه تفريغاً كاملاً للخطية في الجسد: «الذي **حمل هو نفسه خطايانا في جسده** على الخشبة، **لكي نموت** عن الخطايا، فنحيا للبر» (١بط٢: ٢٤)، بحيث لم يعد للخطية في الجسد قوة بعد أن أكمل عقوبة الموت عنها. وهنا كانت إشارة المسيح ذات معنى وواقع حينما قال لتلاميذه بالنسبة للكرازة: «عمِّدوهم (أي اصبغوهم) باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ٢٠). ووقَّعت الكنيسة هذه الوصية العظمى على الواقع العملي فصار التعميد بالتغطيس في الماء ثلاثاً، حيث يصير الدفن للجسد إعداداً له للقيامة بالخروج من تحت الماء.

والدفن مع المسيح مبدأ روحي ولاهوتي يملأ فكر ق. بولس وقلبه: «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات. وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا» (كو٢: ١٢و١٣)؛ حيث يلاحظ دائماً أن كلمة «الدفن» تعدُّ الفكر اللاهوتي للقيامة مباشرة، كما أنها تأكيد شديد للموت. فالدفن لازمة من لوازم لاهوت القيامة بل لاهوت الفداء بأكمله.

والقصد اللاهوتي من المعمودية هو العبور بالإيمان والاشتراك بالروح في آلام المسيح وموته استيفاءً لضريبة العالم والجسد في الطريق إلى القيامة والدهر الآتي: «في العالم سيكون لكم ضيق» (يو١٦: ٣٢)، «بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢). فالذي أخذ ختم آلام ودم وموت وروح المسيح لا يعود ينظر إلى معوِّقات الدهر الحاضر، فالدم يحميه من ضربة الهلاك، والروح يحرسه من خداع الزمن.

ولكن ق. بولس في كل تعليمه لم يقل بأن الإجراءات الطقسية بحد ذاتها يمكن أن تحمي الإنسان، ولكن **الإيمان بكل ما حدث ويحدث فيها** والتمسك بمواعيد الله **فيها هو الذي** يحمي: «مَنْ آمن واعتمد خلص.» (مر١٦: ١٦)

«حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة»:

لا يمكن أن يُنسب للمسيح موتٌ دون قيامة. لماذا؟ لأنه هو «القيامة والحياة» (يو١١: ٢٥)،

ففي عمق موته ودفنه كان يحمل روح القيامة وقوتها. لذلك، فالذي اشترك معه حقاً بالإيمان والمعاناة في آلامه وموته، فهو مُعَدٌّ إعداداً حتمياً للقيامة أو بمفهومها الحاضر للحياة.

وقيامة المسيح كانت مجداً لله، اشترك فيها الآب كما الابن المتجسد كما الروح القدس. فاستعلن فيها مجد الثالوث. ولأول مرة يُستعلن الروح القدس في عمل إعلاني لحساب **الثالوث** الأقدس وذلك في قيامة المسيح من بين الأموات: «وتعيَّن "**ابن**" "**الله**" بقوة من جهة **روح القداسة** بالقيامة من الأموات.» (رو١: ٤)

أما الآب فيقول ق. بولس: «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته ... لتعلموا ... ما هي عظمة قدرته الفائقة **نحونا** نحن المؤمنين **حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات** ...» (أف١: ١٧و١٩و٢٠)

أما المسيح، كونه قام بإرادته وسلطانه وحده، فهذا نعرفه من المسيح نفسه: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (يو١٠: ١٨). ولكن إشارة ق. بولس أن: «المسيح أُقيم من الأموات **بمجد** الآب»، لا تفيد أن في القيامة حدثت رؤى أو معجزات تشير إلى مجد الآب، ولكن قيامة المسيح كابن الله بعد تكميله الفداء **استعلنت مجد الآب** على مستوى الإيمان **وتحقيق كل مواعيد الله كما نطقها جميع الأنبياء في كل الدهور السالفة.**

لذلك أصبحت المعمودية وهي تحمل الشركة الكاملة مع المسيح في موته وقيامته، السرَّ الأول الذي يدخله المؤمن لينال حياته في المسيح؛ بل اسمه وهويته باعتباره الميلاد الجديد للإنسان والخلقة الجديدة.

ولكن لا يُفهم من هذا أن الذي يشترك في موت المسيح يشترك كاملاً في حياته؛ بل يُعطى الآن العربون بروح الحياة استعداداً للانفتاح الأعظم على الحياة الأبدية بحضرة الله. لذلك نجد ق. بولس حريصاً كل الحرص في ذكر **شركتنا في قيامة المسيح**، فهو يضعها دائماً إما في الأمر: «**استيقظ** أيها النائم **وقم** من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤)، أو يضعها في المستقبل: «فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا **سنحيا أيضاً** معه» (رو٦: ٨)، وإن جاءت في الماضي فهي تفيد الإيمان وليس الممارسة: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٥). ولذلك أيضاً اختار ق. بولس هذا الاصطلاح الجديد والباهر: «جِدَّة الحياة»، بدل الحياة الجديدة.

«نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة»: ἐν καινότητι ζωῆς

وهي تفيد معنى حالة جديدة للحياة[4] في مقابل حالة الموت التي كان يحياها الخطاة.

+ «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد **صار جديداً**.» (٢كو٥: ١٧)

+ «وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل، الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله (في المعمودية) ولبستم (المسيح) الجديد **الذي يتجدد** للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو٣: ٨–١٠)

وهنا كلمة «**جدة**» الحياة تعني الحياة التي تتجدد ولا تشيخ أبداً، حياة الروح.

«نسلك»: περιπατήσωμεν

أو نسير أو نتحرك على أقدامنا.

هنا يوضح ق. بولس منتهى قصده من شركتنا في الموت والقيامة، لكي نحيا ونسير أي نسلك سلوك الروح لحياة جديدة أو حياة تأخذ جدَّتها كل يوم سواء من عطية الله كل صباح «لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح» (مرا٣: ٢٢و٢٣)، أو تغييرنا نحن وتجديد شكلنا بتجديد ذهننا لنتشابه المسيح في حياته: «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢كو٥: ١٥)

على أننا لا ننسى أن المعمودية من الماء والروح تعطي قوة ومواهب جديدة ظهرت في الأجيال الأُولى، بصورة تكاد تكون شاملة، لدفع الكنيسة في حركتها الأُولى لكرازة العالم. فالسلوك هنا هو بالروح وفي الروح للشهادة: «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو١٥: ٢٧)

ولا زلنا عزيزي القارىء مع ق. بولس في الانتقال من الخطية إلى البر، من الحياة تحت الغضب لحياة السلام والنعمة المقيمة، من كثرة الخطية والتعدي إلى فيض النعمة وازديادها. ثم كيف «متنا مع المسيح عن الخطية» و «كيف نعيش بعد فيها».

4. Lightfoot, *op. cit.*, *ad loc.*

٦: ٥ **«لأنه إنْ كنا قد صِرْنا متَّحِدينَ معه بشبهِ موته نصيرُ أيضاً بقيامتِه».**

ابتدأ ق. بولس في الأصحاح السادس يوضح أنه يستحيل أن نعيش في الخطية، مؤكداً أننا متنا عن الخطيـة. ولكنه لم يكن قد سبق وشرح كيف متنا عن الخطية. لذلك فهو يبتدىء يوضح هنا أن المسيح مات عن الخطية لأجلنا ليعطينا فرصة الموت عن الخطية معه، وأنه سلَّمنا المعمودية رسمياً التي فيها ــ بالإيمان ــ نمارس اتحادنا السري مع المسيح في الموت على الصليب والدفن على أساس أنه مات عن الخطيـة لأجلـنا حاملاً خطايانا في جسده على الصليب. وكما قلنا نعود ونقول إن المسيح مات بجسد البشرية من أجل كل ذي جسد. فكل إنسان يُعتبر أنه مات عن الخطية في موت المسيح. وهكذا فالمعمودية هي فرصة الاتحاد الحقيقي بالإيمان في موت المسيح وقيامته، أي ما أكمله المسيح بصفة عامة على الصليب نأخذه بصفة خاصة شخصية بالمعمودية.

«بشبه موته»: τῷ ὁμοιώματι

لم يستقر الشراح حتى الآن على المعنى الصحيح لقول ق. بولس «بشبه موته»، فالعالِم لايتفوت يقول: إن الموت الذي نجوزه مع المسيح ليس هو الموت الطبيعي بل الموت السري أي بالمفهوم الروحي، وهذا معنى شبه موته. وهذا يتفق مع قول ق. بولس إن الجسد العتيق قد صُلِبَ معه، فالصَّلْب هنا صلب مستيكي سري تظهر قوته بالسلوك العملي حينما يكفُّ عن الخطية. والعالِمُ باريت يقول: إن شبه الموت يعني المعمودية، ففي المعمودية يحدث شبه موت المسيح. والعالم كايسمان يقول: إن المعمودية هي تحقيق فعلي للصليب وليس تكراراً، وكلمة «الشبه» تفيد هنا إفادة كاملة وكلية هذا المعنى، حيث الشبه يعني نفس الصورة إنما على مستوى روحي، فنحن نموت فعلاً مع المسيح في المعمودية وبهذا نتخلص من قوة الخطية. على أن هذا الموت يتحتم أن يحمل بعده القيامة على نفس المستوى من الشبه أيضاً، أي ليس بمفهوم الأنستاسيس (القيامة) بصورتها العامة، ولكن كفعل قيامة شخصي فردي واقعي حي من موت بشبه قيامة المسيح من الموت.

٦: ٦ **«عالِمِينَ هذا أن إنسانَنا العتيقَ قد صُلبَ معه ليُبْطَلَ جسدُ الخطيةِ كي لا نعودَ نُستعبدُ أيضاً للخطيةِ».**

محاولة لشرح الآية السالفة «متنا معه» و«متحدين معه بشبه موته». فالذي مات فينا هو الطبيعة الآدمية، طبيعة الخطية التي وصفها بالعتيقة، وذلك في مقابل الذي وُلد لنا أو خُلق فينا أي

الطبيعة الجديدة. وهكذا إذ مات الذي كنا مُمسَكين فيه أي جسد الخطية، فقد تحررنا من الخطية التي كانت مالكة علينا، وبالتالي فلم نَعُدْ مُستعبَدين للخطية.

ولاحظ هنا أن ق. بولس يعطي الصفة الشخصية للجسد العتيق كأنه إنسان قد صُلب بالفعل ومات:

+ «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق **الإنسان العتيق** الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم.» (أف٤: ٢٢و٢٣)
+ «**إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد** الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو٣: ٩و١٠)

ووَصْفُ ق. بولس الخطية في جملتها «بالإنسان العتيق» و«بجسد الخطية»، يوضح كيف أن الخطية لها أعضاء كثيرة تعمل في توافق وتآزر وتكامل يشد الواحد الآخر ويتجاذب الكل ضد روح الإنسان:

١ ــ وهذا ما حدا بالقديسين القدامى إلى وصف الخطية بعدة شياطين وقد تخصص كل شيطان في نوع من الخطايا، وهم (أي الشياطين) يتحايلون بالتبادل على الإنسان، فإذا قَبِلَ واحداً منهم أسرع هذا الواحد واستدعى زميله. فشيطان الحنجرة إذا تملك على روح الإنسان استدعى هذا الشيطان زميله شيطان ملء البطن، فإذا استراح إليه الإنسان أسرع هذا الشيطان واستدعى شيطان الزنا أن يحضر في الحال ثم الغضب ثم القتل وهكذا. وكأن الخطية كائن عضوي له تخصصاته.

٢ ــ وآخرون وصفوا الخطية بشيطان واحد محتال يخفي في باطنه أدوات وآلات يصطاد بها الناس، فأدوات يضعها حول عينيه وأخرى حول أذنيه وحول بطنه وهكذا، فالتي حول عينيه يرشق بها روح الإنسان فيجعل عينيه تنفتح على شهوة الجمال فيزني بقلبه، والتي على أذنيه يفتح بها آذان مريديه إلى أغاني العشق، والتي على البطن لملء البطن وهكذا.

والوصف الأول قريب للغاية من أصول علم النفس، فالغرائز في الإنسان منفتحة على بعضها وهي في جملتها تشكل تركيباً نفسياً متكاملاً. مثلاً غريزة السعي على الرزق (ملء البطن) ملتحمة بغريزة الجري وراء الجنس الآخر (الزنى)، ومن الاثنين تنشأ غريزة التملُّك (القنية) ثم غريزة التفوق (الكبرياء وحب العظمة) وبعدها غريزة السيطرة على العائلة أو القبيلة (حب الرئاسة والتألُّه) وهكذا ...

وبهذا الوصف سواء الديني من جهة الخطية أو العلمي السيكولوجي من جهة التركيب النفسي، نجد أن التقابل بينهما يشكل صورة واقعية للإنسان الطبيعي أو البدائي أو الفطري الذي يسميه ق. بولس بالإنسان العتيق أو ابن آدم ذي الطبيعة الميَّالة للخطية ـــ أي المندفعة نحو غرائزها.

هذا الإنسان العتيق يجوز **بالإيمان بالمسيح وبالمعمودية** عملية تحول عظمى وخطيرة عميقة غاية العمق ومتجذرة في صميم أصول الخلقة الأُولى، كالتحوُّل من موت الدودة ـــ القذرة التي تزحف على بطنها ـــ في شرنقتها لتخرج منها بعد فترة التحول الداخلي الفراشة البيضاء الجميلة لترفرف بأجنحتها في السماء. أو كالتحول الذي تجوزه حبة القمح التي تُدفَن في التربة السوداء لتتفتح ويتغير شكلها وتركيبها وتنبثق من باطن الأرض عوداً أخضر جميلاً عطراً يحمل أثمار الحياة. هكذا يموت الإنسان العتيق، إنسان الفطرة والغرائز والخطايا، في موت المسيح ويجوز معه دفن القبر ليقوم بعد التحول الروحي الداخلي بطبيعة جديدة متَّحدة بالمسيح إنساناً حيًّا جديداً، ذا ميول جديدة وعواطف روحية سماوية يتسامى بغرائزه ليخدم الله، ويحيا لتمجيده عوض خدمة الجسد وشهواته والعالم بغروره والموت كمصيره.

وينبغي أن نعلم أن تعبيرَي «الإنسان العتيق» و «جسد الخطية»، مع تعبيرَي «الإنسان الجديد» و «ناموس البر في المسيح» يشكِّلان معاً في الحقيقة صورة واحدة صادقة وكاملة للإنسان، إنما يستحيل كل الإستحالة أن ينجمعا معاً في وقت واحد كما لا ينجمع الشر مع الخير ولا الخطية مع برِّ الله أبداً، إنما يجوزهما الإنسان مرحلة بعد مرحلة. فإن بقي الإنسان في مرحلة الإنسان العتيق وفي جسد الخطية وتعوَّق فيها وتعطَّل، يكون قد فقد مرحلته الثانية التي هي من صميم خلقته الإلهية الأصلية التي أكملها له المسيح، ويكون قد حرم نفسه بنفسه من أجمل معطيات الله للإنسان التي وهبها له لتكميل سعادته، ويكون بذلك قد قطع بيده امتداد حبل حياته من ظلمة شهوات هذا الدهر إلى مجد النور والخلود.

«كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية»:

نعم فالذي عبر مرحلة الإنسان العتيق وفلت من ربقة جسد الخطية وأُنقذ من ناموس الخطية الرابض في الأعضاء بوضعها الفطري، ودخل مرحلة الإنسان الجديد، وذاق موهبة الله، وسرى في قلبه وذهنه وروحه ناموس بر الله القائم على الحب والطهر والقداسة، كيف يعود إلى نَقْع الخطية وينغمس في طين حمأة الأوساخ والشرور؟ إن مجرد تذكُّرها يثير أشجان النفس ويقبضها، ومجرد تصوُّر مصيرها الذي كان يكتبه الإنسان بنفسه وهو مندفع إلى هاوية لا خلاص منها يُرعب الروح

والبدن: «فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن، لأن نهاية تلك الأمور هي الموت.» (رو٦: ٢١)

وينبغي أن نعلم أن التحوُّل الخطير الذي يجوزه الإنسان بدم المسيح من الخطية إلى البر ـــ من الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد ـــ يحمل في طياته عناصر إلهية يصعب جداً تحديدها. **«فالقديم»** هو التعبير غير الدقيق عن **ما هو لآدم**، **«والجديد»** هو التعبير غير الكافي الذي يعبِّر عن **ما هو للمسيح**. فالتحوُّل هنا أو التغيير يحمل، إذا تم، عناصر خِلْقية سرية في صميم طبيعة الإنسان ذات تأصل وثبوت يصعب جداً تراجعها وانحدارها مرة أخرى للقديم، كمحاولة عودة الكتكوت إلى البيضة التي خرج منها.

٦: ٧ **«لأن الذي ماتَ قد تبرَّأ من الخطيةِ»**(٥).

هنا في هذه الآية القصيرة البسيطة المختصرة يتركز مفهوم الخلاص كله وكذلك عطية بر الله بالمسيح!!

«لأن»: γάρ

بادئة تفيد أن هذه الآية تأتي مترتبة على سابقتها وموضحة لها. باعتبار أن سابقتها تتلخص في كلمة واحدة وهي «معمودية الموت»!! ولكي نوضح ما خفي في هذه الآية سنضطر لتغطية ما سبق وقلناه بغاية الاختصار والسرعة:

لما جاء ملء الزمان وانفتحت أحشاء الله على الإنسان وهو مائت روحياً وأدبياً وأخلاقياً بل وبشرياً في الذنوب والخطايا، أراد الله أن يهبه برَّه الخاص، ولكن خطاياه احتاجت أولاً أن يعمل الله على إزالتها من الوسط وقد كانت واقعة تحت حكم عدل قضاء الله. فبذل الله ابنه متجسداً **ليحمل** خطايا الإنسان في جسده ويجوز بها تحت عدل قضاء الله، أي حكم الموت والدينونة. فجاز وحُكِمَ عليه ومات. وقام آخذاً حكم تبريء الإنسان من الموت الذي كان عليه بمقتضى خطاياه، باعتبار أن المسيح مات وليس عليه خطايا كل الناس وحسب بل وإنه مات بجسد البشرية **الخاطئة ذاته**: «فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد» (رو٨: ٣)؛ فاعتُبر أن كل ذي جسد بشري تلقَّى في جسد بشرية المسيح ذات الحكم ومات معه بذات موته وقام معه بذات قيامته حائزاً مع المسيح حكم تبريء من الموت الذي كان عليه بمقتضى

(٥) لقد ذهب الشُرَّاح في تفسير هذه الآية كل مذهب، ولكنها في الحقيقة لا تحتمل إلا حلاً واحداً بحسب لاهوت ق. بولس.

كل خطاياه. وهذا هو المتحصَّل من عمل الإيمان بموت المسيح وقيامته، والمتحصَّل في المعمودية بالشركة في موت المسيح ودفنه وقيامته.

إذاً فبمعمودية الموت مع المسيح يكون الإنسان قد تقبَّل حكم الموت عن خطاياه مع المسيح وقام مع المسيح متحصلاً على حكم البراءة من خطاياه: «الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥). وهذا هو معنى: **«لأن الذي مات (مع المسيح) قد تبرَّأ من الخطية»** (رو٦: ٧)، بل هذا هو تبرير الله للإنسان الذي أهَّله للقيامة والحياة الأبدية ونوال روح الله مع كل عطاياه ومحبته الأبوية كتاج!!

أما محاولة العلماء والمفسرين تفسير **«الذي مات قد تبرّأ من الخطية»** على التوازي مع فكرة أنَّ من كان عليه دَيْن ومات يكون قد سقط الدَّيْن من عليه كما يقول لايتفوت([٦]) وكل العلماء معه، فهذا لا يتناسب قط مع أخذ حق الحياة بعد ذلك! **لأن الحصول على حق الحياة يأتي من تكميل حقوق عدل الله أي بأن يتبرأ الإنسان قانونياً أمام قضاء عدل الله ليستحق نوال برِّ الله. فالمسألة أعمق لاهوتياً من مستوى سقوط الدين بالتقادم أو سقوطه بالموت أو خلافه من التخريجات العقلية.** فالقديس بولس لا يقول أن الذي مات تسقط خطيته، بل قال: يتبرأ، **فهنا حالة قضاء ودينونة انتهت بحالة تبريء أمام الله!! وكان ثمنها أفدح ثمن دُفِعَ على وجه الأرض، إنه دم ابن الله.**

واستناد العلماء على قول ق. بولس بذلك في مناسبة الناموس بالنسبة لسقوطه عن الذي مات في الأصحاح السابع لا يجوز تطبيقه هنا، لأن الناموس هو فعلاً عقد يقوم على الأحياء وليس الأموات. **أما الخطية فهي في رقبة الإنسان حيًّا وميتاً وسيُدان عليها الأحياء والأموات، فتحتم رفعها قانونياً عن رقبة الأحياء والأموات سواء، لأن الناموس زمنيٌّ هو، أما الخطية فستلاحق الإنسان، عاش أو مات، في هذا الدهر وفي الدهر الآتي ...، فما أخطرها وما أرذلها!!**

٦: ٨ **«فإن كُنا قد مُتنا مع المسيح نؤمنُ أننا سنحيا أيضاً معه».**

تحصيل حاصل ونتيجة حتمية لكل من يموت فعلاً في المسيح فإنه حتماً يقوم ويحيا معه، **لماذا؟**

6. Lightfoot, *op. cit.*, p. 297.

لأن الذي مات مع المسيح قد تبرّأ من الخطية كما قالت الآية السالفة، ومعروف قطعاً وبالضرورة أن كل مَنْ مات مع المسيح تبرَّأ من الخطية لأنه أكمل عقوبتها أي حكم الموت، فلم يَعُدْ للموت عليه حقوق ولا سلطان: «أين شوكتكَ يا موت أين غلبتكِ يا هاوية. أما شوكة الموت فهي الخطية!» (١كو١٥: ٥٥و٥٦). فلأن قيامة المسيح كانت محتمة تحتيماً لأن حكم الموت الذي ماته تقبَّله ليس عن نفسه كأنه يستحق الموت، ولكنه تقبَّله من أجل البشرية بالكامل؛ لذلك فلما أكمله تبرأت البشرية من حكم الموت ومن كل ديونها من جهة الخطية. وقام المسيح حتماً وبالضرورة لأنه كان غير مستحق للموت في ذاته، في شخصه، وحتى في جسده، فقام بجسده ممجداً. وإذ قام أيضاً بجسد بشريتنا بعد أن برَّأه من الموت ومن الخطية قمنا معه باستحقاق برِّه وقداسته وأخذنا حياة من حياته:

+ «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل٢: ٢٠)،

+ «لي الحياة هي المسيح.» (في١: ٢١)

«سنحيا ... معه»: συζήσομεν

عجيب ق. بولس حقاً أن يجعل الموت مع المسيح في الفعل الماضي كحدث كامل منتهٍ وواجب الانتهاء على مستوى التبريء الكامل، **«فالذي مات قد تبرأ من الخطية»**، ثم إذ يجيء للحياة التي يتحتم أن تجيء بعد الموت فإنه يضعها في المستقبل. وهو هنا يرفع عنها، أي عن هذه الحياة مع المسيح، صورة الحتمية الزمنية كحدث واجب الحدوث لأن الأمر لا يزال يتعلق بالمسيرة الزمنية للإنسان. فالتبريء من الخطايا نأخذه، وبرّ الله بالنعمة نعم نناله ونقيم فيه، ولكن الحياة مع المسيح تحتاج إلى سلوك واعٍ وحذر لأنها في حقيقتها اللاهوتية ليست زمنية، **الحياة مع المسيح أخروية كليةً من ألفها إلى يائها، فإن استطعنا أن نأخذها الآن وفي هذا الزمن فهي مجرد عربون أو صورة مصغَّرة من الطوبى العظمى الموعودة.**

لذلك يقول عنها في الآية (٦: ٤): «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ــ هكذا **نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة».** هنا أعطى لنا ليس "الحياة مع المسيح" **بل أن نسلك** ــ وليس في الحياة الجديدة، بل في **جدة الحياة**، بمعنى أنها تتجدد لنا يوماً بيوم بمقدار ما نطابق متطلباتها. **فالقديس بولس حذر جداً في القطع بإمكانية بلوغ الكمال**، سواء في القيامة أو الحياة الأبدية في الحاضر أو في يوم الدينونة بظهور المسيح واستعلان مقاصد الله في الحاضر. فهذه كلها يجعلها في دائرة الرجاء، الرجاء بالآتي غير المنظور، على أن الرجاء عند ق. بولس لا يقل قوة وفاعلية عن الإيمان، ولكن الإيمان يختص بما عمل المسيح وقال، والرجاء بكل ما وعد المسيح أن يكون.

٦: ٩ **«عالِمِينَ أن المسيح بَعْدَ ما أُقيمَ من الأمواتِ لا يموتُ أيضاً. لا يسودُ عليه الموتُ بَعْدُ».**

إن قيامة المسيح من بين الأموات كانت **حدثاً أخروياً** لم يلحظه الزمن ولم يستطع أن يسجِّله لأنه كان يفوق قدرات الزمن والزمنيين على الرؤيا والمتابعة، فقيامة المسيح إن أردنا تعريفها حقيقة هي بدء الإعلان عن قيامة الدهر الآتي وبدء العدّ التنازلي لمجيء اليوم الأخير. لذلك اختفت قيامة المسيح من دائرة الزمن ودخلت طيات العالم الآخر مباشرة بصعوده إلى أعلى السموات. فهو لم يعد تحت عوامل الزمن وبالتالي يستحيل أن يسود عليه الموت مرة أخرى، لأن بقيامته أثبت أنه هزم الموت وألغى سلطانه وسيادته نهائياً!!!

القصد من هذه الآية هو وضع حدٍّ فاصل بين عمل المسيح في الموت الذي قبله بإرادته وسلطانه طاعة لله أبيه لحساب رفع خطية الإنسان وتبرئته أمام قضاء عدل الله، وبين حياته التي دخلها في دائرة العالم الآخر حيث لا سلطان للموت عليه فيها قط. وهذا يقوله ق. بولس توطئة لتوضيح مدى تعلُّقنا نحن أيضاً الآن بأصول هذه الحياة الأخرى.

فإن كنا قد اتحدنا معه في موته وقيامته، فمن جهة الموت أخذنا نصيبنا الهائل فيه إذ نلنا التبريء من خطايانا وانتهاء سلطان الموت علينا، ولكن من جهة القيامة من الأموات فنحن إنما نناها بالإيمان فقط لأنها تختص بالحياة الأخروية حياة الدهر الآتي.

٦: ١٠ **«لأن الموتَ الذي ماتَه قد ماتَه للخطيةِ مرةً واحدةً والحياةُ التي يحياها فيحياها لله».**

هنا إشارة سرية مبدعة أن المسيح لم يمت إلاَّ **عن الخطية**، فكان **يستحيل على المسيح أن يموت لأي سبب آخر** فيه إلاَّ عن خطية الإنسان التي حملها في جسده على الخشبة، لذلك مات عنها مرة واحدة وبعدها قام، فليس للموت عليه سلطان بعد أن أنهى على خطية الإنسان.

و **«موته مرة واحدة»** حقيقة لاهوتية، فذبيحة المسيح بتقدمة نفسه لا تتكرر كذبائح الكفارة في العهد القديم لأنها ذبيحة حيَّة دائمة قائمة في السموات ودمها يتكلم أفضل من هابيل!

ق. بولس يوضح أنه لا يمكن من جهة المسيح وبالتالي من جهة المسيحية، بعد الدخول في الحياة فيما بعد القيامة، أن توجد حياة في الخطية أو يوجد موت للخطية أو تبريء جديد آخر من

جهة المسيح للخطاة. فالموت الذي ماته قد ماته للخطية أي ليتعامل ضدها، وبالفعل أبطلها مرة واحدة ولن تتكرر لأنه دخل مرحلة الحياة الأبدية التي تخص الله، بل وحتى مجيئه الثاني الذي ننتظره بالإيمان سيكون لا علاقة له بالخطية بالمرة: «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين **سيظهر ثانية بلا خطية** للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب٩: ٢٨)

وموت المسيح للخطية مرة واحدة يحوي من المعنى كمال الكمال، إذ أنهى على الخطية تماماً حينما أبطل الموت كحكم عقاب على الخطية، فأصبحت الخطية عند الذين نالوا حكم الموت مع المسيح بلا فاعلية. إذاً أصبحت العودة للخطية – بعد الإيمان بالمسيح، والانصباغ بموت المسيح، وقبول التبرئة من حكم الدينونة، لا معنى لها ولا قبول، توكيداً لقول ق. بولس في بدء الأصحاح: «نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها» ؟؟؟

وبمنتهى البساطة نلخص الشرح هكذا: الذي نال حكم **براءة أبدية** عن الخطية كيف وبأي منطق يعود إليها بعد إلاَّ كمن يعود إلى القبر بعد أن قام حيًّا؟ فالخاطىء لم ينل حكم براءة أبدية فقط بل نال هبة **نعمة** مقيمة وتبرير الله **وحياة**؟؟

٦: ١١ **«كذلكَ أنتم أيضاً احسِبُوا أنفسَكم أمواتاً عن الخطيةِ ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوعَ ربِّنا».**

كل ما قاله ق. بولس في الآيتين (٩و١٠) السابقتين عن المسيح قالهما للتطبيق المباشر على الذين ماتوا مع المسيح وقاموا، ماتوا عن الخطية ليحيوا حياة البر لله.

فهو يريدنا أن نطبق ما عمل المسيح من أجلنا، **فهو مات مرة واحدة عن الخطية**، فنحن يلزمنا أن ندرك عمق هذا التعبير **«مرة واحدة»**. وبعدها قال: «لا يسود عليه الموت بعد» أن قام، لذلك يستبعد عنَّا ق. بولس أن نعود للخطية التي مات المسيح عنها **«مرة واحدة»** ومتنا نحن معه في هذه المرة الواحدة. وكما أنه لن يسود عليه الموت بعد أن قام، هكذا يريدنا أن نعلم أنه يستحيل أن يموت المسيح عنَّا مرة ثانية إذا أخطأنا، فيتحتم أن لا نخطىء مرة ثانية، لماذا؟ لأن المسيح بعد أن مات وقام فهو يحيا لله، لذلك فبعدما أقامنا الله مع المسيح من موت الذنوب والخطايا فقد انفتحت لنا الحياة مع الله. فالحياة التي نحياها بعد تبرير الله لنا يلزم أن تكون لله وليس في الخطية. كما قالها ق. بولس عن نفسه:

+ «مع المسيح **صُلِبْتُ، فأحيا** لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

ولقد وضعها ق. بولس بشكل آخر، متشدداً وبشيء من التحذير المخيف: «فإنه **إن أخطأنا باختيارنا، بعد ما أخذنا معرفة الحق** لا يبقى بعد ذبيحة (صليب) عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين» (عب١٠: ٢٦و٢٧)؛ وذلك في أمر اليهود المتنصرين الذين كانت تتلاعب بهم الأهواء من جهة جحد الإيمان بالمسيح والعودة إلى اليهودية حيث كلمة «أخطأنا» هنا لا تفيد خطية أخلاقية بل خطية إيمانية منصبَّة على جحد المسيح بالإرادة الحرة!!

وهنا في سفر العبرانيين يُفهم هذا التحذير المريع على أساس أنه بمجرد أن يجحد اليهودي المتنصر إيمانه بالمسيح **بعد أن يكون عرف أنه هو الحق**، فإن ناموس موسى نفسه يرتد عليه لأنه معروف أن الذبائح جميعاً هي للتكفير عن خطايا السهو فقط وليس العَمْد، لأن خطية العَمْد ليس لها تكفير أو غفران بل حكم الموت بلا رحمة، لذلك يقول: **«إن أخطأنا باختيارنا»** بمعنى خطية الإرادة المتعمَّدة، وهنا لا يكون له ذبيحة تكفير بل موت بلا رحمة.

وفي الآية (١١) يذكرنا ق. بولس أننا «متنا مع المسيح»، **وهكذا حَسِبَ الله إيماننا بموت المسيح الذي من أجلنا، موتاً لنا أيضاً فيه**، فيقول:

«احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية»:

حيث كلمة احسبوا λογίζεσθε هي نفس الكلمة التي قيلت لإبراهيم: «فآمن بالرب فحسبه له براً» (تك١٥: ٦). ومعنى القول أنه كما حسب الله إيمان إبراهيم براً، هكذا وبنفس اليقين وبنفس الإيمان «**احسبوا** — (والأمر هنا صادر من الله وموجَّه لنا على فم ق. بولس بالروح، فهو أمر إلهي واجب التنفيذ) — **أنفسكم أمواتاً عن الخطية**». وهذا يعني **أولاً:** أنكم صرتم مُبرَّئين منها، **وثانياً:** أنها أصبحت ليست ذات سلطان عليكم، **وثالثاً:** أن ترفضها قلوبكم وأجسادكم وكأنها ماتت من نحوها، وما شأن الميت بعد بملذات الدنيا وشهواتها وكذبها وغرورها وزناها؟

«ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا»:

الذي مات عن الخطية فحتماً يحيا لله، والمسيح نموذج ومصدر. فالمسيح «مات للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحياها فيحياها لله». هكذا كما متنا معه عن الخطية يتحتم بمنطق المسيح أن نحيا بقوة قداسته لله. علماً بأنه يستحيل أن نحيا لله بدون المسيح، ففيه وحده نعيش ونتراءى — بجرأة — أمام الله كل حين.

وحينما يُقال عن المسيح أنه يحيا لله، فهذا معناه أنها حياة الحق والدوام. وهنا قوة المصدر الذي منه نستمد حياتنا لله. فالذي مات عن الخطية على مستوى المسيح ومعه، يحيا لله على مستوى المسيح وله أيضاً، ولا عودة لحياة الخطية إلاَّ بإنكار المسيح الرب.

والسؤال الهام: **فماذا لو أخطأنا؟**

الجواب يقوله يوحنا الرسول في مسلسل توضيحي مبدع:

+ «إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهِّرنا من كل خطية،
إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا،
إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم،
إن قلنا إننا لم نخطىء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا،
يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، **وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار،**
وهو كفَّارة (دائمة) لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو١: ٧—١٠؛ ٢: ١و٢)

وهنا وإن كان يعوزنا المكان والزمان لنوفي هذه الآيات حقَّها بالشرح المستفيض، ولكن يكفي أن نقول إنه هكذا صارت كل خطية نعملها قابلة للصفح والغفران؛ بل وللتطهير بدم المسيح، إن اعترفنا بها لدى الله والكنيسة، ولكن لدى الله أولاً.

علماً بأن الخطية الآن بعد موت المسيح وقيامته صارت فاقدة سلطانها القاتل بسبب دم المسيح المحسوب أنه دم كفَّارة قائم دائماً أمام الله يحمل اسمنا. فهو من جهة خطايانا ككلٍّ، محسوب أنه الفادي؛ وكل خطية تصدر عنا بعد ذلك فهي تجوز على دم المسيح في الاعتراف فننال عنها تطهيراً.

[٦: ١٢–٢٣] تحررنا للطاعة، لتحقيق عمل برِّ الله في حياتنا

نداء لتقديس الجسد (٦: ١٢–١٤):

هنا يدخل ق. بولس صراحة في كيف نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية وأحياء لله في المسيح.

١٢:٦ «إذاً لا تَمْلِكَنَّ الخطيةُ في جسدِكُم المائتِ لكي تُطيعُوها في شَهَواتِه».

ق. بولس يبدأ منطلقاً من تقرير حقيقة يلزم أن نكون قد استوعبناها، وهي أننا بموتنا مع المسيح صرنا أحراراً من الخطية، وأن الخطية فقدت سلطانها علينا إذ رُفع عنا حكم الموت، وأننا قد متنا عن الخطية وتبرأنا منها، فأصبحت أية علاقة جديدة بيننا و بين الخطية هي بمثابة محاولة تمليك إرادي للخطية من جديد في أجسادنا التي صُلبت مع المسيح!

ولكن لا يزال هناك معنى مستتر لا يُستهان به في قول ق. بولس: «لا تَمْلِكَنَّ الخطية»، وهو أن الخطية نفسها **فقدت قدرتها على التملُّك**: وإلاَّ ما كان يقول ق. بولس **لا تملكنَّ** الخطية، شأننا في ذلك شأن عبد قد تحرر من عبوديته بدفع ثمن باهظ، فنقول له لا تعد تتعبد لأحدٍ ثانيةً! فهو الآن حرٌّ ولا سيد عليه!!

«في جسدكم المائت»:

تكرار لما سبق وقاله ق. بولس: «نحن الذين **متنا** عن الخطية»، «اعتمدنا **لموته** فدفنا معه»، «متحدين معه بشبه **موته**»، «إنساننا العتيق قد صُلب»، «**ليُبطل جسد الخطية**»، «الذي **مات** قد تبرأ من الخطية»، «قد **متنا** مع المسيح»، «احسبوا أنفسكم **أمواتاً**».

وهنا يوضِّح أن أية علاقة بين الجسد الذي مات مع المسيح على الصليب، و بين الخطية مرة أخرى، هي بمثابة إعادة تقييد العبد لنفسه بأن يضع بيده الطوق الحديد في رقبته بعد أن فكَّه سيده وأطلقه حرًّا.

أما بالمفهوم السيكولوجي والفسيولوجي العلمي، أي فيما يختص بعلم النفس ووظائف الأعضاء، فإن سلطان الروح القدس على النفس البشرية وتشبُّعها بالروح، وحبَّها للمسيح والآب، وفرحها بالرب وسعادتها بطهارتها وقداستها الجديدة، ودخولها في زمرة قديسي الله، يجعل الغرائز

والشهوات الجسدية والأفكار المنحرفة تهدأ وتكف عن الإلحاح والثورة، فالعين تتعفف مع الأذن، والإرادة تفزع من تصور الانحرافات. فنجد أن الإنسان يمتنع تلقائياً عن الأعمال والتصرفات السلبية جميعاً ويكف عن الانغماس في الشهوات، والعقل لا يعود يتصوَّرها أو يتعامل معها، وهكذا تصير جميع أعضاء الإنسان الجسدية والنفسية رافضة لقبول، أو للتعامل مع، الخطية والانفعال بها حتى بالفكر، فتبدو أعضاء الإنسان فعلاً وقد ماتت تجاه الخطية ولا يوجد لها حتى ولا أية استجابة تجاه أية خطية بفعل نشاط النعمة.

هنا ق. بولس يحذر، أنه بعد هذا المكسب الهائل، إذا تهاون الإنسان وبدأ يداعب الخطية، فإن الأعضاء والأفكار والإرادة الجسدية تستيقظ وكأنها كانت مائتة ثم بدأت تحيا وتتحرك وتنفعل مرة أخرى للخطية، هذه جريمة، كَمَنْ يروِّض طفلاً بريئاً طاهراً على اقتراف الخطية. والخطية ـ التي دفع الإنسان ثمن تحرره منها ليس من ماله ولا من صلب حاله؛ بل دم المسيح ابن الله، وأخذ وثيقة بأنها حُسبت بالنسبة له وقد ماتت ولا وجود لها، يعود الإنسان ويربِّي بذرتها النجسة مرة أخرى في لحمه ودمه لكي تنمو وتتفرخ وتصير خطية قاتلة تحتاج لمسيح يُصْلَب ثانية؟؟

هذا الموقف بالذات لمثل هؤلاء المرتدين إلى الخطية يقول عنهم ق. بولس في سفر العبرانيين: «إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه.» (عب٦:٦).

إذاً علينا أن نحترس من هذا العدو المائت ـ الخطية ـ الذي لا يزال له في أجسادنا وغرائزنا جواسيس وعملاء خونة تتجسَّس على إرادة ضمائرنا كل ساعة؛ حتى إذا وجدت ميلاً نحو الخطية، ترسل إشارتها لسيدها الميت المقهور ليقوم ويملك ولو في موته: فلا تملكنَّ الخطية الميتة في جسدكم الميت لكي تطيعوها بعد هذا كله في شهواته التي تُلِحُّ داخلكم تطلب العودة إلى سيرتها الأُولى المرذولة. «أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف.» (مت٢٦: ٤١)

١٣:٦ «ولا تقدِّموا أعضاءَكم آلاتِ إثمٍ للخطيةِ بل قدِّمُوا ذواتِكم لله كأحياءٍ من الأمواتِ وأعضاءَكم آلاتِ برٍّ لله».

«آلات»: ὅπλα = أسلحة.

الترجمة العربية غير دقيقة فهي ليست آلات بل **أسلحة**. فالقديس بولس يصوِّرها أنها حرب الله ضد الخطية في داخل الإنسان. فآدم بادىء الأمر لم يسلِّمنا أنواع خطايا بل سلَّمنا طبيعة تصلح أعضاؤها أن تمتلكها الخطية فتحارب بها الله!!!

وأعضاء الجسد ليست هي فقط العين والأذن واللسان واليد والرجل. بل كل المَلَكات faculties في الإنسان، الراقية وغير الراقية: الفهم والوعي والذكاء والضمير والإحساس ومراكز الإرادة والتدبير والتحكيم والإفراز وكل الغرائز بتعددها، بل وكل المراكز العليا الأربعة والعشرين في المخ، هذه كلها تعرضت للتلف بخطية آدم لأنها انفتحت على صوت الشيطان واستوعبته، وهكذا أخضعها الإنسان الأول بمشيئته لمشورة الشيطان فوجد له فيها مكانة الآمر والمتسلط. وهكذا نحن استلمناها في طبيعتنا التي ورثناها من آدم مجروحة بخديعة الشيطان وقابلة للإنفتاح عليه. وأصبحنا نُسأل عن مدى الخضوع للشيطان علماً بأننا غير مجبرين على الخضوع، فهذا الأمر بقي الإنسان فيه حرًّا.

وها نحن قد عرفنا ما اكتسبه لنا المسيح للطبيعة البشرية الجديدة، كيف أمات الخطية في الجسد ففقدت الخطية تسلُّطها على أعضاء الإنسان، وكيف ألغى سلطان الموت فحرر الإنسان وكل أعضائه من الموت الذي كان الإنسان واقعاً تحت عبوديته بسبب الخوف كل أيام حياته. ومعروف في علم النفس أن الخوف ينهي على سلطان الإرادة في الاختيار. فالمسيح أعاد للجسد حريته وافتخاره ببنوَّته لله فأعاد لأعضائه الهدوء والثقة والسلام وعدم الخوف، حتى إذا اختار الإنسان يختار بإرادة سليمة كاملة حرَّة.

هكذا أعاد الله للإنسان قدرة الوقوف مرة أخرى أمام شجرة معرفة الخير والشر قادراً أن ينحاز للخير ويحارب بأعضاء ذهنه الجديد وطبيعته الجديدة ضد أية سلطة للشر ويُخضعها لبر الله:

+ «لأننا وإن كنا نسلك في الجسد، **لسنا حسب الجسد نحارب**. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية (كما للإنسان العتيق المجروح بجرح الشيطان) بل قادرة بالله (أعضاء تقدَّست بالروح) على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل عُلو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.» (٢كو١٠: ٣–٥)

«كأحياءٍ من الأموات»:

بعد سقوط الإنسان فريسة لمعرفة الشر وفقدانه القدرة على المقاومة وتمرُّسه في معرفة أسباب سقوطه وضعفه وإدراكه لمداخل الشيطان ودهائه وخداعه في جذب الفكر والإرادة والشهوات كلها لصفِّه وإخضاعها لسيادته واستخدامه لأعز ما يملك الإنسان من مَلَكات عُليا وشريفة لتعمل لحسابه وتنحط إلى أسوأ صورة من الحيوانية، نقول بعد هذا حينما يقوم الإنسان الميت من ذنوبه وآثامه بقوة الله ويأخذ حياته في المسيح، تصبح درايته السالفة بأعمال الخطية وخداع الشيطان مُضافةً لقدراته في المحاربة ضد كل حيل العدو.

لذلك، فإن تأكيد ق. بولس على مهارتنا في استخدام أعضائنا كأسلحة تخدم بر الله وتحارب حسابه، إنما يقوم على خبرتنا المرَّة السابقة التي اكتسبناها من أيام انهزامنا وعبوديتنا السابقة عندما كنا كأموات في الذنوب والخطايا. لذلك ترتفع هنا قيمة قوله: «كأحياءٍ من الأموات»، أو عند قوله: «لأننا لا نجهل أفكاره.» (٢كو٢: ١١)

١٤:٦ **«فإن الخطيةَ لن تسُودَكم لأنكم لستم تحتَ الناموسِ بل تحتَ النعمةِ».**

هنا ثلاثة ملوك وثلاث سيادات، وثلاثة عبيد بالتالي: الخطية وسلطانها، والناموس وسلطانه، والنعمة وسلطانها. وعبيد الخطية، وعبيد الناموس، وعبيد النعمة.

وهي تمثل الثلاث الأحقاب التي مرَّ تحتها الإنسان.

حقبة ما بعد آدم وهي حقبة اللاناموس واللانعمة حيث ملكت الخطية بالموت، وحقبة الناموس واللانعمة حيث ملكت الخطية بالوصية وقتلت الإنسان بالوصية، وحقبة النعمة حيث أبطل الناموس وأبطل الموت كعقوبة فأُبطلت الخطية وملكت النعمة.

فهنا يهتف ق. بولس مقوِّياً ومشجعاً الذين دخلوا عهد نعمة ربنا يسوع المسيح لينير أذهان قلوبهم أن جهادهم ضد الخطية بأسلحة البر أي بتسليح أعضاء الجسد بالروح في حربهم إزاء الخطية مضمونة النصرة، إذ أن الخطية فقدت سلطانها وسيادتها، إذ فقدت الناموس والموت معاً اللذين كانت تختبىء فيهما، **فلا وصية ناموس** وبالتالي لا تعدِّي، حيث لا تعود تُحسَبُ الخطية، **ولا الموت بعد**، كل هذا زال ببر الله المستعلن في موت المسيح وقيامته.

«تحت النعمة»:

هنا النعمة ذات سيادة فهي نعمة الله، والله العامل بنعمته، ونعمته كملت للإنسان بالفداء بيسوع المسيح الذي رفع الخطايا وألغى الموت وأعطى ناموس روح الحياة في المسيح يسوع عوض ناموس الخطية والموت. ونعمة الله عملها الأول والأساسي وهدفها الأول والأخير خلاص الإنسان من سلطان الخطية والعالم وحفظ الإنسان في العالم في اسم المسيح لنوال نصيبه المحفوظ له في السموات.

إذاً «**تحت النعمة**» تعني تحت عناية ورعاية الله وتدبيره الذي يقود الإنسان إلى ميراثه الأبدي مع يسوع المسيح. وفي هذا الإطار الواقي الناري لا تستطيع الخطية أن تستعيد سيادتها مرة أخرى لو استجاب الإنسان وخضع لتيار النعمة، فالمنقادون بروح الله أولئك هم أولاد الله المحفوظون بنعمة الله.

فالنعمة هي قوة الله السرّية أي الخفية التي تسكن أعضاء الإنسان العائش تحت خضوع النعمة بالتقوى، يتسمَّع تدبيرها أولاً بأول ويستجيب لإيحاءاتها ومشوراتها وهاتف الخير الذي تهتف به داخل القلب ليل نهار، و بهذا تتقوى الأعضاء وتصبح قادرة أن تقاوم وتغلب.

وقفة قصيرة للمراجعة

ماذا يريد أن يقول لنا ق. بولس في هذه الأعداد الأربعة عشر؟
ونحن نختصرها:

— كيف نعيش في الخطية بعد أن متنا عنها؟
— وإننا إذ قمنا مع المسيح فنحن نسلك في جدة الحياة، لأننا اتحدنا معه في قيامته.
— وإن إنساننا العتيق الآدمي صُلِبَ مع المسيح ليبطل جسد الخطية حتى لا نعود نُستعْبَد للخطية.
— وأن الذي مات بموت المسيح قد تبرأ من الخطية، والآن نحن نحيا معه.
— أي أننا أموات بالنسبة للخطية، أحياء لله بالمسيح.
— فمطلوب أن لا نعود ونملِّك الخطية في جسد مائت عنها.
— بل علينا أن نقاوم الخطية ونجعل أجسادنا لخدمة البر كمن دخل الموت وخرج منه وعرف الخطية وعرف الحياة.
— وأن الخطية أصبحت لا سيادة لها على مَنْ هم تحت النعمة.

فإلى ماذا ينتهي فكر ق. بولس من هذه الآيات؟

يقول ق. بولس: إننا نحن الذين نلنا بر الله بالمسيح، البر الذي استُعلِن في موت المسيح وقيامته بجسد بشريتنا، الذي بموته تخلصنا من الخطية والموت و بقيامته نلنا الحياة مع الله في جسد بشريتنا الجديد في المسيح، أصبح يتحتم علينا أن نترجم بر الله ونعمته فينا بالسلوك الأخلاقي الذي يليق بالحياة مع الله، و بذلك نعلن بأجسادنا حقيقة القيامة وحقيقة الدهر الآتي، أي بالمنظور نعلن غير المنظور، أي ونحن في صميم هذا الدهر وفي جسدنا هذا نعيش ونشهد للحياة الجديدة مع الله.

أما من جهة الخطية، فهي وإن كانت لن تكف عن حربها، إلا أننا بقوة النعمة المتحصلة من بر الله والتي تسكن الآن في أجسادنا وتملك فكرنا ومشاعرنا، مطالبون أن لا نعطيها فرصة السيادة علينا بعد أن أفقدها المسيح هذه السيادة وحرَّر الجسد من سلطانها، إذ كسر سلطان الموت الذي تعمل به، مهما كلفنا ذلك من ضبط وتضييق على الجسد والشهوات وإماتة الأعضاء عن الشهوات! «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدِّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية.» (رو١٢: ١)

نحن أحرار قبل أن نطيع الخطية،
فإذا أطعْنا الخطية صرنا عبيداً لها!

١٦و١٥:٦ **«فماذا إذاً؟ أنخطىءُ لأننا لسنا تحتَ الناموسِ بل تحتَ النعمةِ؟ حاشا. ألستُم تعلَمُون أن الذي تقدِّمونَ ذواتِكم له عبيداً للطاعةِ أنتم عبيدٌ للذي تطيعونَهُ إمّا للخطيةِ للموتِ أو للطاعةِ للبرِّ».**

في بداية الأصحاح السادس وضع ق. بولس السؤال الاستنكاري: «أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة»؟ رداً على الحقيقة أن ازدياد الخطايا عند الإنسان قبل المسيح أنشأ في المقابل نعمة بزيادة أكثر بالمسيح يسوع لتعادلها وترفعها وتحل محلها في العهد الجديد. و بعدها بدأ ق. بولس يوضح **قوة النعمة في مقابل انهزام** الخطية بموت المسيح وقيامته. فالنعمة والخطية، لا يجتمعان، كالحياة والموت اللذين لا يجتمعان.

هنا عاد ليضع **المقابلة بين الناموس والنعمة، وهي مقابلة ليست أبداً** كالمقابلة بين الخطية والنعمة. لأننا لو سرنا بالتوازي مع ما قاله ق. بولس بين الخطية والنعمة تكون الإجابة هنا كالآتي: أنخطىء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟، والرد: حاشا، لأن تحرري من الناموس — بسبب نعمة المسيح — **لا يعطيني الحق أن أُخطىء إلى الناموس، لأن وصايا الناموس هي كلها ضد الخطايا. إذاً فحينما أكون تحت النعمة أكون حرًّا من الناموس حقاً، ولكن لست حرًّا أن أخطىء. لأن أي وقوع تحت الخطية يلغي حريتي في الحال ويجعلني عبداً للخطية.**

وهنا ينتقل ق. بولس من المقارنة بين سيادة الناموس وسيادة النعمة إلى سيادة الخطية وهي

بيت القصيد. فيوضح كيف تتم سيادة الخطية، أي كيف تملك الخطية على الإنسان وتستعبد فكره وجسده وإرادته وكل شيء. وذلك بأن يطيع إيحاءاتها ويخضع لفعلها.

وهنا يعود ويضع مقارنة جديدة بين سيادة الخطية وسيادة البرّ على الإنسان وذلك بطاعة أي منهما. والقصد أن الذي يسلك في برِّ المسيح يثبت طاعته للمسيح، والذي يسلك في حياة الخطية يثبت أنه أصبح عبداً للخطية. ولكن يستحيل أن يجمع الاثنين معاً في حياته، لأنه كما قال الرب، لا يستطيع أحد أن يخدم سيدين:

+ «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر.» (مت٦: ٢٤)
+ «أجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن كل مَنْ يعمل الخطية هو عبد للخطية ... فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو٨: ٣٤و٣٦)
+ «أيها الأولاد لا يضلكم أحد، من يفعل البر فهو بارٌّ.» (١يو٣: ٧)

«عبيد للذي تطيعونه إمّا للخطية للموت أو للطاعة للبر»:

هنا العبودية ليست للطاعة في الحقيقة ولكن «"للذي" تطيعونه»، ثم عاد ق. بولس ووضع الخطية أو البر وكأنه هو ما نطيعه، ولكن الحقيقة أن الطاعة لا تُقدَّم إلاَّ لله في وضعها الأصيل. ففي حالة البر تكون طاعة الله للبر، أما الخطية، فيقال أيضاً، تجاوزاً، بطاعتها. ولكن الذي نطيعه في أمر الخطية هو الشيطان. هذا أوضحه ق. يوحنا بكل صراحة وجرأة: «مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطىء.» (١يو٣: ٨)

هكذا، إذا أطعنا الله صنعنا البر، وإذا خضعنا للشيطان صنعنا الخطية. لذلك كانت بالضرورة طاعة البر للتبرير وطاعة الخطية للموت. على أن الموت ليس هو موت الجسد بل الموت النهائي الأبدي الذي يُستعلَن يوم الدينونة.

كذلك التبرير فهو لحياة البر التي تُتوَّج بالخلاص والحياة الأبدية.

٦: ١٧و١٨ **«فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطيةِ ولكنكم أطعْتُم من القلبِ صورةَ التعليم التي تسلَّمتُموها، وإذ أُعتِقتُم من الخطيةِ صرتُم عبيداً للبرّ».**

ق. بولس يعود بسامعيه فجأة إلى أجمل وأعز يوم في حياتهم عندما أقبلوا على الإيمان بغيرة وصدق وفرح، كيف أصغوا إلى وصايا الإيمان التي لُقِّنوها وصية وصية، كما يسلِّم أب ابنه سر

الحياة والسعادة التي استلمها هو واختبرها وذاقها. وهكذا يذكِّرهم كيف انتقلوا هذه النقلة العظمى من العبودية المرَّة للخطية إلى حرية أولاد الله في المجد. ولكن لغة ق. بولس توضِّح أنهم إذ قبلوا من القلب التزموا التزاماً بما قبلوا.

«أطعتم من القلب»:

هكذا يحدد ق. بولس كيف يقبل الإنسان الإيمان المسيحي بقلبه، وهنا ينتقل الخبر إلى الإيمان والإيمان إلى إلتزام!

مفهوم الطاعة هنا في هذا المجال بالنسبة للبر يعني الإيمان الوثيق الذي قبله الإنسان بالروح وأدخله حيز التطبيق العملي على أساس وعد الإنجيل وليس مجرد الخضوع، فالطاعة في الإنجيل الممسوكة بالوعد لها قوة المقاومة ضد الخطية بصورة ضارية، إذ يحسب الإنسان الذي أطاع حق الله في الإنجيل وقَبِلَ البر كحياة، أن مجرد تلويح الشيطان بالخطية ولو من بعيد يكون بمثابة إعلان حرب واستنفار كل قوى الإيمان للمواجهة.

«صورة التعليم التي تسلمتموها»: ὅν παρεδόθητε τύπον διδαχῆς

هنا ثلاث كلمات تقليدية في الكنيسة لا تزال هي بنفسها أساس تقبُّل الإيمان المسيحي: صورة = τύπος وتعليم = διδαχή وتسليم أو تقليد = παράδοσις .

«صورة»: τύπον

هنا كلمة «صورة» لا تفيد نسخة من التعليم، ولكن تفيد طبعة أصيلة أو مثل أصيل من التعليم ليست مكتوبة ولكن هيئة صحيحة منطوقة. وقد أوضحها ق. بولس في مواضع أخرى: «تمسَّك بصورة الكلام ὑποτύπωσιν الصحيح الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع» (٢تي١: ١٣)، «وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح» (تي٢: ١). واضح هنا أن المسألة ليست مجرد تعليم، بل تلقين وتوضيح يشمل كل ما يحيط بالإيمان من فهم وفكر وسلوك أخلاقي. هنا تأتي الطاعة بمفهومها العملي، فإطاعة التعليم الصحيح إنما تختص بتطبيقه بإخلاص كما هو. وهنا يأتي شرح قول ق. بولس واصفاً انتقالهم من سيرة الخطية إلى سيرة المسيح التي فعلاً تستحق الشكر لله. نستخلص من هذا أن تسليم الإيمان المسيحي لم يكن مجرد تلقين مبادىء، بل طبع أخلاق وسلوك على المستوى العملي مما يحتاج إلى طاعة حقيقية من قلب صادق.

كما يلاحظ هنا أن ق. بولس لا يقول إنهم سلموهم صورة التعليم بل إنهم تسلَّموا هم صورة

التعليم، مما يفيد حرية الإرادة المطلقة والشغف الواضح من القلب الذي به أقبلوا على تسلُّم الإيمان على مستوى الإلتزام العام بكل ما يقتضيه قبول الإيمان بالإنجيل من كل القلب.

يلاحظ هنا أن الطاعة في المسيحية، وفي مفهوم قبول الإيمان بالمعمودية بصورة خاصة، لا يفيد الطاعة الخلقية السلوكية المعروفة كفضيلة، فهذه ثمرة لطاعة الإيمان الأصلي. لأنه في طقس جحد الشيطان الذي كان يتم قبل إجراء المعمودية، يكون المعتمد قد تخلَّص من كل القوى المسيطرة على فكره وإرادته، وهكذا يتأهل لطاعة الإيمان في شخص المسيح. وهكذا ترتبط المعمودية بإجرائها السرائري بالطاعة، طاعة الإيمان، إيمان ابن الله، وبالتالي ترتبط ببر المسيح الممنوح للمعمَّد. وهكذا تتأسس الروابط الخالدة التي تربط المعمَّد من خلال المعمودية ببر الله في المسيح حيث يأخذ المسيح بالنسبة للمعتمد موضع الرب والسيد. من هنا تأخذ كلمة **«العبودية»** للبر والمسيح أعظم وأعلى مفهومها. وإذا لاحظ القارىء يجد ق. بولس منشغلاً جداً في هذا الأصحاح بكلمة «عبد» و«العبودية» بصورة زائدة، لأنها تملأ كيان فكره، ففي الآيات من (١٥ـ٢٢) ذكرها ثماني مرات!! وكأنما يريد أن يغسل كلمة: «العبودية للخطية» بماء النعمة والروح ليجعلها هي بذاتها فخر القداسة والتقديس. فـ «عبودية البر» عند ق. بولس هي قمة القداسة وقمة الحرية وقمة الطاعة من القلب. وطوبى للإنسان الذي يكتشف طريقه ليبيع كل حرية كاذبة له ويتعبد بكل ملكاته لبر الله في المسيح يسوع، بر الإيمان، بر الموت بموت المسيح وبر القيامة بقيامته، بر النعمة المنسكبة من الله على الذين أحبُّوه.

كذلك عندما يأتي تسليم الإيمان في الإنجيل بصورة المبني للمجهول للفاعل، فإن هذا يوحي إلينا في الحال أن العامل الإلهي موجود في التسليم. فقد تسلَّموا التعليم على يد مَنْ علَّموهم، أما الروح والأمانة والتقوى والإخلاص والصدق فهذه كلها وُهِبَتْ لهم من النعمة لحظة العماد، وذلك بحسب الإيمان المسيحي التقليدي في الكنيسة الأرثوذكسية، أن المسيح نفسه هو الذي يعطي بالسر موته وقيامته في المعمودية، ودمه وجسده في الإفخارستيا، وهو الذي يضع يده في مسحة الزيت للشفاء، وهو الذي يقدِّس ويبارك كل أسرار الكنيسة.

«وإذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر»:

هذه جملة مضافة إلى الآية السابقة ومبنية عليها. فتسلُّمهم صورة الإيمان الصحيح بطاعة صادقة من القلب هو الذي نقلهم من حالة العبودية تحت الخطية التي كانوا ممسوكين فيها وكانت هي ماسكة برقابهم، إلى حالة العتق منها والتحرر النهائي من عبوديتها.

ويلاحظ هنا عملية الانتقال من عبودية لعبودية، وشتَّان الفارق بين هذه وتلك. لأن تلك هي عبودية الموت أما هذه فعبودية الحياة، والتعبد للحياة ملء الحياة هي الحرية في أعلى وأعظم مفهومها العملي. لأنه ليست هناك حرية بدون عمل أو هدف، فلا يوجد إنسان حر من الشيطان والله، من الخطية والبر، من الباطل والحق. ولكن لا ينعتق من الخطية إلاَّ مَنْ التصق بالله وبرِّه، والذي يلتصق بالله يستعبد الناس بحبه.

١٩:٦ **«أتكلَّم إنسانياً من أجلِ ضعف جسدِكم، لأنه كما قدَّمتم أعضاءَكم عبيداً للنجاسةِ والإثمِ للإثمِ، هكذا الآنَ قدِّموا أعضاءَكم عبيداً للبرِّ للقداسةِ».**

«أتكلم إنسانياً»:

بولس الرسول يعتذر، إذ اضطر إلى استخدام المقارنة المخزية بين تقديم الأعضاء عبيداً للنجاسة ثم وبنفس اللفظ وفي نفس المستوى في خدمة الله. وهذا لا يليق، لأنه لا يصح أن يُقال أننا نقدِّم أعضاءنا **عبيداً** للقداسة. لأن خدمة الله في الحقيقة ليست عبودية δουλεία، ولكن حرِّية ἐλευθερία: «فإنكم إنما دُعيتم للحرية أيها الإخوة ...» (غل٥: ١٣). لذلك يقول إنه يتكلم بلغة وفكر بشريين معتذراً: «أتكلم إنسانياً»، لأنه ليس هكذا يليق التكلم في الإلهيات. غير أن بولس الرسول يجترىء عليهم، لأنهم قد سبقوا وعاثوا فساداً بأجسادهم. فهو يقول لهم، ليس أقل، كما خدمتم الخطية هكذا باجتهاد، فماذا لو خدمتم القداسة بذات الاجتهاد. والفارق بين **عبودية الخطية وعبودية الله** معروف لديهم. فالأولى نجاسة، والثانية قداسة: «لأن هذه هي إرادة الله قداستكم أن تمتنعوا عن الزنا» (١تس٤: ٣)، «لأن الله لم يَدْعُنا للنجاسة بل في القداسة.» (١تس٤: ٧)

«من أجل ضعف جسدكم»:

كذلك أيضاً، فإنه في قول بولس الرسول: «**أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم**»، أي بخصوص خضوعكم للشهوات والمخازي التي كنتم تقترفونها وتدفعون فيها بسخاء، يريد أن يقول إنه الآن جاء الوقت الذي فيه تتعبَّدون للبر بنفس القوة والسخاء لتتقدَّس سيرتكم. علماً بأن عبودية الخطية هي فعلاً عبودية للجسد والروح معاً، أما عبودية البر فهي في حقيقتها حرية للجسد والروح معاً. إنما اللفظة هنا شكلية محضة. فإن كان المسيح من أجل تحقيق البر أخذ شكل العبد، فلسنا نحن بالأولى أفضل. فإن أردنا أن نحصل على البر، فليس أمامنا إلاَّ الطريق عينه، الذي به وحده ننال الحرية حرية البنين لله.

«للقداسة»: εἰς ἁγιασμόν

الاصطلاح هنا سرائري تعميدي لأن العماد بجملته سر تقديس: «هكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم، بل **تقدستم**، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو٦: ١١). هنا يقع التقديس موازياً للتبرير، حيث التقديس هو حالة قائمة يمارسها المعمَّد في حياته يوماً بعد يوم، ولكنها في مضمونها الكلي هي عمل أُخروي، فقديسو العليِّ هم المدعوون لميراث المملكة (دا٧: ٢٢).

وفي هذه الآية تُنسبُ القداسة للأعضاء، وذلك بمعنى تعبُّدها الكلي لله وانقطاعها عن الميل إلى العالم. والفرق بين وصف بولس الرسول للأعضاء في الآية ١٣: **«وأعضاءكم آلات برٍّ لله»** وبين وصف الأعضاء هنا: **«قدِّموا أعضاءكم عبيداً للبرِّ للقداسة»**، نقول إن الفارق هنا يبدو في تقديم الجسد «ذبيحة». فالتعبُّد للقداسة أو خدمتها هي لغة ذبائحية حيث تتقدس الذبيحة **بالبذل**. فمطلب البرِّ علينا هو الإنصياع الكلي لمطالبه، أما مطلب التقديس فهو التطبيق على جزئيات الكيان: الفكر، القلب، الضمير، الإرادة، الجسد، اللسان، اليد، كل ما للإنسان.

٦: ٢٠و٢١ **«لأنكم لمَّا كنتُم عبيدَ الخطيةِ، كنتُم أحراراً من البرِّ. فأيُّ ثمرٍ كان لكم حينئذٍ من الأمورِ التي تستَحونَ بها الآنَ. لأن نهايةَ تلكَ الأمورِ هي الموتُ».**

هنا يستتر منطق أدبي عميق لبولس الرسول. فهو باختصار يقول لهم: **لما حسبتم أنفسكم أحراراً** — بدون المسيح — **كنتم في نَقْع الخطية** عبيداً مقيَّدين بشهواتها، فماذا بقي لكم من هذه الحرية الوهمية الكاذبة إلاَّ المخازي التي كلما تتذكرونها يأخذكم الدوار والحزن والخجل؟ ثم إذا كنتم بقيتم فيها، ماذا كانت النهاية إلاَّ الهلاك المؤكد! وباختصار لما تحررتم غشاً وخداعاً، وقعتم في عبودية الخطية المهلكة، ولما تحررتم حقاً وبالمسيح انعتقتُم من الخطية المهلكة ودخلتم بحريتكم الحقيقية في عبودية المسيح التي وهبتكم الحياة الأبدية.

٦: ٢٢ **«وأما الآنَ إذ أُعتقتُم من الخطيةِ وصِرتُم عبيداً لله. فلكم ثَمَرُكم للقداسَةِ والنهايةُ حياةٌ أبديةٌ».**

والآن، وبالمعمودية، وقد نلتم الانعتاق من الخطية وأصبحتم أحراراً بالحق، صرتم وبحريتكم

هذه عبيداً لله. وها هو ثمركم يتبعكم كل يوم في مسيرة مقدسة تسيرونها على الأرض وتُكتب لكم في السماء لحياة أبدية.

وهكذا، فالحرية الكاذبة أوقعت في العبودية للخطية للهلاك،
والطاعة الصادقة من القلب للبر والتعبُّد لله، أنشأت حرية للقداسة والحياة الأبدية.

٦: ٢٣ **«لأن أجرةَ الخطيةِ هي موتٌ، وأما هبةُ الله فهي حياةٌ أبديةٌ بالمسيح يسوعَ ربِّنا».**

وإلى هنا يضع بولس الرسول الرحال بعد تجواله في هذا الأصحاح القائم على ما جلبته الخطية على الإنسان، وكيف انسلخ منها بعد أن نشبت في جسده العتيق وأورثته الرعبة من النظر إلى خلف حيث الخراب الذي خلَّفته له في الماضي. وقد نجح بولس الرسول في إقناعنا باستحالة الجمع بين الخطية والبر كاستحالة الجمع بين الحياة والموت، أو العبودية مع الحرية. كما رغَّبنا وسهَّل لنا إمكانية الارتماء في التعبُّد لله والانغماس في البر بنفس السخاء والاجتهاد والغيرة التي كنا نتعبَّد بها للخطية.

وأخيراً، وفي كلمة مقتضبة، وضع الخطية أمامنا، وبجوارها أجرتها وهي الهلاك والموت؛ هذا في ناحية؛ وفي الناحية الأخرى وضع النعمة ومواهبها χάρισμα تحيط بها الحياة الأبدية والمسيح قائم يحتضن مُحبيها. وقال لنا: اختاروا: «أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلتُ قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة. فاختَرِ الحياة لكي تحيا أنت ونسلك، إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك ...» (تث٣٠: ١٩و٢٠)

«أجرة»: ὀψώνια

هذه الكلمة باليونانية لا تفيد في الواقع ما يساوي العمل تماماً، ولكنها في الأصل اليوناني استُخدمت فيما كان يُعطى للجندي نظير عمله، فهي أجرة فيها إجحاف كأجرة المسخَّر الذي لا يُعطى ما يساوي عمله تماماً، ولكن ما يجزي العين فقط. وهي في أصل اللغة تختص ببعض سمكات قليلة تُعطى مع الخبز كأجرة أجير مسخَّر. لأن كلمة ὀψώνια مأخوذة من ὄψον وهو الإدام أي ما يؤكل من السمك مع الخبز و ὀψάρια (يو٦: ٩) أي صغار السمك. وقد تحوَّلت مع الأيام إلى التعبير عن معنى الأجرة القليلة. وقد أوردها بولس الرسول في موضع سابق: «مَنْ تجنَّد قط على نفقة ὀψωνίοις نفسه.» (١كو٩: ٧)

«أجرة وهبة»: ὀψώνια & χάρισμα

يلذ لبولس الرسول أن يضع المتناقضات الشديدة في مواجهة أمام الإنسان ليوقظ روحه. وهنا يضع أجرة الخطية الزهيدة التي لا تزيد عن متعة وقتية حقيرة زائلة أمام هبة (خاريزما) الله بملء عطاياها المالئة للحياة بكل ما هو فائق في الجمال والحب والفرح والابتهاج الذي يدوم إلى الأبد. ويكاد يقول الله لك: خذ هذه، خذها أرجوك وعلى مسئوليتي ... «أتركوا الجهالات فتحيوا.» (أم٩: ٦)

الأصحاح السابع

نحن المسيحيين لسنا تحت ناموس بل تحت نعمة

(رو٦: ١٤)

أولاً: كيف انقطعت صلة المسيحيين بالناموس؟

ــ بحلول الروح القدس يوم الخمسين وظهور نعمة المسيح (رو٧: ١ــ٦).

ثانياً: ولماذا كان الناموس أصلاً؟

ــ كان عمله كأداة لكشف الخطية (رو٧: ٧ــ١٣).

ثالثاً: ولماذا أخفق الناموس؟

ــ لأنه لم يستطع أن يرفع الخطية (رو٧: ١٤ــ٢٥).

[رو٧: ١ـ٦] أولاً: كيف انقطعت صلة المسيحيين بالناموس؟
ـ بحلول الروح القدس يوم الخمسين وظهور نعمة المسيح

مقدمة:

بولس الرسول يخاطب المسيحيين الذين يعرفون العهد القديم جيداً ويقرأونه في الخدمة كل يوم. فهو يكلِّم العارفين بالناموس. وهو هنا يعلن إعلاناً خطيراً للغاية في وسط المسيحيين الذين منهم كان يهودٌ وتنصَّروا، أنهم ليسوا تحت ناموس بل تحت نعمة، هذه قالها بولس الرسول في الأصحاح السادس، ولم يجد الفرصة المباشرة ليشرحها و يشرح أسبابها. وها هو هنا يكرِّس الأصحاح السابع برُمَّته وجزءاً من الأصحاح الثامن لهذه القضية الإيمانية الكبيرة. وفيه يعيد بولس الرسول ويَزيد من كافة النواحي لكي يضع حداً نهائياً لهذه القضية الإيمانية التي أزعجت جميع الكنائس الأُولى بتحريض من اليهود المتنصِّرين المتعصبين لماضيهم والذين كانوا واقعين تحت عبودية الناموس الحرفي.

لذلك، فليتمهَّل القارىء ويتمسك بالصبر والبصيرة لأن هذه القضية الإيمانية كانت كفيلة بأن توقف انتشار المسيحية في العالم، بل وربما كانت قد شوَّهتها تشويهاً لا يكون له علاج، لولا دفاع بولس الرسول المستميت لعزل الناموس عن الحياة الجديدة في المسيح يسوع.

وبكلمة بسيطة أقولها لكي أُنبِّه ذهن القارىء لاهوتياً: إذ بمجرد أن أكمل المسيح حكم الموت في جسده الحامل لكل خطايا البشرية على الصليب متقبِّلاً حكم اللعنة والموت باعتباره الحامل للبشرية الخاطئة، يكون الناموس **قد أُكمِلَ، ولم يَعُدْ له قضايا مرفوعة على أي إنسان في المسيح يسوع.**

ليس ذلك فقط، بل إنه بهذا الموت و بهذه اللعنة التي تقبَّلها المسيح في جسد بشريته حيث كان فيه كل إنسان قائماً وشريكاً، انتهت خطايا كل إنسان آمن به، غُفِرت جميعاً، ولم يَعُدْ على الإنسان في المسيح يسوع خطية بعد، فالمسيحي يقف مقابل الناموس بدون خطية!! أي ليس عليه خطية. وهنا ينتهي أيضاً سلطان الناموس وإلى الأبد!! لأن الناموس لا يتعامل إلاَّ مع الخطاة.

وليس ذلك فقط، بل **بعد** هذا الموت الذي قَبِلَه المسيح في جسد بشريته ونحن فيه، قام من بين الأموات، قام بنفس جسد بشريته الذي به مات، وقمنا نحن معه في ذات الجسد ودخلنا الحياة

من بعد الموت: «ونحن أموات بالذنوب والخطايا، أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٥). فالآن نحن نحيا الحياة الأبدية في إيمان المسيح: «فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

فالمسيحي الذي قام من موت الخطية ويحيا في الحياة مع المسيح بالإيمان، يقف كإنسان الخلود الذي له حق الجلوس في السماء مع المسيح متفوِّقاً على الناموس الذي لا يتعامل إلاَّ مع الزمنيات والأرضيات، وهكذا تنتهي صلتنا بالناموس إلى الأبد.

٧: ١ **«أم تجهلونَ أيها الإخوةُ، لأني أكلِّمُ العارفينَ بالناموسِ، أن الناموسَ يسودُ على الإنسانِ ما دامَ حياً».**

هذا مبدأ قانوني عام أن الموت يُبطل شريعة العقد. فالقانون وُضع للأحياء وليس للأموات، وخاصة بالنسبة للممارسات التي تتم في الحياة فقط ولا تتم في الموت كالزواج مثلاً.

وهنا، وبالرغم من أن كلمة «الناموس» νόμον جاءت في الجزء الأول من الآية بدون أداة التعريف τόν، إلاَّ أن المضمون يشمل ناموس موسى خاصة الذي عليه الكلام. وناموس موسى له صفة الديمومة على الإنسان طالما هو حيٌّ، فإذا مات الإنسان خرج من دائرة الناموس، لأن ناموس موسى لا علاقة له بالإنسان إلاَّ في هذه الحياة فقط.

٧: ٢و٣ **«فإنَّ المرأةَ التي تحتَ رجلٍ هي مرتبطةٌ بالناموسِ، بالرجلِ الحيِّ. ولكن إنْ ماتَ الرجلُ فقد تحرَّرَتْ من ناموسِ الرجلِ. فإذاً ما دامَ الرجلُ حياً، تُدعى زانيةً إن صارتْ لرجلٍ آخرَ. ولكن إن ماتَ الرجلُ فهي حرَّةٌ من الناموسِ، حتى إنها ليست زانيةً إن صارت لرجلٍ آخرَ».**

هنا يعطي بولس الرسول نموذجاً لفسخ العقد، بسبب موت أحد الطرفين، ولكنه لا يجعله مثالاً للتطبيق الحرفي، فيكفي علينا هنا أن نفهم أن العقد ـ وهو عقد ارتباط بزواج ـ بين اثنين أحياء، فإن مات أحدهما صار الآخر حراً من العقد ومن الطرف الآخر. وبولس الرسول يستغل هذه الفرصة ليوضح أن المرأة إن صارت لواحد آخر وزوجها حيٌّ فهي تُعتبر زانية. وهذا نفسه صار شريعة عقد الزواج في المسيحية، ليس للمرأة فقط بل للرجل أيضاً. وهو أصلاً مأخوذ من وضع روحيٍّ عالٍ، فالله اعتبر نفسه زوج إسرائيل كمعبود وحيد، دخل معها في عهد زيجة مقدَّسة، فلما

خانت إسرائيلُ وعبدت آلهةً أخرى، اعتبرها الله أنها زنت عليه فطلَّقها: «هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق أمكم ... هوذا من أجل آثامكم قد بُعتم، ومن أجل ذنوبكم قد طُلِّقتْ أمكم» (إش ٥٠: ١)، لماذا؟ لأنهم تركوا الله الحي، الزوج والعريس السمائي وتصرَّفوا إزاءه كأنه ميت، وذهبوا يعبدون آلهة غريبة: «تركوني أنا الحبيب مثل ميت»!! (مز٣١: ١٢ ـ حسب الترجمة القبطية).

٤:٧ «إذاً يا إخوتي، أنتم أيضاً قد مُتُّم للناموس بجسدِ المسيح لكي تصيرُوا لآخرَ للذي قد أُقيم من الأمواتِ لنثمرَ لله».

لو أخذنا بالمثل السابق الخاص بالمرأة والرجل حرفياً، والرجل هو الذي مات فبَطُلَ العقد، وأمكن للمرأة أن تصير لآخر، لوجب من جهة التطبيق أن الذي يموت هنا هو الناموس، لنصير نحن (في مكان المرأة) لآخر بدل الناموس أي المسيح. ولكن هنا الذي مات هو نحن: «أنتم مُتُّم»، أي صرنا أمواتاً بالنسبة للناموس، لما مُتنا في جسد المسيح بموت المسيح. أنظر شرح المقدمة (١:٧ ـ ٦) أعلاه في موضعها. فكيف لما مُتنا صرنا أحراراً من الناموس؟ هذا أوضحناه في المقدمة أعلاه، وقدَّمنا ثلاثة أسباب غاية في الوضوح والقوة تجعل الناموس بلا صلاحية ولا قوة ولا سلطان شرعاً إزاء وضعنا المسيحي، لأننا قد أكملنا موتنا مع المسيح.

١ ـ فالمسيح ـ ونحن فيه ـ أكمل الناموس كما أكمل حكم الناموس بقبول الموت واللعنة في الجسد. فإن منتهى سلطان الناموس وهو الحكم بالموت واللعنة على الخطاة قد أكملناه في المسيح.

٢ ـ المسيح، بموته ونحن فيه لما أكمل حكم الموت واللعنة عن كل خطايانا، جعلنا بلا خطية. وهكذا وقفنا إزاء الناموس بلا خطيئة، والناموس لا سلطان له قط إلاَّ على الخطاة.

٣ ـ المسيح، بموته أكمل الفداء، وقام حيَّاً بالجسد الذي مات فيه، ونحن فيه قمنا معه لنحيا الحياة الأبدية. وهكذا رُفع عنا حكم الموت إلى الأبد. وهكذا وقفنا إزاء الناموس معفيين من الموت إلى الأبد، والناموس لا يتعامل إلاَّ مع الذين عليهم حكم الموت. إذاً، فموتنا في المسيح أعفانا من شريعة العقد مع الناموس، وكأموات للناموس صرنا أحياءً في المسيح.

«لكي تصيروا لآخر للذي قد أُقيم من الأموات لنثمر لله»:

عودة إلى (٦: ١١). نقرأ هذا تماماً: «كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا». صرنا أمواتاً عن الخطية لأننا صرنا أمواتاً للناموس! أما كيف نحسب أنفسنا أمواتاً للخطية والناموس، فهو لأننا صرنا أحياءً ببرِّ الله في المسيح. أما ثمر الموت فكانت الخطية، أما ثمر الحياة فهي المقابل للخطية، تماماً، وهي النعمة. فالنعمة في السلوك ببرِّ الله في المسيح هي ثمر الله: «وثمر البر يُزرَعُ في السلام.» (يع٣: ١٨)

الانتقال من الارتباط بالناموس إلى الارتباط بالمسيح أخذناه مجاناً بموت المسيح، بالإيمان أخذنا حق هذه الشركة الكبرى في موت المسيح وقيامته بلا معاناة حقيقية.

والذي يجعلنا نشعر بقوة هذا الكلام وخطورته هو أننا كمسيحيين لم نكن تحت سلطان الناموس المتجبِّر، فلم نشعر بثقل الارتباط بالناموس. لذلك لو تفهمنا فعلاً مدى ثقل الناموس الذي أرهق كواهل الآباء الذين بالإجماع صرخوا يطلبون الخلاص، لأدركنا مدى النعيم الذي نحن فيه أو مدى «النعمة التي نحن فيها مقيمون.» (رو٥: ١٢)!!

إن **الانتقال** من العبودية تحت سلطان الناموس إلى حرية المسيح هو بحد ذاته «نعمة». إنه تحقيق برِّ الله المعطى لنا في المسيح، إنه غاية مطلب الله لنا وغاية وقمة سعادتنا وفرحتنا وبهجتنا بالله. إنها مراحم داود الصادقة التي وعد بها: «أيها العطاش جميعاً (الذين نشَّف الناموس ريقهم)، هلموا إلى المياه. والذي ليس له فضة (ليشتري الذبائح) تعالوا اشتروا وكُلُوا، هلموا اشتروا **بلا فضة وبلا ثمن** خمراً ولبناً (وأسراراً بلا عدد). لماذا تَزِنُون فضة (أعمال الناموس الثقيلة) لغير خبز (بلا رجاء) وتعبكم (في الناموس) لغير شبع، استمعوا لي استماعاً وكُلُوا الطيب ولتتلذَّذ بالدسم أنفسكم. أميلوا آذانكم (كلمة خبر الإنجيل)، وهلموا إليَّ اسمعوا فتحيا أنفسكم، وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داود الصادقة. هوذا جعلته شارعاً (ناموساً جديداً) للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب (الأمم).» (إش٥٥: ١ ـ ٤)

٥:٧ «لأنه لمَّا كُنَّا في الجسدِ، كانت أهواءُ الخطايا التي بالناموس تعملُ في أعضائِنا لكي نُثمِرَ للموتِ».

لابد هنا أن نرفع الغطاء عن هذه الحقيقة: لماذا كان الذين في الناموس يعانون من شدة عمل الشهوات في الجسد؟ ولماذا كان الجسد مستهدفاً في كل أعضائه لعمل الخطية الأمر الذي كرهه

بولس الرسول كثيراً جداً؟ السبب الوحيد هو غياب عمل النعمة! وهي الهبة «خارزما – χάρισμα» الروحية التي حينما تسكن الإنسان ترفع من مستواه الروحي وترتقي بشهواته وتسمو بغرائزه، فلا تعود إلحاحات الطبيعة لها ذات السيطرة الأُولى التي في الإنسان الطبيعي.

هذا بالإضافة إلى أن الناموس حينما يأمر بأن لا يخطىء الإنسان محذِّراً إياه من المخالفة، يثير فيه غريزة المخالفة وينشِّط فيه الرغبة في التعرُّف على الخطية، كل ذلك دون أن يمدَّ الناموس يده بالمساعدة في المقاومة إطلاقاً. وهكذا كان ثمر العبودية للناموس عبودية للخطية دون أي أمل في النجاة.

«... كنا في الجسد، ... وأهواء الخطايا تعمل في أعضائنا ...» وضد الناموس نفسه!

هنا لا يقصد بولس الرسول التوضيع من قيمة «الجسد»، بل يذكره في وضعه الطبيعي غير المُعَان. لأن في الناموس كان الإنسان يحيا في الجسد بمعنى الحياة الطبيعية للجسد الطبيعي غير المُعَان بالنعمة ولكن المضبوط بالناموس. ولكن الحقيقة المرَّة والصارخة أن الجسد الطبيعي غير المُعَان بالنعمة من الله لا يمكن أن يضبطه ناموس لأنه محكوم بغرائزه. وغرائزه أقوى من أن يحدَّها أو يضبطها أمر أو وصية.

والغرائز في انفعالها وهيجانها تنحرف وتشذُّ وتجر الجسد إلى الخروج ليس عن حدود الوصايا فحسب؛ بل وعن حدود ما هو لائق وطبيعي. وهنا لا تعود تسمَّى غرائز أو طاقات جسدية طبيعية، بل أهواء الخطايا παθήματα τῶν ἁμαρτιῶν والتي تُعتبر أنها ثائرة ضد الله الذي وضع لها حدوداً بالطبيعة وبالناموس. ولكن بولس الرسول يُدخل الناموس هنا باعتباره أنه مسئول نوعاً ما عن انفعالات هذه الغرائز وهيجانها بكثرة الضغط والقسر. ولا يُعتبر هذا خطأً من الناموس بل وظيفة له مطلوبة، حتى يكشف الإنسان ما هي حال طبيعته بدون النعمة ومدى خطورة الخطية التي يتعامل معها.

وهكذا كانت حياة الإنسان مجموعة تعدِّيات ضد الله وخطايا كلها تحمل حكم الموت الذي يجري إليه الإنسان برجليه.

٧:٦ **«وأما الآنَ فقد تحرَّرنا من الناموسِ، إذ ماتَ الذي كنَّا مُمْسَكِينَ فيه حتى نَعبُدَ (الله) بجِدَّةِ الروحِ لا بعُتقِ الحرفِ».**

هنا التحرر من الناموس هو قرين التحرر من الخطية، تماماً كما كانت العبودية للناموس قرينة العبودية للخطية. هذا مما يجعل بولس الرسول يتساءل في الآية القادمة: هل الناموس خطية؟ طبعاً لا. ولكن الناموس لا يتعامل إلاَّ مع الخطية والخطاة. فإن كفَّ الإنسان عن أن يكون خاطئاً وغُفِرَت خطاياه، فقد تحرر من الناموس والخطية معاً بآنٍ واحد. وذلك تمَّ بالحقيقة عندما مات الجسد العتيق، حين صُلب بصليب المسيح ومعه في جسد بشريته التي هي بشريَّتنا! وقمنا معه إنساناً جديداً لحياة جديدة نسلك فيها بالروح لا بالجسد، ونعبد بالروح لا بحروف الناموس والجسد.

«كنا مُمْسَكين فيه»:

هنا رجعة من بولس الرسول إلى مَثَل المرأة الممسوكة بالرجل ما دام حيًّا. رَجُلنا هنا الذي مات هو الجسد العتيق الذي كان مُمْسَكاً بالخطية والخطية مُمْسِكة بالناموس، فلما مات هذا الجسد العتيق الذي كنا ممسوكين فيه، تحررنا من الخطية والناموس بآنٍ واحد! وبالتالي كفَّت أهواء الخطايا العاملة والمثمرة للموت، وذلك بنعمة المسيح التي وهبتنا ما هو للحياة والتقوى بل وشهوة القداسة وأهواء الروح للبرِّ وحُب الله.

«بجدة الروح لا بعُتق الحرف»:

كل ما هو جديد بالروح للإنسان هو من فعل الروح القدس، وكل ما هو قديم في المقابل هو من الناموس والجسد. هنا، واضح أن الروح القدس هو القوة الحافظة والمحيطة بالإنسان في المسيح يسوع التي كانت تعوزه وهو تحت الناموس. هنا، الروح القدس هو سِرُّ انقلاب أهواء وشهوات الخطايا إلى شهوة ما لله، وسر انتقال العبادة من مستوى أداء الفروض الجسدية إلى ما يُحسب أنه ذبيحة روحية مقدَّمة بالروح والجسد معاً، لا تكف ولا تهدأ بالقلب والفكر واللسان ليلَ نهار.

أما **«عُتق الحرف»** فهنا إشارة مبدعة تبدأ من فوق لوحَيْ الحجر لتستمر مع تحديدات الناموس الحرفية: «الذي جعلنا كُفَاة لأن نكون خُدَّام عهد جديد، لا الحرف بل الروح، لأن الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي.» (٢كو٣:٦)

[رو٧:٧–١٣] ثانياً: لماذا كان الناموس أصلاً؟
– كان عمله كأداة لكشف الخطية

لقد عبَّر بولس الرسول في مواضع كثيرة سالفة بتعبيرات عن الناموس، يمكن أن يعثر فيها القارىء الساذج معتبراً أن بولس الرسول يقصد فعلاً أن الناموس والخطية شيء واحد!!

+ «لأنه بأعمال الناموس كلُّ ذي جسد لا يتبرَّر أمامه، لأن بالناموس معرفة الخطية.» (رو٣:٢٠)
+ «لأن الناموس يُنشىء غضباً، إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعدٍّ.» (رو٤:١٥)
+ «على أن الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموس.» (رو٥:١٣)
+ «وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية.» (رو٥:٢٠)
+ «فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو٦:١٤)
+ «لأنه لما كنا في الجسد، كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت.» (رو٧:٥)

لا يمكن لأي يهودي أن يقول مثل هذا في الناموس وهو عالم وواثق ومؤمن أن الناموس هو كلمة الله، بل هو نفسه يقول: «لأنه إن كانت الكلمة التي تكلَّم بها ملائكة قد صارت ثابتة، وكلُّ تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة ...» (عب٢:٢)

لذلك حينما وجد الفرصة ليعطي فكره مُركَّزاً فيما هو الناموس، قال بكل قوة:

٧:٧ **«فماذا نقولُ؟ هل الناموسُ خطيةٌ؟ حاشا. بل لم أعرفِ الخطيةَ إلاَّ بالناموسِ. فإنني لم أعرف الشهوةَ لو لم يقُل الناموسِ لا تشتهِ».**

هذا نقوله نحن بلغتنا القضائية الآن، إننا لا نعرف الجريمة حتى يحددها القانون ويحدد عقوبتها!! وحينئذ تظهر الجريمة عملاً مُرعباً نفزع منه. كذلك كان الناموس وضرورة الناموس بالنسبة للإنسان منذ ألفي سنة!!! أعطى الله الناموس على يد موسى ليعرف الشعب ما هي الخطية، ثم إذ أعطى مع الناموس عقوبات رادعة، فذلك لكي يرتعب الشعب من الخطية، وقفل على العقوبات بالموت لكي يعود الشعب ويطلب الحياة.

فلولا أن الله قال في الناموس: «لا تشتهِ»، ما انتبه الناس إلى الشهوة وما صارت الشهوة خطية وفعلَ تعدٍّ. ولكن في نفس الوقت ما ارتقى الإنسان عن الحيوانية بل لكان قد انحطَّ دونها. لأن الشهوة الحيوانية تضبطها الغريزة، أما الغريزة في الإنسان فتحركها الشهوة ولا تضبطها!!

هنا يمكن للإنسان الساذج أن يلعن الناموس الذي عرَّفه بالشهوة ثم جعل الشهوة خطية ثم أعطى عقوبة صارمة على الانحراف بها. كما يمكن للإنسان الحكيم أن يبارك على الناموس الذي عرَّفه الخطأ وأحاطه بالعقوبة الصارمة حتى يرتعب من الخطية.

«لو لم يقل الناموس: لا تشتهِ»:

ويلاحظ هنا أن بولس الرسول اختار الوصية المذكورة في (خر٢٠:١٧، تث٥:٢١) وهي الوصية العاشرة، مختصراً إياها إلى مجرد الفعل فقط في حد ذاته. وهي نفس خطية آدم – الشهوة – التي سبقت التعدي، وهي محاولة لطغيان الذات Ego التي هي مبدأ وجذر الخطايا جميعاً. فبهذه «الشهوة» وبتتميمها أُوجِد للذات كيانٌ منفصلٌ عن الله عاشته بمرارة طافحة. لذلك، فإن هذه الوصية تحمل الستار الفاضح للذات، حالما يتعدَّاها الإنسان يقف في مواجهة الله كمُتَحدٍّ. ويلاحظ أنها لا تتمركز في الجنس بقدر ما تتمركز في الذات، لأن الذات أعلى من الجنس.

ولكن الناموس لم يقف عند أمر النهي وحسب «لا تشتهِ»، بل أكمله بأمر الإيجاب **«بالطاعة»**. فالوصية التي تقول: «لا تشتهِ»، تقول: عليك أن تطيع. والطاعة هنا موجَّهة مباشرة للذات للحدِّ من جوحها. **وهكذا استحدث الله بالناموس وصية خُلُقية كاملة تدخل بالإنسان إلى معنى العبادة**، فيها الشق السلبي بالنهي، والشق الإيجابي بالطاعة، **حيث الطاعة حافز تؤازره على تتميم النهي، لأن في الطاعة لله قوة ونعمة كمجازاة.** وهنا يمتاز الناموس عن القانون الجنائي أو المدني الذي يخلو من الحافز الحافظ. لذلك، فالتقصير في تكميل وصايا الناموس يكشف في الحال عن عنصر التمرد أو الثورة ضد الله.

بفم مَنْ يتكلم بولس؟

واضح جداً أن بولس الرسول يتكلم بصفته إنساناً استنار في المسيحية، وهو يقف ليتبنَّى حالة **الإنسان فيما قبل** الناموس، ثم في الناموس وفيما بعد الناموس! ليعطي للناموس سببه ومعناه وقصوره معاً بآنٍ واحد. ولكن وفي نفس الوقت يكشف عن طبيعة الإنسان ويدافع عن عجزها فيما قبل الناموس وبعده، وما أصابت من الناموس وما أُصيبت منه. والقصد في النهاية أن يبلغ إلى صرخة الإنسان وهو تحت الناموس: «ويحي أنا الإنسان الشقي، مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت»

متطلعاً إلى المسيح، بعد أن اكتشف أنه مُطَالَبٌ بأن يرتفع إلى الناموس بل وإلى ما هو فوق الناموس وهو غير قادر على الناموس: «إن لم يَزِدْ بِرُّكم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت٥: ٢٠)، «متى فعلتم كل ما أُمِرْتم به فقولوا إننا عبيد بطالون.» (لو١٧: ١٠)

٨:٧ **«ولكن الخطيةَ وهي متخذةٌ فرصةً بالوصيةِ أنشأت فيَّ كلَّ شهوةٍ، لأن بدونِ الناموسِ الخطيةُ ميتةٌ».**

هنا بولس الرسول يصف الوضع البشري العام للإنسان ككيان عندما دخل تحت الناموس. وقد واجه الخطية **لأول مرة**. هنا أمران يظهران معاً في نفس الوقت: **الأول**، أنه بمجرد أن يُدخِلَ الناموس شيئاً كان مُباحاً سابقاً على أنه من صميم طبيعة الإنسان، وهو الشهوة، يُدْخله تحت المنع المحتم والحظر، ففي الحال تتحرك الشهوة نحوه بحسب القانون الفطري: «كل ممنوع مرغوب»؛ «المياه المسروقة حلوة، وخبز الخفية (المسروق) لذيذ» (أم٩: ١٧)؛ **الثاني**، أنه بمجرد الإعلان عن الشهوة أنها محظورة كخطية، فإنها تكون قد دخلت تحت المعنى القضائي **«التعدِّي»**. وبهذا برزت الخطية كعنصر مناوىء للإنسان لم يكن موجوداً سابقاً.

«متخذة فرصة»: ἀφορμὴν λαβοῦσα

هذا اصطلاح حربي. فكلمة «متخذة فرصة» تعني حرفياً **«أخذ المبادرة»**. وهو في الحرب يشير إلى الخصم المتعدِّي أولاً. فالإنسان هنا في موقف المحايد تجاه الناموس والخطية، ولكن الخطية هي التي بدأت المبادرة بالحرب، ووسيلتها في اتخاذ أول خطوة للحرب هي الناموس. لأن الوصية في الناموس تقول: **«لا تشتهِ»**، والشهوة قائمة بطبيعتها في الإنسان، قد تميل إلى الخير كما قد تميل إلى الشر بالتساوي، حسب إيعاز حب المعرفة. هنا الوصية أثارت في شهوة الإنسان **الميل إلى معرفة** ما عساه أن يكون وراء النهي. وهنا تماماً تبدأ الخطية **تتحرك بحركة** الشهوة نحو المخالفة الصريحة، أي معرفة الشر التي ينهى عنها الناموس! وهي التي بعينها أسقطت آدم. فشجرة معرفة الخير والشر ستظل تتابع الإنسان حتى النهاية: الخطية **تدفع** لمعرفة الشر، والنعمة **تدفع** لمعرفة الخير. في الأُولى محاولة **للتألُّه** اختطافاً، وفي الثانية تألُّه(١) بدعوة من الله ومؤازرة.

ويلاحَظ هنا أن بولس الرسول يشرح كيف أن الخطية التي كانت ميتة قبل أن يجيء

(١) **التألُّه**: اصطلاح قاله آباء الإسكندرية اللاهوتيون. ويعني ليس أن يكون الإنسان كالله كما قال الشيطان لحواء، بل أن يأخذ من طبيعة الله ويتحد بها، فيدخل مع الله في شركة الطبيعة الإلهية.

الناموس، بدأت تحيا بالناموس لتنشىء الموت للإنسان. ولكن في الحقيقة إن استعداد الخطية موجود في الإنسان، والخطية لم تكن ميتة إلاَّ بالنسبة لانتباه الإنسان، **لأن الخطية لا وجود لها إلاَّ بالفعل. فالناموس كشف عن استعداد الإنسان للخطية، والإنسان هو الذي يحوِّل الاستعداد إلى فعل.** وفي هذا يُشكَر الناموس الذي يفضح استعداد الإنسان للخطية، ويُلام الإنسان الذي حوَّل استعداد الخطية إلى فعل تعدٍّ بإرادته وحبِّ استطلاعه لمعرفة الشر.

٩:٧ **«أما أنا فكنتُ بدونِ الناموسِ عائشاً قَبلاً. ولكن لمَّا جاءَت الوصيةُ عاشَت الخطيةُ فمُتُّ أنا».**

هنا وَضْعُ الإنسان قبل الناموس، وهذا وضعٌ تصوُّريٌّ صحيح، جازته تماماً كل الأجيال من آدم إلى موسى. ولكن بولس الرسول غير منشغل الآن بهذه الأجيال، ولكن بطبيعة الإنسان بالنسبة للناموس كمعيار قائم بذاته. فهو يقول إن الخطية كانت ميتة بالنسبة للإنسان قبل مجيء الناموس. في الواقع لابد أن نشرح كلمة «ميتة» بأن الخطية كانت ميتة بالنسبة لانتباه الإنسان. أي أن الإنسان كان غير منتبه إليها كعنصر شرير مُفسد وقاتل، ولكنها كانت موجودة كفعل، يمارسها الإنسان دون أن يعيها أو يعي خطورتها. لقد كانت بالنسبة له ميتة حقيقةً، ولكنها كانت هي هي نفسها العنصر الذي كان يقتله دون أن يعيه!

فالإنسان كان ينتقم ويقتل، وكان يشتهي ويغتصب، وكان يتزوج بعقد وبدون عقد كما يشتهي، دون أن يدري أن هذه كلها عناصر الخطية التي تحصره بل تدفعه إلى الموت.

«كنت بدون الناموس عائشاً ἔζων»:

الترجمة العربية هنا محبوكة، فهو لم يكن حياً بل عائشاً، عائشاً بالجسد، أو على وجه الأصح تهيأ لي أني كنت أعيش لأني لم أكن قد عرفت أني خاطىء وأني محكوم عليَّ بالموت؛ فكنت وكأني بريء. هذا في الحقيقة أمر واقعي. فكل إنسان قبل أن يطَّلع على أوامر الله ونواميسه، يكون في حالة الجهالة هذه يعيش وكأنه بريء ولا يعمل ما يُغضب الله. ولكن بمجرد أن يطَّلع على دقائق وصايا الله وتدقيقات الروح يحس أنه خاطىء، ويحسُّ في الحال أنه مستوجب الموت، ويشعر أن كلمة «الخطية» بدأت تعيش في ضميره بعد أن كانت غائبة تماماً.

فلما جاء الناموس وتعيَّنت الوصية، أدرك الإنسان الخطية، وأدرك أن أفعالها هذه مؤدية إلى الموت والهلاك. وهكذا بدأ الإنسان يدرك أنه محكوم عليه بالموت إزاء خطاياه التي كان يعملها ويجهل أنها تؤدِّي إلى الهلاك. هذا يعبِّر عنه بولس الرسول تجاوزاً وباختصار بأنه لما جاء الناموس

عاشت الخطية فيَّ بعد أن كانت ميتة بالنسبة لي، ومُتُّ أنا بالخطية بعد أن كنت عائشاً (خداعاً) بدونها.

هنا شكراً للناموس الذي افتضح الخطية التي كانت فيَّ كائنة وكأنها ميتة، فجعلها ظاهرة ومحصورة في حياتي بعد أن كنت أعملها دون أن أدري أنها خطية وتعدٍّ على نواميس الله. صحيح أن الوصية حكمت عليَّ بالموت نظير التعدي كخطية، ولكن هذا تحصيل حاصل، لأن الخطية كانت فيَّ دون أن أدري، وكان حكم الموت قائماً فيها دون إعلان ومعرفة.

وهنا يلزمنا أن نفحص كلمة «**عاشت الخطية فمُتُّ أنا**»:

«**عاشت**»: ἀνέζησεν = revived = انتعشت:

الترجمة هنا غير دقيقة لأن كلمة «عاشت» تفيد أنها كانت قبلاً مائتة في ذاتها، ولكنها في الحقيقة كانت فقط مائتة في إدراك الإنسان وفي وعيه، ولكنها موجودة وعائشة فيه دون إدراك. فهنا الترجمة الصحيحة تكون لا «عاشت» بل «انتعشت». فهي لم تأتِ إلى الحياة بعد الموت، بل كانت موجودة وعائشة ثم بدأت تأخذ حيويتها ونشاطها وفعلها. فالخطية كانت في الإنسان دون أن تُحسب أنها فعلُ تعدٍّ، فلما قالت الوصية: «لا تشتهِ»، فإن الشهوة التي كان يمارسها دون أن يدرك أنها خطية، صارت بالوصية فعل تعدٍّ على الله **وأيضاً مستوجب الموت!!!**

الناموس يعمل هنا عمل المؤدِّب والمعلِّم «الناموس كان مؤدِّبنا إلى المسيح»، بل وعمل القاضي الذي يحصر الخطايا ويحاصرها ويعاقبها ليرتدع مرتكبوها ويكفُّوا، فيرتقي الإنسان من الهمجية إلى التمدُّن، بل يعمل عمل النور الكشاف الذي يكشف خبايا الناس ويفضحها، ولكن للأسف كان لا يقوى على تصحيحها!

٧: ١٠ «**فوُجِدت الوصيةُ التي للحياةِ هي نفسُها لي للموتِ**».

إن أول وصية أُعطيت للإنسان آدم الأول كانت للحياة، أي لعدم الموت!! «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها (الوصية). لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت (مخالفة الوصية)» (تك٢: ١٧). واضح من مضمون الوصية الإيجابية أن آدم لو كان قد أطاع الوصية لَمَا مات، بل لكان قد عاش وعاش. إذاً، فالوصية هي أصلاً للحياة!! لأن طاعة الله ثمنها حياة!!! «**وأعطيتُهم فرائضي وعرَّفتُهم أحكامي التي إن عملها إنسان يحيا بها**» (حز٢٠: ١١). والمسيح نفسه ذكر هذا موبِّخاً: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية» (يو٥: ٢٩). أي من جهة وصايا الله!!!

هنا بولس الرسول يبرىء الناموس والوصية من أي عيب، إذ يؤكد أن الوصية هي أصلاً ــ وهي باقية على أصلها مهما انقلبت الدنيا ــ هي للحياة، لأنها خرجت من فم الله. فكل وصية في وضعها الإيجابي هي للحياة، فإن هي نفسها «صارت لي للموت» فالعلة حتماً وبالضرورة ليست في الوصية بل في مخالفتها!!! بمعنى أنه دخل بيني وبين الوصية عنصر آخر وهو الخطية ــ أي الإقدام على التعدِّي.

ويلاحظ القارىء أن بولس الرسول في هذه الآية يضع الوصية في موضعها الصحيح تماماً «**الوصية التي للحياة**»، وليس وضعها وحسب بل والغرض من الوصية، لأنها في أصلها السويِّ وُضعت للإنسان السويِّ، ليس لكي تخلق فرصة للخطية، بل لكي بطاعتها تقود الإنسان في طريق الحق وتضمن له الحياة. ولكن بسبب طبيعة الإنسان التي استُهدِفَت إما للطاعة أو التعدِّي سواء بسواء، استعد الناموس للتأديب، إذ قطعت الوصية بحكم الموت على المتعدِّي، فتحوَّلت الوصية التي هي أصلاً للحياة بالطاعة، وصارت هي نفسها للموت لمن يتعدَّى. وللأسف وقفت الوصية عند هذا الحد ــ أي الردع والتأديب بالموت ــ عاجزة تماماً عن أن تشفي أو حتى تضمِّد جراح مَنْ يتعدَّى الناموس الذي لا يعرف إلا الحكم بالموت على المتعدِّي.

٧: ١١ «**لأن الخطيةَ وهي متخذةٌ فرصةً بالوصيةِ، خَدَعَتْني بها وقَتَلَتْني**».

مفتاح شرح هذه الآية الذي يفتح سرَّها هو الكلمة: «**خدعتني**».

«**خدعتني**»: ἐξηπάτησέν με

وهو تعبير بولس الرسول عمَّا فعله الشيطان بواسطة الحية: «ولكني أخاف أنه كما خدعت ἐξηπάτησεν **الحية** حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢كو١١: ٣)

إذاً، فالتركيز هنا على **كيف استخدم الشيطان الوصية نفسها ليخدع بها الإنسان ويقتله**، حيث استبدل بولسُ الرسول الشيطانَ بالخطية. فالشيطان لم يجد وسيلة أو فرصة يدخل بها للإنسان ليمارس خداعه ويردي الإنسان أرضاً ميتاً، إلاَّ «الوصية نفسها». اسمع كيف دخل الشيطان إلى حواء **متسلِّحاً بالوصية**، إنما بعد أن أجرى عليها مونتاج الشيطنة الكاذبة: «فقالت (الحية) للمرأة: **أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟**» (تك٣: ١). هنا تزوير الآية والكذب واقعان في كلمة «**كل شجر**» مع التشكيك «**أحقاً**»؟؟

هكذا لم يستطع الشيطان أن ينقل الوصية كما هي، ربما لو كان قد نطقها صحيحاً لكان احترق بها، فأضاف إليها النفي والتزوير. لأن الشيطان قوة سالبة كاذبة. فلما استدركت حواء القول وصحَّحته للحية، وقعت في الفخ. لأننا بمجرد البدء بالحوار مع الشيطان ولو بكلمة واحدة نكون قد أعطيناه أول الخيط ليشدَّنا إليه لنسقط تحت رجليه، مهما حاولنا الإفلات. فلما ردَّت حواء مصحِّحة مقولة الشيطان: «فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال لا تأكلا منه **ولا تمسَّاه لئلا تموتا**»، فتحت الباب للحية للحوار وسلَّمتها الخنجر الذي ستطعنها به. ففي الحال ردَّت الحية بنفس الكلام بعد أن سمَّمته: «فقالت الحية لحواء: **لن تموتا** (تكذيب لله والتشكيك في الوصية). بل الله عالمٌ أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخير والشر».

هنا مركز الخداع، **أولاً**، الجزء السالبي تكذيب الله والتشكيك في الوصية، **ثانياً** الجزء الإيجابي الأشد ضراوة من السالبية: «تنفتح أعينكما وتصيران كالله»، وهذا حقيقي، ولكن «الحق» هنا ناقص. فإذا نقص الحق، فاعلم أنه هو الكذب تماماً. لأن آدم وحواء حينما أكلا من شجرة معرفة الخير والشر، انفتحت أعينهما وعرفا الخير والشر كالله فعلاً. ولكن الله يعرف الخير لأنه صادر منه، ويعرف الشر (لو تجاوزنا مقولة أن عيني الله لا تريان الشر) معرفة الرفض والإدانة. كذلك، فالشر لا يدنو من الله، لأن الله حقٌّ وخير كليٌّ. أما في حالة الإنسان، فعندما عرف الخير والشر، لم تسعفه طبيعته أن يحتفظ بالخير ويرفض الشر، فلما عرفهما لم تكن لديه النعمة والقوة للانحياز للخير ورفض الشر، بل كما انحاز للخير انحاز للشر بلا ضابط. ولما انحاز للشر، لم يستطع أن يتغلب عليه. هنا خداع الشيطان في مقولته المسمومة أن يصير الإنسان عارفاً للخير والشر كالله، ولكن الذي أخفاه أنَّ بمعرفة الإنسان للشر سيسقط فيه ولا يقوم.

وهكذا، ومع كل إنسان وعلى مدى كل العصور والدهور، تطرح الخطية أمام فريستها وَعْدَها المكوَّن من جزئين: **الجزء السالبي** «لن تموتا» الذي تثبته في فكر الإنسان على مستوى لا خوف البتة، لن تموت ولن يحدث لك شر، لا تخف، أقدِم؛ **والجزء الإيجابي الإغرائي**: سوف تنفتح عيناك وتعرف الحياة أكثر وتكون قوياً وذا بأس وتزداد سعادتك وسرورك: لا تتوانَ! «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت» وماتت!

«الخطية متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني»:

واضح من الأمثلة التي قيلت بخصوص خداع الحية (إبليس) لحواء، أن بولس الرسول يعطي

الخطية شخصية الشيطان وقوته، هكذا يظهر أن أخطر ما في قوة الخطية هو استخدامها للوصية ذاتها في تجربة الإنسان وإسقاطه. فهنا بولس الرسول يعلن صراحة، سواء بالنسبة للخطية أو الشيطان أننا أمام عدو مخادع، قوة قادرة على استخدام الوصية التي هي للحياة والصالح، ليجعلها هي نفسها للموت، وذلك بقوة الخداع الذي يُلبسه عقل فريسته. والإنسان حينما تلتف عليه الخطية بقوة خداعها، لا ينتبه أو يستيقظ للغش الذي انغلب له إلاَّ وهو في حالة الموت. فخداع الخطية قتَّال، لا تتبيَّنه الفريسة إلاَّ وهي مصروعة. الإنسان يموت بالخداع، ويموت في الخداع، وقد لا يفيق منه أبداً، إذا لم تنتشله نعمة الله.

والمؤسف حقاً أنه بعد أن تخدع الخطية الإنسان مستخدمة الوصية ــ بعد أن تعيد صياغتها لتتناسب مع خداعها ومع طعنة الموت المُجْهِزة ــ تعود فتقف لتشهد ضد الإنسان، الخطية والوصية معاً: «خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء، وأما البعض فتتبعهم.» (١تي٥: ٢٤)

١٢:٧و١٣ **«إذاً، الناموسُ مقدَّسٌ، والوصيةُ مقدَّسةٌ وعادلةٌ وصالحةٌ. فهل صار لي الصالحُ موتاً؟ حاشا، بل الخطيةُ، لكي تظهَرَ خطيةً منشِئةً لي بالصالح موتاً لكي تصيرَ الخطيةُ خاطئةً جداً بالوصيةِ».**

«إذاً»: ὥστε

البادئة بالنتيجة المستخلصة من كل ما فات، أن الناموس مقدس، ومعناه أنه من الله. والذي من الله يبقى لله. وبالتالي فإن ما يشمله من وصايا كلها مقدسة بالتبعية أي من الله، وعادلة أي ليس فيها خطأ أو انحراف في ذاتها، وصالحة وتفيد أنها ذات نفع وخير لكل مَنْ يتعامل معها إيجابياً بالطاعة.

«فهل صار لي الصالح موتاً»:

هذا السؤال توطئة ليُعطى له الجواب أن هذا لا يمكن أن يكون، لأن الصالح هنا ليس صالحاً فحسب، بل عادل ومقدس. وبهذا يستحيل أن ما هو مقدس وعادل وصالح ينشىء موتاً بل حياة، وإنما الذي أنشأ الموت بواسطة الوصية فهو الخطية التي اختفت وراء الوصية لكي تعطي الوصية حكمها بالموت. ولكن ليست الوصية مميتة، بل هي الخطية. وهنا الوصية هي التي أفرزت الخطية إلى الوجود، حاصرتها وأعلنتها وفضحتها، لكي تظهر الخطية أنها هي الخاطئة وليس الناموس. وهل القاضي الذي يحكم بالعدل، يُحسَب قاتلاً حينما يحكم بالموت على قاتل؟

لذلك، لا يمكن أن يُنسب في ذلك للوصية عيبٌ، بل يُنسب لها الفضل لأنها كشفت الخطية. أما الخطية فهي ليست خطية فقط، بل لأنها أنشأت بالصالح والمقدَّس موتاً، فهي خاطئة جداً.

هنا بولس الرسول يكشف أساس المنطق الذي بدأ به من حيث أن الوصية عملها الوحيد هو التعرف على الخطية والكشف عنها واستثارتها؛ أنه لولا الوصية، لما عرفنا الخطية، فبالوصية معرفة الخطية وحسب! ولولا الوصية ما كانت الخطية، وما حُسبَت الخطية خطية. كل هذا أصبح واضحاً أشد الوضوح أمام القارىء الآن.

[٧:١٤ــ٢٥] ثالثاً: ولماذا أخفق الناموس؟
ــ لأنه لم يستطِع أن يرفع الخطية

أما لماذا وُضع الإنسان تحت الناموس؟ فهو لأن الإنسان وضع نفسه تحت الخطية. فلما ارتضى الإنسان بالخطية وقبِلَها لتدخل في تدبيره ومشورته، وقع تحت حكم الناموس بالضرورة والإلزام. ولكن بولس الرسول أوضح الآن أن الناموس لا يتساوى بالخطية، بل هو من فوقها يدينها أينما وُجدت، فلا يمكن أن توجَدَ خطية إلاَّ والناموس واقف تجاهها.

وظيفة الناموس أن يعرِّف بالصالح والرديء، بالخير والشر، ولكنه لا يمدُّ يده أبداً ليساعد الإنسان في الاختيار، ولا يمنح الإنسان أية قوة إن هو اختار الخير دون الشر. هنا انبرت الخطية، وبقوة، لتحرِّض الإنسان على اختيار الشر: تزيِّنه، وتجمِّله، حتى بالتزييف والمكر والخديعة يقبله الإنسان كأنه خير؛ بل وتزيد على التزييف استثارة غرائزه وحواسه، لكي تطغى على عقله وحكمته وتفكيره، فلا يستخدم قدراته في التمييز؛ بل وتستخدم عنصر المفاجأة، فلا تعطي له الوقت الكافي للتفكير. تضخِّم ذاته أمام عينيه ليستخفَّ بالمحظور، وبالقانون، وبالآخرين، وبروابط اللحم والدم، وبالمسئولية، وأخيراً بالله!! وبعد أن يقترف المحظور ترفع عنه يدها إلى حين، ليرى نفسه ساقطاً تحت ملامة ضميره وملامة كل الناس والله! ثم تستخدم شدة ملامة ضميره وتُضخِّمها لتتعقَّبه باستمرار حتى تضعف مرة أخرى نفسيته، وبالتالي تكسر جدار مناعته ضد الخطية، فتصير الخطية أسهل مما كانت. وهنا ينشأ فيه الاعتياد، وتستخدم الخطية الاعتياد في رفع كل تأنيب للضمير، وتزيد من ضغطها وتتمادى في تأثيرها لتحوِّل العادة لتصير وكأنها صفة لا غنى عنها، وهكذا يصير الإنسان عبداً للخطية.

هنا يبدأ بولس الرسول يصف التمزُّق الذي يعانيه الإنسان وهو مُمزَّع بين الخطية والناموس، وبين إرادته الفاقدة لأية قدرة على متابعة صلاح الناموس، وبين فعل الخطية الذي يأخذ طريقه وكأنَّ لا إرادة له أمامه.

هنا يصف بولس الرسول «الإنسان» وهو تحت الناموس، والخطية تحاصره، ليس كيهوديٍّ وحسب، **ولا هو مسيحيٌّ بالمرة، ولا هو وثنيٌّ قطعاً**، ولكن كإنسان تهذب بالناموس وقد بدأ يتطلع إلى القداسة الحقيقية، فلا يجدها، وإلى الطهارة والبرِّ الحقيقي، فلا يجده، حتى وإلى الصلاح الكامل الذي في الناموس، فلا يجده. لأن الخطية صنعت في أعضائه أنفاقاً واستحكمت فيها. وحينئذ بدأ يصرخ نحو الله وكأنه يتطلع إلى مجيء المخلِّص والمنقذ.

وبهذا يكون بولس الرسول قد قدَّم دفاعاً مجيداً حقاً عن الإنسان المظلوم والمنسحق تحت سلطان الخطية، والناموس يُزيده تعذيباً، وهو مُمسك بصلاحه بيد، وباليد الأخرى يرفع ميزان قضاء الموت.

١٤:٧ **«فإننا نعلَمُ أن الناموسَ روحيٌّ(٢)، وأما أنا فجسديٌّ مَبيعٌ تحتَ الخطيةِ».**

«روحيٌّ وجسدي(٢)»: πνευματικός & σάρκινος

أما الناموس **الروحي**، فمعناه أنه ناموس إلهي، مُسَلَّم «بترتيب ملائكة» (أع٧:٥٣)، طبيعته

---

(٢) **التعريف بالجسد والنفس والروح وما يتفرَّع عنها:**

أولاً: الجسد:

ويعني على العموم الجسم الطبيعي للإنسان، غير أنه أحياناً يفيد معنى أعضائه. ولكن على أية حال يقصد جسد الإنسان وهو حيٌّ. ويُؤخذ هذا التعبير على المستوى التصويري ليفيد حقيقة الكنيسة.

وفي لاهوت بولس الرسول يشير أحياناً إلى مفهوم الخطيئة وبالتالي الناموس: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد...» (رو٨:١). هنا المفهوم يقصد الذين انعتقوا من الناموس وبالتالي أحكام الخطية. وكلمة «الجسد» يستخدمها بولس الرسول أحياناً للتعبير عن الخطية، فالجسد آلة الخطية، فهو حينئذ يُدعى «جسد الخطية» (رو٦:٦)، والخطية تتخذ أعضاءَه آلات إثم (رو٦:١٣). ولكن لا يصح قط أن نفهم الجسد على أنه قاعدة طبيعية للخطية، لأن الخطية في أصولها غريبة عن الجسد. لذلك يمكن للجسد أن يكون هيكلاً للروح القدس (١كو٦:١٩)، ويكون جسداً للمسيح أيضاً وأعضاءَه (١كو٦:١٥).

ثانياً: النفس:

النفس في أصولها العبرانية وحتى العربية تعني «الحياة». فطالما الإنسان فيه نَفَس فهو حيٌّ وتكون نفسه فيه! والنفس في المفهوم الطبيعي يشترك فيها الإنسان والحيوان. ولكن الحياة تختلف في مضمونها الروحي في الإنسان عن الحيوان، بل والحياة في الإنسان قد تعني الحياة الأبدية المدعوَّ إليها. وعلى العموم، فالنفس في الإنسان تعني الجزء غير المادي فيه.

المنحدر منها روحية خالصة. وإن كان يختص بالجسد، إلاَّ أنه من مصدر روحي وله طبيعة هذا المصدر، مقدَّس وعادل وصالح.

«أما أنا فجسديٌّ»:

كلمة «جسديٌّ» هنا، توضح طبيعتي في مقابل طبيعة الناموس. وطبيعتي هي جسدية وليست روحية، مصنوع من الجسد من اللحم والدم. وهنا كلمة «جسديٌّ» σάρκινος غير «جسداني» σαρκικός التي تعطي مفهوماً آخر غير وارد قط في ذهن بولس الرسول، إذ معنى «جسداني» أن له فقط صفات الجسد. وهذا قد يُفهم منه أنه أصبح له طبيعة روحانية وصفات جسدانية، وهذا لا يقصده بولس الرسول، لأن الإنسان الذي يتكلم بولس الرسول عنه أو بلسانه لم يتجدَّد، لم يقبل الروح القدس، أي لم يَصِرْ مسيحياً بعد وهو باقٍ كما هو جسديٌّ. وهذا واضح من وصفه للناموس أنه روحيٌّ متحاشياً ذِكْر «الروح» أو «الروحاني». لأن هذا هو واقع المسيحي فقط، حيث الجسد يتعامل ضد الروح (القدس) الذي فيه، والروح ضد الجسد الساكن فيه. ولكن الناموس، هنا، روحيٌّ فقط، من حيث مصدره لا عمله، فهو لا يختص بروح الإنسان بل بجسده، وهو لا يعمل في روح الإنسان وإنما يهذِّب جسده الواقع تحت الخطية بالأحكام الجسدية لا بالتهذيب الروحي. لذلك، «فالناموس روحيٌّ وأنا جسديٌّ» يفيد اختلاف الطبيعة والمصدر والعمل، دون التفاعل بينهما، فالناموس بحكم طبيعته الروحية يحكم عليَّ بسبب الخطية ولا يتعامل معي لأني جسديٌّ.

«مَبيعٌ تحت الخطية»:

اصطلاح حزين يقوله إنسان واقع تحت أسر الخطية، وقد طالت به العبودية. فالإنسان يُباع، إما لإنسان كسيِّد يستخدمه، وإما لخطية تستذلُّه ولا فكاك، حيث سيوضح بولس الرسول بعد ذلك هذه الحالة بدقة.

بولس الرسول هنا يتكلم بفم إنسان واقع تحت عبودية الخطية، و بآن واحد تحت مطالبة الناموس باتِّباع الصلاح. وهذه بحد ذاتها مناقضة، لأن الناموس روحيٌّ يطلب الصلاح، وأنا في نفس الوقت جسديٌّ وواقع تحت عبودية الخطية، والناموس لا يعطيني يده ليساعدني للخروج من عبودية الخطية، والنتيجة أنني واقف ممزَّق بين مطلب الصلاح الروحي وواقع جسدي الغارق في الخطية ولا معين.

١٥:٧ **«لأني لستُ أعرف ما أنا أفعَلُه، إذْ لستُ أفعلُ ما أريدُه، بل ما أُبغضه فإياهُ أفعلُ».**

هنا واضح جداً تسلُّط الخطية على طول المدى كيف شوَّهت التمييز العملي بين الخير والشر من كثرة السقوط واعتياد السقوط، وكيف أكلت الإرادة ومَحَت إمكانياتها لمناصرة الخير، فأصبح الإنسان يخطىء رغماً عن صراخ ضميره وتمرُّد إرادته. ولكن لمن الصراخ؟ للناموس؟ الناموس لا يسمع ولا يشفع!!

ولكن واضح هنا أن الضمير لا يزال حيًّا، فصوت الله عسير أن يفارق جُبْلته، ونفخة القدير تتكلم في القلب مهما ازدحم بالشرور، الضمير هنا يقول: لا تفعل! والخطية تقول: افعل! ولكن الخطية تسود على الضمير!!! ويبيت الإنسان ملوماً محسوراً! فالخطية أصبحت السيد، والجسد مُباع لها وتحت السُّخرة. والناموس يقف مع الخطية ضد الإنسان. فالخطية تعمل للموت والناموس يحكم بالموت!!

«لست أعرف ما أنا أفعله»:

هنا العبد مسلوبُ القدرة على التفكير، يعمل كبهيم يدور حول الرحى مُكمَّم العين والفم. وهذه هي أصدق مناظر السخرة المُرَّة. فعمل الإنسان وفكره، تُحرِّكه إرادة الخطية وليست إرادته، لأن إرادته فقدت حريتها. حينما يفيق، يبكي. ولكن لمن يبكي؟ فالناموس لا يرحم: «مَنْ خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة.» (عب١٠:٢٨)

«ما أُبغضه فإياه أفعل»:

هنا دفاع بولس الرسول العظيم عن الإنسان المظلوم الواقع تحت عبودية عدوٍّ لا يرحم!

الإنسان يبغض الخطية، يبغض الفعل القبيح والشنيع، لا يطيق أن يرى نفسه وهو منغمس هكذا في نقع الطين. الضمير مجروح، النفس مكسورة، الروح حزين باكٍ، الجسد مضروب. هذا هو حال الإنسان الواقع تحت الخطية، تسحقه من جهة، ومن الجهة الأخرى الناموس يبكِّته ويدينه، يتطلع إلى معين فلا يجد.

ولكن بولس الرسول لا يصف هنا الإنسان المسيحي قط(٣)، ولا إنساناً قد تجدد وله روح

(٣) على القارىء أن ينتبه، فلا يطبِّق هذا الكلام على نفسه، فأنت مسيحي مؤمن تحت نعمة ولست تحت ناموس، والخطية لن تسودك.

الحياة في المسيح، بل هو يصف مجرد إنسان تحت الناموس فقد الأمل في الناموس ويتطلع إلى منقذ. لأننا لا ننسى أن «الناموس مؤدِّبنا (مُهَذِّبنا) إلى المسيح» (غل٣: ٢٤). فالناموس هذَّب الأفكار والتطلعات إلى مَنْ هو فوق الناموس، دون أن يمدَّ يده. لأن يد الفداء لا يقوى على عملها قانون أو ناموس، بل صاحب القانون وحده!! اسمع إشعياء يُطلق صرخته التي سمعها بولس والتي ردَّدها هي بعينها، وبَنَى عليها تمثيليته القصيرة: «ليتك تشقُّ السموات وتنزل ... ها أنت سخطت إذ أخطأنا، هي إلى الأبد فنخلص، وقد صرنا كلنا كنجس، وكثوب منجَّس كلُّ أعمال برِّنا، وقد ذبلنا كورقة، وآثامنا كريح تحملنا، وليس مَنْ يدعو باسمك، أو ينتبه ليتمسك بك، لأنك حجبت وجهك عنا، وأذبْتنا بسبب آثامنا ... لا تسخط كل السخط يا رب، ولا تذكر الإثم إلى الأبد ...» (إش٦٤: ١و٥ـ٧و٩)

هذا هو إشعياء يصرخ من تحت الخطية ومن تحت الناموس معاً، وهو لم يتجدد بعد ولا صار مسيحياً. هذا هو صراخ الإنسان الذي تهذب بالناموس، فعرف أن الخطية خاطئة جداً، والتفت إلى الناموس، فوجده قد جد في مكانه لا يقوى على المسير، مشيراً إلى الآتي دون أن يتحرك نحوه.

١٦:٧ «فإنْ كنتُ أفعلُ ما لستُ أريدُهُ، فإني أُصادِقُ الناموسَ أنه حَسَنٌ».

واضح هنا أن بولس الرسول يستخدم المنطق. إن كان الناموس يقول لي: لا تفعل الخطية، ثم أفعلها أنا رغماً عن إرادتي، أي أني في واقعي لا أريد أن أفعلها؛ فأنا من جهة إرادتي الحسنة الخيِّرة، أتوافق مع الناموس، لأن ما يقول عنه الناموس لا تفعل أريد أنا أيضاً أن لا أفعله، وذلك من جهة إرادتي الحسنة، إذاً فالناموس حسن.

واضح هنا غاية الوضوح، أن بولس الرسول يدافع عن الناموس ويدافع عن الإنسان. فالناموس حسنٌ. والإنسان الذي تهذب بالناموس، له ما للناموس من إرادة حسنة، ولكن للأسف هي إرادة غير عاملة وغير قادرة على العمل الصالح!

إذاً، فمن الذي يعمل الخطية إن كنتُ أنا لا أريد أن أعملها؟

واضح أن بولس الرسول هنا يبرىء كلًّا من الناموس والإنسان معاً، فلا الناموس خطية ولا أنا أُخطىء بإرادتي. وهكذا يحاصر بولس الخطية كمكروهة من الناموس ومكروهة من إرادتي: **«ما أُبغضه إياه أفعلُ، أفعلُ ما لا أريد».**

الناموس «حسن καλός»:

هذه الصفة التي يضيفها بولس الرسول إلى الناموس، بجوار أنه مقدَّس وروحيٌّ وعادل، هنا «حسن» καλός وليس «صالح» ἀγαθός تفيد المقابل للشر (ليس له قدرة على عمل الصلاح ولكن يتكلم فقط عن الحسن). فالتقابل المقصود هنا هو بين الخير والشر. بمعنى أنني بحسب الإرادة العارفة بالخير، أُصادق الناموس أنه فعلاً ناموس الخير. ولكني بالرغم من معرفتي للخير ومن الناموس الذي يأمرني أن أعمل الخير، هوذا أنا أعمل الشر ولا أستطيع أن أعمل الصلاح!

هنا بولس الرسول يطرق برفق شديد على عدم نفع الناموس إزاء معرفة الشر التي استوطنت الإنسان وطغت على ملكاته، وبالأخص إرادته الحسنى!!! فبالرغم من حُسنى الناموس، فليس لدى الإنسان الإرادة الحُسنى الفاعلة، مهما ترقَّى بالناموس وتهذب بكل تأديباته.

١٧:٧ «فالآنَ لستُ بعدُ أفعلُ ذلكَ أنا، بل الخطيةُ الساكنةُ فيَّ».

فليلاحظ القارىء الأسباب التي قدَّمها بولس الرسول سابقاً، والتي فرضت هذه النتيجة بقوله: «فالآن»:

ـ «أنا جسديٌّ مبيعٌ تحت الخطية»،

ـ «لست أعرف ما أنا أفعله»،

ـ «لست أفعل ما أريده»،

ـ «ما أُبغضه إياه أفعل»،

ـ «فالآن، لستُ بعدُ أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيَّ».

لقد أفلح بولس الرسول في حصر الخطية وفرزها بعيداً عن تركيب الطبيعة البشرية، وأظهرَ أن الخطية عدو ساكن في الإنسان وليس عضواً فيه، عدوٌّ شرس استعبد ملكات الإنسان وإرادته وجسده. ولكن لا يزال «أنا» الإنسان أي الـ ἐγώ سليماً يطلب الخلاص، لأنه أدرك بالناموس ما هو الصالح وما هو الحسن، ولكنه لا يستطيع أن يعمله، فهو يطلب النجدة.

١٨:٧ «فإني أعلمُ أنه ليسَ ساكنٌ فيَّ، أي في جسدي، شيءٌ صالحٌ. لأنَّ الإرادةَ حاضرةٌ عندي، وأمَّا أنْ أفعلَ الحُسنى فلستُ أجِدُ».

«فإني أعلم»:

هذه ليست معرفة إنجيلية ولا حتى ناموسية، بل معرفة الاختبار اليومي. فمرارة السقوط والجهاد

ضد الخطية هي التي أعطت الإنسان معرفة ذاته، معرفة إرادته، وضميره، وضعف جسده، وخضوع ملكاته لسلطان الخطية التي أتلفت كل ما في جسده.

«ساكن فيَّ، أي في جسدي»:

بالاختبار المرّ، أدرك الإنسان أن ليس فيه شيء صالح. ولكن بولس الرسول يستدرك، فهو يعلم أن **الذات ἐγώ** شيء والجسد شيء آخر. أما الذات «أنا»، فهي دائماً على مستوى الإرادة الحسنة، وأما الجسد، فهو دائماً على مستوى الفعل الخاطىء. فالذات الحسنة فيَّ هي في حرب دائم مع العدو الشرير الشرس الساكن في جسدي والمستبد الذي لا يخضع للإرادة الحسنى أبداً.

«شيء صالح»: ἀγαθόν

الشيء الصالح الذي هو من الله ومن صلاح الله. صحيح أن الإرادة حسنة ولي معرفة بالحسن، ولكن ليس فيَّ صلاح خاصة في جسدي، جسدي كله مبيعٌ تحت الخطية، ليس فيه شيء صالح البتة. وكأن الإنسان وهو تحت الناموس، يتصوَّر نعيم المعمودية الآتية، يتصوَّرها بالرؤيا أو بالأمل أو الخيال، من واقع مرارة حال الجسد الذي تسكنه الخطية ولا تترك فيه شيئاً لله قط. هو يقول ويئنُّ كمن يشتكي لله، كمن يتوسَّل إلى الآتي أن يأتي سريعاً ولا يتأخر، وكلسان حال النبي الذي يئن بنفس الأنين ويتصوَّر المعمودية بنفس التصوُّر من على بُعْدٍ: «طهِّرني بالزوفا فأطهر، اغسلني فأبيضَّ أكثر من الثلج.» (مز٥١: ٧)

«لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحُسْنى فلست أجد»:

الإرادة حاضرة، أي موجودة، حينما أطلبها أجدها. هي صحيحة، لقد هذَّبها الناموس، وارتَقَتْ بالوصية. كلمة الله أنارت أعماقها، ومعرفة الله جعلتها حاضرة دائماً، وعلى مستوى المعرفة الحسنة. ولكني أطلبها وقت المحنة، فلا أجدها. وعند هجوم الخطية وثورانها، أبحث عنها فلا أعثر لها على أثر. الخطية تتحدَّاني، فأخسر كل مرة رهان التحدي. تنبري الإرادة الجميلة، وفي لحظة المباغتة للشر، وفي أقل من لحظة، تختفي، لتصول الخطية وتجول وتفسد الفكر والنفس والجسد والضمير وكلَّ ما بداخلي(٤).

---

(٤) لاحظ، عزيزي القارىء، أن الكلام ليس لك، فأنت في النعمة تعيش وبالنعمة تعمل، ولست تحت سلطان الخطية بل تحت سلطان المسيح الذي مات من أجلك وفداك. فاصرخ للمسيح، تجده. اطلُبْ النعمة، تحضر. آمن أن الروح القدس فيك، يظهر لك.

١٩:٧ **«لأني لستُ أفعلُ الصالحَ الذي أريدُهُ،**
بل الشَّرَّ الذي لستُ أريدُهُ فإيَّاهُ أفعلُ».

كشف بولس الرسول هنا أن إنسانه هذا يعرف الصلاح. وهو بهذا يوضح أنه فعلاً على أعلى مستوى من تهذيب الناموس في المعرفة. ولكن للأسف، ليس على مستوى العمل، بل بتعبير شديد عن الخطية، يصف **الفعل أنه شرير**، وهو أقصى تعبير عن الخطية قاله بولس الرسول حتى الآن. وبهذا يكون وصف إنسان بولس لنفسه في هذه الآية هو قمة الإدراك للخير وقمة السقوط في فعل الخطية بآن واحد. معرفة الصلاح يقابلها فعل الشر. وذلك تمهيداً للصرخة التي سيُطلقها هذا الإنسان مستغيثاً بالله مما هو فيه.

٢٠:٧ **«فإن كنتُ ما لستُ أريدُهُ إيَّاهُ أفعلُ،**
فلستُ بعدُ أفعلُهُ أنا بل الخطيَّةُ الساكنةُ فيَّ».

في آية سالفة (١٦) استقرأ من عدم رضائه عمَّا يفعل أن ذلك يثبت أن الناموس حسن، لأن الناموس لا يريد الشر وهو لا يريد فعل الشر. هنا يستقرىء أنه طالما هو غير موافق بالإرادة عن ما يفعله، فإذاً، لا يكون مسئولاً عن ما يفعل؛ بل الخطية الساكنة والمُسيطرة. لأن غياب الإرادة عن الفعل تُخلي المسئولية عن الفعل. هنا بقدر ما يبرىء ذمته من مسئولية الفعل، يضع كلَّ المسئولية على الخطية، وكأنما الخطية شخص يعمل في داخله رغماً عن عدم رضاه(٥).

هنا **بولس الرسول يُدْخِل في اللاهوت ضرورة عامل الموافقة الإرادية على الفعل، حتى تُحسب المسئولية عن الفعل.** بولس الرسول هنا يفرِّق بين «أنا» و«الخطية». فأنا أفعل الخطية، ولكن «**لا أريدها**». وقد عبَّر عن ذلك سابقاً بأني «**أُبغضها**». **فهي** ليست عدم إرادة فقط؛ بل وبغضة أيضاً بمعنى عدم الموافقة. أي أن الخطية الساكنة فيَّ تعمل فيَّ رغماً عن إرادتي ورغماً عن عدم موافقتي!! [الإنسان المسيحي ليس كذلك بل المسيح فيه والروح القدس أيضاً، وإرادته أصبحت إرادة تعمل بالروح وبمساندة النعمة، فهي مسئولة عن كل خطية، وبالتوبة تتجدد وتتقوى وبالصلاة تزداد حساسية وتزداد وعياً وتزداد تدقيقاً].

---

(٥) لاحظ، عزيزي القارىء، أن الكلام ليس لك، فأنت مسئول عن الخطيئة التي تفعلها مسئولية كاملة، وأمامك الاعتراف السريع الكامل بخطيئتك أمام الله، وأمام أبيك في الاعتراف لتأخذ الحِلَّ وتأخذ المشورة للمقاومة والنصرة: «وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب يسوعُ المسيحُ البارُّ، وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو٢: ١و٢)

٧: ٢١ **«إذاً، أجدُ الناموسَ لي حينما أريدُ أن أفعلَ الحُسنى، أنَّ الشرَّ حاضِرٌ عِندِي»**.

هنا إنسان بولس لا يصادق الناموس أنه حسن فقط في عدم إرادته للشر كما الناموس كذلك؛ بل وأيضاً في الحُسنى. فالناموس حينما يطلب الحُسْنى، يلبي الحُسْنى بإرادة حاضرة موافقة. ولكن للأسف من جهة الفعل، يتصدَّر الشر وتتبارى الخطية لتلقي إرادتي وإذعاني للناموس أرضاً، فأُخالف عن دراية وعن خضوع، بل وخنوع، وضميري صارخ مُشْتَكٍ. هنا يتوافق إنسان بولس في الحُسْنى مع الناموس بإرادته وحسب، ولكن يخالفه بصنع الشر، لأن الخطية ملكت الجسد وأخضعته لسلطانها. [لاحظ هنا أن إنسان ق. بولس هذا هو تحت الناموس لا يزال].

ويُلاحَظ أن ازدياد معرفة الإنسان للصلاح يقابله شدة الرضوخ للشر، وهذا عامل تمزُّق شنيع. وهكذا فكل زيادة في التهذيب بالناموس وترقٍّ في الإرادة الصالحة والمعرفة الخيِّرة يكون مدعاةً لتمزُّق أكثر وتوتر يبلغ أقصاه، لأن الشر باقٍ كما هو بسيادة الخطية.

لذلك سنسمع حالاً صراخ الإنسان من واقع هذا التمزُّق، بسبب الهوة التي بدأت تفصل بين صلاح المعرفة والإرادة في مقابل سقوط الجسد تحت عبودية الشرِّ والفساد!

٧: ٢٢و٢٣ **«فإني أُسَـرُّ بناموسِ الله بحسبِ الإنسانِ الباطنِ. ولكني أرى ناموساً آخرَ في أعضائي يحارِبُ ناموسَ ذهني ويسبيني إلى ناموسِ الخطيةِ الكائنِ في أعضائي»**.

«أُسَرُّ بناموس الله»: συνήδομαι γάρ

وتُترجم: «**لأني بينما أنا** أُسرُّ بناموس الله»، حيث الناموس هنا منسوب إلى مصدره.

«بحسب الإنسان الباطن»: κατὰ τὸν ἔσω ἄνθρωπον

وترجمتها: «الإنسان المخفي»، أي الإنسان غير المنظور، أي الذات المتَّصلة بالله، وهي تمام الشخصية الحقيقية للإنسان، وقد سبق أن أوضحه وشرحه بولس الرسول هكذا: «وإن كان إنساننا الخارج ἔξω يفنى، **فالداخل** ἔσω يتجدَّد يوماً فيوماً» (٢كو٤: ١٦). كذلك: «أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان **الباطن** ἔσω ἄνθρωπον.» (أفسس٣: ١٦)

واضح أن الإنسان الخارج هو الجسد بمشتملاته، والإنسان الداخل هو الشخصية الروحية. واضح هنا أن إنسان بولس ارتقى من المعرفة بالصالح بالناموس، إلى الإرادة الصالحة بالناموس، إلى مسرة الإنسان الباطن بالناموس. حيث الإنسان الباطن يشمل المعرفة والإرادة والضمير. هنا بلغ

التوافق مع الناموس في معرفة الخير والصلاح إلى مستوى، ليس القبول فقط، بل والمسرة أيضاً.

إذاً، لم يَبْقَ لإنسان بولس أي أمل أو رجاء في المزيد من أي شيء، سواء صلاح أو معرفة بالناموس. لقد ربط الناموس على عطاياه، وتوقَّف الإنسان عن المزيد في الانتفاع، وفي نفس الوقت الإنسان لا يزال هو كما هو باقٍ في حضيض الخطية، مستعبداً للشرور. فماذا بقي للناموس؟ ولماذا يبقى الناموس بعدئذ؟

وها هو الناموس المستبد المعاكس، ناموس الخطية الذي لا يرحم، ساكنٌ في أعضاء الجسد بكل ملكاته، لا يفتأ ولا يني ولا يهدأ عن محاربة ناموس الله الذي حَفِظتُه، وملأ ذهني. والنتيجة، أنه يجرُّني جرًّا، كمسبيٍّ في سلاسلَ إلى الخطية التي ملكت فيَّ.

إذاً، ما قيمة ناموس الله المحبوس في ذهني، وهو لا يعمل في حياتي ولا يصدُّ عني أو ينقذني من تسلُّط الخطية على جسدي؟ لماذا الناموس بعد؟

٧: ٢٤ **«وَيْحي أنا الإنسانُ الشقيُّ، مَنْ ينقذُني من جسدِ هذا الموتِ»؟**

«الشقي»: ταλαίπωρος

الكلمة اليونانية تُفسَّر: «الذي أفرغ آخر جهده». وهي تُترجم حرفياً «المحطَّم»، وكلمة **«ويحي»** هي من عنديات المترجم.

فالآية تُقرأ بمعنى: أنا الإنسان الذي تحطَّم أو أفرغ كل جهده!!

تعبير واضح عن التمزُّق الذي يعانيه إنسان بولس بين ما بلغ إليه من قمة الصلاح والمعرفة بالخير في إنسانه الباطن، أي في ذاته وروحه، في مقابل قمة التمرغ في الخطية بالجسد بأعضائه المستعبدة للخطية. لقد أفرغ جهده، وتحطَّمت إرادته، فهل من منقذ؟ فهل يأتي الآتي؟

«من جسد هذا الموت»: σώματος τοῦ θανάτου

أقسى تعبير عن بلوغ الجسد حالة الاضمحلال تحت ضربات الخطية. جسد الموت، أي الجسد الذي سكن فيه الموت في كل عضو في كل مكان، حتى أصبح جسد الموت! حيث الموت هو الموت الأدبي أو الروحي، وليس موت الجسد.

«مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت»:

هنا يطرح إنسان بولس الناموس وراء ظهره، ينساه ويتناساه، وهو غاضب منه أو عليه، فهو لم

ينقذه من الخطية؛ بل ورَّطه في هذا الموت عينه. فالخطية تسكن لتميت، والناموس يحكم بالموت. لقد أصبح الناموس كناطور الكروم، يخيف العصافير ولا يمنع اللصوص. لقد نهبت الخطية حياتي، وسرقت الخطية ملكاتي ـــ وأنا أهذُّ في ناموس الله ليل نهار ـــ مَنْ ينقذني من الجسد والموت والخطية؟؟

٧: ٢٥ **«أشكرُ الله بيسوعَ المسيح ربّنا».**

آه! جاء المنقذ، جاء الذي يفك أسر السبايا ويحطم سلاسل الخطايا. جاء الذي يميت الموت ويُحيي الجسد، جاء الذي يقيم الموتى في الذنوب والخطايا ويُحيي الذين أنْتَنَت أجسادهم في قبور الخطايا. جاء الذي يغسل الخارج ويقدس الداخل، جاء الذي يصالح الصلاح بالإرادة والفعل معاً. جاء الذي يرفع الشقاء، ويمنح النعيم الأبدي، ويصالح الإنسان مع الله، والنفس مع الجسد، والشعب مع الشعوب. جاء الذي أكمل الناموس للإنسان، فلم يَعُدْ للناموس كمال أو مكان!!

تمهيد للآية (٢٥):

تحذير

نقول بكل الأسى أن كثيرين من اللاهوتيين عثروا في هذه الآية القادمة عثرة أساءت إلى اللاهوت عامة والسلوك خاصة، وأربكت عقول الناس وأفكارهم. إذ شرحوا الآية القادمة على أنها تتبع الإنسان حتى فيما بعد المسيح، أي أنها تخص المسيحي، وأن بولس الرسول قالها عن واقع الحال كمسيحي. وهذا شطط وافتراء. فالآية القادمة تلخِّص الأصحاح السابق، الأصحاح السابع، وليست بأي حال من الأحوال تتبع الإنسان في المسيح يسوع، وإلاَّ حُسِبَتْ تجديفاً؛ بل هي تتبع إنسان بولس الذي هو تحت الناموس والذي يتطلع إلى الآتي، وهو لا يزال يستعرض نفسه، ولكن كحصيلة لكل ما فات من عَوَز وأنين وضلال وعبودية تحت الخطية والشر.

٧: ٢٥ **«إذاً أنا نفسي بذهني أخدمُ ناموسَ الله، ولكن بالجسدِ ناموسَ الخطية».**

هذه الآية يقولها بولس الرسول لكي يبلور فيها كلَّ ما فات من حالة الإنسان الذي ارتقى بوعيه بسبب الناموس، وعرف الخطية، ولم يعرف بعد كيف يخلُص منها.

قالوا إن هذه الآية اعتراف من بولس الرسول أنه لا يزال، حتى بعد أن قَبِلَ المسيح، يخدم

ناموس الخطية بالجسد! وسبب العثرة في الشرح هو أنها جاءت في ترتيبها بعد الآية: «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا». مع أنه بعد «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا» يكون قد انتهى الأنين وانتهت الشكوى، إذ جاء الذي أمات الخطية فينا بموته على الصليب وأعطانا الإنسان الجديد الذي يحيا في جِدَّة الروح مع المسيح المُقَام، فصرنا محسوبين أننا أموات بالنسبة للخطية، وأن الخطية لن تسود علينا لأننا تحت نعمة ولسنا تحت ناموس، فكيف وبأي عقل أو منطق يقول هؤلاء إن الإنسان المسيحي لا يزال **يخدم الخطية في الجسد**؟؟؟ أين الصليب؟ وأين الدم؟ وأين مغفرة الخطايا؟ وأين الصفح عن الخطايا السالفة وأين المصالحة مع الله؟ وأين الاغتسال والتبرير والتقديس بدم المسيح وروح إلهنا؟

أين الذي قاله بولس الرسول حالاً: «نحن الذين مُتنا عن الخطية كيف نعيش بعدُ فيها؟» (رو٦: ٢). وأين قوله: «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية» (رو٦: ١١)، «أنخطىء لأننا لسنا تحت الناموس؛ بل تحت النعمة؟ حاشا... إذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر» (رو٦: ١٥و١٨)، «الآن إذ أُعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية.» (رو٦: ٢٢)

أبعد هذا كله، يصح أن يُقال إننا نخدم الله بالذهن فقط، وأما بالجسد فنخدم ناموس الخطية؟

أما شرح هذه الآية فهو كالآتي:

بولس الرسول بعد أن بلغ بالإنسان الذي تحت الناموس إلى الخذلان الكلي وانقسامه بين «الأنا» و«**الجسد**»، حيث «الأنا» أي النفس، تطلب الصلاح وتريد الحَسَن، **والجسد** في نفس الوقت يخضع للخطية ويُستعبد لها، ثم رفع هذا الإنسان دعواه إلى الله بالصراخ لكي يرسل الله مَنْ ينقذ الجسد المائت بالخطية، فاستجاب له الله وأرسل ابنه ليصنع ما لم يصنعه الناموس ويخلِّص الإنسان من الخطية والموت ويجدِّده كخليقة جديدة.

بعد هذا أراد بولس الرسول أن يجمع ويستخلص كل ما فات في الأصحاح السابق في آية واحدة، تمهيداً لشرح ما صنعه الرب يسوع المسيح بالنسبة للإنسان. وهكذا بَلْوَرَ الأصحاح كله في هذه الآية: «إذاً، أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله»، أي بالجزء الواعي لله الذي هذَّبه الناموس وأنارته كلمات التوراة وتوعية الأنبياء، وفي ذات الوقت **لا يزال الجسد واقعاً تحت عبودية الخطية** كمَنْ يخدم ناموسها القاتل الرابض في الأعضاء. هذه هي خلاصة التمزق والتوتر الذي عاشه الإنسان تحت الناموس بعد أن ارتقى بضميره ووعيه وإرادته، كما نراه في الأنبياء واضحاً للغاية، كما سمعناه في إشعياء أعلاه.

وبعد هذه الآية، وامتداداً بمعناها، وردًّا عليها، تأتي الآية الأُولى في الأصحاح الثامن مباشرة: «إذاً، لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع **السالكين ليس حسب الجسد** بل حسب الروح...». أي أن الجسد الذي كنت أخدم به الخطية وأنا في الناموس وفي أحسن حالات الناموس، قد انتهت خدمته للخطية؛ بل ولا وجود له الآن في سلوكي وأنا في المسيح يسوع الذي رفع الدينونة عني، أي حُكْمَ الموت الأبدي بسبب الخطية، وبالتالي ألغى سلطان الخطية الذي هو الموت، وبالتالي ألغى الخطية كلها بموته، أي غفر لي كل خطاياي. وهكذا بطل عمل الخطية في الجسد وبطل ناموس الجسد، وأعطاني الروح القدس، حيث «الروح» هنا هو الروح القدس، وحيث السلوك بالروح القدس هو الانقياد بروح الله كأولاد الله، المقابل للسلوك بالناموس والجسد، وهذا بالنسبة للذين انتقلوا بالمسيح والروح القدس، من الناموس وعبودية الخطية بالجسد إلى حرية أولاد الله في الروح القدس، لأنه حيث روح الرب فهناك الحرية (٢كو٣: ١٧).

الأصحاح الثامن

الإنسان يدخل الحرية الروحية!!

١ — ٨: ١—١١ : المسيح أعطى الروح عوض الناموس!

٢ — ٨: ١٢—١٧ : الارتقاء بالإنسان للحياة بالروح هو الدخول في بنوية الله!

٣ — ٨: ١٨—٢٧ : صار الإنسان في الروح فصار على مستوى الرجاء!

٤ — ٨: ٢٨—٣٩ : الختام المظفَّر للأصحاحات الثلاثة (من ٦ إلى ٨): «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟».

الأصحاح الثامن

هذا الأصحاح يُعتبر واحداً من أهم الأصحاحات في الأسفار المقدسة! ليس على مستوى الفكر اللاهوتي فقط بل وعلى مستوى الواقع المتميِّز لحياة الإنسان المسيحي. ففيه يستعلن ق. بولس قوة الروح القدس العامل في الإنسان لفكّه من رباطات الخطية وإعطائه النصرة لمقاومة الشر بل وغلبة سلطان الشر. إن هذا هو مبعث رجاء الإنسان الذي تحقق له، بشهادة كل الأجيال ومن ملايين بني الإنسان الذين ألقوا همَّهم على النعمة، ففازوا بمؤازرة الروح القدس بقوة تشهد لها حياتهم وسيرتهم بين الناس على مدى التاريخ.

وإن من أظهر المميزات في هذا الأصحاح، أن ق. بولس وهو يضع الروح القدس كقوة خلاص قادرة بالحق أن تخلِّص كل الذين سلَّموا الحياة للمسيح بإيمان وثيق، لم يضع في المقابل شرطاً واحداً ولا وصية واحدة يثقِّل بها كاهل الإنسان كما فعل الناموس. وهذا بحد ذاته هو أقوى شرح لمعنى أن المسيح هو غاية الناموس للبر لكل مَنْ يؤمن، بل ومنتهى اشتهاء الإنسان الذي رزح تحت عبء عجزه وعجز الناموس معه. وفيه يتكلم ق. بولس عن **«الحياة في المسيح»**، الحياة التي يقودها الروح القدس حيث الجسد يتبع ولا يقود قط!

وعلى القارىء أن ينتبه لهذا الأصحاح الفريد المجيد الذي يوقع لحن الخلاص على بداية يبتدئها بقوله: **«لا دينونة الآن ...»** بلحن الحمد والشكر ويختمه بخاتمة موسيقية: **«مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟»** بلحن المجد والفخار! ... وبين البداية والنهاية يعزف مقطوعة: **«البِكْرُ بين إخوة»**.

فإن كان معيار الأصحاح السابق (٧) هو الصراع بين الخير والشر: **«ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت»**؛ فمعيار هذا الأصحاح هو نصرة الخيرِ الأخيرة: **ما أسعدني أنا الإنسان الجديد في المسيح يسوع الذي أعتقني من ناموس الخطية والموت.**

وهذا الأصحاح على العموم يُحتَسَبُ **«قمة الرسالة إلى رومية»**، حيث يبرز إنجيل ربنا يسوع المسيح كقوة الخلاص. في مقابل الناموس الذي توقَّف عن أن يكون قوة للتبرير أو التقديس، بل على النقيض أورث المتمسكين به عن غير صحة الدينونة والموت.

فبقدر ما كان إنسان الناموس يتخبَّط بين صلاح المعرفة وفساد السلوك بالخطية، ظهر إنسان المسيح ينعم بوحدة الفكر والعمل ببر الله في قداسة تحت قيادة موحدة بين الضمير المطهَّر والروح القدس المدبِّر.

وبقدر ما كان يشعر إنسان الناموس بالغربة عن الله واحتجاب وجه الله عنه بسبب الخطية أُعطي له في المسيح يسوع شركة الحياة مع الآب والابن، على أساس شركة الموت والقيامة مع المسيح المصلوب. وهكذا تأمَّنت حياتنا على الأرض، فعلى الأرض نعيش، وسيرتنا وميراثنا في السموات، لا شيء يقلقنا ولا شيء يفصلنا عن المسيح والله. لقد جمع ق. بولس في هذا الأصحاح كل نبضات الحياة المسيحية متجذرة في أصولها وأسبابها الأُولى.

[٨: ١-١١] المسيح أعطى الروح عوض الناموس!

١:٨ **«إذاً لا شيءَ من الدينونةِ الآنَ على الذينَ هُم في المسيح يسوعَ السالكينَ ليسَ حسبَ الجسدِ بل حسبَ الروحِ».**

«إذاً ... الآن»: ἄρα νῦν

التعقيب هنا ليس على أية آية بالذات ولكن على الحالة الجديدة في المسيح في مقابل الحالة العتيقة في الناموس. وقد أخطأ كثير من الشراح خطأً مورِّطاً إذ فسَّروا «إذاً الآن» أنها تعقيب على الجزء الثاني من الآية ٢٥: «إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله، **ولكن بالجسد (أخدم) ناموس الخطية**». والإنسان يتعجب أشد العجب كيف يصح هذا، في حين أن **النقيض تماماً هو الصحيح** لأن ق. بولس يقول: «السالكين **ليس حسب الجسد**».

«فالآن» هنا عند بولس الرسول هو الوضع الجديد الذي دخل فيه إنسان المسيح، وهذا الظرف الزماني لا يحدد حقبة معيَّنة في حياة المسيحي السالك بالروح، فهو منذ أن قَبِلَ الإيمان وإلى النهاية حتى الأبدية لن يكون عليه دينونة طالما «هو في المسيح يسوع»، والسبب يأتي مباشرة في الآية الثانية: لأن المسيح قد أعتقني من ناموس الخطية والموت، وهو الناموس الذي يجلب الدينونة المحتَّمة!

«والآن» تحمل بحد ذاتها رسالة لكل إنسان ولك أيها القارىء العزيز. **فالآن** هي بشارة الخلاص لكل نفس متعبة تنظر إلى خلف إلى ماضٍ حزين غير مشرِّف لأولاد الله. **فالآن** هي إشارة انتباه، قف، لا تنظر إلى ورائك. «فالآن» أنت في المسيح ولست في الجسد، أنت في الروح

ولست تحت ناموس الخطية. «**الآن**» أنت عتيق المسيح ولست عبداً لأي شيء ولا حتى للزمن، «الآن» أَسْقِطْ الماضي كله من حسابك وابدأ سيرة التجديد لتسجَّل لك في السموات سيرة جديدة. «**الآن**» تحمل لك بهجة هبة الخلاص، وقوة حياة الدهر الآتي. «**الآن**» هو مستقبلك السعيد مع المسيح والروح القدس.

«لا دينونة الآن»: حيث «**لا**» تأتي بادئة للآية كلها! **οὐδὲν ἄρα νῦν κατάκριμα**

حرف النفي «**لا**» يركِّز عليه ق. بولس بوضوح في اللغة اليونانية. **فلا** دينونة لأنه **لا** موت **ولا** خطية **ولا** ناموس **ولا** حياة حسب الجسد. «ولا دينونة» لأن الحياة أصبحت سلوكاً بالروح الذي يعبِّر عن تدبير الروح القدس وأعمال قداسة. بل «**فلا دينونة الآن**» كحالة نفي لا تكفي للتعبير عن الوضع الجديد بالروح، لأن الإيجابية واردة لأن «الآن» ليس لا دينونة فقط بل **«والآن» نحن في نعمة وبر وسلام.**

انتبه أيها القارىء العزيز، «**فالآن لا دينونة**» تعني أنك مُعفى تماماً، فأنت **لست متهماً** بعدُ بأية تهمة تمس حياتك أو تقلِّل من خلاصك. كذلك فأنت **لست واقعاً تحت أي عقاب** لا في الحاضر ولا في المستقبل ولا في الحياة الأخرى، فعليك أن تفهم وتتمعن سعة هذا المنطق الذي يتجاوز كل أحزان الإنسان ومخاوفه السابقة بل يتجاوز كل وساوس الإنسان وتشكُّكِه. فانتبه إلى قوة عمل الروح في هذا الوعد.

«فالآن» قف وألقِ بكل إحساس بدينونة كاذبة مزيَّفة زيَّفها عليك الشيطان وصَدَّقتها نفسك، فأنت لست تحت دينونة كهبة من الله نفسه، ألا يكفيك هذا الوعد لتقول آمين؟ أما **كيف** يكون ذلك؟ فلأنه رفع خطيتك. فلماذا وكيف تكون الدينونة؟ هنا بولس الرسول يعرض على القارىء الحالة الجديدة «العامة» التي أدخلها المسيح على الإنسان الذي يؤمن بموته وقيامته أي يؤمن بالفداء الذي أكمله على الصليب من أجل كل إنسان خاطىء **«في المسيح يسوع».**

هذا هو ختم الله الصادق على وعده: ختم اسم يسوع المسيح الذي يطبعه الله بالروح القدس على قلبك: أن «**الآن**» ليس عليك «**دينونة**» بضمان دم ابنه يسوع المسيح الذي رفع خطيتك، وروحه القدوس الذي أعطاك الحياة الجديدة!! **فهو** ليس وعداً يمنحه الله لك بلا ثمن بل قد دفع ثمنه حتى لا تقول في نفسك أنا غير مستحق، فدم المسيح أعطاك هذا الاستحقاق الفائق أن لا دينونة الآن عليك!! فإن قبلتها تكون قد كرَّمت دم ابن الله الذي سُفك على الصليب والذي يقدَّم لك في الكأس، وإن شككت تكون لا تزال لم تعرف قيمة دم يسوع المسيح ابن الله الذي آمنت به

وشربتَه! لأن دم المسيح ليس فقط قادراً أن يعطيك هذا الاستحقاق بل ويعطيه هو عينه لكل خطاة الأرض لو آمنوا. فهل تؤمن؟ «هل أنت في المسيح يسوع»؟ هل آمنت بالدم؟

في مفهوم الوضع اللاهوتي، يقصد ق. بولس هنا أن الإنسان قد أُنقذ من الوقوف على أرض الموت حيث يحكمه ناموس الخطية ويحكم عليه بالموت؛ «**الآن**» هو واقف على قاعدة **«بر الله».** فالمسيح يحمل البشرية في نفسه في جسده القائم من الأموات، إذاً فنحن بمعزل عن الموت، والجسد القائم من الموت لن يسود عليه الموت بعد بل هو حي لله ونحن فيه أحياء لله. قول المسيح هنا يلح علينا إلحاحاً: «مَنْ كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو١١: ٢٦)، «أنا حي فأنتم ستحيون.» (يو١٤: ١٩)

فطالما نحن نحيا في المسيح، فلن ينالنا موت ولن تقرب منا دينونة «مَنْ هو الذي يَدِين؟ المسيح، هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله، الذي أيضاً يشفع فينا» (رو٨: ٣٤). **فالذي يشفع فينا كيف يديننا؟** المسيح قَبِلَ الدينونة كلها التي عن كل الخطايا على الصليب ونحن فيه، لذلك فقد استنفذت الدينونة كل حقها علينا، ونحن في المسيح أكملنا كل مكيالها.

ليلاحظ القارىء أننا بدخولنا هذا الأصحاح دخلنا مع ق. بولس في دائرة بر الله في المسيح يسوع. لذلك كان أول ما اهتم ق. بولس أن يسجله في محيط بر الله وعمله أن الدينونة رُفِعَتْ، لأنه حيث بر الله بالمسيح فلا دينونة. الدينونة تُعبِّر عن غياب بر الله، حضور بر الله بالمسيح يسوع يعني غياب الدينونة حتماً. الله بذل ابنه خصيصاً ليرفع عنا الدينونة حتى يتسنى للآب أن يعطينا برَّه الخاص لنعيش معه. **لذلك كانت القرينة الملازمة لدخولنا في برِّ الله بالمسيح هي السلوك بالروح وليس بالجسد، أي السلوك بروح الله الذي يدير الحياة الجديدة مع الله. هنا عمل الروح القدس فينا يؤمِّن عدم الدينونة.**

فالآية التي صدَّر بها ق. بولس هذا الأصحاح الفريد في رسالة رومية: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، هي بمثابة انفتاح حضن الله للمسيح، وهو عائد من الفداء ومعه خطاة البشرية، ليسكب عليهم بره الخاص مع حبه ونعمته وروحه القدوس. كانت هذه هي اللحظة التي تمنَّتها كل أجيال الله السابقة من القديسين والأنبياء، وكانت هي نفسها التي تمناها الله ليستقبل الإنسان المتغرِّب هذه الدهور كلها ويضمه مع المسيح في حضنه المريح! «ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة

المصالحة، أي إن الله كان في المسيح مُصَالِحاً العالم لنفسه، **غير حاسبٍ لهم خطاياهم**، وواضعاً فينا كلمة المصالحة.» (٢كو٥: ١٨و١٩)

«لا دينونة الآن»، من يصدِّق؟ إن عِظَمَ الهبة جعلت الموهوب لا يصدِّق بل لا يقدر أن يصدِّق لأنه صعب عليه أن يعي كيف؟ كيف أكون أنا بلا دينونة؟ وأين خطاياي وأين جهالاتي وأين عقوقي وتعدياتي؟ ولكن هذا هو برُّ الله: **«لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد»** (إر٣١: ٣٤)، **«قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك، ارجعْ إليَّ لأني فَدَيتُك. ترنمي أيتها السموات لأن الرب قد فعل»** (إش٤٤: ٢٢و٢٣)، **«أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها»** (إش٤٣: ٢٥). لا يوجد هنا "لماذا"، ليس هنا للمنطق مكان، ولا لقياسات العقل موضع ــ الله تكلَّم، الله وعد ونفَّذ، الله بار هو، وهو يريد أن يتبرر فينا، فمن يقول له: "لماذا" أو "حاشاك"؟

صحيح، لابد أن نقف أمام كرسي المسيح وكل واحد يعطي حساباً عن ما فعله خيراً كان أم شراً، وأنه حتماً سيدين كل واحد حسب أعماله. هذا حق. ولكن الذي يدين هو الذي يبرر، والديان سبق هو بنفسه أن **دفع من دمه ثمن كل ديوننا، وتقبَّل أشد الدينونة من أجلنا في جسده ليصفي حسابنا.** فمرحباً بالدينونة ومعها التبرير، ومرحباً بالديَّان لأنه البار!

أما قول ق. بولس: «السالكين حسب الروح وليس حسب الجسد»، فهو لا يفيد شرط الأعمال التي نعملها، بل على النقيض، **فهو يفيد عمل الروح القدس فينا** وليست أعمال الجسد. بمعنى أننا لا نسلك بعد بناموس جسدي يتحكم فينا لأعمال جسدية بل نسلك بحسب عمل روح الله القدوس فينا الذي يبرر الروح ويقدس الجسد. **لأنه لو كان المعنى يقتصر على أن أعمالنا التي نعملها نحن بحسب الروح أي روحنا أي التي من عندنا، هي السبب والعلة أنه لا دينونة الآن علينا، إذاً لبَطُلَ عمل المسيح وبطل بر الله، وقصر الوعد وانطمس العهد الجديد.**

لقد احتار اللاهوتيون في معنى ولزوم النصف الثاني من الآية الأُولى: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، ووجدوها بحسب فهمهم أنها تلغي تماماً النصف الأول: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع». لذلك أجمعوا جميعاً على حذفها نهائياً لا من شرحهم بل وحذفوها من نسخ الإنجيل التي في أيديهم!! ــ أنظر وتعجب ــ والسبب في ذلك أنهم فهموا أن سلوك الإنسان بحسب الروح يعني أعماله التي يعملها باجتهاده الروحي. ولكن ق. بولس لا

يقصد هذا المعنى إطلاقاً، بل إن قوله: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» إنما يعني به السالكين بحسب الروح القدس وليس بحسب اجتهادهم الجسدي من فرائض ونواميس كما في الناموس!! والدليل على ذلك يكرره بولس الرسول بعد ذلك بقوله:

+ «لأن ناموس **روح الحياة** في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو٨: ٢) = (السلوك بالجسد)
+ **«وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم.»** (رو٨: ٩)
+ «إن كان أحد ليس له **روح المسيح** فذلك (المسيح) ليس له.» (رو٨: ٩)
+ «**روحه** الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)
+ «إن كنتم **بالروح** (القدس) **تميتون أعمال الجسد** فستحيون.» (رو٨: ١٣)
+ «الذين **ينقادون بروح الله** فأولئك هم أبناء الله.» (رو٨: ١٤)
+ «أخذتم **روح التبني** الذي به نصرخ يا أبا الآب.» (٨: ١٥)
+ «**الروح نفسه** يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (٨: ١٦)

كل هذا هو الذي يعنيه ق. بولس من قوله: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب **الروح**»، حيث السلوك بالجسد هنا يرمي إلى حالة السلوك بالناموس حيث كان الجسد واقعاً تحت سلطان الخطية ومستعبداً لها. ولكن المعنى يتسع في قول ق. بولس «حسب الجسد» حتى يشمل بحسب الفكر البشري والاجتماعي أرقى وأنبل أنواع السلوك الذي ينتهي عند مطالب الجسد ولكن لا يرقى إلى الله. فليس من الضروري أن تكون «الحياة حسب الجسد» تعني الخطية مباشرة؛ بل تعني **أن يكون هدف الحياة الوحيد هو متعة الجسد في الفن والجمال والحب والرقي الأخلاقي**، ولكن في غياب العبادة والدين وعنصر الله والتقوى، فمثل هذه الحياة هي زائلة ومنتهية بالموت، وليس لها رجاء في حياة أبدية، ومثل هذه الحياة تدخل الدينونة لأنها رفضت الخضوع لله واحتقرت **عمل الروح القدس** وجحدت الابن الذي به وحده الخلاص والانعتاق من الدينونة.

وحيث يكون **المقابل للحياة حسب الجسد هو الحياة حسب الروح، لتعني حياة في الله، ومنه تأخذ حركتها ووجودها من الله وتنتهي إليه.** وهذه بدورها لا يمكن أن تعني مخاصمة الجسد واحتقار الحياة بل قيادة الجسد بتدبير روح الله والسلوك في الحياة بروح جديدة: «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨: ١٣)، حيث يبلغ الجسد الصحة الحقيقية وتبلغ

النفس بالروح القدس كمالها السوي وترتفع الرؤيا من نحو الحياة لتصير حسنة وجميلة في الله كما خلقها. **فالحياة حسب الروح لا تحرم الإنسان إلاّ من الخطية.**

«**الآن**» **في المسيح** يعني سلوك بالإنسان الجديد بالإيمان المحسوب أنه روحي، وبالروح القدس الذي يدبر كل سلوك المسيحي. **لأنه يتحتم أن تفهم أن في المسيح يسوع لا يوجد سلوك حسب الجسد قطعاً، فالمسيح هو غاية الحياة وليس الجسد بكل تأكيد!!** وهذا يؤكده بشدة بولس الرسول بقوله: «إن كان المسيح فيكم **فالجسد ميت بسبب الخطية**، وأما الروح فحياة بحسب البر» (رو٨: ١٠)، وسيأتي شرحه، وقد سبق ق. بولس وقال: «عالمين هذا أن **إنساننا العتيق (الجسد) قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية** كي لا نعود نُستعبَد أيضاً للخطية.» (رو٦:٦)

لذلك فإن هذه الآية ذات الوزن العالي لاهوتياً ينبغي أن تبقى حرّة من أي شرط، فقول ق. بولس: «**لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع**»، لا يتوقف على القول: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، بل هو معيار لاهوتي حرٌّ قائم بذاته، يلزمنا جداً أن نأخذه لحياتنا ونشق فيه ونعتز به بل ونتمسك أيضاً. وما قوله: «**السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح**» **إلاّ وصف للذين هم في المسيح يسوع وتأكيد لعمل الروح القدس في رفع هذه الدينونة، لأن الذين هم في المسيح يسوع هم في الروح القدس حتماً وبالضرورة، والذين هم في الروح القدس لا يسلكون بحسب شهوات الجسد!!**

والقصد من عدم السلوك حسب الجسد هو أن لا يكون الجسد ولا شهوات الجسد هدفاً لحياتنا.

٨: ٢ **«لأن ناموسَ روحِ الحياةِ في المسيحِ يسوعَ قد أعتقَني من ناموسِ الخطيةِ والموتِ».**

«لأن»: γάρ

لأن هنا سببية وهي تشرح لماذا لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع!

«روح الحياة»:

هو الروح القدس في سلطته العاملة مع المسيح للحياة الجديدة فهو المحيي من الموت وبالأكثر من موت الخطية. وهو ليس يحيي فقط، بل ويحافظ على الحياة من طغيان الخطية واستبدادها بالجسد.

يلاحظ هنا أن ق. بولس يضيف إضافة هائلة على قوله: «الذين هم في المسيح يسوع» كسبب وعلّة لرفع الدينونة عنّا، **إذ يدخل الروح القدس بقوة عمله الذي اعتبره ناموساً قائماً بذاته، قادراً أن يفك أسر الفكر والإرادة والضمير وكل مَلَكات الجسد وأعضائه من سلطان الخطية وفعلها المميت ويردها إلى الحياة للسلوك ببر الله.**

بولس الرسول يبرز هنا في هذا الأصحاح عمل الروح القدس بصورة فريدة **كصاحب ناموس قادر لا أن يعدِّل مسار الجسد بل ويخلق فيه قوة جديدة تصارع الخطية!** بولس الرسول يركِّز جداً على عمل الروح القدس في فك أسر الإنسان من سلطان الخطية، فيذكر الروح القدس في هذا الأصحاح **عشرين مرة**، الأمر الذي لم يحظ به أي أصحاح آخر في الإنجيل كله!! والعجيب حقاً أن يجيء هنا ذكر **الروح القدس عشرين مرة**، في مقابل **عشرين مرة أيضاً** بالتساوي في الأصحاح السابع يُذكر فيه «**أنا**» كإنسان يتأوّه!! وهكذا حيث «أنا» فهناك السقوط والعجز والأنين والدينونة، وحيث الروح القدس فهناك تكون الحياة ولا تكون الدينونة. وهذا هو التوضيح المباشر لقوله في الآية السالفة: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح». إذاً تكون محصلة الآيتين معاً هي: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل بناموس روح الحياة الذي يعتقهم من ناموس الخطية والموت».

وهذا أيها القارىء العزيز هو منتهى عمل بر الله بواسطة المسيح والروح القدس! **رفع الدينونة عن الإنسان، وعتق الإنسان من جور الخطية المجحف وسلطان الموت المخيف**، توطئة لمنح بر الله ونعمته المجانية.

ولنلاحظ في وصف **الناموس الجديد أنه روح الحياة**، وذلك في مقابل الناموس الآخر الذي للخطية والموت. ذاك يقيِّد وهذا يحرِّر، ذاك يميت وهذا يُحيي! ذاك يدين وهذا يبرر من الدينونة. وهذا هو في الحقيقة الفارق بين «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع»، و«ناموس موسى». وإن كان من الإجحاف في حق الروح القدس أن ندعو نظامه وتدبيره «**بالناموس**»، أي القانون، فالروح حرٌّ ومجال عمله متسع لا حدود له، ولا يستطيع فكر إنسان أن يلاحقه في قدرة عمله أو قوة فعله أو اتساع حبه أو شمول تأثيره، فمَنْ يسلك بروح الله يحكم على كل شيء ولا يُحكم عليه من أحد (١كو٢: ١٥)!!

ولكن لعل السبب في تسمية ق. بولس لعمل الروح القدس للحياة بأنه «ناموس» هو مقدار استبداد عمل ناموس الخطية في جسد الإنسان وكأنها ربطت ملكات الإنسان وأعضاءه بسلاسل لا

تُفك أو بمرض عضال لا يُشفى. ويكفي أنها جميعاً تسوق إلى الموت. لذلك، فإن العملية التي يقوم بها الروح القدس أو روح الحياة في المسيح يسوع لفك سلاسل الخطية وشفاء أعضاء الإنسان من جراحها المميتة تحتاج فعلاً إلى ناموس وإلى قوة منسِّقة وخارقة لتحطيم قيود الخطيئة المميتة. ولكن من أعجب أعمال ناموس روح الحياة في المسيح، هو أن يحرِّر الإنسان من ناموس الخطية والموت الذي كان عمله هو الاستعباد للخطية: «حيث روح الرب فهناك حرية» (٢كو٣: ١٧)، «وإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو٨: ٣٦)

فحينما نعرض على طبيب نفساني مريض الخطية الذي قضى في السرقة أو الزنى أو القتل أو الكذب والتزييف عمره كله، وتقول له هل من شفاء لهذا الإنسان؟ لا يتمالك الطبيب إلا أن ينظر إلى السماء!!

هذه هي البشرية التي كانت مائتة في الذنوب والخطايا فاقتحمها المسيح يسوع بالروح القدس وأقامها من موت الخطايا والذنوب وقدَّمها إلى أبيه «كنيسة مجيدة. لا دنس فيها ... بل مقدسة وبلا عيب» (أف٥: ٢٧). والأمثلة التي ورثناها، أعني الأشقياء الذي اختطفهم الروح القدس من جحيم الخطية وجعلهم قديسين، تملأ سنكسار الكنيسة؛ بل هم ظهر الكنيسة وسندها التاريخي. نستنشق رائحتهم الزكية في المسيح كحياة لحياة.

٨: ٣ **«لأنه ما كان الناموسُ عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسدِ، فالله إذْ أرسلَ ابنَه في شِبْهِ جسدِ الخطيةِ ولأجلِ الخطيةِ دانَ الخطيةَ في الجسدِ».**

عاجز: ἀδύνατος

تترجم باليونانية على وجه الأصح في هذا الموضع «مستحيلاً»(١)، أي **في ما كان مستحيلاً على الناموس**، وذلك لأن المقابلة تستلزم ذلك فالمستحيل عند الإنسان سهل على الله.

وهنا يقلب ق. بولس الميزان اليهودي في تقدير ناموس موسى. فبينما اليهودي يفتخر ويتحصن ويتقوى بالناموس، يجيء بولس الرسول ليقول إن هذا الناموس عينه كان ضعيفاً وقد ورَّط معه الجسد الضعيف بالتالي. ونظرة بولس الرسول هنا هي النظرة العادلة والصادقة لإنسان يعي متطلبات الضمير الحي وهو تحت الناموس يشقى، ويكسر الناموس كل يوم! ويمكن باختصار شديد

1. Westcott, *ad. loc.*

للتوضيح أن نضع هذه الآية هكذا: لأن الذي كان مستحيلاً على ناموس موسى أن يعمله بسبب ضعف جسد الإنسان، الله عمله إذ **دان الخطية** في الجسد الذي حلَّ فيه بملء لاهوته!!! و«دان الخطية» **يعني حكم** عليها بالموت!! ليُبرىء الإنسان. وهو دانها في جسد ليس ضعيفاً بعد إذ هو جسد ابن الله! ولكن في الحقيقة هذه الآية تحوي كل عمليات التجسد والفداء.

عجز الناموس بسبب ضعف الجسد:

هذا شرحه ق. بولس بتدقيق في كل الأصحاح السابع السالف، والذي ينتهي بإعلان إفلاس الإنسان. وهكذا عندما يبلغ الإنسان نهاية عجزه، يبدأ الله عمله، الله بنفسه بواسطة ابنه. ولكن الوضع يبدو واضحاً ــ بعد التجسد ــ أن الأمر كله انتقل من **الإنسان إلى الله**. فالله وحده هو الذي يمكنه أن ينفذ ما يريده الله في الإنسان.

والملاحظ أن تدخُّل الله كان بعملية لا يدخل فيها الناموس إطلاقاً، فلا الله أعاد صياغة الناموس ولا هو صنع ناموساً جديداً على مستواه؛ بل أنهى الأول ليعطي حَلَّه الروحي الثاني لا بناموس، ولكن بابنه **«الذاتي»** وروحه القدوس. وهنا يُفهم أن الناموس لم يكن خطأ وإلا فالله كان قادراً أن يعدِّله. **على أن الناموس لم يكن ضعيفاً بذاته ولكن ضعفه كان بسبب ضعف جسد الإنسان.** لذلك تركه الله إلى أن أكمل القصد منه، ثم نزل ليرفع كل الغبن الواقع على الإنسان وذلك بتجديد خلقة الإنسان وبحمل الدينونة عن الإنسان، وهكذا أكمل الله بواسطة المسيح وبآن واحد دينونة الخطية بالجسد، ثم تجديد الإنسان ككل!! وهكذا صنع الله بالإنسان أمراً عجيباً، إذ أكمل في ابنه الانتقال بالخلقة البشرية من وضعها الجسدي الأرضي الضعيف الرازح تحت الناموس إلى وضعها الروحي السمائي الغالب بالروح القدس لحساب الحياة الأبدية.

الله أرسل ابنه «الذاتي»: ἑαυτοῦ

اصطلاح عقائدي ليتورجي يحمل مضمون سبق وجود المسيح قبل التجسد كابن الله الذاتي، حيث كلمة «الذاتي» تأتي في اليونانية فقط في صيغة **«الذي له شخصياً»**، وأرسله إلى العالم متجسداً: «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» (غل٤: ٤و٥)، وذلك عبوراً بالإخلاء: «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه **أخلى نفسه** آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس.» (في٢: ٦و٧)

«في شبه جسد الخطية»:

على القارىء أن يلاحظ شدة تدقيق ق. بولس في صياغة هذه الجملة بمنتهى الحذر لتطابق الواقع بمنتهى الدقة بالنسبة لبشرية المسيح:

فإن الصفة السائدة على الطبيعة البشرية هي الخطية، ففي شبه هذه الطبيعة تجسد المسيح. ولكنه صار بشراً سوياً إنساناً بطبيعة بشرية كاملة فلا يصح أن يُقال: «في شبه جسد إنسان». كما أنه كان أيضاً بلا خطية مطلقاً، فلا يصح أن يُقال: «في جسد الخطية». ولكن ق. بولس قال وما أعظم وأدقّ ما قال: **«في شبه جسد الخطية»**. وهذا يعني أنه ليس إنساناً خاطئاً ككل الناس بالرغم من أنه إنسان كامل تماماً، وذلك بسبب أنه لم يكن في صميم طبيعته خطية البتة. ولم يكن في مظهر إنسان فقط بل ومولوداً من امرأة وتحت الناموس. ومنذ أن وُلد المسيح ابن الله من امرأة تحت الناموس وصار إنساناً، تشرَّف الإنسان بالشرف السمائي ككل، لأنه لم يعد مجبولاً فقط من تراب الأرض، بل وأيضاً من السماء من الله!!

كما أن ق. بولس في قوله: «في شبه جسد الخطية»، يعني أن ابن الله حمل طبيعة الإنسان في واقع حالها بعد السقوط، ولكن دون أن يكون فيها أي فعل من أفعال السقوط، أي الخطية. وبذلك يكون قد تجاوز كل أثر الخطية في جسد الإنسان، فحمل جسداً بلا خطية حتى يستطيع أن يحمل كل الخطايا عليه، دون أن يكون هو خاطئاً ويموت بها؛ فيُميتها أي يدينها، دون أن يُعتبر الموت عقوبة له بل أخذه في جسده كعقوبة لكل خطايا الإنسان، وقام فأكمل العقوبة لكل إنسان. وهكذا دان الخطية بالجسد، فأكمل الدينونة لكل ذي جسد!! فصار لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع!!!

«ولأجل الخطية» περὶ ἁμαρτίας:

الترجمة العربية لا تفي بالمطلوب، لأن ق. بولس **يقصد عملاً تم ضد الخطية ومن أجلها بآن واحد**، فهو عمل ذبائحي. وهذا الاصطلاح عينه أي περὶ ἁμαρτίας ورد في مواضع عديدة ليفيد ــ بحد ذاته ــ «ذبيحة خطية» كما جاء في لاويين ١٦، عب١٠:٦و٨؛ ١٣:١١: «بمحرقات وذبائح للخطية καὶ περὶ ἁμαρτίας لم تُرِدْ»، حيث الاصطلاح اليوناني هنا يخلو كلية من كلمة «ذبائح»، ولكن بمجرد أن يأتي حرف περὶ قبل كلمة «خطية» تُحسب ذبيحة في المفهوم الليتورجي، لذلك يترجمها العلماء(٢) في الليتورجيا هكذا: «فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية وبذبيحة الخطية دان الخطية بالجسد».

2. Käsemann, *op. cit.*, p. 216.

وتقديم ق. بولس لهذه الحقيقة اللاهوتية بهذه الصورة دون أن يعبِّر عن كيف دان الخطية بالجسد سوى بهذا التعبير الخفيف للغاية: «لأجل الخطية περὶ ἁμαρτίας» **يعطي صورة عن مضمون وضع المسيح الذي صار له في مجرد تجسده، حيث في نظر ق. بولس أن مجرد تجسد ابن الله كان إعداداً للصليب وهو بحد ذاته إجراء ضد الخطية**. وهكذا يتضح تماماً أن المسيح تجسد لأجل الخطية وليدين الخطية بآن واحد، وكأن الله كرَّسه لبذل الموت لحظة إرساله إلى العالم. وهذا المعنى يشرحه ق. بولس ببراعة في قوله في موضع آخر مستشهداً بالمزمور: «لذلك عند دخوله إلى العالم (تجسده) يقول ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ، ولكن **هيَّأتَ لي جسداً**» (عب١٠:٥، مز٤٠:٦) أي أن موته على الصليب كان عِوَضَ جميع الذبائح!!

«دان الخطية في الجسد»:

كانت الخطية في وضع الناموس قد أوقعت الإنسان في الدينونة بالموت الأبدي. ووقف ناموس موسى إزاء الخطية صامتاً لا يقدر أن يعين؛ بل وعلى النقيض يدين. الخطيئة تميت بالفعل والناموس ينطق بحكم الدينونة والموت. هذا تم في كل ذي جسد، فصار جسد الإنسان ككل تحت سلطان الخطية ولا منازع. لهذا أرسل الله ابنه متجسداً في هذا الجسد عينه الذي استبدت به الخطية، ولكن دون أن يكون تحتها أو عبداً لها، بل بطبيعة كل ذي جسد دون الخطية وحدها. وبهذا اتخذ الجسد الذي اتخذته الخطية سلاحاً لها لإظهار سلطانها للموت، أخذه المسيح ليكون هذا الجسد عينه سلاحه ضدها ليُميتها بالجسد. **فبمجرد أن تجسد ابن الله ــ بدون خطية ــ** تمت أول موقعة بين المسيح في الجسد والخطية التي اتخذته مِرْبَضاً لها في الإنسان. القديس بولس اعتبر هذا أول فعل الدينونة ضد الخطية، أما تمام الدينونة وكمالها، الذي ختم عليه الله ضد خطية الإنسان في الجسد، فأُكمل ساعة موت ابن الله القدوس من أجل الخطاة، البار من أجل الأثمة، حاملاً الحياة من أجل حاملي الموت، الحر من أجل الأسرى! وهكذا حطَّم المسيح عرش الخطية في الجسد وحلّ سلطانها وفكَّ أسراها.

وهكذا بينما ركَّز الناموس سلطانه للنقمة من الإنسان الخاطىء لحساب الخطية، انقضَّ المسيح بسلطانه ضد الخطية ذاتها لحساب الإنسان! وهكذا لما أبطل المسيح الخطية ودانها في الجسد، توقف الناموس وأنهى على زمانه وقفل كل دوائر محكمته، وعاد الإنسان إلى بيته بريئاً مُبرَّأً وقديساً مطهَّراً، بلا دينونة، ولا خوف عليه من موت ودينونة!

٤:٨ **«لكي يتمَّ حُكمُ الناموسِ فينا، نحنُ السالكينَ ليسَ حَسَبَ الجسدِ بل حسبَ الروح».**

كلمة «حُكْمُ الناموس» هنا نقرأها على المثيل المشابه لها في رسالة رومية.

وإليك معنى كلمة **حكم الناموس** δικαίωμα τοῦ νόμου

«الذين إذ عرفوا **حكم الله** (تُقرأ بمعنى حكم الناموس على الأصح δικαίωμα τοῦ νόμου = δικαίωμα τοῦ θεοῦ) أن الذين يعملون مثل هذه **يستوجبون الموت...**» (رو١: ٣٢)

إذاً فقول بولس الرسول: «**لكي يتم فينا حكم الناموس**» ليس معناه «برّ» الناموس كما ظنها القديس ذهبي الفم[٣]؛ بل حكم الناموس أي مطلبه العقابي، أي الموت، ثمناً للخطية. وبهذا نكون قد تحررنا من الناموس كلًّا وجزءاً. ولكن إذا أخذناها بمعنى بر الناموس نكون قد التصقنا بالناموس أكثر.

وواضح من الآية المثيلة: «الذين إذ عرفوا **حكم الله** أن الذين يعملون مثل هذه **يستوجبون الموت**»، يتضح أن **حكم** الناموس يعني **الموت** وليس البر – لهذا لزم التنبيه.

ليت القارىء ينتبه أشد الانتباه لأننا هنا بصدد المحور الدوار الذي يلف حوله كل مفهوم الفداء والغفران والمصالحة والخلاص كله!!

فالمسيح لم يَمُتْ وحده، من أجل نفسه، ولم يُكمِّل حكم الناموس من أجل نفسه، ولم يتلقَّ عقاب الخطية باللعنة من أجل نفسه؛ بل لأنه كان حاملاً جسد الإنسان ككل – أي جسد كل إنسان كان وسيكون، لذلك يُحسَب أن كل «الإنسان» تلقى ذات الحكم وذات الموت وذات اللعنة، وأكمل الناموس مع المسيح لما أكمل المسيح الموت على الصليب. هذا هو المعنى الذي يقصده ق. بولس بالوضوح الكافي في قوله: «**لكي يتم حكم الناموس فينا**» حيث كلمة «**لكي**» تعود على كل ما تحمله الآية السابقة من معانٍ حينما قال بولس فيها: «**دان الخطية بالجسد**»، لأن الجسد الذي هو جسده هو هو جسدنا.

فالذي صنعه المسيح على الصليب والذي احتمله، قد صنعه واحتمله بذاته القدوسة في جسده الذي هو جسدنا **من أجلنا**، «**لكي يتم حكم الناموس فينا**» فلا يعود للناموس شيءٌ علينا ولا

3. N.P.N.F., Chrysostom, *On Rom.*, p. 433.

صلة بنا ولا حكم ضدنا؛ بل ولا وجود له بالنسبة لنا! ... هذا المعنى فات على كثيرين جداً من الشُرَّاح.

«نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»:

الجسد هنا هو ضد الروح كما يقول بولس الرسول، والروح هو الروح القدس، «وإنما أقول **اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد**. لأن **الجسد** يشتهي ضد **الروح**، والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا **انْقَدْتُم بالروح فلستم تحت الناموس.**» (غل٥: ١٦–١٨)

واضح هنا أن السلوك بالروح هو الانقياد بالروح القدس: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤). والانقياد بالروح القدس يجعلنا أحراراً من الناموس: «لأنكم لستم **تحت الناموس**؛ بل **تحت النعمة**» (رو٦: ١٤) أي نعمة الروح القدس. **هنا لا تُعتبر هذه الآية توجيهاً أخلاقياً، ولكن تقرير حالة لاهوتية، لأن الروح القدس هو وحده الذي يحرر الإنسان من سلطان الخطيئة.** أي أن كل مَنْ هو في الروح القدس ومُنْقادٌ بالروح القدس، يكون بحسب الآية الأُولى في هذا الأصحاح: «لا شيء من الدينونة عليه»، وبحسب الآية الثانية: «قد أعتقني من ناموس الخطية والموت»، وبحسب الآية التي نحن بصددها أي الرابعة من هذا الأصحاح: «قد تم فينا حكم الناموس»، وبالتالي تبرَّأ من الخطية وانعتق من الناموس ذاته فلم يَعُدْ يسلك، أي يَعبُد بالجسد (أي بحسب الناموس)؛ بل بالروح يعبد ويحيا.

والذي نود أن نؤكد عليه مرة أخرى أن ق. بولس هنا لا يقصد الجهد البشري، وكأنه من عمل روح الإنسان. فيُفهم السلوك الروحي أنه اجتهاد، أو الكف عن السلوك الجسدي كأنه اجتهاد، ولكن بولس الرسول هنا بصدد شرح وضع لاهوتي نشأ بمجيء ربنا يسوع المسيح عوض الناموس. فكان الناموس هو السلوك بالجسد والاجتهاد بالجسد وطلب بر الناموس بالجسد. ولكن بمجيء المسيح انتقلنا من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح، ومن سلوك حسب الجسد – بفرائض وأحكام تخص السلوك بالجسد، إلى سلوك بالروح وهو تسليم الحياة للروح القدس للانقياد به حتى يكون السلوك بالروح أي بالروح القدس.

فإن كانت صلاة فبالروح، وإن كان سجود أي عبادة فبالروح، لأن الله روحٌ وهو طالبٌ الساجدين له بالروح والحق (يو٤: ٢٣و٢٤)، مع الانتباه أنه إذا فُهم السلوك بالروح أنه اجتهاد من

روح الإنسان ضد شهوات الجسد بالإمكانيات الذاتية والجسدية، فإن كل المفهومات السابقة تتعطل، أي تتوقف حقيقة: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع»، ويتعطل عملها إنْ كان ذلك نحصل عليه بالسلوك الذاتي. كذلك: «قد أعتقني من ناموس الخطية والموت»، يتعطل ويستحيل الحصول عليه إن كان بالاجتهاد الذاتي. وأخيراً: «قد تم فينا حكم الناموس»، يتعطل إذ يستحيل أن يتم فينا حكم الناموس ونتبرَّأ من الناموس بالاجتهاد الذاتي. **لهذا ننتهي إلى القول إن: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» تفيد الانتقال من الارتكان على أعمال الجسد إلى الاتحاد بالروح القدس الذي يقود للسلوك في جِدَّة الحياة مع المسيح لله، وذلك بالمفهوم اللاهوتي وليس بالمفهوم الأخلاقي.**

ولكن هذا الشرح اللاهوتي الصرف لم يمنع ق. بولس من أن يتفرع منه إلى الحض على السلوك الأخلاقي **الذي يثبت ويشهد على حصول رفع الدينونة وتكميل الناموس والدخول في النعمة وبر الله في المسيح.** وفرق شاسع بين الأعمال الأخلاقية السلوكية **كونها تكون إثبات حالة تجديد خلقة والبرهان على وجودها والحصول على نعمة، وبين أن تكون هي السبب والإرادة والوسيلة لكي نحصل بها على الغفران والتجديد بالنعمة.** لذلك يقول: «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»؛ والآية الأخرى: «لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، وهما آيتان تختصان بعمل المسيح والروح القدس الذي أُكمل فينا، كحالة واقعة لا تحتاج من جهتنا إلى تكميل أو تحقيق أو استزادة أو استحداث، ولكن تحتاج من جهتنا إلى ما يثبتها عملياً ويشهد لها بالأعمال كأناس مَقُودين بالروح القدس. كما يضعها يعقوب الجليل في الرسل: «وأنا أُريك **بأعمالي إيماني**» (يع٢: ١٨). وهنا فإن حتمية الأعمال مقطوع بها، لأن أي تراخٍ بعد الحصول على حالة رفع الدينونة والدخول في حالة البر بالفداء يؤدي إلى ضياع هذا الربح الخلاصي، كقول بولس الرسول الذي دخل حالة البر بالإيمان والذي بعد أن نال كل نعم الله قال: «أقمع جسدي وأستعبده حتى بعد ما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً» (١كو٩: ٢٧): **هنا العمل النسكي حارس للخلاص فهو حتمي.**

٨: ٥ **«فإن الذين هُم حَسَبَ الجسدِ فبما للجسدِ يهتمُّون، ولكن الذينَ حَسَبَ الروح فبما للروح».**

هنا أيضاً المقارنة ليست أخلاقية، بل لاهوتية متجذرة في حالة إنسان في الناموس وحالة إنسان

في المسيح. فالذين في الناموس أو على مستوى الذين في الناموس يهتمون بما يخص الجسد والذات، والذين في المسيح يهتمون بما يخص الروح القدس! **أولئك** يكونون تحت ناموس الخطية والموت التزاماً، وهذا سيقوله ق. بولس بعد ذلك بصراحة: «لأن اهتمام الجسد هو موت وهو عداوة لله». **والآخرون** يكونون تحت ناموس روح الحياة في المسيح للحياة والسلام. وباختصار كل الاختصار: أولئك يعايشون الخطية وهؤلاء يعيشون القداسة في الروح القدس.

ولكن لينتبه القارىء أن القداسة وكل ما هو حسب الروح القدس لا تؤتى ولا تتأتَّى بالاجتهاد البشري مهما كان ولا حتى إلى تقطيع الجسد، ولكنها حصيلة نعمة، هي ثمرة وجود الروح القدس، إنها عمل الرب يسوع السري بحضوره داخل القلب. فالإنسان في المسيح وفي الروح القدس يسلك بالروح لأن الروح يقود ويشير ويدبِّر، وكل ما على الإنسان هو الطاعة، أي طاعة الوصية، والوصية تكمِّل ذاتها: طاعة إيحاء الروح القدس، والروح القدس يعطي القوة على العمل وعلى النصرة. الإنسان يجحد ذاته من أجل المسيح، والمسيح يعطي له ذاته. الإنسان لا يترك للجسد أية حرية زائدة، لكي يعطي الروح القدس قوة وقدرة التحرر من الجسد وحق القيادة والتدبير.

همُّ الإنسان المسيحي الوحيد أن يُرضي الروح القدس، ولا يُحزنه ولا يطفئه، والروح يتولى قيادة الحياة والسلوك. بدون المسيح لا يستطيع إنسان أن يعمل شيئاً، وبدون الروح القدس تكون أعماله كلها باطلة. لأن أعمال الجسد تنتهي عند الجسد، ولكن أعمال الروح تقود الجسد ليحيا حياة الروح أو بالروح.

٨: ٦ **«لأن اهتمامَ الجسدِ هو موتٌ، ولكن اهتمامَ الروح هو حياةٌ وسلامٌ».**

ق. بولس هنا يعرِّي العالم والإنسان من أعظم خداع يلفُّه ويغطيه من كل جانب، لأن إنسان العالم لا يرى أي شيء يستحق الاهتمام والسعي والجري والتعب والاجتهاد إلاَّ الجسد، حياته الخاصة، متعته الخاصة، رأس ماله الذي يوفر له رغد العيش ومتعة الجسد، مركزه الأدبي الذي يعتمد عليه في الترقي والحصول على مركز أقوى وأغنى، قوته الجسدية والشخصية التي تجعله يتبوأ الرئاسة والسيادة. وهكذا **فالجسد عند إنسان العالم** هو محور اهتمام الإنسان الذي يعطيه كل ما يملك من تفكير وتدبير وبذل واهتمام. وهنا يدخل ق. بولس هذه الآية ليقول إن **اهتمام الجسد هو موت.** لأن كل ما يختص بالجسد في العالم ليس هو الأصل الذي عليه خُلِقَ الإنسان. لأن الجسد بكل اهتماماته خداع، صورة كاذبة أو قناع، إذا استطاع أن يخلعه والإنسان حتماً سيخلعه يوماً، فإنه يرى في داخله الله، يرى الروح الخالق، الغاية والنهاية التي من أجلها خُلِقَ، وعلى

صورته خُلِقَ، وما الجسد إلا طبعة مشوهة لأصل جليل القدر والقدرة هو الله بعظمته الفائقة. والإنسان مربوط بالأصل الذي انحدر منه، ومهما بَعُدَ وتباعد فبينهما وعد وعهد. والجسد زائل، فهو الصورة المتغيرة والزائلة للأصل الذي لا يتغير ولا يزول داخله. وكل اهتمام بالمتغير الزائل يزول ويفنى وهذا هو الموت! لذلك يقول ق. بولس بمنتهى الاختصار إن اهتمام الجسد هو موت! ... وواضح أنه إنْ كان الجسد هو الشيء الوحيد فينا الذي سيموت، فكل اهتمام به هو بالنهاية موت.

أما الروح، فهو الروح القدس الإله الأزلي، الذي هو أصل الحياة ومُقيمها، فكل اهتماماته هي للحياة. والروح يهتم بنا لأننا أولاد الله، والحياة التي يسكبها فينا هي لله ومنه. لذلك حينما نسلِّم أنفسنا له، لا تعود هموم الجسد تطغى ولا هموم الحياة، وهذا هو السلام. لأننا لن نذوق السلام، إلا إذا انحصرت اهتماماتنا مع الروح القدس فيما لله بعيداً عن جذب العالم ومشاغبات الجسد. حينئذ يتولى الروح القدس انتشالنا كل مرة من ورطات الجسد والزمن ويلقينا في أحضان السلام الأبوي الذي منحه لنا المسيح بالروح إزاء بغضة العالم وضيقاته. فسلام الروح هو المعادل لضيق الزمان الحاضر وأتعابه والجسد بأمراضه وأوجاعه. فإذا غاب الروح، غاب السلام الذي يفوق العقل. وإذا سقطنا في هموم العالم والجسد، أحاط بنا الحزن وهمُّ الموت.

٨: ٧ **«لأن اهتمامَ الجسدِ هو عداوةٌ لله، إذْ ليسَ هو خاضعاً لناموسِ الله لأنه أيضاً لا يستطيعُ».**

ليس الجسد عدواً لله ولا الله عدواً للجسد، فالله خلقه وبعد أن خلقه وجده حسناً جداً. ولكن العدو الحقيقي لله هو العالم مع رئيسه — لأنه كذَّاب وأبو كل كذَّاب وقتَّال للناس منذ البدء وليس فيه حق (انظر يو٨: ٤٤). فالجسد إذا انحاز للعالم صار عدواً لله بالتبعية، لأنه يصير أداة في يد الشيطان يهين به خليقة الله، ويهين اسمه الذي فيه، ويهين وصايا الله عندما يغويه بالتعدِّي عليها، ويهين محبته عندما يلقي في قلبه الخوف والبغضة لله. وهكذا حينما يغرق الإنسان في اهتمامات الجسد والعالم، يعيش في عداوة ضد الله — دون أن يدري — يفرضها عليه تورطه ضد وصاياه.

وكما شرح ق. بولس في الأصحاح السابع، فإنه عبثاً يستطيع الإنسان وهو تحت سلطان الخطية أن يخضع لناموس الله أو يتوافق بالسلوك مع صلاحه أو يتمشى مع إرادته. فالجسد بدون الروح القدس والمسيح عسير عليه، بل مستحيل، أن يخضع لله ولا لوصاياه.

«لا يستطيع»: οὐδὲ δύναται

كلمة عنيفة يحيطها اليأس، فالجسد لا يخضع لناموس الله، ليس لاختلاف الطبيعة وحسب بل ومن شدة المناقضة، لأن الجسد استقبل الخطية التي احتلت أعضاءه. فأين الخطية أمام قداسة الله، الذي لملائكته ينسب حماقة والسماء غير طاهرة في عينيه؟

لذلك أصبح الميلاد الثاني، أو الخلقة الجديدة الروحية وبالروح للإنسان، ضرورة محتمة ليختفي جسد الخطية من أمام وجه الله، ويتراءى الإنسان الجديد بالروح المخلوق بحسب الله في البر والقداسة (أف٤: ٢٤)، وعلى صورته (كو٣: ١٠).

لهذا علمنا أن كل مَنْ اعتمد للمسيح لَبِس المسيح (غل٣: ٢٧)، لا شكلاً فقط بل وموضوعاً أيضاً، وحتى الروح يسكن في الجسد الجديد ويجعله كهيكل الله (١كو٣: ١٦)، لأنه يتهيأ لاستقبال المسيح والآب: «إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو١٤: ٢٣)
كل هذا يجعلنا ننتبه أن لا يرتد أحد للجسد حتى لا يقع في عداوة لله.

ولكن ليلاحظ القارىء أن عين ق. بولس لا تزال على المقارنة بين إنسان الناموس العائش باهتمام الجسد، وبين الإنسان في المسيح العائش على اهتمام الروح وعنايته.

٨: ٨ **«فالذينَ هُمْ في الجسدِ لا يستطيعونَ أنْ يُرضُوا الله».**

«لا يستطيعون»: οὐ δύνανται

إن كان الجسد لا يستطيع أن يخضع لله فهو حتماً لا يستطيع أن يرضي الله! فالذين يعيشون في الجسد أو بالحري الذين جعلوا حياتهم للجسد يسترضون كل رغباته، فكيف يُرضُون الله؟ وإن كان مجرد الاهتمام بالجسد يُحسب عداوةً لله، فالذين جعلوا حياتهم وقفاً على الجسد كيف يترضون وجه الله؟ إما إرضاء الجسد أو إرضاء الله ولا خلط بينهما قط.

وطبعاً المقصود هنا من قول ق. بولس عن الذين: «هم في الجسد»، الذين هم ليسوا في الروح ولا في المسيح. **لأنه يستحيل أن يكون إنسان في المسيح وفي الروح القدس ويعيش حسب الجسد أي بحسب أهوائه وشهواته، والخضوع المستمرىء لإلحاحات الخطية العاملة في أعضائه دون ندم أو توبة.** فحينما يقول ق. بولس «الذين هم في الجسد» يعني الذين ليسوا في الروح ولا في المسيح. وبدون المسيح كيف نرضي الله؟ وبدون الروح القدس كيف نسترضيه.

علماً بأن كل أعمال الجسد غير المعمولة بالروح وغير المقدمة بالروح لا قيمة لها لدى الله مهما زاد وزنها المادي، ومهما ظهرت في أعين العالم والناس أنها أعمال خيرية عظمى! «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو١٥: ٥)

وليلاحظ القارىء أن ق. بولس إنما يطرح مبدأً لاهوتياً لا يرتبط بزمان ولا بإنسان بل بكل الكيان، فهو كأنما يضع المسيح والروح القدس ومعه إنسان الطاعة والخضوع، في مقابل إله هذا الدهر ومعه العالم والجسد والإنسان الذي فتح ذاته على خداعه واستجاب! إنها ليست معركة الآن؛ بل معركة النهاية حيث يستعلن إنسان الجسد ابن العالم والموت إزاء إنسان المسيح ابن الله والحياة والخلود. لذلك نسمع النبرات القوية الخطيرة الكاسحة: **لا يستطيع، لا يستطيع، اهتمام الجسد للموت، اهتمام الجسد عداوة لله**، ليست هذه لغة مَنْ يوجِّه تعليماً أخلاقياً؛ بل هو يقرر حقائق أزلية ستحكم كل إنسان وكل العالم! فإما الجسد والعالم والخطية، وإما الروح والمسيح والقداسة، ولا اختلاط قط.

هنا يلزمنا جداً أن ننتبه من قول ق. بولس مرة: «**بحسب الجسد**»، ومرة: «**في الجسد**»؛ ومقابلها: «**بحسب الروح**» و: «**في الروح**». إن المسألة مسألة قوانين صلبة قاهرة لها سلطة خفية للإخضاع والسيطرة، لذلك يعبِّر عنها ق. بولس كثيراً بالناموس أي قانون الخطية، وقانون الله، فهي مسألة أحكام وتحكم وارتباط عسير خلخلته!! فلا يَسْتَهِنْ الإنسان أبداً بمداعبة الخطية، فالخطية شرسة، سلاح مرعب قتَّال، والجسد قابل للإلتهاب، والخطية كالنار إذا سكنت فيه لا تتركه إلاَّ هشيماً. ولكن الرعبة لا ننظرها هنا فقط والإنسان أمامنا كومة حطام، مهما ادَّعى القوة والإرادة فهو مسلوب من كل ما يجعله إنساناً أمام الله، ولكن الرعبة الحقيقية في الدهر الآتي حينما يُستعلن الإنسان أنه فعلاً عدوٌّ لله ومَقَرُّه في صفوف الأعداء!! حيث الغضب!!

٩:٨ **«وأمّا أنتم فلستم في الجسدِ بل في الروحِ إنْ كان روحُ الله ساكناً فيكم. ولكن إنْ كان أحدٌ ليس له روحُ المسيحِ فذلكَ ليسَ لَهُ».**

هنا يرسي ق. بولس معنى «في الجسد» و «في الروح»، فحينما يخاطب مسيحيي روما بأنهم ليسوا في الجسد بل في الروح، فهنا يقطع بولس الرسول أن الذين في المسيح هم في الروح كأمر واقعي. وهذا أيضاً حتمي، لأن كل مَنْ آمن واعتمد يحل فيه الروح القدس، لأن الروح القدس هو الذي يهب الحياة الجديدة للمؤمن، أو يلده من جديد: «المولود من الروح هو روح» (يو٣: ٦)، وحتى نطق الإيمان باسم المسيح لا يستطيعه الإنسان المعتمد إلا بالروح لأنه: «ليس أحد يقدر أن

يقول يسوع رب إلا بالروح القدس» (١ كو١٢: ٣). لذلك، فالإنسان المسيحي هو إنسان يعيش ويشهد ويعمل بالروح القدس أو روح الله.

وعليه، فإن كان روح الله ساكناً في إنسان، فهذا الإنسان هو في المسيح. والعكس صحيح أي إن كان في المسيح، فروح الله ساكن فيه.

وبالعودة مرة أخرى للمقابلة بين «في الجسد» و «في الروح»، يتبيَّن لنا هنا في هذه الآية أن ق. بولس ينفي عن مسيحيي روما أن يكونوا عائشين في الجسد أو حسب الجسد، هم مسيحيون لأن الروح القدس فيهم بالضرورة. والسؤال الآن: فماذا لو كان إنسان مسيحي وليس له الروح القدس؟ والجواب يعطيه ق. بولس باختصار: «فذلك ليس له»، بمعنى أن هذا الإنسان لا يكون من الحظيرة أي لا يُحسَبُ للمسيح. وهنا تبرز الأسئلة متلاحقة: وأين معموديته؟ وأين إيمانه واعترافه؟ وإلى أين يسير وعلى مَنْ يُحسَب؟ كل هذه تتجمد في مكانها! فالأعمال اللاهوتية التي عملها المسيح مرة وصارت واقعاً إلهياً أبدياً شاملاً كالفداء والغفران والمصالحة والتبني، هذه الأمور التي صارت كلها من حق كل إنسان يؤمن بالمسيح ويؤمن بها، تحتاج إلى شهادة من الإنسان على مستوى التاريخ والزمن قولاً وعملاً: «الروح القدس يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو١٥: ٢٦و٢٧). وهكذا فالإنسان الذي لا يشهد بالروح للمسيح للفداء الذي أكمله له، هو كمَنْ ينكر المسيح. غياب الروح القدس معناه غياب المسيح. وغياب المسيح حضور للعالم والجسد.

هنا نرجو أن لا يرتبك الإنسان، فالذي يخطىء ويتوب لا يُحسَب قط أنه يعيش في الجسد أو حسب الجسد! لأن الإنسان الذي يعيش في الجسد أو حسب الجسد يخطىء ولا يتوب؛ ولا ينوي أن يتوب بل ولا يشعر بتأنيب الضمير أو يكترث بتحذيرات الله. هو إنسان أعطى نفسه للجسد والعالم واعتبر أنه ليس للمسيح عن قناعة! ذلك قد أعمى الشيطان عينيه وصمَّ أذنيه، هذا هو إنسان الجسد.

أما إنسان المسيح الذي يعيش بالروح القدس، فهو متمسك بالمسيح، ومهما أخطأ وزلَّ فله رجاء حيّ لا ينطفىء يعطيه إياه الروح القدس، بانتظار التوبة التي يجاهد من أجلها ولا يملُّ: «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم ... يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو١: ٨و٩؛ ٢: ١و٢)

المسيح لا يحتقر الضعفاء ولا الخطاة لأنه مات من أجلهم. إنه أشد حناناً وعطفاً على المجرَّبين وضعاف الأجساد والنفوس الذين يخطئون ويطلبون الرحمة. إنه سوف يستعلن لنا يوماً ما كيف أن جماعة المختارين الذين يلتفون حول المسيح و يسيرون معه في مسيرته المنتصرة أينما سار، منهم التائبون والذين أُخذوا وهم وقوف على باب رحمة الله يقرعون، والذين بصراخ شديد ودموع أمضوا الحياة يترجَّون، والذين بللوا الأرض بدموعهم وعفَّروا بالتراب جبينهم يتوسلون، وأُخذت أرواحهم وأيديهم مرفوعة نحو السماء يصلون، وكلهم ظنوا أنهم ما بلغوا وهم بالغون، وما حصَّلوا توبة وهم حاصلون، وما أرضوا الله وهم مرضيون، وما اقتربوا من الطهارة وهم أطهار قديسون!!

١٠:٨ **«وإنْ كانَ المسيحُ فيكُم فالجسدُ ميتٌ بسببِ الخطيةِ، وأما الروحُ فحياةٌ بسببِ البرِّ».**

[عند إصعاد الذبيحة على المذبح تضمحل الخطية من أعضائنا بنعمتك.]
(قسمة «يا حمل الله» ـ الخولاجي المقدس).

وضع جديد وبديع للغاية، هنا لسنا نحن في المسيح؛ بل المسيح فينا، هنا ينخفض افتخار الإنسان فهو ليس يملك الروح ولا المسيح. المسيح هو الذي امتلكه، فلم يَعُد مجالٌ للذات وملكيتها. الذات هنا أُفرغت من ذاتها ليملأها المسيح: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). هذا هو اقتحام الله للإنسان ليملأه ليس بنعمته وبره فقط؛ بل وبنفسه أيضاً. هذا هو عجب الله؛ بل هو سر حبه، لم يطق، ولم يصبر علينا، حتى نتأهل لحضوره، ولكنه عجَّل بسخاء رحمته واقتحم ضعفنا حتى لا نعود نبكي ونشتكي أن الخطية اقتحمتنا وأننا ظُلمنا تحت عبوديتها. وهوذا السيد القدوس، مجاناً يقتحمنا لينزع منا كل ضعف ويطارد كل ميل خاطىء. الرب يملأ الفكر والقلب والمشاعر والأحاسيس، وتحت رجليه تهدأ الغرائز كالوحوش يستأنسها كما في آدم الأول. الكل يخضع له بانسجام، أليس هو الخالق والجسد له بالأصل مع الروح وكل ما في باطني؟ أين الخطية التي فيَّ؟ ذابت بنعمته، الجسد اتقد كما بنار لما أحس بحضوره. احترقت الخطية في الأعضاء وحتى آثارها انمحت. الخطية صارت غريبة على الجسد بعد أن كان لها مأوًى ومرقداً، الخطية تنادي والجسد لا يجيب، الخطية تلاطم والأعضاء لا تستجيب. الخطية تستعرض محاسنها والعين تزدري وتحتقر! مبصرون مباهج الدنيا ولا يبصرون، وسامعون لمديح العالم ولا يسمعون، فالمسيح حل في القلب فكفَّ الجسد عن خدمة الموت!!

«أما الروح فحياة بسبب البر»:

الروح هنا هو الإنسان الجديد القائم مع المسيح من الأموات، مولود الله الجديد إنسان الحياة الأبدية. فإن كان الرب يسوع بعد القيامة سُمِّي **«بالرب من السماء»** (١كو١٥: ٤٧)، و«آدم **الأخير»** (١كو١٥: ٤٥)، و«**روحاً محيياً**» (١كو١٥: ٤٥)؛ كذلك الذين له أقامهم معه ليعيشوا لله ولا يملك عليهم الموت بعد. فعندما مات جسد الخطية مع المسيح على الصليب: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية» (رو٦: ٦). حينئذ قام الميت مع المسيح جديداً فصار هو إنسان الروح الجديد المولود من الروح: «المولود من الروح **هو روح**» (يو٣: ٦)، لأن بقيامة المسيح من الأموات ولدنا الله ثانيةً لنفسه: «حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانيةً لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات.» (١بط١: ٣)

المسيح قام بجسد روحاني كبكر من بين الأموات، فتعيَّن ابنَ الله، وفيه نحن أخذنا ميلادنا الجديد كإخوة له، كنيسة أبكار، أعضاءً فيه، وتعيَّنَّا معه أولاداً بالتبني. فالقيامة من الأموات حدَّدت وكشفت وعيَّنت المسيح أنه ابن الله، وفي جسده الجديد الروحاني المقام، جسد ابن الله الذي هو جسد البشرية وجسد كل بشر ـ إنساننا الباطن ـ ذُقْنا القيامة من الأموات وأخذنا روح الحياة الجديدة. لقد وُلدنا ثانيةً بقيامة المسيح من الأموات وصرنا خليقة جديدة فيه وله، لا تنفصل عنه. فروح الذي أقام المسيح أي روح القيامة هو فينا وهو الذي يوحِّدنا به. لقد قمنا معه لما قام، فلن تنفصل حياتنا عن حياته. فبعد أن قام لن يموت، وكذلك لن يسود الموت علينا، لأننا نحيا بحياته: «المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠)، «لأني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩) قالها قبل أن يموت، فتمت لنا بعد أن قام. «لأننا إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو٦: ٥)، فنحن نحيا بالروح في الإنسان الباطن قيامة المسيح.

هذه الحياة الجديدة، هذه الخلقة الجديدة، هذا التبني، هو إنساننا الجديد بالروح في الباطن. أما جسد الخطية الذي تم فيه حكم الموت على الصليب مع المسيح الذي نعيش به الآن في هذا الزمان بانتظار الموت، فنحن فيه نئن؛ وفي رجاء، ومن وسط الشقاء ننتظر له الفداء ليكمل فيه التبني في يوم الفداء. فجسد الخطية فينا ميت ومحسوب أنه ميت بسبب الخطية التي أماتها فيه المسيح، أما الروح فحياة في قيامة الحياة ببر الله التي نعيشها الآن بملء الرجاء!!

وإنْ كان الجسد قد صار ميتاً للخطية لأن المسيح أماتها فيه، فالإنسان الجديد بالروح المولود من الروح بقيامة المسيح من الأموات هو حي بسبب برِّ الله الذي اندفق في أعماق كياننا الجديد، بعد أن برَّأنا المسيح على الصليب وهيَّأنا لقبول بر الله ونعمته وروحه القدوس!

وهنا يضع ق. بولس المقارنة واضحة مختصرة: الجسد والخطية والموت والزمان، في مقابل الروح والبر والحياة والخلود. والأربعة العناصر الأولى لا يمكن جمعها بأي عنصر من الأربعة العناصر الثانية. الأربعة الأُولى من خواص إنسان الخطية والعالم، والأربعة الثانية من خواص إنسان المسيح والملكوت.

على القارىء أن يذكر دائماً أن هدف بولس الرسول هو السعي الدؤوب لاستعلان بر الله: كيف حققه الله للإنسان بواسطة المسيح، والصعوبات الكبيرة التي اكتسحها الله من طريق الإنسان ليمنحه برَّه الخاص ليحيا به أمامه، ولكن عن قضاء عدل أولاً ثم رحمة، حتى لا يجمع الله برَّه على خطية بأي حال من الأحوال؛ كما طرد الله آدم من الفردوس لئلا يمد يده ويأكل من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد بعد أن أخطأ فتكون الطامة الكبرى أن يحيا الإنسان إلى الأبد في خطيته، فلهذا طرده بعيداً إلى أن يكرهها فيرفعها عنه.

هكذا بعد أن حقق الله للإنسان على الأرض شجرة الحياة نفسها، سمح له أن يأكل منها بعد أن غسله وقدسه وبرره بدم ابنه وبروحه الإلهي، فأكل الإنسان وانفتحت عيناه على الله بالحق ليحيا إلى الأبد في بر الله ومعه من جديد. ولكن لا يزال الحذر قائماً، حتى لا يجمع الإنسان بين الأكل من شجرة الحياة (المسيح)، وبين الخطية التي هي ثمرة العصيان.

١١:٨ **«وإن كان روحُ الذي أقامَ يسوعَ من الأمواتِ ساكناً فيكم، فالذي أقامَ المسيحَ من الأمواتِ سيُحْيي أجسادَكم المائتةَ أيضاً بروحهِ الساكنِ فيكم».**

تضاربت أقوال الشراح فيما يخص قيامتنا من الأموات بروح الله، هل هي قيامة من موت الخطية أو من القبور؟ ولكن لماذا التضارب والصوت الذي يُقيم من هذا هو هو الذي سيُقيم من ذاك؟ والمُقام واحد إن قام الآن فسيقوم في الآخرة، وإن لم يقُم الآن فلن يقوم إلى الأبد. لماذا التضارب والحقيقة لا يختلف فيها اثنان قط؟ والحقيقة أن الروح الساكن فينا هو روح القيامة، فنحن الآن قائمون لحساب الآخرة والأبدية والخلود نعيشها بملء فرحها بالرجاء و بالإيمان. إن الروح الساكن فينا هو عربون ميراثنا ليوم الفداء الكلي، نبدأه هنا لنكمله حتماً هناك. والذي لا يبدأه هنا من أين يحصل عليه هناك والدم مسفوك أصلاً على الأرض لنُمسح به هنا لكي نظهر فيه هناك أطهاراً برسم القدوس الذي اشترانا؟

+ «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة **"وهي الآن"**، **حين يسمع الأموات (بالذنوب)**

صوت ابن الله والسامعون يحيون.» (يو٥: ٢٥)

+ «تأتي ساعة فيها **يسمع جميع الذين في القبور صوته** فيخرج الذين فعلوا الصالحات... ويخرج الذين فعلوا السيئات.» (يو٥: ٢٨و٢٩)

فالصوت هو الصوت والقيامة هي القيامة، هذه الآن بالروح، وتلك في النهاية بالجسد الروحاني.

الجديد على مسامعنا الآن أن روح الله الساكن فينا هو روح القيامة، هو الروح الذي أقام يسوع المسيح من الأموات، فنحن به قائمون من موت، وهو فينا يسكب الحياة الجديدة حياة المسيح التي يحياها لله، ويختم على موت الجسد. فبقدر ما نموت نحيا، ونحيا بالروح على قدر ما نموت بالجسد إلى أن نخلعه كليةً لنستلمه جديداً بالروح. وقوة الروح بقدر ما نميت بها أعضاءنا على الأرض نستمد منها حياة لنا وسيرة في السموات. والروح القدس يبوِّق في آذاننا كل صباح: "ها أنا قد وضعت أمامك الموت والحياة، فاخترْ الحياة لتحيا" (أنظر تث ٣٠: ١٩)، وأنا معك.

والموت الذي كان لنا مصدر خوف ورعبة نستعيره — بالروح الساكن فينا، برغبة منا وإرادة — لنُميت به حركات الجسد، ونصدَّ جحافل الظلمة والخطية. كان الموت وحده يعيث في أجسادنا الفساد، والآن جاء الروح القدس روح القيامة ليحوِّل الموت فينا إلى حياة، ويبثَّ في الجسد قوة القيامة يوماً بعد يوم. وحتى بعد أن ينطرح الجسد في القبر، لا يكون للموت فيه مكان، فيصير باستعداد التغيير في اليوم الأخير لقبول الجسد الجديد بشبه جسد مجد المسيح. فنحن نحيا الآن بالروح مع المسيح عربون حياة الأبد، ونعيش الآن بالروح قيامتنا مع المسيح كعربون القيامة العتيدة. نعيشها من واقع إيماننا و بالرجاء الممتد باستعداد وانتظار شركة المجد.

«بروحه الساكن فيكم»:

ما أعجب هذا القول! فإن كان روح الله ساكناً فينا فنحن مع الله بصِلَةٍ، وما أقواها وما أجلَّها وأعزَّها صلة فهو "روحه"!! نحن مع الله نعيش؛ بل نحن في الله نعيش إن كان روحه يسكن فينا، فنحن نحيا مع الله فعلاً بل نحيا بالله أيضاً. إذاً حياتنا ليست لنا بل للذي مات من أجلنا وقام، بل لسنا نحن نحيا بعد بل الله والمسيح يحيا فينا. لقد صدق ق. بولس حينما قال: «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو٣: ١٦)، بل ليتها تُقرأ إنكم هيكل الله لأن روح الله ساكن فيكم. فإن كنا هيكله، فنحن قيام فيه عابدين ولسنا بعد عنه غرباء ونُزُلاً بل رعيةٌ بالفعل مع القديسين وأهل بيت الله (أف ٢: ١٩)!

إذاً أيضاً لا نحسب أنفسنا أولاداً لله اختطافاً؛ بل الروح نفسه يشهد لأرواحنا ويوثِّق ويسلمنا وثيقة التبنّي وخَتْم الميراث! إذاً أيضاً ليس افتخارنا بالله ظنوناً؛ بل من واقع وجوده ومن إحساس حضرته نسبِّح ونمجِّد ونفتخر ونعظِّم! وإن كان روح الله ساكناً فينا فكيف لا نكون مدعوِّين للحياة الأبدية وفي نور القيامة نعيش؛ بل كيف نبقى في الموت أو كيف لا يقوم الجسد؟

[٨: ١٢—١٧] الارتقاء بالإنسان للحياة بالروح هو الدخول في بنوية الله!

٨: ١٢ **«فإذاً أيها الإخوةُ نحن مديونونَ ليس للجسدِ لنعيشَ حسبَ الجسدِ».**

نعم هذا حق فإن كنا قد بلغنا هذا المستوى أن يكون روح الله نفسه ساكناً فينا كمصدر حياة جديدة أبدية، كينبوع قوة تجديد وعطاء وتعضيد، كشهادة ناطقة دائمة في أرواحنا لأرواحنا أننا أولاد الله وأبناءٌ للميراث السماوي، كأحياء من الأموات وحياتنا قائمة في المسيح لحساب الله، كقوة مذَّخرة نواجه بها كل قوات الظلمة وأعمال الخطية، فلماذا نعيش وكأننا مديونون للجسد بشيء؟ وكأن الجسد صاحب حقٍّ علينا في أي شيء؟ إن كان قد أُعطي لنا بتوثيق الروح القدس أن يكون لنا نصيب أبناء الله في المجد، فماذا بقي للجسد حتى يستخدمنا لمطالبه ومطالبه كلها من الأرض وللأرض ومآلها للزوال؟ ماذا أعطانا الجسد أو ماذا سيعطينا حتى نكافئه بالاهتمام الزائد هكذا ونترك مواريثنا الباقية لنا في السموات لنسترضيه من أجل أمورٍ سيأكلها الزمن قبل أن يمحوها الفناء!؟

والآن وبعد أن وهب الله لنا روحه ليسكن فينا ويدشِّن هياكلنا الداخلية لحسابه، كيف نربط مستقبلنا على ذمة الجسد، والجسد مستقبله هو العجز والمرض والكلل والشلل وفقدان الذاكرة والوعي ثم تراب القبر؟

أليست تكون هي بعينها مأساة جديدة للإنسان أن يترك غناه بالله في الداخل ويخرج ليُفني بقية عمره في خدمة جسدٍ ليس من ورائه ولا أمامه إلا الموت؟

٨: ١٣ **«لأنه إنْ عشتُم حَسَبَ الجسدِ فستَموتُونَ. ولكن إنْ كنتم بالروح تُميتونَ أعمالَ الجسدِ فستَحيَوْنَ».**

«حسب الجسد» هنا لا تشمل الوضع الأخلاقي بل الوضع اللاهوتي. فالذي يقصده ق. بولس هنا هو ليس حضور الجسد كغاية ونهاية لسعي الإنسان اليومي وعلى مدى عمره وحسب، ولكن الذي يقصده هو غياب المسيح وحضور الخطية! فالجسد كما عوَّدنا بولس الرسول هو الضد للروح، هو المقاوم والعدو لله.

إذاً المسألة ليست في الأعمال الجسدية الطبيعية اللازمة للحياة ولقمة العيش؛ بل الأعمال الشيطانية التي من وحي الخطية لإفساد الحياة وجلب اللعنة والموت من جديد، والعودة إلى إنسان آدم. والموت الذي يقصده ق. بولس هنا هو الموت الأبدي والأدبي بكل معناه وليس الجسدي بطبيعة الحال: «فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن، لأن نهاية تلك الأمور هي الموت ... أجرة الخطية هي موت!» (رو٦: ٢١و٢٣)

«ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون»:

هنا يفتح ق. بولس ملف النسك الروحي المسيحي على أعلى وأجمل مستواه وأوسع أبوابه وأصح قواعده. فالمسيحي الحامل للروح القدس مدعوٌّ للنسك الجسدي، ولكن ليس من مدخل جسدي ولا اعتماداً على الجسد، لأنه يكون منطقاً مقلوباً أن نُخْضِعَ الجسد بالجسديات. فرق كبير وخطير بين أن نبدأ نقمع الجسد بالعزيمة والإرادة الجسدية ونضبط شهواته بالصوم والسهر وكل الوسائل المعروفة، وبين أن نبدأ بالروح القدس واعتماداً عليه ودعوته للقيادة بالصلاة والاتضاع وتقديم واجبات المحبة والعبادة بالروح لله فينفتح لنا باب الصوم والنسك والبذل من مدخل روحي بقيادة الروح. **هذه هي إماتة الجسد بالروح.**

فالإنسان المسيحي يستحيل أن يقوى على صوم يكون ذا فاعلية ويكون مقبولاً لدى الله، إن لم يُشبِع الروح أولاً من الوجود في حضرة الله ويرهن الجسد أولاً وقوفاً في الصلاة حتى يقدر أن يمسكه عن الأكل. فالشبع الروحي وحده هو الذي يولِّد القدرة على الجوع الجسدي ليكون كذبيحة. **هذه هي إماتة الجسد بالروح.**

والإنسان المسيحي لا يستطيع أن يُخضع الجسد بالتواضع والطاعة والانسحاق المقبول لدى الله من مدخل إرادي أو بالتلقين أو التعليم، إذ يلزم أولاً التسليم الكلي للروح القدس، حيث يتحتَّم أولاً إخضاع الذات لله بالروح حتى يملك الروح في الإنسان عوض الذات ويملي الروح إرادته على

الجسد من مدخل الله السري، وحينئذ تكون الاستجابة حارة قوية سريعة وكاملة وأكثر من طاقة الجسد!! **هذه هي إماتة الجسد بالروح!!**

والإنسان المسيحي لا يستطيع أن يحب قريبه وبالتالي يستحيل أن يقوى على حب عدوِّه باصطناع الإرادة والتصميم والعزم الجسدي، فالفشل أقرب إليه من النجاح مائة مرة، إذ يلزمه أولاً أن يحب الله من كل القلب والفكر والنفس والقدرة، حتى لا يتبقى من الحب شيءٌ للذات، تطلبه لتتلهى به وتتعظم. وفي الحال يسري القانون: «**الذي يحبني يحبه أبي وأنا أُحبُّه**» (يو١٤: ٢١). وهنا لا يعود المسيحي يحب الآخرين من حبه ولا من ذاته، بل من حب الله المتدفق فيه مجاناً يوزِّع ويبذِّر على الذي يستحق الحب والذي لا يستحق، للصديق كما العدو، فهو يأخذ مما ليس له ويبدِّد، وكلما بدَّد يزداد له العطاء ويزداد حب الله له فيزداد حبه لله وكل الناس وأكثرهم الأعداء. **هذه هي إماتة الجسد بالروح.**

المسيحي صعب عليه البذل من فضلاته، ويستحيل أن يعطي من أعوازه إذا كان من الجسد يأخذ ويعطي، فالجسد أحقُّ دائماً من الآخرين. إذاً يلزمه أولاً أن يسلِّم الجسد والحياة بكل ما لها وعليها لله بمستقبلها وآمالها وأمانيها. حينئذ يملك الروح القدس على الحياة برمَّتها ويفكها من عقال الأرض ورُبُط العالم والذات، ويعود الروح القدس ويسلِّم الحياة والجسد وكل ما له وعليه للإنسان كوديعة الله، يتصرَّف فيها ويصرف منها. وودائع الله تزداد بالعطاء وتتكاثر بالبذل وتحيا بالإماتة. من هنا ينصح ق. بولس كخبير: «**المعطي فبسخاء**» (رو١٢: ٨)، لأنه كلما بدَّد كلما ازداد رأس المال. وينصح المسيح: «**مَنْ سألك فأعطِه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردَّه**» (مت٥: ٤٢)، لأن ماله هو مال الله وما لله لن يفرغ ولو فرغت البحار والأنهار!

والعبرة ليست بالكلام، فكل مَنْ ذاق أدرك الحقيقة وهتف بالمجد وصفَّق بيديه!! **هذه هي إماتة الجسد بالروح.**

«فستحيون»:

هذه حتمية إلهية وهذا وعد مغلَّظ، «لأن مَنْ يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً ومَنْ يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية.» (غل٦: ٨)

ولكن الوعد بالحياة هنا ليس مستقبلاً كما جاء الفعل في المستقبل بل هو تركيز للتأكيد، بمعنى مهما أمتُّم من الجسد فستحيون، نعم ستحيون! ... فالحياة هنا مستمدَّة ليس من إماتة الجسد بل من الروح الذي يخضع له الجسد، من بر الله الذي انسكب بالإيمان على الذين أحبوا الله.

فالإماتة هنا هي على رجاء الحياة أو القيامة، هي برهان قوة الله التي حلَّت بالإيمان.

فالإنسان المسيحي الذي مات مع المسيح وقام ـ أي نال البر بالفداء ـ صار الموت عنده صناعةً وتجارةً يدخل فيه بإرادته ـ وبروحه ـ ضامناً القيامة والحياة، لأن في كل إماتة يموتها توجد قيامة؛ لأن المسيحي الذي مات مع المسيح مرة، يموت كل يوم، ولكن لا يسود عليه الموت بل من الموت يستخلص حياة.

والحياة التي نحياها **الآن** هي بعينها الحياة الأبدية الأخروية ولكن بالإيمان في عربون! والحياة الأبدية لا يسود عليها الموت بل إذا مسَّها الموت يتحوَّل إلى حياة.

فإن كان الروح القدس الذي أقام المسيح من الأموات ساكناً فينا، فمرحباً بكل إماتة للجسد حتى الموت. فالحياة مضمونةٌ من عمق الموت الآن وفي المستقبل أيضاً!!

عزيزي القارىء، ليست هذه أفكارنا ولا حتى اختباراتنا الخاصة؛ بل هي اختبارات الآباء القديسين الذين أحيوا الإنجيل بحياتهم ومارسوا أقوال الله الصادقة وسلموها لنا فاستلمنا وذُقنا وتحققنا من صدقهم وصدق الإنجيل.

وقد سبق أن أوردنا في شرح الآية رو١: ١٧ (أنظر صفحة ١٥٥) أقوال القديسَيْن أنبا أنطونيوس (المعلم الروحي للقديس أثناسيوس الرسولي) وأنبا مقار، التي فيها يبيِّنان أن النسك المعمول بالروح القدس يصير «أحلى من العسل ومن شهد العسل».

١٤:٨ «**لأنَّ كلَّ الذين ينقادونَ بروح الله فأولئكَ هم أبناءُ الله**».

حينما نسلم الحياة للروح القدس نسلمها له مع كل ثقتنا بإيمان أنه قادر أن يكمل فينا كل وعد الله. لأنه من يستطيع أن يعمل أعمال الله ويتمم وصاياه إلاَّ الله؟ إن تسليم الحياة للروح القدس هو جوهر الإيمان المسيحي. لأن مَنْ ذا الذي يحرر الجسد من قيود الخطية وآثارها إلاَّ الروح القدس؟ فإن كنا قد أعطينا أنفسنا للروح القدس ليحرِّرنا، فالذي يحرِّر هو الذي بعد ذلك يدبِّر.

إن أعظم عقدة انعقدت علينا جبلتنا بعد السقوط هي الانقسام بين معرفة الخير والشر، والوحيد الذي يهبنا التمييز بين الخير والشر هو الروح القدس لأنه «**روح الحق**» الذي أُعطي أن «**يرشدنا إلى جميع الحق**» (يو١٦: ١٣). هنا معرفتنا للحق بالروح تقدمنا خطوة فوق التمييز بين الخير

والشر، حيث الحق هو الله وكل ما يعمله ويريده الله فينا ولنا. إذاً، بمعرفة الحق بالروح القدس صرنا منفتحين على الله، وهو الحق!

فإن سلّمنا بإرادتنا الحرة الواعية كل الحياة والجسد للروح القدس ليدبِّر حياتنا ويقودها، فنحن منقادون بروح الله عن إرادة منّا واعية ومسرة ورضى وقبول، والروح يقودنا إلى الحق ومعرفة الحق.

ولكن علينا أن ندرك أن قيادة الروح القدس لحياة الإنسان ليست دائماً في طريق سلامي مفروش بالزهور، لأن الحرب والخصومة قائمة وأبدية بين الروح القدس والجسد، لأن هذه الآية (١٤) هي امتداد للآية السالفة: «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد» ... فالحرب لن تكف ولن تهدأ بين الاثنين: «وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهي ضد الروح (القدس) والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقدتُم بالروح فلستم تحت الناموس (الخطية).» (غل ٥: ١٦—١٨)

إذاً حينما ننقاد للروح أو حينما يقودنا الروح، فالأمر يحتاج منا إلى وقفة شريفة وأمينة وشجاعة بقوة راسخة لمناصرة الروح القدس ضد الجسد الذي هو جسدنا — ضد الذات. هنا ترتفع الإماتة إلى درجة العداوة للجسد والذات سافرة وعنيدة، مهما كلفتنا من ضيق واختناق، فالمعركة معركة موت حقيقي للجسد لإخماد سلطته مع سطوة الذات.

هنا نعود إلى الآية السالفة، لأن مضمونها يفيد أننا نحن الذين نميت الجسد بمساعدة الروح القدس — «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد» — إذاً فنحن أصحاب المعركة. صحيح أن الروح يحارب عنا، ولكن الحرب حربنا والعدو فينا بل هو الذات المختبئة وراء الجسد. فإن خضعنا لعمل الروح القدس قويت قيادته وبطل الجسد وتهيأنا لبر الله ونلنا التبني.

١٥:٨ **«إذ لم تأخذوا روحَ العبوديَّةِ أيضاً للخوف بل أخذتُم روحَ التبنِّي الذي به نصرخُ يا أبَا الآبُ».**

هنا قمة هذا الأصحاح وغاية الرسالة كلها، بل ونهاية عمل الله في المسيح يسوع لتوصيل بره للإنسان. هنا بلغ الإنسان آخر ما أراده له الله، فبعد عبودية وغربة وإذلال وسخرة، نرجع إلى حضن الله كبنين. وتصوَّر ق. بولس كأن الله يستقبل أبناءه الخارجين من المعمودية بالقبلة والحلّة والخاتم في اليد!! «ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح.» (٢كو٥: ١٨)

حالما يعتمد الإنسان ينال عطية حلول روح الله فيخرج حاملاً شهادة ناطقة بتَنَسُّبه الجديد لله كابن، بإعلان الروح القدس الذي يهتف في أفواهنا مهلِّلاً بصراخ داعياً الله الآب يا أبا. لأننا نكون قد وُلِدْنا لله الحي وأخذنا روح التبني لنعيش به.

ثم يعود ق. بولس لينظر إلى ماضي الإنسان وهو في مأساة العبودية والخوف كل أيام حياته التي عاشها منذ أن سقط آدم واختبأ من وجه الله: «سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت» (تك٣: ١٠). وهكذا ظل الإنسان يسلِّم من جيل إلى جيل ذات الخشية والخوف وذات روح العبودية للخطية التي عرَّته وفضحته وجعلته يختبىء من وجه الله.

ق. بولس يقول لنا افرحوا وتهللوا واعلموا من أي روح صرتم الآن وبأي روح تعيشون، فروح الخوف والرعدة من الله ولّى زمانه والذي فيكم الآن هو روح الله للتبني، الذي يربطكم به كأبناء.

أنتم تعيشون وتتنفسون بروح البنوة. القديس بولس يقنعنا أن الروح الذي يقودنا، هو هو الروح الذي ولدنا في المعمودية لله، وهو هو روح التبني أي روح الابن الذي ضمَّنا لحسابه لكي نشترك مع المسيح في مناداته الله يا أبا!! القديس بولس يلحُّ حتى يوقظ وعينا، كون زمن العبودية والخوف من الخطية والموت قد عبر. نحن الآن أبناء، أبناء الله الحي.

ق. بولس هنا ليس بصدد أخلاق وسلوك، فهو مشغول بوضعنا من برّ الله كأبناء مدللين بعد أن كنا عبيداً مرفوضين نقضي أيامنا بالخوف، والموت يلاحقنا والخطية تستعبدنا.

١٦:٨ **«الرُّوحُ نفسُهُ أيضاً يشهدُ لأرواحِنا أننا أولادُ الله».**

ليس ق. بولس هنا الذي يلحُّ علينا أن ندرك صلتنا الجديدة بالله في المسيح يسوع وما عمله على الصليب وبالقيامة وبعد الإيمان والمعمودية، بل هو الروح القدس الذي يشهد أننا أبناء. فالله تبنّانا لنفسه، المسيح نفسه سبق وألحَّ على تلاميذه أن يدركوا هذا: «الآب نفسه يحبكم» (يو١٦: ٢٧). القديس بولس ينقل لنا ما يسمعه هو من قول الروح لكي نسمع ونقتنع نحن أيضاً ونصدِّق.

نحن لم نَصِرْ أولاداً لله كأنه بلا ثمن. ابن الله اشترانا وفك أسْرَنا ودفع الثمن. فشهادة الروح هي شهادة توثيق لما عمله المسيح وأكمله. فالمسيح استطاع أن يسلِّمنا بنوّته بعمليات سرية تفوق العقل: إن بتجسده، وإن بدمه الذي سقانا إياه بالسر، وإن في المعمودية التي ولدنا فيها بالكلمة.

وإن بالروح القدس الذي سكبه علينا من عند الآب حاملاً لنا روح البنوة من الآب، وإن بالإيمان: «لأنكم جميعاً أبناء الله الحي بالإيمان بالمسيح يسوع» (غل٣: ٢٦). لذلك يقول بولس الرسول مؤمِّناً: «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب» (غل٤: ٦). قول ق. بولس أن الروح يشهد لأرواحنا أو مع أرواحنا أننا أولاد الله (كلمة «لأرواحنا» تحتمل معنى «مع أرواحنا» باليونانية)، هو في الحقيقة شهادة تأتينا من واقع عبادةٍ وصلاةٍ بالروح القدس حيث يرفع أرواحنا إلى الله فنحسه بالحق.

«الروح يشهد»:

فعل قضائي وعمل شرعي فيه روح المهابة والتهليل معاً وكأن الروح القدس يرفع أرواحنا لندخل معه أمام عرش الله بشهادة مزدوجة: الروح يشهد ونحن نشهد بالروح أن الله صار أبانا!! وبالتالي وبالضرورة أننا صرنا أبناء شرعيين حسب قضاء ورحمة الله بعد العفو الكامل عن كل الخطايا السالفة الذي أجراه المسيح بدم صليبه!! ثم بهذه الشهادة الرسمية من الروح القدس يكون قد تسجَّل في قضاء مراحم الله بحسب قانون الله للتبني أننا أبناء الله الحي.

هكذا يُقنعنا ق. بولس بوحي من الله والروح القدس أن نثق ونصدِّق أننا صرنا بحق السماء وسجلاتها أولاد الله الحي ولنا نصيب في الملكوت محفوظ.

أيها القارىء العزيز، إني أضيف صوتي الضعيف مع صوت ق. بولس بل ومع صوت الوحي أن ترفع رأسك، فأنت بالحق ابن الله الحي ولك مع الله قصةُ حبٍّ وميراثٌ مُعَدٌّ.

١٧:٨ **«فإن كُنا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثةُ الله، ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألَّمُ معه لكي نتمجَّد أيضاً معه!».**

صحيح أننا تسجَّلنا في سجلات الكنيسة أننا أبناء الله وقديسون. هذه شهادة الكنيسة، وها قد أعطانا ق. بولس توكيداً أن ذات الأمر تسجَّل في الإحصاءات السماوية بشهادة الروح القدس الأقنوم الثالث.

ولكن ق. بولس يسعى دائماً ليغطي كل عمل بر الله الذي أُظهر وأُكمل في شخص يسوع المسيح. وبر الله دائماً أكثر مما نظن أو نفتكر لأنه يقول ما أبعد أفكاري عن أفكاركم: «لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم.» (إش٥٥: ٩)

وهوذا الوحي المقدس يعلن على فم ق. بولس أن الله لم يكتفِ بأن يرفعنا إلى مستوى البنين بالنسبة له؛ بل أعطى أن يكون للبنين الذين تبنَّاهم حق الإرث السماوي في ملكوته الأبدي، أمور لم تخطر على قلب بشر ما أعده الله لمحبيه: ميراث في الحب: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو١٧: ٢٦)، وميراث في المجد: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ...» (يو١٧: ٢٢)، «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو١٧: ٢٤)

هذا هو الميراث «الذي لا يفنى ولا يتدنس المحفوظ لنا في السموات» بحسب ق. بطرس (١بط١: ٤)، والذي يُصِرُّ ق. بولس أن الروح القدس نفسه هو محسوب أنه بمثابة ختم هذا العطاء وأنه، أي الروح القدس، هو بذاته عربون هذا العطاء نأخذه ونعيشه الآن إلى أن يكمل لنا بتمام الفداء في ذلك اليوم: «إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو (الآن) عربون ميراثنا – لمدح مجده – إلى « εἰς » أن يكمل فداء (الشعب)[4] المُقتنى» (أف١: ١٣و١٤ ترجمة حرفية عن اليونانية).

هكذا يهتم ق. بولس أن يوضح مدى امتداد عمل بر الله في حياتنا الآن وعلى طول المدى إلى أن يكمل الفداء الذي بدأه المسيح على الصليب، والذي به أُظهر برُّ الله مشهوداً له من الناموس والأنبياء، وذلك بتعريفنا بحدود ميراثنا السماوي الذي لا يُحدُّ، والذي يشهد له الروح القدس الذي سكبه علينا وفينا لتُحفظ في برِّه إلى يوم المنتهى.

«ورثة الله ووارثون مع المسيح»:

كان فخر إسرائيل ميراث أرض فلسطين، ولم يدرِ إسرائيل أن الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ليست هي أرض شقاء الإنسان بل الأرض الجديدة بسمائها الجديدة، أرض الخلود للإنسان فيما ليس هو أرضاً بالمرة، بل ملكوت الله الذي لا يُقاس ولا يُحد. ميراث الله لا يقاس بالقصبة ولا بالطول والعرض ولكنه ميراث قداسة وبرٍّ، ميراث حب ومجد، ميراث تسبيح يدوم إلى الأبد، حين

---

(٤) هنا المضمر هو «الشعب المقتنى» بمعنى «الكنيسة»:
«كنيسة الله التي **اقتناها** بدمه.» (أع٢٠: ٢٨)
«شعب **اقتناء**.» (١بط٢: ٩)
«الشعب الذي **اقتنيته**.» (خر١٥: ١٦)
«جماعتك التي **اقتنيتها** منذ القدم.» (مز٧٤: ٢)

تُمسح الدموع ويبطل الأنين ويكف التنهد الذي أرهق روح الإنسان ليحل محله تهليل مجد يدوم. وهذا النور الفائق نور الله غير المُقترَب إليه نعيشه ونشترك فيه مع نور قديسيه. القديس بولس يدعو لنا دعاءً أن ينفتح وعينا الروحي لندرك هذا: «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين.» (أف ١: ١٨)

ق. بولس يريد من كل قلبه أن ينقلنا من صورة بؤس الإنسان الذي تغرَّب فيها عن الله بسبب عصيانه وذاق الرفض والصدود من الله، مع حرمان من السلام والراحة، مع الخوف والقلق اللذين كانا يدركانه أينما ذهب وحيثما حل، إلى صورة غنى مجد بر الله الذي دعانا إليها هنا وهناك في شخص ابنه يسوع المسيح: «إذاً لستَ بعد عبداً، بل ابناً وإن كنتَ ابناً فوارث لله بالمسيح.» (غل ٤: ٧)

«ورثة الله ووارثون مع المسيح»: κληρονόμοι

كلمة قانونية، تحمل معها وعداً مسجلاً ليس بسجلات أرضية معقدة، بل في سجلات الله المحفوظة «بدار السماء»، ومختومة بأختام صدق الله، السماء تزول والأرض تزول وما خرج من فم الله يبقى ويدوم. إن وعود الملوك على الأرض تقوى وتتعظم بمقدار عظم ملوكيتهم، وهذه هي ملكوت الله مملكة السماء، وأية عظمة تقاس بعظمة مجد الله. ووعود الله لا تسقط وكلها بلا ندامة! وحينما نزداد قرباً من مفهوم ملكوت الله، ندرك أننا صرنا بواسطة المسيح ومعه مالكين أو شركاءَ مُلْكٍ أو ملوكاً وكهنة لله. هذه كلها تفصح عن دخولنا دائرة تدبير الله ونواميسه، لا كمحكومين بعد، بل كحكام: «ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ... ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة ...» (١كو ٦: ٢و٣)

«ورثة لله وورثة مع» تأتي باليونانية بالمعنى الحرفي من جهة ورثة لله ومن جهة أخرى ورثة مع المسيح. وتكرار ورثة ثلاث مرات في آية واحدة هو تأكيد وضغط على الكلمة ليبرز معناها ويرسخ؛ ولكن ليس هيناً ولا هو بالأمر البسيط الذي نعبر عليه أن يكرر ق. بولس: مرة أننا ورثة لله ومرة أخرى أننا «ورثة مع المسيح» συγκληρονόμοι . فـ «ورثة الله» هنا تعطينا حقوقاً مباشرة مع الآب شخصياً: «لأن الآب نفسه يحبكم» (يو١٦: ٢٧). و «ورثة مع المسيح» تعطينا حقوقاً في بنويته الشخصية من جهة مخصصاته الخاصة كابن. وهكذا نرتبط بالله ككل في أبوّته وفي بنوّته، لأن الميراث رباط، ولأنه ليس ميراث أشياء متروكة لميت؛ بل ميراث في كيان شخص الآب والابن، ميراث في ذات بكل غناها في المجد. هنا يلزم أن ينتبه الوعي لندرك أن الميراث هنا ليس ميراثاً منفصلاً عن شخص الآب وعن الابن بل ميراثاً متداخلاً في الآب والابن. هذا هو الميراث

الفائق حقاً على كل فكر وتصوُّر:

+ «مَنْ لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز٧٣: ٢٥)،
+ «قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر» (مز٧٣: ٢٦)،
+ «نصيبي هو الرب قالت نفسي من أجل ذلك أرجوه.» (مراثي٣: ٢٤)

ولكن ق. بولس لا يريدنا أن نعيش في أرض الأحلام بعيداً عن واقع المسيح الذي اعتبره المسيح نفسه أنه مجده وهو الصليب، فلا مجد يمكن أن نتأمله أو نشارك فيه مع المسيح في غياب آلام الصليب. ولا يمكن أن يغيب عن بالنا لحظة تأكيد المسيح لتلميذَيْ عمواس اللذين استكثرا عليه أن يتألم ويموت بقوله لهما: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح **يتألم بهذا** ويدخل إلى مجده.» (لو٢٤: ٢٥و٢٦)

إن آلام الصليب بكل المعاناة التي جازها المسيح قبل الصليب وعليه، هي جزء لا يتجزأ من مجد الملكوت: «ورأيت فإذا في وسط العرش ... خروف قائم كأنه **مذبوح**» (رؤ٥: ٦). فإن كان رب المجد لا يظهر في المجد **إلا وجروحه عليه**، فماذا لنا الآن نحن سُوَّاح الملكوت على الأرض نهيم على أرض الأحزان، والصليب والمجد معاً يتعانقان على رؤوسنا وأكتافنا؟ لأنه حتماً وبالضرورة عندما تنقضي غربتنا ونمضي إلى دار السماء موطننا سيتبعنا الصليب كجروح مضيئة. فمجد المسيح لا يكمل بريقه إلاّ والصليب في مركز النور والإشعاع.

إن لاهوت آلام الصليب ولاهوت أمجاد الخلاص لاهوت واحد لا ينقسم إلى فصلين، بل هما فصل واحد لا نستطيع أن نضع أحدهما قبل الآخر! لأنه:
«احتمل (١) **الصليب** من أجل (٢) **السرور** الموضوع أمامه»، «(١) وسُرَّ الله أن يسحقه (٢) **بالحزن**.» (عب١٢: ٢، إش٥٣: ١٠)

«نتألم معه ... نتمجد معه»: συμπάσχομεν ... συνδοξασθῶμεν

وضع الكلمتين باليونانية يوحي بالشركة التي لا تنفصل فنتألم **معه** ونتمجد **معه**. وحرف «συν» هو تعبير عن روح التلمذة والانحصار والانصهار، في الآلام كما في المجد. فما يعانيه تلميذ الرب من أجل الرب ضيقاً واضطهاداً وحرماناً ومطاردةً، فهو يعانيه والمسيح في حضنه قائم وكأن المسيح يتألم فيه، بقدر ما يتألم هو من أجل المسيح! هذا الانصهار الحبي مع المسيح في الألم هو بعينه الذي يورث الانصهار الحبي مع المسيح في المجد. إنها تلمذة واحدة، هنا بالألم وهناك في المجد.

ولكن **لماذا الألم** هكذا بهذه الصورة الطاحنة؟ وما علاقة الألم بالمجد حقيقة؟؟ واضح في مكان آخر أوضح فيه بطرس الرسول أن الألم ضرورة للجسد: «مَنْ تألم في الجسد كُفَّ عن الخطية» (١بط٤: ١)، فالألم ضرورة ليعبر به من تحت الخطية إلى فوقها. تماماً كالمسيح، فالألم عند المسيح أعطاه السلطان أن يدوس بالعدل على قوى الموت والخطية ويغلبهما. المسيح وقع تحت الموت حتى إلى القبر وكأنه صار مغلوباً، ولكنه بالألوهة التي له قام وأقام الجسد غالباً للموت وكاسراً لشوكة الخطية! قام من تحت الموت ليطأه برجليه صاعداً إلى السماء: «جعل أعداءه تحت قدميه» (أنظر ١كو١٥: ٢٥). هذا كله صار لأجل الإنسان وليس المسيح، حتى في المسيح نقوم أيضاً وندوس الخطية والموت معاً.

هكذا صارت الشركة مع المسيح في آلام الصليب هي نفسها القوة التي ترفعنا من الخطية إلى النصرة ثم إلى المجد. وهل يمكن أن يكون مجدٌ دون ألم؟

إن الإيمان الذي نعيش به الخلاص في الحاضر، كأولاد الله من واقع شهادة الروح القدس في أرواحنا، وخبرتنا بالفرح والمحبة والسلام من داخل الآلام التي نعانيها في زماننا، يعطينا أن نعيش أيضاً الآن — بالروح — في الرجاء الوثيق بمستقبل شركتنا في المجد العتيد أن يستعلن فينا. لذلك فلا شيء الآن يقدر أن يفصلنا عن محبة المسيح!

هنا بنى بولس الرسول تعليمه اللاهوتي عن الرجاء بما هو آتٍ على أساس الروح القدس الساكن فينا باعتباره «**عربون**» أي «المقدم المدفوع» عن صفقة الخلاص التي سيتم تسليمها بالكامل في الدهر الآتي. **والعربون** — قانوناً — هو تعهُّد يحوي جميع بنود الصفقة المتفق عليها مع جزء منها كعينة والتي سيتم تسليمها في الزمن المحدد. فالقديس بولس هنا لا يتكلم إلاَّ بالروح الذي أخذه والذي فينا — والذي هو نفسه بمثابة تعهُّد من الله — الذي يحدِّد معالم ما هو آتٍ.

وهذا التعليم اللاهوتي الخاص بالمستقبل الذي يقدِّمه ق. بولس هنا هو جزء أساسي من الإنجيل المقدس، من الأخبار السارة، من موضوع الإيمان الذي نعيش به. فالأخرويات في الإنجيل هي وعد الله المعطى لنا بالروح القدس كختم عهد أو تعهد موثق بشهادة الروح القدس كما بقَسَم. لأن كون الروح القدس يشهد لأرواحنا أننا صرنا أولاداً لله معناه في الحال أنه أصبح لنا في المراسيم الإلهية حقوق البنين!

هذه الحقوق الخاصة بمستقبل الحياة يقدِّمها بولس الرسول — كوعد — بتأكيد الروح القدس كإعلان له من الله، ولكن على أساس أن المجد الأكيد المتحصل من الخلاص الذي أكمله المسيح

على الصليب لابد أن يتم في معاناة، ولكن «**معاناة في نصرة**»، بمذاقة المجد الآتي، وذلك من واقع العربون المعطى بالروح القدس، ليغطي كل آلام الزمان الحاضر ويلغي أثرها المميت.

[٨: ١٨—٢٧] صار الإنسان في الروح، فصار على مستوى الرجاء!

١٨:٨ **«فإني أحسِبُ أن آلامَ الزمانِ الحاضرِ لا تقاسُ بالمجدِ العتيدِ أن يُستعلَنَ فينا».**

«فإني أحسِبُ»: λογίζομαι

ربما لو كانت «**فإني أعتبر**» تكون أفضل، لأنها باليونانية تحمل معنى **التأكيد كحكم صدر واستقر في ذهن ق. بولس وإيمانه** وليس مجرد تخمين أو اقتناع. وهنا تدخل الآية ضمن حدود الإيمان. كذلك في قوله: «**لا تقاس**»، لا تأتي الترجمة دقيقة، فالكلمة اليونانية οὐκ ἄξια تعني: "**لا تستحق المقارنة**"، أو هي «**أقل كثيراً من أن تُقاس**». والمعنى الكلي للآية أن: آلام الزمان الحاضر ينبغي أن تسقط من اعتبارنا إذا رفعنا أبصارنا نحو ما أعده الله لنا في المجد الآتي. القديس بولس هنا لا يزال محصوراً في عطية بر الله المعلنة في المسيح الآن وفي وضعها النهائي. فإذا اعترض معترض كيف يكون هذا ونحن لا نزال نواجه مرارة الآلام لهذا الزمان؟ فيرد القديس بولس: إنه بحسب الرؤيا التي تحددت من جهة الأمجاد التي نعيش عربونها الآن، والتي توحي الآلام نفسها ببرهان الروح عن مجدٍ آتٍ قادر أن يكتسح كل ما عاناه الإنسان في الزمان الحاضر ويجعله نسيًّا منسياً، فإن الآلام تصغر بمقدار العزاء الآتي من فوق من المجد المُعدّ. نموت كل يوم، ولكن مع المسيح نحن أعظم من منتصرين: «في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا.» (رو٨: ٣٧)

بل ويرى ق. بولس أنه كلما ازدادت هذه الضيقات والآلام فينا، كلما أنشأت بزيادة مجداً آتياً! «لأن خفة ضيقتنا الوقتية **تنشىء** لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً» (٢كو٤: ١٧)، «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً» (٢كو١: ٥). لأن كل ضيقة في الحاضر مآلها إلى الزوال ولكن وعد الله بالمجد قائم يزداد كل يوم.

هذه الحقيقة نعبر عليها كل يوم، إنما بصورة مصغرة. فرُبَّ محنة ثقيلة نعانيها ونتعثر فيها بضيق شديد واختناق، ثم يسوق الله علينا نعمة كبيرة من نِعَمِه، فإذ بنا نفقد في الحال كل إحساس

بالضغطة وتنفرج حياتنا وتتسع رؤيتنا بل ونفرح معتبرين أن ما أصابنا من ضيق لا يُقاس برحمة الله التي افتقدنا بها، بل وربما نشعر أن نفس هذه الضيقة هي التي تسببت لنا في هذا الانفراج العظيم. ألم تتسبب محنة الصليب في مجد الرب: «أما كان ينبغي أن المسيح يتألم ويدخل إلى مجده»، «طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيَّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا فهوذا أجركم عظيم في السماء.» (لو٦: ٢٢و٢٣)

والآن علينا أن نلاحظ تدرج ق. بولس في التعامل مع الخطية وما صنعته وما تصنعه، كذلك ما يصنعه بر الله في المقابل. فقد استوفى في الأصحاحات الأُولى أثر الخطية المدمِّر في الإنسان، وهنا يبتدىء في الأصحاح الثامن يستعرض عمل بر الله في الحاضر وما يلقيه من صورة مجيدة في المستقبل، غير غافل عما لا تزال تفعله الخطية، ولكن ليس في صورة عبودية أو موت، **بل في صورة تجارب وآلام!**

فالقديس بولس هنا يصوِّر الأمجاد الآتية التي تستعلن فينا من فضل بر الله علينا، ولكن من واقع مرٍّ، وعلى خلفية من الآلام التي نعيشها كشركة حقيقية في آلام صليب المسيح.

ولكي ينتقل ق. بولس من الحاضر إلى المستقبل، ينتقل بالضرورة من الإيمان إلى الرجاء، ولكنه رجاء على نفس مستوى رسوخ الإيمان. كذلك وبنفس الثقة ينتقل من آلام الزمان الحاضر كحقيقة واقعة إلى أمجاد الدهر الآتي، نترجاها وكأنها حاضرة، لأن هذا هو وعد الله حيث كما اشترك الإنسان في الأُولى يشترك في الثانية حتماً. ولكن ق. بولس يحابينا ويعزينا ويزيد من قوة رجائنا حينما يقول، كمختبر، إن آلام الحاضر لا تقاس بالمجد الآتي، الأمر الذي حينما نتأمله في حرارة الرجاء تضمحل كل آلامنا وهمومنا: ماران أثا!!

٨: ١٩ **«لأن انتظارَ الخليقةِ يتوقعُ استعلانَ أبناءِ الله».**

ق. بولس يمتد باستعلان بر الله في الدهر الآتي ليشمل الخليقة كلها، فهي كما سقطت بخطية آدم؛ تقوم ببر الله في المسيح. وكما لُعنت الأرض بسبب تعدِّي آدم؛ تتبارك بسبب بر الله في طاعة المسيح.

لذلك ليس فقط الإنسان هو الذي ينتظر استعلان المجد الآتي، حينما تكف الآلام وينتهي الحزن والكآبة والتنهد ليحل محلها شركة أفراح أبدية في مجد الله والمسيح، بل والخليقة كلها ستكون شريكة فرح الإنسان حتماً وبالضرورة. فالذي أهانها بإهانته في الزمان الأول، عليه أن يُفرحها

ويعزِّيها بعزائه في الزمن الأخير، لأن الإنسان خُلق ليكمِّل الخليقة، فالخليقة فقدت كمالها بفقدان كماله. وهي في رجائها معه على ميعاد، فكما يتوقع هو استعلاناً كاملاً لفدائه وبنوته لله، تتوقع هي لنفسها ذلك فيه. وباستعلان بنوة الإنسان لله، تسترد فيه كمالها ورضى الله.

٨: ٢٠ **«إذ أُخضِعَت الخليقةُ للبُطْلِ. ليس طوعاً بل من أجلِ الذي أخضَعَها. على الرَّجاءِ».**

الخليقة هنا وقعت تحت إرغام — رغماً عنها — للبُطْل ματαιότητι = vanity.

والبُطل والبُطلان هو الفراغ، هو اللاقيمة، أي فقدت حقيقتها ولم تعُد إلاَّ صورة فارغة لحق كان يملأ كيانها!! كالإنسان تماماً فيما صار إليه بعد التعدِّي. هنا خبرة سليمان تأتي مصداقاً لآية ق. بولس: «باطل الأباطيل الكل باطل ... الكل باطل وقبض الريح ...» (جا١: ٢و١٤). فالعالم صار هكذا باطلاً لما بطل الإنسان عما كان له في الله!!

ويعود ق. بولس ويوضح في آخر الآية كيف أن هذا الوضع الذي صارت إليه الخليقة إنما هو بسبب الإنسان وذلك طبقاً لما صدر من فم الله: «وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها، **ملعونة الأرض بسببك.**» (تك٣: ١٧)

٨: ٢١ **«لأنَّ الخليقةَ نفسَها أيضاً ستُعْتَقُ من عبوديةِ الفسادِ (اللعنة) إلى حريةِ مجدِ أولادِ الله».**

هذه الآية تبتدىء تُفصح عن **معنى الخليقة**. فقول بولس الرسول: «الخليقة نفسها»، في مقابل «أولاد الله»، يوضِّح أن الخليقة تشمل كل ذي جسد على الأرض، وبالدرجة الأُولى كل إنسان، باستثناء المفديين فقط!! حيث سيكون أولاد الله هم محط رجاء كل جسد وقع تحت الفساد، سواء الوثنيين من الأمم أو بقية الخليقة غير الناطقة. فبمجرد أن يستعيد أولاد الله حريتهم من عبودية الفساد، التي نالوا عربونها الآن بالروح في المسيح وينتظرون تكميلها في القيامة العتيدة التي فيها «يلبس الفاسد عدم الفساد» (١كو١٥: ٥٣)، «الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في٣: ٢١)، حينئذ تُعتق الخليقة من عبودية الفساد الذي أُخضعت له، لتصير على مستوى الإنسان الذي كان هو كمالها وجمالها قبل أن يطويه الشيطان تحت عبودية الفساد وينسحب منه الحق الإلهي ليبقى صورة فارغة ومزيفة للحق.

وهكذا يتضح بصيص من نور، نرى فيه الخليقة والإنسان كُلّاً مترابطاً؛ فبسقوط رأسها وهو الإنسان الأول سقطت الخليقة متأثرة به، فلم يَعُدْ ممكناً قط أن تحمل شيئاً من الحق والإنسان فاقِدُه، بسبب العلائق الكثيرة التي يرتبط الإنسان بها وترتبط هي بالإنسان. هل هي روابط تسبيح مشترك؟ هل هي روابط نمو مشترك في الحق؟ كلٌّ على قدر قياسه!

والآن، إذ نرى الله وقد رفع اللعنة عن الإنسان وفداه على المستوى الروحي بانتظار أن تُرفع كُلّيَّةً عن الجسد، نرى الخليقة تئنُّ معه بانتظار ذلك الفداء الأخير عينه.

ولنا في الفُلك ونوح صورة مصغَّرة للنصيب المشترك الذي ارتبطت به الخليقة مع الإنسان، سواء في غضب الله أو رضاه، في صورة الهلاك الذي عمَّ، وفي صورة النجاة التي تمت.

٨: ٢٢ **«فإننا نعلمُ أن كلَّ الخليقةِ تئنُّ وتتمخَّضُ معاً إلى الآنَ».**

قدرة عجيبة لبولس الرسول أن يحوي في قلبه وفكره صورة للخليقة كلها وهي تئن كما يئن الإنسان، وتتمخَّض معه ألماً بسبب غياب الحق فيها. تتمخض وكأنها تمخض لتولد من جديد، يكون فيها الحق وفيها البرُّ ورضا الله؟

حينما ضيَّع الإنسان الحق، تغرَّب عن الله. فلم يَعُدْ له معه مقابلة وتحية أو تسبيح وشكر. فضُرب الإنسان بالصمت الروحي، وانعَمَت عينه عن رؤيا الله، فذهب يتلهَّى وراء بطنه وأعوازه كإحدى العجماوات التي تدبُّ على أرض الشقاء.

وعندما جاء الزمان، وانفتح بابٌ في السماء، وأدرك الإنسان الخلاص المُعَدّ والعودة الوشيكة أن تكون، زاد حنينه وزاد أنينه بارتقاب الفداء الأخير، ومعه الخليقة التي ما رضيتْ بِبُطْلِها قط ولا قبِلَتْ الخضوع للفساد دون أنين وشكوى؟ إنها تنزع نحو صورة الحق الذي جُبلت عليه، وإن لم تعيه أو تدركه، وتئن من ثقل الباطل حتى ولو لم تدْرِ به.

ولنا في الكتاب المقدس على صفحاته الكثيرة شذرات وردت من هنا ومن هناك تحكي عن صور باهتة منحدرة من الأصول الأُولى قبل التاريخ من الطبيعة الحرة البِكْر، تروي عن علاقات صميمة بين الله والخليقة و بين الخليقة والإنسان رأسها في ذلك الزمان.

نسمع المسيح يحكي عن موضع الخليقة الأثيل عند الله:

+ «انظروا إلى طيور السماء ... أبوكم السماوي يقوتها ... تأملوا زنابق الحقل ... عشب الحقل ... الله يُلبِسُه.» (مت٦: ٢٦و٢٩و٣٠)
+ «عصفور واحد لا يسقط على الأرض بدون أبيكم.» (مت١٠: ٢٩)

ثم مع الإنسان يقول:

+ «فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده؟ وتُنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلله، تُسلِّطه على أعمال يديك، جعلت كل شيء تحت قدميه. الغنم والبقر جميعاً (أسْقَطَ بقية الوحوش متأسفاً) وبهائم البر أيضاً وطيور السماء وسمك البحر السالك في سُبُل المياه.» (مز٨: ٤—٨)
+ «فقام وانتهر الريح، وقال للبحر اسكُتْ، ابكَمْ. فسكنت الريح، وصار هدوءٌ عظيم.» (مر٤: ٣٩)
+ فخافوا خوفاً عظيماً. وقال بعضهم لبعض: مَنْ هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه.» (مر٤: ٤١)
+ «وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من الشيطان. **وكان مع الوحوش.** وصارت الملائكة تخدمه.» (مر١: ١٣)
+ «وقال (يشوع) أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر (دُم أي قِفْ) على وادي أيَّلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه ... فوقفت الشمس في كبد السماء، ولم تعجِّل للغروب نحو يوم كامل.» (يش١٠: ١٢و١٣)

كلها صور باهتة لعلاقات سابقة من ودٍّ وحبٍّ وطاعة عاشتها الخليقة في طاعة الله وخدمة الإنسان كبيرها في ذلك الزمان.

ولكن لما عصي الإنسان الله وتعرَّى أمام عيني نفسه، تعرَّى من جماله وفَقَدَ هيبته لدى الخليقة كلها. وعوض أن تهابه، أصبح يهابها. وبعد أن كانت تشتهي القُربى منه صارت تشتهي أكله، وتجري وراءه لافتراسه، وصار هو يشتهيها ويفترسها. وانشقَّ ناموس المودة والهيبة الذي كان يجمع الإنسان بالخليقة، وحلَّ بدلاً منه ناموس الخوف والرعبة، والمطاردة والنقمة. ودخلت الخليقة مع كبيرها تحت البُطْل والفساد.

ولكن بقيت في أحلام الإنسان ورؤى أنبيائه صورٌ عن عودة آتية وصلح وودٌ وأُلفة وتسبيح مشترك. فنسمع من إشعياء عن رؤيا يقصها وكأنها حلم: «فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض

النمر مع الجدْيِ، والعِجْل والشبل والمسمَّن معاً. وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبَّة ترعيان، تربض أولادهما معاً. والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سرب (جُحْرِ) الصلِّ، ويمدُّ الفطيم يده على جحر الأفعوان. لا يسوؤون ولا يفسدون ...» (إش١١: ٦ــ٩)

+ «ثم رأيتُ سماءً جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأُولى والأرض الأُولى مَضَتا، والبحر لا يوجد في ما بعد ... وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شيء جديداً. وقال لي: اكتب، فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة.» (رؤ٢١: ١و٥)

+ «وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء. والحيوان الأول شبه أسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر. والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي وحينما تعطي الحيوانات مجداً وكرامة وشكراً للجالس على العرش الحي إلى أبد الآبدين يخرُّ الأربعة والعشرون شيخاً ...» (رؤ٤: ٦ــ١٠)

٨: ٢٣ **«وليسَ هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورةُ الروح، نحن أنفسُنا أيضاً نئنُّ في أنفسِنا متوقّعينَ التبنّي فداءَ أجسادِنا».**

بولس الرسول يؤمن بصدق الرؤيا، فليست الخليقة تئن وحدها، وإن كنا لا نستشعر أنينها، ولكنها تستمد أنينها من أنيننا!! فنحن وإن كنا قد صرنا باكورة الخليقة المفديَّة وقد حصلنا على الروح الذي هو عربون الفداء الأخير وكماله، فلا زلنا نئن في أنفسنا، لأننا لا زلنا نلبس الفساد ونحيا الباطل الذي يملأ الحياة من حولنا، لأن فداءنا لن يكتمل إلاَّ باكتمال فداء أجسادنا بالقيامة العتيدة أن تكون. فنحن نئن من ثقل فساد أجسادنا التي نطرحها أخيراً في تراب الأرض برجاء القيامة حينما ننال ملء التبنِّي!!

إنها حقيقة، ولو أنها محزنة، أن الخليقة اشتركت مع الإنسان ككلٍّ في نصيب واحد، سقوطاً وقياماً. فإن كان الإنسان هو سبب سقوطها، فحتماً وبحسب عدل الله ورحمته ــ أي برِّه المُعلَن في المسيح ــ أن تُفتدى الخليقة بفدائنا وترتدّ من «البُطْل» إلى الحق لتستعيد وجودها الأول الحقيقي أمام الله، ويتعدَّل تعامل الإنسان معها على أساس الودِّ والوفاق المفقود الآن.

إن هذه حقيقة تعيشها الكنيسة القبطية دون أن تُبرزها إلى حيِّز اللاهوت المدروس. ففي

نصف الليل يقوم مجمع الرهبان ليسبِّح الله بفم الخليقة. والتسابيح هي من مزامير داود الذي عاش هذه الحقيقة بالروح واشترك بالفعل وبالروح مع هذه الخليقة في هذه المزامير الحية:

+ «في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برِّك.» (مز١١٩: ٦٢)

داود يستيقظ في نصف الليل ويتذكر سيادة آدم على الخليقة، فيما كان من سابق الزمان، فيتصور نفسه وقد أتت أيام العودة والكلُّ في حضرة الله، وداود يهتف بالخليقة كلها لتنهض وتسبِّح معه خالقها وتشكره على رحمته على بني آدم.

ــ هللويا ــ

«سبِّحوا الرب من السموات   سبِّحوه في الأعالي
سبِّحوه يا جميع ملائكته   سبِّحوه يا كل جنوده
سبحيه أيتها الشمس والقمر   سبحيه يا جميع كواكب النور
سبحيه يا سماء السموات   ويا أيتها المياه التي فوق السموات.

لتسبِّح اسم الرب لأنه أمرَ فخُلِقَتْ، وثبَّتها إلى الدهر والأبد، وضع لها حدًّا فلن تتعداه.

سبِّحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج،
النار والبَرَدُ، الثلج والضباب، الريح العاصفة الصانعة كلمته، الجبال وكل الآكام،
الشجر المثمر وكل الأرز،
الوحوش وكل البهائم، الدبَّابات والطيور ذوات الأجنحة، ...» (مز١٤٨: ١ــ١٠)

وكأن داود يتكلم بلسان آدم العائد إلى الفردوس، وهو يهيب بالخليقة كلها التي دخلت مرة أخرى تحت طاعته، لتقدِّم الشكر والعبادة والتسابيح للخالق.

ثم يأتي العهد الجديد، فيبوح المسيح في إنجيل لوقا ببزوغ فجر صلح الخليقة مع الإنسان، كل الإنسان، كثمرة لعهد الفداء الذي أتى على الإنسان وسيتسحَّب على الخليقة كلها من خلال الإنسان، فيقول المسيح: «اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل **للخليقة** كلها ...» (مر١٦: ١٥). وهكذا تتقبَّل الخليقة بكل أعضائها، الناطق منها وغير الناطق، بشارة الخلاص من عبودية الفساد من خلال قبول الإنسان للفداء. فكما أسقطها بسقوطه؛ سيقيمها بقيامته. وكما أفسدها بعصيانه؛ فسوف يُسعدُها ببرِّه.

ولكن إن كانت الخليقة، أو كان الإنسان، فكلٌّ منهما ما زال يترقب تكميلها بالصبر حينما

يتم التبنّي فداء الأجساد، الخليقة بالأنين المكتوم، والإنسان بالروح وبصراخ الصلاة: «ماران آثا» ثم يعطي المسيح علامة العربون للصلح بين الاثنين «يحملون حيّات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرُّهم ...» (مر١٦: ١٨).

وعلينا أن نلاحظ أن القديس بولس لا يزال مشغولاً بامتداد برّ الله الذي بعد أن يكمّل للإنسان، يفيض على الخليقة كلها، حتى أينما حلّت الخطية وأفسدت، يحل برُّ الله ويجدّد ما قد فسد!

٨: ٢٤–٢٥ **«لأننا بالرجاء خَلَصْنا، ولكن الرجاءَ المنظورَ ليس رجاءً، لأن ما ينظرُه أحدٌ كيف يَرجُوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظرُه فإننا نتوقّعُه بالصبرِ».**

الخلاص والفداء والقيامة هي حالات أخروية لا تأخذ وجودها الحقيقي العلني إلاّ في الدهر الآتي أو الحياة الأخرى. والذي نمارسه هنا منها هو بالإيمان والرجاء. فبالإيمان خلصنا، وبالرجاء نكمّل خلاصنا تماماً، كالقيامة، فنحن نعيشها ونعيش الحياة الأبدية الآن بالإيمان كعربون، ولكن هناك تكمُل.

وكل ما يختص بالرجاء هو مستقبليٌّ أخروي، لأن الرجاء هو هو الإيمان فيما يخصّ الآتي غير المنظور. وهنا يتلازم مع الرجاء الصبر، وانتظار تكميل الوعد، حيث الرجاء والصبر وانتظار تكميل الوعد تأخذ قوتها ويقينها من قوة ويقين صدق الله الذي وعد.

وذكر الصبر هنا يعود للآلام التي يطول معاناتها بحسب الزمان الحاضر، وهكذا يدخل الصبر كعامل أساسي في الرجاء، حيث الرجاء يتركب على وضع مؤلم. وبذلك يأخذ الرجاء نصيب الإيمان في المجازاة، ولكن الإيمان يتقدمه بطبيعة الحال: الإيمان والرجاء والمحبة الثلاث الجواهر المتلألئة في عقدِ الخلاص: «ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تُرَى وقتية، وأما التي لا تُرى فأبدية» (٢كو٤: ١٨). هنا الخلاص الكامل هو الآن غير منظور، لأنه أبديٌّ هو، ولكن بسبب الروح القدس الذي يُلقّننا بنود الخلاص فنحن نعيشه وكأنه حاضر أو قد حضر «خَلَصْنا». فهذا هو عمل الرجاء وقوته.

لاحظ هنا، أيها القارىء العزيز، أنه يختبىء لنا في هذا المعنى بركة كبيرة للحياة، فبولس الرسول يوضح أننا لا نعيش الآن على المنظور والمحسوس من الفداء والخلاص والقيامة والمجد وحياة الدهر الآتي، لأنها كلها أمور أبدية. فما هو عمل الإيمان والرجاء هنا، إذاً؟ هو تجاوُز أنفسنا،

تجاوُز مشاعرنا وأحاسيسنا وكل ما هو منظور، وأن نرفع أنظار قلوبنا إلى ما هو غير المنظور، إلى الأبديِّ الأُخرويِّ، فنعيشه بحقيقة الإيمان، لأن الروح يُعينُ ويكمّل عجزنا. ومن صفات الروح والله أنه: «يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة» (رو٤: ١٧). إذاً، بالروح القدس نعيش حقاً بالعربون كلَّ ما هو آتٍ ونتوقّعه بالصبر «ماران آثا»، «لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان» (٢كو٥: ٧). وهكذا يصحُّ أن يُقال أننا خَلَصنا حقاً إن خرجنا عن ذواتنا، وتخلّصنا من حواسنا، ووقفنا تجاه المسيح ونظرنا فقط إلى ما عمله في الماضي، فهو حتماً حاصلٌ لنا في الحاضر، بل وقد حصل ولو أننا لا نراه، ونعيشه بالروح، لأنه آتٍ حتماً.

وعلى القارىء الآن أن يلتفت، فهذا يشرح لنا سِرَّ أنيننا. فنحن نئن ومعنا الخليقة كلها عن سبب واضح، وهو أننا نترقب بالصبر وعداً آتياً حتماً بيقين الرجاء، ولكن على واقع مرٍّ وضيقات متلاحقة تود أن تطفىء من قلوبنا لهب الرجاء الحيِّ هذا. ونحن إذ أُعطينا مسئولية الخليقة بالتضامن، لأنها أُسقطتْ بسببنا، فإنه عن حساسية المفديين ومشاعر باكورة المخلَّصين نستشعر أنينها ومخاضها، أو في الحقيقة نحن نئن عوضاً عنها أمام الخالق. فمسئوليتنا مُرّة، ولكن رجاءنا يمتد ليشمل مستقبلها معنا.

بولس الرسول هنا، في الحقيقة، يتكلم عن الإنسان الجديد الذي يرتفع بمسئوليته لتغطّي كلَّ مَنْ حوله. فالإنسان المرتفع بالروح حتماً هو مسئول عن العالم. فليس صحيحاً ما يقوله الفلاسفة من أن الإنسان عالم صغير بحد ذاته «ميكروكوزم»؛ بل هو في الحقيقة العالم الكبير بعينه، وهذا العالم هو جزء منه: [وقفت على قمة العالم، حينما أحسست في ذاتي أني لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً] البابا غريغوريوس الكبير. هذا صحيح، فالشهوة أخضعت الإنسان تحت العالم، وبالخوف سادت عليه أركان العالم المظلمة، فشعر بضآلته إزاء العالم الذي خُلِقَ أصلاً له!!

٨: ٢٦ **«وكذلك الروحُ أيضاً يُعينُ ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلمُ ما نُصلّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسَهُ يشفعُ فينا بأنّاتٍ لا يُنطَقُ بها».**

«كذلك أيضاً»: ὡσαύτως δὲ καὶ

«كذلك أيضاً» تعبير عن إضافة سبب آخر على ما سبق. وما هو السابق الذي يضيف عليه هنا؟

هو أننا ونحن في وسط آلامنا التي نعانيها في العالم، ونحن حاملون جسداً لا يزال يعاني من

الفساد، ونحن بالأنين نتوقع فداء أجسادنا مشاركين ضعف الخليقة، وهي تئن أيضاً تحت الفساد، صار كل اعتمادنا على الرجاء كنعمة موهوبة لنا، وبالصبر ننتظر ونترجّى. كذلك، بالإضافة إلى ذلك فقد منحنا الله الروح القدس الذي يعين ضعفنا.

«يعين»: συναντιλαμβάνεται

كلمة «يعين» هنا لا تفي بالمعنى اليوناني للكلمة، فهي من ثلاثة مقاطع: συν = مع، ἀντι = عن، λαμβάνεται = "يحمل" أو "يعين مع" أو "يحمل مع" أو "يساعد مع". وهكذا تعني الكلمة "المساعدة التي تتوفر من تحميل اثنين حِمْلاً واحداً بالسويّة". بهذا يصير واضحاً إذا قلنا إن الإنسان يقدم الصلاة بينما الروح يقدم المساعدة. وهكذا بالصلاة يشترك الإنسان مع الروح، فتأتي المعونة. وهكذا تخلق الكلمة اليونانية معنىً جديداً عجيباً، وهو أن الروح لا يساعد مَنْ لا يرفع يده بالصلاة. فمعونة الروح القدس متوقفة على إرادة الإنسان بالصلاة!!

إن تعدُّد المعوِّقات وعدم وضوح رؤية ما هو آتٍ يجعلنا لا نعرف ما ينبغي أن نصلي من أجله كهدف محدَّد لنا وللخليقة التي من حولنا، أي العالم، الذي يحمل الإنسانُ مسئولية كرازته. ولكن وظيفة الروح داخلنا أنه يقودنا في الصلاة، ليعطينا القوة ويتشفع في ضعفنا، ولكن ليس بكلمات واضحة نفهمها، وإنما بقوة وحرارة تتحوَّل في أفواهنا إلى أنين لا يُعبَّرُ عنه بالكلام. ولكن الله الذي أرسله فينا، يعلم تماماً ماذا يقول الروح فينا وماذا نقول به، حتى ولو كان بغير نُطْقٍ.

«يعين ضعفاتنا»:

لقد سبق أن قال بولس الرسول إننا نئن مع الخليقة. فالأنين مشترك. فالجسد وهو تحت ضغطة الطبيعة فاقدٌ صلة الخلود التي تحفظه إزاء عوامل الفناء التي تأكل من لحمه وعظمه وأعصابه وتقصُّ عافيته إلى أن يقع على الأرض. ولكن كلمة «ضعفاتنا» هنا ليست تعني ضعفاتنا من الوجهة الجسدية بل الروحية، لأن الروح في المقابل الجسدي بعد أن أخذ حقَّ القيامة والبقاء والامتداد في الحياة الأبدية والخلود لا يزال يُحاصَرُ بالواقع المرّ في احتكاكه بالعالم والخلقة النافرة المعادية بكل أعضائها. وجُهْد الصبر في الرجاء من أجل الفداء الآتي لكمال فداء الجسد، يُختبَر بشدة كل يوم. والإنسان في وسط الخليقة وحيد. فلولا الروح القدس الذي يعين ضعفاتنا، لَخُرْنا. وأكبر تعزية يقدِّمها لنا هي في الصلاة حيث نستلم منه راحة بالروح، بالرغم من أن صلاتنا تشوِّشها الرغبات غير المحكومة. فكل مرة نخرج من الصلاة نشعر وكأنه قد قُدِّمت من أجلنا شفاعة مسموعة لدى الله. فالروح القدس أصبح هو الواسطة الوحيدة بين واقعنا الصعب وراحتنا الأبدية المرتقبة.

ولكن ينبغي هنا أن ننتبه، فالوسيلة الوحيدة لكي تُعرَفَ طلباتنا لدى الله ويُسمَعَ أنيننا هي الصلاة. وليست وصية كرَّرها المسيح بإصرار مثل: «صلُّوا. صلُّوا. صلُّوا ولا تملُّوا، اسهروا وصلُّوا، صلُّوا لكي لا تدخلوا في تجربة». والإنسان ليس له عذر في عدم الصلاة، لأن روح الله القدوس مستعد ومتهيِّىءٌ أن يُلهب قلوبنا بالصلاة ويتكلم في أفواهنا، مُقدِّماً طلباتنا لله. صحيح نحن لا نعرف كيف وبماذا نُرضي الله في الصلاة، لأننا لا نعرف ما ينبغي أن نصلي به قُدَّامه. ولكن هنا أيضاً، الروح يعين ضعفاتنا ويئن بأنيننا، حيث يترجم الله هذا الأنين، لأن ليس أنيننا الذي نقدمه عن جهالة بل أنين الروح الذي يعبِّر أعظم تعبير عن واقعنا أمام الله: «مُصلِّين بكل صلاة وطلبة، كل وقت، في الروح، وساهرين لهذا بعينه، بكل مواظبة وطلبة ...» (أف ٦: ١٨)

ولا ينبغي أن يفوتنا هنا تكرار بولس الرسول لكلمة «الأنين» سواء بالنسبة للخليقة أو الإنسان أو الروح القدس، معبِّراً بـ«الأنين» عن حالة طلب التحوُّل إلى الآتي. وهذا هو معيار حالة الإنسان والعالم كله الآن: الأنين من أجل الآتي.

ولعله لم يكن زمن ما منذ أن قام ربنا يسوع المسيح من الأموات وحتى اليوم، صار فيه العالم كله في أنين، ليس أنين الجسد بقدر ما هو أنين الروح، بمخاض حقيقي تشوُّقاً وتلهُّفاً بأن يأتي الآتي ولا يتأخر. فالبشرية ومعها الخليقة كلها تترقَّب الآن بالساعات التغيير العتيد أن يكون، ليدخل العالم والإنسان إلى فدائه الأخير بمجيء ربنا يسوع المسيح!!

وبولس الرسول منشغل هنا بالكشف عن حقيقة هامة، وهي أنه بالرغم من بقاء حالة الإنسان ـ بعد الفداء الذي قدَّمه المسيح ـ في إطار التجارب في العالم، إلاَّ أنه قد مُنح الإنسانُ المفديُّ الروحَ القدسَ، لكي يستطيع أن يعين ضعفه ويعلِّمه كيف يصلِّي، ضامناً استماع صلاته لدى الله بشفاعته الخاصة، فأصبح للإنسان رجاءٌ حيٌّ متصل دائم بالله طول أيام غربته على الأرض.

«يشفع بأنَّاتٍ لا يُنطَقُ بها»: ὑπερεντυγχάνει στεναγμοῖς ἀλαλήτοις

هذه حقيقة عملية ليتورجية، جماعية وفردية. ففي صلاة الليتورجيا اليومية مواقف يهتف فيها الشعب، كأن يعطي المجد بالصوت العالي. فإذا كانت الجماعة في حالة روحية حقيقية وصادقة، يخرج الهتاف بهيئة صراخ عالٍ وتمجيد بانفعال واضح، أن الروح القدس حاضر ويُلهب الجماعة. كذلك في الصلاة الفردية، معروف أنه إذا دخل الإنسان في حالة روحية صادقة وصلة قلبية بالله، فإنه يصرخ بالمجد لله. هذه حالة تدخُّلٍ واضح من الروح القدس.

من هذا الوضع يمكن أن ننتقل إلى حالة إنسان يصلي في درجات الصلاة بالروح، إذ تخرج منه

أنّات مندفعة، هي في الحقيقة أنّات الروح القدس الذي يكون في هذه الحالة يشفع فينا، لتدخل طلباتنا لدى الله. بولس الرسول يقدّمها هنا، ليس كحالة عامة، ولكن كمثال عملي واضح لعمل الروح القدس في الإنسان، كبرهان على دخول برّ الله إلى الإنسان عملياً كحالة صلاة مرفوعة بصدقٍ ومسموعة لدى الله. وقد سبق أن أوضحها بولس الرسول: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو٨: ١٦). ولكن هذه شهادة مفهومة، أما الأنّات التي يطلبها الروح القدس في الصلاة الحارة فهي غير مفهومة ولا منطوقة. و بولس الرسول يقولها هنا، محذّراً الذين يستخفّون بالذين يصلّون ولهم هذا الأنين الخافت غير المفهوم. فهذا ليس تكلّماً بألسنة بالمرة، ولكنه أنين الروح القدس الذي يعبّر عن وجوده وعن عمله وعن شفاعته لدى المؤمنين الداخلين في صلاة قلبية لدى الله.

ولكن ينبغي أن نعلم يقيناً، أن أنين الروح القدس في الصلاة ليس هو علامة قوة وامتياز بالروح، ولكن هو في الحقيقة تعبير عن حالة ضعفٍ، هو يُعينُها ويقويها: «**يعين ضعفاتنا ... بأنّاتٍ لا يُنطقُ بها**». فالروح يتدخل في حالةِ ضعفنا، لكي يجعل صلاتنا مقبولة لدى الله ومسموعة، إن كنا ضعفاء حقاً ومنسحقين.

٨: ٢٧ **«ولكن الذي يفحصُ القلوبَ، يَعْلَمُ ما هو اهتمامُ الروحِ، لأنه بحسبِ مشيئةِ الله يشفعُ في القديسينَ».**

بالرغم من أن الأنين غير مسموع، ولكن الله يعلمه. الله يترجم أنين أعوازنا المكبوتة، فهو فاحص الكُلَى والقلوب. ولكن الذي نعتبره جديداً لدينا في هذه الآية، هو أن الله أصبح كاشفاً حالتنا الروحية، حتى وإن كنا لا نعرفها نحن، وذلك بواسطة الروح القدس فينا. فكما أن القلوب والكُلَى يَعْرفُها خالقُها، هكذا أصبحت حالة روحنا على هذا القياس. إذ أصبح الروح القدس هو الواسطة لرفع كل ما يهمُّنا وكل ما نهتمُّ به بالروح في داخل أرواحنا لله. لذلك فإن هذا ينبغي أن ينعكس على صلواتنا، حتى إذا وقفنا للصلاة نعلم أن كلّ همومنا وكل ما يهمنا أن نوصّله إليه معروف جيداً. وهذا يدعونا أن نصلي بثقة و باطمئنان و بتحديد و بدون كثرة كلام. فالمطلوب هو أن: «تُعْلَمَ طلباتنا لدى الله» (في٤: ٦)، ليس لأنه لا يعلمها، ولكن لنعلم نحن أنه قد عَلِمَها.

«يشفع»: ἐντυγχάνει ὑπέρ

هي نفس كلمة «يشفع» السالفة (آية ٢٦). وجاءت في الآية السالفة باليونانية مركّبة بمعنى: «يشفع فينا ــ أو عنا» ὑπερεντυγχάνει.

الجديد علينا والذي يجب أن نعلمه، هو أن الروح القدس يشفع. فالمعروف أن لنا شفيعاً لدى الآب، يسوع المسيح البارّ: «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البارُّ» (١يو٢: ١). وهنا يدخل الروح القدس في مضمار الشفاعة أيضاً لدى الله الآب. ولكن واضح أن المسيح يشفعُ مُرْتكناً على دمه المدفوع ثمناً للخطية. أما الروح القدس فيشفع مُرْتكناً على المسيح الذي يأخذ منه ويتوسل لدى الله عنا. كذلك، فالمسيح، موضعُ شفاعته هو في السماء عن يمين الله، أما شفاعة الروح القدس فمعنا على الأرض وهي مُقدَّمةٌ إلى الله ومسموعة منا ونحن نشترك فيها بالأنين أيضاً، فهي شفاعة تعزية وتقوية ليعين ضعفنا. فالروح القدس يعبّر عن حضرة الرب على الأرض، مكمّلاً فينا نفس عمله الذي يعمله في السماء. فهي تكاد تكون شفاعة واحدة مقدّمة من الشفيعَيْن العظيمين في السماء وعلى الأرض لدى الله. وهكذا تزداد ثقة الإنسان بالذي له في السماء من الذي يحسُّه على الأرض.

«يشفع في القديسين»:

واضح أنه لا يشفع في كلّ مَنْ يصلّي ولا في كل جماعة تصلّي، ولكن **في القديسين**. «في القديسين» هنا لها معنى واحد محدّد يختص بموضعها هنا شديد الاختصاص، وهو "الذين يضبطهم الروح القدس" أو "المنضبطين بالروح القدس"، أو "الذين هم منقادون بالروح القدس". بمعنى أنه يشفع في الذين سلّموا حياتهم للروح القدس ويسيرون بمقتضى تدبيره ونعمته بحرص، الذين هم حقاً مسيحيون، الذين يمثّلون الخليقة الجديدة حقاً و بالروح أمام الله.

واضح أن بولس الرسول يهمه هنا «جماعة القديسين». فهو يذكرهم على أنهم أولاد الله (آية ١٦) الذين نالوا باكورة الروح (آية ٢٣)، الذين على رجاء تكميل فدائهم بالجسد يتعلق خلاص الخليقة كلها (آية ٢١)، والذين يحملون همّ العالم ويئنّون بأنين الخليقة غير المفدية (آية ٢٣) الذين يعمل فيهم الروح القدس حاملاً ضعفاتهم، متشفّعاً فيهم بأنّات لا يدركون معناها (آية ٢٦). فكأنه قصد أن يخفي ذاته عنهم وأن يخفي ماذا يقول لله وماذا يرجو وماذا يتشفع من أجلهم و بهم. ومن وجهة نظر الإنجيل، فهؤلاء هم الذين يخاطبهم الإنجيل: «أنتم نور العالم» (مت٥: ١٤)، «أنتم ملح الأرض» (مت٥: ١٣)، والذين يصلي المسيح من أجلهم: «قدّسهم في حقّك» (يو١٧: ١٧). هؤلاء يعيشون في ظل الصليب محفوظين من العالم والناس، الذين قال عنهم الروح في سفر الرؤيا الذين «لم يحبوا حياتهم حتى الموت!» (رؤ١٢: ١١)

وعلينا أن نلاحظ هنا أن بولس الرسول منشغل بالآتي، بالرجاء، بالأنين من أجل تكميل

الفداء، وبعمل الروح القدس وهو يعين القديسين ويشفع فيهم من أجل أن يكونوا مؤهَّلين لحمل الآخرين المتعوِّقين غير المفديين بعد.

ويقرر بولس الرسول أن إيماننا بالخلاص الحادث يكون ناقصاً إذا لم يشدُّه الرجاء بالفداء الآتي. ورجاؤه لا يكون رجاءً، إذا كنا لا نؤمن بغير المنظور. وهو لا يفيد شيئاً إذا لم يسلِّحه الصبر على ضيق الواقع. فلاهوت الخلاص هو لاهوت رجاء بالدرجة الأولى. واللاهوت المسيحي ليس لاهوتاً مقيماً مستوطناً كليات اللاهوت، ولكنه لاهوت سائح متغرِّب على الأرض يطلب وطناً أفضل، وهو يجمع باكورة المفديين ووراءهم الخليقة غير المفديَّة، كقضية مرفوعة من المسيح والروح القدس لدى الله. والكلُّ يئن، يطلب الخلاص من الحاضر، وبالرجاء يطلب الخلاص الآتي. ويجمع الروح القدس بين الاثنين، إذ يرثي لضعفاتهم ويئنُّ بأنينهم، لأنه المتولّي قيادتهم في درب واحد، هو درب الصليب المؤدي إلى السماء.

الختام المظفَّر للأصحاحات الثلاثة
(من السادس حتى الثامن)

٨: ٢٨ **«ونحن نعلَمُ أن كلَّ الأشياءِ تعملُ معاً للخيرِ للذينَ يحبُّونَ الله الذينَ هم مدعوُّون حسَبَ قصدِهِ».**

كلمة «نحن» هنا يعود بها بولس الرسول على المسيحيين عامة، على المفديين الذين هم موضوع تفكيره الآن.

«نعلم أن كل الأشياء»: πάντα
«كل الأشياء» هنا سوف يشرحها بتفصيل وتطويل كثير في الآيات من ٣٥–٣٩. فهي جميع الأمور المقاومَة والمعاكِسة لمسيرة الخلاص التي يمكن أن تقابل أي إنسان وعلى أسوأ الأحوال.

هنا بولس الرسول يتكلم عن معرفة اختبارية بلغت حدَّ الحقيقة الثابتة بالإيمان، من جهة صعاب الحياة وآلامها، وكأن بولس الرسول يعود إلى الآية (١٨): «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا». وهو هنا يعود ويقرر أن الآلام في الحاضر حقيقة مُعترَف بها، وإن كان قد سبق وأوضح أنها تُحسب «خِفَّة ضيقة» لا تُقاس بالمقابل من جهة المجد، وكأنها تُنشىء «**ثِقَلَ مجد أبدياً**» (٢كو٤: ١٧). ثم يجيء هنا ليتجاوز هذا إلى ما هو أعمق وأعظم، إذ يعتبر أن هذه الآلام والضيقات عينها تعمل دون أن ندري للخير، وذلك بالنسبة للمؤمنين، وبولس الرسول يضعها هنا باعتبارها حقيقة تعليمية في الكنيسة ينبغي أن ترسخ في الإيمان.

«تعمل معاً»: συνεργεῖ
وحدة العمل أو انسجامه في تفاصيله، بمعنى أن الشيء وحده يبدو سيئاً وغير مفهوم بسبب قسوته وغرابته. ولكن حينما يُضاف إلى عمل أو شيء آخر أتى أو سيأتي، فإنه يعمل معه عملاً منسجماً، للخير أو الصالح εἰς ἀγαθόν .

«للذين يحبون الله»:

هي في الحقيقة الصورة المنظورة للحقيقة غير المنظورة. فالذين يحبون الله يكونون معروفين وظاهرين. ولكن الحقيقة هي العكس، أن الله هو الذي أحبهم، ولكن محبته لا تكون في العادة ظاهرة. وهم هؤلاء الذين تكلم عنهم في الآية السابقة: «يشفع في **القديسين**». وواضح هنا أنهم الذين يحبون الله، بل بالحري يحبهم الله. والدليل واضح أن روحه يعمل فيهم ويشهد لهم. وسوف نرى في الآية (٢٩) أنهم معروفون لله.

«الذين هم مدعوون حسب قصده»: κατὰ πρόθεσιν κλητοῖς

هنا «**القصد**» πρόθεσις كلمة رسمية تُستخدم في لغة الرسميات. فالدعوة هي بناءً على قانون صادر استوفوا شروطه. وهي طبعاً دعوة الخلاص التي تأتي بعد فحص القلب وتمحيصه جداً. وبولس الرسول يذهب بها بعيداً جداً قبل الزمن:

+ «سبق رجاؤنا في المسيح» (أف ١: ١٢)،
+ «سبق فعيَّننا للتبنّي» (أف ٢: ٥)،
+ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة (نوال منتهى برّ الله)» (أف ١: ٤)،
+ «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة (برّ الله) التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية.» (٢تي ١: ٩)

«للخير»: εἰς ἀγαθόν

في الحقيقة إن كلمة «خير» في أصلها القديم تختص بما على الأرض. ولكن الصالح والصلاح هو السمائي وليس الأرضي. ولكن المترجم العربي وضع هذه الكلمة «للخير» باعتبار أنه يتعامل مع أمور أرضية مُعاكِسة وسيِّئة تتحول حسب تدبير الله ورحمته لخلاصنا إلى صالح سماوي، كما يتضح في آية قادمة: «ما أجمل أقدام المبشِّرين بالسلام المبشِّرين بالخيرات ἀγαθά» (رو ١٠: ١٥). وهنا «الصالحات» هي الخلاص الآتي، ولكنه يأتي على خبرة معاناة وطريق ضيق ودموع وأنين!

وهذه الآية تُعتبر في جملتها قمة أو خلاصة خبرة القديسين على الأرض. وهي كحقيقة ثابتة تُعتبر سِرَّ الحكمة المنفتح على كنوز الله. فالحياة على الأرض بالنسبة للذين آمنوا بالمسيح ونالوا الفداء هي لغز محيِّر. فالعالم من وراء يضطهد ولا يرحم، والرجاء من الأمام يبشِّر بالخيرات المنتظرة. هذا التوتر الشديد الذي يعانيه السائرون على طريق الخلاص، لا يحلُّ لغزه إلاَّ هذه الآية: «كل الأشياء

تعمل معاً للخير». ويكفي أن يقرن بولس الرسول بين أنين الخليقة غير المفدية وأنين المفديين وأنين الروح القدس معاً. هذا بحد ذاته يشرح لنا مدى تداخل الله في العالم بكل أجزائه، وكيف يوصل هذا بذاك، بروحه، ويربط الكل بمستقبل يبشر بالخير!!

من هذه الآية يخرج نغم سماوي يطبِّع الأنين على الأرض بكل صوَرِه على مشيئة الله وقصده!! وكأنما كل شيء لا يعمل من ذاته حتى وإن كان يعمل معاكساً، بل يسير في مسار «حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف ١: ١١)

أنظر إلى ما داخل تركيب جسد الإنسان، وأنت تُذهل من انسجام عمل الأعضاء وآلاف التفاعلات وملايين الخلايا معاً بانسجام يفوق العقل، دون أن يعرف أيُّ عضو ما يعمله العضو الآخر، ولا تعرف أيَّة خلية مدى صلتها بالخلايا الأخرى. ولكن الكل يعمل تحت تكتيك، أي فنّ هندسي، بعقل واحد غير منظور. ثم انظر إلى أجزاء العالم من سماء وأرض وشمس وقمر ونجوم وجاذبية وضغوط وهواء وحرارة ورطوبة وأحياء بالملايين تعيش في جميع أركان العالم في السماء والأرض، والكلُّ يسير سيراً رتيباً، ولا تسمع ولا ترى إلاَّ المحصلة البديعة: الحياة تسير آلاف السنين!!

هذا كله يوحي إلينا أننا لا نعمل ولا نسلك ولا نحيا في عالم مشوَّش، وكأن العوامل المعاكسة يمكن أن تبتلعنا. ولكن الشر محكوم والخير محكوم أيضاً، وتلاقيهما معاً هو تحت قياس، وملاقاتهما للإنسان هي بقدْرٍ ونظام وغاية محسوبة. والمحصَّلة خير عميم لحساب القديسين، ولماذا «القديسين»؟ لأنهم يدركون عمل الله، ويخضعون لمقاصده ونظامه المرسوم، لأنهم يضبطون أنفسهم في حدود نظامه هذا ومشيئته الصالحة. وهكذا يدركهم الصلاح حتى من داخل أشر الشرور!

إن سِرَّ هذه الآية يتوقف على مدى انسجام الإنسان مع تدبير الله وخضوعه تحت مقصده، لأنه يدخل بالضرورة في مسار المشيئة المقدسة ونتائجها. لذلك، فإن مفتاح هذه الآية هي كلمة: «يحبون الله»، بمعنى: السائرون وِفْقَ مسرَّته.

ولكن مقاصد الله الخيِّرة وتدبيره الخير أو نظامه العام في تسيير الأمور ليست قانوناً أصمَّ، بل لكل إنسان تدبيره يقيمه له الله بحسب ظروفه وإمكانياته وضعفه وقوته واحتياجاته وتأديبه وتشجيعه، فالفقر المدقع لإنسان هو التدبير الإلهي الخاص الذي يدفعه للسلوك في طريق الخلاص، والسعة والغنى لآخر هو التدبير الإلهي ليرفعه لمستوى النور المضيء في عالم مظلم بأعماله وإحسانه وبذله وعطائه حتى الافتقار من أجل الله. والسحق والإذلال هو التدبير الإلهي الذي يتوافق مع

إنسان عابث يطلب الخلاص ولا سبيل إليه إلاّ بالانحناء حتى التراب. وهكذا ما يفيد الواحد يضُرُّ الآخر وما يضُرُّ هذا يُسعد ذاك، فتدبير نعمة الله العاملة لتحويل مسار المضادات إلى خيرات تعمل وفق كل فرد بحدّ ذاته. وهكذا يعمل تدبير الله فيما يخص الذين أحبوه بمعادلات وتبادلات قد تحسب بالملايين لكي يخرج من أشر الشرور ما هو خير وصلاح. وعسير على العقل أن يلاحق عناية الله وتدبيره في عمله من أجل الخلاص، يكفي أن يخرج الإنسان بهذه الحقيقة كمعيار يعطيه كل إيمانه وثقته وكل اتكاله وكل سلامه القلبي وينام ملء جفنيه أن: «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله».

علماً بأن الذي يفسد تدبير الله ويعطل عمل غايته وتكميله للإنسان هو التذمر، فحينما يتذمر الإنسان على واقعه أو نصيبه حينئذ يتوقف التدبير الإلهي، ولا يكون هناك مفر أمام عمل غاية الله بالنسبة لذلك الإنسان، إلاّ أن يبقى فيما هو فيه، مما يشتكي منه، ويبقى ثم يبقى إلى أن يبلغ الحد الذي تنتهي عنده التجربة، وهو الانتباه وإدراك مقاصد الله للخير بالشكر والرضى وحينئذ يُرفع إلى ما بعدها. فإن هو أصر على التذمُّر فإن التجربة تتضاعف عليه لينضج تحت نار أشدّ، إن كان الله يريده، ويريد فعلاً أن ينقله إلى درجة أعلى، وإلاّ فإن التجربة تُرفع عنه ليرتد إلى مشيئة نفسه وتتخلى عنه العناية، وينسد أمامه طريق الترقي لبلوغ القصد الإلهي الأسمى. لذلك أصبح الشرط هنا أكثر أهمية وأكثر خطورة، أن الأشياء تعمل معاً للخير- **إنما فقط ــ للذين يحبون الله**، بمعنى للذين أسلموا حياتهم لحبه وفي حبه من كل القلب والفكر والنفس والقدرة، وبالتالي ارتفع من قاموس حياتهم وفكرهم وضميرهم ولسانهم كلمة **التذمر**.

وعلى كلٍّ فإن الآية ٢٨ التي نحن بصددها سوف تُشرح جيداً لأنها وُضِعَتْ هنا تمهيداً لما سيوضحه ق. بولس بدقة في ما يلي:

٨: ٢٩-٣٠ **«لأن الذين سبق فعرفَهم، سبق فعيَّنَهم ليكونوا مُشابِهينَ صورةَ ابنِهِ**
ليكونَ هو بكراً بين إخوةٍ كثيرين.
والذين سبق فعيَّنهم، فهؤلاء دعاهم أيضاً،
والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم أيضاً،
والذين برَّرهم فهؤلاء مجَّدهم أيضاً».

وهنا يشرح ق. بولس ما وضعه في الآية السابقة (٢٨) **«الذين دعاهم حسب قصده»** حيث يبدأ يكشف خطة الله في كيفية التعيين حسب قصده!!

تنبيه:

نحن قادمون مع ق. بولس لتفسير خطوات حياتنا على ضوء عمل نعمة الله بحسب تدبيره من واقع مقاصد برّه الشخصي لضم الإنسان إلى الحياة في المجد معه، بعد الشقاء الذي عاني! فلا تنتظر أيها القارىء السعيد أن يشرح ق. بولس بحسب إلحاح الفكر الفلسفي: كيف، كيف، ولماذا، ولماذا؟ كل هذه ليست واردة هنا، لأن ق. بولس يكشف الغطاء عن **أعمال رحمة** من جانب واحد هو جانب الله فقط، دون أن يتطرق ولو بكلمة واحدة عن كيف يتناسب عمل رحمة الله معنا، وما هي الشروط التي يراها ويريدها الله فينا، ومَنْ الذي يفوز بالاختيار، ومَنْ الذي لا يفوز، وعلى أي أساس يبني الله قانون اختياره؟ وقانون تعيينه؟ هذه كلها حتى ولو شرحها لنا الله بنفسه فلن نستفيد منها شيئاً البتة، وإلاّ كان قد شرحها!!

ولكن الذي يلزم أن نحدد أنفسنا فيه لنفهم هذا المسلسل البديع لعمل تدبير الله، **هو أن نتيقن أننا مختاروه ومدعووه وأحباؤه الذين برَّرهم والذين ينوي أن يمجدهم أيضاً، وليس ذلك الآن فحسب بل «ومن قبل إنشاء العالم»، وهذه هي مسرة الله من نحو الخطاة. إذاً يكفي أن نتيقن أننا نحن المقصود بهم الخطاة، لكي نتيقن أننا المدعوون، والمختارون أيضاً مائة بالمائة!** هذا هو منتهى أمل ق. بولس من هذا التعليم؛ كون برّ الله هو للخطاة والفجّار!! ونحن أولهم! فنحن الأحق بالاختيار والدعوة لأننا أكثر الخطاة اعترافاً بخطايانا!!

أما علامة أننا فعلاً معروفون عنده ومعيَّنون ومدعوون ومبرَّرون فهو أن يكون الروح القدس **قد أقنعنا أننا خطاة!** وتمسكنا نحن بهذا الاقتناع، وقبلنا أن ندخل تحت التدبير المجاني!! الذي أول عمل له، أي تدبير نعمة الله لنا، هو أن يضيء فكرنا بالمسيح: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده»، حيث يأتي وراءها: «يا رب ماذا تريد أن أفعل» (أع ٩: ٥و٦)! هكذا ابتدأت سيرة جميع القديسين!!

كذلك من هذا المسلسل الرتيب في هاتين الآيتين يظهر لنا أن تدبير الله لا يأتي جزافاً دون تنسيق من طرفه، فعندما تعيَّن أن يكون ابن الله إنساناً، تعيَّن أن يكون له بين الناس إخوة يشابهونه في كل شيء، لكي عندما يظهر يكون بكراً بين إخوة كثيرين. وعندما تعيَّن أن يكون بيننا نحن البشر مَنْ يشابهون ابن الله، صار ذلك مسبقاً بين الذين عرفهم الله قبل أن يولدوا: «قبلما صوَّرتُك في البطن عرفتك وقبلما خرجتَ من الرحم قدَّستُك.» (إر ١: ٥)

«لأن الذين "سبق فعرفهم" سبق فعيَّنهم»: προέγνω, προώρισε

واضح أن ذهن ق. بولس متأثر بالترتيب الكنسي الليتورجي: فمن الذين **تعرفهم** الكنيسة جيداً **تدعوهم** للمهام. والذين **تدعوهم** تُجري عليهم طقس الرسامة أي التقديس أي حمل بر الله، أي **تبرِّرهم** والذين **تبرِّرهم تُجلسهم** على كراسي التعليم وتُضفي عليهم هالة من **التمجيد**.

هنا **سبق التعيين** هو على قياس الرسامة أو تحديد الوظيفة أو الهبة الروحية كما جاءت في الرسالة إلى أفسس: «**إذ سبق فعيَّننا** للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته.» (١: ٥)

حيث سَبْق التعيين يأتي قبله بالضرورة **سبق المعرفة** وهي المساوية **للاختيار:** «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» (أف١: ٤). **فاختيار الشخص** المناسب لوظيفة الكاهن الذي هو نتيجة معرفتنا له جيداً يتم قبل تعيينه أي رسامته. **فالمعرفة تأتي قبل التعيين.**

يلاحظ في هاتين الآيتين أن الغرض الأساسي عند ق. بولس فيهما هو تقصِّي حقيقة هؤلاء الذين «**يحبون الله**»، من أين جاءوا وإلى أين هم واصلون!! فهو يرى أن أعضاء الخليقة المفدية الذين لهم باكورة الروح الذين صاروا في المسيح بالإيمان واتحدوا بالمسيح في المعمودية وماتوا معه وقاموا لمَّا مات وقام، هؤلاء لم يُلقِ بهم التاريخ في طريق المسيح جزافاً، ولا أعطاهم العالم هدية منه إلى المسيح، بل هم كانوا مع المسيح قبل أن يظهر المسيح ولمّا تعيَّن ابن الله للخلاص في الأزمنة الأزلية تعيَّنوا فيه للخلاص، ولما تقرر أن يلبس صورة إنسان ويصير ابن الإنسان تقرر أن يلبسوا هم أيضاً معه صورة بُنوَّته لله، ويصيروا أبناء الله. فالخلاص لمّا تقرر، تقرر معه المخلِّص والمخلَّصون والمقدِّس والمقدَّسون. ولما رُسم الفادي، رُسم معه المفديُّون: «**باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبني** بيسوع المسيح لنفسه حسب **مسرة مشيئته** ... الذي فيه أيضاً **نلنا نصيباً مُعيَّنين سابقاً حسب قصد** الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته ... نحن الذين **قد سبق رجاؤنا في المسيح**.» (أف١: ٣ـ٥و١١و١٢)

وعندما يستقر ق. بولس معنا أننا هكذا نحن مبارَكون سابقاً من السماء وأن لنا تاريخاً مع المسيح في الفداء قبل التاريخ وقبل تأسيس العالم، وأننا تعيَّنَّا أن نكون قديسين و بلا لوم قدامه، وأن رجاءنا الذي نعيش به الآن قد سبق وأن مُنح لنا قبل أن نكون، حينئذ ننتبه أن جهادنا الآن وآلامنا وضيقاتنا التي نوجد فيها كل يوم هي محسوبة على قدر الغاية والقصد الذي تم به اختيارنا وتعييننا وتقديسنا في المسيح قبل أن نوجد. فآلامنا ليست جزافاً وضيقاتنا مهما بلغت حدود الاختناق والموت محسوبة، ولا تأتينا كأنها بلا ترتيب أو تدبير أو كأنها خارج قصد ومسرة مشيئة

الله؛ بل هي في صميم خلاصنا موضوعة، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالغاية النهائية التي سنبلغها في المسيح. وهكذا كل الآلام والضيقات لا تأتينا من خلف كأنها خلسة، ولكنها تعترضنا من الأمام بكل جراءة **وكأنها آلام وضيقات رسمية أخذت حق العراك والمواجهة معنا، تماماً كما أخذنا حق نوال الخلاص والفداء مع المسيح**. فالآلام ليست غريبة عنّا، كالخلاص تماماً، فهو ليس غريباً علينا. فإن كان لنا حق الخلاص والفداء، فللآلام حق الصدام معنا. فإن استكثرنا الآلام، استُكثر الخلاص علينا. فإن أقبلنا على الآلام بالرضى والشكر، أقبل علينا الخلاص بنفس الرضى والسرور من قِبَل معطيه. بل نستطيع أن نقول للذين عرفوا هذا السر الآن أنه قد حقَّ لنا أن نُقْبِل على الآلام والأحزان والضيقات التي يلقيها علينا العالم وكأنها **غنيمة**، لأننا بها نغتنم الخلاص والملكوت. فإن أردنا أن نغتصب الملكوت ونختطفه، فعلينا أن نجري وراء الآلام وكأننا نغتصبها لأنفسنا. فآلام الصليب محبوبة بل معشوقة عند مُحبِّي الخلاص! وإن كان في هذا تهويل، فهو تهويل صادق والذي قال به هو المسيح: «مَنْ أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مر٨: ٣٤). ومن هذا المنطلَق يقول يعقوب الرسول: «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة.» (يع١: ٢)

«مشابهين صورة ابنه»:

هكذا يولدون أبناءً لله على صورته بالمعمودية في شركة الموت، ويصيرون إخوة على صورته بالقيامة حيث يكون المسيح بينهم كبكر قائم من الموت بين إخوة قائمين معه من ذات الموت: «الذي هو البداءة بِكْرٌ من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء.» (كو١: ١٨)

على أن التحوُّل إلى صورة المسيح لا يكون الآن وفي هذا العالم بحسب الصورة في المجد؛ بل بحسب الصورة على الصليب التي هي في الوضع الإسخاتولوجي هي هي صورة المجد بعينه. فالآلام ـ بحسب تعليم الإنجيل ووصاياه ـ هي التي تعطينا صورة المسيح التي نحن في أشد الحاجة إليها: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل٤: ١٩)

ولكن ق. بولس في الحقيقة يركِّز على الوضع النهائي الذي نبلغه من تحقيق صورة المسيح: «نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨)، «ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو٣: ١٠)

لأن منتهى قصد ق. بولس في إعطائنا صورة المسيح هو التأكيد على كمال بر الله الممنوح للإنسان لبلوغ هذا المنتهى، لأن في هذا تكميل مشيئة مسرة الله من نحو الإنسان الذي استكفى شقاءً:

«لأن الذين "سبق فعرفهم" سبق فعيَّنهم»: προέγνω, προώρισε

واضح أن ذهن ق. بولس متأثر بالترتيب الكنسي الليتورجي: **فمن الذين تعرفهم** الكنيسة جيداً **تدعوهم** للمهام. والذين **تدعوهم** تُجري عليهم طقس الرسامة أي التقديس أي حمل بر الله، أي **تبرِّرهم** والذين **تبرِّرهم تُجلسهم** على كراسي التعليم وتُضفي عليهم هالة من **التمجيد.**

هنا **سبق التعيين** هو على قياس الرسامة أو تحديد الوظيفة أو الهبة الروحية كما جاءت في الرسالة إلى أفسس: «**إذ سبق فعيَّننا** للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته.» (١:٥)

حيث سَبْق التعيين يأتي قبله بالضرورة **سبق المعرفة** وهي المساوية **للاختيار:** «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» (أف١:٤). **فاختيار الشخص** المناسب لوظيفة الكاهن الذي هو نتيجة معرفتنا له جيداً يتم قبل تعيينه أي رسامته. **فالمعرفة تأتي قبل التعيين.**

يلاحظ في هاتين الآيتين أن الغرض الأساسي عند ق. بولس فيهما هو تقصِّي حقيقة هؤلاء الذين «**يحبون الله**»، من أين جاءوا وإلى أين هم واصلون!! **فهو** يرى أن أعضاء الخليقة المفدية الذين هم باكورة الروح الذين صاروا في المسيح بالإيمان واتحدوا بالمسيح في المعمودية وماتوا معه وقاموا لمَّا مات وقام، هؤلاء لم يُلقِ بهم التاريخ في طريق المسيح جزافاً، ولا أعطاهم العالم هدية منه إلى المسيح، بل هم كانوا مع المسيح قبل أن يظهر المسيح ولمَّا تعيَّن ابن الله للخلاص في الأزمنة الأزلية تعيَّنوا فيه للخلاص، ولما تقرر أن يلبس صورة إنسان ويصير ابن الإنسان تقرر أن يلبسوا هم أيضاً معه صورة بُنوَّته لله، ويصيروا أبناء الله. فالخلاص لمَّا تقرر، تقرر معه المخلِّص والمخلَّصون والمقدِّس والمقدَّسون. ولما رُسم الفادي، رُسم معه المفديُّون: «**باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبني** بيسوع المسيح لنفسه حسب **مسرة مشيئته** ... الذي فيه **أيضاً نلنا نصيباً مُعيَّنين سابقاً حسب قصد** الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته ... نحن الذين قد سبق **رجاؤنا في المسيح.**» (أف١: ٣ــ٥و١١و١٢)

وعندما يستقر ق. بولس معنا أننا هكذا نحن مبارَكون سابقاً من السماء وأن لنا تاريخاً مع المسيح في الفداء قبل التاريخ وقبل تأسيس العالم، وأننا تعيَّنَّا أن نكون قديسين وبلا لوم قدامه، وأن رجاءنا الذي نعيش به الآن قد سبق وأن مُنح لنا قبل أن نكون، حينئذ ننتبه أن جهادنا الآن وآلامنا وضيقاتنا التي نوجد فيها كل يوم هي محسوبة على قدر الغاية والقصد الذي تم به اختيارنا وتعييننا وتقديسنا في المسيح قبل أن نوجد. فآلامنا ليست جزافاً وضيقاتنا مهما بلغت حدود الاختناق والموت محسوبة، ولا تأتينا كأنها بلا ترتيب أو تدبير أو كأنها خارج قصد ومسرة مشيئة

الله؛ بل هي في صميم خلاصنا موضوعة، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالغاية النهائية التي سنبلغها في المسيح. وهكذا كل الآلام والضيقات لا تأتينا من خلف كأنها خلسة، ولكنها تعترضنا من الأمام بكل جراءة **وكأنها آلام وضيقات رسمية أخذت حق العراك والمواجهة معنا، تماماً كما أخذنا حق نوال الخلاص والفداء مع المسيح.** فالآلام ليست غريبة عنا، كالخلاص تماماً، فهو ليس غريباً علينا. فإن كان لنا حق الخلاص والفداء، فللآلام حق الصدام معنا. فإن استكثرنا الآلام، استُكثر الخلاص علينا. فإن أقبلنا على الآلام بالرضى والشكر، أقبل علينا الخلاص بنفس الرضى والسرور من قِبَل معطيه. بل نستطيع أن نقول للذين عرفوا هذا السر الآن أنه قد حقَّ لنا أن نُقْبِل على الآلام والأحزان والضيقات التي يلقيها علينا العالم وكأنها **غنيمة**، لأننا بها نغتنم الخلاص والملكوت. فإن أردنا أن نغتصب الملكوت ونختطفه، فعلينا أن نجري وراء الآلام وكأننا نغتصبها لأنفسنا. فآلام الصليب محبوبة بل معشوقة عند مُحبِّي الخلاص! وإن كان في هذا تهويل، فهو تهويل صادق والذي قال به هو المسيح: «مَنْ أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مر٨:٣٤). ومن هذا المنطَلَق يقول يعقوب الرسول: «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة.» (يع١:٢)

«مشابهين صورة ابنه»:

هكذا يولدون أبناءً لله على صورته بالمعمودية في شركة الموت، ويصيرون إخوة على صورته بالقيامة حيث يكون المسيح بينهم كبكر قائم من الموت بين إخوة قائمين معه من ذات الموت: «الذي هو البداءة بِكْرٌ من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء.» (كو١:١٨)

على أن التحوُّل إلى صورة المسيح لا يكون الآن وفي هذا العالم بحسب الصورة في المجد؛ بل بحسب الصورة على الصليب التي هي في الوضع الإسخاتولوجي هي هي صورة المجد بعينه. فالآلام ــ بحسب تعليم الإنجيل ووصاياه ــ هي التي تعطينا صورة المسيح التي نحن في أشد الحاجة إليها: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل٤:١٩)

ولكن ق. بولس في الحقيقة يركِّز على الوضع النهائي الذي نبلغه من تحقيق صورة المسيح: «نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣:١٨)، «ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو٣:١٠)

لأن منتهى قصد ق. بولس في إعطائنا صورة المسيح هو التأكيد على كمال بر الله الممنوح للإنسان لبلوغ هذا المنتهى، لأن في هذا تكميل مشيئة مسرة الله من نحو الإنسان الذي استكفى شقاءً:

+ «وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي.» (١ كو١٥: ٤٩)
+ «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢١)
+ «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون؛ ولكن نعلم أنه إذا أُظهر، **نكون مثله** لأننا سنراه كما هو.» (١يو٣: ٢)

كل هذا يوضِّح أن الخلاص والفداء الذي أكمله المسيح لحساب برِّ الله المُعطَى لنا سينتهي بأن نأخذ صورة المسيح في المجد: «لنكون مشابهين صورة ابنه». والقديس بولس يهدف من هذا أن يجمع البشرية المفدية معاً ومع المسيح في وضعها النهائي المتبرر ببرِّ الله وقد أصبحت كلها ولها صورة ابنه! هذه غاية الله العظمى من أجل الإنسان التي تكشف مدى الحب الشديد الذي برَّح بقلب الله من نحو جبلته التي خلقها يوماً على صورته وقد آل على نفسه أن يعيدها إلى أكثر مما كانت، قُرْباً إليه وشَبَهاً به، وإقامةً سعيدةً مخلَّدةً في حضرته العليا.

«ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين»: πρωτότοκος

في الحقيقة إن لقب **«بكر»** أعطي للمسيح خُلْواً من ولودة أو ميلاد وخلواً من نسل أو تناسل، قد أعطاه الوحي هذا اللقب خالصاً مخلصاً على فم داود دون سابقة: **«هو يدعوني أبي أنت، إلهي وصخرة رجائي، أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض.»** (مز٨٩: ٢٦و٢٧)

إذاً فلقب البكر يحمل معنى **«الابن الوحيد القدوس»**، لأن هذه صفة البكر. والله لم يدعُ بهذا اللقب أحداً قبله ولا أحداً بعده، **فهو** «البكر الوحيد أو الابن الوحيد البكر». هذا بحسب تقنين الله في تسمية المسيا ولقبه. ويُلاحظ الجمع بين الاثنين فإنه يعطي انطباعاً قوياً على معنى البكر: «هو يدعوني أبي أنت وأنا أجعله بكراً». **فهو إذاً ابن الله البكر القدوس.**

هذا هو الأصل في تسمية المسيح بـ «البكر»، **فهي تسمية إلهية وليست تحصيل ولودة**، وقد شاعت هذه التسمية أو هذا اللقب بالنسبة للمسيا حتى قبل أن يتجسد المسيح أو يولد.

والسؤال: لماذا أعطى الله المسيا الآتي لقب «البكر»، وما هي جذور هذه التسمية تاريخياً؟

الأصل في هذه التسمية هو أن الله أعطاها لإسرائيل أولاً أول ما أعطى، دون سابق مفهوم عن ولادة أو تقديس لفاتح الرحم، لأن هذا اللقب أعطاه الله لإسرائيل قبل أن يعطي الناموس، وبالتالي قبل أن يحدد مَنْ هو البكر للإنسان وطقس تقديسه لله. «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب **إسرائيل ابني البكر**، فقلت لك: أطلقْ ابني ليعبدني ...» (خر٤: ٢٢و٢٣). ليلاحظ

القارىء هنا باهتمام أن الله يدعو إسرائيل الشعب ابنه البكر. هنا لا مجال لميلاد ولا ولودة. هذا الشعب أخذ صفة «الابن البكر لله» دون أن يكون له مع الله أية علاقة جسدية أو روحية بعد تستوجب هذا اللقب. فالتسمية من جانب واحد وهو الله، **كأول خطوة من جهته في تبني الإنسان والتي ستتم في المسيح.**

ومعروف أن «المسيا» صار هو **«إسرائيل الجديد»** الذي انتقل إليه اللقب من التعبير عن الجنس اليهودي إلى المسيا الذي يمثله بالروح. **فصار المسيا هو «ابني البكر»!!**

فلما وُلد المسيح من العذراء كان هو الابن البكر، لا لأنه فاتح رحم كما يقول الناموس؛ بل لأنه كان الابن الوحيد، فالعذراء ولدته كما حملت به بسر إلهي يفوق الطبيعة. وهكذا انطبق اللقب الإلهي للمسيا الابن البكر لله مع الواقع البشري الابن البكر للإنسان، وصار ذلك المفهوم معروفاً للإنجيليين والتلاميذ: «المسيح الابن البكر الأزلي لله».

أما الوصية: «وكلم الرب موسى قائلاً: **قدِّس لي كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل ... إنه لي**» (خر١٣: ٢)، فتكاد تكون هي الصورة المنحدرة من تسمية الله لإسرائيل قبلاً كشعب، باعتبار أن كل بكر يمثل الأسرة وبالتالي الإنسان ككل يمثل شعب إسرائيل. لذلك فإن اللقب الأول الذي أعطاه الله لإسرائيل يُعتبر هو الأصل الثابت الوحيد لكلمة **«البكر»، لأن البكر هنا هو بكر الله** أصلاً وليس بكر الإنسان: «إسرائيل **ابني البكر!**» (خر٤: ٢٢)

والله ليس جزافاً لقَّب شعب إسرائيل أصلاً بـ **"ابني البكر"**، فهو الشعب الذي سيولد منه المسيا، فالشعب أخذ مقدَّماً لقب الابن الحقيقي لله الذي سيولد منه، وكأنما عطْفُ الله على الشعب وإعطاؤه لقب ابنه الخاص الذاتي، كان من واقع صلة الله بالمسيا المتمثِّل أمامه والذي يمثل الشعب بالحقيقة وسينوب عنه.

ولأن المسيح هو ابن الله، وهو الابن الوحيد "المونوجانيس"، فهو حتماً بكر! فـ «بكر» هنا هو **«لقب الوحيد»** لقب المونوجانيس! إذاً البكر والمونوجانيس كلمتان ذات مدلول واحد، فالبكر بالنسبة لله معناه الابن الوحيد، ولأنه الابن الوحيد فهو بكر! بهذا يكون مفهوم البكر بالنسبة للمسيا هو الابن الوحيد القدوس لله. البكر كلقب والوحيد كصفة جوهرية. من هنا جاء لقب البكر والوحيد μονογενής, πρωτότοκος بالنسبة للمسيح.

ثم نأتي إلى علاقة المسيح ابن الله البكر والوحيد بالمفديين. نجد أن بولس الرسول يقول:

«الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا **أولاد الله**، فإن كنا أولاداً فإننا **ورثة أيضاً. ورثة الله ووارثون مع المسيح**» (رو٨: ١٦و١٧). **لماذا؟** لأن المسيح (المسيا) ابن الله «البكر» والوحيد يتحتم أن يكون بحسب المنطق عندنا وارثاً لأبيه. فالآن نحن إذ صرنا أولاداً لله، فقد صرنا ورثةً لله بالضرورة مع الابن البكر الوحيد. ونحن صرنا أولاد الله ليس بدون المسيح؛ بل باتحادنا بالمسيح، لأننا صرنا **شركاءَ في بنوته لله**، الله نفسه تبنانا في ابنه وبذلك صرنا **أيضاً شركاء بكوريته لله وشركاء ميراثه**. لهذا سُمِّي المفديون باعتبارهم الكنيسة، بـ**"كنيسة الأبكار"**: «كنيسة أبكار مكتوبين في السموات.» (عب١٢: ٢٣)

لذلك حينما يقول ق. بولس: «بكر بين إخوة كثيرين»، **فهي أيضاً** تعني بكر على كنيسة أبكار. فكما تحوَّل لقب إسرائيل كـ **«بكر»** من الشعب («ابني البكر») **إلى المسيا، هكذا** انتقل لقب الشعب من إسرائيل إلى الكنيسة إلى المفدين بدم البكر **«كنيسة أبكار»**.

ثم بالعودة إلى اللقب الإلهي الممنوح للمسيا: **«أنا أجعله أيضاً بكراً "أعلى" من ملوك الأرض»** (مز٨٩: ٢٦و٢٧)، نرى هنا لقب البكر يعلو ويفوق على ملوك الأرض، وبهذا المعنى والأسلوب تماماً يقول ق. بولس: **«بكر كل خليقة»** (كو١: ١٥)، **بمعنى "أعلى من كل خليقة" كونه «بكر الله»**. فإن صلته العليا بالله كابن بكر تفوق وتعلو وتسمو على كل خليقة.

وهكذا نجد على المدى أن صفة البكر تبدأ تأخذ معنى الأعلى والأسبق والأول بعيداً عن مفهوم البكر بالنسبة للبنوَّة. فيُقال هكذا: **«بكر من الأموات»**. هنا تراجعت صفة البكر من تلازمها مع الابن وأخذت تلازمها على أساس الأسبقية والأولوية. كذلك فإن: «بكر كل خليقة» هنا تعني الأولوية والأسبقية، وفي نفس الوقت السيادة والميراث، لأن **«البكر» كصفة للمسيح ابن الله** ترجع نسبتها لله وليس للخليقة. من هنا جاء قول سفر العبرانيين: «جعله وارثاً لكل شيء»، لأنه ابنه بالطبيعة، ولأنه «بكره باللقب». **فهو سيد الخليقة ووارثها.**

ويلاحظ بحسب أبحاث العالم لايتفوت أن جميع آباء القرنين الثاني والثالث نسبوا صفة البكر للمسيح قبل تجسده – أي بالنسبة للاهوته وليس لناسوته – كما جاء في مزمور ٨٩. مثل القديسين يوستين وثاؤفيلس واكليمندس الإسكندري والعلاَّمة ترتليانس وهيبوليتس وأوريجانس وكبريانس ومجمع أنطاكية(٥).

5. Lightfoot, *Ep. Coloss.*, *ad. loc.* (1.5).

ولكن بعد قيام هرطقة أريوس اضطر الآباء بسبب تمسك أريوس بعبارة «بكر كل خليقة» كذريعة لادعائه أن المسيح مخلوق مثلها، أن ينسبوا «بكر كل خليقة» إلى وضع الناسوت أي ميلاده كبكر العذراء. وهذا أضعف الإيمان، مع ضرورة رفع بالتالي معنى **«كل خليقة»** هنا إلى **معناها الروحي** أي «خليقة روحية». وهنا جاءت بالتوازي مع «بكر بين إخوة كثيرين» التي نحن بصددها (رو٨: ٢٩)، «إذاً إن كان أحد في المسيح **فهو** "خليقة جديدة"، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥: ١٧). «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل **"الخليقة الجديدة"**» (غل٦: ١٥). وبكر الخليقة الجديدة واضح في قيامة يسوع المسيح من الأموات، **فهو** كان أول، أو بِكْر الراقدين الذي قام بخليقة جديدة: «هو البداءة بكر من الأموات.» (كو١: ١٨)

ولكن من واقع وضع لقب البكر في مواضع هامة وحساسة جداً كما جاءت في الأسفار، فإنه كلقب لا يحتمل قط نسبته إلى الناسوت بأي حال من الأحوال كما جاء: «وأيضاً متى أدخل "البكر" إلى العالم يقول: **ولتسجد له كل ملائكة الله** ... أما عن **الابن** كرسيك يا أللهُ إلى دهر الدهور» (عب١: ٦و٨). هذا عن تجسده، **فهو** صاحب لقب "بكر" قبل تجسده!!!

فالآن وبعد أن استوفينا علو معنى البكر كلقب كرامة للمسيح منسوب إلى الله «ابني البكر»، نفهم من هذا قصد ق. بولس تماماً لماذا يقول: «سبق فعرفهم، وسبق فعيَّنهم» مع بقية الإجراءات الأخرى في الآية (٣٠). إنه بررهم ومجَّدهم أيضاً، كل هذا ليكونوا مشابهين صورة الابن ويكون الابن «بكراً بين إخوة»، نُظَراء في القداسة والمجد والبنوة لله. هذا كله ليبلغ ق. بولس مقصده النهائي في إعطاء صورة كاملة لما عمله الله بمنح برِّه الخاص لنا في شخص يسوع المسيح، حتى إننا بلغنا برحمة الله ونعمته وبره إلى مستوى المسيح حتى في المجد.

وليلاحظ القارىء أن بداية خلقة الإنسان كانت على «صورة الله خلقهم ذكراً وأنثى» (تك١: ٢٧)! وقد كان أن الإنسان بعد السقوط فقد القدرة أن يكون على صورة الله في شيء. فالآن إذ قد أكمل المسيح عمله واستطاع الله أن يعيد لنا صورتنا بأن نكون مشابهين صورة ابنه وأن يصبح هو البكر بين إخوة متناظرين، فقد تمت معجزة الله العظمى وأكمل الله قصده الأزلي ونجح بر الله في إعادة الإنسان إلى صورة الله في المجد.

٨: ٣١ **«فماذا نقولُ لهذا؟ إن كان الله معنا فمَنْ علينا».**

ق. بولس يختم الأصحاحات السالفة التي تتكلم عن العقبات والآلام والأعداء، فبعد أن أوضح كيف أن الله سبق فعرفنا وسبق فعيَّنَنَا لنكون مشابهين لصورة ابنه في القداسة والحق وفي المجد أيضاً باعتبار ما سيكون من واقع امتلاكنا للمسيح وامتلاك المسيح لنا بالتجسد ثم بالشركة في موته وقيامته والحياة الجديدة وعطية الروح القدس، يقول الآن إن كان الله هكذا معنا أو على الأصح لغوياً «لنا» أو حرفياً «في صفِّنا ὑπὲρ ἡμῶν »، فمن ذا الذي يمكن أن يكون **ضدنا** καθ' ἡμῶν؟ والمعنى واضح أنه إن قامت ضدنا كل العوامل المعاكسة والقوى المضادة وكل الآلام بأنواعها فماذا تصنع ضدنا وماذا تكون النتيجة إن كان الله نفسه معنا وفي صفنا؟

أما كيف أن الله معنا فقد أوضحه سابقاً، سواء بالاتحاد بالمسيح أو بسُكْنى الروح القدس ولكنه يضيف على ذلك قوله:

٨: ٣٢ **«الذي لم يُشْفِقْ على ابنِهِ بل بذلَه لأجلنا أجمَعِينَ كيف لا يَهَبُنا أيضاً معه كلَّ شيءٍ؟»**

هنا ق. بولس يجيب إجابة عامة عن السؤال الاستنكاري الذي قدمه في الآية السابقة، ولكنه يضعه في صورة معلومة مقطوع بها وكبديهية لا يشك فيها أحد، ولكنها عميقة ومتسعة، فالله بذل ابنه لأجلنا أجمعين يعني كل الخلاص والفداء أي كل الإنجيل.

ويلاحظ هنا أن ق. بولس يستعير كلام الله لإبراهيم عندما **لم يشفق على ابنه وحيده** حيث جاء التطابق باليونانية واضحاً: «وقال: بذاتي أقسمتُ، يقول الرب، إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم **تمسك ابنك وحيدك** = οὐκ ἐφείσω τοῦ υἱοῦ σου » (تك٢٢: ١٦)، هكذا وضعها بولس: «الذي **لم يشفق على (يمسك) ابنه** = υἱοῦ οὐκ ἐφείσατο ». لذلك عندما أضاف ق. بولس: « كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء»، وضح أنها المقابل لما قال الله لإبراهيم واعداً له بالبركة: «أُباركُك مباركةً ... **ويرث نسلك باب أعدائه**.» (تك٢٢: ١٧)

والمعنى مختف ولكنه واضح المضمون. فقول ق. بولس: « كيف لا يهبنا معه كل شيء» تعرج كردٍّ على أنه إنْ كان الله معنا أو في صفِّنا **فمن علينا**. هنا تلميح للأعداء، وهكذا تأتي في المقابل المحكم بقول الله لإبراهيم: «**ويرث نسلك باب أعدائه**». إذاً فقول ق. بولس: « كيف لا يهبنا معه كل شيء»، وإن كانت قد جاءت بمفهوم العطاء الإيجابي بالبركة ولكنها تضمن أيضاً أنه

يهبنا النصرة بكل أنواعها على الآلام والمضايقات والمعاكسات التي يسوقها العالم ضدنا. وهذا سيتضح جداً بعد ذلك في ذكر ق. بولس لكل أنواع الضيقات التي يمكن أن تخطر على البال.

٨: ٣٣ــ٣٥ **«مَنْ سيَشْتكي على مُختاري الله؟ الله هو الذي يبرِّرُ!**
مَنْ هو الذي يَدِينُ؟ المسيحُ هو الذي ماتَ بل بالحريِّ قامَ أيضاً الذي هو
أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يَشفعُ فينا.
مَنْ سيفصِلُنا عن محبةِ المسيح؟ أشدَّةٌ، أم ضيقٌ، أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم
عُريٌ أم خَطرٌ أم سَيف؟».

هنا ق. بولس في هذه الثلاثة الأسئلة الاستنكارية ــ وكأنها أسئلة مستحيلة ــ التي يسألها والرد حاضر في التوعليها، يجمع فيها كل أنواع خصوم الإنسان المسيحي **الشيطان، والناس الأعداء، والضيقات مع المخاطر** وتهديد الموت، ولكن في مواجهتها جميعاً يضع «إن كان الله معنا» فهو يبدأ بالذي يشتكي على مختاري الله، وواضح أنه هو الشيطان: «فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله ... وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء ... قد طُرح **المشتكي على إخوتنا** الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً.» (رؤ١٢: ٩و١٠)

ويأتي هنا الرد على السؤال الاستنكاري بخصوص أن الشيطان يشتكي علينا، بأن الله هو الذي يبرر مقابل الذي يشتكي. بمعنى أن الله **ليس فقط يبرىء** المشكو في حقه من الشيطان بل **والله نفسه موجود فينا: «إن كان الله معنا»، ويزيد بأنه يبرره** بمعنى يمنحه بره الخاص، أي نعمته المجانية. وهكذا أصبحت شكوى الشيطان ليست لاغية وحسب بل إنها مستحيلة شرعاً لأن في مقابلها ينال المختار من الله مزيداً من نعمته.

والسؤال الثاني: **مَنْ الذي يدين؟** هذا سؤال مستحيل في نظر ق. بولس، لأن المسيح خلَّصنا ورفع الدينونة. ولكن إن كان الذي يدين هم الناس الأعداء والإخوة الكذبة، فالرد وماذا تكون قيمة دينونة الناس والذي سيدين الجميع هو المسيح الذي مات من أجلنا وقام وهو الآن عن يمين الله يشفع فينا منذ الآن؟ وهنا تكون استحالة أية دينونة تجوز علينا الآن وحتى في المستقبل والمسيح قد رفع عنا الدينونة بموته وقيامته، وهوذا الآن يشفع أيضاً فينا!

والسؤال الثالث: **«مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح (إن كان الله معنا)؟ أشدة أم ضيق أم**

اضطهاد أم جوع أم عُرْي أم خطر أم سيف، كما هو مكتوب، إننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا (أو يمكن أن تُقرأ أفضل: نحن أعظم من منتصرين) بالذي أحبنا». فكل هذه الآلام والأوجاع والضيقات حتى تهديد الموت يقابلها: «إن كان الله معنا»!! أو «نصيبي هو الرب قالت نفسي» (مز٣١: ٢٤).

فكل أوجاع وضيقات وهموم العالم إذا وُضعت في كفة، وفي الأخرى كان «نصيبي هو الرب قالت نفسي» فقد صارت الأولى كلا شيء. بل كما قال ق. بولس أيضاً إن في هذه الميتات التي نموتها كل يوم وقد حُسِبْنا كغنم للذبح، نصير أعظم من منتصرين. أما كيف نصير أعظم من منتصرين فلأن الانتصار على الضيقات وراؤه مجد، ووراؤه عزاء بالله يفوق الوصف، ووراؤه وجود في حضرة الله وثقة بالمجد الآتي.

«مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟»:

محبة المسيح هنا هي **محبتنا نحن للمسيح**، لأن الضيقات والمشقات هي موجهة إلينا أصلاً من هذا العالم لكي تفصلنا عن المسيح وبالتالي عن محبته، فهي كلها مصوَّبة نحو إيماننا به وحبنا له.

فكل هذه الصنوف من الضيقات التي وإن بلغت حدود الموت، حتى وكل يوم، فإننا نجوزها منتصرين بسبب المحبة التي يسكبها فينا فتلاشي كل عداوات الدنيا من عيوننا وقلوبنا، فمحبتنا له تجعلنا لا نحتمل فقط بل ونفرح بل ونفتخر في الضيقات، ومحبته لنا تجعلنا نغلب.

«أشدة»: θλῖψις

وهي الضغطة وأصلها من θλίβω أي يضغط بالظلم والاضطهاد للاختناق. والتي يراد بها أن ننتهي إلى الشقاء.

«أم ضيق»: στενοχωρία

وهي قريبة من سابقتها ولكنها أعنف وأشد تضييقاً وتفيد المحاصرة، وهي أصلاً من جزئين στενός أي ضيِّق (وتأتي بمعنى مستقيم)، و χῶρος تعني مكان، أي محاصرة الإنسان في مكان ضيق لا يفلت منه.

«اضطهاد»: διωγμός

وهي أصلاً من διώκω وتعني يتعقب ليلحق به (الأذية) للتحطيم.

«جوع»: λιμός

وهي من الفعل λείπομαι أي تُرك أو سقط أو خاب أو انحط وتأتي بمعنى انقطاع كل موارد الحياة، والجوع ضمناً.

«عُري»: γυμνότης

وهي تعني بلا أي ثوب وأصل الكلمة باليوناني يعني لم يبقَ فيه إلا أعضاء (عارية) = γυμνὰ μόνα ἔχων

«خطر»: κίνδυνος

حالة بلوغ أقصى الحيرة والاضطراب والفزع والإزعاج وهي مشتقة من κινεῖ τὰς ὀδύνας = يحرّك (أي يولّد) الآلام وتفيد الكرب مع الغم.

«سيف»: μάχαιρα

وتفيد **الذبح**. أي القضاء المبرم على الحياة بإطاحة الرأس من فوق الرقبة! وهي تشير إلى عقوبة السلطان، فكلمة "السيف" في هذه الرسالة تفيد عموماً السلطة العليا (رو١٣: ٤).

٨: ٣٦ **«كما هو مكتوب إننا من أجلك نُماتُ كلَّ النهارِ. قد حُسِبنا مثلَ غنمٍ للذبح».**

المكتوب هنا هو المزمور ٤٤: ٢٢: «لأننا من أجلك نُمات اليوم كله قد حُسبنا مثل غنم للذبح»، وقد نقله ق. بولس بالنص. وهو صورة نبوية منذ القديم عما يقدِّمه العالم لأولاد الله في كل زمان.

٨: ٣٧ **«ولكننا في هذه جميعها يعظمُ انتصارُنا بالذي أحبَّنا».**

حياة المسيحي لم تعد عُرضة لتيارات العالم لكي تهبط تحت ثقله وترتفع بناءً على رحمته الكاذبة، بل هي دائماً منتصرة وأعظم من منتصرة في الضيق كما في السعة لا فرق: «لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (رو١٤: ٨). لقد انتقلت سيرة المسيحي من سجلات الزمن الذي يرفع ويذلّ إلى سجلات السماء المرفوعة دائماً في يمين العلي:

+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات.» (في٣: ٢٠)
+ «مَنْ لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض.» (مز٧٣: ٢٥)

+ **«في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم.»** (يو١٦: ٣٣)

أنظر أيها القارىء وتمعّن: هنا الغَلَبَة إزاء الضيق أو في الضيق والغالب لنا هو المسيح:
فالنصرة مضمونة لنا تماماً بالمسيح كما يضمن العالم لنا حياة التعذيب: «**فلا بُدَّ** أن تأتي العثرات» (مت١٨: ٧)، «**بضيقات كثيرة ينبغي (يتحتم)** أن ندخل ملكوت الله.» (أع١٤: ٢٢)

٨: ٣٨و٣٩ **«فإني متيقِّنٌ أنه لا موتَ ولا حياةَ، ولا ملائكةَ ولا رؤساءَ ولا قوات، ولا أمورَ حاضرةً ولا مستقبلةً، ولا عُلُوَ ولا عُمْقَ، ولا خليقَةَ أخرى، تقدِرُ أن تفصِلَنا عن محبَّةِ الله التي في المسيح يسوعَ ربِّنا».**

هكذا يروي بولس الرسول حصيلة اختباره بيقين مَنْ عَبَرَ التجربة، أنه بنعمة الله وبعمل الروح القدس، ومحبة المسيح، لا خوف من موت، ولا تعلُّق بحياة، لا ملائكة شياطين ولا رؤساء وسلاطين مُضرِّين، ولا قوات تعمل في الظلام، تعمل ما تعمل الآن في الحاضر أمام أعيننا، مقاومةً لنا وللمسيح الذي فينا، ولا حتى ما يتهددنا في المستقبل. كذلك لا عُلو المجد الكاذب يغرينا للترك والتخلي، ولا عمق التجاهل والردع لإلغاء اسمنا ووجودنا بين الناس يرهبنا للاستسلام والتراجع، ولا تخويفنا بخلائق تعبث بمصائرنا. هذه كلها مجتمعة لا تقدر أن تفك علائق الحب المنسكب علينا من الله في المسيح يسوع الذي ارتبطنا به بحبنا كل الحب من كل القلب. ولا يتزعزع إيماننا بالذي داس كل هذه الأعداء تحت قدميه.

وقفة قصيرة في نهاية الأصحاح الثامن

لم يقدم لنا ق. بولس في هذا الأصحاح مجرد دراسة منمقة، ولكن خبرة تمحَّصت بالنار في آلام وتجارب عدَّدها بتعداد خبرتها وقدَّمها لنا مصبوبة في قالب لاهوتي مُحكَم، هو من واقع رؤيته الروحية العميقة والمسنودة بالإعلان الصادق. ثم وبالنهاية يعطينا تاج خبرته كأعلى انتصار يمكن أن يبلغه إنسان على الأرض لأنه من واقع أقسى تجربة دخلها إنسان وهو واقع تحت اضطهاد مؤلم لا يرحم، من الشيطان حتى إلى ضرب الجسد، ومن شعبه حتى إلى مطاردة الموت، من الطبيعة مُساقة بالذي يسلِّطها ضد مَنْ يقف قبالته في البر والبحر والجبل والسهل والوعر دون هوادة وبالنهاية يقول:

«نحن أعظم من منتصرين!»

الأصحاح التاسع

إسرائيل تصطدم ببرِّ الله

ينقسم الأصحاح إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ٩: ١—٥ : أيٌّ من الناس لا يحزن على هذا الشعب، فكم بالحري القديس بولس؟

القسم الثاني: ٩: ٦—١٣ : ناموس اختيار الله يقوم على سبق معرفة الله لصلاح حياة الذين يختارهم ورداءة سيرة الذين يرفضهم. فهل يمكن مساءلة الله عن تصرفه؟؟

القسم الثالث: ٩: ١٤—٢٩ : سلطان الله المطلق على مصائر الناس يقوم على أساس **طول أناة الله:**

أولاً: في احتمال الجهال والأشرار ليُظهر فيهم قوة احتماله وصبره.

ثانياً: في إعداد المختارين للمجد حسب غنى مجده.

ثالثاً: فهل يُلام الله على طول أناته حتى ولو بلغت إلى آلاف السنين؟

مقدمة للأصحاحات ٩ــ١١

عند الآية الأخيرة من الأصحاح الثامن يكون القديس بولس قد انتهى من الجزء الأول من الرسالة إلى رومية (١ــ٨)، وابتداءً من الأصحاح التاسع حتى الحادي عشر يدخل في مجال جديد.

فإذا أخذنا هذا التقسيم على أساس حركة الإنسان ومدى خضوعه لحركة الله والخلاص العام، نجد أن هناك فاصلاً واضحاً بين القسمين.

ولكن إذا أخذنا هذين القسمين من مجال حركة الله ــ كمصدر للبر والخلاص العام ــ التي يهيمن بها على التاريخ الإنساني ككل، نجد أنهما ليسا قسمين بل استمراراً لحكم برّ الله في عمق التاريخ الإنساني بدون فاصل.

لذلك نود أن نلفت انتباه القارىء أن لا يغرق في التأثر بعواطف بولس الرسول من نحو بني شعبه لئلا يفقد الرؤية المستمرة لحكم الله على التاريخ واستعلان برّه على المدى. فبينما ق. بولس يتكلم عن شعب إسرائيل وظروفه، هو يتكلم في ذات الوقت عن الله وأسلوبه وبرّ الله وعمله وخلاص الإنسان وامتداده. والمطلوب أن نرتفع دائماً من الظرف الحركي التاريخي الطارىء إلى القاعدة العامة التي تحكمه، ومن حالة واحدة صعبة مؤسفة (هي رفض إسرائيل لبر الله) إلى النظام الثابت الذي يسود عليها وبر الله الغالب لعقوق الإنسان، والذي بالنهاية هو مبهج ومفرح.

فلا يغيب عن بال القارىء كيف بدأ بولس الرسول بطرح قضيته الأُولى بتقديم إنجيله: «فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل مَنْ يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني، لأن فيه معلن برّ الله ...» (رو١: ١٥ــ١٧)

وهنا، ومن بداية الأصحاح التاسع، يستعرض كيف ولماذا رفض اليهود رسالة الإنجيل، بالرغم من الجهد الكبير الذي بذله بولس الرسول مع اليهود.

فبعد أن حلّق وطار في الأصحاح الثامن مع المسيحيين في سماء برّ الله وعطاياه ومواهبه، وبلغ

الغاية العظمى في النصرة على كل أتعاب وعثرات العالم بقوة محبة المسيح التي ملكت عليه حياته والتي ملك زمامها وتمسَّك بها إلى أقصى حدود التمسُّك، يقف فجأة فيتذكر إخوته اليهود كيف حرموا أنفسهم من هذه النصرة وهذا المجد الذي بيسوع المسيح. ولكن بولس الرسول يحكي هذا لأهل روما ولنا، لا على سبيل الحَكْي، ولكن ليبيِّن من خلال قصة عثرتهم ورفضهم حقائق إلهية هامة للغاية تدخل في صميم منهج الخلاص العام وتستعرض تدبير الله الذي يحكم به الزمن والتاريخ ليبلغ بالإنسان إلى الجعالة العليا.

فكل الشُّرَّاح الذين تاهوا في مجال هذه الأصحاحات (٩ــ١١)، والذين رفضوها، والذين انتقدوها، والذين أعثروا فيها، فاعتبروا أن بولس الرسول بدأ يتكلّم في هذا الموضوع، وتورّط في الكلام، ثم تورَّط ولم يستطع أن يُخرج رجليه من الورطة، نقول لهؤلاء ولهؤلاء أن بولس الرسول كان يكتب بروح الله، وروح الله يرى النهاية قبل البداية ويبني ما يقول على ما هو واقع أمامه ومحلول. وبولس الرسول بالروح يرى نهاية ما سيقول قبل أن يبدأ القول. فانظر معي يا قارئي العزيز، فسأضع لك البداية مربوطة بالنهاية، والنهاية مربوطة بالبداية كما رآها بولس الرسول بالروح القدس:

القسم الأول: ٩: ١ــ٥

[«وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: إنكِ لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك. ولكن الآن قد أُخفِيَ عن عينيك.» (لو١٩: ٤١و٤٢)]

٩: ١ــ٣ **«أقولُ الصِّدْقَ في المسيح. لا أكذبُ، وضميري شاهِدٌ لي بالروح القدس: إنَّ لي حُزناً عظيماً ووَجَعاً في قلبي لا ينقطعُ. فإني كنتُ أوَدُّ لو أكونُ أنا نفسي مَحرُوماً من المسيح لأجلِ إخوتي أنسبائي حَسَبَ الجَسَدِ».**

واضح أمام القارىء شدة القطع والفصل بين حديث بولس الرسول في الأصحاح الثامن، والبداية المختلفة تماماً التي ابتدأ بها الأصحاح التاسع. ولكن، وبالرغم من هذه البداية الحزينة التي قد تعكس في ذهن القارىء ــ كما حدث لكثيرين من اللاهوتيين ــ أن ق. بولس خرج عن موضوع برّ الله على مدى التاريخ المسلسل الذي اتبعه وقدَّم عيِّنة عكسية لقوم رفضوا برّ الله، إلا أن ق. بولس يعالج هنا أخطر مشكلة بشرية وقفت ضد برّ الله ولا زالت واقفة حتى اليوم، وذلك

من وجهة نظر معاملة الله، الذي عرفناه في الأصحاح الثاني هكذا: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن **لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ...**» (رو٢: ٤). وهكذا فبعد أن يعرض ق. بولس رؤيته لتعامل الله مع اليهود على طول المدى، ينتهي في نهاية الأصحاح الحادي عشر بهذه الحقيقة التي يعود فيها ويلتحم مرة أخرى مع الأصحاح الثامن: «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ...».

ق. بولس هنا **يقول الصدق**، والمسيح قائم فيه يسمع ويوافق، ولا **يكذب** والضمير فيه يشهد والروح القدس.

ق. بولس يقدِّم الشهادة المثلثة: هو والمسيح والروح القدس، أي يرفع العرض إلى المستوى الإلهي ليشرح مدى صدق الحزن المقيم والوجع الأليم الذي لا يفارق قلبه من جهة عدم إيمان مواطنيه ورفضهم لبرِّ الله، هؤلاء الذين كلما سعى وراءهم للخلاص تعقَّبوه للمهانة وتآمروا عليه ليقتلوه بكراهية وحقد لا يهدأ ولا يكفّ.

«كنت أودُّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد»:

واضح هنا أن بولس الرسول يصفِّي حسابه مع الذين اتهموه أنه «هذا هو الرجل الذي يعلِّم الجميع في كل مكان **ضدًّا للشعب والناموس وهذا الموضع**» (أع٢١: ٢٨). وقد يظهر للكثيرين أن ق. بولس هنا لا يزال متمسكاً بيهوديته وبأقربائه وأنسبائه حسب الجسد. والحقيقة أعظم من ذلك بكثير، فالذي جعله ينظر هذه النظرة نحو اليهود بني جنسه أمران عظيمان جداً:

الأول: الحال الذي وصل إليه ق. بولس بالإيمان بالمسيح الذي رفعه بالروح حتى جعله يغشى السماء الثالثة ويرى الأمجاد المذهلة المعدَّة للذين يؤمنون بالمسيح، والنعمة التي صهرت قلبه بحب المسيح فلم يَعُد في الوجود قوة في السماء أو الأرض بقادرة أن تفك أو تعترض هذه الصلة الأبدية. ومن هذا الحال والمنطلق الذي بلغه في نهاية الأصحاح الثامن ينزل فجأة لينظر إلى إسرائيل أهله فيتحسَّر أشدَّ التحسُّر لمقدار ما خسروه.

إذاً، فليس من مشاعر الجسد أو القربى أو الوطنية ينظر إلى اليهود، بل من مستوى المسيح نفسه الذي يعيش فيه، المسيح الذي قدَّم ذاته فدية لإسرائيل بالموت على الصليب. من هذه النظرة وهذا المستوى، ينظر ق. بولس الذي لم يَعُدْ ـ في خلقته الجديدة ولبسه للمسيح ـ يمتّ بأية صلةٍ لا لوطنه ولا لأقربائه ولا لجنسه جملةً وتفصيلاً.

الثاني: تقدير ق. بولس تقديراً صحيحاً ودقيقاً لموضع إسرائيل في تاريخ الخلاص، ومقدار إنعامات الله التي أنعم بها على هذا الشعب، والدور الهائل الذي قدمته الأجيال اليهودية في حفظ أقوال الله وأعماله وتقديم أعظم نماذج بشرية ظهرت على الأرض في الأمانة لله والتقوى والقداسة والطاعة والغيرة. هذه كلها ينظر إليها ق. بولس بحسرة وألم وحزن لا ينقطع، كيف فقد الشعب هذا الميراث الهائل برفضهم للمسيح والخلاص؟؟

ق. بولس صاحب غيرة دينية عنيفة، فبهذه الغيرة العنيفة اضطهد سابقاً المسيح والمسيحيين وتعقَّبهم ليقتلهم. والآن، وبهذه الغيرة نفسها بعد أن أشرق عليها حق المسيح ونوره السماوي، ارتد نحو اليهود بني جنسه يطلبهم للمسيح حتى ولو كلَّفه ذلك حرمانه من المسيح. موقف بولس الرسول وَقْفَةُ موسى النبي سابقاً حينما أخطأ شعب إسرائيل وعبدوا العجل وأراد الله أن يفنيهم ويعمل لنفسه شعباً جديداً من صُلْب موسى، فوقف موسى يتشفع بنفس تعابير بولس الرسول: «والآن إن غفرتَ خطيتهم وإلاَّ **فامْحُني من كتابك الذي كتبت.**» (خر٣٢: ٣٢)

فموسى أراد أن يضحِّي بحياته ـ بالقول ـ لكي يرجع الله ويرضى عن شعبه، إن أمكن. أما ق. بولس فيضحِّي ـ بالقول ـ بحياته الجديدة الأعلى من الحياة الفانية، إن أمكن، ولكن لا الله رضي في الأُولى لموسى ولا يرضى الله في الثانية لبولس. فمبدأ الله الأساسي أن الإنسان لا يفدي أخاه:

+ «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً ولا يعطي الله كفَّارةً عنه.» (مز٤٩: ٧)،
+ بل «ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت١٦: ٢٦)،

كذلك فإن الخاطىء يتحتم أن يدفع ثمن خطيته.

+ «فقال الرب لموسى مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي.» (خر٣٢: ٣٣)

«محروماً من المسيح لأجل ...»:

هذه الرغبة لا تأتي بالمعنى اللاهوتي **القطع والرفض** للمسيح من قِبَل ق. بولس ـ وإلاَّ يكون تجديفاً، ولكن بولس الرسول قالها في المعنى اليهودي الدارج في ذلك الزمان ولا يزال يُستخدم إلى الآن [يا ليتني أموت بدلاً عنك]. فكلمة «**لأجل إخوتي ...**» جعلت الحرمان من المسيح وكأنه إحلال: بدل أن يكونوا هم محرومين من المسيح وأنا أتمتع به، كنت أود لو أكون أنا محروماً منه وهم يتمتعون به!! هذا لم يقُلْه ق. بولس وكأنها طلبة يقدِّمها إلى المسيح أو تمنٍّ يتمناه عن عقيدة وإيمان، وإلاَّ يكون تجديفاً. ولكنه يقول هذا كتبرئة ذمة من إدعاء اليهود عليه أنه يكرههم ويسعى

لهدم أمتهم وتحطيم ناموسهم وتدنيس هيكلهم. فهذا مجرد عرض تمنٍّ لا يرقى إلى تنفيذ، ودون أن يكون وراءه رغبة جادة أو إرادة للتنفيذ أو حتى نية في الضمير. لأن ق. بولس واضح أنه سبق وقطع أن لا شيء في الوجود يفصله عن محبة المسيح، فتنازله ليس عن المسيح بل من أجل المسيح!!

٤:٩ **«الذين هم إسرائيليون، ولهم التبنّي والمجدُ والعهودُ والاشتراعُ والعبادةُ والمواعيدُ».**

هنا يبتدىء بولس الرسول يفصح عن السبب الذي جعله يحزن ويتوجع حزناً ووجعاً لا ينقطع، فهو يصف اليهود هنا بأنهم إسرائيليون استعداداً لتعداد قيمة إسرائيل كشعب الله وأمة ملوك وكهنة لله، وهو شعبٌ صاحب التوراة وتاريخ تسلسل عمل الله للخلاص، وكيف خصّهم الله دون جميع الشعوب بوجوده في وسطهم؛ وقيام الآباء وأعمالهم والأنبياء ومعطياتهم. ولهم:

«التبنّي»: υἱοθεσία

«إسرائيل ابني البكر» (خر٤: ٢٢). هكذا عبَّر الله عن إنتماء إسرائيل له، «أنتم أولاد للرب إلهكم» (تث١٤: ١)، «لأني صرتُ لإسرائيل أباً وأفرايم هو بكري» (إر٣١: ٩)، «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته **ومن مصر دعوت ابني.**» (هو١١: ١)

وقد توثق هذا النسب المعطى لهم بالعهد على جبل حوريب والناموس الذي ربط الشعب بالله.

«المجد»: ἡ δόξα

الشعب الوحيد في الدنيا الذي رأى مجد الله عياناً بعمود السحاب بالنهار علامة حضرته، وعمود النور الذي يضيء الليل (عد٩: ١٥)، ومصباح الله في الهيكل، وحضرته المضيئة فوق غطاء التابوت بين الكاروبيمين (لا١٦: ٢)، ثم نزول الله أمامهم في الضباب على الخيمة، وحلوله وسطهم عياناً بالضباب:

+ «وملأ **بهاء الرب** المسكن فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلَّت عليها **وبهاء الرب ملأ المسكن**» (خر٤٠: ٣٤و٣٥)،
+ «لأن **مجد الرب** ملأ بيت الرب» (١مل٨: ١١، ٢أي٥: ١٣ و٧: ٢)،
+ «فجاء **مجد الرب** إلى البيت من طريق الباب المتجه نحو الشرق ... **وإذا بمجد الرب قد ملأ البيت.**» (حز٤٣: ٤و٥)،
+ «هكذا ألصقتُ بنفسي كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا، يقول الرب، ليكونوا لي شعباً واسماً وفخراً **ومجداً**» (إر١٣: ١١)،
+ «وأكون **مجداً** في وسطها.» (زك٢: ٥)

«العهود»: αἱ διαθῆκαι

التي صنعها أولاً مع إبراهيم من أجل النسل الروحي الذي ستتبارك به جميع أمم الأرض، والذي استُعلن بالمسيح، والتي من أجل ميراث الأرض، ونسل الجسد. وهي العهود التي تجددت على يد موسى، والتي لخَّصها ق. بولس مرة أخرى في معنى ميراث الأرض للراحة الأرضية التي رمزها السبت والراحة الأخرى التي بقيت لشعب الله بمفهوم الخلاص والدهر الآتي: «لأنه لو كان يشوع قد أراحهم (في توزيع أرض كنعان) لما تكلَّم بعد ذلك عن يوم آخر. إذاً بقيت راحة لشعب الله» (عب٤: ٨و٩). والرب تكلم عن هذه الراحة الأخرى بقوله: «ولمن أقسم لن يدخلوا راحته إلاّ للذين لم يطيعوا ... فلنَخَفْ (نحن الآن) أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته (العليا) يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه.» (عب٣: ١٨؛ ٤: ١)

«والاشتراع»: ἡ νομοθεσία

بمعنى الإعطاء أو الاشتغال بالناموس، والناموس الذي أعطاه الله للشعب على يد موسى هو بمثابة عقد بين ملك وشعبه، فيه يتنازل الله ويعلن عما يرضيه وما لا يرضيه، ويكشف عن إرادته وكل ما يكنُّه نحو شعبه؛ فهو كشفٌ لأعماق الله أكثر منه تهذيباً لشعب، أو هو تهذيبٌ لشعب بمعرفته أعمال الله وأفكاره ومشيئته. هذا لم يحدث قط في أي زمان ومكان إلاَّ مع شعب إسرائيل؛ الأمر الذي رفعه المسيح مرة أخرى من مستوى تعريفٍ للشعب عن إرادة الله على مستوى التهذيب الجسدي والخلقي إلى مستوى تعريف التلاميذ عن كل ما عند الله بالروح: «لا أعود أُسمِّيكم عبيداً (كشعب إسرائيل) لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده (عمله الخاص)، ولكني قد سمَّيتُكم أحباء لأني أعْلَمتُكم بكل ما سمعتُه من أبي» (يو١٥: ١٥). وهكذا انتقل الناموس من ناموس العبيد إلى ناموس الأحباء، ومن مجرد أوامر ووصايا إلى معرفة كل ما عند الآب الذي أوضحه ق. بولس بعد ذلك بقوله: «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله ... ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله.» (١كو٢: ١٠و١٢)

هذا هو الانتقال الجوهري من الاشتغال بناموس موسى الذي سماه بولس هنا «الاشتراع» أو التشريع إلى الاشتغال بروح الله، الذي هو التقديس بالروح أو التخصص الكلي بالروح وليس بالجسد.

«العبادة»: λατρεία

وهي مبادىء وأصول الخدمة من صلاة وسجود وتسبيح وتهليل بكل ما تحمله من أنظمة خاصة واحتفالات رسمية وتقديسات أو قداسات، وأنظمة الذبائح وعملها من جهة الخطية. وهكذا بدأت

الخطية تنحصر في الأفعال والتكفير عنها بالذبائح، في مقابل تقديس الله أو هيبة الله القدوس لتزداد الخطية خطأً.

«ثم إن كانت خدمة الموت (الناموس) المنقوشة بأحرف في حجارة قد حصلت في مجد، حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الزائل، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد.» (٢كو٣: ٧و٨)

«المواعيد»: αἱ ἐπαγγελίαι

وهي المواعيد عن أخبار سارة قادمة. وهي في المعنى قريبة من «العهود» السالفة، ولكن هنا تتركز في شخص يحمل عطية الله وأخباره السارة. وهي المواعيد التي قيلت في أرض كنعان كوطن أرضي رمزاً لملكوت الله كوطن سماوي، وعن المسيا الآتي حامل الملكوت والبركات العظمى التي ظلّ يحلم بها إسرائيل كل أيام حياته. وقد تكررت المواعيد من جيل إلى جيل، وفي كل مرة يزداد الإفصاح عنها إلى أن تمت حسب الأنبياء بالحرف.

هذه المخصصات الهائلة التي خصَّ بها الله شعب إسرائيل، كلما أمعن فيها ق. بولس ــ لأنها كانت هي صميم دراساته وأبحاثه وتأملاته كل أيام فرّيسيّته ــ أخذه الحزن والغمّ على شعب خصّه الله لنفسه هكذا، وأخيراً يخيب من كل تحقيق هذه المواعيد والعهود في شخص المسيح.

وإذا انتبه القارىء الآن، يدرك أن حزن ق. بولس **ليس من أجل أهله وأقربائه بالجسد بل عليهم**. وإن تفكيره العميق مُنصبٌّ بالأكثر جدًّا على لماذا حدث هذا، وكيف يُفهم هذا إزاء صلاح الله وبرّه؟ هذه كانت مشكلة ق. بولس المعقّدة جداً التي أخذ يفك خيوطها المتشابكة ليُخرج الله منها باراً كما هو.

٩: ٥ **«ولهم الآباءُ ومنهم المسيحُ حسَبَ الجسدِ الكائنُ على الكلّ إلهاً مُباركاً إلى الأبدِ آمين».**

«الآباء»: πατέρες

«الآباء» كلمة يتركز فيها الثلاثة العظام إبراهيم وإسحق ويعقوب، الذين لمحبة الله الشديدة لهم قَرَن اسمه بهم: «إله إبراهيم وإسحق ويعقوب». ولا ننسى أن المسيح احتسبهم أحياءً الآن في السماء (لو٢٠: ٣٨). كذلك اعتبر المسيح أن إبراهيم في السماء يستقبل أولاده الذين عاشوا عيشته وأكملوا إيمانه بحياتهم: «فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم.» (لو١٦: ٢٢)

ولكن كلمة «الآباء» تمتد لتشمل أيضاً رؤوس الأسباط الاثني عشر، فهم مكرَّمون فعلاً لدى الله كالرسل الاثنى عشر. ومن بعدهم موسى و يشوع وصموئيل وداود، رجال أتقياء عظماء أرضوا الله بأعمالهم الصالحة، وأحبَّهم الله وتعاهدهم برحمته وخصَّهم بأجل وأعز العبارات الكريمة كأفضل خليقة عنده، إن في السماء أو على الأرض. ومن هذا النسل وعلى هذا الخط المقدس والطاهر جاء المسيح بالجسد!!!

«وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يُثَبِّت مواعيد الآباء.» (رو١٥: ٨)

«ومنهم المسيح حسب الجسد»: κατὰ σάρκα

ولكن إن كان من خطهم جاء، وامتداداً منهم ظَهر، إلاّ أنه ليس مثلهم، ولا لأنه منهم يشابههم في شيء إلاّ الجسد!

وهنا يتضح لنا بالاستعلان و بالرؤيا الصافية والعين الكاشفة اللمّاحة لماذا خصَّ الله هذا الشعب بكلمة «التبني»، وعلى أي أساس أقام الآباء منهم على قاعدة حبه وإعزازه بل واختياره ونسبهم إلى نفسه!! أليس هو بسبب المسيح الذي سيجيء منهم؟ هكذا أعد الله وأكرم النسل (بالجمع) الذي سيأتي منه النسل (بالمفرد) المكرَّم جداً. هكذا ولهذا بارك الله إبراهيم بسبب هذا الابن الفائق في المجد الآتي من نسله! وهكذا ظلت البركة ــ بركة الله الإبراهيمية ــ قائمة وممتدة من نسل إلى نسل ومن جيل إلى جيل، وسهم البركة المنير يعبر ظلمات الأجيال والأعمال، ومن خلال الأسماء تلو الأسماء والجيد والرديء، حتى استقر على المسيح النور الحقيقي الذي هو هو وليس آخَرُ الذي أضاء برَجْع الزمن إلى كل الدهور السالفة والآباء والأنبياء!

ثم بنظرة أعمق وأكثر امتداداً وشمولاً، لماذا كل ما قيل عن عظمة التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد؟ أليست كلها هي الثوب الخارجي الذي انشق فخرج منه الخلاص الحقيقي بالمسيا؟ أليست كرامتها وبهاؤها ومجدها الأخّاذ للعيون والأسماع وخصوصيتها لشعب مختار ومحبوب، هذه كلها ما كانت إلاّ أنوار الفجر المهزوزة الخافتة لضياء الشمس الآتي التي انبثقت من خلف حُجُب الظلام لتعلن عن «الله ظهر في الجسد» (١تي٣: ١٦)، والحب الإلهي المذبوح على الصليب، ودم ابن الله الذي ابتلع كل خطايا البشرية وأنينها، وحوّله إلى هتاف مجد في الأعالي وسلام على الأرض وسرور لبني الإنسان.

ثم كيف لا يحزن ق. بولس حزن الدهر على شعب له الخلاص هذا بكل طوله وعمقه، ليرتد إلى ظلمات الظلمة أكثر من النور؟

«الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين»:

هنا في الحقيقة مفتاح سر شرح هذه الآية العظيمة والكريمة التي نطقها ق. بولس عن وعي في تسلسل أمجاد وعظائم انتهت إلى قمة المجد وأعظم العظائم؛ هذا المفتاح هو **«على الكل»**. فبولس الرسول لا يزال هنا في هذه الآية يَعْبُر على رؤوس الأجيال والآباء والأنبياء والقديسين إلى أن بلغ فجأة إلى يوم المسيح لحظة انتهاء زمن الظلام وأحزان الإنسان، وتحسَّست يده فجأة رأس المسيح وهي تطال السماء بينما هي مرتكزة على الأرض؛ فصارت كل الأمجاد قبلها وإذا هي شبه مجد، والحب والإعزاز والتخصص لله بالنسبة لشعب إسرائيل وإذا هي مجرد ظلال، والعبادة على ناموس موسى بكل مذخراتها وجمالها وإذا هي مجرد أشكال وأشباه حقائق. ففي المسيح تركّزت المواعيد وليس من بعدها امتداد، والعهود توقفت وأشارت لمن هو وحده صاحب العهد، رآه بولس إلهاً وليس بشراً، رآه بحسب الجسد نسلاً موعوداً به ولكنه بالروح إلهٌ في جسد، إلهٌ **«على الكل»**، فالكل من قبله منحني الرأس يعطي السجود والبركة والمجد لمن له وحده السجود والبركة والمجد!

فاللاهوت هنا للمسيح لم يأتِ في فكر بولس كصفة لشخص، بل رؤيا من واقع قائم ممتد في الدهر السالف وفي الدهر الآتي، لاهوت **«على الكل»**، لاهوت بمقتضى ما له من تفوّق على العالمين، وسيادة على الزمن والخلود **«إلى الأبد»** على الأجيال السالفة والأجيال القادمة وكل من يسمع فليَقُلْ آمين!!

«الكائن على الكل»:

فلينتبه القارىء، هنا السيادة **«على الكل» تجمع الإنسان والخليقة والزمن!!** فهو الذي يحكم الدهور بمقتضى بر الله!! فبولس الرسول إلى الآن لم تفارق عينُه برَّ الله الذي في المسيح والذي يحكم به الخليقة منذ خُلِقت ومنذ سقطت ليعيدها لمجد برّه. انظر أيها القارىء، كيف يرى ق. بولس المسيح قائماً على الكل كمن يسوس ويقضي، يحكم ويدبر للخلاص الذي أتى والآتي!! فقوله: «الكائن على الكل» ليس عن سياسة دكتاتورية لحكم الفرد، بل نابع من قوة موت الفداء الذي صمّمه في الأزل وأكمله في كمال الزمن، فمن قوة فدية نفسه احتوى برّ الله، ومن بر الله انطلق على الكل يحكم، ويحكم على الزمن والأبدية معاً. فهو قائم على الكل بجدارة اتضاعه وطاعته وحبه وخيريته، يحكم بسلطان دمه المسفوك وباستحقاق طاعته التي أكمل بها تعذيب الصليب!!

صحيح أن المسيح من نسل الآباء حسب الجسد، فهو منهم، ولكنه من واقعه الإلهي قائم عليهم وعلى الكل إلهاً!! تباركه كل نسمة على مدى الدهور وإلى الأبد. واضح هنا بلا لبس ولا إبهام أن ق. بولس بعد أن ذكر «المسيح منهم حسب الجسد»، عاد فأعطى ما هو له حسب اللاهوت، فهو قائم عليهم بلاهوته، فهنا «حسب الجسد» حتمت إظهار ما فيه بحسب لاهوته. ولكن وحتى وهو قائم على الكل إلهاً مباركاً فهو محسوب مجداً لإسرائيل، تكميلاً لتعداد الأمجاد التي خص بها الله إسرائيل!! «نور إعلان للأمم **ومجداً لشعبك إسرائيل.**» (لو٢:٣٢)

ولينتبه القارىء، فكلمة **«الكل»** لم يقُلها ق. بولس جُزافاً بل قصد بها ضمن ما قصد، إسرائيل الذي رفض!! رفضوه، ولكن ما استطاعوا أن يُثنوه عن حبه ودمه الذي سكب. فإن كانوا قد ألقَوه عنهم، فقد انسكب على غيرهم، ولكنه ظل قائماً وسيظل إلى أن يكلُّوا في عنادهم وينكسروا من كبريائهم ويعودوا منحنين فيقبلهم!!

وللاهوتيين الذين يحاولون عزل الأصحاحات الثلاثة (٩-١١) عن جسم الرسالة الأول والأساسي الذي يضم الأصحاحات (١-٨)، نقول إن عين بولس الرسول لم ترتخ قط عن الهدف الأوحد الذي يضم الأول على الآخر، وهو برُّ الله المستعلَن في المسيح والمجد المتحصل من ذلك سواءً في الأمم أو حتى إسرائيل وهي رافضة ومرفوضة. فمجد الله يخترق الحواجز البشرية ويرفع صوت الإنسان ككل بالتمجيد مهما آلت إليه أحواله.

فنحن نقرأ لبولس الرسول في مستهل هذه الأصحاحات الثلاثة القاعدة التي يتمسك فيها بتمجيد الله قبل أن يحكي عن عقوق شعب إسرائيل هكذا: «ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل **إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين**» (٩:٥). ثم، وبنفس التمجيد، ينتهي من الأصحاحات الثلاثة وإسرائيل في أقصى رفضها للمسيح، فيقول في الأصحاح (١١:٣٦): «لأن منه وبه وله كل الأشياء، **له المجد إلى الأبد آمين**». هكذا ترتبط الرسالة ككلٍّ واحدٍ، برؤية واحدة شاخصة إلى المسيح، تجمع أصحاحات الرسالة تحت إلهام واحد وفكر واحد.

القسم الثاني والثالث معاً

(٩: ٦ـ٢٩)

هذه الآيات الأربع والعشرون متداخلة، ولكي نشرحها يلزمنا أولاً أن نضمَّها معاً في البداية ونشرحها، كبحث صغير يحمل معيار الحرية عند الله في الاختيار ومعيار الحرية عند الإنسان بالمقابل في الاختيار، كما يحمل أمانة الله المطلقة على مواعيده، وأن رَفْض الذين وعد لهم بها لا يُبطل مواعيده بل يثبِّتها باعتبار أنها مواعيد غير مُلْزِمة لله بل مُلزِمة لنا فقط، لأنها قائمة على عنصر صلاح الله الذي يجتذب محبي الصلاح فقط. فالذي يسقط عن مواعيد الله يُثبت في الحال أنه سقط دون الصلاح أي لخلوِّه من عنصر الصلاح. والذي يُقبل إليها بفرح يُثبت أنه مثل نثنائيل: «هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» (يو١: ٤٧)، لأنه أقبل إلى المسيح بشغف كثير، والمسيح هو إسرائيل الحقيقي.

السؤال الكبير: حينما رفض الله إسرائيل، هل يكون هذا معناه أن الوعد قد سقط؟

العناصر: + الله وعد إبراهيم بقَسَم أن يباركه ويبارك نسله.

+ ثم أعاد الله الوعد ليعقوب إسرائيل.

+ ولكن عثر شعب إسرائيل، ورفضه الله!

+ فهل سقط وعد الله لإبراهيم وليعقوب إسرائيل؟

القديس بولس يرد، في حوار غاية في العمق ولكن غاية في الحبك الإلهي:

لا، لم تسقط كلمة الله بالوعد، لأن الذي عثر وسقط ليس كل شعب إسرائيل!

«لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون» (رو٩: ٦)

إذاً، فمن هو إسرائيل الحقيقي؟

الإسرائيلي الحقيقي هو الذي بقي أميناً على ميراثه الإيماني من إبراهيم وإسرائيل، فآمن بالمسيح الذي هو منتهى الوعد والبركة لإبراهيم ولإسرائيل. فابن إبراهيم الحقيقي هو ابن البركة، الذي قَبِلَ البركة لما استُعلنت له في المسيح. وابن إسرائيل الحقيقي هو الذي تعرَّف على المسيح الذي هو إسرائيل الحقيقي!!!

«لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً، بل اليهودي في الخفاء (بالروح) هو اليهودي وختان القلب بالروح (الإيمان) لا بالكتاب هو الختان.» (رو٢: ٢٨و٢٩)

«وأما نحن (اليهود الذين آمنوا بالمسيح) أيها الإخوة فنظير إسحق أولاد الموعد، ولكن كما كان حينئذ الذي وُلد حسب الجسد (من هاجر) يضطهد الذي حسب الروح، هكذا الآن أيضاً (اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح يضطهدون اليهود الذين آمنوا بالمسيح).» (غل٤: ٢٨و٢٩)

ومَنْ هم الذين رفضوا المسيح؟

هم الإسرائيليون أولاد إبراهيم، ولكنهم المحسوبون أنهم نسل جسد **وليسوا أصحاب ميراث الوعد** ببركة إبراهيم. «ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد ... أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يُحسبون نسلاً! ...» (رو٩: ٧و٨)

أي أن الوعد لإسرائيل ليس للذين حسب الجسد بل للذين حسب الروح والإيمان يعيشون: «وأباً للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضاً يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم.» (رو٤: ١٢)

ولكن ما هو موقف الله إزاء واحد من أولاد إبراهيم وهو إسرائيلي وعجز عن أن يسري عليه الوعد؟ أليس هذا يُحسب تراجعاً من الله عن وعده؟

لا، لا يُحسب من جهة الله تراجعاً. لأن الله ليس مُجبَراً أن يتمم وعده لكل إنسان؛ بل هناك قانون يتحكم في اختيار الناس، سرُّه لدى الله وحده، لأنه يفوق جداً إدراك الإنسان لشدة تفرعاته الممتدة داخل الإنسان، إذ يدخل في ذلك أصل الإنسان الداخل في الوعد، ثم حياته، ثم سلوكه إزاء الله والناس، ثم أمانته الشخصية لله والآخرين، ثم حفظه لطاعة الله، ثم تواضعه، وكذلك مئات من الأسباب والعلل التي ستظهر في هباته فيما بعد. ولكن الذي يبدو لنا بالنهاية هو أن الله **يظهر لنا وكأنه حرٌّ في اختياره المُسْبَق، حتى لا يجهد الإنسان نفسه في فحص أمور الله التي لا يمكن أن تُفحص!!**

«وليس ذلك فقط، بل رفقة أيضاً وهي حُبْلى من واحد وهو إسحق أبونا، لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً ـ لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ـ ليس من الأعمال بل من الذي يدعو ـ قيل لها إن الكبير (عيسو) يُستعبد للصغير (يعقوب)، كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو»! (رو٩: ١٠ـ١٣)

واضح هنا جداً أن ناموس الاختيار قائم فقط على حرية الله في الاختيار.

فهل عند الله ظُلمٌ؟ أبداً، أبداً، بل لأن قانون الاختيار أصعب جداً من أن نفحصه، غير أنه يستحيل أن يكون في قوانين الله ظلم أو شبه ظلم، **إنما لها قياسات تسمو على قياساتنا.** فهو أحب يعقوب لأسباب عنده، وأبغض عيسو لأسباب عنده! لو كُشفت لنا لقلنا آمين!! **ولكن الله لا يريد أن يكشفها لنا، حتى نقبل أحكامه بلا فحص، ولا نضعها تحت قياسات عقلنا القاصر، بل نقبلها بالشكر والرضى!**

«لأنه يقول لموسى إني أرحم مَنْ أرحم وأتراءف على مَنْ أتراءف.» (رو٩: ١٥)

ويقول ق. بولس: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٤). والقديس بولس هنا يتكلم عن مختاري الله.

فهل يمكن هنا أن يقول إنسان كيف هذا ولماذا؟ أو هذا محاباة للبعض وظلم للبعض الآخر؟ هذا يمتنع تماماً لأن كيفية الاختيار هي بين يدي كل إنسان، وهي: أن يؤمن بالمسيح، فإن كلَّ مَنْ آمن بالمسيح صار مختاراً من المختارين. فهل في هذا ظلم؟ كذلك، فإن لم يؤمن الإنسان بالمسيح فهو ليس من المختارين، فهل في هذا ظلم؟

إذاً الله يختار ونحن نختار، الله يختار ويرفض ونحن نختار ونرفض، فهل في هذا ظلم؟ ولكن إن كان اختيار الله يكون للصالح والطالح فهذا هو الظلم!! لأنه يكون اختياراً بالإجبار، وهذا لا يتأتى ولا يجوز. فالله حرّ في اختياره على أساس صلاحه، ونحن أحرار في اختيارنا على أساس صلاحنا فقط. وهذا هو العدل كل العدل. وكأن الله يختار الإنسان الذي يختار الله، والله يشاء الإنسان الذي يشاء الله، والله يحب الذي يحب الله. هذا بحسب قانون الأعمال والمجازاة. ولكن مِنْ أين يأتي الإنسان باختياره للصلاح ولله؟ أو من أين يأتي الإنسان بالمشيئة المباركة التي يشاء بها الله؟ أو من أين يأتي الإنسان بالحب المقدس الذي يحب به الله؟

أليس هذا كله يستمده الإنسان من الله أصلاً؟

إذاً فالله فوق قانون الأعمال والمجازاة!!!

لهذا قال ق. بولس: «ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم.» (رو٩: ١٦)

لأن كل أعمال الإنسان الصالحة واجتهاداته هي من رحمة الله.

إذاً حَقّ لله أن يقول لموسى: «إني أرحم مَنْ أرحم وأتراءف على مَنْ أتراءف»، لا كأنه لا يبالي بجهاد الإنسان وأعماله وأتعابه وبذله، ولكن لأنه هو الذي يمنح للإنسان فرص الجهاد والأعمال والأتعاب والبذل. لذلك لا يمكن أن تقف أعمال الإنسان وجهاده لتحدَّ من حرية الله في الاختيار والرحمة والرأفة، وبالتالي يمتنع على الإنسان أن يسائل الله من جهة موازنة الرحمة بالأعمال أو الأعمال بالرحمة، لأن كل أعمال الإنسان منبثقة من رحمة الله. وأعمال الإنسان لا تستدر رحمة الله بل العكس.

من هذا ينشأ حتماً أن أعمالنا ومشيئتنا وسعينا واجتهادنا إنما تكشف فقط عن مدى انطباق ناموس الاختيار علينا.

من هنا وضع الله أحكامه ووصاياه التي هي بحسب صلاحه لتكون محكاً لتعيين المختارين فقط.

إذاً، فبالنهاية أنت لا تعرف مَنْ أنت ولا تعرف ما هو فكر الرب، ولذلك ليس من حقك أبداً أن تسائل الله عن أحكامه. ولكن عليك فقط أن تطيع أحكامه. فإن أطعت ــ ومن كل القلب ــ أثبتَّ أنك مختار ومن المدعوين! وأنك بحسب مشيئة الله تحيا وتخلص.

ولكن، وحتى فوق مشيئة الإنسان وأعماله وإخفاقاته تقف مشيئة الله ومراحمه لتعفو عن مَنْ تعفو وترحم من ترحم، لأن حتى عقوق الإنسان لا يمكن أن يمنع صلاح الله ورحمته وأمانته.

وبناء عليه: فإن سمعت أن الله رفض إسرائيل، فلا تظن أن عقوق إسرائيل قادر أن يُفرغ الله من صبره ومراحمه وأمانته.

«فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا، بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً. كما هو مكتوب: لكي تتبرر في كلامك (وعدك) وتغلب متى حوكمت.» (رو٣: ٣و٤)

لذلك، وبالرغم من كل هذا الذي عملته إسرائيل، وكيف نكصت في عهدها، فإن الله لن ينكص في عهده لها فيظل أميناً حتى إلى النهاية. لذلك يقول ق. بولس: **«إن البقية ستخلص»** (رو٩: ٢٧). لأن الله الآن حينما يقضي لم يعدْ يقضي بالعدل ــ **بعد أن ذُبح المسيح ومات ورفع سيف العدالة عن رقبة الإنسان، فعوض السيف قلّده الله قلادة النعمة وألبسه تاج الخلاص ــ بل الله يقضي الآن بالبر** ــ أي يحكم بالرحمة، فبدل أن يعاقب يبارك!! «لأنه متمم أمرٍ **وقاضٍ بالبر...»** (رو٩: ٢٨)

والآن نقدم الشرح على أساس أن كل مجموعة آيات تحمل معياراً لاهوتياً معيَّناً.

القسم الثاني: (٩: ٦–١٣)

في الآيات الأولى من الأصحاح (٩: ١–٥) نرى أن الله أغدق على إسرائيل بسعة، وهذا بحد ذاته مما يزيد من حدة جرمها في إخفاقها عن بلوغ الوعد. فهل أن التاريخ الذي يحمل عقوق إسرائيل يثبت عدم كفاءة وعد الله الذي أعطاه في البدء لإبراهيم؟

ق. بولس يجيب هنا بالنفي القاطع (٩: ٦–١٣) مدافعاً عن وعد الله على أساس أن ليس كل إسرائيلي هو إسرائيلي بالحق. وإنما الإسرائيلي الحقيقي هو الذي استطاع أن يتعرف على المسيح الذي هو حقاً إسرائيل الحقيقي.

٩: ٦ **«ولكن ليس هكذا حتى إن كلمةَ الله قد سَقَطَتْ لأن ليسَ جميعُ الذين من إسرائيلَ هُمْ إسرائيليون».**

بمعنى أن شعب إسرائيل بنوع خاص يختلف عن باقي الشعوب اختلافاً جوهرياً. فمصر مثلاً، تعطي الحق لكل مواطن فيها أن يسمى مصرياً، ولكن إسرائيل هي شعب الله المختار المحسوب بالنسبة لله «ابني البكر» (خر٤: ٢٢)، إذاً فليست الولادة الجسدية تكفي أن تعطي المواطن الإسرائيلي الحق أن يُدعى إسرائيلياً، أي واحداً من الأبكار المحسوبين لله، لأن هناك مَطلَباً أساسياً ترتبط به الأمة الإسرائيلية كلها وهو أن إسرائيل قامت منذ إبراهيم على أساس وعد الله أن منها يخرج النسل (بالمفرد) الذي تتبارك فيه كل أمم الأرض. أي أن كل إسرائيلي يلزم أن يكون مربوطاً بالوعد ليكون ابن الوعد، وبالتالي بالله «كابن» صاحب الوعد، بمعنى أن يكون مربوطاً بالإيمان بالوعد لأنه صاحب الوعد. أما إذا كان الإسرائيلي مربوطاً بالميلاد الجسدي فقط فهو لا يُحسب إسرائيلياً بالحق!

٩: ٧ **«ولا لأنهم من نسلِ إبراهيمَ هم جميعاً أولادٌ. بل بإسحقَ يُدعى لك نسلٌ».**

إن كان الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم هو لنسله، فهنا يوجد نسل لإبراهيم من إسماعيل، فهل يُدعى هؤلاء نسلاً لإبراهيم على أساس الوعد؟ الجواب بالنفي طبعاً، إنما نسل إبراهيم هم فقط **أولاد الوعد**، لأن **بإسحق يُدعى لك نسلٌ**. لو فحصنا السبب نجد أن المسألة في الأصل لم تكن مجرد إعطاء إبراهيم خِلْفة أولاد يفرح بهم بعد شيخوخةٍ وعقمٍ. ولكن الله أُعجب بإيمان

إبراهيم فأراد أن يكون من هذا الإيمان نسل يحافظ على إيمان إبراهيم بالله كوديعة غالية إلى أن ينتهي النسل (بالجمع) إلى نسل (بالمفرد) يكون هو الموعود الذي يحمل رجاء كل الشعوب والذي تتبارك فيه كل أمم الأرض! «أي المسيح». إذاً، بإسحق فقط الذي به نال إبراهيم الوعد يُحتَسَبُ نسل وأولاد إبراهيم، لأن من إسحق سيأتي المسيح.

+ «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو "لنسله" أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان.» (رو٤: ١٣)

ثم يعود ق. بولس ويشرح أن كلمة «النسل» **Sperma** ليست هنا بالجمع بل بالمفرد مشيراً إلى المسيح:

+ «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله، لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل **كأنه عن واحد، وفي نسلك الذي هو المسيح.**» (غل٣: ١٦)

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيد ـ بسبب التعديات ـ إلى أن يأتي النسل (بالمفرد) الذي قد وُعد له مرتَّباً بملائكة في يد وسيط.» (غل٣: ١٩)

+ **«فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة.»** (غل٣: ٢٩)

وعلى القارىء أن ينتبه إلى الخط الفكري عند ق. بولس الذي يقوم على أساس ارتباط النسل بالوعد وبالتالي بالإيمان بالوعد والموعود، فبدون الارتباط بالوعد ليس نسلٌ!! فكل ابن لإبراهيم غير مرتبط بالوعد ليس من النسل، أي ليس إسرائيلياً. فالإسرائيلي هو فقط المرتبط بالوعد وبالتالي بالإيمان بالوعد والموعود أي المسيح. وبالنهاية يصير أن في المسيح يتم الوعد!!

فكل مَنْ هو في المسيح فهو ابن الوعد وابن إبراهيم وابن الله.

لذلك نسمع من المسيح عندما رأى نثنائيل أنه ابتدره بالقول: **«هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه»** (يو١: ٤٧)، على أي أساس؟ وضح الأساس بعد ذلك حينما اعترف نثنائيل بالإلهام واصفاً المسيح بأنه الموعود به: **«أنت ابن الله (المسيا) أنت ملك إسرائيل (المسيا)»** (يو١: ٤٩). بهذا يظهر بوضوح أن نثنائيل أثبت أنه ابن إبراهيم وإسرائيلي حقاً.

٩: ٨ **«أي ليسَ أولادُ الجسدِ هم "أولادَ الله" بل أولادُ الموعدِ يُحسَبُونَ نسلاً».**

هذه أدركها يوحنا المعمدان: **«لا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم إن الله قادرٌ أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم»** (لو٣: ٨). **كيف؟**

لو رجعنا إلى الظروف التي فيها أعطى الله نسلاً لإبراهيم ندرك هذا المعنى، إذ نسمع أنه لمَّا آمن إبراهيم بالله أنه سينال نسلاً، «حُسب إيمانه له برًّا». إذاً فالمسألة قائمة أصلاً على **«احتساب»** الله استحقاق إبراهيم للبر والبركة والنسل **من لا شيء**؛ أي أنه حتى من الحجر ممكن أن يقيم له نسلاً. وكذلك فإنه بنفس الحرية المطلقة عند الله عاد **ولم «يحتسب»** لهم خطاياهم (رو٤: ٨، مز٣٢: ٢)

إزاء هذا، وبلغة المعمدان، هل يتمسك الإسرائيلي بأنه ابن لإبراهيم على اعتبار أنه يستحق الوعد لأنه مولود له من الجسد؟ فأي فضل في هذا، فالله قادر أن يقيم من الحجارة — وليس من سارة — أولاداً لإبراهيم؟ إذاً فعبرة الإسرائيلي حقاً هي في الوعد وليس في الجسد. وأعظم دليل على ذلك أن ابن إبراهيم بالجسد — **إسماعيل** — لم يَنَلْ الموعد.

كذلك — وهذا يهمنا للغاية أن نبرزه — قول ق. بولس أن «ليس أولاد الجسد هم **"أولاد الله"...» إذاً أولاد الموعد هم أولاد الله.**

٩: ٩ **«لأن كلمةَ المَوعِدِ هي هذه. أنا آتي نَحْوَ هذا الوقتِ ويكونُ لسَارَةَ آبنٌ».**

واضح هنا أن هذا الابن (إسحق) ليس ابن جسد مُمات، سواء لإبراهيم ابن المائة سنة أو سارة بنت التسعين، ولكن هو ابن الوعد، ابن الله. وصحيح أن إسحق هو ابن الوعد، ولكن يعترض معترض على بولس ويقول له إن هذا حدث لأن إسحق اختاره الله لأنه يحمل دم أبيه ودم أمه الحرَّة، فلهذا اختير، أما إسماعيل فإنه يحمل دم أبيه فقط لأن أمه هاجر عبدة مشتراة، لذلك لم يُحسب ابناً للموعد. وهنا لكي يدحض بولس هذه الحجة يعطي مثلاً آخر فيه يحمل الولدان نفس دم الأب والأم ومن نسل إبراهيم، ولكن اختار الله الواحد ورفض الآخر.

٩: ١٠—١٣ **«وليسَ ذلكَ فقط بل رِفقَةُ أيضاً وهي حُبْلى من "واحِدٍ" وهو إسحقُ أبونا، لأنه وهما لم يُولَدا بَعْدُ ولا فَعَلا خيراً أو شراً، لكي يَثْبُتَ قَصْدُ الله حَسَبَ الاختيارِ ليس من الأعمالِ بل من الذي يَدْعُو، قيل لها إن الكبير يُستَعْبَدُ للصغيرِ، كما هو مكتوبٌ أحبَبْتُ يَعْقوبَ وأبغضتُ عِيسُو».**

في المثل السابق قدَّم بولس «الابن المختار»، وكان يمتاز عن أخيه بعامل دم الأب والأم، حيث أخوه لم يكن له إلاَّ دم الأب فقط لأن أمه عبدة، لذلك عاد هنا وأعطى مثل الاختيار مع

وجود التساوي المطلق، فكل منهما من أب وأم واحدة — لذلك أصر بولس على قوله: "وهي حبلى من واحدٍ"! — وهنا يظهر الاختيار أنه لا يرجع قط إلى شيء ظاهر في المختار نفسه، لأن يعقوب مثل عيسو في كل شيء، بل عيسو يمتاز أنه الأكبر والبكر المرشح للميراث وتقديسه لله. ولكن الله أظهر هنا أن اختياره حرٌّ من كل شيء، فهو بمحض اختيار الله المطلق. فلا برُّ أبويه ولا خطيتهما تدخلا كعلة للاختيار عند الله.

هنا تفوَّق غرض الله، ومشيئته الحرة تأخذ قوتها الصلبة في الاختيار. وهذا هو المعيار الذي سيتخذه ق. بولس في تعليمه في الأصحاحات الثلاثة القادمة عن غرض الله الحر في الاختيار الذي لا يمكن أن يسقط.

فإذا نحن نظرنا إلى هذا الاختيار من منظار بشري نراه في الحال أنه غير قائم على مشيئة الإنسان ولا على أعماله ولا على سعيه مهما كان اجتهاده، بل يقوم على دعوة الله السابقة الحرة بكل تحديد.

وقفة قصيرة
قصد الاختيار الوحيد!!!

والقديس بولس يستخلص من هذا أن ليس من الأعمال يعطي الله برَّه بل على أساس الوعد!

كذلك، فإن الإيمان مربوط بالدعوة، فالله يدعو والإنسان يؤمن. فالإيمان هو استجابة للدعوة. والدعوة من جهتها مربوطة بالأعمال. فالمدعو يعمل بحسب الدعوة وتخصُّصها. وهنا تأتي الأعمال مربوطة بالدعوة والإيمان حتماً. فالله **يدعو** والإنسان **يؤمن**، **ويعمل** بحسب الدعوة، ولكن يمكن فصل هذه الثلاثة: الدعوة أولاً، ثم الإيمان، ثم الأعمال.

ثم ينتقل ق. بولس نقلته العظمى بعد ذلك عندما يرى أنه قد انتهى زمن الاختيار في إبراهيم ثم إسحق ثم يعقوب ثم الانتماء لشعب الله المختار. لقد استقر الاختيار استقراره النهائي والأبدي في المسيح — النسل (بالمفرد) الموعود — الذي كان الكل فيما سبق يُختارون على أساس مجيئه والوصول إليه. وهوذا جاء ووصلت إليه البشرية، فلا اختيار بعد إلاَّ في المسيح وبالتالي الإيمان ثم الأعمال، وذلك على أساس روح الموعد القدوس الذي استقر في أحشائنا:

ففي المسيح نحن مختارون، وفي المسيح ينعقد إيماننا، وفي المسيح والروح القدس تتقرر

كل أعمالنا! من هنا لم تعُدْ نظرية بولس عن الاختيار تصلح للمناقشة: هل أنا مختار أم لا، هل أنا معيَّن في مقاصد الله أم لا، هل أنا مدعو أم لا، كل هذا انتهى في المسيح.

فأنا مختار ومعيَّن ومدعو وأعمل في المسيح يسوع، وكل إنسان هكذا أيضاً. وهذه هي إحدى صفات برّ الله التي انفتحت على البشرية في المسيح يسوع، لكل من يؤمن.

القسم الثالث

(٩: ١٤–٢٩)

قضية جديدة:

فإن كان الله يختار بحرية مشيئته، يعطي واحداً ولا يعطي الآخر، ويعطي واحداً أكثر من الآخر، أي أنه لن يكون هناك مساواة بين الناس، أفليس هذا ظلماً؟

هو ظُلمٌ من وجهة نظرنا حينما نقيس أعمال الله بقياساتنا بمسطرة أو ببرجل دوّار. ولكن برَّ الله لا يمكن أن يحيط به قياس بشري ولا عقل إنسان ولا حتى يبلغ في تصوُّره مبتداه. فهو نابع من إرادة حرّة مطلقة لا تقع تحت ضغط أو اضطرار أو قياس أو قاعدة ما، هذه طبيعة الله، ولو استطعنا أن نقيس بر الله فلن يكون هو بر الله ولا هو الله. فالله هو الذي لا يقاس ولا يُحدّ، سواء في شخصه أو عمله أو إرادته أو حبه أو بره:

«أرحم مَنْ أرحم وأتراءف على مَنْ أتراءف» (رو٩: ١٥)، **وهو حرّ في إعطاء رحمته أو عمل رأفته: لماذا؟**

لأن ليس أحد قط بمستحق لرحمته أو رأفته، لذلك هو يرحم من يشاء ولا أحد بمستطيع أن يقول له لماذا!! فليس للإنسان حقوق عند الله بل واجبات وحسب — نعملها فننال ثمنها مجازاة!! ولكنه يعطي دائماً أبداً أكثر مما نستحق ويتراءف أكثر مما نحتمل! فرحمته عطية ورأفته هبة مجانية، وعطاياه وهباته مثله بلا حدود ولا ندامة. والإنسان الذي يعترض مشيئة الله ويثور على حرية الله في إرادته، يستخدمه الله ليُظهِرَ فيه قوته بأن يقسّي قلبه في الرفض أكثر وفي العناد أطول مثل فرعون — أو حتى إسرائيل — حتى يصنع به آياته لتدرك الأرض كلها والعالم إلى الأبد، ما هي إرادة الله: «لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أُظهر فيك قوتي ولكي ينادَى باسمي في كل الأرض» (رو٩: ١٧). ولكن ليس بالضرورة أن يظهر الله فيه قوته

بالضربات بل ربما بعظم المراحم والرأفات!! أنظر بولس شاول نفسه!! فقد قسّى الله قلبه على أولاده الذين كان يطاردهم ويضطهدهم حتى الموت، ثم دعاه ليحمل نير صليبه، وهكذا نقله من النقيض إلى النقيض، ليُظهر قوته ومجده فيه. إذاً حقٌّ هو أن يُقال عن الله: «**يرحم مَنْ يشاء ويقسّي مَنْ يشاء**» (رو٩: ١٨). في هذا يُظهر نعمته، وفي ذلك يُظهر قوته!

يعود ق. بولس يطبّق هذا على إسرائيل، فإسرائيل قاومت الاختيار وثارت على حرية إرادة الله واعترضت على مشيئته ورفضت برَّه، فتركها واستخدمها لتشهد في محنتها وعلى وجه كل الأرض بمقدار قوة غضبه عليها وطول أناته في احتمال عقوقها وعظم صبره في التأني عليها إلى أن ترجع وتتوب!!! فَمَنْ ذا في العالم كله الآن وعلى مدى ألفي سنة لا يعلم أن الله رفض إسرائيل؟ ولكن وبالتالي، من واقع صبر الله عليها هكذا، من لا يثق أن الله ينوي بذلك أن يفتقدها لتعود إليه أفضل مما كانت؟

وعلى نفس القياس تماماً، قاوم العالم الوثني أيضاً الله وثار وعمل القبائح باسم الآلهة، والله صابر عليه أكثر مما صبر ويصبر على إسرائيل، وأخيراً جَرَّه الله بحبال نعمته فأسلم نفسه لقيادة الله ودخل الحظيرة. وبقدر ما أساء إلى الله في الماضي بقدر ما أبدع في العبادة والتمجيد والتسبيح لاسمه العظيم القدوس على وجه الأرض كلها. هكذا بطول أناته صبر على الأمم، «لكي يبيِّن غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدّها للمجد، التي أيضاً دعانا نحن إيّاها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً.» (رو٩: ٢٣و٢٤)

فإذا جمعنا الذين تقسّى الله عليهم لكي يُظهر فيهم قوته، مع الذين أغدق عليهم ليبيِّن فيهم غنى مجده، ثم الذين أطال أناته عليهم حتى يعودوا وهم حتماً عائدون بوعد: «وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل: وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر **فالبقية ستخلص**» (رو٩: ٢٧)، فمن ذا الذي لا يهتف مع بولُس أخيراً: «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه.»! (رو١١: ٣٣)

١٤:٩ **«فماذا نقولُ، ألعلَّ عند الله ظُلماً؟ حَاشَا».**

لقد سبق أن شرحناها. إذ هو خداع بصر أن نلقي على الله أحكامنا، لأن ما يعمله الله يعمله بحكمة تفوق الفحص ولا يستقصيها قاصٍّ. ثم كيف يكون الله ظالماً في شيء والإنسان مهما علا وتبرر فهو لا يستحق من الله شيئاً بل هو نفسه لا شيء؟ فإنْ أعطاه الله يعطيه من برّه وخيريَّته ونعمته، ومجاناً يعطي! وإن لم يعطِ، فمن له عند الله دَيْن؟ أو من سبق فأعطى الله شيئاً ليطالبه

به!؟ فإن أخذنا فلا حق لنا فيما نأخذ، وإن لم نأخذ فنحن لا نستحق شيئاً منه لنأخذ، فكيف وبأي حق أو منطق نقول إن الله ظالم؟

١٥:٩ «لأنه يقولُ لموسَى إني أرحَمُ مَنْ أرحَمُ وأتراءَفُ على مَنْ أتراءَف».

شرح هذه الآية كالسابقة وقد أظهرنا ما خفيَ فيها، ولكن فوق أن مراحم الله ورأفاته ليست حقوقاً نطلبها أو نطالب بها، بل الله يعطيها بغير استحقاق لنا عنده، فهو لا يُحسب ظالماً إذا لم يُعطِ. إذاً، فيمتنع أن يقول أحد إن الله ظالم، نقول إن فوق ذلك أن سَبْقَ علم الله بأمور حياتنا وتصرفاتنا التي ستكون — وهي أمامه كائنة منذ الأزل — ومقدار طاعتنا لمشيئة الله أو تذمُّرنا عليها، هي مجرد إحدى القياسات التي يقيس الله عليها اختياره لنا.

وإن كنت تريد أن تستوثق من هذا، فانظر: ألم يقل الله: «أحببت يعقوب وأبغضت عيسو»، ذلك وهما في البطن وقبل أن يولدا؟ فما عليك إلا أن تفحص في سيرة هذا وذاك بعد أن وُلدا وصارا رجلين وحملا مسئولية السير أمام الله، ماذا كانت سيرة يعقوب وماذا كانت سيرة عيسو؟ إن أردت أن تعرف عنهما شيئاً، فاعرف أن من يعقوب قام شعب إسرائيل ومن عيسو قامت أدوم.

أما عن شعب إسرائيل فيكفي أن قال عنه الله: «ابني البكر» (خر٤: ٢٢). أما عن أدوم فاسمع ما قيل عنه:

+ «هوذا (سيفي) على أدوم ينزل وعلى شعب حرَّمتُه للدينونة.» (إش٣٤: ٥)
+ «عن أدوم هكذا قال رب الجنود ... قد جلبت عليه بليَّة عيسو حين عاقبتُه ... ولكنني جرَّدتُ عيسو وكشفت مستتراته فلا يستطيع أن يختبيء، هلك نسله ...» (إر٤٩: ٧و١٠)
+ «هكذا قال السيد الرب، من أجل أن أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه: لذلك هكذا قال السيد الرب وأمدُّ يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيِّرها خراباً ...» (حز٢٥: ١٢و١٣)

إذاً هل صَدقَ الله في قوله حسب اختياره المُسْبَق: أحببت يعقوب وأبغضت عيسو؟

فالله يعمل حسب اختياره لسابق علمه، أو بعلمه الحاضر دائماً، و يغطي الماضي والمستقبل معاً، والإنسان إنما يثبت صدق اختيار الله له بعمله وسلوكه!!

إذن فالله يرحم — في الحقيقة — مَنْ يستحق الرحمة بحسب سبق علمه. وكذلك يتراءف على مَنْ يتراءف، لأنه يسبق ويرى استحقاق من عليه يتراءف. فحاشا أن يكون عند الرحيم ظلمٌ!!

١٦:٩ «فإذاً ليسَ لِمَنْ يَشاءُ ولا لِمَنْ يَسعَى بل لله الذي يَرْحَمُ».

إن كان الإنسان لا يستحق شيئاً عند الله، لأنه لم يسبق فأعطى الله شيئاً، فإلى ماذا تنتهي مشيئته وكل سعيه وجهاده؟ هل بمستطيع أن يجتذب لنفسه بأعماله رحمةً من لدن الله؟ والله هو الذي يهبنا الأعمال الصالحة لنسلك فيها؟

إذاً فالله وحده وباختيار مشيئته يرحم، ويرحم مَنْ يشاء هو، وليس كما يشاء الإنسان؟ فمشيئة الإنسان إن كانت صالحة فهي من رحمته.

ولكي تدرك أيها القارىء العزيز أن ليس عند الله ظلم البتة بل رحمة فوق رحمة، اعلم أنه إذا احتجز رحمته عن بني الإنسان لحظة، ما عاش جسد. وفي الحقيقة إنه يرحم مَنْ يشاء ومَنْ يسعى، وأيضاً يرحم مَنْ لم يشأ وما سعى!! لأنه لو قبض رحمته عن الإنسان ما عاش لحظة.

فإن كانت حياتنا هي من رحمة الله وإرادته، فأين تظهر إرادتنا، وأين يظهر سَعْيُنا إلاّ من تحت إرادة الله ورحمته التي لا نستزيدها من عند الله بعمل أو مشيئة، بل لكي نسبِّح بها ونمجِّد، وبالتسبيح والتمجيد تتزكى الرحمة وتزداد.

١٧:٩ «لأنه يقولُ الكتابُ لفرعونَ إني لهذا بعينِهِ أقمتُكَ لكي أُظهِرَ فيكَ قوَّتي ولكي يُنادَى باسمي في كلِّ الأرض».

انتبه هنا أيها القارىء العزيز، فالقول هنا ينطبق على إسرائيل نفسها، بل على شاول بولس أيضاً!! فلولا أن الله قسّى قلب فرعون ما صرخ شعب إسرائيل، ولولا أن صرخ شعب إسرائيل ما سمع الله!!

وهكذا تمت خطة الخروج البهيج — من تحت قوة فرعون وبدافع منها — كأجمل وأبدع وأعظم قصة لشعب يسير خلف الله يصحبه خروف الفصح المملوء أسراراً. والخروج من تحت سُخرة فرعون صار "النموذج" أو الطبعة τύπος التي استُعلن أصلها ἀρχέτυπος بخروج الإنسان ككل من تحت سخرة الشيطان بقيادة المسيح فصحنا الجديد الذي ذُبح لأجلنا.

فانظر كيف أنه لولا أن الله قسّى قلب فرعون ما حصلنا على هذه الطبعة المتقنة لخلاصنا العتيد من تحت سخرة الشيطان والعالم.

وهكذا إن قسّى الله ملكاً فلكي يُظهر فيه عظم رحمته، وليُنادَى بعمل الله الخلاصي عبر الأزمان والدهور، إن بلسان اليهود الذين تفرقوا في كل أنحاء العالم أو بالمسيحية التي لا تزال تنادي.

والآن، لولا أن الله قسّى قلب إسرائيل وأغلظ رقبتهم وسدّ آذانهم وأعمى عيونهم، حتى إنهم في عماهم صلبوا المسيح رجاءهم ـ رب المجد ـ ما كان هذا الخروج وهذا الفداء وهذا الفصح الأبدي والانعتاق من سخرة الخطية وعبودية الشيطان، هذا الخلاص الحقيقي الذي ملأ كل وجه الأرض: «بزلّتهم صار الخلاص للأمم.» (رو١١:١١)

بل وشاول المدعو بولس على نفس القياس، لمّا قسّى الله قلبه، عاد هذا القلب الجافي وخرج منه حلاوة (قض١٤:١٤) وينابيع الروح التي فاضت وملأت الدنيا: «أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومضطهِداً ومفترياً ولكنني رُحمت ...» (١تي١:١٣)

١٨:٩ «فإذاً هو يَرْحَمُ مَنْ يشاءُ ويُقسّي مَنْ يشاءُ».

هنا التأكيد على كلمة **يشاء θέλει** التي تعبِّر عن مطلق حرية الله دون مشير أو مساعدة من طرف الإنسان. ولكنها مشيئة متقنة وحرية ذات أصول وقواعد لا يرقى إليها فكر بشر. ولكن لا يقسِّي الله على برٍّ بل على خطية، وكأنما الله يضطهد الخطية في الإنسان، وليس الإنسان. كذلك فإنه لا يرحم إلاّ على برٍّ حين يغفر ويصفح عما سلف.

ولكن الله في كل مشيئته حتى عندما يقسِّي فهو يقسِّي عن رحمة، فكأنه يوقظ الخاطىء من غفلته، فإن تاب فلنفسه وإن لم يَتُبْ يكون عبرة يتأتى منها الخير وتعمُّ الطاعة. ولكن إن قسّى الله على غير رحمة فمن يقوى على الحياة؟!

١٩:٩ «فستقولُ لي لماذا يَلُومُ بَعْدُ؟ لأنْ مَنْ يُقاومُ مشيئتَهُ؟».

هذه عين الإنسان المفتوحة على النقد التي في عماها تنقد الخير الذي فيه تعيش، وتذم النعمة التي بها تحيا وإن لم تَرَها. فيتساءل الإنسان، متصوراً، إن كان الله يقسِّي، فلماذا يلومنا الله إذا نحن تقسَّينا على الغير؟ ثم إن تقسّى الله، فمن أنا حتى أرفع عني قساوته، هل أقاوم مشيئته؟

وكأن هذا لسان حال شعب إسرائيل الذي قسّى الله قلوبهم ليخرج من قساوتهم صليب المسيح لخلاص كل العالم. فإن خلصوا هم به حُسِبتْ قساوتهم نعمة لهم ولنا، وإن لم يخلصوا

دخلوا تحت تأديب مساوٍ لقساوتهم وعنادهم معاً، هو لصالحهم بالنهاية عندما يتوبون ويرجعون فيُحسب لهم تأديبهم خلاصاً، وبقساوتهم فُزنا نحن بالفداءِ والحياةِ الأبدية.

فأية نسبة تجمع بين تقسِّي الإنسان على أخيه الإنسان الذي ينتهي بالحزن والموت، وتقسِّي الله على الإنسان الذي يؤول إلى خلاص لنفسه وحياة مع خلاص للملايين؟

إذاً فتقسِّي الله لا يقع تحت ملامة إلاّ عند الجُهال، أما عند ذوي الحكمة فهو رحمة في البداية وبرٌّ في النهاية يتمجد فيها الله ويرقى الإنسان.

فإن كانت أعمال الله حتى أقساها تنشىء رحمة، **فقد ارتبطت حرية مشيئة الله ببرِّه ارتباطاً وثيقاً.** فالرحمة تسبق وتسير أمامه وتُعدُّ الطريق لبرِّه. فمن ذا بعد يخشى أو ييأس بسبب عجز الإنسان عن ملاحقة معرفة مشيئة الله **طالما كان ختام مشيئته براً ورحمة؟**

٢٠:٩ «بل مَنْ أنت أيها الإنسانُ الذي تُجاوِبُ الله. ألعلَّ الجُبْلَةَ تقولُ لجابِلِها لماذا صنعتَني هكذا؟».

بين الإنسان والله علاقة مخلوق بخالق. فإن كنا قد عرفنا أن الله حرٌّ في مشيئته، ومشيئته تنشىء برًّا، أصبحت طاعة مشيئة الله هي برٌّ على كل وجه وبكل وجه حتى ولو تقسّى. فإن كانت طاعة مشيئة الله برًّا هي، فكيف تعارض الجبلة مشيئة جابلها؟ ولأي سبب أو علّةٍ تعارض الجبلة إن كانت مشيئة الله من نحوها هي بالنهاية برّ ورحمة؟

كذلك إن كان الإنسان في نفسه لاشيء أمام خالقه، فكل أعمال الخالق واجبات هي وليست حقوقاً. لأنه إن كان الإنسان في نفسه هو لاشيء أمام الله، فمن أين يطالب بشيء؟ هل سبق فأعطاه حتى يطالب بالمكافأة؟ فالإنسان عليه واجبات لدى خالقه وليست له حقوق، وبالأخص إن عرفنا **أن كل أعمال الله نابعة من رحمته، ومستقرة على البرّ الذي يتبعها وينتهي إليها. لهذا أصبحت الطاعة محتّمة** لا كفرض ثقيل بل كغنيمة، فكلما أطعت ربحت. فأن يجاوب الإنسان الله من نحو أعماله، فهذا عمًى وجهالة.

٢١:٩ «أم ليس للخزّافِ سُلطانٌ على الطينِ أن يصنعَ من كتلةٍ واحدةٍ إناءً للكرامةِ وآخَرَ للهوانِ؟».

هذا مجرد مثل ليس للتطبيق، فالإنسان ليس كتلة طين إلاّ في اعتبار ما كان يوم خُلق من

تراب الأرض، وحتى لما خلقه الله صار هذا الطين بنفخة الله حسناً جداً. ولكن المراد من هذه الآية هو السلطان الذي لله والخضوع الواجب على الإنسان. فإذا التحم الخضوع تحت السلطان صار الإنسان إلى كرامة واستمد من السلطان سلطاناً. أما إذا تعالى الإنسان على سلطان الله وتكبّر، **فهو** صائر إلى هوان لا محالة. فسلطان الخالق هو لحساب المخلوق كرامةً ومجدٌ إن هو حفظ للسلطان كرامته ومجده!! وإن استهان صار حتماً إلى ذلّةٍ وهوان.

لقد احتجّ العلماء جداً(١) على ق. بولس في تصويره الخالق والمخلوق بالخزاف والطين، ولكن نحن منذهلون من تذمرهم. فلو تصوَّرنا أن الطين جسد له روح وحياة وأن الخزاف هو الله، فما أسعد ذلك الطين وهو في يد الله لأنه حتماً سينال «صورة خالقه» (كو٣: ١٠). وعلى كلٍّ فهذا التشبيه عينه ورد في سفر إشعياء ٢٩: ١٦، وسفر الحكمة ١٥: ٧، وسفر يشوع بن سيراخ ٣٣: ١٠—١٣.

٩: ٢٢و٢٣ **«فماذا إن كان الله وهو يُريدُ أن يُظهِرَ غَضَبَهُ ويُبيِّنَ قُوَّتَهُ احتَمَلَ بأناةٍ كثيرةٍ آنيةَ غضبٍ مهيَّأةً للهلاكِ، ولكي يُبيِّنَ غِنى مجدِهِ على آنيةِ رحمةٍ قد سبق فأعدَّها للمجدِ».**

هذه الآية طبَّقها الرب يسوع المسيح على يهوذا حينما قال: «لم يهلك منهم أحد إلاّ ابن الهلاك» (يو١٧: ١٢). وهنا كلمة: «**يُظهِر غضبه**» لا تعني الإعلان عنه بل تعني مجرد نيته بإرادة صامتة بقيت لا للتنفيذ الفوري بل التنفيذ الأخروي في الدينونة العتيدة. لأن كلمة «الهلاك» هنا لا تفيد هلاك الجسد، بل إن ثمن الخطية هو الموت الأبدي وهو هلاك النفس.

ولكن «احتمل بأناة كثيرة» تحمل ضمناً عاملاً إيجابياً هو إعطاء فرصة للتوبة لأن الله لا ييأس من توبة الخطاة: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله **وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة**، ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تَذْخَرُ لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.» (رو٢: ٤و٥)

هنا التوبة والهلاك معاً واقعان في دائرة **«احتمل بأناة كثيرة»**. لأنه على أساس **احتماله آنية الغضب بأناة كثيرة لكي يبيِّن غضبه**، جاء بعد ذلك في الآية اللاحقة **لكي يبيِّن غنى**

1. Barrett, *op. cit.*, p. 188.

مجده على آنية رحمة. تلك مهيأة للهلاك وهذه أعدها للمجد. والرب احتمل الاثنين بأناة كثيرة، لكن تلك تملأ كأس غضب الله عليها، وهذه تملأ إعدادها للمجد.

إذاً نحن لا زلنا هنا في هذه الآية في نفس معنى الاختيار أمام إسماعيل وإسحق، وعيسو ويعقوب. ولكن الإضافة هنا جاءت في أسلوب الله في معاملة الاثنين — المختار والمرفوض — ليوضح بهما ق. بولس أن نفس الفرص من **طول أناة الله واحتماله** تمتَّع بها الأول والثاني: الأول انتفع فازداد استحقاقاً للمجد، والثاني زادته استحقاقاً للهلاك.

أما الذي يقصده ق. بولس من الذين جمعوا أسباب الهلاك لأنفسهم من جراء **طول أناة الله واحتماله** فهم الأمم التي لم تؤمن واليهود الذين لم يؤمنوا سواءً بسواء، حيث رفض الفريقان برَّ الله المُعلَن في المسيح يسوع. وأما الذي يقصده ق. بولس من الذين جمعوا التوبة واستحقاق المجد من جراء طول أناة الله واحتماله فهم أيضاً اليهود الذين آمنوا والأمم الذين تابوا ودخلوا الإيمان، حيث قَبِلَ الفريقان برَّ الله المُعلَن في المسيح يسوع. وهذا يوضحه ق. بولس بقوله:

٩: ٢٤ **«التي أيضاً دعانا نحن إيَّاها** (آنية المجد) **ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً».**

وهنا يورد ق. بولس نُبُوَّتين: واحدة لهوشع تخص دعوة الأمم في المستقبل الممتد، والأخرى لإشعياء وتخص بقية اليهود في المستقبل الممتد أيضاً.

٩: ٢٥—٢٩ **«كما يقولُ في هُوشَعَ أيضاً سأدعُو الذي ليسَ شعبي شعبي والتي ليست محبوبةً محبوبةً، ويكونُ في الموضعِ الذي قِيْلَ لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يُدْعَوْنَ أبناءَ الله الحيِّ. وإشعياءُ يصرخُ من جهةِ إسرائيلَ: وإن كان عَدَدُ بني إسرائيلَ كرملِ البحرِ "فالبقيّةُ" ستخلُصُ. لأنه متمِّمُ أمرٍ وقاضٍ بالبرِّ، لأن الربَّ يصنَعُ أمراً مقضياً به على الأرض، وكما سَبَقَ إشعياءُ فقال: لولا أن ربَّ الجنود أبقى لنا "نسلاً" لصرنا مثل سَدومَ وشابهنا عَمورَةَ».**

هنا يلزمنا أن نطابق الآية (٢٧) على الآية (٢٩):

ففي الآية (٢٧) يقول إشعياء: «وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر **فالبقية** ὑπόλειμμα ستخلص.» (إش١٠: ٢٢و٢٣)

وفي الآية (٢٩) يقول إشعياء: «لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً σπέρμα لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة.» (إش١: ٩)

واضح من الآية (٢٧) أن ق. بولس يستخدم نبوة إشعياء من جهة أن غالبية إسرائيل (رمل البحر) ستعثر فتُرفض، ومن سيتبقى في نهاية الزمن سيقبل الإيمان فينال الخلاص بالمسيح.

أما الآية (٢٩) فهنا يعود ويذكر «نسل» (مفرد) Sperma إبراهيم، أي المسيح، الذي فيه تتبارك أمم الأرض، فيصير المعنى: لولا أن الله أبقى لنا نسلاً مقدساً بالمسيح، لهلكنا مثل سدوم وعمورة.

والآيتان تنتهيان إلى معنى خلاص كل إسرائيل في الذين آمنوا الآن وفي القادم ــ بعد أن يدخل ملء الأمم وتتبارك شعوب الأرض بالمسيح ــ حتى لا يسقط وعد الله لإبراهيم.

كذلك فإن وعد الله الأول بالشعب المختار، احتفظ باختياره في المسيح، ولكن في مضمون الشعب الجديد إسرائيل الجديدة، كنيسة الله الحي، جسده، وعروسه. وهكذا ظل شعب إسرائيل محتفظاً بكل ألقابه وكل إنعامات الله عليه بعد أن قبلت «البقية» الإيمان بالمسيح وانضم إليهم الأمم.

ولكن ليس هيِّناً أن يجمع ق. بولس بين اليهود والأمم معاً في خلاص واحد ومسيح واحد: «التي أيضاً دعانا نحن إيَّاها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً». هذا معناه «العالم الجديد» للإنسان في المسيح!! وهذا معناه أن العالم بلغ صورته الأخيرة هذه بمنظار الأنبياء التي فيها نصَّت النبوات أن الله يتراءى للإنسان ويكشف عن مُخبَّأ رحمته وعطاياه؛ ولكن ومن نفس النبوات نستقرىء أن العالم الجديد ــ وهو الآن حادث ــ لا يعبِّر عن النهاية الأخيرة.

إذاً ففي الآيات (٢٤—٢٩) نرى رؤية واقعية حادثة بالعيان تشرح لنا حقيقة «الاختيار»، اختيار شعب إسرائيل أولاً، ثم الاختيار في النسل الموعود ــ في المسيح ــ ثم اختيار الأمم! حيث ينتهي بالكنيسة الواحدة التي جمعت المختارين في الواحد المختار الذي به كان الاختيار قديماً وفيه الاختيار قائم، على أنه سيستعلن مجد هذا الاختيار في وضعه الأخروي الأخير الذي تنتظره الأجيال بفروغ الصبر.

ولكن عين ق. بولس بالأساس ليست على الاختيار، بل إنه أبرز الاختيار ليبرز فيه عمل برّ

الله الذي يهدف إليه الاختيار. فالاختيار هو العمل التمهيدي لإعلان برّ الله الذي رسمه في الأزل ليكمله في الزمن ويستعلنه في الأبدية. فنحن مختارون فيه «قبل تأسيس العالم»، لنكون «الآن» قديسين، ولنتراءى أمامه في الآخر بلا لوم في المحبة. «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف١: ٤)

ولكن لماذا عثرت إسرائيل؟

مسئولية الإنسان تجاه برّ الله المجاني

(٩: ٣٠—٣٣)

في الآيات السابقة أوضح ق. بولس عمل الله بالاختيار وأثبت أنه قائم على تنفيذ بر الله، وأن لا أحد يستطيع أن يناقض الله فيه.

والآن يأتي على مسئولية الإنسان تجاه هذا الاختيار المربوط بتكميل برّ الله في الزمن.

والعجيب أن إنجيل الخلاص الحامل لبرِّ الله قُدِّم عامةً لليهود أولاً ثم للأمم. أما الأمم فقبلوه بالإيمان بالخبر، دون أن يكون لديهم مثل اليهود مذَّخر من ميراث تقليدي عريض عن المسيا، قبلوه بفرح وشكر إذ تأكَّد لديهم أن الله قَبِلَهم. قبلوه بالإيمان الصادق فحُسِب لهم إيمانهم براً. وبهذا التحقوا بنسل إبراهيم الروحي لنوال البركة في النسل (مفرد) أي المسيح الذي تعيَّن لهم منذ الدهور.

في حين أن اليهود ــ من جهة غالبيتهم العظمى ــ انطووا على الناموس محاولين أن يحققوا لأنفسهم من أعمالهم براً بحسب الناموس وقاوموا دعوة الإيمان التي هي أصلاً لهم كميراث أغنى من ميراث الأرض والجسد، واعتقدوا أنهم مقبولون لدى الله وحدهم دون الأمم وذلك بافتخارهم بالناموس الذي قد أُعطي لهم لمجرد تأديبهم. وهكذا صار الإنجيل لهم عثرة اصطدموا به.

٩: ٣٠ **«فماذا نقول، إن الأممَ الذين لم يَسْعَوْا في أثرِ البرِّ أدركوا البرَّ، البرَّ الذي بالإيمانِ».**

أولاً، يلزم أن نعرف أن البرَّ المقصود هنا هو برّ الله الذي هو في حقيقته الأساسية علاقة حميمة وصميمة بالله مع رحمة؛ ثم يلزم أن نعرف أن الأمم لم يكن لهم إله، فهم كانوا غرباء عن الله

والموعد وبلا إله في العالم، لا برَّ يعرفونه أو يطلبونه ولا أي أعمال إلاَّ أعمال الشر. هؤلاء لما قُدِّم لهم الخبر السار بخصوص الرب يسوع الحامل لبرِّ الله، لم يعثروا فيه بل قبلوه بفرح وآمنوا. وكما سبق وقلنا، كان إيمانهم بسيطاً وقوياً كإيمان إبراهيم، فتمَّ فيهم الوعد المقدس وتباركوا ببركة الوعد في شخص يسوع المسيح الموعود به، بل وصاروا أولاداً لإبراهيم بالإيمان. فهنا العجيبة شديدة لأنهم لم يكونوا على أية دراية بالإيمان ولم يسعوا إلى حصوله، فلما عُرِض عليهم قبلوه، وقبلوه بالإيمان القلبي إذ لم يكن لهم سابق أعمال إلاَّ أعمال الفجور وزنا الأوثان.

٩: ٣١ **«ولكن إسرائيلَ وهو يسعى في أثرِ ناموس البرِّ لم يُدرِكْ ناموسَ البرِّ».**

وفي ذات الوقت فإن اليهود الذين كان يتحتم عليهم أن يؤمنوا بإله إسرائيل، وهم الذين يترجون بر الله الذي في الناموس، يقول ق. بولس **إنهم لم يدركوا ناموس البرِّ** ذاته، وهذا أمر يُدهش له حقاً، إذ لم يحققوا لأنفسهم حتى البر الذي يسعون إليه ولا أدركوا الناموس الذي يدعو إلى البر. **لماذا؟**

٩: ٣٢ **«لماذا؟ لأنه فعلَ ذلك ليسَ بالإيمانِ بل "كأنه" بأعمالِ الناموسِ. فإنهم اصطدمُوا بحجرِ الصَّدمةِ».**

أي أنهم **كانوا يسعون في أثر الناموس، ليس بالإيمان ولا طلباً لبرِّ الله**، بل كانوا يطلبون برَّ أنفسهم ليتبرروا في أعين أنفسهم، وذلك بإتقانهم الأعمال، وليس بالإيمان بالله، ظنًّا منهم أن بالأعمال يتبررون.

وقفة هامة جداً:

«كأنه بأعمال» الناموس: ὡς ἐξ ἔργων

هنا يلزم جداً شطب كلمة «الناموس» لأنها غير واردة في الأصل اليوناني — بحسب أقدم النسخ التي أخذ بها كل من أوريجانوس وأمبروسيوس وجيروم وأوغسطين. وإدخالها في الآية يضرُّ المعنى لاهوتياً. لأن **«أعمال الناموس»** نافعة وتبرِّر ولا تضلِّل صاحبها إن كان يعملها بالإيمان، كما أوردها ق. بولس: «لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس أن الإنسان الذي يفعلها (أي أعمال الناموس) سيحيا بها.» (رو١٠: ٥)

لذلك يضعها ق. بولس هكذا: **«كأنه بالأعمال»**، وهنا يضع كلمة **«كأنه»** ὡς حتى يفرزها عن المعنى الصحيح بالأعمال الصحيحة. هنا كلمة **«كأنه»** تفيد خداع البصر الذي وقع فيه اليهود، **إذ تهيأ لهم أن الأعمال التي يعملونها هي أعمال الناموس مع أنها ليست أعمال الناموس** بل وصايا الناس حسب قول المسيح (مت١٥: ٩). لماذا؟ لأنها خالية من عنصر الإيمان. **والأعمال الخالية من عنصر الإيمان بالله ليست أعمال الله ولا تُبرر الإنسان عند الله، بل تبرره في عيني نفسه فقط فتقتله.**

هكذا عاشوا كل أيام حياتهم يطلبون برَّ أنفسهم بإتقانهم الأعمال دون الاعتماد على الإيمان بالله. فلما ظهر الإنجيل وتواجهوا معه كانت المفارقة شديدة. فالإنجيل يعطي البر لله وحده، وهم يطلبون البر لأنفسهم. والإنجيل يقوم على الإيمان لكي يتبرر الإنسان ببر الله، والناموس الذي كانوا يتقنون حروفه يقوم — عندهم وبحسب انحرافهم — على الأعمال وليس على الإيمان. هكذا ظهر الإنجيل متعارضاً تعارضاً شديداً وشاملاً مع الناموس الذي تصوّروه لأنفسهم. فصار الإنجيل عثرة في طريق إسرائيل.

هنا يقدّم ق. بولس مفتاحين معاً لسرِّ عثرة اليهود:

الأول: تحوُّلهم من طلب برّ الله إلى طلب برّ أنفسهم.

والثاني: تحوُّلهم من الإيمان كأساس لنوال برّ الله بمقتضى الوعد مثل إبراهيم، إلى الأعمال التي كانت تحقق لهم برّ أنفسهم.

«فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة»:

الذي يصطدم بحجر هو إنسان يسير في طريق بغير انتباه ولا استعداد، وهذا ما حدث لإسرائيل، وبحسب قول المسيح: سدّوا آذانهم عن سماع كلمة الله، وقفلوا عيونهم عن رؤية الحق حينما ظهر لهم أن المسيح كلمة الله والحق، بل قاوموه واضطهدوه وقتلوه؛ هذا هو الاصطدام. هذا من جهة المسيح، كذلك من جهة الإنجيل فإنه يطالبهم بالإيمان، وهم لم يعتادوا إلاَّ على الأعمال. والإنجيل يطالبهم أن يخضعوا لبرّ الله في المسيح، وهم تعوَّدوا أن يزيّفوا برّ الله لأنفسهم. فصار الإنجيل بالنسبة لهم قوة فاضحة ضد مسيرتهم وضد شهواتهم. وهكذا رفضوه عن بغضة ونقمة وعداوة «أبغضوني أنا وأبي ... أبغضوني بلا سبب» (يو١٥: ٢٤و٢٥)؛ وطاردوا ق. بولس الذي يكرز به ففقدوا المسيح والإنجيل والوعد والعهد والميراث والنبوة وصاروا أقل من الأمم!

٩: ٣٣ **«كما هو مكتوبٌ ها أنا أضعُ في صهيونَ حجرَ صدمةٍ وصخرةَ عثرةٍ وكلُّ مَنْ يُؤمِنُ به لا يُخزَى».**

هنا ق. بولس ضم قراءتين لإشعياء النبي معاً واستخلص منهما ما استخلصه. فصخرة الصدمة وردت في إشعياء ٨: ١٤ حيث يظهر الله نفسه هو حجر الصدمة وصخرة العثرة لأعدائه!!

هذه النبوة أخذها اليهود الربيون على أنها للمسيا الآتي، وهكذا سهل على ق. بولس أن يتخذها للمسيح سواء من جهة الصليب أو تعاليم الإنجيل. ولكنه يعود ويضم عليها بعض ما يُفهم من الآية ٢٨: ١٦ في إشعياء أيضاً، حيث يظهر الحجر أنه «حجر الزاوية»، وهو الذي استخدمه كلٌّ من القديس بطرس والقديس بولس أيضاً في موضع آخر (١بط٢: ٤، أف٢: ٢٠). ومن الاثنين يَخرجُ ق. بولس بالاستعلان الذي كان خاصاً بيهوه والمسيا على وجهين، الأول: لتحطيم الأعداء، والثاني: للإيمان والبناء، كأساس للهيكل (الجديد) في صهيون: أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة، وهو نفسه حجر الزاوية الذي كل مَنْ يؤمن به لا يخزى. والذي يهمنا جداً في هذا الاقتباس الذي أخذه ق. بولس من إشعياء هو كيف أنه أخذ ما يخص الله ويهوه وجعله هو الذي يخص المسيح بوضوح.

أما فيما يقصده ق. بولس من هذا الاقتباس، فهو توضيح كيف أن المسيح وهو صخر الدهور صار في آخر الأيام صخرة عثرة لليهود ــ طبعاً بسبب الصليب ومتطلباته ــ وحجر زاوية كأساس لبناء الأمم. ولكن كل من آمن به من اليهود يكون قد نجا من الخزي العتيد أن يكون:

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب.» (أف٢: ٢٠و٢١)

+ «قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ... ومَنْ سقط على هذا الحجر يترضض ومَنْ سقط هو عليه يسحقه.» (مت٢١: ٤٢و٤٤)

وقفة صغيرة

إن ما يقوله ق. بولس هنا هو هدفه العام من الرسالة كلها **«والذي يؤمن به لا يخزى»**. هذا هو الإنجيل، وهذه هي العثرة التي اعترضت مسيرتهم العظيمة عبر التاريخ فأسقطتهم وأسقطت تاريخهم معهم. فتاريخ إسرائيل يبدأ بإبراهيم إلى أن يأتي النسل الموعود وهو المسيح، وقد أتى، وبمجيء المسيح انتهى تاريخ اليهود والعمل بالناموس ليبدأ الإيمان بصخر الدهور حجر الزاوية في تاريخ العالم كله.

ولكنهم بعناد رفضوا الإيمان، فرفضوا البر مع الرحمة، واستمروا يعملون ليقيموا برّ أنفسهم، وبقفزتهم فوق الحجر ترضضوا وانكسرت أمجادهم، ثم تحدوه وصلبوه فوقعوا تحته فسحقهم. مع أن كل الذين قبلوه وحيُّوه، اكتشفوا فيه الطريق الجديد الصاعد إلى السماء؛ وكفَّ السير على الأشواك بأقدام عارية وكفَّت الدموع. **«فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، ... وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله.»** (١كو١: ١٨)

فالمسيح هو النسل الموعود به لإبراهيم الذي يتركز فيه الاختيار كما يتركز بسببه الرفض. فبالمسيح الوصول، لأنه هو الطريق والباب معاً؛ وبغير المسيح يكون السير على الأشواك وبلا وصول.

وق. بولس لا يأتي بكلام من عنده، ولكنها التوراة التي يَغيرون عليها، هي التي تشهد للمسيح وتشهد عليهم: تشهد له أنه مصدر الإيمان الوحيد الذي كل من يقبله لا يُخزى، وتشهد عليهم لأنهم إن عثروا فيه فلن يقوموا ولن يسيروا إلَّا في طريق الهلاك! وها ما سيكمِّله ق. بولس في الأصحاح القادم.

الأصحاح العاشر

إسرائيل يرفض البر
الذي بالإيمان بيسوع المسيح؛

مع أن:

١ — ١٠: ١—٤ : المسيح هو غاية ونهاية الناموس.

٢ — ١٠: ٥—١٣ : الإيمان لا يعتمد على أعمال والعكس صحيح.

٣ — ١٠: ١٤—٢١ : الله يشتكي إسرائيل:

«مددتُ يدي طول النهار لشعبٍ مُعاند ومُقاوم».

[١٠: ١ـ ٤] المسيح هو غاية ونهاية الناموس

١:١٠ «أيها الإخوةُ إن مَسَرَّةَ قلبي وطِلْبتي إلى الله لأجلِ إسرائيلَ هي للخلاصِ».

الإخوة هنا هم الإخوة في المسيح.

بولس الرسول يستقبل عَثْرة إسرائيل في بداية الأصحاح السالف بالحزن، وذلك من كل القلب. وهو هنا يودِّع عثرتهم إلى الأيام والأجيال، برجاء تسنده الصلاة لعلهم يخلصون، وذلك من كل القلب أيضاً ...

في الأصحاح التاسع ملكت على ق. بولس الكآبة والحزن والوجع بسبب الأمجاد العريضة التي لإسرائيل، وتاريخ إسرائيل المملوء بتجليّات الله وبركاته، المزدحم بالآباء العِظام والأنبياء العِظام والملوك العِظام والمواعيد العِظام، فهذه كلها فقدوها بفقدان صاحبها ـــ المسيَّا ـــ وليِّ نعمتهم، الذي رفضوه وقتلوه فتحوَّل التاريخ بجملته، الذي هو فخرهم، إلى الذين آمنوا به فصاروا أولاد إبراهيم وورثة شرعيين لكل العهود والمواعيد، دون أن يروا إبراهيم.

وهنا يصلي ق. بولس برجاء أيضاً من أجلهم، والسبب أنه يعلم جيداً ـــ إذ هو واحد منهم ـــ أن لهم غيرةً لله لا مثيل لها؛ ولكن ضاعت منها المعرفة، وهم كانوا أصحابها وحُرَّاسها، فانطفأت منهم الشاكيناه ـــ مصباح حضرة الله ـــ لما أهملوه وأحبوا الظلمة أكثر من النور! وعوض أن يطلبوا برَّه سعوا يطلبون برَّ أنفسهم، وعوض أن يمجِّدوا صاحب المجد انشغلوا يمجدون بعضهم بعضاً.

وبولس الرسول يرى خلاصهم حاضراً كل حين، لأنهم وإن كانوا قد عثروا، ولكنهم لم يسقطوا، فهم لا يزالون يعبدون ولكن في جهل. فآذانهم انسدَّت، فلا يسمعون؛ وعيونهم عميت، فلم ترَ يده الممدودة إليهم طول النهار.

وهو هنا حينما يصلي من أجل خلاص إسرائيل، يتجاوز المحدود الذي سبق وحدده أن البقية فقط ستخلص، حيث أن الكثير قد رَفَضَ، فهو هنا يطلب ويتمنى من أجل الكثيرين والقليلين، فهو يتجاوز حتى قول إشعياء بالنبوة الذي يوحي بأن القِلَّة فقط (البقية) ستخلص! (رو٩: ٢٧).

٢:١٠ «لأني أشهَدُ لهم أن لهم غَيْرَةً لله ولكن ليس حَسَبَ المعرفةِ».

لا يوجد شعب في العالم له غيرة لله كما كان لهذا الشعب، ولكن الغيرة إذا لم تسندها المعرفة الصحيحة بالحق تصير وبالاً على صاحبها، وقد استُعلِنت غيرة اليهود الفاقدة للمعرفة الصحيحة في بولس نفسه، فصار المثل الواقعي الحي أمام عيوننا، وكلامه هنا يجيء مِصداقاً لواقعه، يكفي أنهم في عمى قلوبهم حكموا على النور الحقيقي أنه مستحق الموت، وعلى الذي بلا خطية أنه ابن للعنة، وعلى الذي جاء ليكمل الناموس أنه يكسر الناموس، وعلى الذي سينقلهم إلى الوطن الأفضل السماوي أنه يعرِّض وطنهم الأرضي للخطر، وأخيراً حكموا على ابن الله أنه يجدِّف!!

بولس الرسول هنا يقدِّم شهادة من واقع اليهود وواقع المسيح معاً. فهو من اليهود، وهو في المسيح بآنٍ واحد. بولس يشهد على الظلمة بعيون النور الحقيقي التي انفتحت عليها بصيرته لترى الحق، فليس مثل بولس ولا بعده مَنْ شَاهَدَ وشَهِدَ!

حينما دخل بولس الرسول في النور الحقيقي وأدرك سر الحق الإلهي، سر ابن الله، ظهرت له العبادة اليهودية وكأنها تسير في خط معاكس للحق تماماً، كما كان يصنع هو واكتشف الحقيقة على طريق دمشق!

القديس بولس يؤكد لنا ـــ في موضع آخر ـــ أن المسيح هو المعرفة، بل وهو الذي فيه وله كل كنوز المعرفة (كو٢: ٣)، ولهذا يرى هنا أن غيرة اليهود لله ضلّت المعرفة برفض المسيح، وفقدت المعرفة نهائياً بفقدانها المسيح. وماذا يمكن أن تصنع الغيرة التي فقدت المعرفة بفقدها للمسيح أكثر من أنها تقتل المسيح!! هم قتلوا المسيح، وهو ـــ أي بولس ـــ بنفس الجهالة وعدم المعرفة قتَل من المسيحيين ما شاءت له غيرته.

بولس كان شريك الجهالة اليهودية، فله الآن أن يبكي ويتوسل ويطلب خلاص اليهود، لأن ليس من يقدِّر ألم العمى إلاَّ مَنْ كان أعمى وأبصر.

وأتمنى أن يصحح العلماء فكرتهم أن ق. بولس يصنع هذا من واقع حبه المربوط باليهود واليهودية وارتباطه بوطنه، هذا افتئات على ق. بولس ولاهوت بولس. بولس الرسول يبكي ويتوسل من أجل اليهود ومن أجل الأمم معاً. بولس الرسول له الآن غيرة المسيح وليس غيرة اليهودي. بولس الرسول يطلب الخلاص لليهود لأنهم حقاً وبالحق أحقُّ بالخلاص من الأمم. ثم هو يطلب لهم الخلاص لا حباً في اليهود بل كُرهاً في الغيرة التي هي ليست بحسب المعرفة، التي جعلته

يجدِّف على المسيح ويضطهد القديسين بإفراط ويقسو على الأبرياء ويظلم المساكين ويقتل!! القديس بولس يتكلم بالروح وبفم المسيح وليس بفم فرِّيسيٍّ يتعاطف مع الذين قتلوا المسيح.

٣:١٠ **«لأنهم إذ كانوا يَجهلُون برَّ الله ويطلُبُون أن يُثبِتُوا برَّ أنفُسِهم لم يُخضَعُوا لبرِّ الله».**

«يجهلون»: ἀγνοοῦντες

واضح أنه يمهد لهذه الكلمة بقوله في الآية السابقة (٢:١٠): «**لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة**». هنا «**حسب المعرفة**» تجيء κατ᾽ ἐπίγνωσιν وملتحماً بها في الآية (٣:١٠) تجيء كلمة «يجهلون ἀγνοοῦντες بر الله» مباشرة. وفي الاصطلاحين نلمح المعنى وهو غياب عنصر الإمساك بالحقيقة، فهنا ليس غياب المعرفة ولكن غياب البصيرة التي تمسك بالحق. وواضح جداً أن الغيرة التي ليست حسب المعرفة هي التي أنشأت هذا الجهل، لأن الغيرة التي ليست حسب المعرفة هي إدعاء المعرفة التي تبرهن على عدم المعرفة. والبصيرة هبة تُعطَى للباحثين عن الحق وليس للباحثين أو المشتغلين بالمعرفة. فيوجد علماء روحيون لهم بصيرة نافذة وعلماء مشهورون بالعلم فقط، وليست لهم أية بصيرة بل مجرد إتقان العلم. وغياب البصيرة هو معوِّق شديد للذين يعملون في خدمة الدين. إنها كارثة، وهي تؤدي إلى ما انتهى إليه اليهود. إن أعظم مصيبة أصابت الكنيسة في كل العصور هي الغيرة الجاهلة بمعرفة ما هو بر الله، الغيرة الجاهلة بما هو الحق، الغيرة الجاهلة باتساع رحمة الله، الغيرة الجاهلة بمشيئة الله الذي يودُّ أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يُقْبِلون (١تي٢:٤). ماذا تنفع الغيرة لإنسان جاهل ضيق العقل؟ أليس هذا هو الذي قتل المسيح!؟

«برَّ الله ... وبرَّ أنفسهم»:

الله أعطى اليهود الناموس وطلب منهم طاعة أوامره في الناموس ليتقرَّبوا منه ويلتصقوا به ويحبوه ويخضعوا لنعمته، لكي يرتقي بهم ويزيد لهم المعرفة واستعلان ذاته، ولكنهم اتخذوا خطاً آخر أبعدهم عن الله. فعوض أن يطيعوا أوامر الله في الناموس فيخضعوا لله، أطاعوا الناموس وخضعوا لأوامر الناموس والتصقوا بالناموس وأحبوا الناموس، وبذلك خرجوا عن طاعة الله وعن الخضوع لنعمته. هذا هو الطريق الأسهل الذي ساروا فيه، لأن أجرته منظورة، وهي ازدياد كرامة الذي يطيع الناموس في عين الناس ثم عين نفسه. والتمادي في التمسك بالناموس يزيد جداً من قدر الإنسان ومجده في عيون الناس ثم عين نفسه. هذه الأجرة السريعة لطاعة الناموس والخضوع له جعلت اليهود يعبدون الناموس لا الله، وتنتهي عبادتهم عند أنفسهم وليس عند الله. وهكذا عاد

اليهود وعن طريق الناموس إلى تأليه أنفسهم ليكونوا مثل الله وهذه هي خطية أبيهم آدم الأول.

ولكن من أين أتتهم الجهالة ببر الله؟ هل وُلدوا فيها؟ أبداً، إنهم يدَّعون أنهم أولاد إبراهيم، وإبراهيم هو أبو الإيمان الذي حُسب له إيمانه براً!! (تك١٥:٦)

هنا الجهل ليس جهل المعرفة بل هو غياب عنصر الإلهام، الذي هو البصيرة، وهذا بحد ذاته يجعل أعظم العلماء جاهلاً لبر الله!! لأن عنصر الإلهام أو البصيرة هو الوحيد الذي يستعلن لنا بر الله، لأن بر الله ليس معرفة عادية أبداً، بل هو فوق جميع المعارف وأعظم منها جميعاً فهو سخاء رحمة الله وغنى رحمة الله التي لا تُحدُّ، هذا البر الذي ظهر في المسيح يسوع. فهنا جهل اليهود ظهر في عدم معرفتهم المسيح لما جاء بسبب غياب عنصر الإلهام والبصيرة. فالذي عنده البصيرة الروحية هو الذي يترك كل شيء وكل معرفة وكل عمل وكل جهد وكل بر ذاتي ويخضع لبر الله، الكفيل أن يمنحه ـ بحسب غنى رحمته ـ كل ما لا يمكن أن يناله بقدرته أو معرفته، البر الذي تم بالمسيح يسوع.

بولس الرسول شرح سابقاً كيف يغيب عنصر البصيرة من الإنسان: «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، **أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض** ليفعلوا ما لا يليق» (رو١:٢٨). والله يشهد عليهم في التوراة: «هذا الشعب يكرمني بشفتيه **أما قلبه فمبتعد عني**» (مر٧:٦؛ راجع إش٢٩:١٣). هنا «القلب» تعبير عن النية الصادقة والفهم الصادق، فهم لم يكونوا جاهلين لبر الله بل تجاهلوه (ابتعدوا عني) وانشغلوا يطلبون بر أنفسهم والنتيجة أنهم أخرجوا أنفسهم من دائرة بر الله. هذا قاله المسيح لهم: «ولكني قد عَرَفْتُكم أن **ليس لكم محبة الله في أنفسكم** ... كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعضٍ **والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه**» (يو٥: ٤٢و٤٤). إذاً العلَّة هنا أنهم فقدوا محبتهم لله، وأهملوا الانشغال به سواء في القلب أو بالروح، والنتيجة الحتمية أن يتخلى الله عنهم، بحسب قوة النبوة في القديم التي تُعتبر القاعدة الكاشفة للعلاقات التي تربط الإنسان بالله: «وكان روح الله على عزريا بن عوديد فخرج للقاء آسا (الملك) وقال له: اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين. **الرب معكم ما كنتم معه وإن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم**» (٢أي١٥: ١و٢). هكذا انتهى بهم الأمر أنهم لما طلبوا أن يُثبِّتوا بر أنفسهم، لم يخضعوا لبر الله، فانتهى بر الله من معرفتهم. لذلك إذا أردنا أن نفسر الآية من وجهة التحليل السببي، نقرأ من الآخر إلى الأول هكذا: «لم يخضعوا لبر الله لأنهم طلبوا أن يثبِّتوا بر أنفسهم فارتفعت عنهم معرفة بر الله».

فهنا نود أن نركّز النور حول نقطة أو لحظة الانحراف الخطيرة التي اختاروا فيها الانحياز لبر أنفسهم ورفضهم لبر الله. فهي لحظة قرارهم الأخير برفض المسيح وقتله، فهنا اللحظة التاريخية الفاصلة التي حدّدت كل شيء عن مصير اليهود من جهة الحرمان النهائي من بر الله الذي حددوه برفضهم له وبإرادتهم. ولكن الذي يلزم الانتباه إليه، أن سوء سيرتهم مع الله سابقاً وسوء استخدامهم للناموس لتزكية وتعظيم أنفسهم هو الذي انتهى بهم في النهاية إلى الانحياز لبر أنفسهم بالناموس ورفضهم بر الله بالمسيح، مع أن المسيح جاء ليكمل لهم ما عجزوا عن تحقيقه بالناموس من جهة الحصول على بر الله.

لاحظ أن بولس الرسول يضع البر الذاتي ــ الذي تربّى فيهم من سوء استخدامهم للناموس ــ **كعامل أساسي لعدم الخضوع لبر الله. فالذي يودّ أن يقتنص بر الله بجهده وجهاده هو في الحقيقة يختلس بر الله لذاته ويستخدم الله لتعظيم نفسه. فكيف يستطيع ــ حتى ولو حاول ــ أن يخضع لبر الله؟** في هذا يقول إشعياء النبي بلسان الله وهو يعيِّر شعب إسرائيل: «بشحم ذبائحك لم تُرْوِني لكن استخدمتَني بخطاياك وأتعبتَني بآثامك» (إش٤٣: ٢٤)، أي أن إسرائيل تعظَّم بناموس الله من دون الله. يلاحظ أن **بر الله هو قوة فعّالة** تُستعلن من داخل علاقة تربط الإنسان بالله فتحفظه أول ما تحفظه من الكبرياء والاعتداد بالذات بل ومن الاهتمام الزائد بالذات والاضطراب من أجل النفس. فالخضوع لبر الله هو بداية وضمان لتهذيب وتطهير النفس من الاعتماد على ذاتها، **والبر في حد ذاته، كما سبق وقلنا، هو رحمة الله بحسب غنى نعمته المؤسسة على غفران الخطايا.** لذلك نود لو نشرح الآية التي جاءت في رسالة يوحنا الأُولى: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (١يو١: ٩)، بمعنى: «فهو أمين وبار πιστός ἐστι καὶ δίκαιος». لماذا «البر» هنا؟ لأن **غفران الخطايا هو أول عمل لبر الله** المستعلن لنا في تقديم يسوع المسيح ذبيحة كفارة للفدية. فالخضوع بالإيمان لبر الله قوة تضعنا تحت فعالية دم المسيح لنوال غفران الخطايا والخلاص دون أن يعطينا فرصة لكي نشعر بأي استحقاق من طرفنا، بل والإيمان الذي هو العلاقة الحية الوثيقة التي تربط حياتنا بالله، هو هبة من هبات برّ الله.

هنا نستطيع أن نفهم من أين ضل إسرائيل وفقدوا الطريق الصحيح واصطدموا بحجر الصدمة وصخرة العثرة ورفضوا المسيح وقتلوه. فهم أولاً تجاهلوا برّ الله فجهلوه مع أنه هو الطريق الوحيد للخلاص الذي كان يُعِدُّ له الناموس، ولكنهم فضّلوا الناموس على المسيح وذهبوا يسعون كأنه بجهودهم يحفظون لأنفسهم ولأمّتهم بر إبراهيم وبركات الوعد. فبدل أن يتبعوا **«بر الإيمان»**

(الذي اكتسبه لهم إبراهيم)، بخضوعهم للمسيح، فضّلوا الناموس كأنه قادر أن يضمن لهم الوعد والميراث، ويعطيهم الحق في مملكة المسيا القادم. وهكذا بسبب قساوة قلوبهم لم يخضعوا لبر الله عندما أُظهر بظهور المسيح.

ولا يزال الإنسان المسيحي مجرَّباً بأن يتصوَّر أن بأعماله ينال الخلاص، تاركاً الخلاص الذي أُكمل بعمل الله بدم المسيح، غير مميِّز بين العمل كشهادة والذي يتطلبه الخلاص الذي تمّ، وبين العمل كبرٍّ الذي يزيِّف له أنه يمكن أن يخلِّصه، وكأن دم المسيح لم يكمِّل الخلاص. فيا عزيزي القارىء، نحن مطالَبون أن نقدم الأعمال اللائقة من كل صنف: صلاة، سجود، صوم، سهر، نسك، وبذل، وخدمة، لكي نبرهن أننا نلنا الخلاص ولسنا بعد من أولاد العالم بل صرنا أولاد الله. ولكن غير مسموح لنا أن نقدّم هذه الأعمال كأن دم المسيح غير كافٍ لخلاصنا، فهذا يُحسب ضدنا إذ نُحسب أننا لسنا خاضعين لبر الله، مفضّلين أن نثبّت برّنا بأعمالنا مع أننا نصلي كل يوم صارخين (في الأجبية): **«بأعمالي ليس لي خلاص»!! لأننا لو خضعنا حقاً وباتضاع لبر الله بالإيمان القلبي الصادق، فإن بر الله نفسه سيمنحنا أعمالاً روحية لائقة نثبت بها أننا فعلاً خاضعون لبر الله.** هذا هو بر الله الذي أتى به المسيح ليمنحنا أعمالاً صالحة سبق فأعدّها لنا (أف٢: ١٠)، لنشهد لبرّه وصلاحه ونمجّده بها، لا أن نتمجّد نحن بها أو نتبرّر. فكل أعمال التوبة حسنة وجيدة وصالحة ولكن على أساس أنها تحفظنا في دائرة بر الله الذي منحه لنا في المسيح يسوع، لا أن نتأهل له أو نحصل عليه. فلا يوجد عمل في العالم كله يؤهّل الإنسان لبر الله إلاّ دم المسيح.

كذلك لا نستطيع أن نلغي قيمة الأعمال الجسدية النسكية المعمولة بالروح العبادية الصادقة في تهذيب المؤمنين الجدد أو المبتدئين في الحياة الروحية بعد ضلال وحياة الخطية. فالجسد يحتاج إلى تهذيب وسهر، كذلك النفس التي اعتادت حياة الانحلال والخطية التي يسميها بولس الرسول: **«رياضة التقوى»** (١تي٤: ٧) على غرار رياضة الجسد لتقويته صحياً، فهي إن كانت رياضة نافعة فهي لقليل، أما **رياضة التقوى** التي يتمرّن فيها الجسد وتتمرن فيها النفس على حياة التقوى من اتضاع وخضوع وطاعة وحب وبساطة وإيمان ووداعة، فهي نافعة لكثير لأن لها موعد الحياة الأبدية. ولكن كل أعمال التقوى للجسد والنفس إذا لم تكن معمولة بإيمان الطاعة لله والاتكال على نعمة الروح القدس، فهي إذا نجحت لن تأتي إلاّ بالبر الذاتي الذي سقط فيه عُبّاد الناموس من اليهود. فالصوم ينجح كعمل نسكي إذا كان بحراسة الصلاة في خضوع الله وطاعته، على أنه لن يمنحنا برّ الله. ويا له من قول نافع جداً في هذا المقام: «متى فعلتم كلّ ما أُمِرْتُم به فقولوا إننا

عبيد بطّالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا» (لو١٧: ١٠). و بولس الرسول يقول: «أما الذي يعمل فلا تُحسَبُ له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دَيْنٍ.» (رو٤: ٤)

بر الله أو بر الإنسان؟ = إنجيل أو لا إنجيل!

٤:١٠ **«لأن غايةَ الناموسِ هي المسيحُ للبرِّ لكلِّ مَنْ يؤمنُ».**

لماذا؟ لأن الناموس جاء ليحقق بر الله عندما يستخدم إسرائيل الناموس كما وضعه له الله لكي يزيدهم **معرفة بالله والتصاقاً، وحبًّا له وتمجيداً**، فإن كانوا اتبعوا خط الناموس بحسب مشيئة الله لكان الناموس قد أوصلهم في النهاية إلى الاستعلان الكلي لله في شخص يسوع المسيح، لأن منتهى قصد **الناموس هو معرفة الله، والمسيح هو الله منظوراً ومعروفاً بالجسد. فالمسيح هو** بالحقيقة غاية الناموس.

هنا قول بولس الرسول إن المسيح هو غاية الناموس يقصد **النهاية المطلوبة أو القصد الذي من أجله وضع الله الناموس.** فعليك أيها القارىء أن تتصوَّر قيمة الناموس: ماذا يكون وماذا يبقى من الناموس بدون المسيح؟ علماً بأن الناموس يعني ضمن ما يعني التوراة!! فتصوَّر التوراة بدون المسيح، ماذا تفيد؟ كذلك و بعد مجيء المسيح الذي هو القصد الأساسي من الناموس والغاية من وضعه، ماذا يكون موقف الإنسان إن هو رفض المسيح وظل متمسكاً بالناموس؟ واضح أنه يكون قد فقد الغاية من الناموس ثم الناموس كله.

ولكن الناموس لم يخفق في تحقيق بر الله لإسرائيل، بل هم الذين أخفقوا أن ينالوا القصد الأساسي منه، وهو بر الله، لما انحرفوا واستخدموه ليزيدهم برًّا لأنفسهم، وكأنهم بقدراتهم يستطيعون أن يكوِّنوا علاقة ممتازة مع الله أي كأنهم بأعمالهم صاروا أبراراً، فإذا هم في وهم وسراب. وعلاقة الناموس بالمسيح كعلاقة التمهيد للغاية المرجوة أو النموذج المصنوع للحقيقة غير المصنوعة. **ولكي ندرك ذلك فما علينا إلاّ أن نرفع من الناموس الكفارة أو ذبيحة الخطية أو فعل الدم في التكفير** لنرى ماذا يبقى من الناموس؟ تبقى خطية بلا صفح ونجاسة بلا تطهير. وهذا هو الناموس بدون المسيح صاحب الكفارة الحقيقية بالروح ودم التكفير والتطهير الحقيقي بالروح من كل خطية ونجاسة. الناموس نفسه يشهد بذلك و ينطق بهذه الحقيقة نطقاً صارخاً في آذانهم؛ إذ يقول داود النبي في المزمور ٤٠: ٦و٧ وذلك بلسان المسيّا المسيح الآتي، وقد عاد وكرره بولس الرسول ليُشهد الناموس على الذين رفضوا المسيح واكتفوا بالناموس: **«لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا.** لذلك عند دخوله إلى العالم (المسيا) يقول: **ذبيحةً وقرباناً لم تُرِدْ، ولكن هيَّأت لي جسداً، بمحرقاتٍ وذبائح للخطية لم تُسَرَّ،** ثم قلتُ هاأنذا أجيء في دَرْجِ الكتاب مكتوبٌ عني، **لأفعل مشيئتك يا ألله ... ينزع الأول لكي يثبِّت الثاني. فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة»** (عب١٠: ٤ــ١٠). هكذا من جهة الذبائح، يأتي المسيح تفسيراً وتحقيقاً، ثم كختام لها ونهاية، إذ تُستعلن فيه الذبيحة الوحيدة الحقيقية التي لها قوة رفع الخطايا والتي كانت كل الذبائح تصوّرها من بعيد وترمز لها وتشرحها وتمثلها دون أن يكون لها قوة الفعل.

وكانت الذبائح **للمسامحة الوقتية والمفردة، لكل خطية بحد ذاتها**، ولكن **خطية السهو فقط** لأن **الخطية عن عمد بالإرادة لا غفران لها ولا مسامحة ولا ذبيحة بأي حال من الأحوال.** وكان القصد من هذه الذبائح هو محاولة لتقريب الإنسان من الله ومحاولة لتطهيره جسدياً وتبريره المؤقت حتى يمكن أن يقف أمام الله في العبادة. ولكن هذه المحاولة كانت، كما قلنا، من أجل خطايا السهو فقط. أما خطايا العمد فلم يكن لدى الناموس أي سلطان عليها أو تكفير، بل كان حكم الموت واللعنة حتمياً وبمقتضى الناموس ذاته. وهكذا أثبت الناموس عجزه المطلق عن تبرير الخاطىء أمام الله في خطايا العمد، أما في خطايا السهو فقد توقف فعل دم الحيوانات عند حدود تطهير الجسد فقط والتبرير المؤقت: «لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا» (عب١٠: ٤). وهكذا يشهد الناموس على عجز نفسه، وفي عجزه وقصوره كان يمهد للآتي ــ الرب يسوع ــ الذي سيبرر الجسد والروح والنفس، و يبرر الآن وإلى الأبد، و يبرر من طرف واحد فقط ــ أي بإعطاء بره المجاني بالإيمان و بدون الناموس. هذا هو معنى «غاية الناموس هي المسيح للبر لكل مَنْ يؤمن».

و بالنهاية نرى أن بمجيء المسيح، يكون قد انتهى عمل الناموس وانتهت صلاحيته، فليس بعدُ اختيارٌ للبرِّ بين الأعمال والإيمان، فالعمل انتقل نهائياً ليصير مبادرة من الله دائمة، أي أن العمل صار عمل الله: «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد» (رو٨: ٣)، فأصبح الإيمان بعمل الله ضرورة حتمية وإلاّ فلا غفران ولا تبرير ولا حياة!

[١٠: ٥-١٣] الإيمان لا يعتمد على أعمال والعكس صحيح

١٠: ٥ **«لأن موسى يكتبُ في البرِّ الذي بالناموس إنَّ الإنسانَ الذي يفعلُها** (الفرائض والأحكام) **سيَحيا بها».**

بعد أن قطع بولس الرسول بأن المسيح هو غاية الناموس منذ أن وُضع الناموس، بل وإن الناموس وُضع على أساس أن غايته ونهايته هو المسيح في مجيئه، يعود هنا لمقارنة إضافية يوضح فيها أن الناموس نفسه يقارن بين العمل بالناموس وبين عمل الإيمان. فيقول إنه بالرغم من أن موسى أوضح أن الذي يعمل الناموس يحيا به وأن العمل بالناموس ليس هو بالأمر الصعب أو الشاق، يعود هو نفسه — أي الناموس مع شرح جانبي من بولس الرسول — يعرِّج على الإيمان أن الحياة بالإيمان أسهل كثيراً جداً.

وهنا في هذه الآية يبدأ بالحوار، كما جاء في الرسالة إلى غلاطية، على لسان موسى: «ولكن الناموس ليس من الإيمان بل **الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها**» (غل٣: ١٢)، التي جاءت في سفر اللاويين ١٨: ٥: «تحفظون فرائضي وأحكامي التي **إذا فعلها إنسان يحيا بها. أنا الرب**».

هنا يحاول بولس الرسول بعد ذلك أن يثبت أن الأعمال التي في الناموس تُنظر من وجهين: وجه إنساني، ووجه إلهي. فإذا نُظرت من وجه إلهي فإنها تصبح بمثابة «كلمة الله» القادرة فعلاً أن تُحيي كل مَنْ يعمل بها، حيث يصبح عمل «الكلمة» هو للبر الحقيقي. أما إذا نُظرت من وجه إنساني فإنها تظهر كأعمال جسدية يؤديها الإنسان ليربح من ورائها تبريراً لنفسه وكأنه قد عمل لله عملاً.

هنا نرجو القارىء أن ينتبه إلى هذا في الآية القادمة.

١٠: ٦-٨ **«وأما البرُّ الذي بالإيمانِ** (الإيمان بالكلمة = النظرة إلى الناموس من وجه روحيٍّ إلهيٍّ) **فيقولُ هكذا لا تَقُلْ في قلبِكَ مَنْ يَصْعَدُ إلى السماءِ أي ليُحدِرَ المسيحَ أو مَنْ يَهبطُ إلى الهاويةِ أي ليُصعِدَ المسيحَ من الأمواتِ. لكن ماذا يقولُ. الكلمةُ قريبةٌ منكَ في فمِكَ وفي قلبِكَ أي كلمةُ الإيمانِ التي نكرزُ بها».**

فلينتبه القارىء لأن بولس الرسول هنا يعيد — من عنده — صياغة الآية التي قالها الله لموسى

بخصوص أعمال الناموس، وإليك الآية الأصلية كما جاءت في سفر التثنية:

«إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسْمِعنا إياها لنعمل بها. ولا هي في عبر البحر حتى تقول مَنْ يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسْمِعنا إياها لنعمل بها. بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها.» (تث٣٠: ١١-١٤)

هنا بولس الرسول عمل عملين: **الأول** بدأ يشرح الآية التي في سفر التثنية في مضمونها السري الإلهي، باعتبار أن أعمال الناموس هي بعينها «كلمة الله» إذا رُئي الناموس في واقعه الإلهي — الذي سوف يُستعلن في النهاية في شخص يسوع المسيح — باعتبار أن المسيح هو غاية الناموس كما سبق وقال، بمعنى أن الناموس يحمل هدفه وغايته في داخله، فجعل قول الآية في التثنية: «مَنْ يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذ (الوصية) لنا ويُسْمِعنا إياها لنعمل بها»، إلى: «مَنْ يصعد إلى السماء — أي ليحدر لنا المسيح».

العمل الثاني: ثم أنه أعطى لنفسه الحق في أن يحوِّل ما قاله الله بخصوص الوصية: «مَنْ يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسْمِعنا إياها»، حوَّلها بولس الرسول إلى وضعها الأصعب والذي استعلن فيها المسيح باعتباره **«كلمة الله»** فجعلها: «أو مَنْ يهبط إلى الهاوية — أي ليُصعِد المسيح من الأموات».

وبحسب أصل الآية هنا، فإن الله حينما خاطب شعب إسرائيل بفم موسى، كان يعبِّر لهم في بساطة منتهى البساطة عن **سهولة العمل بالناموس باعتباره كلمته الحية** التي كل مَنْ خضع لها يحيا بها بكل تأكيد؛ بينما الذي لا يأخذها في مضمونها الحي المحيي بل كأمر ووصية حرفية يتممها في ذاتها دون أن يتصل بقلبه وروحه بقائلها والموصي بها، فإنه لا يستفيد بها ولا تصبح الوصية فرصة للتقرب إلى الله أو الخضوع له، وبالتالي لا ينال الحياة التي وعد بها الله كلَّ مَنْ يخضع له شخصياً بطاعته لكلمته، أي ناموسه.

هذا ما استعلنه بولس الرسول بروحه من نص الآية في سفر التثنية، وبناءً عليه بدأ يوضِّح هذه الحقيقة من واقع الذي حدث ناظراً إلى «الناموس» في غايته التي استُعْلنت في المسيح. وهكذا عاد يخاطب الإنسان المسيحي هذه المرة ويقول له على قياس ما قاله الله لموسى بخصوص أعمال الناموس: لا تَقُلْ إن الإيمان بالمسيح صعب لأنه لا يُطلب منك أن تذهب إلى السماء لتُحدر المسيح إلى الأرض للتجسد، فهو جاء بدون سعي من جهتك أو طلب أو حتى مجرد الفكر، كذلك لا يُطلب

منك أن تنزل إلى الهاوية لتُصعِده لما مات من أجلك، ولكنه قام من الأموات دون أن تطلب أنت أو تفكِّر. وهكذا أصبح الإيمان بالمسيح متجسداً وميتاً ومُقاماً من أجلك عملاً قد أتمَّه الله من أجلك وصار به بر الله حاضراً ومستعلناً وجاهزاً للإيمان. وهو لا يطلب منك أنت أي عمل لتعمله في هذا الأمر من جهتك بل يطلب إيمانك بموت المسيح وقيامته لكي تخلص وتنال بر الله وتحيا. فهل كلمة الإيمان بالمسيح هنا صعبة عليك أو تحتاج منك إلى جهد؟

ويعود بولس الرسول يقتبس نفس ما قاله الله قديماً لشعب إسرائيل من جهة قرب «كلمة الإيمان» التي هي جوهر الناموس ومحوره وغايته. فكما قال لهم الله: «**بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها**»، هكذا يقول بولس الرسول للمسيحي بنفس الكلمات عن سهولة قبول كلمة الإيمان للخلاص والحياة بها: «الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها».

وهكذا يرى بولس الرسول كيف أن المسيح بالفعل هو غاية الناموس الذي حقق بر الله وحياة الدهر الآتي.

«كلمة الإيمان التي نكرز بها»:

هكذا ينتهي بولس الرسول بالإيمان المسيحي باعتباره «كلمة الإيمان» إلى أنها «**هي التي يكرز بها**»، أي إنجيل ربنا يسوع المسيح. وهكذا وبالنهاية يحل الإنجيل، أي الخبر السار بقيامة المسيح من الأموات واستعلان بر الله الموهوب للإنسان مجاناً، مكان ناموس موسى والأعمال الخاصة به. وطبعاً الإنجيل يحمل سر الإيمان بالمعمودية والشركة في جسد المسيح ودمه.

ثم يبتدىء بولس الرسول يشرح كيفية سهولة «الإيمان» والحصول عليه «بالكلمة» بالنسبة للإيمان المسيحي هكذا:

٩:١٠ **«لأنك إن اعترفتَ بفمِكَ بالربِّ يسوعَ وآمنتَ بقلبِكَ أنَّ الله أقامَهُ من الأمواتِ خَلَصْتَ».**

هذا هو قانون الإيمان، هو قوة المعمودية وهو روح الاستعداد للتناول من جسد الرب ودمه، وبالتالي هو جوهر الإنجيل. وبولس الرسول يقصد هذه المعاني كلها التي يكرز بها.

«لأنك»: ὅτι

يا حبذا لو صححت الترجمة العربية «لأنك» ὅτι فتصير «وهي»، أي إن كلمة الإيمان التي يكرز بها بولس الرسول: «**هي إن اعترفت ... خلصت**». وبذلك تصير الآية التاسعة هي الشرح المباشر للآية الثامنة. ولكن من أين جاء بولس الرسول بهذه المقولة العقائدية؟

إن القديس بولس اقتبسها من سفر التثنية ٣٠: ١٤، التي كررها في الآية الثامنة: «**بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها**»، فوضَعَ ق. بولس الإيمان في موضعه الصحيح في القلب والاعتراف في موضعه الصحيح في الفم، كحقيقة ثابتة فسَّرها بولس الرسول بالروح، لأن الإيمان لابد أن يُعترَف به بالفم والاعتراف بالفم لا بد أن يكون صادراً من إيمان في القلب! هكذا أثبت بولس الرسول منتهى الوعي النبوي ومنتهى الفهم الإلهي لكي يجعل من مقولة في سفر التثنية هي نفس المقولة التي تحمل جوهر العقيدة المسيحية بكل دقة وانضباط. ولا عجب يا إخوة، فالله الذي كان ينطق بالرمز لموسى ليوصِّل إلى الشعب، هو هو الله في شخص يسوع المسيح الذي ينطق بالروح في وعي بولس الرسول شارحاً ما سبق وقال لموسى كاشفاً السر المخفي لأصحاب أسرار الله.

وهكذا انتهت مقولة سفر التثنية عبر بولس الرسول إلى منطوق الإيمان المسيحي، ثم استقرت في الكنيسة لتأخذ الصيغة الليتورجية لإجراء التقديس في المعمودية ليخرج بها الإنسان من جرن المعمودية ليصير عضواً في جسد المسيح.

«اعترفت»: ὁμολογεῖν = «شهدت».

كلمة رسمية، أي شرعية، تدخل ضمن صميم التشريع الكنسي، فهي تحتسب في الكنيسة كأعظم فعل يعلن الإيمان ويزكيه ويمجده. وهي ليست كأنها سهلة أو مجرد نطق يقوله الإنسان بفمه، ولكن **الاعتراف** بحد ذاته يساوي تماماً الموت مع المسيح ويساوي تماماً الاستعداد للموت من أجل المسيح. **فالاعتراف كشهادة** هو والموت شيء واحد في وعي الإيمان المسيحي. فالإنسان يعترف أي يشهد بالإيمان بالمسيح والسيف على رقبته أو باستعداد أن يكون السيف على رقبته في أية لحظة، وأي اعتراف أو شهادة لا يحمل هذا الواقع الإيماني ـــ أي احتساب الموت ثمناً للإيمان ـــ لا يكون له فاعلية ولا يساوي الخلاص.

كثير من المسيحيين ـــ ولا نغالي إن قلنا الجميع ـــ حينما يسمعون أن مقولة العقيدة المسيحية هي الإيمان في القلب والاعتراف بالفم يستسهلون ويستهينون، ويرددها الإنسان بسرعة وراءك

باعتبار أن الإيمان هو التصديق والاعتراف هو النطق وانتهى الأمر. وهنا يتحتم علينا أن نوعّي كل قارىء أن:

+ الإيمان بالمسيح في القلب يعني **المسيح نفسه أصبح في القلب!!** إذ عليك قبل أن تنطق بقانون الإيمان أن تتحسس المسيح في قلبك.
+ الإيمان بالمسيح في القلب يعني **أن العالم بشهواته ومخاوفه قد انطرح بعيداً عن القلب!!** هل حقاً أنت لا تشتهي شيئاً ولا تخاف شيئاً؟
+ الإيمان بالمسيح في القلب يعني **أن في القلب صلاة مرفوعة وحباً قائماً دائماً وطهارة بالنية لا تتنازل!!** فهل القلب عامر بهذه؟
+ الإيمان بالمسيح في القلب يعني **أن في القلب فرحاً كل حين** وفرحاً في الضيقات وتهليلاً بالخلاص وتمجيداً للقيامة!!

أما الشهادة أو الاعتراف بالفم للخلاص فيعني:

+ يعني أن اسم المسيح يملأ الفم، ولا يعلو اسم آخر على اسم المسيح لا أب ولا أم ولا أخ ولا أخت ولا زوجة ولا أولاد!!
+ يعني أن اسم المسيح قد قدّس الفم فلا تعظيم إلاّ للمسيح ولا خوف إلاّ للمسيح ولا رجاء إلاّ بالمسيح ولا شهوة إلاّ للمسيح.
+ يعني أن اسم المسيح في الفم هو أثمن من «الحياة»، يتخلّى عنها ولا يتخلى عن اسم المسيح!!

لذلك حينما تقول العقيدة المسيحية إن «**القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به**»، هذا يعني أنه قد حدث **الخلاص!!** والخلاص موت وقيامة.

ولكن يظل للشهادة دورها المجيد في حمل الإنجيل وإذاعته. فأنا آمنت بشهادة آخر، وأنا أشهد لآخر ليؤمن بمن آمنت ـــ فالشهادة إنجيل يتحرك من قلب لقلب، وإيمان محمول من جيل إلى جيل. لا يمكن فصل الإيمان عن الشهادة ولا الشهادة عن الإيمان. فالإيمان والشهادة هما المسيح الناطق في الإنسان. الشهادة عبادة والإيمان حياة.

والشهادة أو الاعتراف بالمسيح رُبّ تأتي بعد الإيمان، ولكنها تتقدّم على الإيمان في الكرازة. فأنا آمنت أولاً لذلك أعترف وأشهد، وأنا أشهد أولاً وأعترف ليؤمن الآخرون. ولكن يظل الاعتراف جزءاً لا يتجزأ من الإيمان.

«**بالرب يسوع**»:

الاعتراف أو الشهادة (المصبوغة بالدم أو التي يمكن أن تصطبغ بالدم) «بالرب يسوع»، تعني أني أشهد أن «**المسيح رب**». و «الرب» هنا في التوراة «**كيريوس**» باليوناني وهو بالعبري «**أدوناي**» وهو «**يهوه**» وهو «**الله المتكلم مع الإنسان**» هو «**الكلمة الأزلي**» هو «**الخالق مع الله**» هو «**والله واحد**». فهو «**الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين**» (رو٩: ٥). هو من جهة الله الأزلي الكلي القدرة والوجود «"ابن" **كلي القدرة والوجود مع الآب**». وهو من جهة بشريته، أي تجسده، «**هو استعلان ملء لاهوت الله في الجسد**»، «**هو استعلان ملكوت الله على الأرض**»، «**هو استعلان الحياة الأبدية المخفية في الله**»، «**هو تحقيق الآخرة وكل خيرات الدهر الآتي**»، «**هو ملء الله في الزمن الإنساني لتحقيق وجود الله في التاريخ**»، «**وهو استعلان نهاية كل شيء ونهاية الزمن والتاريخ**»، «**هو بدء أزمنة الخلاص التي لن يكون لها نهاية**». لذلك يقول بولس الرسول: «إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات "خلصت"»، لأنك تكون قد صرت في المسيح وله، وقد صار لك ما للمسيح من قيامة وحياة وبنوة!

وعلى القارىء أن يلاحظ هنا أن الإيمان بقيامة المسيح من الأموات هو عنصر أساسي في ربوبية المسيح، التي يتبعها الإيمان بمجيء المسيح كرب «ماران أثا» (١كو١٦: ٢٢)، «تعالَ أيها الرب يسوع» (رؤ٢٢: ٢٠)، وهي محور العبادة!!

«فالمسيح رب» هو عنصر الكرازة: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع.» (٢كو٤: ٥)

«لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض، ويعترف كلُّ لسانٍ أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في٢: ١٠و١١)

ولكن يلزم جداً أن ندرك أين ولماذا دُعي المسيح رباً، فهو دُعي كذلك أو بحسب لغة بولس الرسول أنه «**تعيَّن ابن الله**» بالقيامة من الأموات (رو١: ٤)، فالمسيح دُعي رباً واعتُرف به لمجد الله بالقيامة من الأموات، لأن ليس إنسان قط قبل المسيح بلغ القيامة من الأموات.

١٠: ١٠ «**لأن القلبَ يُؤمَنُ به للبرِّ والفَمَ يُعترَفُ به للخلاصِ**».

لا ننسى هنا أن محور الإيمان هو المسيح ومركز الإيمان هو القيامة من الأموات. وهكذا فإن

مختصر إعلان الإيمان هو قيامة المسيح من الأموات.

القديس بولس دار دورته وانتهى على ما ابتدأ أي: «البر بالإيمان». وهنا يضيف أن أداة الإيمان هي القلب، وهكذا يبتعد بعيداً عن مظاهر الأعمال وأفعالها؛ حيث القلب هو الأداة الوحيدة في الإنسان التي يتعامل فيها مع الله، وهو مركز التعلّق وليس مركز العمل.

فإذا استقر «الإيمان بالمسيح» في القلب فإن القلب يتهيأ لاستقبال بر الله، **لماذا؟** لأن المسيح يكون في القلب. وهكذا إذ يحل المسيح بالإيمان في القلب، ينال الإنسان استحقاق «**بر الله**» بسبب المسيح، الذي مضمونه العملي هو نوال الخلاص بصورته الأخروية. إن «**بر الله**» الأزلي ـ (الخلاص الإنسان) ـ ظل يتوق ويتحيَّن الفرصة متى يصير الإنسان أهلاً لحلوله فيه؛ وهكذا عندما يحل المسيح بالإيمان في القلب تكون فرصة بر الله للإنسكاب بلا مانع، ومع بر الله النعمة والمحبة والروح القدس وعطايا الله الروحية التي بلا كيل.

لماذا لا يحل بر الله إلاَّ إذا حلَّ المسيح بالإيمان في القلب؟ لأن بحلول المسيح تنتهي كل العوائق من جهة الخطية وكل متعلقاتها التي كانت تمنع حلول بر الله، لأن بر الله لا يحل على خطية: «بعيدٌ هو الخلاص من الخطاة» (مز١١٨: ١٥٥ النسخة القبطية). وكون القلب هكذا يصير أداة برّ والفم يصير أداة خلاص، يكون بولس الرسول قد شرح شرحاً بديعاً وعملياً كيف تتحوّل أعضاؤنا من أعضاء تخدم الخطية إلى أعضاء تخدم البر: «ولا تقدموا أعضاءكم آلاتِ إثمٍ للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلاتِ برٍّ لله. فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو٦: ١٣و١٤). وكما قال النبي سابقاً وكرره بولس الرسول: «ما أجمل أقدام المبشرين» (رو١٠: ١٥)، يصح هنا أن نقول مع ق. بولس ما أعظم أفواه المعترفين، يَخلُصون ويُخلِّصون السامعين. وهكذا كما استؤمن قلب الإنسان على حقيقة الإيمان بالله، هكذا استؤمن الفم على الاعتراف بفضل الله وعمله، وهكذا تأهل الإنسان للبر وللخلاص.

علماً يا عزيزي القارىء أن كل صلاة هي اعتراف، وكل تسبيح وترتيل ونشيد وهتاف هو اعتراف، وكل شكر وحمد وتمجيد هو اعتراف، **وهذه هي أعمال الإيمان والخلاص لأنه يستحيل أن يوجد إيمان بدون أعمال تشهد له. وأعمال الإيمان هي اعتراف.**

هل يوجد إيمان بدون اعتراف؟ هكذا يستحيل أن يوجد إيمان بدون أعمال تعترف

بصدقه وتشهد للمسيح والآب: «فليُضِيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥: ١٦). فالخلاص يتم بالإيمان ويُشهد له بالأعمال. فلا خلاص بدون إيمان ولا خلاص بدون شهادة.

١١:١٠ «**لأن الكتاب يقولُ كلُّ مَنْ يؤمنُ به لا يُخزَى**».

الكتاب هنا هو سفر إشعياء ـ الذي سبق أن أوردنا نصه: «هكذا يقول السيد الرب. ها أنذا أؤسِّسُ في صهيون حجراً حجر امتحانٍ حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً. مَنْ آمن لا يَهْرُبُ (لن يخزى)»، وصحتها في النسخة السبعينية: «مَنْ آمن به لا يخزى» (إش٢٨: ١٦). ولكن في **صورتها العامة** ـ «πᾶς» = **كل بلا تفريق**، الأمر الذي انتهزه بولس الرسول ليبني عليه بعد ذلك أنه لا فرق بين يهودي وأممي. فالحرف الذي أدخله ق. بولس «πᾶς» الذي لم يأتِ في النص السبعيني، أضافه ق. بولس ليفيد العمومية وليس الفردية. وهكذا نجح بولس الرسول في أن يبرهن، ومن واقع التوراة، أنه كما صارت الخطية عمومية بلا تفريق، هكذا صار بر الله بالإيمان عمومياً بلا تفريق: «كل مَنْ يؤمن به لا يخزى»، بمعنى أن كل مَنْ يؤمن به لا يخزى بل يخلص!!

ولكن يحضرنا هنا سؤال مُلِحٌّ: لماذا سمحت العناية الإلهية بأن لا يؤمن به اليهود وهم أصحاب الوعد؟ فبالإضافة إلى ما سبق وقاله بولس الرسول في هذا الأمر، سنرى كيف أن عثرة اليهود في «حجر صهيون» هي التي هيأت استعلان إنجيل الخلاص للأمم ـ أي العالم كله يهوداً وأمماً، كما سيجيء في الأصحاح الحادي عشر. فإذا سألت ولماذا اصطدم اليهود «بحجر صهيون»، فالسبب واضح لأن الحجر تأسس في صهيون بصورة متواضعة للغاية حتى عثرت فيه أقدامهم وهم ظنوا أن يأتيهم بعظمة ومجد وأُبَّهة سماوية ونفخ أبواق مع مراسيم سماوية فخمة. فلما جاءهم بلا منظر يُشتَهى، احتقروه؛ أما الذين آمنوا به وقبلوه وهو في عثرة خزي اتضاعه ـ أي الصليب ـ فلم يخزوا. إذاً، فليس من فراغ تقول النبوة ويرددها بولس الرسول بفهم ووعي سماوي أن «من يؤمن به لا يخزى»، لأنهم آمنوا بخزي صليبه الذي احتوى كل مجد الألوهة. فكما صار خزي الصليب إلى مجد بالاستعلان، هكذا يتحول من آمنوا بخزي صليبه إلى مجد لهم بالشركة! لذلك يلحُّ علينا أن نكمل الآية هكذا: أن كل مَنْ يؤمن به لا يخزى بل يتمجَّد!!

١٠: ١٢و١٣ **«لأنه لا فَرْقَ بينَ اليهوديّ واليونانيّ لأنَّ ربّاً واحداً للجميعِ غنيّاً لجميعِ الذين يَدْعُونَ بِهِ. لأن كُلَّ مَنْ يَدعُو باسم الربِّ يَخْلُصُ».**

لقد مهد بولس الرسول لهذه العمومية بإضافة حرف « πᾶς » في الآية السابقة: «كل مَنْ»، في صورة عمومية ليستطيع أن يبني هنا عليها هذه الحقيقة أنه **«لا فرق»** في الإيمان بالمسيح كربٍّ، والرب هو اسم من أسماء الله.

لقد سبق بولس الرسول في الآية ٣: ٢٢ أن قال إنه لا فرق بين اليهودي والأممي في نوال بر الله المجاني والسبب أنه لا فرق بينهما في الخطية. فكما أخطأ هذا أخطأ ذاك، لذلك حقٌ أن يكون البر لهما بلا تمييز: «بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا ...» (رو٣: ٢٢و٢٣). وهنا يعطي العمومية أيضاً ودون تمييز بين اليهودي والأممي بسبب آخر جليل وهو أن المسيح **«ربٌّ واحدٌ للجميع»**، وغناه يتدفق على الجميع بالسواء، كل مَنْ يدعوه!!

لاحظ أن بولس الرسول يتجه ناحية وحدانية الرب يسوع حيث لا ثنائية فيه. فهو الابن الوحيد: **«ربٌّ واحدٌ»**، كما أن الله الآب «إله واحد» (١كو٨: ٦). لذلك فهو واحد لكل مَنْ يدعو به بلا تمييز بين داعٍ وداعٍ.

وهنا يقتبس بولس الرسول نبوة يوئيل النبي عن أن كل مَنْ يدعو باسمه يخلص: «ويكون أن كل مَنْ يدعو **باسم الرب** ينجو. لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة. كما قال الرب. **وبين الباقين** مَنْ يدعوه الربُّ.» (يوئيل ٢: ٣٢)

وواضح من هذه الآية أنها تشير إلى البقية التي ستبقى من وسط جحود إسرائيل مَنْ سيدعوها الرب — (يسوع المسيح) — فتنجو أي تخلص، التي أشار إليها بولس الرسول في رو٩: ٢٧: «فالبقية ستخلص».

ولكن الذي يهمنا جداً هنا في اقتباس بولس الرسول لهذه النبوة بالأكثر هو إعطاء المسيح اسم **«الرب»** الذي يقع في الآية المذكورة موقع يهوه الله القدير بذاته: «وتعلمون أني أنا في وسط إسرائيل **وأني أنا الرب إلهكم** وليس غيري ولا يخزى شعبي إلى الأبد. ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر... أسكب روحي في تلك الأيام ... ويكون أن كل مَنْ يدعو باسم الرب ينجو (يخلص).» (يوئيل ٢: ٢٧–٣٢)

فانظر وافهم أيها القارىء العزيز أن بولس الرسول في إعطائه المسيح اسم **«الرب»** الذي يُدعى به، يكون المسيح عند بولس الرسول هو يهوه الإله **«إني أنا الرب إلهكم»** الذي ظهر في الجسد ممثلاً له ومتكلماً وساكباً **روحه** على كل بشر وأن هذا الروح عينه هو الذي يكون فيهم ناطقاً ومعترفاً باسم الرب!! والرب هو الذي يعطي الخلاص بالمقابل!! لهذا، فإن الإيمان الذي في القلب الذي به ندعو المسيح ربّاً هو بعينه **العبادة المطلقة للمسيح كرب لمجد الله الآب**: «أنتم تؤمنون **بالله** فآمنوا **بي**.» (يو١٤: ١)

وما يقول به بولس الرسول قال به بطرس الرسول عندما حلّ الروح القدس الموعود به يوم الخمسين: «هذا ما قيل بيوئيل النبي **"يقول الله"** ويكون في الأيام الأخيرة أني **أسكب من روحي** على كل بشر... أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون ... **ويكون كلُّ مَنْ يدعو باسم الرب يَخْلُصُ**» (أع٢: ١٦–٢١). وهنا يعطي بطرس الرسول **اسم الله** واضحاً على أنه هو هو **اسم الرب**. ويعود بطرس الرسول ليؤكد أن المسيح — الرب — هو الذي سكب الروح القدس:

+ «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه.» (أع٢: ٣٣)

وغنى المسيح هو غنى عطاء، فالغنى واقع على سخاء المسيح في العطاء بلا كيل، ولا يتمايز ولا يفترق لدى كل مَنْ يدعوه أو يدعو به، ليس بمعنى الصلاة وحسب بل العبادة في صورتها الكلية وخاصة مَنْ ينادي ويعترف ويكرز. هنا سخاء عطاء بر الله بالمسيح لا يتمايز لواحد عن آخر، أو ليهودي عن أممي. فميزان سخاء العطاء يتوقف على سخاء الواحد والعاطي على أساس الإيمان بالرب الواحد الذي يتساوى أمامه الجميع، الأمر الذي لا يمكن بلوغه بالأعمال الناموسية التي تتمايز وتختلف وتتفاوت. كأنما **الأعمال الناموسية** في تمايزها وتفاوتها من واحد لواحد لا تعطينا الصورة الفائقة **«للرب الواحد»** يسوع المسيح. ولكن **الإيمان الواحد الذي للجميع بلا تفريق أو تمييز باعتبار المسيح رباً واحداً للجميع — لليهودي وللأممي، وهو وحده الذي يعطينا بل ويثبّت في قلوبنا وحدانية الرب يسوع المسيح** وغناه الواحد المنسكب على الجميع، بقدر ما يحتمل كل مَنْ يؤمن.

ويلاحظ في هذه الآية أن بولس الرسول يقدّم موضوع الدعاء باسم الرب: **«رب واحد لجميع الذين يدعون به»**، لكي يبني عليه في الآية اللاحقة موضوع الكرازة بالإنجيل في كل مكان حتى يحاصر اليهود أن لا عذر لهم في رفض الدعوة.

[١٠:١٤–٢١] الله يشتكي إسرائيل

«مددت يدي طول النهار لشعبٍ مُعاندٍ ومُقاوم».

١٠:١٤و١٥ **«فكيف يَدْعُونَ بمَنْ لم يُؤمِنُوا به؟ وكيف يُؤمِنُونَ بمَنْ لم يَسْمَعُوا به؟ وكيف يَسْمَعُونَ بلا كارزٍ؟ وكيف يَكرزُونَ إنْ لم يُرْسَلوا؟ كما هو مكتوبٌ ما أجمَلَ أقدامَ المُبَشِّرينَ بالسلامِ المُبَشِّرِينَ بالخيراتِ».**

يلاحظ هنا أن بولس الرسول يصنع «كمَّاشة» ليُطْبِق بها على إسرائيل وهي رافضة للإيمان بالمسيح رفضاً عن وعي وإرادة، وليس عن جهل أو عدم سماع. وعليك أن ترى، أيها القارىء، في أي الأفعال التي يوردها هنا استطاع أن يسقط إسرائيل في الرفض والعناد. فأولاً وقبل كل شيء يلزم أن نعلم تماماً أنه لم يَقُم نبي ليبشر إسرائيل بأخبار سارة حادثة بالفعل، بل كل الأنبياء من موسى وحتى آخر نبي تنبأوا بالويل والثبور وعظائم الأمور لإسرائيل المعاندة الشاردة عن إلهها، فإن كان خلاص وإن كان خبر سار مفرح فهو في آخر الأيام حينما يأتي الآتي، مسيَّا الموعود به منذ الدهور. وهوذا بولس الرسول يبشِّر بظهور الإنجيل الذي هو بعينه الأخبار السارة والمفرحة والخلاص الموعود به. وهنا يعطي بولس الرسول سلسلة من الأفعال لا تحتاج إلى شرح أو برهان، فهي تشرح نفسها بنفسها:

١ – ففي الآية السالفة ينادي ق. بولس بالنبوة القديمة أنه سيأتي الرب الذي **كل مَنْ يدعو** باسمه يخلص.

٢ – ومنها ينطلق ليسأل أنه **«كيف يدعون باسم مَنْ لم يؤمنوا به»** (١٠:١٤)؟

٣ – **ثم كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟**

٤ – **ثم كيف يسمعون بلا كارز؟**

٥ – **«ثم كيف يكرزون إن لم يُرسلوا»** (من الله)؟ (١٠:١٥)

هذا كلام منطقي تماماً وعملي وقد تم كله بالفعل. فالذين آمنوا بالمسيح الرب دعوا باسمه، أي عبدوه، وهم آمنوا لما سمعوا خبر قيامته، وإرسال روحه القدوس الذي نطق الإيمان فيهم.

وهم سمعوا من الذين كرزوا باسم الرب يسوع.

وهؤلاء الكارزون كرزوا لأنهم أرسلوا من الرب بالروح.

وهكذا بالرب يسوع ابتدأت سلسلة الإيمان لتنتهي به، مدعوًّا باسمه.

فأين، أو من أي الأفعال هذه، أمسك بولس الرسول باليهود الرافضين الإيمان بالمسيح كرب ومخلِّص؟ هذا يكشفه بولس الرسول في تكملة الآية الخامسة عشرة هكذا:

«كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات!»:

إذاً، فقد نصت النبوات كلها على أنه **إذا جاءكم مَنْ يبشر بالسلام ويبشر بالخيرات المنتظرة، هذا يكون معناه أنه قد «أتى الموعود به» حتماً، هذا الذي على يديه سيحل السلام وتعمُّ الخيرات!!**

وبولس الرسول نفسه إذ ينادي ويهتف ويقول إنه مرسل من الله للكرازة بإنجيل الخيرات والسلام والخلاص، يكون رَفْض اليهود له مأخوذاً عليهم، إذ سمعوه مائة بالمائة وله في كلامه وكرازته ما يؤكد أنه مرسل من الله بالفعل وشهادته قائمة في كرازته بالروح القدس الناطق والعامل فيه.

ولكنهم لم يطاوعوا الإنجيل!!

١٠:١٦و١٧ **«لكن ليسَ الجميعُ قد أطاعُوا الإنجيلَ. لأنَّ إشعياءَ يقولُ يا ربُّ مَنْ صدَّقَ خبَرَنا. إذاً الإيمانُ بالخبرِ والخبرُ بكلمةِ الله».**

هنا سقطت إسرائيل **وعثرت**، ليس في بولس الرسول فقط، بل في الإنجيل، بل بالحري في **صخر الدهور**.

هنا أصبحت إسرائيل مسئولة عن رفضها تماماً بشهادة النبوة من فم إشعياء النبي الذي وقف من وراء الأيام يشهد ضدهم أنهم سمعوا الخبر السار من الله ولم يصدقوه!! وهل يمكن أن يأتي إيمان إلاّ بالخبر؟ وهل يمكن أن يؤمن إنسان ويُحسَبُ له إيمانه برًّا إذا لم يؤمن بما هو على خلاف الرجاء والمعقول؟ إبراهيم لما سمع الخبر من الله أنه سيعطى حياة ليعطيَ نسلاً، وهو شيخ فانٍ وامرأته اضمحلت قدرتها على الحمل والولادة، آمن بالخبر المستحيل إذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان، فحُسب إيمانه بالمستحيل برًّا ونال الحياة والوعد بالنسل الذي ستتبارك به الأمم.

هكذا قدم بولس لإسرائيل الخبر بكلمة الله أي بالمسيح قائماً من الأموات باعتباره الرب المحيي مسيَّا الأنبياء الموعود، وصخر الدهور المرصود. وكان هذا هو في عرف إشعياء النبي «خبر الله» وخبر الأنبياء معاً. «يا رب مَنْ صدَّق خبرنا»؟؟

ولكن ليس الجميع قد أطاعوا الخبر فأطاعوا الإنجيل، ولكن قلّة وهي «الباقية» أطاعت وربحت. يلاحظ القارىء أن الآية السابعة عشرة جاءت مُحكَمَة الوضع بعد الآية السادسة عشرة. ولكن للأسف عثر العلماء في موضع هذه الآية وقالوا إن وضعها الصحيح يكون بعد الآية الخامسة عشرة. والكاتب يتعجب على قدرة العلماء في النقد دون التمشي مع إلهام الإنجيل. فهنا إشعياء يقول آخر ما يقول: «يا رب مَنْ صدق خبرنا»، وبولس الرسول يُردف حالاً مصدِّقاً قائلاً: «إن **الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله**»، وهكذا يضيف القديس بولس شارحاً قول إشعياء النبي إن **«خبر الله» هذا هو بكلمة الله ذاتها، فرفض الكلمة يكون هو بعينه رفض الله!!** فانظر أيها القارىء قدرة بولس على الحبك الإلهامي الذي فات للأسف على العلماء!!

١٨:١٠ **«لكنَّني أقولُ ألعلَّهم لم يَسْمَعوا؟ بَلَى، إلى جميع الأرض خرَجَ صَوتُهم وإلى أقاصِي المسكونةِ أقوالُهم».**

هنا بولس الرسول أراد أن يُثبت على إسرائيل أن لا عذر لها في رفضها ولا حجة لها. فإن كان الإيمان بالخبر والخبر بإعلان كلمة الله، فالكلمة أُعلنت وغطت المسكونة كلها، وبولس الرسول وإن كان يعتبر نفسه أحد الذين أذاع الله الإنجيل بصوتهم في أرجاء المملكة الرومانية التي كانت تمثل المسكونة في ذاك الزمان، إلاَّ أنه يستشهد هنا بالنبوة في مزمور ١٩: ٤. وإن كانت النبوة جاءت في المزمور لتشهد لأعماله في الخليقة، فالمصنوعات المخلوقة ـ (الشمس والقمر والنجوم) ـ تشهد لله في كل أنحاء الأرض والسماء، ولكن بولس الرسول اقتبسها باعتبار المسيح الذي **ينادي به الرسل** هو هو خالق هذه المسكونة بكل مصنوعاتها. فإن كانت «**الخليقة**» تشهد لخالقها، **«فالرسل» إنما ينادون بهذا الخالق عينه!!** وبولس الرسول في هذا لا يخرج عن منهج المسيح الذي أراد أن الرسل يكرزون للخليقة كلها بخالقها. «وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع **واكرزوا بالإنجيل ـ الأخبار السارة ـ** للخليقة كلها» (مر١٦: ١٥). إذاً، بولس الرسول يردد صدى أمر الرب؛ والقديس بولس يسأل: هل لم يسمع اليهود؟ والرد الذي جاء: «بلى» أي: بل سمعوا ـ ولكنهم يسمعون ولا يسمعون كما قال فيهم الرب: «سامعين لا يسمعون» (مت١٣: ١٣)، لأن اليهود سواء الذين كانوا في فلسطين أو الذين في الشتات بَلَغتهم جميعاً أخبار صليب المسيح وقيامته أيضاً من الأموات. لأنه حيث كان اليهود وأينما كانوا، فمنهم صار المسيحيون، لأن تقرير سفر الأعمال أن الكلمة كانت تنمو وتزداد بين اليهود.

١٩:١٠ **«لكنني أقولُ ألعلَّ إسرائيلَ لم يَعلَم؟ أوّلاً موسى يقولُ أنا أُغِيرُكُم بما ليس أُمَّةً. بأمةٍ غبيَّةٍ أُغيظُكم».**

هنا ينتقل بولس الرسول من «**السمع**» إلى «**العلم**». لأنه إن احتج اليهود أنهم لم يسمعوا بخبر المسيح سَمَعَ الأذن، إلا أنهم علموا به علم اليقين. لأن من ذا الذي لم يكن يعلم عن المسيا ومجيئه سواء من موسى أو جميع الأنبياء. ولكن بولس الرسول قال قولاً آخر تماماً لا يخطر على بالنا: قال نعم إنهم علموا، علموا من موسى أن بعنادهم لله وعدم سماعهم له وعدم طاعتهم لكلمته سيبلغ بهم عنادهم إلى أن يفقدوا وجودهم كأمة، وتأتي أمة أخرى لا تدَّعي الحكمة كما يدَّعون ولا تدَّعي المعرفة وتحتكرها كما يعرفون ويحتكرون، «أمة غبية» بمعنى أنها كانت تجهل الله جهلاً غبياً، إذ عبدته في صورة الأصنام: حيوانات وطيور وزواحف. نعم هكذا قال لهم موسى وهكذا سمعوا وعلموا أنهم بإغاظتهم الله وبجهلهم وتجاهلهم المتجاسر ضد وصاياه سيغيظهم بأن يعطي نعمته وكل مواعيده للأمم (تث٣٢: ٢١)!!

وبولس الرسول بقوله هذا، يكون كأنه يسأل اليهود الذين رفضوا الإيمان بالمسيح على يديه وعلى يدي باقي الرسل، يسألهم هكذا: ماذا تقولون يا شعب إسرائيل والنبوة تتحقق أمام أعينكم الآن، وها الأمة الغبية عابدة الأصنام تأتي أمام أعينكم خاشعة خاضعة لله الآب الواحد يهوه العظيم بكل قلوبهم، ويطلبون الإيمان، ويطيعون وصاياه، ويقبلون الخلاص العظيم المسيَّا ابنه يسوع المسيح الذي كان الوعد به لكم أنتم، وها هوذا ينقل للأمم كل أمجاده وعطاياه التي كانت لكم؟ نعم، ماذا تقولون وها الميراث، بل الكرم، بل الملكوت، يُؤخذ منكم ويُعطى لأمة تصنع أثمارها وذلك أمام أعينكم!!!

١٠: ٢٠و٢١ **«ثم إشعياءُ يتجاسَرُ ويقولُ** (بفم الرب) **وُجِدتُ مِنَ الذينَ لم يطلُبوني وصِرتُ ظاهِراً للذينَ لم يسألوا عنّي. أما من جهةِ إسرائيلَ فيقولُ طُولَ النهارِ بسطتُ يَدَيَّ إلى شعبٍ مُعانِدٍ ومُقاوِمٍ».**

إنها نبوة إشعياء (٦٥: ١ـ٣) بنصها في السبعينية التي جاءت في الترجمة العربية هكذا:

+ «أصغيت إلى الذين لم يسألوا. وُجِدْتُ من الذين لم يطلبوني. قلت ها أنذا لأمةٍ لم تُسَمَّ باسمي. بسطت يديَّ طول النهار إلى شعبٍ متمرِّد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره. شعب يغيظني بوجهي ...» (إش٦٥: ١ـ٣)

وواضح أيضاً من نبوة إشعياء أن في الوقت الذي رفض إسرائيل بعناد ومقاومة يد الله الممدودة بالخلاص، الذي تم بواسطة ابنه المسيح يسوع، إذ بالأمم التي لم تكن تعرف الرب تناديه فيسمع لها، وهو بنفسه يعلن ذاته ويوجد لها علانية، للذين لم يسبق أن يطلبوه أو حتى يسألوه!

وكأن بولس الرسول يسأل اليهود: أما سمعتم يا شعب إسرائيل ورأيتم كيف قبل الرب الأمم وكيف أعلن نفسه لهم، وكيف صاروا شركاء الميراث والإنجيل والجسد والمجد رغم أنهم لم يكونوا يعرفونه أو يطلبونه أو حتى يسألونه؟

والآن، فالغيظ الذي تغتاظونه الآن بدخول الأمم ومناداتي بالخلاص للوثنيين الغُلْف، ليس هو غيظاً من عملي أو عمل الرسل الكارزين، بل هو هو غيظ الرب الذي يرده لكم مضاعفاً. فالغيظ الذي تغتاظونه الآن هو من عمل أيديكم ويشهد عليكم أنكم أغظتم الرب فأغاظكم، وأن مقاومتكم وعنادكم لكلمة الرب ارتدت عليكم هجراناً مريراً حتى يدخل ملء الأمم أمام أعينكم!!

فهل علمتم؟؟

وقفة قصيرة

مجمل المعنى في هذا الأصحاح

لم يكن الإيمان بالمسيح صعباً على اليهود لأنه هو مُرسَل لهم! إسرائيل لا تستطيع أن تعتذر أو تستثني ذاتها من دعوة الله بالمسيح يسوع. فهي لم ينقصها السمع، فالأخبار ملأت الدنيا: أورشليم والسامرة وأقصى الأرض. السامرة سمعت وآمنت، الحبشة سمعت وآمنت، وكل أقطار العالم التي اجتمع أهلوها في أورشليم يوم الخمسين، سمعوا جميعاً وبلّغتهم الأخبار. وليس الخبر فقط، بل والعلم بالمسيا الذي هو في أوله وأصوله كان لليهود وليس للأمم، فاليهود عرفوا المسيا وتأكدوا من مجيئه، في حين أن الأمم لم يعلموا عنه شيئاً. الأمم قبلوه دون أن يسمعوا عنه أو يعرفوه، وإسرائيل رفضت السمع والمعرفة وقدّموا عدم الطاعة للكلمة بل والعناد والمقاومة بلا سبب: «أبغضوني بلا سبب ... أبغضوني أنا وأبي» (يو١٥: ٢٥و٢٤)، مع أنه لا الله ولا المسيح قصّروا في حبهم والتوسّل إليهم: «طولَ النهار بسطتُ يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم» (رو١٠: ٢١). الرب يطلبهم وهم أعطوه القفا دون الوجه! كما تحنُّ الدجاجة نحو أفراخها وتحاول جاهدة أن تجمعهم تحت

جناحيها، هكذا صنع الله والمسيح معهم منذ الدهر، أما هم فلم يريدوا أو يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم!

فالله لم يخفق في إسرائيل كما يقول ـ للأسف ـ النقاد[1]، بل إسرائيل هي التي أخفقت في الله، فكل إحسانات الله لا تسعف الإنسان إذا اعتد بذاته. ويا ويل الإنسان الذي يستهين بغنى لطف الله وإمهاله، فإن عدم الطاعة أوْدَى بآدم وهو نفسه الذي أودى بإسرائيل. ولكن لا عقوق آدم استطاع أن يوقف غنى محبة الله على الإنسان عامة ولا عقوق إسرائيل منع حبَّ الله عن كل الأمم. وبالنهاية تحمَّل الله عقوق هذا وذاك على صليب ابنه ـ لأنه يستحيل على الإنسان أن يمنع الله من أن يسكب رحمته ويُظْهِر برّه.

فمن ذا يستطيع أن يفصل الله عن محبته للإنسان؟ أخطية أم عقوق أم عدم طاعة أم تعدٍّ أم أصنام؟ فهذه كلها لم تكن قادرة أن تمنع الله عن محبته للإنسان! «ولذّاتي مع بني آدم.» (أم٨: ٣١)

فلولا خطية آدم ما عرفنا المسيح، ولولا عقوق إسرائيل ما دخلت الأمم في مجد التبني!

ولكن هل معنى ذلك أن نستحسن خطية آدم أو نبارك على عقوق إسرائيل؟ أبداً، بل نعظم محبة الله التي غلبت خطية آدم ونكرم صليب المسيح الذي ابتلع عقوق إسرائيل ليلد له من كل الأمم شعباً جديداً!

1. Käsemann, *op. cit.*, p. 293.

الأصحاح الحادي عشر

سر الخلاص في مقاصد الله

إن كان الأصحاحان التاسع والعاشر قد انتهيا بقول الله: «طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم»:

+ ١١: ١–١٠ فهل معنى هذا أن الله رفض إسرائيل؟ ليس كلياً ولا نهائياً. فالله أبقى لهم منهم بقية تشهد له. هؤلاء هم المختارون حقاً الذين آمنوا بالمسيح ومنهم ق. بولس!

والأغلبية قسّى الله قلوبهم؛ لأنهم لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم فعثروا وزلوا ورفضوه ثم صلبوه وقتلوه، فتسببوا دون أن يدروا في تكميل الفداء!

+ ١١: ١١–٢٤ فصارت عثرتهم وزلّتهم – بالإغاظة له – سبب خلاص للأمم. أولئك خرجوا وهؤلاء دخلوا!! وذلك إلى أن يدخل ملء الأمم:

+ ١١: ٢٥–٣٢ حينئذ يُرحمون! وتخلص بقية إسرائيل!!

+ ١١: ٣٣–٣٦ يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه!

[١١: ١ــ١٠] هل رفض الله شعبه إسرائيل؟

١:١١ «فأقولُ ألعلَّ اللهَ رَفَضَ شعبَهُ ــ حاشا ــ لأني أنا أيضاً إسرائيليٌّ من نسلِ إبراهيمَ من سبطِ بنيامينَ».

ق. بولس يعقِّب على الأصحاحين التاسع والعاشر اللذين لخصهما في آخر آية في الأصحاح العاشر.

وحينما يسأل ق. بولس ألعل الله رفض شعبه هكذا بعد أن اصطدموا بحجر صهيون وعثرة الصليب؟ وقد نوَّه بسؤال مثل هذا في الأصحاح التاسع: «ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت»، فما هي كلمة الله هذه؟ وبأية جرأة يقول ق. بولس «حاشا» على سؤال: «هل رفض الله شعبه»؟ هذه الجرأة يستمدها من قول الله في مزمور لداود الذي يقطع أن الله لا يرفض شعبه! «لأن الرب لا يرفض شعبه ولا يترك ميراثه؛ لأنه إلى العدل يرجع القضاء وعلى أثره كل مستقيمي القلوب» (مز٩٤: ١٤و١٥). ثم ما هو برهان ق. بولس على هذا القول؟ أي أن الله لا يرفض شعبه ولكن بالعدل يحاكمهم؟ ق. بولس أعطى نفسه وكل اليهود الذين آمنوا بالمسيح عيِّنة من شعب الله الذين نجوا بعدل قضاء الله، إذ حُسبوا مستقيمي القلوب حينما أطاعوا الكلمة وخضعوا لصوت الله وآمنوا وتبعوا المسيح.

ولكن الذي نرجع به على الشارحين من العلماء لهذه الآية، ونراجعهم في انفلات نظرتهم نحو ق. بولس، هو قولهم أنه يتكلم هنا بدافع وطنيته وانحيازه لليهود، ويتمادى العلماء في القول بأن ق. بولس يذكر سبطه بافتخار وكبرياء! وفاتهم خطورة موقف ق. بولس وهو يتكلم هنا بروح الله عن قضاء عدل الله، فهو لا يتكلم من وجهة نظره ولا من فلسفته في أمور الدين كيهودي. هذه نظرة خاطئة أشد الخطأ وتودي بكل لاهوت ق. بولس. هنا القديس بولس يكشف ويستعلن بر الله وبر الله وحده ــ إذ أسقط حساب الناموس كليةً، وبالتالي كل علمه ومعرفته ووطنه وبلده وأرضه، فالذي يُسقط الناموس يُسقط كل مؤهلات اليهودي، لأنه في الحقيقة يُسقط ــ لو جاز القول ــ كل منهج موسى، الذي عرَّفه أنه «زِيدَ بسبب التعديات» (غل٣: ١٩)!

وحينما يعطي ق. بولس نفسه مثالاً للذين نجاهم الله فنجوا ودعاهم فلبُّوا واستعلن لهم ذاته

فآمنوا وتبعوا، فهو لا يفتخر ولا يفاخر قط، لأنه سبق فأساء إلى الإيمان واسم المسيح وأفرط في إتلاف الكنيسة، وبهذا يزيد ثقل الدفاع عن الله وعدل الله أن الله ــ في بولس ــ أبقى لنفسه بقية من هذا الشعب نفسه، تشهد له ولحكمته التي عامل بها شعبه! وق. بولس في ذلك يرى في أمر نفسه وكأنها «نبوَّة»، لأنه وهو قد عثر في المسيح والصليب وأهان اسم المسيح وأتلف الكنيسة، إلا أن الله لم يحسب له هذا خطية!! بل دعاه ونجاه وقبله وأحبَّه وضمَّه إلى نفسه وبرَّره وكرَّمه ومجَّده. أَفَلَيْست هذه «نبوَّة» عما سيفعله الله في كل إسرائيل ليخلص بعد زمان ولو بعيد؟ وهل صنعت إسرائيل في المسيح أشنع مما صنع بولس؟

فإن كنا نحن الأمم نحسب ق. بولس نبياً لنا خاصاً حمل إنجيله لأهل الغرلة، فهو هو نفسه بالضرورة نبيٌّ لإسرائيل الجديد الذي يبشر إسرائيل بخلاص مُعدٍّ لهم، على مثال ما صنعه له المسيح حينما دعاه وهو سائر ــ كما هم الآن ــ في طريق الجهالة والتشرد، يتعالى بيهوديته ويفاخر بفريسيته يلعن الصليب والمصلوب، وينكِّل بكل من تطاله يداه من أتباع ذلك الناصري المرفوض. فالقديس بولس هنا لا يفاخر بيهوديته ــ يا سادة ــ ولكن يفتخر بنعمة الله التي غطَّت جهالته وتجاوزت حماقته وصفحت عن سوء سيرته، ويرى في هذه النعمة أنها أيضاً مع إسرائيل، كل إسرائيل، على ميعاد، لخلاص عتيد أن يُعلن ــ وشيكاً ــ فيهز السماء والأرض ليهتف الكل برحمة الله ونعمته: «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه»!

ق. بولس يجيب:

٢:١١و٣ «لم يَرْفُضِ اللهُ شعبَه الذي سَبَقَ فعرَفَه. أم لستم تعلَمُون ماذا يقولُ الكتابُ في إيليَّا كيف يتوسَّلُ إلى الله ضدَّ إسرائيلَ قائلاً يا رَبُّ قَتَلُوا أنبياءَكَ وهَدَمُوا مذابِحَكَ وبَقِيتُ أنا وَحْدِي وهم يطلُبُون نَفْسي».

«سبق فعرفه»: προέγνω

هنا يعرض ق. بولس لمبدأ جريء وخطير، إذ يجعل سبق معرفة الله لشعبه الذي كان هو الأساس الذي عليه اختاره، يقف حائلاً دون الرفض!! فالذي سبق واختاره الله كيف يرفضه؟ وهذا المبدأ الإلهي يقف بموازاة المبدأ القائل: إن عدم أمانة إسرائيل لا يمكن أن يبطل أمانة الله!!!

+ «فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله. فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا!!» (رو٣: ٢ــ٤)

ولحل هذا التداخل بين الاختيار والرفض، يخرج ق. بولس بالمبدأ الجديد أن الرب لكي يظل

صادقاً «بل ليكن الله صادقاً»، وليكن الإنسان دائماً هو الذي يكذب في سلوكه أمام الله الذي اختاره «وكل إنسان كاذباً»، ولكي يتبرر الله دائماً في كل ما يقول: «لكي تتبرر في أقوالك»، وأن يغلب في كل شكوى أو إدعاء يرفعه الإنسان أمام الله «وتغلب متى حوكمت» (رو٣: ٤)؛ يقول ق. بولس: إن الله دائماً يُبقي له بقية من وسط المرفوضين يكونون على مستوى الاختيار وأمانة الدعوة التي دُعوا إليها. وهو يستشهد بذلك من موقف إيليا مع الله، فهو وهو نبي يشكو الشعب لله أنه بجملته ارتد عن الله وقتل أنبياءه وانقلب على العبادة الحقة! هنا لا يفوتنا تعريج ق. بولس على موقف إيليا الذي لا يُحسد عليه، حيث كان مطلوباً قتله، وهذا هو بعينه موقف بولس الرسول نتيجة مطاردة اليهود له ومحاولتهم قتله!!

وهنا يستظهر ق. بولس على إيليا بالنعمة التي تضيء فكره وقلبه. فهو لا يشتكي شعب إسرائيل: «ليس كأن لي شيئاً لأشتكي به على أمتي» (أع٢٨: ١٩)، بل بالحري وعلى النقيض تماماً فهو يدافع عن شعب الله حتى وبعد أن رُفض علناً!! متمسكاً بردِّ الله على إيليا أن الله أمين على وعده ودعوته واختياره، فإن لم يكن مع الكل فمع الذين أحسنوا إلى اختياره ودعوته، وكانوا ولو على شيء من الأمانة تجاه أمانته **«أَبْقَيْتُ لنفسي»**. هذا هو المبدأ البديع الذي يقدِّمه لنا ق. بولس في دفاعه لا عن شعب الله كما يبدو للعلماء والشرَّاح، بل هو دفاع عن الله من جهة أمانته واختياره: «ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت.» (رو٩: ٦)

ولو أنصت القارىء وانتبه لكلمة **«أبقيت لنفسي»**، فالله تعاهد مع الإنسان ليس من أجل الإنسان وحسب بل ومن **أجل نفسه**، الله أحب الإنسان بالحقيقة وبالصدق، وهو أمين غاية الأمانة في حبِّه، أحبَّه لا لشيء حسن في الإنسان ــ ولو أنه خلقه حسناً (تك١: ٣١). ولكن أحبَّه لأنه أحبَّه، والله ليس كالإنسان، فالإنسان يحب لعلَّةٍ ما ولسبب!! ولكن الله ليس عن علة ولا لسبب أحب الإنسان! الله أحب الإنسان فخلقه، وليس بعد أن خلقه! فحب الله للإنسان هو الذي امتد وصار فعلاً للخليقة كلها، فخلقة الإنسان هي آية من حب الله للإنسان. لذلك فحتى وبعد أن تنكَّب الإنسان في أمانته لله دائماً وفي كل الأحوال والأزمان، لم ترتد أمانة الله في حبه للإنسان! لذلك قلنا عن وعي ورشد: **«من سيفصل الله عن محبة الإنسان»**؟؟ أخطية أم تعدٍّ أم جحود أم تجنٍّ؟ هوذا لولا خطية آدم ما تصادقنا مع ابن الله شخصياً وعن قرب وصرنا من لحمه وعظامه!! ثم أكلنا وشربنا على مائدته من جسده ودمه!! ثم هوذا لولا جحود شعب إسرائيل وعقوقه ورفضه لله علناً بل وذبحه لابنه الحبيب صلباً، ما دخلنا نحن الأمم في مودَّة مع الله وقُربى، وهكذا صرنا اختطافاً رعية مع القديسين وأهل بيت الله!!!

لذلك قال ق. بولس عن إلهام ورؤيا: «الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو٥: ٨)، وكأنه يرد على قول الرب في إنجيل يوحنا: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦). أو قول ق. يوحنا نفسه: «بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به» (١يو٤: ٩). ثم يقطع على كل فكر أن الإنسان يتفاخر بحبه لله: «نحن نحبه لأنه **هو أحبنا أولاً**» (١يو٤: ١٩). لأنه يستحيل أن تكون هناك مبادرة حب أو خير للإنسان من أي وجه ولا يكون الله صاحبها!

هنا، عزيزي القارىء، يمكن أن نثق بقول ق. بولس أن الشعب الذي أحبه الله واختاره يوماً فإن رَفَضَه زمناً فلن يرفضه أبداً، وإن رفضه حقاً فلن يرفضه كلية لا بسبب شيء حسن فيه، ولكن يقول الله: «من أجل نفسي» (إش٤٣: ٢٥ و٤٨: ١١)!!

٤:١١ «لكن ماذا يقولُ له الوَحْيُ: أبقيتُ لنفسي سبعةَ آلافِ رجلٍ لم يَحْنُوا رُكبَةً لبَعْلٍ».

«أبقيت لنفسي»:

البقية والاختيار: λεῖμμα, ἐκλογή

ويلزمنا أن نلاحظ هنا قول الله «أبقيت»، فهو الذي **أبقى** لنفسه سبعة آلاف لم يعبدوا البعل (١مل١٩: ١٨). هنا لا زال الاختيار الأول ومنذ البدء لشعب الله قائماً. فهو الذي أبقى اختياره حيًّا ومستمراً في هذه البقية. إذاً، فالاختيار لم يهزَّه رفض إسرائيل لله ولا رفض الله لإسرائيل. فالاختيار متعلِّق بأمانة الله وصدقه أي برِّه الشخصي الذي رافق الإنسان ليس فقط منذ أن خُلق بل وقبل إنشاء العالم!! «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف١: ٤). ولكن واضح كل الوضوح أن الله لا يثبت اختياره على أساس سلوك الإنسان، فالإنسان متقلِّب، لذلك أسَّسه على حبه الشخصي، على أمانته، على برِّه الذاتي!! هنا الاختيار الأزلي للإنسان قائم على بر الله الأزلي.

والآن ربما تقول: إذاً خطية الإنسان لا تتعارض مع الله؟ نقول بلغة ق. بولس حاشا، فالتعارض بين خطية الإنسان وبر الله هو الذي كلَّف الله بذل ابنه على الصليب ليرفع هذه الخطية، أي هذا العائق الخطير، يرفعها من أمام برِّ الله، حتى يستطيع الله أن يحتوي الإنسان في برِّه!!!

إذاً، فالذي ضَمِنَ اختيار الله للإنسان على طول الزمن هو استعداد بذل الله أقصى البذل، حتى وإلى سفك دم ابنه ليُبقي على اختيار الإنسان؛ ليتمم فيه مقاصد برِّه، ليقربه إلى قلبه، ليفيض عليه من حبه ومن روحه بلا كيل!!

إذاً، لو اتسع أفق رؤية القارىء وامتد معنا ببصره، لرأى أننا نحن الآن مختارون في إسرائيل. فاختيار الله لإسرائيل كشعب خاص له منذ البدء من أجل إبراهيم وإسحق ويعقوب كان بداية اختياره للإنسان عامة، وعصيان إسرائيل وعقوقه كشعب، لم يوقف أو يعطِّل اختيار الله، بل ظل يمتد هو هو من الأقل إلى الأكثر — لا يعوقه عائق — فالسبعة الآلاف ركبة في أيام إيليا صارت الآن سبعة آلاف ملايين أو ربما بلايين!! وكل عصيان أو تعدٍّ نال مجازاته في حينه، أو رُفع وتلاشى في ذبيحة الفداء والمصالحة لكي يمتد الاختيار على كل حال بلا تعوُّق حتى يبلغ غايته عند الله؛ عندما ينسكب بر الله فيقف الإنسان أخيراً أمام الله كقديس وكابن بلا لوم في المحبة.

فإذا سألت: على أي أساس يختار الله البقية λεῖμμα ؟ يرد ق. بولس:

٥:١١ **«فكذلك في الزَّمانِ الحَاضِرِ أيضاً قد حَصَلَت بقيةٌ حَسَبَ اختيارِ النِّعمَةِ».**

«حسب اختيار النعمة»: κατ' ἐκλογὴν χάριτος

هنا ق. بولس يعطي لموضوع البر، أي بر الله بالمسيح يسوع، دفعةً جديدةً في توضيح كيف أن الله يهبه بدون عمل الإنسان! فالبقية الباقية من شعب إسرائيل، التي آمنت بالمسيح بعد أن رفض الشعب كله الانصياع لنداء الله ودعوته بواسطة ابنه يسوع المسيح: «مددتُ يدي طول النهار إلى شعب معاند ومقاوم»، أما الأغلبية فرفضت، وأما البقية فنعرفها نحن جيداً، كيف ابتدأت بحسب الإنجيل، كيف اختارهم الله ودعاهم واحداً واحداً: الذي من فوق مراكب الصيادين، والذي من أمام مائدة العشارين، وهذا بولس الأخير وهو في طريقه لذبح القديسين! أي عمل حسن كانوا قد أتوه؟ وأي جهاد كانوا فيه يجاهدون؟ وأي برٍّ كانوا فيه ينشغلون؟؟

إذاً، فهو اختيار النعمة وليس بمقتضى أعمال حسنة عملوها. إذاً، فهنا يُرسي ق. بولس عمل الاختيار على عمل النعمة التي ذاقها هو حينما طنَّت في أذنيه كلمة المسيح — وهو بضمير مهلهل واقف أمامه — «هذا لي إناء مختار» (أع٩: ١٥). فالقديس بولس عرف الاختيار من أين أتى منذ البدء ومن أين يأتي حينما ترتد الأغلبية لتتمسك بأعمال يديها، فيختار الله بقيةً بنعمته؛ ليظل الاختيار اختيار نعمة كل حين وإلى الأبد.

٦:١١ **«فإن كان بالنعمةِ فليسَ بعدُ بالأعمالِ وإلاَّ فليست النعمةُ بعدُ نعمةً وإنْ كان بالأعمالِ فليسَ بعدُ نعمةً وإلا فالعملُ لا يكونُ بعدُ عملاً».**

نعم لو عرفنا أن «النعمة» هي الهبة المجانية التي يطرحها الله على الإنسان حينما تكلُّ يداه وتذبل عيناه ويبلغ منه الشقاء منتهاه، هكذا مثلاً:

+ «فظهر له ملاك الرب وقال له الرب معك يا جبار البأس!
فقال له جدعون أسألك يا سيدي **إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟** ...
فالتفت إليه الرب وقال اذهب **بقوتك هذه وخلِّص إسرائيل؟؟!** ...
فقال له أسألك يا سيدي **بماذا أُخلِّص إسرائيل؟**
ها عشيرتي هي الذُّلَّى في منسى وأنا الأصغر في بيت أبي
فقال له الرب **إني أكون معك** ...» (قض٦: ١٢-١٦)

أن يكون الله معنا هذه هي النعمة، وإن كان الله معنا فقوتنا ليست بعد قوتنا ولا العمل هو بعد عملنا. فإن كان جدعون قد غلب أعداء إسرائيل بقوة بأسه وعمل يديه، فالنعمة ليست بعد نعمة، ويكون هذا النجاح هو عمل جدعون وليس عمل الله. ولكن جدعون، وهو يعلم أنه وهو من أضعف سبط وأضعف مَنْ في هذا السبط، ذهب وغلب بإيمانه بوعد الله ونعمته؛ فماذا لو كان جدعون قد ذهب مغروراً بقوته وحارب؟ هذا هو حال إسرائيل!!!

هكذا، يا قارئي العزيز، يعلِّم الله الإنسان منذ البدء الفرق بين العمل مع القوة بيد الإنسان، وبين النعمة مع الضعف بيد الله. وهكذا تعلم ق. بولس أيضاً من فم الله أن النعمة تعمل في الضعف فتجعله أقوى من القوة. فحينما صلى ق. بولس ثلاث مرات ليسترد عافيته وقوته، كان الصوت المعلِّم: «تكفيك **نعمتي** لأن **قوتي في الضعف** تُكْمَلُ» (٢كو١٢: ٩). فذهب ق. بولس يتقوى بنعمة الله من يوم إلى يوم، وغلب بضعفه ما لم يكن يتوفَّر له بقوته، وأدرك تماماً أنه لم يكن هو الذي يعمل ويتكلم وينجح: «بنعمة الله أنا ما أنا ... ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ١٠)!! إذاً، فشرح ق. بولس الدقيق والوثيق بخصوص تعارض العمل الذاتي مع النعمة المجانية لا يتكلم به ق. بولس كنظرية يؤمن بها، بل كحياة يحياها، ولولاها ما عاش وصار معلِّماً ورسولاً.

فالقديس بولس هو من البقية λεῖμμα التي أبقاها الله لنفسه ليشهد بنعمة الله حسب الاختيار جاحداً علناً الأغلبية التي كان هو منها والتي فقدت اختيارها لمَّا اعتمدت على ذاتها

وليس على الله واتكلت على ذراعها وليس على ذراع الله، ففقدت ليس اختيارها فحسب، بل فقدت انتماءها لله، بل قاومته بعناد، بل حاربته في جهل وعمى القلب.

وهكذا أيضاً صار بولس مع البقية λεῖμμα الجزء الحي العامل والفعّال من الشعب المختار الذي يحمل تاريخ الاختيار بجملته نقياً صافياً، ممثِّلاً لإسرائيل الله عَبْرَ محنة الشعب الرافض والمرفوض، ليوصِّل هذا الاختيار إلى شعب هيَّأه الله من جديد لنفسه ــ و بنعمته ــ ليقبل الاختيار، اختيار الله الذي للإنسان منذ البدء، ليمتد برحلة اختيار الله للإنسان حتى غايتها العظمى في الله!

وهكذا من الأول إلى الآخِر يقف «الاختيار» معتمداً على النعمة، نعمة الله التي تختار الإنسان على مستوى الشعب والفرد، ولا تعتمد على شيء في الإنسان إلاَّ أن يجحد هو ذاته وقدراته ليقبل اختيار الله ونعمته، ويجحد عمله ليحل فيه عمل الله وقوته، حتى يظل الاختيار نقياً صافياً من شوائب جهالة الإنسان وذاتيته.

«وإلاَّ فليست النعمة بعدُ نعمةً»:

ق. بولس يريد أن يقول إن النعمة لها طبيعة إلهية خالصة، فلكي تُظهر النعمة قوتها وفعاليتها يلزم أن لا يقحم الإنسان مهاراته وقدراته وذاته في طريقها، وإلاَّ فالنعمة تتوقف عن إظهار عملها، وأعظم أعمال نعمة الله هو «الاختيار» الذي ينتهي بقبول برِّ الله الخاص. هكذا ومن الأساس يوضح ق. بولس أن أعمال الإنسان الذاتية تتعارض مع الإيمان والاختيار والنعمة والبر، وأن النعمة لكي تبقى وتدوم كنعمة يلزم أن نُخْلي من أمامها ذواتنا لتستطيع أن تعمل فينا وبنا كل ما يريده الله.

«وإلاَّ فالعمل لا يكون بعد عملاً»:

هنا أفلس الشراح وقالوا إن هذا النص مضاف وليس أصلياً ولذلك حذفوه.

ولكن الحقيقة هي أن كل مبدأ إيجابي يزداد إيجابية إذا قلبناه بالعكس، وظهرت السلبية التي فيه لتضاف على الإيجابية. فالنعمة حقيقة والعمل حقيقي. ولكن في أمور الله لا نكتسب رحمته إلاَّ إذا توافقنا مع نعمته وبنعمته فقط ولا غير نعمته أبداً.

فإذا نحن قلنا إنه يمكن أن نكتسب رحمة الله بأعمالنا فنحن نكون قد ألغينا النعمة. هذا هو معنى أن النعمة لا تُحسب بعد نعمة أي لا يكون لها عمل!!

تماماً كما في أمور الإنسان الطبيعي، فالإنسان لا يكسب لقمة العيش ويصحُّ بدنه إلاَّ بالعمل وبالعمل فقط ولا شيء غير العمل. فإذا نحن قلنا إنه يمكن أن نكتسب لقمة العيش وأن يصحَّ بدن الإنسان بالنعمة بدون عمل نكون قد ألغينا العمل وقانون العمل: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (٢تس٣: ١٠). فالقول بأن مبدأ: «العمل لا يكون بعد عملاً»، بمعنى أن يُلغى العمل من قاموس الإنسان، هو خداع.

فالنعمة حقيقية فيما يخص بر الله، والعمل حقيقة فيما يخص جهد الإنسان، فإذا قلنا فيما يخص بر الله إنه بعمل الإنسان فلا تكون النعمة بعد نعمة؛ وإذا قلنا فيما يخص أوَدَ الإنسان إنه بالنعمة فقط، فلا يكون العمل بعد عملاً. فالنعمة تخص ما لله والعمل يخص ما للإنسان. ونحن نعلم فيما يخص الله أن الإنسان ميت بسبب الخطية وحكم الموت، فكيف ينال ما لله ليحيا ويقوم من موته بعمل يديه؟

٧:١١ **«فماذا. ما يطلُبُه إسرائيلُ ذلكَ لم ينَلْه، ولكن المُختارُون نالُوه. وأما البَاقون فتقسَّوا».**

هنا يقسِّم ق. بولس إسرائيل إلى الجزء الأكبر: وهو الذي كان يعيش بمقتضى فكر الجسد: «ليس أولاد الجسد هم أولاد الله!!! بل أولاد الموعد يُحسبون نسلاً (إسرائيل بالحق) ...» (رو٩: ٨)، ثم البقية λεῖμμα وهم الذين كانوا يعيشون بحسب فكر الموعد أي يسعون وراء الإيمان أينما سمعوه، الذين قبلوا خبر الإيمان بالمسيح لما سمعوه فآمنوا وتبعوه. وهنا نجد ق. بولس يحتفظ بلقب إسرائيل للجزء الأكبر الذي عاش حسب الجسد متخذاً الناموس فرصةً لأعمال البر الذاتي، الذي كان يمثله في ذهنه ما كان في أيام إيليا الذين هدموا مذابح التقوى وقتلوا الأنبياء. أما الموضوع الذي كان يطلبه شعب إسرائيل عامة فهو ــ في مفهومه الكلي ــ «بر الله»، أو بمنتهى البساطة هو الله نفسه في أنقى صورة له. لذلك لما انشغل إسرائيل ببره الذاتي بأعمال الناموس، سقط بعيداً عن نعمة الله وذلك بمقتضى الآية السالفة (٦:١١)، وبهذا لم ينَلْ بر الله الذي كان يظن أنه ناله مع أنه كان ممسوكاً في بره الذاتي، فلم يتعرف على بر الله الحقيقي الذي ظهر بظهور ابن الله يسوع المسيح الذي كان مشهوداً له من الناموس نفسه ومن كافة الأنبياء. أما البقية من شعب إسرائيل ــ أولاد الموعد ــ فكانوا مستعدين ومتواعدين مع ظهور بر الله، وكان إيمانهم يتأجج في قلوبهم، ولنا نماذج منهم قوية وملتهبة.

فمثلاً حنة النبية التي أحسَّت بمولد المسيح دون رؤساء الكهنة والفريسيين وقفت تسبِّح الرب:

«وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم» (لو٢: ٣٨). وعندما دخل يوسف ومريم ومعهما الطفل يسوع محمولاً على ذراع مريم ليقدِّموه في الهيكل، انبرى لهما سمعان الشيخ: «وكان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أُوحِي له بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب ... فأخذه (سمعان) على ذراعيه و بارك الله، وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينيَّ قد أبصرتا **خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل**» (لو٢: ٢٥ـ ٣٢). إذاً، كان سمعان هذا يتمنَّى أن يرى الخلاص ورآه، ويترجَّى أن يرى المخلِّص فرآه. هؤلاء كانوا على ميعاد مع الاختيار فلحقوا به بالرجاء والإيمان الذي ملأ قلوبهم. كذلك نسمع عن التلاميذ كيف كانوا بقلبهم وفكرهم مشغولين إلى أقصى حد بظهور المسيح باستعداد الإيمان به. «كان أندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعاه (تبعا الرب). هذا وجد أولاً أخاه سمعان (بطرس) فقال له: **قد وجدنا مسيَّا ...**» (يو١: ٤٠و٤١). كذلك فيلبس: «فيلبس وجد نثنائيل وقال له: **وجدنا** الذي (كنا نبحث عنه) كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء (كانوا يدرسون فيه ليل نهار) يسوع ! ...» (يو١: ٤٥)

هذه عينات من «البقية» λεῖμμα التي أبقاها المسيح لنفسه التي لم تُحنِ ركبتيها لبر الذات ولا انشغلت بأعمال الجسد دون البحث والصلاة والتأمل متى يأتي مسيّا الموعود به. فلما أتى عرفوه حالاً وقبلوه من كل القلب وتبعوه. هؤلاء هم المختارون الجدد ἐκλογή الذين نالوا البر برَّ الله المحفوظ لهم منذ البدء قبل تأسيس العالم.

١١: ٧و٨ **«وأمَّا البَاقُون فتقسَّوا** οἱ δὲ λοιποὶ ἐπωρώθησαν **كما هو مكتوبٌ أعطاهُم الله رُوحَ سُبَاتٍ وعُيُوناً حتى لا يُبصِروا وآذَاناً حتى لا يَسْمَعُوا إلى هذا اليوم».**

هنا يلمع في ذهننا قول ق. بولس سابقاً عن كيفية التقسّي ومن أين يأتي وكيف يأخذ عقوبته، وذلك في موضوع فرعون، «**فهو يرحم مَنْ يشاء ويقسِّي مَنْ يشاء**» (رو٩: ١٨). وكلمة «**تقسَّى**» لها صورة واضحة في الطبيعة، فهي عند أول ظهورها على أوراق الأشجار تعني الذبول ثم الموت ثم السقوط حتى تجدد الأشجار حياتها ويستمر إثمارها!! وفي الإنسان، حينما يتقسى القلب فهو لا يلين للمشورة ولا للتأنيب ولا للتهديد، و بالنهاية ينفصل الإنسان عن مستوى التعقُّل والحكمة إيذاناً بالقطع وأيضاً السقوط!! ولكن حال «الذين تقسَّوا» فلم ينالوا مواعيد الله، كان في ذهن ق. بولس، صدىً لما جاء في سفر التثنية حينما كان الله يعيِّر الشعب على فم موسى: «أنتم

شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم في أرض مصر بفرعون و بجميع عبيده و بكل أرضه. التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم.» (تث٢٩: ٢ـ ٤)

كما أن الذي حدث للأغلبية التي تقسَّت وكيف أنها تقسَّت، فهذا كان في ذهن بولس الرسول كما وصفه إشعياء النبي: «توانوا وابهتوا، تلذذوا واعموا. قد سكروا وليس من الخمر، ترنحوا وليس من المسكر، لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم. الأنبياء ورؤساؤكم الناظرون غطَّاهم، وصارت لكم رؤيا (المسيح وهو واقف أمامهم يقول لهم أنا المسيا) الكل مثل كلام السفر المختوم (مغلق) الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول: لا أستطيع لأنه مختوم!! أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول: لا أعرف الكتابة. فقال السيد "**لأن**" **هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني وصارت مخافتهم مني وصية الناس مُعلَّمةً.**» (إش٢٩: ٩ـ ١٣)

وهكذا من خلال هاتين النبوتين يتبين لنا تماماً ما يقصده بولس الرسول من معنى «تقسَّوا» وكيف ولماذا!!

«إلى هذا اليوم»:

لا يقصد ق. بولس هنا وقفة زمنية؛ بل هو امتداد باللعنة الموقوتة حتى اليوم الذي ستُستَعلَن فيه محنتهم وتتصفَّى لكي يتقبَّلوا بعدها انفتاح الرؤيا، حيث الآذان الصُّمُّ تصير وعياً بهياً فائقاً بالحق المُعلَن، والعيون ينفتح عماها على رؤية رب المجد، مع تهليل وتعرُّف باكٍ على الذي طعنوه! فتحل النعمة عوض الغضب.

١١: ٩و١٠ **«وداودُ يقولُ لتَصِرْ مائدَتُهم فَخًّا وقَنَصاً وعَثَرةً ومُجازاةً لهُم. لتُظلِمْ أعيُنُهم كي لا يُبْصِروا ولتَحْنِ ظُهورَهم في كلِّ حينٍ».**

واضحٌ هنا أن ما جاء بالروح على فم داود يكمِّل ويشرح ما جاء على فم موسى، و بينهما ألف سنة!!

ولكن لو قرأنا ما قاله موسى على ضوء ما قاله داود، لا تَّضح تماماً كيف قالها ولماذا قالها وعلى أي وقت يشير: «انتظرت رقة فلم تكن، ومعزِّين فلم أجد، ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً. لتصر مائدتهم قدامهم فخاً مجازاة لهم وللعثرة، لتظلم عيونهم فلا يروا ولتَحْنِ

ظهورهم دائماً، اسكب غضبك عليهم.» (مز٦٩: ٢٠–٢٤ عن السبعينية)

واضح من هذا الوصف المؤلم أن الجزء الثاني من الآية: «لتُظلم عيونهم وتُسد آذانهم» هو السبب الأساسي جزاءً وفاقاً لما جاء في النصف الأول. بمعنى أن عمى قلوبهم وعدم سماعهم للحق جعل الطعام الجيد على مائدة تراثهم المجيد بمثابة فخ يوقعهم في الحرام والعصيان. وهذه الآية تنسحب على قول ق. بولس سابقاً: «أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة ... فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة». وقد يصوّر لنا هذا في مجمله بمائدة الفصح يوم الفصح الأخير التي أقاموها بعد أن ذبحوا المسيح الفصح الحقيقي في صهيون وأكلوا الفصح الكاذب وهم مرتاحو القلوب، فصارت لهم مائدتهم فخاً وشَرَكاً ومن بعدها انحنوا ولم يقوموا.

وفي الحقيقة نرى في هذه الآيات نوعاً من اللعنة التي هي بمثابة التسليم للشيطان ليعمي عيونهم عن رؤية الله ويسد آذانهم عن سماع الحق، ويحني ظهورهم للالتصاق بالأرضيات حتى لا يأكلوا من شجرة الحياة فيحيوا!! وهذا مطابق تماماً لما تكلم به المسيح عنهم وجهاً لوجه: «**لماذا لا تفهمون** كلامي. لأنكم **لا تقدرون أن تسمعوا** قولي. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق ...» (يو٨: ٤٣و٤٤). ثم إن قول بولس الرسول: «لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب (جسد المسيح ودمه) وفي مائدة شياطين (شهوة القتل)» (١كو١٠: ٢١)، ينطبق على مجمل المعنى، فمائدة (فصح) الذين قتلوا ابن الله هي في حقيقتها فخ الهلاك وعثرة الموت مزيّنة بكأس الحقد وشر النقمة.

[١١:١١–٢٤] صارت عثرتهم وزلتهم سبب خلاص للأمم

١١:١١ **«فأقولُ ألعلَّهم عَثَرُوا لكي يَسْقُطُوا. حاشا. بل بِزَلَّتِهِم صارَ الخلاصُ للأُمم لإغارَتِهم».**

القديس بولس انتهى من نقاش قضية الرفض التي طرحها في الآية الأولى: «ألعل الله رفض شعبه»؟ وأجاب عنها بـ "حاشا"، ثم شرح كيف يمتنع الله أن يرفض كلية شعبه الذي اختاره، ولكن أبقى له بقية ممثلة في الذين آمنوا من اليهود بالمسيح فامتد بهم الاختيار، وهكذا كان الرد على سؤاله السابق أيضاً المُضمَر في الجواب: «ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت»

(رو٩: ٦)، أي كلمة الاختيار والوعد. فالله وإن رفض، فقد أبقى بقيةً محافظاً فيهم على كلمة الوعد وعهد الاختيار.

والآن يطرح ق. بولس في هذه الآية قضية السقوط النهائي بقوله: «ألعلهم عثروا لكي يسقطوا»، فيرد حالاً: «حاشا». ثم يبدأ يشرح السبب في قوله: «حاشا»، لماذا أو كيف أن عثرتهم لم تبلغ حد السقوط؟

ولكن يلزم أولاً أن نفهم الفرق بين العثرة والسقوط:

العثرة والسقوط: πταίειν, πίπτειν

فالعثرة اصطدام، ولكن السقوط انطراح على الأرض لا قيام بعده. فإذا قلنا إن العثرة تعني سقوطاً عفوياً فهذا يستلزم أن يكون السقوط سقوطاً بعده قيام، ولكن السقوط فقط كنهاية مقصودة يكون هو سقوطاً وبقاءً في السقوط بلا قيام. وعندنا في أمر الملائكة الذين سقطوا مثلٌ للسقوط بلا قيام: «لأنه إن كان الله **لم يشفق** على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم **محروسين للقضاء**» (٢بط٢: ٤). وهذا الوضع المحتم عينه يصفه يهوذا الرسول في رسالته هكذا: «والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم، **حفظهم إلى دينونة** اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام» (يه٦)، لأنهم سقطوا بإرادتهم لما تعالَوْا وطلبوا رئاسة أعلى كالله!! «وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات، أرفع كرسيَّ فوق كواكب الله ... أصعد فوق السموات وأصير مثل العلي.» (إش١٤: ١٣و١٤)

بولس الرسول يقطع أن عثرة إسرائيل ليست إلى سقوط ويعطي الأسباب هكذا:

أولاً: في قول ق. بولس متسائلاً: «ألعلهم عثروا "**لكي**" يسقطوا؟» تلميح واضح في حرف «**كي**» إلى أن عثرتهم كانت تحت ملاحظة الله، وأن قصد العثرة لم يتحدد «لكي» عند الله بالسقوط الدائم!! فهنا كلمة «حاشا» تعود مباشرة على تدبير الله المنزَّه عن الظلم والجور والخطأ! والمعنى حاشا لله أن يجعل عثرتهم للسقوط الدائم أي الهلاك!! فماذا كان قصد الله إذاً؟

ثانياً: «بل بزلّتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم»:
هذه الآية مشحونة بالمعاني الخفية. فالله ولو أنه لم يقصد زلتهم، ولكنه جعل اصطدامهم بصخرة صهيون أي عثرتهم في المسيح ورفضه سبباً وفرصة لخلاص الأمم، جاعلاً خلاص الأمم في مقابل رفضهم هم للخلاص فرصة لتأديبهم وإغارتهم على مستوى الإذلال.

ثالثاً: ولكن بولس الرسول يرى في عثرة إسرائيل شيئاً لا يخطر على بال! إذ اعتبر عثرة إسرائيل

وسيلة لنعمة الله لدخول الأمم رغماً عن إسرائيل. فلو تصورنا فرضاً أن شعب إسرائيل بمثابة مملكة خاصة بالله ذات طاقة نعمة معينة وأنه لابد أن تبقى هذه النعمة على الأقل كما هي، فإنه لما أخرجت إسرائيل الجزء الأكبر من كيانها من هذه المملكة — صار فراغ للنعمة يتحتم ملؤه — وهكذا صارت الفرصة مواتية وملحة لدخول الأمم وقبول طاقة النعمة التي سقطت عن إسرائيل.

رابعاً: إغارتهم: παραζηλῶσαι

إن دخول الأمم الذي صار ضمناً لإغارتهم، وهذا في غاية الأهمية، دخل تحت تدبير نعمة الله — التي تدبِّر للساقط والقائم خيراً — في مراحم الله النهائية. فدخول الأمم أصبح و بصورة دائمة فرصة لإغاظة شعب إسرائيل، وهذا حفظهم بالتالي في روح الغيظ متشبثين بحقهم الذي ضيّعوه لعلهم ينالونه. وهكذا صار دخول الأمم ضماناً وتأميناً مستمراً لنوال شعب إسرائيل في النهاية لنفس النعمة ونفس البر الذي عثروا فيه وضيَّعوه. ونحن نجد فكرة إغاظة شعب إسرائيل بدخول الأمم راسخة في تاريخ الخلاص منذ البدء كخطة إلهية نراها نحن الآن بأعيننا، وقد التقطها ق. بولس بإلهام واضح في قوله مردداً قول موسى منذ البدء: «موسى يقول أنا أُغيرُكم (من الغيرة) παραζηλώσω بما ليس أمة. بأمة غبية أُغيظكم παροργιῶ» (رو١٠:١٩). وهنا يتنبأ موسى عن خروجهم ودخول الأمم!

إذاً، فعثرة إسرائيل بحسب تدبير خطة الخلاص الكلي أنشأت رحمة وفداء وخلاصاً للأمم وتذكيراً دائماً بما فقدوه هم.

١٢:١١ «فإن كانت زلَّتُهم غنىً للعالم ونقصانُهم غنىً للأمم فكمْ بالحريِّ مِلؤهُم؟».

زلة = παράπτωμα: لقد انتهينا في الآية السالفة أن زلتهم لم تكن في تدبير الله للسقوط أي الهلاك، بدليل أنها أي زلتهم صيَّرها الله رغماً عنهم سبب خلاص للأمم. هنا ق. بولس يعتبر أن دخول الأمم في الخلاص صار غنىً للعالم. هنا لا يمكن فهم هذا المعنى إلاّ إذا كشفنا معنى «زلتهم» التي جاءت في اليونانية παράπτωμα أي «تعدٍّ» بأقصى ما يمكن من معنى الخطأ. هذا في الواقع تم على أيدي اليهود ليس برفضهم المسيح وحسب بل بتسليمهم المسيح للقتل صلباً، هذه الخطية «الأعظم» في عرف المسيح في حديثه مع بيلاطس (يو١٩:١١) هي التي فتحت باب الخلاص وأكملت الفداء **وصارت خبر الإنجيل السار الذي صار غنىً للعالم**. بهذا المعنى فقط يمكن فهم كيف أن **زلتهم** صارت **غنىً** للعالم. أي إن زلتهم أنشأت لنا إنجيلاً للخلاص!

نقصانهم: ἥττημα

حيث النقصان هنا هو نزول مستوى إسرائيل عن مستوى الأمم بمعنى فقدانهم تفوُّقهم، والذي يقابله في نهاية الآية كلمة **ملؤهم** والأصح أن تكون **اكتمالهم** πλήρωμα. والمعنى واضح بالرغم من المناقشات الكثيرة التي أثيرت حول شرح هذه الآية.

فالقديس بولس قسَّم شعب إسرائيل إلى أغلبية زلَّت وأخطأت وخرجت من مضمون الشعب المختار، فاستقر الاختيار على بقية صغيرة أبقاها الله لنفسه آمنت بالمسيح وشهدت له. هنا حقيقة النقصان ἥττημα الذي يتكلم عنه ق. بولس؛ فالكثرة رفضت والقلة قبلت الإيمان. فبولس الرسول يتصوَّر أنه إن كان نقصانهم هذا أدَّى إلى غنى العالم ودخول ملء الأمم!! فكم بالحري عندما يعود الجزء الأكبر المفقود و يدخل إسرائيل في حالة ملئه πλήρωμα أي اكتماله؟ وطبعاً لا يقصد ق. بولس هنا المضمون العددي لإسرائيل ولكن يقصد المستوى عند حصول شعب إسرائيل على الإيمان بالمسيح بكامل طاقاته الروحية وميراثه في الحكمة والتدقيق الهائل والدراسة والتمسك بمخافة الله إلى أقصى حد، والمعرفة التي كان قد اختَصهم بها الله.

١٣:١١ «فإني أقولُ لكم أيها الأممُ. بما أني أنا رسولٌ للأممِ أمجِّدُ خِدمَتي».

«فإني أقول لكم»: ὑμῖν δὲ λέγω

الترجمة العربية لا تعطي المعنى المقصود. وصحتها: «ولكن أيها الأمم أقول لكم». لأن ق. بولس يفترض أن سؤالاً دار في ذهن مسيحيي الأمم مضمونه هكذا: ''أنت تدافع عن اليهود ومشغول بهم ثم تقول إنك رسول للأمم. ما هذا؟'' بولس الرسول يرد عليهم ويستدرك كل دفاعه السابق عن اليهود باعتبار أنه لا يدافع عن اليهود بل عن الله الذي كان قد تواعد مع اليهود بالاختيار والتبني والبر والمجد، والآن قد ظهر وكأنه رفضهم، فأنا أصحح مفهوم الأمم عن اليهود لأن في ذلك صحة لإيمانكم بالله نفسه أيها الأمم! فبولس الرسول يقول لهم أنا في دفاعي عن اليهود لم أخرج عن رسوليتي للأمم بل لا أزال أمجِّد خدمتي؛ لأن ما يسري على اليهود المرفوضين الآن قد يسري عليكم أنتم الأمم أيضاً بعد أن أخذتم مكانهم في الاختيار. فإن قلتَ أنت لي: لقد قُطعوا هم لكي أدخل أنا؛ حسناً، من أجل عدم إيمانهم قُطعوا وأنت بالإيمان المجاني دخلت. لا تستكبر ولا تَدِنْهم. فدفاعي عن المقطوعين الآن هو مرتد عليك لتفهم أن الله لا يقطع من اختاره؛ لأنهم عندما يندمون ويعودون من عدم إيمانهم إلى الإيمان سيُقبلون، لأن وعود الله دائماً بلا ندامة. أما لماذا أنا منشغل بهم ولا أزال مصلياً من أجلهم فأعلم ذلك:

١١: ١٤ **«لعلي أُغيرُ أنسبائي وأُخلِّص أُناساً منهم».**

بمعنى أن إنارتي لذهن اليهود الرافضين الآن هو من صميم عمل الرسولية للأمم، لأن قبولهم الإيمان بالمسيح هو قوة لكم، وأنا لا أطمع في أن أغيِّر موقف اليهود ككل؛ لأن ذلك فوق عملي بل هو عمل الله الذي سيتممه في حينه، ولكني أحاول الآن أن أُخلِّص **بعضاً** منهم لحساب المسيح الذي أخدمه وهؤلاء سيكونون حتماً خداماً لكم، فخلاص اليهود خلاصكم. بعد ذلك يرتفع بولس الرسول مرة واحدة ليبلغ حد النبوة فيرى أن عودة اليهود ككل أي قبولهم الإيمان بالمسيح ستكون بمثابة قيامة من الأموات جديدة بالنسبة للعالم المسيحي.

١١: ١٥ **«لأنه إن كان رَفْضُهم هو مُصالَحَةَ العالم فماذا يكونُ اقتبالُهم إلاَّ حياةً من الأمواتِ».**

رفض واقتبال: ἀποβολή . πρόσλημψις

واضح أن الله منذ البدء **وإن كان قد اختار إسرائيل، فإنه اختارها من أجل العالم.** فجميع الأنبياء وبوحي من الله مُلحٍّ ومتكرر، يذكرون أن الأمم وكل الشعوب داخلة في تدبيره. والنهاية ستتلألأ بالمسيح بين الأمم، **«نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل»** (لو٢: ٣٢). فأي إخلال أو تقصير في تمجيد الله من جهة إسرائيل سيكون ثمنه في الحال تعويضه بواسطة الأمم: «حتى يمتلىء بيتي» (لو١٤: ٢٣). وأي تقصير في الكَرْم وخيانة، فحتماً يُنزع من الكرامين الأردياء ويُعطى لآخرين يحسنون الفلاحة والأمانة لأنه لابد أن يبقى الكرم!! وأصحاب الملكوت إن هو أهانوا الملك، تُنزع خدمتهم له وتُعطى لأمة تصنع ما يليق بأثماره. وبنو الملكوت إن خانوا العهد والوعد يطرحون خارجاً، فالملك قادر أن يأتي بأمناء لملكه من أقاصي الأرض.

وهكذا يستحيل أن يكون عند الله رفض في الاختيار إلاَّ و يكون معه قبول، ولا يكون خروج إلا و يكون معه بالمقابل دخول! فالإنسان ككلٍّ (المختار في إسرائيل) وإن كان متفتتاً في ذاته وواقعاً في عداوة، فليس هكذا أمام الله فهو «محبوب الله»، وحبه يتحتم أن يزيد ولا ينقص! وإسرائيل الإنسان لم ترتبط بالله بل الله هو الذي ارتبط بإسرائيل بصفتها الإنسان وقدَّسها لنفسه. فإن خانت إسرائيل ولم تكن أمينة، فخيانتها لنفسها، وخيانتها لن تُبطل أمانة الله للإنسان الذي اختاره لنفسه وأحبَّه. فإن كانت صورة إبراهيم خليل الله أمام الله مع إسحق و يعقوب قد سترت إسرائيل في القديم مراراً من غضب محيق وعقاب فكم بالحري تكون صورة المسيح وهو هو مسيا إسرائيل، قبل أن يكون مسيح الأمم!! «لحيظةً تركتكِ وبمراحم عظيمة سأجمعكِ. بفيضان الغضب

حجبتُ وجهي عنكِ لحظةً وبإحسانٍ أبديٍّ أرحمكِ، قال وليكِ الرب، لأنه كمياه نوح، هذه لي، كما حَلَفْتُ أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليكِ ولا أزجركِ. فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما **إحساني فلا يزول عنكِ وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمكِ الرب**» (إش٥٤: ٧ـ١٠). وفي هذه الآية يبلغ ق. بولس أقصى رؤياه في تتبعه لتاريخ خلاص اليهود في الماضي والحاضر والمستقبل. إنها نبوة العالم المسيحي ـ كما رآها ق. بولس منذ ألفي سنة ـ الذي بلغ **الآن** حالة الموات: فالإيمان المسيحي بلغ من الضعف مبلغه، والرجاء حتى في تغيير أو تجديد أو توبة انطفأ، فالعالم المسيحي في نزول وليس في طلوع، الكنيسة ممزقة: عقائد متضاربة وأحقاد متوارثة تزداد ولا تهدأ، خدمة وكرازة بين الأمم صارت إلى توقف ثم إلى ارتداد!! إن المنظر الرؤيوي الذي لمع في ذهن ق. بولس عن حالة الموات التي يكون قد بلغها العالم المسيحي ـ والكنيسة ـ في زمن عودة اليهود إلى المسيح ثم انتعاشها مرة أخرى بظهور المسيح وإيمان اليهود، رآها كحالة قيامة من الأموات! أو بمنتهى الوضوح رآها برؤية المسيح في استعلان مجيئه والكنيسة قائمة فيه بثوب جديد وهي تَزِفُّ دخول اليهود من خارج الأبواب عبر خوارس التائبين حتى إلى قدس الأقداس: «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف٢: ١٨)

أما حالنا وحال إسرائيل معاً الآن فيراه إشعياء النبي كالآتي:

+ «لقد ساد الموت وابتلع كل الناس، ولكن الرب الإله يعود ويمسح كل دمعة من عيونهم ويزيل عار شعبه من كل الأرض لأن فم الرب تكلم. في ذلك اليوم يقولون: هوذا الرب الذي آمنا به فهو سيخلصنا. هذا هو الرب الذي انتظرناه الذي رفعناه فسوف نفرح بخلاصه.» (إش٢٥: ٨و٩ سبعينية)

+ «قومي استنيري لأنه قد جاء نوركِ ومجد الرب أشرق عليكِ **لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم**. أما عليكِ فيشرق الرب ومجده عليكِ يُرى **فتسير الأمم في نوركِ والملوك في ضياء إشراقكِ**.» (إش٦٠: ١ـ٣)

قد تكون الرؤيا ـ من جهتنا ـ خيالاً، وقد يكون التفسير ـ من جهتنا ـ وهماً، ولكن إن كان المنطق الواقع أمام أعيننا ينطق بالصدق، والكلمات تحمل صحتها بين حروفها بحسب المنظور، فلماذا لا تكون الرؤية صحيحة ويكون التفسير حقاً؟ فبولس الرسول يقول والشاهد في يمينه: إن كان رفضهم أنشأ مصالحة بين الله والأمم، والتاريخ يشهد على ذلك، فماذا يكون قبولهم مستقبلاً «والآن» ينطق بهذا المستقبل؟ و بولس الرسول لا ينظر إلى إسرائيل بل ينظر إلى الله؛ فإن

كان الله في تنحيته لإسرائيل أكمل المصالحة مع الأمم فماذا يكون في رضاه وقبوله لهم؟ نعم تكون حياة من الأموات. وماذا تعني الحياة من الأموات إلا ملء عودة الخلاص الذي نترجاه الآن بدموع وتكميل الفداء الذي يعتق أجسادنا من نوازع الموت وكرب الحياة الحاضرة: «نحن الذين لنا باكورة الروح — نحن أنفسنا — أيضاً!! نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا.» (رو٨: ٢٣)

١٦:١١ **«وإن كانت الباكورةُ مقدسةً فكذلكَ العجينُ. وإن كان الأصلُ مقدساً فكذلك الأغصانُ».**

الباكورة والعجين: ἀπαρχή & φύραμα

هنا ق. بولس يعمد إلى استخدام لغة رفع قربان — القمح — من باكورة الحصاد (البيدر) تقدمةً للرب ليصير القمح كله مقدساً ليس فيه شائبة وكأنه كله صار قدساً للرب:

+ «وكلم الرب موسى قائلاً: كلّم بني إسرائيل وقل لهم متى دخلتم الأرض التي أنا آتٍ بكم إليها (فلسطين) فعندما تأكلون من خبز الأرض ترفعون رفيعةً (تقدمة قربان) للرب: أول عجينكم ترفعون قرصاً رفيعة كرفيعة البيدر هكذا ترفعونه. من أول عجينكم تعطون للرب رفيعة في أجيالكم.» (عد١٥: ١٧—٢١)

فماذا يقصد ق. بولس من هذا التشبيه؟ يقصد أن بتقديس الباكورة من الدقيق بتقديم رغيف منها قرباناً للرب يتقدّس العجين كله. وبالأكثر بحسب النص في سفر العدد فإن قمح السنة كلها (باكورة خبز الأرض) يتقدّس. ويستمر التقديس هكذا لكل القمح لكل سنة لكل الأجيال إن هم حافظوا على تقديم الباكورة من محصول كل سنة. هنا يصبح كل خبز إسرائيل مقدساً بسبب الباكورة التي قُدّست للرب. والتطبيق أن بقية العجين بعد الباكورة، بالرغم من أنه لا يتم عليه أي تقديس، فهو يكون مقدساً!

الجذر والأغصان: ῥίζα & κλάδοι

كذلك إن كان الأصل أي جذر الشجرة مقدّساً، فكذلك تكون الأغصان. طبعاً هنا يقصد ق. بولس شجرة الزيتون التي سيطبّق عليها شرحه. وهي معروفة أنها من الأشجار المقدسة نظراً لاستخراج زيت الزيتون منها الذي توقد منه المنارة. باعتبار أن النور هو المسيح وأن الزيت هو النعمة وأن المنارة هي الروح القدس، وذلك حسب التقليد قديماً وحديثاً. والأمر بديهي أن الشجرة

إذا كان جذرها مقدساً فالأغصان كذلك تكون بالتالي. والتطبيق أن الأغصان تتبع الجذر في غنى الحياة.

أما التطبيق الكلي فهو أن «شعب إسرائيل» كشعب مختار ومقدس، لا يقوم اختياره وتقديسه على الأفراد وتصرفات كل واحد ومسئوليته لدى الجماعة والله، ولكن اختيار الشعب وتقديسه هو ككل متضامن. فهو كفروع مفردة ولكن الكل متصل بالجذر الواحد، الذي هو إبراهيم وإسحق ويعقوب الذين تم اختيارهم وتقديسهم كباكورة العجين، أو كالجذر الذي سيغذي الشجرة لتظل حية حتى يأتي المسيح الغصن الذي سينبت من جذر يسى، أو بالتالي من جذر إبراهيم، ليعطي أغصاناً جديدة حسب قول المسيح: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو١٥: ٥). **«والكرمة نقلها من مصر»**، كما يقول المزمور ٨:٨٠: **«ومن مصر دعوت ابني»**، كما تقول النبوة أيضاً (هو١١: ١).

فهنا البقية التي أبقاها الله لنفسه من شعب إسرائيل قائمة من العجنة المقدسة أصلاً وقائمة في الجذر المقدس أصلاً، دون اعتبار لمن رُفض وقُطع: «لأن ليس جميع الذين هم من إسرائيل هم إسرائيليون ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد» (رو٩: ٧). هم لا يزيدون عن كونهم فروعاً على الأصل المقدس، ولما لم يثبتوا في الأصل قُطعوا، كما سيشرح ذلك ق. بولس حالاً. وطالما أن الأصل مقدس، فكل من طُعّم على هذا الأصل من كرمة غريبة عوض المقطوعين، فإنه يتقدّس.

كذلك من العجنة المقدسة خرج القديس وخرج المستبيح، خرج يعقوب وخرج عيسو، ولكن بقيت العجنة مقدسة حتى خرج منها المسيح. لذلك فالفرد لا يعكّر قداسة الأصل، فلا يوجد الأثر الرجعي لإبطال ما سبق وقدّسه الله. لأن عدم أمانة الناس لا يعطل أمانة الله. ووعود الله كما سنعلم هي بلا ندامة. ونظرية القديس بولس هي أن الجزء لا يلغي الكل، وأن البداية متصلة بالنهاية اتصالاً لا يخلخله ما يتوسطهما، والتقديس والاختيار سهم منير منطلق، والذي يقاومه يُصرع ويسقط ليستمر السهم يقدّس حتى النهاية: «أنا البداية والنهاية.» (رؤ٢١: ٦)

١٧:١١و١٨ **«فإن كان قد قُطِعَ بعضُ الأغصانِ وأنت زيتونةٌ بريةٌ طُعِّمتَ فيها فصِرتَ شَريكاً في أصلِ الزيتونةِ ودَسَمِها. فلا تَفتخِرْ على الأغصانِ وإن افتخرتَ فأنتَ لستَ تحملُ الأصلَ بل الأصلُ إياكَ يَحمِلُ».**

هنا يبدأ بولس الرسول يشرح عقيدة لاهوتية تختص بالكنيسة المسيحية في الأمم ومنشئها

وأساسها الذي بنيت عليه، وهي عقيدة تبلغ من الأهمية والخطورة مبلغاً كبيراً بالنسبة لمفهوم الخلاص العام المسيحي، ونهاية وغاية هذا الخلاص بالنسبة للآخرة.

والآن بالنسبة للآية التي نحن بصددها، فبحسب الأصول الزراعية الطبيعية لا يكون هذا التمثيل بالتطعيم صحيحاً. لأن فرع الزيتونة المرّ من الشجرة البرية إذا طُعِّم في شجرة زيتونة حلوة فإنه يُخرج زيتوناً مُرًّا، وليس فيه أي دسم حلو. هذا قانون الطبيعة، فماذا يقصد ق. بولس إذاً من هذا المثل؟

ق. بولس هنا حينما يعكس الوضع و يصمم أن فرع الزيتونة البرية المرّة إذا طعم في الزيتونة الجيدة سينصلح حاله ويخرج زيتوناً جيداً دسماً و يصبح شريكاً في الأصل الدسم، **فهو يقصد المعجزة ضد الطبيعة!** وهذا تمثيل بارع وصادق تماماً أشد ما تكون البراعة، وكأنما ق. بولس يقول إن الله ليس كالطبيعة، هنا التقديس يقلب النجس طاهراً، هنا البركة الإلهية تطغي على اللعنة الطبيعية وتلغيها، هنا الاختيار يبتلع الرفض: «كما يقول في هوشع أيضاً سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة، و يكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يُدْعَوْن أبناء الله الحي» (رو٩: ٢٥و٢٦). فالأممي حينما يقبل الإيمان بالمسيح الذي هو من جذر يسى يصير أخاً للمسيح و بالتالي ابناً لإبراهيم بل و يصير شريكاً مع القديسين وأهل بيت الله!!

«فلا تفتخر على الأغصان»: μὴ κατακαυχῶ

بولس الرسول يلتفت إلى الأمم ليحذرهم من الافتخار والشماتة أو التعالي على اليهود antisemitic الذين لم يؤمنوا بالمسيح، وذلك من وجهة نظر عاملين، **الأول** سبق وشرحه **أن رَفْض اليهود ليس كلياً ولا أبدياً**، فهم حتماً سيعودون: «هل عثروا لكي يسقطوا؟ حاشا». فكما خرجوا سيدخلون. وكما قُطعوا كأغصان سيعودون ليُطعَّموا في أصلهم.

أما العامل **الثاني**، فأنت أيها الأممي إنما تغتذي من أصل الشجرة اليهودية، فالأصل يحملك وأنت لست على فراغ صرتَ أو آمنتَ. فميراث العهد القديم كله بآبائه وأنبيائه ووعوده وهباته هو الجذر الذي لا يزال يغذّيك ويطعمك؛ لأن قول المسيح لا يزال قائماً «فالخلاص هو من اليهود» (يو٤: ٢٢). هكذا بإيمان المسيح تجنّست الأمم بجنس الاختيار وورثت واستلمت عهد الكهنوت والملوكية فأصبحوا كهنة وملوكاً لله، بل وصاروا من صميم الأمة المقدسة والشعب المُقْتنى!!

+ «فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة، وأما للذين لا يطيعون (الإيمان) فالحجر الذي

رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، وحجر صدمة وصخرة عثرة. الذين يعثرون غير طائعين للكلمة، الأمر الذي جُعلوا له؛ **وأما أنتم (الأمم) فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب، الذين قبلاً لم تكونوا شعباً وأما الآن فأنتم شعب الله، الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون.**» (١بط٢: ٧ـ١٠)

بولس الرسول ينبه إيماننا المسيحي أن الكنيسة المسيحية لم تَعُدْ أممية خالصة أو حرة من اليهودية بل هي امتداد لاختيار الله منذ البدء، لإنسان أحبَّه الله اسمه إبراهيم، وشعب قدَّسه واقتناه لنفسه اسمه إسرائيل، فامتداد الكنيسة المسيحية يلتحم بتاريخ إسرائيل حتماً ـ في الحب والاختيار والتقديس ـ و بالتالي و بالضرورة بتاريخ العالم والخَلْق. فالكنيسة ليست من فراغ أتت ولا إلى فراغ تمتد أو تنتهي، بل إن الكنيسة المسيحية هي مرحلة الاستعلان الأخير لتدبير الله ووعده منذ البدء بل ومنذ الأزل، وهي تتجه نحو الاستعلان النهائي لتدبير الله وبرّه الأخير أو الأخروي للعالم، الذي فيه تتجلى كل مراحل الخلاص بكل أشخاصه الذين شملهم التاريخ المقدس والذين لم يشملهم. كل اسم دعا باسم الله وكل اسم دعاه الله منذ آدم إلى آخر ابن لآدم، حيث يظهر الكل الذين التحموا بالاختيار للإيمان، يشملهم بر الله ومجده حين يبلغ الإنسان المحبوب مرحلته الأخيرة العلنية في محبة الله كأعظم خليقة أحبها الله وصوّرها على صورته لتنعم بحبّه وينعم بحبّها: «ولذّاتي مع بني آدم.» (أم٨: ٣١)

١١: ١٩ـ٢١ **«فستقولُ قُطِعَت الأغصانُ لأُطعَّمَ أنا، حسناً، من أجلِ عدم الإيمانِ قُطِعَتْ وأنت بالإيمانِ ثَبتَّ. لا تستكبرْ بل خَفْ. لأنه إنْ كان الله لم يُشفِقْ على الأغصانِ الطبيعيةِ فلعلَّهُ لا يُشفِقُ عليكَ أيضاً».**

«زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة، دعا الرب اسمَكِ. بصوت ضجّة عظيمة أوقد ناراً عليها فانكسرت أغصانها. ورب الجنود غارسُكِ قد تكلم عليكِ شرًّا من أجل شر بيت إسرائيل و بيت يهوذا الذي صنعوه ضد أنفسهم ليغيظوني بتبخيرهم للبعل.» (إر١١: ١٦و١٧)

إن تحذير ق. بولس للمسيحي الأممي جدُّ خطير، إنْ هو نظر إلى رفض الله لإسرائيل بالتشفّي أو

الازدراء أو الاستكبار كأنها مسألة تاريخ مضى وانقضى؛ بل هي في حقيقتها مسألة إيمان وعدم إيمان، وهو أمر لا زلنا تحت امتحانه. لأن بالنظرة الحكيمة بالروح يكون العكس تماماً؛ إذ أن الإنسان الروحي يتألَّم ويتوجَّع على شعب امتلك ناصية المعرفة بالله، واستؤمن على أسفاره المقدسة، وله هذا الدلال كل الدلال من حب الله لآبائه وأنبيائه، ثم هكذا يُقطع ويُطرح بعيداً عن الله وعن كل مواعيده. يا للهول!! ويطول القطع ويطول البعاد. يا للرعبة!!

فبالنظرة الحكيمة بالروح يدخل تحذير ق. بولس منطقة الخوف والجزع في إيماننا لأن سبب رفض الله لشعبه ليس مجهولاً لدينا؛ بل معروفاً كل المعرفة؛ فهو لعدم إيمانهم بالمسيح رباً وفادياً، وليس هو تاريخاً سقط؛ بل هو قضية ذات استئناف: «لأنهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيطعَّمون» (١١:٢٣)!! فلهذا حينما ننظر ما حاق باليهود، يعود الإنسان جزعاً يتحسس إيمانه من المسيح: «جرِّبوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين.» (٢كو١٣:٥)

فالآن وقد استؤمنَّا على إيمان المسيح وبالتالي على كل غنى وتراث الشعب المختار بكل آبائه وأنبيائه ووعوده ومفاخره، ماذا إنْ لم نُثبت أننا أمناء عليه؟ وماذا إنْ فرَّطنا في الإيمان الذي ورَّثنا هذا المجد؟ ألا يعود الله ويعمل فينا لإغاظتنا مثل ما عمل في اليهود لإغاظتهم يوم قَطَعَهُم من ميراثهم وثبَّتنا نحن فيما هو لهم؟ أظن هذا أسهل بكثير؛ فإنَّ قَطْعَنا مما هو أصلاً ليس لنا هو أسهل من قطعهم مما كان أصلاً لهم؛ وعودتهم لما هو لهم هي أسهل من دخولنا نحن إلى ما لم يكن لنا. فقول ق. بولس: «لا تستكبر بل خَفْ»، هو قول يؤمِّن فكرنا ويلهمنا اليقظة لتكريم ما بين أيدينا.

فإن كان الله لم يشفق على شعبه الخاص الذي اقتناه لنفسه بعهد ووعد لما زلَّ؛
فهل يشفق علينا نحن الذين جَمَعَنا من خلف السياجات إن نحن عملنا ما عملوا؟
لهذا ما أصدق قول ق. بولس لنا هنا: «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة.» (في٢:١٢)

٢٢:١١ «فهوذا لُطْفُ الله وصرامَتُهُ. أما الصَّرامةُ فعلى الذين سَقَطُوا، وأما اللُّطفُ فلكَ إنْ ثَبَتَّ في اللطفِ وإلاَّ فأنتَ أيضاً ستُقطعُ».

«لطف الله وصرامته»: χρηστότητα & ἀποτομίαν

عجيب أن يربطهما ق. بولس معاً، فهما لا يفترقان في تدبير الله مع الإنسان.

فلو نحن استعرنا من ق. بولس قوله في الآية: «وأنت بالإيمان ثبتَّ، لا تستكبر بل خَفْ»، وجعلناها أساس حياتنا وأسلوبنا في التفكير والسلوك، فحتماً سيكون نصيبنا اللطف إن ثبتنا في عدم الاستكبار وفي الخوف من السقوط من رحمة الله. أما إذا أخذنا الغرور وتفكَّرنا في أنفسنا أن إيماننا بالمسيح يرفعنا فوق الآخرين حتى وإن كانوا مرفوضين، فهذا هو الاستكبار الذي لا يناسبه إلاَّ صرامة الله حيث القطع.

فبولس الرسول يحثُّنا أن نبقى في نطاق لطف الله، فهو إنما يدعونا أن نمسك بالإيمان دون أي افتخار أو استكبار، وخاصة بالنسبة للذين أخطأوا وزلوا. وعبرة اليهود أمام أعيننا قائمة.

٢٣:١١ «وهمْ إنْ لم يثبُتوا في عَدمِ الإيمانِ سيُطعَّمُون. لأن الله قادرٌ أن يطعِّمَهم أيضاً».

إذاً فقطع اليهود ليس نهائياً ولا أبدياً. فالغصن المقطوع لا تزال فيه عصارة الحياة، رائحة إبراهيم. ففي الوقت الذي يكف فيه اليهود عن عنادهم وإعطائهم الله القفا دون الوجه، ويندمون على عدم إيمانهم فلا تزال قوة الله الشافية قائمة ومتحفزة لشفائهم، فالذي قَطَعَ، قادرٌ أن يطعِّم من جديد.

هنا يتألَّق رجاء بولس الرسول ويهتز قلبه بالابتهاج لمجرد رؤية عودة إسرائيل لأصلها وهي تطرح الزيتونة من جديد لحساب المسيح، ولكن لا مفر من الإيمان. فبرُّ الله لا يركب على غير المسيح الفادي، وقدرة تحنن الله رهن توبة الإنسان.

عزيزي القارىء، إن أحلام ق. بولس الذهبية هذه التي تبدو جميلة ومذهلة بآن واحد لا تأتي من فراغ، ولا هو منعطف بالحنين على أقربائه وأنسبائه بالجسد كما يظن العلماء والشارحون؛ بل الذي ألهمه هذه الأحلام هو نداؤه ببر الله بالمسيح يسوع كعمل بدأه الله على الصليب وحتماً سيبلغ أقصى قوته وأقصى منتهاه. وفي نظر ق. بولس وإيمانه، وفي نظرنا وإيماننا أن أقصى بلوغ سيبلغه بر الله هو حينما يطرحه على إسرائيل العاصية التي هجرها وأذلَّها هذه الألفي سنة، فيعود ويُلبسها البرَّ لباساً، والخلاص تاجاً، وتفرح كل الأمم معها بذات البر وذات الخلاص الذي اغتصبناه منها.

٢٤:١١ **«لأنه إن كُنْتَ أنتَ قد قُطِعْتَ من الزيتونةِ البرّيَّةِ حَسَبَ الطبيعةِ، وطُعِّمْتَ بخلافِ الطبيعةِ في زيتونةٍ جيدةٍ. فكم بالحريّ يُطعَّمُ هؤلاءِ الذين هم حَسَبَ الطبيعةِ في زيتونَتِهم الخاصةِ».**

ق. بولس ينتقل نقلة يحفّها التمني مع الرجاء وشيء من الثقة، «من الله القادر أن يُطعِّمهم»، في الآية السالفة، إلى هنا: «فكم بالحري يُطعَّم هؤلاء في زيتونتهم الخاصة»!! يلزم الانتباه كيف يتدرج ق. بولس في رجائه، بل في يقينه، من واقع رؤياه من جهة عودة إسرائيل إلى الإيمان والخلاص هكذا:

أ ـ «من أجل عدم الإيمان قُطِعَتْ».

ب ـ «إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيطعَّمون».

ج ـ «الله قادر أن يطعِّمهم».

د ـ «كم بالحري يُطعَّم هؤلاء في زيتونتهم الخاصة».

ثم هـ ـ «وهكذا سيخلص جميع إسرائيل».

وبالعودة إلى الآية أعلاه نجد منطق ق. بولس صحيحاً وقوياً، لأن تطعيم زيتونة بريّة مرّة في زيتونة جيدة ـ هو بحسب الطبيعة يستحيل أن يعطي إلا زيتوناً مرًّا. ولكن ق. بولس يرى أن نجاح تطعيمنا نحن الأمم في أصل يسّى الحامل لبركة إبراهيم وميراث الشعب المختار لنطرح بالإيمان مجداً لله وننال برًّا معادلاً لبر إبراهيم بالإيمان بقيامة الرب يسوع المسيح من الأموات، هو ليس تطعيماً حسب الطبيعة؛ هو بالحقيقة معجزة. فإن صحّ تطعيمنا، وهو على خلاف الطبيعة، فما أهون، بل هو من الطبيعي، أن يعود شعب إسرائيل المهجور إلى الله وليّه الذي اختاره، الذي قدّسه ودلّله تدليلاً، يعود ليلتحم في الأصل الذي حفظته له الأمم.

هنا نلمح في أسلوب ق. بولس ليس قوة منطق الكلام وحسب؛ بل لهجة الرضى وكأنها حقيقة مرسومة أمام عينيه يطرحها أمامنا بتزكية خاصة منه.

[١١: ٢٥–٣٢] حينئذ يرحمون وتخلص بقية إسرائيل!

٢٥:١١ **«فإني لستُ أريدُ أيها الإخوةُ أن تجهلوا هذا السِّرَّ، لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماءَ، أن القساوةَ قد حَصَلَت جُزئيًّا لإسرائيلَ إلى أن يَدْخُلَ مِلْؤُ الأمم».**

«ســر»: μυστήριον

السـر في العهد الجديد هو عمل من أعمال الله الفائقة التي كانت مخفية عنده ثم أعلنها، وهي التي لا تخضع للعقل، يعطيه الله للإنسان ليحياه ويمارسه، ويبقى تحقيقه بانتظار الاستعلان الأخروي. وهذا المعنى توضحه بجلاء هذه الآية: «والقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب "**إعلان السر**" الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم ...» (رو١٦: ٢٥و٢٦)

لذلك فخدام إنجيل الله يُسمَّون «وكلاء أسرار الله» (١كو٤: ١). كذلك فكل أمر متروك تحقيقه للمستقبل وتقتصر معرفته على الاستعلان، هذا يسمَّى «**سرًّا**»، كما هو الحال في هذه الآية(١). والقديس بولس يعني أن هذا الأمر هو عمل الله الذي سيتم في حينه والمطلوب منكم أن تستعلنوه بالروح لتتأكدوا منه وذلك لخلاصكم.

ق. بولس يعطينا لمحةً سريعةً عن كيفية فهم وشرح الواقع تحت أعيننا والذي تدعمه النبوات، فموضوع رفض إسرائيل لا يمكن فهمه كحادثة تاريخية سقطت بعيداً عن مدرَج حوادث الفداء والخلاص، بل إن رفضهم هو في الحقيقة «سر» من أسرار الفداء والخلاص هم تسبَّبوا فيه رغماً عنهم بل من وراء ظهورهم؛ لأننا من النبوات التي ذُكرت مراراً سمعنا وتأكدنا أن الله أعمى عيونهم وأصمَّ آذانهم حتى لا يعودوا ويؤمنوا فيشفيهم حسب قوله: «القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل». فالله هو الذي قسَّاهم، فهو «يرحم من يشاء ويقسّي من يشاء»، بل أغلق عليهم في عماهم وصممهم، حتى اصطدموا بصخرة رجائهم مسيا الدهور الذي انتظروه وكان محط فخرهم وآمالهم. والرب صنع ذلك بهم لأنهم لم يكونوا يستحقون هذا الرجاء وهذا الفخر؛ إذ أنهم أساءوا إلى الله جداً: «الصخر الذي وَلَدَك تركْتَه ونسيت الله الذي أبدأك. فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته، وقال: أحجبُ وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلِّب، أولاد لا

1. Charles Hodge, *Comm. on the Ep. to Rom.* p. 372.

أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أُغيرُهم بما ليس شعباً (الأمم)، بأمة غبية أغيظهم (بدخولهم الإيمان).» (تث٣٢: ١٨ـ٢١)

وواضح من هذه النبوة المبكرة جداً، لأنها جاءت من فم موسى في سفر التثنية، أن الرب وهو يرفضهم يقول: «أحجبُ وجهي عنهم **وأنظر ماذا تكون آخرتهم**». إذاً فليس هو الرفض الكامل والنهائي، إذ هو على أساس التأديب «أُغيرُهم (من الغيرة)» «**وأُغيظهم**»، وفي آخرتهم يعود الله وينظر في أمرهم، ماذا ستكون استجابتهم. وموسى الذي كتب هذه النبوة أوضح ببيان أن رفضهم يزامن دخول أمة غبية لتحل محلهم عند الله أمام أعينهم لإغاظتهم.

وهنا يلتقط ق. بولس صوت الله في هذه النبوة ويضيف إليها ما هو واقع أمام عينيه وعلى يديه من دخول الأمم بالفعل، والإضافة الوحيدة التي أضافها لتكميل امتداد النبوة إلى آخرها: «وأنظر ماذا تكون آخرتهم»، بقوله إنه **عند تمام دخول الأمم يعود الله وينظر في أمر إسرائيل ويرفع عنها سحابة عماها وغطاء صَمَمِها** فترى وتسمع وتعود وتتوب وتؤمن.

ولكن يقول قائل ما ذنبنا نحن أن نوجع قلبنا وفكرنا بخروجهم ودخولهم فيطوف بنا ق. بولس بهذه المشكلة من أولها إلى آخرها التي حيَّرته وحيَّرتنا معه؟ القول هنا والإجابة خطيرة إلى أبعد حد:

فأولاً: الذي يشغل ق. بولس ليس إسرائيل ولا رفض إسرائيل ولا عودة إسرائيل ولا دخول الناموس ولا خروج الناموس ولا عدم نفع الناموس، ولكن الذي يشغله هو برّ الله الذي صمَّم الله أن يهبه للأمم بأعظم فيضان أكثر مما كان قد سكبه على أخصائه في القديم.

ثانياً: ق. بولس يتتبع بر الله الذي أظهر بظهور يسوع المسيح الذي رفضته إسرائيل ككل، إلاّ بقية صغيرة، أبقاها الله لنفسه، لتقبله الأمم. ويعود بعين النبوة ويرى أن رفض إسرائيل هو زمني مؤقت لحين دخول ملء الأمم ليعود الله ويرضى عن شعبه الذي سبق أن اختاره.

ثالثاً: والقديس بولس يسير متتبِّعاً المخطَّط الخلاصي الإلهي عبر تاريخ العالم وإسرائيل والأمم ممسكاً ببر الله بيد والاختيار والتقديس باليد الأخرى.

على أن بر الله كان لابد أن يسود، والاختيار كان من المحتم أن يبقى ويدوم، وذلك مهما قابلهما من عقبات وجحود لأن الله أحبَّ الإنسان.

فالآن انظر أيها القارىء، نحن لا نمثِّل إلاّ حيزاً محدوداً من خطة الخلاص العظمى، وقدراً

محدوداً من بر الله، وكمية محدودة من اختيار الله، ويلزمنا جداً أن نعرف أين نحن ومَنْ نحن في هذا الخلاص العظيم، وعلينا أن نستوعب كيف حصلنا على هذا الخلاص والبر والاختيار، وكيف نتمسَّك به ونصونه لئلا يُنزع منا، لأن أي إهمال أو كبرياء أو اعتداد بما نلناه ـ وكأننا قد صرنا حُكماء عند أنفسنا، أو أي ازدراء أو استعلاء أو تشفِّي باليهود الذين نحَّاهم الله لنحل محلهم، سيعطي الله الحق لينحِّينا ويُدْخلهم، لأن القساوة التي أوقعهم الله فيها هي جزئية وزمنية.

ولكن نعود ونقول إن عين ق. بولس وهو يسرد لنا ـ في رسالة رومية ـ مراحل خلاصنا هي دائماً متجهة نحو مسرة بر الله عبر التاريخ، تاريخ العالم واليهود والأمم، ليرسِّيه في النهاية على اكتمال الإيمان بالمسيح عند استعلان المسيح الأخير لتكميل الفداء ووضع إكليل الخلاص على رأس البشرية المفدية.

«ملؤ الأمم»: πλήρωμα τῶν ἐθνῶν

تضاربت أقوال العلماء في فهم هذا القول لبولس الرسول دون أن يصلوا إلى حل، ولكن نحن نعتقد أنه لا يعود على أزمان ولا على أجناس ولا أعداد بل على «المختارين من الأمم». **فهؤلاء هم وحدهم الذين يمثلون «الملء الإلهي» وهم معروفون سابقاً حسب علم الإله الأزلي**: «**الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم**» (رو٨: ٢٩)، «كما "**اختارنا" فيه قبل تأسيس العالم** لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، **إذ سبق "فعيَّننا" للتبني** بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته ... الذي فيه أيضاً **نلنا نصيباً "معيَّنين سابقاً"** حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته» (أف١: ٤و٥و١١)، «**المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق** في تقديس الروح.» (١بط١: ١و٢). أما عدد هؤلاء المختارين **فهو قطعاً معروف عند الله وهو بحجم ملء بيته**: «فقال السيد للعبد أخرج إلى الطرق (طرق الأمم) والسياجات (خارج الناموس) وألزمهم بالدخول (الروح القدس يدعو ويلح في الدعوة حتى الإلزام) **حتى يمتلىء بيتي**.» (لو١٤: ٢٣)

أما متى يدخل ملؤ الأمم؟ فلنا في سفر الرؤيا لمحة: «(الشهداء) صرخوا بصوت عظيم قائلين حتى **متى** أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض. فأُعطُوا كل واحد ثياباً بيضاً وقيل لهم أن يستريحوا، زماناً يسيراً، أيضاً **حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدون أن يُقتلوا مثلهم**» (رؤ٦: ١٠و١١). بمعنى حتى تكمل جميع الشهادة للمسيح على كل الأرض.

١١: ٢٦ **«وهكذا سيخلُصُ جميعُ إسرائيلَ، كما هو مكتوبٌ سيخرُجُ من صهيونَ المنقِذُ ويرُدُّ الفجورَ عن يعقوبَ».**

قول ق. بولس إن القساوة حصلت جزئياً لإسرائيل يمهد مباشرة لقوله: «وهكذا سيخلص جميع إسرائيل». لا زال ق. بولس يتكلم في إطار «السر»: «لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر»، وهو السر الذي يعتبره ق. بولس رأس ماله الذي أعلنه له الله بالروح:

+ «نتكلم بحكمة الله في سر. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر (بالعقل والمنطق).» (١كو٢: ٧و٨)

+ «السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال لكنه الآن قد أُظهر لقديسيه الذين أراد الله أن يعرِّفهم **ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد**» (كو١: ٢٦و٢٧).

وهو كله يدور حول قيام الكنيسة بعد انحجاب الهيكل والسنهدريم واليهود، ثم يضيف بعد دخول الكنيسة حتى إلى ملء الأمم، عودة إسرائيل!! «بل أُغلظت أذهانُهم لأنه حتى اليوم ذلك البرقع (العمى الذي أصابهم به الله) نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف، الذي يُبطَل في المسيح. لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى، البرقع موضوع على قلبهم **ولكن عندما يرجع (إسرائيل) إلى الرب يُرفع البرقع.**» (٢كو٣: ١٤ـــ١٦)

«جميع إسرائيل»: πᾶς Ἰσραήλ

بحسب الرأي السائد لدى العلماء(٢) الآن، فإن التعبير «جميع إسرائيل» لا يعني كل الشعب اليهودي كما كان يظن القديس أغسطين وغيره، ولا كل فرد في إسرائيل، ولكن المفهوم ينصَبُّ على الشعب الإسرائيلي في مفهومه كأمة. ولكن، بحسب رأينا، نرى أن كلمة جميع هنا πᾶς هي المقابل المكمل لكلمة البقية λεῖμμα (١١: ٥). بمعنى أن الجزء الأكبر رفض الإيمان إلاَّ البقية التي أبقاها الله لنفسه التي آمنت بالرب يسوع المسيح والتي انحصر فيها الاختيار بعد رفض الأغلبية. والآن يعود بولس الرسول و يرى أن هذه الأغلبية التي رفضت والتي قال عنها سابقاً أما «**الباقون** فتقسوا λοιποὶ ἐπωρώθησαν» (١١: ٧)، هذا هو الجزء الأكبر الذي سيعود لينضم إلى الجزء الأصغر الذي كان قد آمن λεῖμμα. وهكذا يتكوَّن مفهوم كلمة «**جميع**» إسرائيل التي

2. Charles Hodge, *op. cit.*, p. 374.

تكوِّن مجموع كلٍّ من: λεῖμμα «البقية» التي آمنت سابقاً مع λοιποί «الباقي» أي الأغلبية التي تمثل الذين سبقوا ورفضوا. فكلمة «جميع إسرائيل» تفيد إفادة قاطعة معنى عودة ودخول إسرائيل «ككل» دون تحديد أعداد أو أفراد ودون أن تحتمل الكلمة شمولاً كاملاً للشعب؛ بل تعني رضاء الله «**الكامل**» عن ما كان يسمى «شعب إسرائيل». مثلما كان يقال عن أن الله غضب على شعب إسرائيل وأرسله إلى السبي «جميعاً»، في حين أن كثيرين بقوا في أورشليم. أو أن يقال رَضِي الله على شعب إسرائيل «جميعاً» وأعادهم من السبي، في حين أن كثيرين تخلفوا واستوطنوا في البلاد التي سُبُوا فيها. هكذا كانت كلمة «جميع الشعب» تفيد المعيار الكلي للاسم وليس مضمون الأعداد أو الأجزاء.

«كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ و يرد الفجور عن يعقوب»:

ق. بولس يستشهد بإشعياء النبي في قوله كما هو مكتوب: «ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب. أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب» (إش٥٩: ٢٠و٢١)، «وينزع فجور يعقوب وهذه تكون بركته حينما أرفع عنه خطيته ...» (إش٢٧: ٩ سبعينية)

١١: ٢٧ **«وهذا هو العهدُ من قِبَلِي لهم متى نَزَعْتُ خَطاياهُم».**

وهنا تلميح غير واضح لنبوة إرميا النبي: «**ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً.** ليس كالعهد (الأول) الذي قطعتُه مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب ... **لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد.**» (إر٣١: ٣١و٣٢و٣٤)

وفي الحقيقة نحن لو تمشينا مع نبوة إرميا هذه، نجده في النهاية يقول بما يقول به ق. بولس تماماً هكذا: «الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً وفرائض (أنظمة) القمر والنجوم للإضاءة ليلاً ... إن كانت هذه الفرائض (الأنظمة) تزول من أمامي يقول الرب فإن نسل إسرائيل أيضاً يكف من أن يكون أمة أمامي كل الأيام ... إن كانت السموات تُقاس من فوق وتُفحص أساسات الأرض من أسفل (استحالة هذا) فإني أنا أيضاً أرفض كل نسل إسرائيل (استحالة) من أجل كل ما عملوا يقول الرب.» (إر٣١: ٣٥ـــ٣٧)

وفي الحقيقة نجد في نبوة إشعياء (٥٩: ٢٠) قوله: «ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن

المعصية في يعقوب»، إشارة بليغة حقاً لمجيء المسيح «الثاني» باعتباره المجيء الفادي لبقية إسرائيل التائبين عن معصيتهم.

٢٨:١١ «من جهةِ الإنجيلِ هم أعداءٌ من أجلِكُم؛ وأما من جهةِ الاختيارِ فهم أحباءٌ من أجلِ الآباءِ»(٣).

وما هو الإنجيل؟ إلاّ ظهور ربنا يسوع المسيح والفداء، الذي وقف فيه إسرائيل موقف العداوة المُرَّة، وبأيديهم ذبحوا الفادي، فحملوا وزر عَمْلتهم السوداء، وفُزنا نحن – بعَمْلتهم – بنجاتنا وخلاصنا وفدائنا. وهكذا وقف الصليب ليلقى من ظهره الخلفي على إسرائيل وزر العداوة والجهالة **وحكم الرفض والتأديب**، ومن أمام وجهه الأمامي وقفنا لنغتسل بالدم وننال خلقتنا الجديدة وروح الحياة وبر الخلاص ونعمة **الفداء والمصالحة**.

ثم ما هو قوله: «من جهة الاختيار»؟ إلاّ إبراهيم والعهد والوعد بالقسم وكل أسفار العهد القديم التي تحمل فعل الاختيار والتقديس.

وهنا تقف إسرائيل لتحتفظ «بموقع» المحبوبين عند الله، حتى ولو كانت قد انتُزعت منه، وتوقَّف أن يسري عليها حتى تكمل زمن هجرانها وتأديبها. على أن موقع المحبوبين محجوز لها إلى أن تنفك من سلاسل وقيود عداوتها وتعود تائبة مرضياً عنها. الله غضب على إسرائيل لكي يرحمها، الله قسّى إسرائيل لكي يؤدبها، والذي يحبه الرب يؤدبه، الله طرد آدم بخطيته ليعيده إليه بلا خطية والله رفض إسرائيل لعنادها ليعيدها منكسرة منحنية.

الأمم كانوا تحت الغضب غير مرحومين ثم دعاهم وفداهم وصاروا موضوع مسرته، وفي نعمته وحبه يمرحون، ذلك ليُظْهِرَ فيهم غنى عمل بره المجاني، وهم قبلوه غير مصدِّقين لأنه ليس بعمل أيدينا رُحمنا؛ بل بمقتضى رحمته صرنا في هذه النعمة مقيمين. فما بالك بالذين كانوا مرحومين بل كانوا مختارين ومدلَّلين وفي نعمته يَمْرَحون؟ أكثيرٌ عليهم أن يعود بهم إلى ما كانوا عليه وفيه؟ ويضيف إليهم ما أضافه لنا من غنى الفداء وبهجة الخلاص!!

(٣) يلاحظ القارىء أن كل علماء ولاهوتيي عصر النهضة رفضوا فكرة عودة إسرائيل وقبولها.

٢٩:١١ «لأنَّ هباتِ الله ودعوتَهُ هي بلا ندامةٍ».

هذه الآية إنما تخدم قضية ما قاله في الآية السالفة: «من جهة الاختيار هم أحباء من أجل الآباء». **لماذا؟** لأن هبات الله للآباء ودعوته لهم وتقديسه إياهم لا يشوبها ندم! ق. بولس هنا يعود على مفهوم «الاختيار» الذي حتماً يأخذ مجراه ليبلغ غايته ومنتهاه.

هبات ودعوة: Χαρίσματα καὶ ἡ κλῆσις

«هبات» لا تأتي وحدها كما لا تأتي **«دعوته»** وحدها، فالذي يدعوه الله يهبه، والذي يهبه الله يدعوه، بمعنى أنه لابد للنعمة من العمل والعطاء، ولا عمل ولا عطاء بدون النعمة.

فالله اختار إسرائيل وخصَّهم بالعطايا والمواهب ليكونوا نوراً للشعوب. فإن أخفق إسرائيل فالله لن يندم؛ بل هو متمِّم دعوته وعطاياه ومواهبه إلى النهاية، يزيدها ولا يلغيها. فهل يسحب الله محبته للآباء؟ أم يوقف نعمته التي أعطاها لقديسيه؟ أم يلغي دعوته لإسرائيل ليكون شعبه إلى الأبد لأن إسرائيل أخطأ؟ وبحسب فكر ق. بولس هل يوقف الله مسار عمل برِّه الذي قرره منذ الأزل ليهبه للإنسان عبر إسرائيل من أجل خطية إسرائيل؟ هذا غير وارد في تدبير الله. فليكن الله أميناً في كل مواعيده، والإنسان هو وحده الذي أخفق في أمانته. وكأن ق. بولس يريد أن يقول إن إسرائيل مرفوض، ولكن لا يزال محتفظاً عند الله بموقع المحبوب من أجل مواعيد الله للآباء وعهده للشعب، حتى يعود من حماقته.

وما قيمة هذا بالنسبة لنا الآن ككنيسة؟ فليعلم القارىء أننا نخرج من هذا بمبدأ يثبّتنا في الإيمان، ويشدد ثقتنا في كل مواعيد الله التي أعطاها لنا في المسيح. فنحن دُعينا أيضاً لنكون له كنيسةً بل جسداً للمسيح، ودعينا لنكون لابن الله القائم من الأموات إخوة وأبناءً لله بالروح، وتقدسنا بروحه القدوس وبغسل دمه، وأُعطينا وعداً أبدياً أننا مخلَّصون ومفديون ومدعوُّون للحياة الأبدية. هذه كلها بالمثل وعود الله، وهي بلا ندامة، فهي ثابتة لنا أثبت من السماء فوق رأسنا والأرض من تحت أقدامنا. فثبوت وعد الله لإسرائيل بالرغم من زلتها وعثرتها يعطينا نفس الحق أننا ونحن خطاة لنا وعد الله الأبدي أننا مرحومون ومحبوبون لا محالة، لا من أجل الآباء ومواعيد الله لهم؛ بل من أجل يسوع المسيح ابن الله الذي قدَّسنا وضمن لنا العهد والوعد.

والآن فإن استكثرنا أمانة الله على مواعيده بالنسبة لإسرائيل فكيف نتمسك بمواعيده بالنسبة لنا؟

١١: ٣٠-٣٢ **«فإنه كما كنتم أنتم مرَّةً لا تُطيعُونَ الله، ولكن الآنَ رُحِمْتُم بعصيانِ هؤلاءِ، هكذا هؤلاءِ أيضاً الآنَ لم يُطيعُوا، لكي يُرحَمُوا هُمْ أيضاً برحْمَتِكُم. لأن الله أغلقَ على الجميع معاً في العصيانِ، لكي يَرْحَمَ الجميعَ».**

الحقيقة المُرَّة تبدأ من كون اليهود كانوا يحتقرون ويكرهون الأمم بشدة ودون تعقُّل؛ وهكذا وبالمثل كان الأمم يبادلونهم نفس الاحتقار والازدراء والكُرْه الكريه!!

وهكذا صمَّم الله أن يغلق على الجميع في العصيان، كون كل واحد منهما يعرف أنه مرفوض ومكروه من الله. وهكذا تبادل الأمم واليهود الرفض من قِبَلِ الله. وعلى نفس المنوال يرى ق. بولس أنهما سيتبادلان العودة والرحمة. الأمم أولاً عادوا من رفضهم إلى محبة الله بالمسيح. وعلى هذا القياس يعود إسرائيل بعد مرارة الرفض والتأديب. والله لم يعمل بينهما هذا التبادل خُلْواً من رباط؛ فعصيان إسرائيل هو الذي تسبَّب في رحمة الأمم وقبولهم. هكذا فإن رجعة إسرائيل إلى رحمة الله إنما سببها وأساسها هو رحمة الأمم كعامل إغاظة وغيْرة، ولكن بالأكثر كعامل تشجيع واستنارة وربما صلاة من طرفنا وتوسُّل!! أما عودة إسرائيل فقال عنها ق. بولس إنها ستكون للأمم كحياة من موت (١١: ١٥)!!

وللذين يستصغرون أهمية عودة إسرائيل نقول: **وهل صليب ربنا يسوع المسيح هكذا يخفق في أن يجذب معانديه؟** لقد جذب ق. بولس بسهولة، وهو حامل على يديه توصيات بقتل المسيحيين وإبادتهم، فهل يصعب على المسيح أن يجذب أولاد الذين غفر لهم خطية صلبه (لو٢٣: ٣٤)؟! ألم يقل الرب: «إني إنْ ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ **الجميع**» (يو١٢: ٣٢)؟ فبأقل من الجميع، اليهود والأمم معاً، لا يرتاح المسيح على صليبه. يتحتَّم أن يتخلص الصليب من عثرته المفتعلة، ومن وجهه السلبي للمخدوعين من الشيطان، يلزم أن يكون الخلاص بلا عثرة لأحد، وعمل الله العظيم الذي أكمله في ابنه لا يليق أن يكون فيه خسارة للإنسان، فتصبح ساعة الصلب ليست ساعة إسرائيل وسلطان الظلمة (لو٢٢: ٥٣)؛ بل يتحملها الشيطان وحده وتتبرأ إسرائيل. ويتحوَّل دم المسيح من «علينا وعلى أولادنا» (مت٢٧: ٢٥) ليكون لتطهيرنا نحن وأولادنا. حينئذ يتم دعاء المسيح على الصليب من أجلهم: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤)، وتتم رؤية النبي: «فيسكن الذئب مع الخروف.» (إش١١: ٦).

[١١: ٣٣-٣٦] نشيد الحكمة!!

«يا لَعُمقِ غِنَى الله ... وحِكْمَتِهِ وعِلْمِهِ،
ما أبْعَدَ أحكامَهُ عن الفَحْصِ ... وطُرُقَهُ عن الاستِقْصاءِ
لأن مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ ... أو مَنْ صارَ لَهُ مُشِيراً
أو مَنْ سَبَقَ فأعْطاهُ فيُكافَأ ... لأن مِنْهُ وبِهِ ولَهُ كلَّ الأشياءِ
له المجدُ إلى الأبدِ. آمينَ».

لم يرتفع ق. بولس في تجلياته لرؤية إيجابية الله والخلاص كما ارتفع في هذه الرسالة إلى رومية وعلى وجه الخصوص في الأصحاحات ٩و١٠و١١.

لقد حلَّق في سماء برِّ الله واطلع على رحمة القدير وكشف أعماق غنى سخاء الله من نحو الإنسان. لقد أجلسته الحكمة على جناحيها وطارت به حول دائرة أفكار القدير وأرَتْهُ أعماق قلب الله، فاطلع على مشورة الأزل كيف خصص الله للإنسان كل برٍّ وملءَ حبه واختياره. ثم دارت به الحكمة حول دائرة الأرض وكشفت له عن هوان الإنسان، في ذاته، وفي بعده عن الله: إن إسرائيل كالأمم. ثم عادت الحكمة تلقنه معرفة سبق علم الله وسِرَّه المكتوم منذ الأزل عما أضمره من جهة تدبير كمال خلاص الإنسان، إسرائيل مع الأمم لا فرق، فجاءت هذه الرسالة إلى رومية.

١١: ٣٣ **«يا لَعمقِ غنى الله وحكمتِه وعلمِه، ما أبعدَ أحكامَه عن الفحصِ وطرقَه عن الاستقصاءِ».**

بعد أن طار ق. بولس وحلَّق واطَّلع على أعماق غنى الله في ذاته، وحكمته نحو تدبير خليقته، وعلمه الذي بثَّ صورته في عقل الإنسان وقلبه، وبعد أن كتب رسالته إلى أهل رومية التي بين أيدينا وسكب فيها كل رؤيته بكل أمانته وكل وعيه، عاد ليراجع نفسه فيما كتب، ويطابقه على ما رأى وعاين وسمع، فجزع، إذ استصغر كلَّ ما قال ووصف عن أن يوفي حق غنى الله وحكمته. فالبعد شاسع: «لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم.» (إش٥٥: ٩)

«غنى الله»: πλοῦτος

فبر الله الذي بهر قلب ق. بولس كأعظم صورة لسخاء الله المتناهي نحو الإنسان الذي ظل

يحكي عنه إلى تسعة أصحاحات، رآه فإذا هو لم يزد في حقيقته عن عيِّنة من بحر غناه الذي ادَّخر لنا فيه ألواناً وألواناً من عطايا وحب ولطف عميق لا يُحَدُّ.

«حكمة الله»: σοφία

والحكمة التي رآها وهي تصنع الفداء العجيب، والخلاص الممتد الذي فاجأ الله به الإنسان وهو في موته الذليل في خطاياه، بابنه الذي تجسد من أجله خاصة، هذا الأمر الذي فاق حد التصوّر والخيال والذي صال فيه ق. بولس وجال، وبعد أن قاسه طولاً وعرضاً وعمقاً وعُلواً، رآه فوجده على ما رآه عملاً واحداً من أعمال حكمة الله ذات الأغوار التي لا قرار لها، والتي ادَّخرها لتقديس الإنسان وتقريبه إلى نفسه وضمِّه إلى قلبه.

«علم الله»: γνῶσις

واختيار الإنسان في المسيح قبل الزمان وقبل أن توجد الأكوان، كخليقة مقدسة تحتل تصوُّر الله على مستوى مسرة قلبه في الخلود، تم تحقيقه في الزمان، لتأخذ هذه المسرة لها في آدم - من تراب الأرض - كياناً تتشكَّل به وتتخلَّق، وتشقى فيه وتتدرَّب، لتتهيأ لهيكلها الروحي في المسيح الذي تنطلق فيه إلى موطنها الأعلى، بعد أن يعود التراب إلى التراب.

لما طابق ق. بولس **علم** هذا الخَلْق في المسيح على أعماق علم الله، أدرك أنه مجرد بدء التهجِّي في علم الله.

«أحكام الله»: κρίματα

وحكم الله الذي استعلنه ق. بولس من جهة خروج إسرائيل لدخول الأمم ثم دخول إسرائيل بعد اكتمال الأمم - هذا الذي أجهد فيه ذاته أشدَّ الجهد وأجهدنا معه ونحن نجري خلفه لاهثين - يُسبِّب الأسباب ويُعطي البراهين والنصوص ويليِّن القصيَّ من الأفكار حتى استعلن السر الذي عليه اؤتمن، ذلك لنكون على وعي ويقين بصدق وأمانة الله في كل ما وعد، فنمسك بكلمته إمساكنا بالحياة. ثم بعد أن اطمأن ق. بولس أنه سلَّم الوديعة عاد لينظر ما طرحه علينا من أبعاد حكم الله في هذا الأمر، فوجده لا يزيد عن كونه بنداً من بنود أحكام الله التي تستعصي على الفحص والتي لا يَقِرُّ لها في الذهن قرار.

«طرق الله»: ὁδοί

والطريقة التي اختار الله بها ق. بولس ودعاه، وهي التي ظل يتأمل فيها ويجترّ مناظرها كلما امتدت به الحياة، حكاها لنا ثلاث مرات، وظل يحكيها للمقرَّبين إليه كلما ذكر كيف يدعو الله

وكيف يقدِّس من دَعَا، وظل يستخلص منها طرق الله في الدعوة والاختيار. وبعد أن استوعب ق. بولس كأعظم مَنْ استوعب أبعاد طرق الله، انتهى إلى أنه «ما أبعد طرقه عن الاستقصاء»!!

١١: ٣٤-٣٦ **«لأن مَنْ عرَفَ فكرَ الربِّ أو من صار له مُشيراً؟ أو مَنْ سبقَ فأعطاهُ فيُكافَأ؟ لأن منه وبه وله كل الأشياءِ، له المجد إلى الأبد. آمين».**

القديس بولس هنا في أعمق تعبيراته المستيكية(٤) يعقِّب على ما أعلنه له الله خاصة من دون جميع الرسل بأقصى ما يكون الإلهام، مندهشاً من نفسه متعجباً مَنْ أنا حتى أتعرف هكذا على فكر الرب وفكر الرب لم يُعرَّف به أحد، مَنْ أنا حتى أطَّلع على حكمة الله وحكمة الله لم يعلمها ولا عظماء هذا الدهر. ماذا؟ هل صرت له مشيراً؟ حاشا. وحتى لو اعتبرني له سفيراً(٥)؟ «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين - ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون - بل نتكلم بحكمة الله في سر. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا - التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد - بل كما هو مكتوب **ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه،** لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١كو٢: ٦-١٠)

ق. بولس محصور بين استحالة معرفة فكر الرب لأي بشر وبين حصوله على هذه المعرفة - «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦) - بالروح الذي أخذه من الله.

وكأن ق. بولس يريد أن يقول إن ما كتبته يا أهل رومية ليس مني بل هو فكر من الرب. هو الروح يأخذ من المسيح ويخبرنا، «لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ١٠). ليس هذا مكافأة لي عن شيء عملته أو شيء أعطيته له. حاشا. لأن كل شيء هو منه وهو به وهو له، وله المجد إلى الأبد آمين.

---

(٤) من μυστική أي سرِّي (وليس مخفيًّا) يختص بأسرار تدبير الله لكنه يُستعلن للمختارين.

(٥) «نسعى كسفراء عن المسيح.» (٢كو٥: ٢٠)

الأصحاح الثاني عشر
مطالب البر في الحياة المسيحية

١ — ١٢: ١و٢ : عبادة الإنسان المسيحي شهادة عملية لبر الله بالإيمان.
٢ — ١٢: ٣—٨ : أساسيات السلوك المسيحي من واقع نصيب كل واحد من الإيمان، إنما في جسم الكنيسة الواحد.
٣ — ١٢: ٩—٢١ : الجماعة المسيحية المنقادة بالروح القدس.

مقدمة:

بعد أن أسس ق. بولس في الأصحاحات السالفة قاعدة الإيمان المسيحي كقوة إلهية فعّالة في صميم الطبيعة البشرية، على أساس ظهور برّ الله المبني على الفداء والخلاص والمصالحة، وبالنهاية نوال الخاطئ نعمةً وسلاماً من الله وتقديساً بالروح القدس، كان من الطبيعي أن يرسم صورة للأخلاق المسيحية وكيفية السلوك اليومي الذي يطابق هذه العطايا الإلهية وغنى النعمة الممنوحة.

ولكن بولس الرسول ليس معلم أخلاق بل هو في الحقيقة رسول إنجيلي موهوب، مُبشِّر بالخلاص: «فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه **قوة الله للخلاص** لكل من يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني، لأن فيه **مُعْلَنٌ برُّ الله بإيمان لإيمان**» (رو١: ١٥—١٧). فموهبة ق. بولس هي **تسليم الإنجيل كقوة للخلاص بالإيمان، حيث تأتي الأخلاق ويأتي السلوك كتطبيق مباشر لهذه القوة الخلاصية التي حلّت رُبُط الخطية وكسّرت سلطانها**. فأخلاق المسيحي، عند ق. بولس، تختلف عن أخلاق الذي لم يؤمن. لأن المسيحي نال بالإيمان قوة الخلاص التي لها بالروح سلطان لكسر حدة الخطية وغلبتها. لذلك فهو ليس من فراغ يطلب: «لا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢)، «لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم ... وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا» (أف٤: ١٧و٢٠). القديس بولس لا يضع قانوناً أو نظاماً أخلاقياً، ولكنه وضع أساساً من الإيمان فيه قوة الروح القدس، لذلك حينما يطالب بالسلوك والأخلاق العالية فهو كمن يطلب الثمر لِمَا زرع، كثمر للروح القدس الذي نلناه ببرّ الله بالإيمان بالمسيح.

وق. بولس حينما يلقّن الإيمان ويبني أساسات العقيدة في الأصحاحات السالفة، من واقع التبرير والفداء والخلاص والتقديس، كان باستمرار يسلّط النور على أن هذه العناصر الإيمانية هي بعينها قوة الأخلاق وروح السلوك. فحينما كان يلقّننا عقيدة الموت مع المسيح، لم يفُت عليه أن ينبّه روحنا بقوله: «**إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون**» (رو٨: ١٣). وهذا المعيار اللاهوتي هو بعينه أقوى بند في دستور الأخلاق! وهو عماد السلوك المسيحي بل والقوة الفعّالة للنسك المسيحي. وحينما بلغ ق. بولس في شرحه اللاهوتي نقطة التحوّل من الحياة حسب الجسد للحياة حسب الروح، بالإيمان بالمسيح ونوال الروح القدس كمدبر للحياة، وبالتالي صار الجسد

يخدم البر عوض أن كان يخدم الخطية، لم يفُت عليه أن يكشف لنا هنا القوة الأخلاقية المدّخرة لنا بالروح حينما قال: «ولا تقدّموا أعضاءكم آلات إثم للخطية، بل قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله» (رو٦: ١٣). وق. بولس ليس من فراغ يعطي هذا التوجيه الآمر ولكن من واقع نعمة الروح القدس الذي نلناه: «**كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.**» (رو٨: ١٤)

هكذا يرفع ق. بولس الأخلاق إلى مستوى اللاهوت، ويوظّف مواهب اللاهوت للعمل الأخلاقي وهو واثق أن القوة الغالبة ليست منا، ولا حتى بالجهد المبذول، فالنعمة تتكفّل بأثقال الجسد وتهوّن التعب والسهر والجوع والحرمان والبذل والخدمة والحب العمّال واحتمال الخسارة والإهانة بفرح.

والآيات التي قالها ق. بولس في هذا المضمار وهو يربط الإيمان بالعمل لا يكفيها كتاب قائم بحد ذاته. وق. بولس إذ يَعلَم مقدار اتساع هذا المضمار، وهو إنما يكتب مجرد رسالة، اكتفى في الأصحاحات الباقية برؤوس مواضيع، طرقها الواحد تلو الآخر، في اختصار شديد ولكن كمن يضع المنهج ويترك الشرح.

كذلك لم يغفل ق. بولس أن يصوِّر المجتمع المسيحي الذي ينبغي أن يكوِّنه كما تعكسه مكوناته الإيمانية الراسخة، كما أعطى في ذلك الأمثلة التي تُحتذى. وهكذا تمتاز رسالة رومية فيما تضمنته من اتجاهات أخلاقية وسلوكية أكثر من كل الرسائل في إعطاء تعليم أخلاقي متكامل متعدد الاتجاهات.

— ولكن —

لا يزال هناك سر يرقد خلف منهج ق. بولس في رسالة رومية، والمرتَّب فيه **أولاً** تقديم عناصر الخلاص والفداء، ثم يليه **ثانياً** عناصر وصايا السلوك والأخلاق وممارسة الحياة اليومية وشكل الجماعة المسيحية، **وثالثاً** واجبات الجماعة تجاه الخارج.

فلو تأمل القارئ فيما قدّمه موسى في التوراة من عملية الفصح ثم الخروج من مصر وعبور البحر الأحمر والوصول إلى سيناء، فسيجد أنها تضمنت كل العناصر الأساسية في اللاهوت الخلاصي في العهد القديم، من ذبح خروف الفصح ورش دمه على الأعتاب علامة النجاة، ثم أكل الفصح الذي كان فيه قوة وسر الخروج وخلاص الشعب وفداء الأبكار، من سُخْرة المصريين واضطهاد

فرعون، ثم الحرب المريرة التي وقعت خلف إسرائيل بيد فرعون وجنوده، وحماية الله لإسرائيل، «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر١٤: ١٤)، وإدخالهم في البحر الأحمر الذي هو الموت عينه وخروجهم سالمين دون أن تبتل ملابسهم، ونجاتهم جميعاً وهو ما يعني غلبتهم على الموت حتى وصولهم سالمين مترنمين على شاطىء السلام في سيناء.

هذا نراه هو بعينه ما قدَّمه ق. بولس في أصحاحاته الثمانية الأُولى على مستوى لاهوت الخلاص والفداء بالمسيح، ولا داعي هنا لذكر مفرداته المطابقة لصورتها الرمزية كما جاءت في العهد القديم، إذ سبق وذكرناها باختصار.

ولكن الذي يهمنا هو ذلك التطابق العجيب في كون موسى بعد أن أكمل لهم عملية الفداء بخروف الفصح والخلاص من عبودية مصر وسخرة فرعون، صعد إلى الجبل وتلقَّى الوصايا للعبادة الجديدة بفرائضها ثم وصايا السلوك والأخلاق الفردية والجماعية، وإعطاء صورة لمميزات جماعة إسرائيل كشعب الله المختار وواجباته.

وهذا هو بعينه ما ابتدأ به ق. بولس بعد تكميل عناصر لاهوته ليقدمه للشعب المسيحي. وهذه الحقيقة تحمل استعلان سر منهج ق. بولس الموقَّع على ما رتَّبه الله مع موسى على الجبل، بل وتعطي تفسيراً لبعض كلماته التي يصعب إيجاد أي تفسير لها إلاَّ من خلال إدراكنا لتعمُّده إسناد تعليمه الأخلاقي والسلوكي إلى ما سبق وأن قدَّمه من عناصر لاهوته. وعلى سبيل المثال، فإنه يبدأ الأصحاح الثاني عشر الذي فيه تعاليمه السلوكية والأخلاقية بقوله: «فأطلب إليكم أيها الإخوة **برأفة الله**»، وصحتها: "أطلب إليكم أيها الإخوة «**بمراحم الله**»" حسب النص ـــ لأنها أتت في اليونانية بالجمع وبمعنى الرحمة(١) **οἰκτιρμῶν**. وهكذا حينما يسند ق. بولس تعاليمه الأخلاقية إلى ما قدَّمه مسبقاً من استعلان مراحم الله على الإنسان بالفداء والخلاص ومنحه بر الله، نفهم بسهولة أنه يقصد أن يقول: "أنا الآن أطالبكم بحق مراحم الله التي أعلنتُها لكم والتي هي الآن في حوزتكم، أن تلتزموا بالمنهج السلوكي الأخلاقي". وبهذا ندخل إلى شرح منهجه ولدينا مفتاح يسهِّل علينا فهم كل ما يقدِّمه ق. بولس من وصايا.

(١) الفارق بين الرأفة والرحمة كبير. فالحكم بالرأفة يعني تقليل العقوبة، أما الحكم بالرحمة فيعني البراءة.

[١٢: ١و٢] عبادة الإنسان المسيحي شهادة عملية لبر الله بالإيمان

١٢: ١ **«فأطلُبُ إليكُم أيها الإخوةُ برأفَةِ الله (بمراحم الله) أن تُقدِّمُوا أجسادَكم ذبيحةً حيَّةً مُقدَّسةً مَرْضِيةً عند الله عِبادَتَكم العَقْلِيَّة».**

هذه الآية تجمع كل العناصر التي تخص العبادة المسيحية، في مقابل العبادة اليهودية التي استلمها الشعب من فم موسى بعد أن نزل من على الجبل في سيناء.

أول كل شيء لينتبه القارىء إلى معنى العبادة هنا. **فتقديم أجسادنا ذبائح حية مقدسة مرضية**، هي العبادة الناطقة: حيث المعنى الكلي للآية: أطلب إليكم بمقتضى قوة مراحم الله التي أكملَت لكم بالفداء والخلاص، ونعمة الله التي نلتموها كشعب جديد لله قد اختاركم وقدَّسكم وفداكم وبرَّركم، أن تقدِّموا لله عبادةً روحيةً ليس من حيوانات ميِّتة خرساء، ولكن بأجسادكم الحية بالله التي تقدَّست بروحه القدوس، فصارت، وهي بلا لوم قدامه في المحبة، بمثابة عبادة ناطقة.

فالآن إن كان يتحتم أن تكون الذبائح التي تُقدَّم في القديم بحسب الناموس طاهرة وبلا لوم، فهذا مطلب لا يخص الله لا في القليل ولا في الكثير بأي حال من الأحوال وإلاَّ لكانت قد دامت هذه الذبائح، ولكن هذا كان مطلباً أساسياً بالنسبة لنفس الإنسان لكي يختبىء وراءها بسبب عدم طهارته وعدم خلوِّه من اللوم، سواء كان يقدِّمها ذبيحةً عن خطاياه أو استرضاءً لوجه الله لكي يقف أمامه. أما الآن وبعد أن سقط كل لوم عن الإنسان واستعاد قداسته بالمسيح، فقد انتهى عصر ذبائح الحيوانات بالضرورة، وصار الإنسان نفسه هو الذبيحة المقدَّمة إلى الله، وقداسة سيرته وطهارة حياته هما اللتان تقدِّمانه إلى الله ليقف أمامه بلا لوم في المحبة ليعبده بشجاعة.

وهكذا يلزم أن ننتبه أن العبادة بمقتضى الناموس القديم وبتقديم ذبائح حيوانية، كانت عبادةً تليق بإنسان واقع تحت عبودية الخطية، وهو نفسه خالٍ من أي الأسباب التي تقدِّمه إلى الله. لذلك تحتَّمت الذبائح لتحمل عنه خطيته، وتحتَّم عليه أن لا يتراءى أمام الله فارغاً فلابد أن يقدِّم شيئاً يغطي به **فراغه**: «... ولا يظهروا أمامي **فارغين**» (خر٢٣: ١٥). أما الآن: «فإن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب» (أف٢: ١٨)، «لأنكم قد اشْتُريتم بثمن، فمجِّدوا الله في

أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو٦: ٢٠)

«فأطلب إليكم أيها الإخوة بمراحم الله» οἰκτιρμῶν:

هنا ق. بولس لا يأمر ولا يتوسَّل، كذلك لا يوجه كلامه للفرد، بل التوجيه هنا للجماعة المسيحية ككل ــ ومن داخلها كل فرد ــ كشعب الله الجديد الذي نال كل المواهب العالية من الله بسبق الاختيار والتعيين للحياة الأبدية ورفع الدينونة بالفداء والخلاص والنعمة التي ختمها بقوله: «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو٦: ١٤). إذاً فحقٌ للقديس بولس أن «يطلب» باسم الله، لا كأنه يتوسَّل، لأن طلبه مؤسَّس على إمكانيات حاضرة عندهم، فهم قد غلبوا العالم والخطية وقَبِلُوا من الله نعمة، فهو على حق كل الحق والشجاعة والجرأة أن يطلب منهم وهو واثق أن طلبه هو بعينه طلب الله، وأن المسيح نفسه يسند طلبه. فطلبه أصبح ضرورةً، وضرورةً حتميةً، لأنه يطلب الثمر لمَا زرعه المسيح فيهم، لأن طاعة الإنسان وعبادته ما هي إلاّ رد فعل بالشكر والتسبيح للخلاص الذي أكمله الله بالمسيح. فإن كان ق. بولس يطلب هذا من الجماعة المسيحية فهو يعبِّر عن رجاء الله فينا.

وليت ذهن القارىء ينتبه هنا، «فالعمل» الذي سيطلبه منهم ق. بولس هو ثمرة لعمل المسيح وليس جهداً للإنسان يستند على الإرادة أو العزيمة أو البر الذاتي، وهذا قد انتهى منه ق. بولس في شرحه اللاهوتي.

«بمراحم الله» οἰκτιρμῶν:

وتأتي بالعبرية rahamîm وباللاتينية misericordiam، فهي ليست «رأفة الله» كما سبق وشرحنا. والقديس بولس يستخدمها كأساس كامل شامل للمنهج الأخلاقي والعبادي الذي سيضع خطوطه للمجتمع المسيحي. والقديس بولس يقصد بها أن المجتمع المسيحي لن يُقدِم على عبادة الله بقلب صادق ويخضع لوصاياه ويسلك باللياقة وبالخوف اللائق والغيرة المخلصة، إلاّ إذا علموا أنهم مديونون لمراحم الله. وفي نفس الوقت يقنعنا أن أعمال الله معنا تكشف عن محبة عظيمة كافية لتقنعنا أن تكون عبادتنا بمنتهى مسرتنا وإرادتنا.

«أن تقدِّموا أجسادكم» παραστῆσαι:

هنا «التقديم» ينحصر في معنى تقديم الذبيحة، ولكن ليس على المستوى المادي بل تقديم معنوي روحي كتقديم التسبيح أو تقديم الصلوات. أما تقديم «الأجساد» فهنا البديل الأساسي والخطير في الفرق بين العبادة اليهودية والعبادة المسيحية من جهة تقديم الذبائح كعبادة. وأول من

أشار إلى هذا الفارق الهائل بل وأسَّسه بنفسه، هو الرب في قوله بالنبوة: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول **ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ ولكن هيأت لي جسداً**» (عب١٠: ٥). بمعنى أن أول جسد (إنساني) صار ذبيحة لدى الله **عوض كل ذبائح العهد القديم هو جسد المسيح**.

وقد سبق وأن «قُدِّم المسيح» في الهيكل أمام الله ــ كونه بكراً وقدوساً ــ كذبيحة حية: «صعدوا به إلى أورشليم **ليقدِّموه** παραστῆσαι للرب» (لو٢: ٢٢). والقديس بولس استخدم هذه الكلمة «يقدِّم لله» في وضع آخر هام حينما قالها عن الكنيسة أنَّ المسيح هو الذي يقدمها. ولكن الترجمة العربية غيَّرت المعنى الصحيح بقولها: «يُحْضِرها» والصحيح «يقدمها»: «... لكي يقدِّسها، مُطهِّراً إياها بغسل الماء (المعمودية) بالكلمة لكي "يحضرها" يقدِّمها παραστήσῃ لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن (علامات الهَرَم) أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف٥: ٢٦و٢٧). هنا "التقديم" يأخذ معناه اللاهوتي العالي، فالرب **«يقدِّم»** الكنيسة لنفسه، ونحن نعلم تماماً أن الكنيسة بمثابة عروس للمسيح، فالتقديم هنا يشمل **معنى الرفع والتقريب والتكريم** معاً حيث يصبح «الجسد» كذبيحة **تحت أمر الله!!** فالكنيسة مُقدَّمة في ذبيحة المسيح أي جسده أمام الله.

ق. بولس هنا يستعير هذا المعنى تماماً حينما يضع أساس الذبيحة في العبادة المسيحية أنها تقوم بتقديم «جسد» الإنسان لله ذبيحة عوض جسد حيوان أخرس ميت مذبوح. كيف يكون ذلك؟

لقد شرحها ق. بولس سابقاً في معرض شرحه اللاهوتي عندما قال: «**ولا تقدِّموا أعضاءكم** آلات إثم للخطية بل **قدِّموا** παραστήσατε **ذواتكم** لله كأحياء من الأموات.» (رو٦: ١٣)

هنا وضح كيف **نقدِّم أجسادنا ذبيحة لله: فأولاً** القديس بولس يركِّز على **الأعضاء** كآلات **وثانياً** تقديم **الذات** أي الأنا = Ego = ἐγώ، التي يتعالى بها الإنسان ويتعظم، وهكذا يسهل علينا أن نفهم كيف نقدم أجسادنا لله.

فأولاً: بحفظ كل أعضاء الجسد في حدود العفة ضد كل شهوات العالم، ثم تدريب هذه الأعضاء كيف تخدم القداسة والبر والطهارة بخدمة الله وكلمة الإنجيل وبذل المحبة.

وثانياً: حِفْظ الذات، وهي أخطر من يمثل «الجسد» بالظهور والتعالي والكبرياء والتحدي والاعتداد بالذات والعناد والمقاومة والتشبث بالرأي والخصام والتحزب. فإذا تخلَّصت الذات من كل هذا بنعمة الله ومراحمه القوية ــ المستعدة للمؤازرة عند أول سعي بالنية الخالصة ــ حينئذ يبدأ

الإنسان يخدم الله بهذه الذات التي بعد أن كانت عاتية، تكون قد فقدت ملكيتها لذاتها: «لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حَسِبتُه من أجل المسيح خسارة» (في٣: ٧). وهكذا ينحني تحت إرادة الله بالتواضع وتقديم الآخرين وتكريم كل الناس وأخذ المكان الأخير والبذل الصادق والحب الصادق واستعداد العطاء الدائم، وفي كلمة واحدة يكون الإنسان قد ذبح ذاته لله بسكين المحبة. بهذا يتراءى الإنسان «بالجسد» أمام الله وقد صار بنعمته ذبيحةً وهيكلاً لله!! والجسد آلة تسبيح!!

وبمعنى آخر إن كنا قد عرفنا أن الله اشترانا بدم ابنه يسوع المسيح، فنحن نبيع أنفسنا له بإرادتنا، في خدمة حب وبذل وشهادة.

«ذبيحة حيَّة»: θυσίαν ζῶσαν

ذبائح العهد القديم تقدَّم ميِّتة، أي تُذبح ذبح الموت، أما الحياة هنا فهي تعود على **الجسد في حالة الذبيحة**، فالجسد الإنساني بطبيعته ميِّت بسبب الخطية ولكن حينما يُقدَّم إلى الله بخدمة التسبيح والشكر في شخص المسيح، يصبح في حالة **الذبيحة الحيَّة** لأنه يكون شريك ذبيحة المسيح وفيها، حيث المسيح قائم من الأموات ونحن فيه أيضاً. بمعنى أن الجسد يكون قد مات مع المسيح وقام، ليس جسد الخطية بعد ولكن جسد الإنسان الجديد الذي ذُبح مع المسيح وقام، فهو حي بالمسيح وحياته فيه دائمة لا يسود عليها الموت. وبمعنى آخر غاية في الوضوح والاختصار: كما أن المسيح الآن هو حيٌّ في كل حين، «**ذبيحة حيَّة**»، خروف قائم كأنه مذبوح؛ فنحن إذ نقدِّم أنفسنا لله ونحن متحدون بالمسيح، نُعتبر ذبائح حية: «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسِبْنا مثل غنم للذبح» (رو٨: ٣٦)، أي مائتون في العالم وللعالم وأحياءٌ لله بالمسيح.

واضح أن ق. بولس في قوله هذا، يتكيء بكل ثقله على ما سبق وشرحه من جهة موتنا مع المسيح وقيامتنا مع المسيح: «قدِّموا ذواتكم لله كأحياءٍ من الأموات ...» (رو٦: ١٣)

كذلك واضح أن ق. بولس يستعير من الصورة القديمة في عبادة العهد القديم كلمة "**ذبائح**"، ولكن يضيف عليها ما لم يكن في عبادة العهد القديم ولا في ذبائحه التي كانت تُذبَح لتموت، ولكن هنا **ذبائح حيَّة تعيش كل يوم لتقدَّم كل يوم بل على الدوام**. فكما أن ذبيحة المسيح بعد ما قام لا يسود عليها الموت بعد (رو٦: ٩)، بل هو حيٌّ أمام الله كل حين يشفع في المذنبين (عب٧: ٢٥)، هكذا تماماً نحن، كما قال ووعد: «إني أنا حي فأنتم ستحيون.» (يو١٤: ١٩)

ولكن ليتنا ننتبه لأن وراء كلام ق. بولس نداءً حلواً يلذذ النفس، فنحن مدعوون أن نعتبر

أنفسنا ذبائح لله حيَّةً على الدوام، أمواتاً للعالم وأحياءً للمسيح. والذبيحة يا صديقي ليس لها سلطان على نفسها ولا على جسدها، فهي تقدَّست للرب، وللرب تحيا وتعيش: «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو٥: ١٥). فنداء ق. بولس هذا: «قدِّموا أجسادكم ذبيحة حية» ليس فقط هو كل العبادة الحقة والصادقة، بل هو أيضاً كل اللاهوت مُعاشاً.

وعلى القارىء أن يتذكر كيف أنه في العبادة القديمة، كانت عملية تقديم الذبائح الحيوانية بأنواعها وأشكالها طول النهار مُعتبرة لدى اليهود أنها هي العبادة الحقيقية الدائمة ليهوه العظيم، حيث رائحة اللحم والشحم والدم على المذبح طول النهار كانت في نظرهم هي مسرة لله، ورائحة الدهن الكريهة المحروق على النار التي تُزكم الأنوف هي الرائحة الطيِّبة التي يستنشقها الله فيرضى. واضح جداً الآن بعد أن استعلن لنا الله معنى الذبيحة والدم، سواء في المسيح أو لنا، كيف تغيَّر مفهوم العبادة الحقيقية وتغيَّر شكلها وموضوعها **ورائحتها** ودوامها! ومعنى رضى الله ومسرة قلبه بالحق، حيث يظهر مدى عجز التشبيه في الرمز القديم ومدى قصور عقل الإنسان عند اليهود في فهم ما يُسِرُّ الله!!

وهنا يتضح بجلاء قوة التعبير المسيحي الذي عبَّر به ق. بولس بعد ذلك عن ذبيحة أجسادنا وعبادتنا بأنها «عقلية» = λογικὴν logikin أي على مستوى العقل الروحي العالي والنطق الحكيم الإلهي.

«مقدسة»: ἁγίαν

التقديس معروف، فهو الإفراز من العالم والتخصص لله والحفظ بلا دنس لكي تكون الذبيحة بلا لوم أي مقدسة لله. ويلاحظ القارىء من روح العهد القديم أنه لو لم يكن الإنسان في حالة **خطية** ما قدَّم عن نفسه حيواناً يسفك دمه. فالحيوان نفس بهيمية تُذبح عِوضاً عن نفس إنسان، ودمها يعمل حتى إلى تطهير الجسد فقط حينما يُرش عليه، لذلك لزم أن تكون الذبيحة بلا لوم ولا عيب، طاهرة، لكي تعبِّر عن حَمْلها ملامة الإنسان وعيبه، فيتخلص الإنسان (صورياً) من ملامته وعيبه وتموت هي بعيب الإنسان، وهيهات ...

وهكذا كان من أهم الشروط التي تحتمت على حالة الذبيحة الحيوانية في العهد القديم أن تكون طاهرة بلا لوم، ولكن ما كان هذا التحتيم ضرورياً على الإطلاق بالنسبة للحيوان، فما قيمة أن يكون الخروف أعور أو أعرج بعد أن يُذبح؟؟ ولكن الأمر كله كان رمزياً منصباً على ذبيحة

المسيح بالأساس، تحددها النبوة عملياً بأقصى تدقيق، ثم ترتد علينا حتماً حينما نطالب بالتالي بسبب اتحادنا بالمسيح وحياتنا معه أن نكون مثله ذبائح مقدسة بلا لوم أمام الله، وذلك مسجَّل لنا تسجيلاً من قبل تأسيس العالم: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون **قديسين، وبلا لوم، قدامه في المحبة!!**» (أف١: ٤)

ويلاحظ القارىء أن ق. بولس حينما يطلب أن تكون أجسادنا ذبيحة مقدسة، فهو لا يغالي في مطلبه ولا يتشدد علينا ظلماً بل هو يطلب ذلك لأنه يرانا كذلك بالحق وبالفعل، فهو في الحقيقة يطلب منا ذلك لا لنعمله أو نجاهد فيه بل لأنه قائم متمِّم فينا بتقديس الكلمة وتقديس المعمودية وتقديس الدم وتقديس الروح القدس، وكأن ق. بولس ينبهنا فقط أن نكتشف ما فينا ونكون على مستوى ما صنعه المسيح فينا. فنحن الذبيحة المقدسة، ونحن هيكل الله، ونحن كهنة الله العلي: «وأما أنتم فجنسٌ مختارٌ وكهنوتٌ ملوكيٌ أمةٌ مقدسةٌ شعبُ اقتناءٍ، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب (= العبادة).» (١بط٢: ٩)

ولكن يلاحظ أيضاً أن ق. بولس لا يكلِّم الفرد المسيحي بل يكلِّم الكل، يكلِّم الكنيسة شعب الله المقدس والمختار ليتعرَّف على أصول عبادته الجديدة ومقدار سموها، والكنيسة تلقن مؤمنيها.

«مَرْضِيَّة عند الله»: εὐάρεστον

واضح أن الله في الحقيقة لم يكن له أي رضا بذبائح الحيوانات التي كانت تُذبح: «لأنك لا تُسَرُّ بذبيحة وإلاَّ فكنت أقدِّمها. بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة» (مز٥١: ١٦و١٧). وداود النبي يُلفت نظرنا منذ ذلك الزمان أن «الذبيحة لله هي روح منكسرة»، هي الإنسان في أصدق مواقف اتضاعه. وكذلك النبوة تحكي عن قيمة الذبائح عند الله بالنسبة لذبيحة الجسد المقدس: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ ولكن هيَّأتَ لي جسداً.» (عب١٠: ٥)

وكلمة «مَرْضية» هنا تأتي كنهاية ونتيجة لكونها «مقدسة». فالذي تخصص لله بالكمال، أي تكرس وصار لله، فهو بالضرورة مَرْضيٌّ عنده، من أجل ذلك نسمع بوضوح أن الله لا يرضى بذبائح الغنم والبقر ولا بقربان أياً كان، بالرغم من أنها تسمى ذبائح مقدَّسة وتُقدَّم في القدس وتدخل رائحة سرور لله، كل هذا على مستوى التقديس أي **التخصص المادي** وليس الأخلاقي أو الروحي، فهي قدس للرب أي خاصة بالخدمة داخل الهيكل، ولكن التقديس في العهد الجديد بالنسبة للذبيحة، وهي بالدرجة الأُولى ذبيحة المسيح، **فهي مقدَّسة** على أساس ملء اللاهوت جسدياً، أما ذبائح المؤمنين فهي أولاً **تتقدَّس أخلاقياً** أي بالحفظ بلا دنس من العالم، كما

تتقدَّس بالروح القدس، أي تتأهل للاتحاد بالمسيح، فتصير فيه ذبيحة مقدَّسة قولاً وعملاً. أي أن التقديس الحقيقي هو أخلاقي ثم روحي للجسد والروح: «إن بين الزوجة والعذراء فرقاً: **غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدَّسة جسداً وروحاً**» (١كو٧: ٣٤). هنا التقديس تخصُّصي خالص حيث العبادة تكون هي كل الحياة، وهذا لا يُستهان به أبداً.

ولكن ليس كأن المتزوجين قد عدموا الذبيحة والتقديس، فتقديسهم قائم في زواجهم الطاهر وفي بذل المحبة وإنكار الذات، وذبيحتهم في العطاء بسرور وبلا كيل: «قد امتلأتُ إذ قبلتُ من أبفرودتس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله.» (في٤: ١٨)

والآن علينا أن ننتبه أن ق. بولس حينما فرض طلبه على الجماعة المسيحية كوصية عامة أن «قدِّموا أجسادكم (بالجمع) ذبيحة حية مقدسة مرضية» تركها لتحديد كل مؤمن كيف وبأية وسيلة يقدِّم جسده «ذبيحة حية مقدسة مرضية»، ومن هنا نشأ في الكنيسة أنواع ذبائح وأنواع تقديس ولكنها كلها معاً جسد واحد ذبيحة واحدة مقدسة: «**يقدِّسها مطهراً إياها** بغسل الماء بالكلمة، لكي يقدِّمها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدَّسة وبلا عيب» (أف٥: ٢٦و٢٧). وكل واحد فيها هو عضو ذبيحة مقدسة أو ذبيحة مقدسة في الكنيسة: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف٥: ٣٠)

هل نستطيع أن نقبل هذا لنعيشه في ملء نعمة المسيح وتقديس نعمته وفرح روحه لنتقوَّى من ضعف، بل نتقوَّى في الضعف؟ المطلوب أن نعيش حياتنا وكأننا ذبائح مقبولة أمام الله مقدَّمة له: «لأني خطبتكم لرجل واحد **لأقدِّم عذراءَ عفيفةً** للمسيح» (٢كو١١: ٢). إنها سر زيجة النفس بالعريس السمائي!! ... يا للعبادة المسيحية وما فيها من أسرار!! متى يحين أوان الزفاف؟؟

«عبادتكم العقلية»: λογικὴν λατρείαν

العبادة العقلية عندنا بمفهومنا الآن غير مقبولة، فالعقل بمفهومنا الآن لا يحترف الروحيات بل له فقط حرفة الماديات المنظورة والمحسوسة والأمور التي تقع تحت القياس. لذلك حتى وإن كانت كلمة «**عقلية**» مشتقة من λόγος أي «**الكلمة**» أو العقل أو ما يدركه العقل أو يستبطِنه العقل، إلا أن المقصود هنا هو عكس العبادة الأُولى في العهد القديم التي كانت تتم بتقديم ذبائح **صامتة بهيمية**.

ويعطينا العلاَّمة فيلو اليهودي الفيلسوف تصويراً قريباً من بزوغ العهد الجديد في ذهنه بقوله:

[ثمين في عين الله لا كثرة الحيوانات المذبوحة وإنما الروح الناطقة الطاهرة

(πνεῦμα λογικόν) التي في **نفس الذي يقدِّم الذبائح**](٢).

وقوله أيضاً:

[إن مسرة الله تكون في المذابح الملتف حولها خوارس المسبِّحين بالحق حتى ولو كانت بدون نار عليها، لأنه لا يُسر بنيران المذبح التي تغذِّيها أجساد الحيوانات المذبوحة التي يقدِّمها الناس في حين أن ذبائح قلوبهم لا يدري أحد لمن هي؟](٣).

ولنا في الأنبياء تحذيرات كثيرة للغاية في عدم نفع الذبائح إن لم يكن مقدِّموها على مستوى الأمانة لله! (إش ١: ١٠)، (هو٦: ٦)، (عا٥: ٢١).

إذاً فالأصح أن نقول: "عبادتكم **الناطقة**"، والكلمة **λογικήν** تحتمل هذا المعنى تماماً(٤). حيث العبادة العقلية هي في حقيقتها عبادة روحية(٥) شاكرة مسبِّحة بفضل ما حبانا الله كبشر من أعمال الفداء والخلاص والمصالحة. وهذا مطابق لما قاله الرب: «الله روح والذين يسجدون (يعبدون) له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو٤: ٢٤). **فالعبادة العقلية أو الروحية أو الناطقة هي عبادة مُدْرِكة لله الذي تعبده.** هذه مسرة الله العظمى أن الذي يعبده يعرفه، وأن الذي يخدمه يتبعه من كل القلب الواعي المدرك لمسرة مشيئته. والمسيح قدَّم لنا أساس العبادة المقبولة لله عندما أعلمنا بكل ما عند الآب فصرنا له أحبَّاءً ومحبوبين. فالعبادة المسيحية عبادة أحباء ومحبوبين يدركون مَنْ يعبدون وليست خدمة عبيد. ويستحيل أن يقدِّم أحد جسده للمسيح ذبيحة حية مقدسة وتكون مقبولة إلاَّ إذا كانت نار حب الله قد اشتعلت فيه!

لهذا ومن أجل هذا ألقى المسيح ناره في قلوبنا لنصير ذبائح حقيقية مشتعلة حباً. وبطرس الرسول أعطانا صورة عن مفهوم كلمة «عقلي» بوصفه التعاليم البسيطة التي في الإنجيل «باللبن العقلي» λογικὸν γάλα (١بط٢: ٢)، ويقصد التعليم الذي يدركه ويتغذى به العقل.

والعبادة العقلية هي ضد العبادة التي بتقديم ذبائح **حيوانية بلا عقل** ἄλογα ζῷα، وبطرس الرسول يوضح هذه العبادة العقلية بقوله: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة **حية** بيتاً **روحياً** كهنوتاً **مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله** بيسوع المسيح.» (١بط٢: ٥)

2. Philo, *Spec. Leg.* 1.277; cited by Cranfield, *On Rom.*, p. 602.
3. Id., *Plant.* 108, cited by Cranfield, ibidem, p. 603.

(٤) معروف عند فلاسفة اليونان، ولا يزال إلى الآن، أن الإنسان هو حيوان ناطق، ولكن في عُرفنا أفضل أن نقول حيٌّ ناطق ومُسبِّح.

(٥) يقول كايسمان أن كلمتي λογικός ، πνευματικός متبادلتان في المعنى: op. cit., p. 329.

والذي يسند كلمة «**ناطقة**» هنا هو ما سبق وقدمه ق. بولس من أعمال الله الخلاصية التي تستوجب أن **ننطق بفضلها، ونُسبِّح بشكرها**. هنا العبادة تكون مطابقة لمشيئة الله بل لمسرة مشيئة الله وتكون رائحة سرور ورضى: «لكنني وإن كنت أنسكب أيضاً على **ذبيحة إيمانكم** وخدمته أُسَرُّ وأفرح معكم أجمعين. وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معي» (في٢: ١٧و١٨). هنا ق. بولس يستخدم لغة ذبائحية خالصة. فالسكب هو سكب الخمر المقدَّم إلى الله على الذبيحة: «وسكيب الخمر رُبع الهِين للخروف الواحد» (خر٢٩: ٤٠). وق. بولس يعتبر أن خدمته الخاصة لله التي تدخل ضمن عبادته الحيَّة الشخصية هي بمثابة سكب حياته على ذبائح إيمان المؤمنين، حيث إيمان المؤمنين يعتبره ق. بولس هنا «ذبيحة» يقدِّمها بعد أن يستوفي كل شروطها من التقديس، وذلك بتعليمه وخدمته وحينئذ يُسَرُّ الله، ويُسَرُّ ق. بولس، بل ويطلب من المؤمنين أن يُسَرُّوا أيضاً في عبادتهم لأنها أصبحت ذبيحة سرور للرب.

كذلك يستخدم اللغة الذبائحية هكذا: «قبلتُ من أبفرودِتُس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة (ذكية) **ذبيحةً** مقبولة مرضيةً عند الله» (في٤: ١٨). وهنا نلاحظ أن ق. بولس يتصوَّر دائماً أن أعمال الخير من عطاء وبذل وشركة في أعواز الآخرين هي ذبائح لله، ويضيف إليها اصطلاح العهد القديم أنها رائحة سرور ورائحة طيبة. لذلك نفهم من قوله: «لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون ...» (٢كو٢: ١٥) أنه يقصد أن حياتنا في العبادة والخدمة والبذل والحب تُحتسب ذبيحة محرقة تنسكب حياتنا فوقها كخمر مسكوب، كرائحة ذكية لله من داخل ذبيحة المسيح: «لأننا رائحة المسيح الذكية لله». وهذا السلوك الأخلاقي هو بحد ذاته ينشىء عند المخلَّصين حياة مجدَّدة للحياة: «رائحة حياة لحياة.» (٢كو٢: ١٦)

وبالنهاية نرى أن ق. بولس في هذه الآية (١٢: ١) يرسي قواعد العبادة المسيحية على مستوى أخلاقي وسلوكي، مستخلصة كثمرة لِمَا قدَّمه الله لنا من برِّه الخاص بالفداء بالمسيح، معطياً شكل ومضمون الحياة المسيحية للجماعة ككنيسة مشغولة على مدى كل يوم والحياة كلها بتقديم مؤمنيها أمام الله كذبائح مقدَّسة وحيَّة ومقبولة، كرائحة ذكيَّة لله، بأعمال البر والمحبة والخدمة مع التسبيح والشكر. وهكذا يصوِّر ق. بولس الكنيسة كخيمة اجتماع مع الرب، وعِوَض تقديم ذبائح الحيوانات المتعددة التي يلازمها مئات وآلاف الترتيبات الطقسية المادية الميتة في ذاتها، يؤسس للكنيسة عبادة ناطقة روحية وليست جسدية، مقدسة أخلاقياً وليس شكلياً ومادياً، تكون الذبائح فيها هي المؤمنين بحياتهم وتقواهم وقداستهم المستمدة من قداسة المسيح وبره، والخدمات شكر وتسبيح.

٢:١٢ «ولا تُشاكِلُوا هذا الدهرَ. بل تغيَّرُوا عن شكلِكُم بتجدِيدِ أذهانِكُم لتختَبِروا ما هي إرادةُ الله الصالِحةُ المَرْضِيَّةُ الكامِلَةُ».

والآن بحسب فكر ق. بولس في مضاهاة ترتيب العبادة الجديدة في المسيح على ترتيب العبادة القديمة، يبدأ بعمليات التخصص للعبادة، أي تقديس **الأشياء** بتخصيص الذبائح اللائقة للذبيحة وتطهيرها وغسلها، وتطهير الأواني وغسلها ورش دم الذبيحة التي للتطهير على الأواني وحتى كتب القراءة ليتطهَّر الكل فيتخصص للعبادة: «لأن موسى بعد ما كلَّم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورشَّ الكتاب نفسه وجميع الشعب ... والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة ...» (عب٩: ١٩و٢١). وهذه العمليات كلها أولية لضمان أن تكون كل الأشياء قد تخصصت للخدمة للعبادة. والآن ماذا يقابلها في العهد الجديد عند ق. بولس؟ يقابلها تخصُّص المؤمنين أنفسهم، بمعنى تغيير شكلهم من شكل العالم ليأخذوا شكل المسيح حتى يصيروا لائقين لعبادة مقدسة.

«ولا تُشاكلوا هذا الدهر. بل تغيَّروا عن شكلكم»:

«تُشاكلوا»، «تغيَّروا عن شكلكم»: συσχηματίζεσθε - μεταμορφοῦσθε

اللغة العربية قصَّرت في التفريق بين الكلمتين، فمع أن الفارق بينهما في اللفظ في العربية متقارب إلا أن المعنى يختلف(٦) باختلاف جذر كلٍّ منهما. **σχῆμα - μορφή**

---

(٦) فالعلاَّمة لايتفوت يُجمل الفارق بينهما هكذا:

[كلمة **σχῆμα** تتضمَّن معنى عدم الثبات، والتغيير المتتالي. فمثلاً هيئة هذا العالم **تزول σχῆμα τοῦ κόσμου** (١كو٧: ٣١)، كذلك كما يقولها بطرس الرسول في شأن «شكل الشهوة»: «لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم» (١بط١: ١٤) **συσχηματιζόμενοι ταῖς ἐπιθυμίαις**

في حين أن كلمة **مورفي μορφή** تعني ضمن ما تعني التغيير العظيم الجوهري داخل الإنسان الذي يُعتبر ميلاداً ثانياً للإنسان وكأنه خُلق جديداً، والذي هو من خاصية كلمة **μορφή**، الأمر الذي يستحيل أن تعبِّر عنه كلمة «سكيما» **σχῆμα** بأي حال من الأحوال. كذلك في القول: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا **مشابهين συμμόρφους** صورة ابنه» (رو٨: ٢٩) (هنا التحوُّل سري حقيقي). كذلك: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً **συμμορφιζόμενος** بموته» (في٣: ١٠). (هنا قوة التغيير داخلية تحوُّلية حقيقية، وهنا تبدو مدى ضعف كلمة «متشبهاً» حتى إنها تكاد تلغي المعنى، والأصح: «آخذاً صورة موته»).

كذلك في الآية: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر **μορφωθῇ** المسيح فيكم» (غل٤: ١٩). (هنا عملية تغيير داخلي من واقع التعليم وتسليم الروح إلى أن يحل المسيح فعلاً داخل القلب).

كذلك نجد هذه الكلمة تأتي في موضع تغيير هيئة المسيح: «وتغيَّرت **μετεμορφώθη** هيئته» (مت١٧: ٢).

وهنا يتضح جداً أن التغيير جذري إذ ظهر نور اللاهوت بقوة ــ ونكتفي بهذا القدر.] (**ملاحظة:** الذي بين الأقواس الصغيرة تعليق للكاتب) (Lightfoot, On Philippians, (1912) pp. 130,131.) =

والآن فالكلمة السلبية «**لا تشاكلوا**» تفيد ضرورة تغيير البيئة القديمة التي للعالم والتكيُّف على البيئة الجديدة ــ والكلمة هنا بالإنجليزية واضحة أكثر adaptation ــ أي إلى البيئة أو الشكل الذي للقديسين. أما كلمة «**تغيروا عن شكلكم**» وهي كلمة واحدة باليونانية فهي تعني التغيير الداخلي أي في الطبيعة(٧)، الأمر الذي لا يمكن فهمه أو تنفيذه إلاَّ بالمعمودية، حيث فيها يتم خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد الذي يتجدد بالنعمة «حسب صورة خالقه» (يو٣: ١٠)، بل هي تعني أيضاً خلع روح هذا الزمان الحاضر ولبس روح الدهر الآتي، روح الحياة في المسيح يسوع. فالكلمة الأُولى «لا تشاكلوا» تختص بالسلوك والأخلاق، بينما الكلمة «تغيَّروا عن شكلكم» فتختص بصميم التجديد بالميلاد الثاني لنوال الطبيعة الجديدة الروحية، التي انفتحت لنا أبوابها بالإيمان والمعمودية ولبس المسيح وأكل جسده وشرب دمه. هذا هو معنى ومضمون وجوهر «تغيَّروا عن شكلكم».

ولكن للأسف هناك صعوبة في اللغة العربية في التفريق بين شكل وشكل: وللقديس يوحنا ذهبي الفم شرح يوضح مدى اللبس والبلبلة التي وقعنا فيها بسبب الترجمة العربية في ترجمتها للكلمتين بمعنى الشكل: «لا تشاكلوا» و «تغيروا عن شكلكم»، يقول ذهبي الفم:

[ق. بولس لا يقول «تغيَّر عن شكلك» (هنا يقصد السكيما **μετασχηματίζου**) بل يقول «تغيَّر عن طبيعتك» (**μεταμορφοῦ**) لكي يثبت أن طرق العالم هي شكلية **σχῆμα**، ولكن الفضيلة ليست شكلاً **σχῆμα** ولكنها كيان حقيقي **μορφή** له جماله حسب طبيعته الخاصة ولا يحتاج إلى التزويق أو الغش وتغيير الشكل الخارجي للأمور، الذي حتماً سينكشف وينتهي إلى زوال. لأن هذه الأمور كلها حتى وقبل أن تنكشف بالنور تذوب وتتلاشى. فإذا ألقيت بالشكليات **σχῆμα** جانباً فإنك بسرعة تبلغ إلى الكيان الحقيقي **μορφήν**](٨).

= ويقدم لنا العالم كايسمان من خزانة علمه الغزير شرحاً غاية في البساطة والدقة فيقول إن الـ **σχῆμα** تفيد التكيُّف وأن **μεταμορφόω** تفيد التغيير (Käsemann, op. cit., p. 329).

ويحلل العالم ليون موريس الكلمة الأُولى بوصفها **بالسلبية** والكلمة الثانية **بالإيجابية**، وهذا صحيح إلى حد كبير: (L. Morris, p. 435).

ارجع للتعليق الموجود في كتاب: «القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله»، للمؤلف، صفحة ١٩٥، هامش رقم ٢١.

7. Käsemann, *op. cit.*, p. 329.
8. Chrysostom, *ad. loc.*, PG 60, 597,598.

«بل تغيَّروا عن شكلكم»:

المعنى هنا منصبٌّ على الكيان الداخلي، على الطبيعة ذاتها وليس مجرد أشكال العالم. فالتغيير هنا، ولو أن ق. بولس يراه في إمكاننا وبإرادتنا، ولكنه في الحقيقة عمل يفوق إمكانياتنا وإرادتنا. فصحيح نحن نتقدم للمعمودية بإرادتنا، ولكن ما يحدث فيها هو عمل فائق من الله يتدخل فيه الروح القدس لكي يكمِّل بالسر ما لا يدركه العقل، إذ نخلع إنساننا العتيق فنموت عن جسد الخطية، لنلبس الإنسان الجديد، بل نلبس المسيح، نخلع شكل آدميتنا لنلبس شكل المسيح.

وما تم في السر المقدس يظهر في العمل والسلوك والحياة حيث ينال الإنسان مؤازرة من روح الله للسلوك بحسب الروح وليس حسب الجسد بعد، ليكون لنا فكر المسيح في القداسة والبر عوض فكر هذا الدهر في النجاسة والشر. والآن، وإن كنا قد قَبِلْنا معموديتنا في الصغر حيث لم يكن إدراك ولا وعي، إلاّ أن الروح الذي أخذناه ومُسحنا به لا يحجزه الزمن عنا ولا يمسحه الدهر منا، فهو ختم إلهي أبدي يرافقنا حتى يوم الفداء. حينما ندعوه نجده، حينما نطلبه يعمل ويؤازر، حينما نتكل عليه يثبت أنه حاضر ومرافق: «الرب معكم ما كنتم معه وإن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم» (٢أي١٥: ٢). هذا يقوله النبي عزريا بن عوديد.

لذلك حينما يقول ق. بولس: «تغيَّروا عن شكلكم»، وكأنه يطلب بشبه أمر، فإنه يعتمد على ذخيرة حيَّة موجودة في كياننا الداخلي الروحي ومستعدة للعمل. وهكذا إن أردنا أن نتغيَّر عن شكلنا فالروح قائم مستعد. ولماذا لا يكون الآن؟

ويلاحظ القارىء مدى اعتماد ق. بولس على هذا الروح والقوة والنعمة والختم الذي نحمله حينما يقول أولاً: **«لا تشاكلوا هذا الدهر»**، فالقوة على الاعتزال عن شكل العالم الشرير هي قائمة في قوله: **«تغيَّروا عن شكلكم»** وهو أمر في حقيقته فائق لإمكانياتنا الضعيفة، ولكنه واقع في مجال إرادتنا إن طلبنا الله عن وعي وصدق وأمانة لنقدِّم له من حياتنا وسلوكنا المجد والكرامة والعبادة حسب مسرته ورضاه.

«بتجديد أذهانكم»:

لقد عَثُر العلماء في هذا القول للقديس بولس واعتبروه مجرد تكرار لما قال بنوع من التهرب دون أن يأتي بكيف نتغيَّر. ولكن في الحقيقة ق. بولس يقصد أن يقول إن التغيير الجذري في الكيان والطبيعة الذي يعمل الروح في المعمودية، وإن كان سِرِّياً وغير منظور ولا حتى محسوساً، إلا أن الذي يَنتج عن هذا التغيير له مقابل في الذهن أي «الوعي الروحي»، وهو التعبير الصحيح عن

مفهوم عمل العقل للإنسان الروحي. فالتجديد الخَلْقي في المعمودية بالسر يرافقه ويمتد منه تجديد في الوعي الروحي = الذهن = العقل، فينتقل الإنسان من مستويات فكرية كانت على مستوى العالم الحاضر إلى مستويات فكرية روحية (= في الوعي الروحي) عالية على مستوى الروح، وهذا هو في الحقيقة المقصود بحالة **«التجديد الذهني»**. ولكن لا يزال لهذا التجديد الذهني الحادث والمرافق للتغيير الداخلي الذي يتم بالروح في سر العماد والإيمان، لا يزال له بالتالي دور جديد في أنه هو الآخر قادر أن يحوِّل ويغيِّر ويجدِّد في صميم الكيان الداخلي، أي في طبيعة الإنسان. كيف؟

نقول إن الإنسان الذي نال الاستنارة في سر العماد وانفتح ذهنه باسم الآب والابن والروح القدس ليفهم الكتب ويدرك أسرار الروح فيها، حينما يقرأ ويدرس ويعي ويتأمل، فالذي يحدث له هو **تجديد الذهن** بمعنى حصوله كل مرة على حالة ارتقاء ذهني يدخل فيها الذهن في مجالات **جديدة**، ونقول جديدة بالحق!!، فيها يدرك الإنسان أن ما يكون قد أدركه سابقاً يجده لا يقاس بما حصل عليه كل مرة، هذا هو **تجديد** الذهن. وتجديد الذهن هو تحوُّله من ذهن جسدي إلى ذهن روحي باستمرار، فهو بالتالي تجديد للروح والنفس والكيان الداخلي للإنسان.

لذلك يتضح الآن بقوةٍ، قولُ ق. بولس: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم»!!

لذلك فإن القراءة بذهن مفتوح هي حالة تجديد للمعمودية بالسر للذهن، حيث يتجدد بالكلمة، وهذا هو نص ما يقوله بطرس الرسول: «**مولودين ثانية** لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى **بكلمة الله الحية** الباقية إلى الأبد» (١بط١: ٢٣). فالكلمة لها قوة تعميد الذهن بيسرٍ يفوق العقل.

«لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المَرْضِيَّة الكاملة»:

تختبروا = δοκιμάζειν

هنا ينقسم العلماء في فهم هذه الكلمة وتفسيرها، فهي بحسب القواميس الدقيقة تعني ثلاثة معانٍ: **الأول** يحقق to prove، **والثاني** يختبر to test، **والثالث** يستحسن to approve. وبعض العلماء مثل هودج[٩] يفضل المعنى الثاني ومعه كثير من العلماء مثل ليون موريس[١٠] وكايسمان[١١] وهدلام[١٢] ومعهم القديس ذهبي الفم[١٣]، ولكن ينفرد كرانفيلد[١٤] ويشترك

9. Hodge, *op. cit.*, p. 606 (Ed. 1896 unabridged).
10. L. Morris, *op. cit.*, p. 436.
11. Käsemann, *op. cit.*, p. 330.
12. Headlam, *op. cit.*, p. 354.
13. Chrysostome, *op. cit.*, p. 498.
14. Cranefield, *op. cit.*, p. 609.

معه براون[١٥] بالمعنى الأول "**يحقق**". وحيثيات الحكم بأنها تعني الاختبار هي أن تجديد الذهن **يجعله يدرك أسرار الإنجيل** والروح والحياة فيختبر أن إرادة الله صالحة ومرضية وكاملة: «وأما (الإنسان) الروحي فيحكم في كل شيء ولا يُحكم فيه من أحد» (١كو٢: ١٥). وأما حيثيات حكم كرانفيلد فهي أن الذهن المتجدد **يحقق في حياته إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة ويركز بها** وهذا منتهى مطلب ق. بولس بل والله أيضاً: «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الصالحة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥: ١٦). هنا تحقيق الإرادة الصالحة بين الناس **وهو مقصد الخدمة والبشارة ومجمل العبادة**.

أما رأينا نحن فيصعب أن ننحاز لأي من الرأيين ونرى أن نأخذهما معاً!! **فالذهن المتجدد يختبر حتماً، ويحقق حتماً، ولا يمكن فصل عمل الذهن في اختباره لصلاح إرادة الله من تحقيقها في الحياة**، وهو يحققها لأنه يستحسنها.

«تختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة»:

هنا ينتقل ق. بولس نقلة أخرى في مضاهاة العبادة القديمة حسب الناموس على العبادة الجديدة التي في المسيح يسوع وذلك من جهة التعليم: **مَنْ الذي يعلّم؟** معروف أن التعليم في ناموس موسى اختص به الكتبة والفريسيون الذين يُسمَّون أيضاً "الناموسيون"، أي كتبة الناموس ومُعلّموه للشعب، حيث كان للتعليم الموسوي أصوله الدقيقة جداً سواء في كتابته تحت قيود ومحظورات لا عدد لها، ثم حفظه، ثم تدريسه. فحينما يعلّم الفريسي، فإن عليه أن يفصح عن مصدر تعليمه وعن الفريسي الذي استلم منه.

وق. بولس هنا يبطل هذا المنهج من أوله إلى آخره ويجعل المؤمن هو نفسه الذي يعرف ويختبر ويستحسن تعاليم المسيح وينادي بها من واقع عبادته الناطقة بذبيحة نفسه في القداسة وتجديد ذهنه، وهو في ذلك يستند إلى النبوة القائلة: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ... هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم [«المسيح فيكم رجاء المجد» (كو١: ٢٧)] وأكتبها على قلوبهم (عوض ألواح موسى) وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً ولا يعلّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلّهم سيعرفونني من صغيرهم [«أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» (مت١١: ٢٥)]

15. Brown, *op. cit.*, p. 437.

إلى كبيرهم، يقول الرب، لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد.» (إر٣١: ٣١-٣٤)

«إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة»:

لم يكن من الهيِّن معرفة مشيئة الله في القديم لأنه لا يمكن معرفة اتجاهاتها أو حدودها، فهي لا تُعرف ولكن تُستعلن لكل واحد كما يريده الله له. ومن شدة صعوبة إدراكها، تاه اليهود في التمييز ولم يعرفوا **«إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة»** التي كانت أمامهم وبين أيديهم وتتحادث معهم وتتوسل إليهم — في شخص يسوع المسيح ابن الله — الذي أهانوه ورفضوه وقتلوه. لذلك كانت أول وصية في الصلاة علّمها الرب لتلاميذه بعد تقديس اسم العلي وطلب مجيء ملكوته هي **«لتكن مشيئتك»**، لأن في مشيئة الله يكمن خلاصنا وحياتنا الأبدية، لذلك أردف بها الرب: «كما في السماء كذلك على الأرض»، بمفهوم أن تُطابق عملها فينا الآن تماماً كما يريده لنا الله هناك في السماء، أي الحياة الأبدية مع الله، أي يتم فينا ما رآه ق. بولس بالروح لنا: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف١: ٤). هذه هي المشيئة الصالحة المرضية الكاملة بالنسبة لنا وللكنيسة ككل.

ويلاحظ أن ق. بولس وهو الفريسي المتعلّم على كل أصول علم الله بحسب الناموس لم يكن يعرف ما هي مشيئة الله!! وذلك وضح حينما أعلن له الله عن مشيئته: **«إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه»** (أع٢٢: ١٤). وما هي المشيئة الإلهية التي كان يجهلها ق. بولس وقد عرفها من فم المسيح؟ إلاّ دعوة الأمم للدخول في الإيمان المسيحي، ونوال وعد الله في إبراهيم، وحصولهم على شركة الميراث وعضوية الجسد — أي الكنيسة، وذلك بدون ناموس ولا ختان ولا سبت ولا عوايد قديمة لليهود، بل يكون لهم كل شيء جديداً ويقبلون الميلاد الثاني من الماء والروح ويصيرون أولاد الله بالتبني، هذه هي مشيئة الله الصالحة والمَرْضية والكاملة.

أما أنها إرادة صالحة فهي فعلاً صالحة جداً لأنها قبلتنا ونحن بعد خطاة أشرار.

أما كونها مَرْضية فهي ليست مرضية عنده فقط بل إن فيها منتهى مسرته: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)، «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ...» (يو٣: ١٦)

أما أنها كاملة فواضح كمالها في قول المسيح على الصليب: «قد أُكمل» (يو١٩: ٣٠)، بمعنى أن مشيئة الله بلغت كمالها النهائي باستعلان المسيح وتكميل فداء الإنسان لقبول الصلح والتبني.

ولكن يلاحظ أن ق. بولس يضع هذه الثلاث الصفات لإرادة الله **الصالحة، والمرضية، والكاملة** في مقابل الثلاث الصفات التي كانت مختبئة في الناموس دون عمل: «إذاً الناموس مقدَّس والوصية **مقدسة، وعادلة، وصالحة**» (رو٧: ١٢). والفارق شاسع، فصفات الناموس والوصية بقيت «مقدسة وعادلة وصالحة» في ذاتها ولم يستطع الإنسان أن ينال شيئاً منها، أما إرادة الله في شخص يسوع المسيح فاستُعلنت استعلاناً وظهرت ظهوراً «أنها صالحة ومرضية وكاملة»، وأصبحت في متناول كل ذهن يتجدد من داخل مواهب الله المجانية ويقبلها وتعمل هي له وفيه: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء **وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسَرَّة أمامك.**» (لو١٠: ٢١)

[١٢: ٣ـ٨] أساسيات السلوك المسيحي

من واقع نصيب كل واحد من الإيمان،
إنما في جسم الكنيسة الواحد

٣:١٢ **«فإني أقولُ بالنعمَةِ المُعطاةِ لي لكلِّ من هو بينكم أنْ لا يرتَئي فوقَ ما ينبغي أن يرتَئي بل يرتَئي إلى التَّعقُّل كما قَسَمَ الله لكلِّ واحدٍ مقداراً من الإيمانِ».**

في هذا الجزء من الأصحاح يدخل ق. بولس في توزيع مهام العبادة وتقسيمها وتنسيقها، لا بحسب التعيين على مستوى الأسباط والأشخاص في العهد القديم، **ولكن بحسب نصيب كل واحد من الإيمان الذي وهبه له الله، هذا هو مصدر السلطات في كنيسة الله!!!** وإذ يرى ق. بولس خطورة الدخول في وضع نظام العبادة وتنسيقها، يعلن في البداية أن الأمر لا يتعلق به شخصياً، وإنما بسلطان النعمة التي أعطاها له الله كرسول، إنه يأمر، مما يُشعرنا أن الموضوع هنا على مستوى التدبير الإلهي ولا حرية فيه لأحد.

«فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم»:

بعد أن اطمأن ق. بولس أنه يتحدث إلى أذهان متجددة، بدأ يكشف لهم تدبير نعمة الله التي أعطاها له الله كرسول، لا فيما يختص بهم كأفراد من جهة مستوى عبادتهم الروحية وإنما في إدارة الشئون الكنسية. لذلك انتقل من مجرد الطلب إليهم كل واحد فيما له، إلى الإلزام بالنسبة للجماعة، ومن هنا شفع الأمر بالسلطان الذي له، وإنما من مصدر النعمة، كما سبق وكشف عن مصدر هذا السلطان منذ بدء الرسالة: «قَبِلْنا **نعمة** ورسالة **لإطاعة الإيمان** في جميع الأمم الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوو يسوع المسيح» (رو١: ٥و٦)، الأمر الذي ظلَّ يؤكده لهم حتى آخر الرسالة: «ولكن **بأكثر جسارة** كتبت إليكم جزئياً أيها الإخوة، كمُذكِّرٍ لكم **بسبب النعمة التي** وُهبت لي من الله.» (رو١٥: ١٥)

والقديس بولس إذ يزكِّي الأمر الذي يصدره إليهم بقوة النعمة التي فيه، يشعر بخطورة الأمر، لأن عليه سيتوقف قيام الكنيسة كمؤسسة إلهية لضمان مسيرتها عبر الدهور. لذلك، فالأمر صادر لكل فرد في الجماعة من أجل الجماعة، أي أنه يتطلب سمعاً وطاعة لدى الجميع.

«"لا يرتئي" فوق ما ينبغي أن "يرتئي" بل "يرتئي" إلى "التعقل"»:

يرتئي، يرتئي، يرتئي ὑπερφρονεῖν , φρονεῖν , φρονεῖν , σωφρονεῖν

هنا لعب بالألفاظ محكم الإبداع، كما جاء في الترجمة العربية، مضافاً إليها في اليونانية أن "التعقُّل" جاءت باليونانية أيضاً «يرتئي»!! فهذه الأوصاف الأربعة من كلمة «يرتئي» تنتهي بكلمة التعقُّل σωφρονεῖν إنما بمفهومٍ أخلاقيٍّ عالٍ إذ تعني حكمة الرزانة. فـ «التعقُّل» في موقعها في الفلسفة الأخلاقية هي قمة أعمال العقل.(١٦)

«كما قسم الله لكل واحدٍ مقداراً (نصيباً) ἑκάστῳ ἐμέρισεν μέτρον من الإيمان»:

وحينما يشدِّد ق. بولس على التعقل، أي الرزانة والإفراز، **فهو يتجه بشدة ناحية كل فرد بمفرده**، مضيفاً إلى ذلك سَبْق تدبير النعمة في الكنيسة على هذا المستوى الفردي أيضاً، كون الله **قسم أنصبة الإيمان على قدر قامة كل فرد بمفرده؛** فأصبح الالتزام على كل فرد أن يتعقَّل في عمله وتصرفه على قدر نصيبه من الإيمان الذي أخذه مسبقاً من الله، وصار أمراً في غاية الأهمية من جهة قيام وحياة وتدبير وإدارة الكنيسة على مر الدهور.

والذي يسترعي انتباهنا بشدة هو أن ق. بولس لا يعطي هنا الفرصة لأصحاب المواهب العالية أن يفرضوا مستواهم على الكنيسة، ولا لأصحاب المواهب الأضعف أن يخزوا من إمكانياتهم الأضعف، فالله لا يطالب الإنسان إلا على مستوى ما أعطاه من إيمان ومواهب. فصاحب الخمس الوزنات جيد أن يربح خمس وزنات أُخر وليس ثلاثاً، وصاحب الثلاث الوزنات جيد أن يعطي ثلاثاً وليس اثنين، ولا هو مطالَب أن يعطي خمساً. وبهذا يحكم التعقُّل التدبيرَ الكنسي.

إن ق. بولس، أو النعمة على وجه أصح، تكشف خطر الحماس المنفرد، والغيرة الشخصية الزائدة، والوثوق في الذات والإمكانيات، وهذا سنجد ق. بولس بعد ذلك يؤكده مراراً: «غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين»، «لا تكونوا حكماء عند أنفسكم» (رو١٢: ١٦). **وهكذا نرى «التعقُّل» المبني على الإيمان في حدود النصيب الذي وهبه الله لكل فرد في الكنيسة هو الدعامة الأساسية لقيام ودوام هدوء وسلامة وصحة الكنيسة.** وبالتالي وبناءً عليه، فإن واقع حال كلام ق. بولس يوحي إلينا حتماً بأن نسأل: وما حكم الله على الذي يتعالى على الجماعة فوق ما يستحق؟ أو ما حكم الذي يتذمَّر على نصيبه الذي أخذ؟ هذا نتركه للنعمة ولشرح ق. بولس المطوَّل في (١ كو١٢و١٣و١٤).

---

(١٦) اقرأ قصة القديس أنطونيوس وجماعة الرهبان الذين تباحثوا في أي الفضائل أفضل، حيث صحح لهم مقولاتهم بأنها الإفراز وهو التمييز (بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦، مكررة سنة ١٩٨٩، ص١٣).

نفهم من هذا أن قانون الخدمة في الكنيسة ـ بحسب نعمة الله التي في ق. بولس ـ الذي يضمن لها الحياة ورضى الله، يرسو على **امتياز الإيمان الذي يظهر في التعقُّل والرزانة وليس على أي امتياز شخصي آخر مهما كان.** والإيمان الرزين هو برهان على صلة العضو بالمسيح، ومستوى صلة العضو بالمسيح هو الذي يزكِّيه حتماً أن يكون عضواً في جسده، أي الكنيسة، فعضو الكنيسة الخادم فيها والمستأمن على الخدمة هو في ذاته ليس شيئاً، فلا ينظر إلى ما هو لذاته وحيثياته وإمكانياته إلاّ ما يُرى منه بالإيمان والتعقُّل ليبرهن على صلته الصحيحة بالمسيح.

حتى الذين هم أصحاب مواهب ممتازة ولكن يرتئون في أنفسهم فوق ما ينبغي أن يرتئوا، فهؤلاء فاقدون «التعقل والرزانة»، والفاقد التعقل هو صاحب نصيب إيمان أقل!! فالمسيحي عموماً والخادم المؤتمن على جسد المسيح خصوصاً، لا ينظر في نفسه أنه **كل شيء**، فالذي هو كل شيء في الكنيسة هو المسيح! ولا حتى ينبغي أن ينظر في نفسه أنه **شيء**، إذ يستحيل أن يوجد شيء في الكنيسة خارجاً عن المسيح، فالمسيح رأس كل شيء والكل في الكل!! فكل مَنْ في الكنيسة هو عضوٌ في الجسد، والعضو ليس عضواً بنفسه ولكن بالكنيسة، ولا لنفسه بل للأعضاء الآخرين. فلا عضو أفضل من عضو، لأن الأفضلية هي للجسد. وذلك على أساسٍ ثابتٍ مكين، وهو أن موهبة الفرد الإيمانية التي تميِّزه لا يعتدُّ بها لنفسه وإنما يوظِّفها لخدمة ـ الآخرين ـ الكنيسة.

١٢: ٤و٥ **«فإنه كما في جسدٍ واحدٍ لنا أعضاءٌ كثيرةٌ ولكن ليس جميعُ الأعضاءِ لها عملٌ واحدٌ، هكذا نحن الكثيرينَ جسدٌ واحدٌ في المسيح وأعضاءٌ بعضاً لبعضٍ كلٌّ واحدٍ للآخرِ».**

حينما قال ق. بولس أن: «الله قَسَمَ لكل واحد مقداراً من الإيمان»، فهو يكون بذلك قد قرر التنوُّع في الأعضاء كعمل إلهي. ولكن هذا التنوُّع بين الأعضاء المقرَّر من الله يقوم على المواهب المنبثقة من أنصبة الإيمان، كما قسم لكل واحد. هنا التركيز على «الموهبة» كأساس للخدمة عموماً ولتنوع الخدمات، بعد ذلك يُخلي يد الإنسان من التدخُّل في التدبير الكنسي على أساس فكر الإنسان أو رأيه. هنا تأمين الكنيسة لتبقى الكنيسة جسد المسيح حقاً: «غير أنه كما قسم الله لكل واحد كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك وهكذا أنا آمر في جميع الكنائس» (١ كو٧: ١٧)، «ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة.» (١ كو١٢: ٧)

ولعل من أهم الأهداف التي جعلت الله لا يعطي كل المواهب لواحد، بل قسمها ليخدم بعضها بعضاً والكل يخدمون في الجسد الواحد، هو إعطاء روح التواضع والتعاون والألفة للكنيسة

ممثَّلة في وحدة مواهب خدَّامها ومتَّقيها! «فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد. وأنواع خِدَم موجودة ولكن الرب واحد، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل» (١ كو١٢: ٤و٦)، «ولكن لكل واحدٍ منا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح.» (أف٤: ٧)

والآن على القارىء أن ينتبه أنها خطة إلهية، وتدبير محكم من النعمة التي تدعو وتعيِّن الذين بلغوا التجديد الذهني، ثم تقسِّم المواهب على مستوى **أنصبة الإيمان** **μέτρον πίστεως** كل واحد يأخذ موهبته التي يخدم بها على قدر إيمانه الذي أعطاه الله، لكي ينتهي الله بالكنيسة لتكون وحدةً متماسكةً متآلفةً من الداخل السرِّي، وحدة روح ورب وأب، ومن الخارج وحدة أعضاء يضمُّهم تعدُّد مواهبهم وارتفاقهم بعضها على بعض، ووحدة أخلاق منظورة في اتضاع يشمل الجميع والكنيسة ككل.

وعلينا أن نلتفت إلى النقلة التي نقلها ق. بولس من الآية (٤) إلى الآية (٥)، ففي الأُولى أعطى صورة لجسد له أعضاء كثيرة، كل عضو منها له عمله الخاص وليس للجميع عمل واحد، وذلك ليقوم الجسد بوظيفته الكلية من خلال تعاون الأعضاء تعاوناً طبيعياً لا يشوبه انقسام أو اختلاف. بل إن اختلاف الأعضاء في الجسد الطبيعي هو الذي أعطى وحدة العمل والانسجام.

وصحيح أن ق. بولس أعطى هذا التشبيه لينطلق منه ويعطي الكنيسة **حقيقة الجسد الواحد** في المسيح، حيث التطبيق واحد وجيد وجميل للغاية، ولكن قصد ق. بولس في الحقيقة أعلى بكثير من وضع نموذج تشبيهي يوضح به الكنيسة، بل قصده هو تثبيت حقيقة إلهية عظمى من جهة الكنيسة أنها هي بالحق **«جسد المسيح السري»** منظورة من الخارج كمؤسسة منسجمة ومؤتلفة ولكن انسجامها وائتلافها هو داخلي روحي سري، لأنها تحمل قوة موت المسيح وقيامته من داخل أعضائها وبواسطتهم. فالأعضاء بأجسادهم الجديدة المخلوقة جديداً في المسيح بالمعمودية والإفخارستية تحمل سر موت الرب وقوة قيامته وهي أجساد موحَّدة في المسيح، فهي امتداد لجسد المسيح على الأرض. **ولكن الأعضاء لا يكوِّنون الكنيسة بل الكنيسة هي التي تكوِّنهم، فالكنيسة هي التي تلدهم وليسوا هم الذين يلدون الكنيسة.** الكنيسة تلدهم من المسيح ليبقوا فيه، والكنيسة تطعمهم من جسد المسيح ودمه ليثبتوا فيه، فهم في حقيقتهم السرية كما يقول ق. بولس: «من لحمه ومن عظامه» (أف٥: ٣٠). فالكنيسة جسد المسيح السري كحقيقة ثابتة أبدية وأبواب الجحيم لن تقوى عليها (مت١٦: ١٨)، لأنها جسد الذي غلب على الصليب وغلب الهاوية وقام. الكنيسة، كجسد المسيح، حيَّة وباقية إلى الأبد ولن يسود عليها الموت قط.

٦:١٢ **«ولكن لنا مواهبُ مختلفةٌ بحَسَبِ النِّعمةِ المُعطاةِ لنا، أنُبُوَّةٌ فبالنسبةِ إلى الإيمانِ».**

ق. بولس ينتقل بنا خطوة خطوة في توضيح معالم العبادة المسيحية:

في الآية الأُولى: تقديم أجسادنا ذبائح حية مقدسة مرضية، لعبادة عقلية، أي روحية ناطقة.

في الآية الثانية: أن نعتزل عن أشكال هذا الدهر. ونتغيَّر داخلياً ونبلغ التجديد الذهني.

في الآية الثالثة: أن الله قسم لنا موهبة الإيمان كل واحد على قدر قامته فلا ينبغي أن يتعالى أحد فوق قامة إيمانه.

في الآية الرابعة: مثل الجسد الواحد وله أعضاء كثيرة. هكذا صرنا في المسيح.

في الآية الخامسة: جسد واحد للمسيح ونحن أعضاء فيه بعضاً لبعض.

في الآية السادسة: التي نحن بصددها، يتضح أن في الآيات الخمس السالفة وضع ق. بولس أساس العبادة هكذا:

أن المؤمنين هم ذبيحة العبادة الحية الدائمة الناطقة المرضية، وأن جوهر العبادة يقوم على تقديم الحياة كلها وتقديم الخدمة بالعقل المتجدد وبالفم الناطق.

وأن الكنيسة تقوم على أساس عضوي، وتقسيم الأعضاء يقوم على أساس تقسيم الإيمان الذي يعطيه الله ولا مجال للتعالي، واستعلان سر الكنيسة هو أنها جسد المسيح، والمؤمنون فيها هم أعضاء هذا الجسد يؤدون الخدمة معتمدين على بعضهم البعض.

ثم في الآية السادسة يستعلن ق. بولس أن هذا التقسيم العضوي في الكنيسة القائم على تقسيم الإيمان بحسب الأنصبة الممنوحة من الله، إذا كَمُلَ، فإن الله يُعطي مواهب جديدة للأعضاء تقوم على أساس موقعهم من الخدمة. وهنا يظهر أن الله هو الذي يحدِّد أنواع الخدمات بإعطاء أنواع المواهب اللازمة مسبقاً. فالكنيسة إذ تحتاج إلى أنبياء وخدَّام ومعلمين ووعاظ، **هكذا يعطي الله هذه المواهب لتقوم الكنيسة بعملها، على أن كل موهبة تكون مرتبطة بالخدمة الأخرى والكل مربوط ومشدود معاً كالجسد الواحد، أو بحسب استعلان سر الكنيسة يكون هو المسيح نفسه:**

+ «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة **وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد كذلك المسيح أيضاً.** لأننا جميعاً بروحٍ واحدٍ أيضاً اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً ... **وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً.**» (١ كو١٢: ١٢و١٣ و٢٧)

هنا يلزمنا وقفة قصيرة لنفرق بين تحديدات ق. بولس في تكوين الكنيسة من جهة خدماتها وأعضائها. فالكنائس المتقدِّمة في الخدمة والمواهب التي أُعطيت من الله، مثل كنيسة كورنثوس التي نقرأ في مستهل رسالتها، مخاطبة ق. بولس لهم: «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح أنكم في كل شيء **استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم كما ثبتت فيكم شهادة المسيح حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما.**» (١ كو١: ٤ــ٧)

على هذا الأساس: الغني بالروح والمواهب، أعطى ق. بولس تقسيم المواهب للخدام كوظائف ثابتة كالآتي: «فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياءَ، ثالثاً معلّمين، ثم **قوات**، وبعد ذلك **مواهب شفاء، أعواناً، تدابير، وأنواع ألسنة ...**» (١ كو١٢: ٢٨)

وواضح هنا أن المواهب الروحية العالية كانت مزدحمة في هذه الكنيسة، وكانت لها خدمات محدودة. في حين توجد كنائس كانت فقيرة في مواهبها الروحية واكتفت النعمة فيها بالخدمات العامة مثل كنيسة أفسس، حيث يقول لهم: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياءَ والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين» (أف٤: ١١)، ولم يتطرق إلى المواهب الأخرى الناقصة عندهم.

فإذا عدنا إلى كنيسة روما، فلأنه لم يذهب إليها أي رسول قبل ق. بولس، والقديس بولس وهو يكتب رسالته إليها لم يكن قد ذهب إليها في السلاسل، نجد أنه يحذف وظيفة "الرسل" من تعداده للمواهب فيذكر "النبوة" مباشرة. كذلك فإن الأمر الذي يسترعي انتباهنا أنه لم يذكر القائمين بالوظائف بل ذكر الوظيفة عارية من القائمين بها، لأنه حتى تحديد الأشخاص الذين هم مواهب للقيام بخدماتهم لم يكن قد ظهر بعد بين جماعة أهل رومية، حيث إن شكل الكنيسة نفسها لم يكن قد تحدد تماماً. فالقديس بولس يذكر النبوة دون أن يذكر أنبياء، والخدمة دون أن يذكر الخدام. ولكن حينما يأتي إلى التعليم فإنه ذكر **«المعلم»** كذلك **«الواعظ»**. وهذا الأمر، أي وجود معلمين ووعاظ في روما، واضح لنا من قول ق. بولس لهم في نهاية الرسالة: «وأنا نفسي أيضاً متيقن من جهتكم يا إخوتي أنكم أنتم مشحونون صلاحاً **ومملوؤون كل علم، قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً**» (رو١٥: ١٤). كما يلاحظ في هذه الآية أنه لم يحدد معلمين للكنيسة وإنما جعل التعليم والوعظ فيها مَشاعاً بينهم: «مملوؤون كل علم **قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً**».

كذلك واضح لدينا جداً أن كنيسة روما كانت لم تزل غير واضحة المعالم، فلم يذكر ق. بولس لها أية درجات، فلا أساقفة ولا كهنة ولا شمامسة، ولا حتى الخدمات الروحية الممتازة

كمواهب الشفاء أو التكلُّم بالألسنة أو إخراج شياطين كالتي ذكرها ق. بولس في رسالته إلى تيموثاوس (أسقف أفسس).

وقد اعتنينا هنا أن نذكر هذه المقارنة بين الكنائس لندرك مستوى كنيسة روما بين الكنائس الأخرى في أيام بولس الرسول، وذلك يعطينا أيضاً انطباعاً عن **أهداف الرسالة وروحها، فهي إيمانية بالدرجة الأُولى، خصَّصها ق. بولس لتأسيس الإيمان المسيحي** وبالتالي أُسُس العبادة، كهدف أول وأخير. والقديس بولس، عِوَضَ الاهتمام بالنظام الكنسي في روما وتوثيق الوظائف والمهام الخاصة بالإدارة والتدبير بسبب كون الكنيسة حديثة التكوين، فإنه اعتمد على **«الإيمان»** وعلى **تقسيم الإيمان** حسب النعمة بالأنصبة، وعلى المواهب القليلة التي بدأت تظهر ملامحها بينهم دون تخصص. أو بالاختصار كان اعتماد ق. بولس الكلي على الروح القدس في ربط الأعضاء معاً وتوحيد عملهم وخدمتهم.

«أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان»: ἀναλογίαν τῆς πίστεως

كان عمل الأنبياء في الكنيسة الأُولى فائق الأهمية، فقد تركز في استعلان مشيئة الله بالنسبة للكنيسة ككل وبالنسبة لكل فرد في حياته الخاصة، فكانوا بمثابة قلب الكنيسة وفكرها الروحي. وهذا يتضح لنا من حالة كنيسة كورنثوس، حيث يصف ق. بولس أهمية الأنبياء في الكنيسة في ذلك الوقت: «اتبعوا المحبة ولكن جِدُّوا للمواهب الروحية **وبالأولى أن تتنبأوا**، ... **وأما مَنْ يتنبأ فيكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية ... مَنْ يتنبأ فيبني الكنيسة،** إني أريد أن جميعكم تتكلمون بألسنة **ولكن بالأولى أن تتنبأوا لأن مَنْ يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة،** إلاّ إذا ترجم حتى تنال الكنيسة بنياناً ...، ولكن إن **كان الجميع يتنبأون** فدخل أحد غير مؤمن أو عاميٌّ فإنه يُوبَّخ من الجميع، يُحكَم عليه من الجميع **وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة وهكذا يخرُّ على وجهه ويسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم.**» (١ كو١٤: ١ــ٥، ٢٤و٢٥)

وواضح هنا أن الأنبياء هم أصحاب موهبة استعلان إرادة الله وكشف خفايا القلوب، وعملهم يتركز في بناء الكنيسة على الإيمان بحسب مشيئة الله وشرح الأسفار المقدسة بروح الاستعلان، فكلمة النبوة تنحصر في العهد الجديد على «الاستعلان»، **استعلان مشيئة الله في الحاضر** ولا شأن لها كثيراً بالمستقبل كما كان عملها في العهد القديم، فالمسيح أكمل كل ما هو لازم للإنسان ولم يَعُدْ المستقبل يحمل له رسالة إلاّ انتظار القيامة وحياة الدهر الآتي. لذلك تحدد عمل الأنبياء في العهد الجديد باستعلان أسرار المسيح لبناء الكنيسة والمؤمنين وإعادة رواية ميلاد المسيح وتعاليمه على مسامع المؤمنين، لأن الأناجيل لم تكن قد وُضعت بعد. كذلك كان من مهمة الأنبياء غرس

التقليد الرسولي من جهة التعليم والخدمة الليتورجية والأسرار وروايات العهد القديم. والأنبياء يحسبون من طبقة الروحانيين المفتوحي الذهن ويتميَّزون عن المعلمين في أن لهم إلهاماً مباشراً يعتمدون عليه. فالقديس بولس يضعهم في رسالته إلى كورنثوس فوق أصحاب موهبة التكلم بالألسن، أي أنهم أعلى روحياً واستعلانياً ومنفعةً في بناء الكنيسة. وتنحصر اتجاهات نشاط الأنبياء في التبكيت والتحذير والدينونة ثم التوعية والبناء النفسي والتعزية والتدبير والتوجيه، وكانت كل كنيسة تكتفي في معظم الأحوال بنبيٍّ واحدٍ، إلاّ أنه كان يظهر في وسط الشعب من حين لآخر أنبياء ذوو مواهب ممتازة، فكانوا يجولون مبشرين، وكثيرون منهم كتبوا رسائل وكتباً بقيت منها لنا أجزاء.

وهنا يلزم أن نضع في الاعتبار، وبناءً على ما سبق شرحه بالنسبة لحالة كنيسة روما كونها في حالة تكوين، أن الوظائف غير محدَّدة وغير معيَّن لها الأشخاص، بل ترك الخدمة لمن عنده قدرة على الخدمة. وقليلاً قليلاً فإن كل من ثبتت فيه الموهبة وأُعطي غزارة من الروح للعمل، يتعيَّن في مكانه ويبدأ يأخذ مهام الوظيفة ويهتم بها ويحمل همَّها ومسئوليتها ويتوفَّر على أداء عمله، وهكذا يتخصص. وبعد ذلك بدأت الكنيسة تعي أهمية هذه المواهب وأصحابها، وبدأت الرسامات لضمان استمرار الخدمات واستدراراً لروح النعمة بصلاة الجماعة، وبدأت الحاجة إلى الخدمة تلحُّ على المؤمنين لكي يطلبوها من الله ليرسل بيَد من يرسل، وكان روح التوقع والصلاة يستدر عطف الله والنعمة تنسكب، وبقدر الحاجة يرسل الله من يقوم بها وأكثر. على أن التمييز بين الخدام وتحديد وظائفهم لم يكن واضحاً في البداية، فالفصل بين الخدمات وبين الخدام الموهوبين لم يُعرف إلاّ مؤخراً في الكنائس التي نضجت.

على أن مقياس صحة الخادم كان مَنْ كان، نبياً أو واعظاً أو في أي عمل آخر، ظلّ في الكنيسة يُقاس بالنسبة للإيمان. حتى لا يندس الغرباء بين الخدام. فمهما كانت قدرة أو ذكاء الخادم فالذي كان يرفعه في الكنيسة هو إيمانه، الذي يُقاس بدوره على أعماله. على أن المقياس الأول والأهم الذي كان هو المعيار العام بالنسبة للعبادة ككل، هو أن لا يرتئي أحدٌ فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى **التعقُّل** **σωφρονεῖν** كما قَسَمَ الله لكل واحد مقداراً من الإيمان، حيث أن أي حماس زائد أو انفعال خارج عن الرزانة يُفسد الخدمة ويقلب الكنيسة كلها. هكذا تضع الكنيسة المعيارين معاً **التعقُّل ومقياس الإيمان = σωφρονεῖν - ἀναλογίαν τῆς πίστεως**

وأخطار عدم التعقل وانفلات الإيمان كانا يظهران دائماً في صورة التحرُّر من التقليد السائد أو التمادي في أعمال النسك الزائد؛ وهما التفريط والإفراط، اللذان كانا عدوَّين للكنيسة على مدى

الأجيال. وهنا **«روح الشعب»** التي شربت تعاليم المسيح وتقليد الرسل كان لها القدرة دائماً في إفراز الصالح من الطالح.

وق. بولس يعطي توعية للشعب أن يكون صاحياً واعياً لكلام الأنبياء وغيرهم **ويكون مستعداً أن يحكم عليهم!!**

+ «أما الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة (في كل اجتماع) **وليحكم الآخرون.**» (١كو١٤: ٢٩)

ولهذا نجد ق. بولس في أثناء سرده للوظائف، أنه يضع في الترتيب الذين يميِّزون بين الأرواح بعد الأنبياء مباشرة، باعتبارهم طبقة الحكام الذين يفرزون الكلام الصحيح من الباطل: «ولآخر نبوة **ولآخر تمييز الأرواح.**» (١كو١٢: ١٠)

٧:١٢ **«أم خدمةٌ ففي الخدمةِ. أم المُعَلِّمُ ففي التعليم».**

«فاختاروا إستفانوس ... وفيلبس»، «ونزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخَصِيُّ **فعمَّده** ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخَصِيُّ أيضاً وذهب في طريقه فرحاً وأما فيلبس فوُجد في أشدود وبينما **هو مجتاز كان يبشِّر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية.**» (أع٦: ٥، ٨: ٣٨-٤٠)

«وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون ...» (أع١٣: ١)

«أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا.» (رو١٦: ١)

«أم خدمة ففي الخدمة»: εἴτε διακονίαν ἐν τῇ διακονίᾳ

الخدمة في العهد الجديد وبالمفهوم اللاهوتي لها معنيان، واحد متسع عالي القدر والآخر منحصر في الأعمال الصغرى. ويختلف اللاهوتيون في رد المعنى إلى أيهما، والواقع أن «الخدمة» بدأت في الكنيسة على وضعها المتسع العالي، وكان الرسل أنفسهم يقومون بها، ولما ضاق بهم الأمر حدَّدوها في حدود أقل وأوكلوها إلى طائفة الخدام أي الشمامسة، وهي الدرجة التي كانت تلي الرسل

مباشرة. وظلت كذلك حتى حلَّ الأساقفة محل الرسل، فصار الخدَّام أو الشمامسة بعد الأساقفة، ولما حل الكهنة محل الأساقفة صار الخدام أي الشمامسة بعد درجة الكهنة، وهكذا انتقلت مخصصات خدمة الشمامسة أي الخدام من وضعها العالي المتسع إلى حدودها الضيقة. فالشمامسة السبعة الأوُل كانوا يكرزون على مستوى الرسل، وقاموا بتأسيس الكنائس، وكانوا يعظون الشعب، وكانوا يعمِّدون، كما فعل فيلبس مع الخَصِيِّ الحبشي وزير كنداكة، وكانوا يتنبأون. والقديس بولس يقصد هؤلاء الخدام أي الشمامسة في درجتهم الأُولى التي كانت تلي الأساقفة آنذاك، وإستفانوس الذي استشهد على يدي ق. بولس كان واحداً منهم.

وقول ق. بولس: «أم خدمة ففي **الخدمة**»، يعني بها أن الذي أُعطي موهبة الخدمة فإنه يتعيَّن في الخدمة كوضع تنحصر فيه مواهبه ويُخلص لها:

+ «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة **يخدم** بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة.» (١بط٤: ١٠)

+ «فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يُرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد، فانتخبوا أيها الإخوة **سبعة** رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة.» (أع٦: ٢و٣)

+ «وأما إستفانوس فإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب.» (أع٦: ٨)

واضح هنا أن الشمامسة أي الخدام المعينين أصلاً على خدمة حاجات المؤمنين وخاصة الغرباء كانوا يمارسون الوعظ والكرازة والعماد أيضاً (أع٨: ٣٨).

والذي يلزم أن ننتبه إليه في الخدمة التي يذكرها ق. بولس أنها كانت على خدمة حاجات الكنيسة المالية والعناية بالغرباء والكرازة والتعميد، ذلك بحسب المواهب التي كان يتحلى بها كل خادم من المعيَّنين.

كذلك يلزمنا أن ننتبه إلى دور الخدمة «الذياكونية» في الكنيسة، فقد بدأت في العصور الحديثة تحتل مكان الصدارة ويُعيَّن عليها أساقفة، وصارت إحدى المهام الكبرى لمجلس الكنائس العالمي، ويرصد لها مئات بل ألوف الملايين من الدولارات، بل دخلت هذا الميدان بعض الحكومات، وأخيراً نسمع أن السوق الأُوروبية أصبحت من المصادر الكبرى لتمويل الخدمة على مستوى العالم. وتفرَّعت وامتدت مجالات الخدمة، أي الذياكونية، فشملت إغاثة المنكوبين بالزلازل

والفيضانات والأوبئة والمجاعات في كل أنحاء العالم ولكافة الأجناس والديانات وإعانة الحكومات بلا تفريق، لمقاومة الأضرار الناتجة عن الجفاف والحروب والهجرة والاستبداد.

ولكن لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن الخدام والخدمة في الكنيسة في أيام ق. بولس، كان من ضمن مهامها التي نجحت فيها الكرازة بالكلمة وتأسيس كنائس والتعميد، وهذا ما جعلها في نظر ق. بولس في وضع الأسبقية على المعلم والتعليم.

«أم المعلِّم ففي التعليم»: εἴτε ὁ διδάσκων ἐν τῇ διδασκαλίᾳ

يأتي وضع المعلِّم في المرتبة الثالثة بعد الرسل والأنبياء: «فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياءَ ثالثاً معلمين» (١كو١٢: ٢٨). وكانت مناهج المعلمين من مصادر ثلاثة: **العهد القديم، التقليد المسلَّم من المسيح أي تعليمه بالكلمة والنص تسميعاً عن ظهر قلب وتسليماً من فم لفم**، ثم **تعاليم الرسل** المسماة عادة بالكاتشيزم Catechism، وهي وصايا ونصائح مجملة من تعاليم الرب لهم. ولا يزال تحت أيدينا كتاب «تعاليم الرسل» و«الديداخي» وبعض وصايا أخرى ترقى إلى تعاليم الرسل أنفسهم.

ورُبَّ سائل يسأل: لماذا يجيء التعليم هنا في الرسالة إلى أهل كورنثوس في الدرجة الثالثة، وأين درجة الخدام والخدمة؟ والجواب هو كما سبق وقلنا يعتمد على وجود أو غياب هذه الدرجة أو تلك من الكنيسة المرسل إليها الرسالة، وهذا بدوره يعتمد على مدى تقدُّم الكنيسة في التنظيم والإدارة ووجود المواهب. ونحن نجد الكنيسة في أفسس تتفوَّق بدرجتين بعد الرسل والأنبياء تختصان بالكرازة، هما المبشِّرون والرعاة، وذلك قبل المعلمين: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين» (أف٤: ١١). وهكذا نجد أن الدرجة الواحدة قد تتسع لفئات من أصحاب المواهب المتميِّزة لخدمة معيَّنة، كما هو حادث في أفسس، إذ نجد أن الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة يقومون بأعمال متعددة متخصصة، مع أنه في كنائس أخرى كان يقوم بها الرسل فقط. فإن دلَّ هذا على شيء فهو يدل على غنى المواهب المنسكبة على الكنيسة. من هذا يتبيَّن للدارس أن الدرجات الكنسية ليست إلزاماً على الكنيسة ولا هي مقرَّرة يتحتم ملء فراغها؛ بل هي هبات تمتاز بها كنيسة عن كنيسة.

والفرق بين النبي والمعلم أن الأول يتكلم من مصدر الإلهام أما المعلم فعن دراسة واستيعاب. والنبي ليس له منهج، بل ما يراه ينطقه وما يسمعه يتكلم به، أما المعلم فهو يحدد ما يقوله مسبقاً ويتكلم عن فهم ودراسة وعلم له أصوله.

ولكن التعليم في الكنيسة ارتفع شأنه بمضي الزمن، فأصبح من صناعة الأسقف بالدرجة الأُولى، وأصبح من صلاحيات الأسقف الذي يزكيه للمنصب أن يكون عارفاً بالكتب، صالحاً للتعليم. وقد برَعَ معظم أساقفة كنائس المسكونة في التعليم، وصاروا معلمين مقتدرين، وقد أسهموا بكنوز ثمينة هي الآن ملء خزانة الكنيسة!

٨:١٢ **«أم الواعِظُ ففي الوعظِ. المُعْطِي فبسخاءٍ. المُدبِّرُ فباجتهادٍ. الرَّاحِمُ فبِسرُورٍ».**

«أم الواعظ ففي الوعظ»: εἴτε ὁ παρακαλῶν ἐν τῇ παρακλήσει

فرق طفيف بين المعلّم والواعظ، فالمعلم هدفه الشرح والإقناع والتثقيف والبناء، والواعظ هدفه التبكيت والتوبة والتعزية وإطاعة القلوب. ولكن هذه الموهبة متداخلة في كل أنواع الدرجات فمن شبه المستحيل أن تجد رسولاً لا يعظ أو نبياً يعمل دون وعظ بالدرجة الأُولى أو خادماً يخدم دون أن يكون في صميم أدائه الأمين عظة دائمة تحتذى. ولكن اشتهرت كنائس كثيرة بوُعّاظها الذين يحترفون الوعظ، سواء كعمل قائم بذاته أو مضافاً إلى مواهبه، فبرع فيه أكثر ممن عداه، كالقديس ذهبي الفم وقد تقلَّب على درجتي القسوسية والبطريركية، وكان معلماً يُشار إليه بالبنان، ولكنه فاق في وعظه أساقفة الشرق جميعاً، فسُمي بذي الفم الذهبي أو ذهبي الفم، فقد كان واعظاً مفوَّهاً وخطيباً مقتدراً. أما الآن فقد أصبح الوعظ والتعليم قلادة على هيئة صليب يحملها الكاهن راضياً ومرغماً، فالخراف جائعة دائماً والمراعي جفّت ونضب الينبوع.

«المعطي فبسخاء»: ὁ μεταδιδοὺς ἐν ἁπλότητι

ظن العلماء والشراح عموماً هنا أنها مسألة عطاء وحسنة، فتاه منهم القصد. القديس بولس هنا لا يزال يضاهي بين أدوات العبادة في القديم و بينها في الجديد، فإن كان المعلم والواعظ يقابلان عمل الكاتب والفريسي فهنا العاطي بسخاء هو إعطاء العشور وجمعها، ولكن ليس في الكنيسة عشارون ولا عشور بل المعطي يعطي بسخاء و بسرور لا يَعِدُّ ولا يَحسِبُ، والكل تحت أرجل الرسل، ومن بعدهم الأساقفة، فليس في الكنيسة جباة. وهكذا سقط من درجات العبادة في العهد الجديد العشارون وموائدهم. وأول نبوة بسقوط هذه الوظيفة وانتهاء دورها في العهد الجديد هو اختيار متى العشار ليصير رسولاً، فترك مائدته إلى الأبد، ثم قَلْبُ المسيح لموائد الصيارفة وطردهم من الهيكل كان إيذاناً بانتهاء هذا العمل من الكنيسة، وصار المؤمنون يعطون لا من فضلاتهم بل من أفضل ماالهم. والتركيز الواضح الذي يضغط عليه ق. بولس لينبه الذهن المسيحي، لو ينتبه، هو كلمة «**بسخاء**» لكي تقابل العشور. وهذه بحد ذاتها مقارنة مبدعة بين عبادة بسخاء الروح في

مقابل عبادة بالحرف والرقم. وهي لفتة لكل المؤمنين أمس واليوم وإلى الأبد.

+ «فرأيت لازماً أن أطلب إلى الإخوة أن يسبقوا إليكم ويهيئوا قبلاً بركتكم التي سبق التخبير بها لتكون هي معدّة هكذا **كأنها بركة لا كأنها بخل!!!** هذا وإن مَنْ يزرع بالشحّ فبالشحّ أيضاً يحصد **ومَنْ يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد، كل واحد كما ينوي بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار لأن المعطي المسرور يحبه الله** ... كما هو مكتوب **فرّق، أعطى المساكين، برُّه يبقى إلى الأبد.** والذي يقدّم بذاراً للزارع وخبزاً للأكل **سيقدّم ويكثّر بذاركم وينمّي غلات برّكم. مستغنين في كل شيء لكل سخاء ينشىء بنا شكراً لله.** لأن افتعال هذه الخدمة ليس **يسدّ إعواز القديسين فقط بل يزيد بشكرٍ كثيرٍ لله** إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجّدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح **وسخاء التوزيع لهم وللجميع، وبدعائهم لأجلكم** مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم. فشكراً لله على عطيته التي لا يُعبَّر عنها.» (٢كو٩: ٥ـ١٥)

«المدبّر فباجتهاد»: ὁ προϊστάμενος ἐν σπουδῇ

واضح هنا أنه المقابل لرؤساء الشعب أو شيوخ الشعب في إسرائيل الذين كانت مهامهم هي التدبير في شئون الأسباط والمدن التي كانوا مسئولين عنها، وقد أثبت رؤساء الشعب هؤلاء أنهم كانوا يتبارون على هذه الرئاسة للنهب والسلب والتفاخر والتباهي فكانت خطاياهم تجري أمامهم ووراءهم، لذلك من هذه الصورة البغيضة أراد ق. بولس أن يضع للعبادة الجديدة بالروح أراخنةً للشعب يدبّرون باجتهاد غير منتظرين جزاءً ولا شكوراً:

+ «ثم نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم **ويدبرونكم في الرب** وينذرونكم وأن تعتبروهم **كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم.**» (١تس٥: ١٢)

+ «**أما الشيوخ المدبّرون حسناً** فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم» (١تي٥: ١٧). والكلام هنا يحتمل القسوس وشيوخ الشعب.

«الراحم فبسرور»: ὁ ἐλεῶν ἐν ἱλαρότητι

يحتل فيه المريض — لم يكن له شبيه في عبادة العهد القديم — عمل جديد للعهد الجديد والجائع والعريان والمسجون لفتة إلهية عالية من المسيح الرب. وقد حظي هؤلاء التعابى والبؤساء بمركز في المسيحية أسمى من درجات الملوك والعظماء:

+ «ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مُبارَكي أبي رِثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس

العالم. لأني جعتُ فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم.» (مت٢٥: ٣٤ـ٤٠)

واضحٌ أن هذا العمل هو مكمِّل للوظيفة التي ألقيت على رؤساء الشعب أو شيوخ الشعب سابقاً، وهي تدبير شئون الكنيسة باجتهاد. وهنا يضاف إلى هؤلاء الأراخنة عمل هذه الرحمة التي رفعها المسيح إلى مستوى الأداء للمسيح نفسه. من هذا نفهم من أين يأتي السرور للراحم مثلَ هؤلاء التعساء والمرضى إذ هو يرحم المسيح نفسه «فبي فعلتم»!

إلى هنا ينتهي ق. بولس من القسم الأول من هذا الأصحاح والذي يختص بالعبادة في الداخل والخارج وقد جرى كالآتي:

القسم الأول: ١ ــ الخمس الآيات الأُولى تختص بالعبادة وتنتهي بأن المؤمنين هم أعضاء جسد المسيح.

٢ ــ الآية السادسة تقسيم المهام الكنسية وتبدأ بالنبوة.

الآية السابعة الخدمة والتعليم.

الآية الثامنة الوعظ والعطايا المالية (العشارون) وعمل الشيوخ في التدبير والرحمة.

وبهذا يكون ق. بولس قد رسم العبادة من الداخل بالخمس الآيات الأُولى وأكمل شكلها من الخارج بالثلاث الآيات الأخرى.

القسم الثاني: يبدأ القسم الثاني من الآية التاسعة ويستمر إلى الآية الثالثة عشرة ويرسي فيها أصول العلائق التي تشد المؤمنين من الداخل بعضهم لبعض.

القسم الثالث: ويبدأ من الآية (١٤) إلى الآية (٢١)، وهي تختص بسلوك الجماعة تجاه الآخرين.

[١٢: ٩ـ٢١] الجماعة المسيحية المنقادة بالروح القدس
وصايا للمؤمنين = مقومات العبادة المسيحية

١٢: ٩ «المحبةُ فلتكن بلا رياءٍ. كونوا كارهينَ الشَّرَّ، مُلتصِقينَ بالخير».

«المحبة فلتكن بلا رياء»: ἀνυπόκριτος = بلا رياء.

«الرياء». المحبة أول حجر في بناء الهيكل الأخلاقي للعبادة المسيحية. لذلك وضعها ق. بولس في بداية مقومات العبادة. والقديس بولس لم يغيِّر من أهداف المحبة التي جاءت في الناموس من جهة الله ومن جهة القريب. ولكن أضاف إليها صفة تؤمِّن صدقها، فطلب أن تكون بلا رياء. ومعروف أن الرب هو الذي اكتشف هذه الصفة الممقوتة في الكتبة والفريسيين وكانت موضع قلقه ونقده الشديد الذي كرَّره كثيراً جداً:

+ «من داخل مشحونون رياءً» (مت٢٣: ٢٨)،
+ «فعلم رياءهم» (مر١٢: ١٥)،
+ «تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء» (لو١٢: ١).

وقد أعطى الرب صفة «المرائين» كاسم للفريسيين:

+ «فمتى صَنَعْتَ صدقة فلا تصوِّت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون» (مت٦: ٢)،
+ «متى صلَّيت فلا تكن كالمرائين» (مت٦: ٥)،
+ «ومتى صُمتُم فلا تكونوا عابسين كالمرائين» (مت٦: ١٦)،
+ «يا مرائي أخرِج أولاً الخشبة من عينك» (مت٧: ٥)،
+ «يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً» (مت١٥: ٧)،
+ «يا مراؤون تعرفون أن تميِّزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون» (مت١٦: ٣)،
+ «فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربونني يا مراؤون» (مت٢٢: ١٨)،
+ «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون.» (مت٢٣: ١٣)

واضح من كلام الرب تماماً أن خطية الرياء كانت هي لمسة الشيطان في قلوب هؤلاء البؤساء!

وحتماً كان ق. بولس على علم بما علّم به الرب وبما أقلقه، سواء مما سمعه من الرسل أو مما استعلنه له الرب. لذلك حينما أُعطيت الفرصة للقديس بولس أن يضع حجر الأساس في اللاهوت الأخلاقي بالنسبة للكنيسة، حذَّر مما حذَّر منه المسيح: «**المحبة فلتكن بلا رياء**». ولماذا يضعها ق. بولس كأساس؟ لأن المحبة إذا تلوثت بالرياء لا يمكن أن يُبنى فوقها أي صفة صالحة أخرى. فإذا ساد الرياء على المحبة صار الحق إذا ركب فوقها كذباً، والأمانة إذا اتحدت بها خيانة وانهار البناء الأخلاقي. لماذا؟ لأن المحبة هي موهبة الله الخاصة التي يسكبها بالروح في قلوبنا لنتطهر بها ونتقدس، فإذا جنحت ناحية الرياء يكون هذا معناه أن الشيطان نال من طهارتها ولوَّثها دون أن ندري. وما معنى محبة فيها رياء؟ معناه أنها «لا محبة» على الإطلاق، ربما تكون أكذوبة أو حيلة أو وسيلة أو حتى بغضة عليها غطاء من الرياء يخفي حقيقتها. فإن كانت المحبة هي قمة الصلاح، فالرياء هو قمة الخبث. ويقيناً إن صاحب المحبة القائمة على الرياء يستحيل عليه أن يبني لنفسه بناءً خلقياً مسيحياً، لأنه إذا فسدت المحبة فمعنى ذلك أنه قد فسد القلب بكل خلجاته وملكاته وانعمَت بصيرته وضلَّ ذكاؤه.

«فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلِّم ابن الإنسان» (لو٢٢: ٤٨). هنا قمة الرياء القاتل في صورة قبلة محبة. القديس بولس يعلم هذا لأنه فريسي أصلاً ومنشأً، وقد أدرك كيف طمس الرياء فيما سبق بصيرته وعماه، فلا هو أدرك حقيقة محبة الله ولا هو استطاع أن يبلغ محبة الناس، فسمع من الرب يسوع: «شاول شاول لماذا تضطهدني؟» فما حَسِبَه غَيرةَ حب على القدوس والمقدسات، اكتشف أنه كان اضطهاداً للمسيح وإتلافاً للكنيسة بفضل الرياء الذي استقاه من زمالة المهنة بين الكتبة والفريسيين.

ولا ننسى أن ق. بولس وهو يكلِّم المسيحيين بروحه وإلهام الله عن الصفات اللائقة بالجماعة المسيحية، كان ناظراً بوعي إلى ما كان عليه من كبرياء ورياء وتعالٍ والسباق على الكرامة والمتكأ الأول، الأمر الذي ضاق به المسيح جداً وشغل كثيراً من وقته وهو يبكِّت ويصحِّح ويعطي الأمثال والإنذارات. لذلك كان همّ ق. بولس أن يعلِّم أول ما يعلِّم عن البناء الأخلاقي على المستوى اللاهوتي أن تكون المحبة بلا رياء! «**في طهارة في علم في أناة في لطف في الروح القدس في محبة بلا رياء.**» (٢كو٦: ٦)

ما هي المحبة التي بلا رياء؟ هي محبة بلا عائد، لا ينتظر الإنسان من ورائها حباً بالمثل أو رداً

للجميل، محبة صادرة من قلب سلَّم كل شيء إلى الله وسلَّم نفسه لله ومن الله يأخذ الحب ويعطيه كما هو، دون أن يُنقص منه لنفسه شيئاً: «**طهِّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة.**» (١بط١: ٢٢)

الحب عديم الرياء هو حبُّ مَنْ لا ينظر وجه من يحبه بل وجه الله وحده ينظر، وقلب الله يحاكي!! فلا يهتز في حبه لبغضةٍ أو عداوةٍ بل ينطق بحبه «كمجنون حب» لا يعرف إلاّ أن يحب بكل القلب لأن الله قال وليكن ما يكون. يحب الناس كل الناس، لا يصدُّه القبح ولا يغريه الجمال، لا يستزيده المديح ولا يصدُّه التقريع، لا يرهبه الموت ولا تغريه الحياة لأن الله قال. قد ربط قلبه على الحب وألقاه بين يدي الله يسحب منه ويبدِّد، ورصيده يزداد. هذا هو الحب بلا رياء لأنه مصون في يد الله. لا يملك منه الإنسان إلاّ صدق المجازفة في العطاء، وبقدر صدق المجازفة يكون الجزاء، مكيالٌ بمكيالين، فغنى الإنسان في الحب هو رهن التبديد، والحكمة المسيحية هي اللاتعقل في المحبة، هي بيع الحاضر الفاني لاقتناء المستقبل الذي لا يفنى، هي احتساب ربح هذا الدهر خسارةً لاكتساب الكنز السمائي.

«كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير»:

هذه حتمية المحبة التي بلا رياء، فالمحبة «**لا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق**» (١كو١٣: ٦)، أن نكره الشر هذا هو فرح المحبة. القديس بولس يجتز الخطية من جذورها، أن نكره الشر فهذا عمل الخير بعينه، هذا هو الصلاح ومنطلق حياة بلا لوم. لو تحيَّر الإنسان بين أن لا يعمل الشر وبين أن يكره الشر فالثاني أقوى وأثبت. فنحن قد لا نصنع الشر ولكن لا نكرهه وهذا شر. أما إذا كرهنا الشر بالحق فلو عملناه مرة فلن نعمله بعد ذلك بالمرة، لأن كراهية الشر تقف رادعاً.

كارهين ἀποστυγοῦντες **وملتصقين** κολλώμενοι (ومنها الكُلاّ المادة اللاصقة المعروفة عند الصناع):

كارهين: هذه الكلمة شديدة التعبير فهي تعني الفزع والقشعريرة وترجمتها بالإنجليزية: To hate violently - shrinkingly. وق. بولس قصد أن يضع الكره حتى القشعريرة من نحو الشر إزاء الالتصاق (الكولاّ) حتى العشق من نحو الخير. وكأن ق. بولس يعود بالإنسان إلى جذور الشجرة المنكوبة التي عرَّفت الإنسان الخير مع الشر، فاختلطا فيه وضاع الإنسان بينهما. القديس بولس يضع الحد الفاصل المزدوج، البغضة والعشق، ليخلع الشر من قلب الإنسان فلا يتبقى له إلاّ الخير. إنها أمنية الإنسان، ولكن الأمنية في ظل النعمة والموهبة حقيقة لا تقلُّ عن سهولة اليد التي

امتدت إلى الشجرة فأكلت. فأمامنا شجرة الحياة، مَنْ يأكل منها تنفتح عيناه بالحق ويكون كالله والمسيح بالحق عارفاً الخير كارهاً الشر. «فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦: ٥٧) ــ والمسيح المأكول هو الحق ــ والذي أكل الحق يتقيأ الشر. القديس بولس يُلهمنا أن نوظِّف الكُره الذي في طبعنا الساقط ليتركَّز نحو الشر مصدر السقوط الذي انحدرنا منه، كما نوظِّف الحب الذي هو أداة الالتصاق والعشق أفخر ما في طبيعتنا التي من فوق التي منها وُلدنا، لكي نلتصق بالخير أي المسيح فنُدعى مسيحيين وللمسيح نعيش.

١٠:١٢ **«وَادِّينَ بعضكم بعضاً بالمحبةِ الأخويةِ. مُقدِّمينَ بعضكم بعضاً في الكرامةِ».**

«وادين φιλόστοργοι»، «المحبة الأخوية φιλαδελφίᾳ»:

ق. بولس ينتقل بالمحبة من عملها وجمالها العام إلى عملها وجمالها الخاص، من الأغابي إلى الفيلادلفيا وهي محبة الإخوة، المحبة في دائرة المسيح والإخوة: «بكراً بين إخوة» (رو٨: ٢٩)، والكل في حالة قيامة وابتهاج. فإن كانت المحبة هي «الأغابي» العامة، يطلب ق. بولس أن تكون بلا رياء خاصة، فالمحبة «فيلوس» مع الإخوة يطلب أن **تكون دافئة** φιλο-στέργω حيث στέργω تفيد حرارة المحبة الرقيقة الأبوية والأخوية والتي للإخوة والأخوات والزوج للزوجة، فهي رابطة العائلة وروح الأسرة. ويلاحظ هنا تكرار البادئة فيلو φιλο. فالقديس بولس يعتصر الكلمة لكي يستخرج منها أكسير المحبة التي تجعل من الاثنين واحداً ومع الثلاثة رابعاً يحل في وسطهم، ومن الكثرة العددية أسرةً كجسدٍ واحدٍ. القديس بولس يحاصر المؤمنين ليصنع منهم كنيسة ومن الكنيسة عروساً مُهيَّئة لمن أحبها. القديس بولس يتصوَّر المسيحيين وهم يقبِّلون بعضهم بعضاً بالقبلة المقدَّسة التي تطهِّرهم وتقدِّسهم وتؤهِّلهم لأخذ الجسد وشرب الدم لتجعل منهم الجسد السرِّي الذي تحلم به الكنيسة ويتخيَّله اللاهوتيون.

وكلمة «المحبة الأخوية» الفيلادلفيا، ملأت ذهن الرسل، فهي البضاعة المفضَّلة في الحديث عند المسيحيين حينما يجتمعون وحينما يصلُّون وحينما يعملون:

+ «وأما **المحبة الأخوية** فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلِّمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً.» (١تس٤: ٩)
+ «**لتثبت المحبة الأخوية.**» (عب١٣: ١)
+ «طهِّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح **للمحبة الأخوية العديمة الرياء** فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة.» (١بط١: ٢٢)

+ «وفي التقوى **مودة أخوية وفي المودة الأخوية محبة.**» (٢بط١: ٧)
+ «فتمموا فرحي حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم **محبة واحدة بنفس واحدة** مفتكرين شيئاً واحداً» (في٢: ٢). هذه هي المودة في الحب.

«مقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة»:

مقدِّمين = προηγούμενοι ــ الكرامة = τιμῇ .

كانت عشرة التلاميذ الاثني عشر ليلة العشاء ــ وبالذات بطرس ويهوذا ــ هي أيهما أكبر ليتقدَّم ويجلس عن يمين الرب. لذلك كانت مركز طقس خدمة غسيل الأرجل في ليلة العشاء وفي الكنيسة على مدى العصور وكان عليها تعليم الرب:

+ «فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً قال لهم أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعونني معلماً وسيداً، وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض.» (يو١٣: ١٢ــ١٤)
+ «وكانت بينهم أيضاً مشاجرة مَنْ منهم يُظن أنه يكون أكبر. فقال لهم ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يُدْعَوْن محسنين، وأما أنتم فليس هكذا، بل الكبير فيكم فليكن كالأصغر والمتقدم كالخادم لأن مَنْ هو أكبر؟ الذي يتكىء أم الذي يخدم؟ أليس الذي يتكىء ولكني أنا بينكم كالذي يخدم.» (لو٢٢: ٢٤ــ٢٧)

من هذه الروح عينها بل وبهذه الروح عينها، يعطي ق. بولس وصيته للكنيسة لا أن يكرم الإنسان أخاه بالمودة فقط بل **يقدِّمه في الكرامة على نفسه أيضاً!!** لماذا؟ لأن المسيح صنع هذا وهو السيد والمعلم غسل أرجل تلاميذه فماذا يا ترى نحن عاملون؟ المسيح لم يكتفِ بسخرة الميل الواحد لمن يسخِّرني بل زادها ميلاً من عنده، من رصيد المحبة للأعداء، لأحوِّل سخرة العداوة إلى محبة ولأرتفع أنا فوق البغضة!! وأكرِّم من يحتقرني!! المسيح لم يكتفِ باحتمال ضربة الكف على الخد الأيمن بل مدَّ يديه ورجليه للصليب ليحوِّل الإهانة إلى ذبيحة شكر والألم إلى مسرة الفداء. لأنه «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب.» (عب١٢: ٢)

المسيح لم يكتفِ بأن أخلع الرداء لمن أراد أن يبتزَّه مني ويظلمني، بل قال لي اخلع له الثوب أيضاً لكي أحوِّل ابتزازه لي إلى حسنة عليه، وظلمه لي إلى شفقة عليه! ولقد اعتزَّت المسيحية بهذه المواقف العالية والسامية وصاغت منها أخلاقاً بل لاهوتاً قادراً أن يسمو بإنسان التراب ليُجلسه في أعلى السموات.

ق. بولس لم يأتِ جديداً بل سار على المنوال: لمّا جعلني أقدّم أخي عليَّ في الكرامة مهما صغر هو ومهما كبرتُ أنا، فالذي يسير في الخلف هو في النهاية يكبر والحب يزداد، والذي يجلس في المتكأ الأخير هو يرتفع ويسود السلام، والذي يتوارى عن الأنظار ليجعل الأنظار تنشغل بغيره فقد ربح نفسه وغلب العالم وأرضى الناس. وليس جزافاً أن يضع ق. بولس تقديم الآخرين في الكرامة بعد تقديم المودّة الأخوية والمحبة، فالمحبة الحقة تصنع هذا وتصنع أعظم من هذا: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه من أجل أحبائه» (يو١٥: ١٣). ولكن المسيح مات من أجل أعدائه ليحوّلهم إلى أحباء.

١١:١٢ **«غيرَ متكاسِلين في الاجتهادِ، حارِّين في الروح، عابِدينَ الربَّ».**

«غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح»:

متكاسلين في الاجتهاد (عكس) حارين في الروح.

πνεύματι , ζέοντες σπουδῇ , ὀκνηροί

هذه الآية نصفها الأول يرد عليه نصفها الثاني. الأول سلبي في حالة نفي، والثاني إيجابي.

الأول وهو المتكاسل في الاجتهاد لا يليق بالمسيحية عامة، لأن معناه تماماً أن الروح غير حار في الإنسان.

فالحياة المسيحية جهاد واجتهاد، ولكن بروح نشطة دائماً إن كان الروح على مستوى حياة المؤمن الداخلية أو الخارجية.

١ ـ **ففي الحياة الداخلية**، الاجتهاد لحفظ الإنسان نفسه بلا دنس في العالم أمر غير عاديٍّ، لأن العالم يحيط بالإنسان ويضيِّق عليه لكي، إما يبتلعه، أو على أقل تقدير يحيِّده، لكي لا يقف ضده، ولكن أن يقف إنسان ضد العالم فمعناه دفع غرامات كثيرة. ولكن بحسب خبرة أهل الخبرة من كافة قديسي الله الذين هم كلهم شهود الآن ضد العالم، فإن الغرامات في وزنها النهائي أقل بكثير من ربح المسيح والدهر الآتي. القديس بولس يقول عن خسارات العالم التي غرّمه بها العالم في سبيل تركه كل شيء واتّباعه المسيح أنها في نظره النهائي نفاية، حيث كلمة «نُفاية» كما جاءت في اليونانية أنها «زِبْل»!

فمرحباً بالجهاد ... «أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟» (رو٨: ٣٥)

ثم لو كنّا نجاهد دون أن يكون لنا منه مؤازرة، لكان التكاسل يمكن أن يكون وارداً، ولكن إن كان الله معنا فمن علينا؟ وإن كان الله قد بذل ابنه الوحيد من أجلنا أجمعين فكيف لا يهبنا معه كل شيء، وإن كان لنا شهادة من أرواح القديسين العظماء الذين جاهدوا الجهاد الحسن ودخلوا إلى فرح السيد والآن يطلّون علينا من السماء: ــ «إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر (نركض) بالصبر **في الجهاد** الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب **مستهيناً بالخزي** فجلس في يمين عرش الله. فتفكروا في الذي **احتمل من الخطاة مقاومة** لنفسه مثل هذه، **لئلا تكلّوا وتخوروا** في أنفسكم» (عب١٢: ١ـ٣)، فكيف نخور أو نكسل؟

هذا كله تشجيع جيد، ولكن هناك أيضاً تحذير مخيف، فنحن نجاهد ونجتهد ولنا في النهاية مَنْ سيحاسب ويعطي المكافأة، وليست كل المكافآت مفاجآت حلوة في المجد، ولكن أيضاً يوجد وجه مقطّب وعين حزينة وكلام تبكيت مؤلم خطر: «وقال له أيها العبد الشرير **والكسلان** ὀκνηρέ عرفت أني أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر، فكان ينبغي أن تضع فضتي (مواهبي فيك) عند الصيارفة (خدام المسيح الأمناء) فعند مجيئي كنت آخذ الذي لي (مواهبي) مع ربا (أعمال شهادة). فخذوا منه الوزنة (الهبة) وأعطوها للذي له العشر وزنات ... والعبد البطّال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.» (مت٢٥: ٢٦ـ٣٠)

٢ ـ **أما في الحياة الخارجية**، أي التي من أجل الآخرين، فهنا مجال الكنيسة المجيدة وأولاد الكنيسة الأماجد، هنا الشبان والشابات، هنا الرجال والسيدات، كل قامة لها خدمة ولها جهاد ولها اجتهاد من أجل الذين لم يعرفوا بعد شمالهم من يمينهم، الذين لم تبلغهم البشارة المفرحة، الذين لم يطرق على قلبهم مسيح الحب الذي يود أن يدخل إليهم ليتعشى معهم وهم معه، الذين لم يعرفوا أنهم مختارون في المسيح قبل تأسيس العالم ومقدسون ومطلوب أن يأتوا إليه ليأخذوا نصيبهم في الميراث والمجد. وإن تأخرت عليهم مواكب الخدمة ماتوا ودمهم يشتكي، فكيف لا يكون جهاد واجتهاد وعلى كل المستويات؟ يوجد المرضى والجوعى والعِطاش والغرباء والمحبوسون كلهم يئنون وعيونهم إليك!! وإن تأخَّرت زاد بؤسهم وزاد أنينهم وجوعهم وعطشهم وحبسهم، وها هم يموتون قبل أن تأتيهم أيدي الرحمة؛ فكيف لا يكون جهاد واجتهاد وعلى كل المستويات؟

«حارّين في الروح»:

هذا هو سر جهاد الإنسان المسيحي وسر حياة وبقاء الكنيسة إلى اليوم بل وامتدادها حتى

حدود الأبدية. فأن يكون الإنسان حاراً بالروح، يكون الجهاد الحقيقي والاجتهاد المقبول. وبدون حرارة الروح، يصبح الجهاد ثقلاً صعباً والاجتهاد بلا رجاء. ونحن لا يمكن أن نكون حارّين بالروح من تلقاء ذواتنا بل من فعل النعمة وسكنى الروح القدس. لذلك، سر الحياة المسيحية كلها يكمُن في اقتناء الروح القدس، فهو الذخيرة وهو النار الحيَّة التي تشعل قلب الإنسان وتجعله يتحرك بالمحبة سواء من جهة العبادة أو من جهة الخدمة. ولكن ق. بولس يطلب أن نكون حارِّين بالروح، والروح هنا ليس هو الروح القدس بل روح الإنسان، والإنسان لا يقبل الروح القدس دون أن يسعى خلفه بصراخ ودموع بسهر الليالي وبصلاة لا تهدأ «فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه.» (لو١١:١٣)

وهذه شهادة الأب أنطونيوس ناسك الإنجيل وقديس البراري:

[ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلتُه أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم قدِّموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يُعطى لكم ...

ولا تفكِّروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا. لا يا أولادي لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. وأنا أبوكم **أجتهد معكم** وأطلب لأجلكم أن تقبلوه، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله. لأن كل من يفلِّح ذاته بهذه الفلاحة (النسك الإنجيلي)، فإن الروح يُعطى له في كل جيل وإلى الأبد. **أديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم**، فإنه يُعطى لكم، لأن ذلك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإذا قبلتموه فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية وأموراً أخرى لا أستطيع أن أعبِّر عنها، ويكون لكم فرح سماوي ليلاً ونهاراً وتكونون في هذا الجسد كمن هو في الملكوت. ولا تعودون تطلبون عن أنفسكم فقط بل وعن الآخرين لأن كل من قِبَل هذا الروح يستطيع أن يطلب عن الغير... وأنا طِلْبتي الآن من أجلكم ليلاً ونهاراً ليكون فيكم هذا الروح العظيم الذي قَبِلَه جميع الأطهار.] الرسالة الثامنة(١٧)

وهكذا نجد بالنظرة العميقة المتَّسعة أن الله حينما يطالبنا بالأعمال والجهادات فإنه يكون هو المتكفِّل بتسهيلها ورفع المعوِّقات في سبيلها وإعطاء روح الشجاعة والجرأة على اقتحامها، فهذا هو قانون العبادة أن كل أمور الله يتكفَّل بها الله ولا أحد يستطيع أن يعمل أعمال الله إلاَّ بالله.

(١٧) كتاب: «الروح القدس الرب المحيي»، للمؤلف، الجزء الثاني، صفحة ٥٠٥.

«عابدين الرب»:

لا تأتي «عابدين الرب» وكأنها وصية قائمة بمفردها مقطوعة من الوصية سابقتها «حارّين في الروح» بل هنا اتصال وثيق، لأن عبادة الرب تأتي من حرارة وتنشىء حرارة. وبدون حرارة تتوقف العبادة: «ليتك كنت بارداً أو حاراً، هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي.» (رؤ٣: ١٥و١٦)

بل إن وصية «عابدين الرب» لها صلة تمتد حتى الآية «المحبة فلتكن بلا رياء» بل وتمتد حتى «قدِّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مَرْضيَّة عند الله عبادتكم العقلية». فالقديس بولس يضع أساس العبادة المسيحية حجراً على حجر لكي يتماسك البناء.

وكم يليق بنا أن نأخذها آيةً آيةً ونطبِّق على واقعنا الذي نعيشه ثم نعدِّل ونصحِّح، لأن هذه هي فرصة من فرص البناء على أساس التغيير والتجديد التي يتكلم عنها ق. بولس بإلحاح: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم». وكلام ق. بولس الرسول بحد ذاته يجدد الذهن ويوسع وعي الروح، وفيه تنوير وتبكيت. ومَنْ سار على الدرب وَصَلَ.

وأن ينهي ق. بولس هذه الآية «بعبادة الرب»، فإنه يجعل كل الآية تنصبُّ فيها، فإن كان يطلب النشاط في الاجتهاد والحرارة في الروح، فذلك كله لكي يعطي للحياة كرامة العبادة للرب: «وكل ما فعلتم، **فاعملوا من القلب كما للرب**، ليس للناس. عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح.» (كو٣: ٢٣و٢٤)

فالمسيحي الحق، حياته عبادة: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله.» (١كو١٠:٣١)

١٢:١٢ **«فرِحين في الرجاءِ. صابرينَ في الضيقِ. مُواظِبين على الصلاةِ».**

وإن كان روح التسرُّع يلحُّ علينا أن نضم هذه الثلاث الوصايا معاً في شرح واحد بسبب ارتباطهما الوثيق، ولكن من أجل منفعة القارىء نأخذها وصية وصية.

«فرحين في الرجاء»:

ق. بولس يطرح هذه الحقيقة الإلهية على أساس ما تم وأخذناه بالإيمان. فبمقولة واحدة يتحقق لنا هذا الوعد، أي الفرح في الرجاء، وهو **البر** الذي منحه الله لنا. أما البنود التي شملها هذا البر

والتي تكشف لنا أكثر مُسببات الفرح في الرجاء فهي **مغفرة الخطايا، والتقديس** الذي أكمله المسيح لنا **بالصليب**، والذي أهّلنا **للمصالحة** مع الآب **وانسكاب الروح القدس وقبول التبني**.

إذاً الآن نحن في موقع التبني، والروح القدس يشهد لنا أننا أولاد الله، وينطق فينا بالعلاقة الجديدة مع الله: «يا أبا الآب»، واعداً بالحياة الأبدية التي عربونها هو الروح القدس نفسه فينا. هذا هو مصدر الرجاء ومصدر الفرح. كيف لا نفرح والروح القدس يملأنا؟ كيف لا نفرح ونحن في ملكوت ابن محبته ننعم الآن؟ كيف لا نفرح والحياة الأبدية تتفجّر داخلنا؟

فإن كنا نخوض كل يوم مع الزمن والجسد والعالم تحت أقنعة الشيطان المزيَّفة حرباً لا تكف ولا تهدأ، ففيها ــ وإن كنا نموت كل يوم ــ نحن أعظم من منتصرين بالذي أحبنا (رو٨: ٣٧)، ولا يستطيع شيء فينا أو خارجنا من أي نوع أو مستوى أن يفصلنا عن محبة المسيح. وحينما تخور قوانا ويتشتت ذهننا، فالروح القدس يتشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها، فبعد ذلك كيف لا نفرح في الرجاء الموضوع أمامنا؟

إن في اختبار آلامنا كل يوم، روح المجد والله يحل علينا (١بط٤: ١٤)، وكل خطية نطرحها معترفين بها أمام الله الآب ننال عنها غفراناً بضمان دم المسيح (١يو١: ٧)، وإن كنا نئن في أنفسنا بسبب ثقل الجسد، فتكميل فداء الجسد موضوع أمام أعيننا برجاء الآتي (رو٨: ٢٣)، فكيف لا نفرح في الرجاء؟

معروف أنه سيكون لنا في العالم ضيق، ولكننا بهذه الضيقات الكثيرة ندخل ملكوت السموات (أع١٤: ٢٢)، فإن زادت الضيقات عن الحد فهذه بيِّنة (٢تس١: ٤و٥) أن خلاصنا قد صار الآن أقرب مما كان. فبعد هذا كيف لا نفرح في الرجاء؟

«صابرين في الضيق»:

هنا ق. بولس اعتبر أن الضيق أمر قد وُضعنا له: «فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا في إنجيل المسيح حتى يثبِّتكم ويعظكم لأجل إيمانكم **كي لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا**. لأننا لما كنا عندكم، سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً وأنتم تعلمون.» (١تس٣: ٢ــ٤)

وليلاحظ القارىء أن ق. بولس يقول إننا موضوعون للضيق، وهذا تعبير إبداعي كما أن الجندي موضوع للحرب أو الرجل الرياضي موضوع للجري وكسب الكأس. فالوضع وضع اختياري

للفخر والممارسة والنصرة ويتطلب منَّا التمرُّن على احتمال الضيق، لأن الضيق هو مجالنا للربح وليس الخسارة كما يقدّمها ق. بولس صراحة: «وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً في الضيقات عالمين **أن الضيق ينشىء صبراً** والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا» (رو٥: ٣ــ٥). فالضيق للذي عنده الإيمان الوطيد يزيده إيماناً ويشعل الرجاء الذي له في الله والمسيح والملكوت، وهكذا يزداد توقُّداً ونوراً وصفاءً، كما يقول بطرس الرسول: «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان، لخلاص مستعدٍ أن يُعلَن في الزمان الأخير الذي به تبتهجون مع أنكم الآن، إن كان يجب (أن) تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم...» (١بط١: ٥ــ٧)

أما سلاح الاحتمال والصبر على الضيق فهو الاتضاع، فمن جهة الاتضاع الذي أنقذ ق. بولس من ضيقة خانقة حتى الموت يقول: «قد امتلأت تعزية **وازددت فرحاً جداً في جميع ضيقاتنا**، لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة بل كنا مكتئبين في كل شيء من خارج خصومات، من داخل مخاوف. **لكن الله الذي يعزِّي المتضعين عزَّانا**.» (٢كو٧: ٤ــ٦)

وكما يقول بطرس الرسول، إننا بالإيمان محروسون ونحن في أتون الضيقة والألم، كذلك يقول بولس الرسول إننا ونحن في الضيقة إن وُجدنا مطروحين وكأننا قد متنا، فالله يستحيل أن يتركنا، ولكن كل ما في الأمر أن **الله يريد أن يتزكى هو بإيماننا ويُظهر في موتنا حياة الرب يسوع!!** «مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين، متحيِّرين لكن غير يائسين، مضطهَدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع **لكي تُظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا**. لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع **لكي تَظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت**» (٢كو٤: ٨ــ١١). والضيقة في حياة المؤمنين خطاب دوري يتسلمه الإنسان ويرد عليه ثم يسلِّمه لآخر: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية الذي **يعزينا في كل ضيقتنا، حتى نستطيع أن نعزي الذين هم في كل ضيقة بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله**. لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً.» (٢كو١: ٣ــ٥)

وق. بولس له اختبار عجيب حقاً في موضوع الضيقة، إذا اشتدت حتى إلى درجة الموت، فهو يقول إنني لما تضايقت حتى الموت، فرّطتُ في الحياة وبدأت أستقبل الموت متيقناً أن الله إذا لم ينتشلني من الضيقة فهو حتماً سينشلني من الموت على قياس إبراهيم في تقديم ابنه إسحق: «فإننا

لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا **أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً، لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم من الأموات**، الذي نجانا من موت مثل هذا وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد.» (٢كو١: ٨-١٠)

ومن الأمور التي تعطينا قدرة في الصبر على الضيقات، المعادلة التي وضعها ق. بولس لتكون معروفة ومحفورة في أذهاننا، أن الضيقة مهما تثقلت يستحيل أن توازن ثقل المجد المُعدّ في مقابلها، لذلك فالضيقة تُحسب خفة: «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً.» (٢كو٤: ١٧)

وبولس الرسول علّمته الضيقات الثقيلة حقاً والكثيرة صدقاً كيف يتفلسف ويحكي عن سروره بالضيقات: «لذلك **أُسر بالضعفات** والشتائم والضرورات والاضطهادات **والضيقات** لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف (بنفسي) فحينئذ أنا قوي (بالمسيح)» (٢كو١٢: ١٠). والذي يحب ق. بولس ويقرأ له بوعي وانفتاح، فهو حتماً سيرى معه أن الضيقات مصدر قوة لا ضعف! بل هي طريق يؤهل للملكوت: «حتى إننا نحن أنفسنا **نفتخر بكم** في كنائس الله من أجل **صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها، بيِّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهّلون لملكوت الله** الذي لأجله تتألمون أيضاً.» (٢تس١: ٤و٥)

وعجيب حقاً ق. بولس، أنه لكي يشجع المؤمنين على احتمال الآلام والاضطهادات والضيقات، يحاول أن يقنعهم أنها ليست فقط ينبغي أن تكون **محل احتمال وصبر**، بل يقول إنها ينبغي أن تكون **محل فخر: «نفتخر بكم** ... من أجل صبركم ... **في الضيقات**» (قارن رو٥: ٣ «**نفتخر أيضاً في الضيقات**»)، وكأنها ميدالية شرف يخرج بها الإنسان من العالم: «في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم.» (يو١٦: ٣٣)

وق. بولس يوعّي جماعة المسيحيين الذين قبلوا الإيمان حديثاً في رسالته إلى العبرانيين لكي يحتفظوا بسجل اضطهاداتهم وضيقاتهم في قلوبهم، لأنها قادرة بحد ذاتها أن تدفعهم للمثابرة على حفظ وديعة الإيمان بلا تفريط، لأنهم دفعوا ثمن إيمانهم عذاباً وتعذيباً، فهو إيمان ثمين لا يُستهان به بل يُفتخر به: «ولكن تذكّروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أُنِرْتُم (تعمدتم)، صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة. من جهة مشهورين بتعييرات **وضيقات**، ومن جهة صائرين شركاء (المسيحيين) الذين تُصُرِّف فيهم هكذا، لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً، **وقبلتم سَلْب أموالكم بفرح**،

عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً، فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون **إلى الصبر** حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عب١٠: ٣٢-٣٦)، وكلمة أخيرة من فم القديس يعقوب الجليل في الرسل: «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة ... أعلى أحد بينكم مَشَقَّات فليُصلِّ.» (يع١: ٢، ٥: ١٣)

«مواظبين على الصلاة»: προσκαρτεροῦντες

أمر الصلاة معروف ولا مزايدة عليه، والحديث فيه يملأ كتباً[١٨]، ولكن الذي يقصده ق. بولس هو **المواظبة**. والترجمة العربية هنا ميتة لا تفي بتوضيح الكلمة، والكلمة اليونانية معناها الحرفي «**الاستمرار بعزيمة أو بشدة**»، وتأتي بالإنجليزية: Steadfastly continuing، ووجدتها في القاموس الكبير(*) تعني أن يدوم بعناد ويلتصق بشدة persist obstinately. والذي نود أن نوجه إليه فكر القارىء أن الصلاة شيء، والصلاة المستمرة بشدة وعزيمة شيء آخر.

الرب يسوع أراد مرة أن يوضح قوة الصلاة المستمرة بشدة فعرّفها كالآتي: «أفلا يُنْصِف الله مختاريه **الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم؟** أقول لكم إنه ينصفهم **سريعاً**.» (لو١٨: ٧و٨)

هنا «**الصلاة المستمرة بشدة وعزيمة**» قد وضع الرب مواصفاتها، فهي «صراخ» وليست مجرد صلاة وكأنها تسليم رسالة، وصراخ يبدو أنه لا يَكُفّ بالنهار وبالليل. وفي المقابل فإن الله يظهر في البداية وكأنه **متمهل** كأنه لا يسمع، لماذا؟ لكي يرتفع الصراخ إلى مستوى الصراخ الحقيقي. لماذا؟ لكي ترتفع طاقات الروح والوعي للتلامس مع مشيئة الله وتكون على مستواها. حينئذ يستجيب الله **سريعاً** دون أي إبطاء. فعند بلوغ مشيئة الإنسان الإيمانية الحرّة الصادقة من كل الوعي والروح والكيان إلى مستوى مشيئة الله، يتحرك الله في الحال بالاستجابة مهما كلّف ذلك، حتى وإلى أن يعطي الإنسان ما لم يكن مستعداً أن يعطيه: «**حوّلي عني عينيكِ فإنهما قد غلبتاني**» (نش٦: ٥)، «ملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونه (بدموعهم).» (مت١١: ١٢)

في صلاتي، مثل كل من يصلّي، اكتشفت أنه يوجد على مسافة زمنية من بدء الصلاة حاجزٌ عرفته من التكرار، فهو حاجز خطر، وهو الذي تسقط عنده ألوف الصلوات فارغة، هو «**حاجز**

(١٨) أنظر كتاب: «حياة الصلاة الأرثوذكسية»، للمؤلف.

(*) Liddell and Scott, *A Greek-English Lexicon*, p. 1515.

الملل». فبعد أن يبدأ الإنسان الصلاة بحرارة نوعاً ما وإذ يطول وقت الصلاة وتضعف العزيمة يبدأ الإنسان يتراخى فيصطدم بحاجز الملل، فيختم الصلاة ويكتفي بالعودة إلى ما كان منشغلاً فيه. فلما تكرر الحال وتعرَّفت على حاجز الملل وأدركت أن وراءه أصبع العدو، صممت أن أخترقه بأي ثمن، فاستنجدت بروح الله، وظللت أُصلي بصراخ أنْ نجني يا رب من الملل، فنجّاني، وعبرت حاجز الملل، فوجدت الصلاة وقد امتدت إلى ما شاء الله، حتى قلت كفى يا رب إن هذا هو الملكوت!

ق. بولس يطلب من المؤمنين أن يتعرَّفوا على هذا النوع من الصلاة ويتخذونه عُدَّتهم في الجهاد والصبر. لذلك نجده يذكر هذا النوع من الصلاة بعد أن قال: «غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب، فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق»، ذلك «**بالاستمرار في الصلاة بعزيمة وعناد وبشدة**». وفي الحقيقة فإن هذا يُعتبر بحد ذاته سراً من أسرار حياة الإيمان للإنسان المسيحي يقدّمه ق. بولس في اختصار وفي لغة تحتاج إلى مَنْ يدقّق فيها ويكتشف معناها ومقصدها، وهوذا الرب أعطانا أن نكشفها. فلو أنت عملت بها، عرفت معنى الصلاة وقوتها!

١٣:١٢ **«مُشتَرِكين في احتياجاتِ القدِّيسينَ. عاكِفينَ على إضافةِ الغُرَباءِ».**

«مشتركين في احتياجات القديسين»:

إنها تسمية من أجمل التسميات التي أطلقها ق. بولس على الفقراء، ويا ليت كل كنيسة في العالم تحذو حذو ق. بولس وتدعو الفقراء بـ «**القديسين**»، فهم أحق بهذا الاسم من كل شخص آخر بعد شهداء المسيح، فهم شهداء بُخل الإنسان، شهداء عظمة الأغنياء، شهداء أصحاب الملايين! شهداء أنظمة العالم الجشع! يا ليت الكنيسة تلغي اسم صندوق الفقراء وطبق الفقراء والتبرع للفقراء وجمعية العناية بالفقراء، وتسميها صندوق احتياجات القديسين وطبق احتياجات القديسين والتبرع لاحتياجات القديسين وجمعية العناية باحتياجات القديسين. ويقيناً، فإن الذي كان يتردد في العطاء سوف يعطي بسخاء من أجل هذه التسمية المباركة الكريمة العظيمة.

ق. بولس لم يكن أول مَنْ رفع الفقراء إلى درجة القديسين، فالمسيح رفعهم إلى درجته في الكرامة والمجد: «الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر **فبي فعلتم**» (مت٢٥: ٤٠). لقد اعتبر الفقراء والمحتاجين والمتغربين أهله الخصوصيين، وكرامتهم من كرامته، جوعهم جوعه وعطشهم عطشه وعُرْيهم عُرْيه وغربتهم غربته بل وحَبْسُهم حَبْسَه، فمَنْ ذا لا يتبارى ويُطعم الرب ويسقيه ويستره ويواسيه؟

فإن كان النظام الاجتماعي والاقتصادي في العالم مختلاً وقد أفرز شعوباً بأكملها تحيا تحت ظروف الفقر المدقع، ومن هذه الشعوب ألوف بل ملايين، سمعنا عنهم في وسائل الإعلام، كيف يتجمعون حول قصعة يوضع فيها كمية دقيق على جزء من الماء ويقاد تحتها النار وبعد لحظة توزع بالمغرفة واحدة لكل واحد يأخذها على قطعة من ورق الموز العريض نصيباً له كل يومين أو ثلاثة، نعم ومنهم من لا يتحصل عليها ويقع ويموت وهو على خطوات منها. يلتفون حول مراكز الإغاثة صفوفاً صفوفاً، نياماً على الأرض لا يقوون على الحركة ينتظرون مغرفة الدقيق بالماء وينتظرون الموت لأنه يكون على ميعاد معهم بعدها بقليل.

فإن كان العالم قد عجز تماماً عن أن يرعى حق البشرية، فأين الكنيسة؟ لا نقول إن الكنيسة ترعى شعوباً غير شعبها فهذا وارد لدى الغرب فقط، ولكن عندنا يكفي أن نقول عن قديسي شعبنا الذين يتضوَّرون جوعاً ويموتون عن عَوَزٍ والأغنياء كثيرون، أغنياء بالروح وبالحق والمال معاً، حيارى بمالهم لا يعرفون كيف يمدُّون يد العون لمثل هؤلاء القديسين المعوزين. دور الكنيسة ليس أكثر من تنظيم!

«مشتركين κοινωνοῦντες في احتياجات القديسين»:

الكلمة بعد فحصها جيداً باليونانية تفيد التزام العضو في نصيبه من الشركة one must give a share. والقديس بولس وضّحها أكثر في آية أخرى: «لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم. استحسنوا ذلك **وإنهم لهم مديونون، لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في** روحياتهم يجب عليهم أن **يخدموهم** λειτουργῆσαι في الجسديات أيضاً.» (رو١٥: ٢٦و٢٧)

هكذا أوضح ق. بولس أنه ليس مجرد استحسان منك أن **تخدم** القديسين الفقراء من مالك بل هو دَيْن عليك. ويلاحظ هنا أن كلمة «خدمة» جسديات القديسين جاءت باليونانية «ليتورجية»، وهي لفظة تحمل معنى الخدمة لله أيضاً. ولكن إذا استثنينا موضوع أن هؤلاء كانوا فقراء قديسي أورشليم، نعلم تماماً أن فقراء قديسي أي شعب لأي كنيسة هم في الشركة للكنيسة التي تشترك فيها أنت. هنا الإلتزام بحق الكنيسة والمسيح في هذه الشركة المقدسة الإلهية لأنها شركة في جسد المسيح (الكنيسة). فأنت، كعضو، أصبحت مديوناً للأعضاء الآخرين الذين أصبحوا اضطراراً محتاجين إليك، هم يمنحونك دعاءهم وأنت تمنحهم ما يسدُّ جوعهم ويستر جسدهم.

ونحن لو تمعنَّا الكلمة التي اختارها ق. بولس لتفيد معنى الشركة في احتياجات القديسين، نجدها كما قلنا تحمل أيضاً معنى المديونية لحفظ توازن الأعضاء في الشركة الواحدة وتعادل حياة الأعضاء في الجسد. لذلك فالقديس بولس لا يرجو ولا يطلب، ولكن يكشف لك عن واجب منسي وعن إنسان يئن له حق عليك، ويكشف أن الكنيسة يتحتم أن تعرف قديسيها الفقراء ولا تنساهم لئلا ينساها الله من رحمته، لأنه لا ينبغي أن يفوت علينا معنى «**الشركة**». فمن أصعب الصعاب أن يتعرَّف الغني على فقير يساعده، فالكنيسة لا تعرف ولا تعيش الفردية ولكن الكنيسة شركة والشركة أعضاؤها يتحتم أن يكونوا معروفين ــ وإذا تعذر أن يكونوا جميعاً، فعلى الأقل المعوزون منهم والقادرون على العطاء ــ الكنيسة هنا تأخذ من هذا لتعطي ذاك إنما على مستوى المسئولية الكاملة وليس مجرد عطاء وقتي.

ق. بولس يتكلّم عن قيام «شركة عطاء» لها نظامها وقوانينها ومشتركين لهم شرف العناية بجسم المسيح وأعضائه.

«عاكفين على إضافة الغرباء»:

عاكفين: διώκοντες

المعنى اليوناني بديع حقاً فهو يفيد **التتبع أو الاقتناص**. وكأنما الغريب غنيمة يبحث عنها المسيحي، يتتبعها ويقتنصها لنفسه ليفوز بضيافة الرب: «كنت غريباً فآويتموني» (مت٢٥: ٣٥)، وهذا بالحق ما نسمعه في روايات آبائنا القديسين وبيوتنا نحن في زمان أجدادنا، فضيافة الغرباء كانت شهوة يتخاطفها أهل الحي أو أهل الحارة.

ولعل حادثة إبراهيم وإضافته للثلاثة الملائكة كان له تأثير كبير على الفكر المسيحي، فالقديس بولس يذكرها في سفر العبرانيين: «لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون» (عب١٣: ٢). وبالأكثر ما تم على يدي هؤلاء الثلاثة الملائكة إذ أعطوا الوعد لسارة بميلاد إسحق. فأصبحت إضافة الغرباء فيها احتمال بركة للبيت.

وقد أصبحت إضافة الغرباء فضيلة عالية القدر تكشف عن إيمان الإنسان المسيحي وسخائه وروحه المتسعة ومشاركته الوجدانية مع الآخرين وعطفه على الضعفاء ومقدار بذله ومحبته بالدرجة الأولى، لذلك كانت من الشروط المحتَّمة لاختيار أي إنسان للأسقفية أن يكون: «صاحياً عاقلاً محتشماً **مضيفاً للغرباء** صالحاً للتعليم ...» (١تي٣: ٢). **ويلاحظ أن إضافة الغرباء جاءت كفضيلة قبل صلاحية التعليم!!** كما نصت التعاليم الرسولية أيضاً على أن تكون فضيلة إضافة

الغرباء أساساً لاختيار الأرملة لتُكتَتب في الكنيسة:

+ «مشهوداً لها في أعمال صالحة إن تكن قد ربَّت الأولاد، **أضافت الغرباء**، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، اتبعت كل عمل صالح.» (١تي٥: ١٠)

وإلى هنا يكون ق. بولس قد أكمل الجزء الثاني من الأصحاح الخاص بالتعامل الداخلي للجماعة أي الكنيسة؛ ويبدأ بالتعامل الخارجي مع الآخرين.

١٢: ١٤ **«باركوا على الذين يَضْطَهِدونكم. باركوا ولا تَلْعَنُوا».**

عمل المؤمنين، أي رسالة الكنيسة في العالم، هي أن تُتلمذ جميع الأمم (مت٢٨: ١٩) وتُعلِّم وتُظهر معرفة المسيح، وهذا يضعها في مركز الداعي إلى المحبة والخير الساعي لصالح جميع الناس ومُصالحتهم، بذلك يكون عمل المؤمنين هو من جهة الإيمان المناداة بالسلام والمحبة، وفي نفس الوقت مقابلة الرفض والمقاومة والاضطهاد بالاحتمال والصبر. **أولاً:** «صابرين في الضيق»، وهذا هو الإجراء الداخلي، أما **ثانياً** أي الإجراء الخارجي، **فهو إظهار المودَّة والمحبة والدعاء بالبركة، وهو الإجراء الإيجابي لهؤلاء المضطهدين.**

على أن الإجراء الداخلي ــ الصبر في الضيقات ــ الذي سبق وأن قدَّمه ق. بولس كفضيلة عامة للكنيسة، فهو القوة الدافعة التي تعطينا الثبات والانطلاق في الإجراء الثاني أي أن نبارك على الذي يضطهدنا. وهذا وارد في وصية المسيح: «ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت٢٤: ١٣). وخلاص المسيحي في الضيقة، حتى ولو انتهى بتسليم الحياة كإستفانوس، فإنه سيكون سبباً في خلاص الآخرين كشاول المدعو بولس.

والعكس صحيح، لأنه إن أخفق الإنسان وهو تحت الاضطهاد في الاحتمال والصبر، فإنه في الحال سيلعن مضطهديه، بل وإذا لم يضبط نفسه وتمادى في عدم الصبر وفقد الاحتمال، فإنه سيلعن حاله وناسه وعالمه ثم يلعن الله: «وكانوا يعضُّون على ألسنتهم من الوجع وجدَّفوا على إله السماء من أوجاعهم ومن قروحهم ولم يتوبوا عن أعمالهم.» (رؤ١٦: ١٠و١١)

إذاً فكون ق. بولس يقدِّم الوصية: «باركوا على الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا»، فهذا يعتمد على أنه قدَّم قبلها **وصية الأساس**: «صابرين في الضيق. مواظبين على الصلاة». فإذا فقدنا **وصية الأساس**، اهتزَّت أسس العبادة أمام أعيننا. فإذا حلَّ الضيق، يتهاوى الإيمان وتختلُّ

موازين النفس ويبدأ الإنسان يتصرَّف ضد إيمانه وضد خلاصه وضد سلامه، وأخيراً يفقد رؤيته لله. **خسارة عظيمة!!**

علماً بأن الصبر، كما قلنا عنه بحسب ق. بولس، يؤدي إلى التزكية ثم إلى الرجاء، والذي يبلغ الرجاء ويتمسك به لا يخزى أبداً. فإذا صدَّنا العدو عن الصبر وركبنا عقلنا ودُسنا على إيماننا ونبذنا الاحتمال وأفرغنا الصبر من صدورنا بإرادتنا بل بجهالتنا، تحوَّل الحال من صبر ورجاء لا يخزى إلى خِزيٍ وفضيحةٍ وفقدانِ الرجاء ووقفنا نلعن، نلعن الآخرين؛ وفي الحقيقة نكون نلعن أنفسنا التي لم تتمسَّك بإيمانها وصبرها.

ثم لكي نحيط بما يقصد ق. بولس تماماً من جهة «باركوا ولا تلعنوا»، يلزم أن نفهم أن إلقاء اللعنة على الأعداء في العهد القديم كان يُعتقد أنها تُحدِث ضرراً بالذي يُلْعَن. وقد انشغل اليهود بلعنة أعدائهم وصارت كأنها لغة كل يوم اعتادها الشعب: «اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل: إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض، **لعن** وكذب وقتل وسرقة وفسق.» (هو٤: ١و٢)

حتى الآباء والأنبياء كانت اللعنة سهلة في أفواههم. وها هو نحميا يحكي:

+ «فخاصمتهم **ولعنتُهم** وضربت منهم أناساً ...» (نح١٣: ٢٥)
+ «جيل **يلعنُ** أباه ولا يبارك أمه.» (أم٣٠: ١١)
+ «فمهم **مملوء لعنة** وغشاً.» (مز١٠: ٧)

ولقد حذرهم الناموس أن لا يتفوَّهوا باللعن على رئيس الشعب: «**لا تلعن** رئيساً في شعبك.» (خر٢٢: ٢٨)

بهذا نفهم أن استخدام اللعنة كان قد سرى في الشعب وتفشَّى، وصار أحد قبائحه المكروهة من الله. لذلك فإن ق. بولس، وإذ قد أُعطي فرصة أن يضع أساساً لأخلاقيات الشعب ولغته وسلوكه، حذَّره من اللعنة ووضع بدلاً منها البركة: «**باركوا ولا تلعنوا**»، وهي تأتي في مقابل وصية المسيح: «**باركوا لاعنيكم**» (مت٥: ٤٤)، وهي أرفع مستوى من قول ق. بولس. فالقديس بولس يطلب أن نبارك ولا نلعن، والمسيح يطلب أن نبارك حتى الذين يلعنوننا. والأمر هنا يسترعي انتباهنا، إذ قد أغلق علينا المسيح حتى لا تخرج من فمنا لعنة قط، لأنه إن كان ردُّنا على الذين يلعنوننا بالبركة، فإلى مَنْ يمكن أن تخرج اللعنة؟ المسيحي ليس له عدو لأن محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا حوَّلت العداوة فينا نحو الله والناس إلى صلح

وسلام. فمن الصلح والسلام والمحبة نأخذ ونعطي. فإن كان الإنسان الأول تقبَّل اللعنة بسبب الخطية، وهكذا سرت فينا اللعنة وصار الإنسان ابناً لها، فالمسيح جاء واحتمل اللعنة هذه من أجلنا ورفعها: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من عُلِّق على خشبة» (غل٣: ١٣). وهكذا حمل المسيح اللعنة من أجلنا على الصليب، فصرنا فيه أولاداً للبركة. **لذلك كأولاد للبركة أصبح لنا أن نبارك فقط ولا نلعن قط.**

وق. بولس حينما قال: «باركوا على الذين يضطهدونكم»، ارتفع من عدم اللعنة إلى طلب البركة للذين يضطهدوننا، بمعنى أن نطلب لهم الخير من الله ومع الخير كل ما هو جيد وكريم. وقد كان هذا موقف المسيح تماماً من أعدائه، كما وصفه داود النبي في المزمور: «يبغضونني بلا سبب» (مز٣٥: ١٩)، «يجازونني عن الخير شراً ثُكْلاً لنفسي، أما أنا ففي مرضهم كان لباسي مِسْحاً (علامة الحزن)، أذللت بالصوم نفسي (لأشاركهم في حزنهم)، وصلاتي إلى حضني ترجع (كنت أصلي عنهم) كأنه قريب كأنه أخي كنت أتمشى (من الحزن والقلق) كمن ينوح على أمه انحنيت حزناً (من أجلهم). ولكنهم في ظَلْعي (بليَّتي) فرحوا واجتمعوا، اجتمعوا عليَّ شاتمين ولم أعلم، مزَّقوا ولم يكفُّوا» (مز٣٥: ١٢-١٥). بمعنى أن الذين يضطهدونني يزيدون في اضطهادهم وأنا أزداد في بركتي لهم وصلاتي من أجلهم.

ولكن لا المسيح ولا ق. بولس أوضح ما وراء هذه البركة، هل حينما نصلي من أجلهم يكفُّون عن اضطهادهم؟ لا نظن فإن هذا لم يكن قصد المسيح ولا القديس بولس. والذي نظنه أننا في بركتنا وصلواتنا من أجلهم إنما نسلك بما هو حق لنا وحق علينا، وأما هم فيسلكون بما لهم. وكل منا يُجازَى بحسب ما صنع. وبطرس الرسول يضع خاتمة لهذه المعادلة:

+ «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم.» (١بط٤: ١٤)
+ «وإن تألمتم من أجل البر فطوباكم وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا.» (١بط٣: ١٤)

١٥:١٢ «فرحاً مع الفَرِحين وبكاءً مع البَاكِين».

واضح أن ق. بولس هنا يطلب المجاملة مع الذين من الخارج، بعد أن أعطى وصيته السابقة من نحوهم: «باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا». هنا الوصية: «فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين» تتمشى معها. فإن كانت لنا القوة والنعمة أن نبارك الذين يضطهدوننا، أي نطلب لهم الخير والبركة، فليس من الصعب أن نجاملهم في أفراحهم وأحزانهم.

فتقديم البركة مقابل الاضطهاد أصعب بكثير من تقديم الفرح مقابل الفرح والبكاء مقابل البكاء، هذا إن كانت البركة التي نبارك بها مضطهدينا صادقة ومن القلب، والدعاء لهم حقيقياً أمام الله. والقديس بولس سواء في الآية الأولى أي قوله أن نبارك الذين يضطهدوننا أو نجاملهم في الفرح والحزن، إنما يجتث العداوة من جذورها ويوقف تيار الاضطهاد بعمل إيجابي إلهي رائع حقاً وهذا يتمشى مع الإنجيل: «لأنه إن كنا ونحن أعداء صولحنا مع الله بموت ابنه...» (رو٥: ١٠)

بل لو تمعنّا في كل الوصايا الخاصة بالأعداء والمقاومين نجد أنها كلها تتجه ناحية الإيجاب المطلق، من أجل أن نوقف تيار الشر بعمل إيجابي شديد الإيجابية:

+ «مَنْ سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين.» (مت٥: ٤١)،
+ «مَنْ لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً.» (مت٥: ٣٩)،
+ «مَنْ أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً.» (مت٥: ٤٠)،
+ «مَنْ أراد أن يقترض منك فلا تردّه.» (مت٥: ٤٢)،
+ «كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق.» (مت٥: ٢٥)

ولكن هذه الوصية الجديدة: «فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين» تأتي بإيجابية شُجاعة، فيها انفتاحُ قلبٍ ظاهرٌ وفيها محبة ملموسة، فتكاد هذه الوصية تقوم على أنه لا توجد عداوة أبداً حتى ولو كانت موجودة. هذا الإلغاء للسلبيات في ضمير المسيحي له قدره وقيمته. فهو وإن لم يبلغ العداوة في قلب العدو فليس أقل من أن يخفف من غُلوائها.

ولكن لا يزال في هذه الوصية سِرٌّ أعمق من كل ما فات، فالقديس بولس هنا لا يتكلم عن عداوة ولا عن اضطهاد، فهو يطلق هذه الوصية لتكون سبباً وأساساً لعلاقة لا تحتمل الاضطهاد والعداوة. فالذين عاشوا معاً في عشرة مجاملة ومودّة في كل ما هو مُفرح وكل ما هو محزن، عسير كل العسر أن تتحوّل هذه العشرة إلى عداوة واضطهاد. إذاً فهنا ق. بولس يبني أساساً للعلائق مع الخارجين قادرة، لو نحن أكملناها بحكمة روحية مسيحية، أن تجعلنا نتحاشى العداوة والاضطهاد، لا خوفاً من عداوة ولا رعباً من اضطهاد، ولكن لنُعطى حياة هادئة مطمئنة. هذه هي نظرة القديس بولس الرسول.

ولكن لا تزال في هذه الوصية مخاطرة يلزم أن نتفاداها، فالفرح غير المسيحي يحمل أحياناً من الصفات ما يتنافى مع الروح المسيحية المحافظة والمتعففة جداً. هنا المسيحي في مشاركته مع الفرحين من الخارج يلتزم بالأصول الأخلاقية التي عاش فيها ولا يتعدّاها. أما في مشاركة الحزن

فهنا مجال المسيحي حاضر حقاً ومتسع، فالمسيحية لها روح عزاء قادرة أن تؤثر تأثيراً إيجابياً ناجحاً في الآخرين. فهنا مجال نشيط يتبارى فيه المسيحي ويكون محل تقدير وتكريم ومنفعة.

ولكن لا نزال نرى في المشاركة مع الذين من الخارج تجاوباً اجتماعياً يقوم على المودة الخالصة والمساعدة والبذل خصوصاً في وقت الحاجة والضيقة، حيث يصبح التعاطف الخالص غير المغرض أساساً لرابطة المودّة الصادقة والمحبة والاحترام المتبادل.

١٦:١٢ «مُهتمِّين بعضكم لبعضٍ اهتماماً واحداً غيرَ مُهتمِّين بالأمورِ العالية بل مُنقادِين إلى المتَّضِعين. لا تكونوا حُكماءَ عند أنفُسِكم».

«منقادين إلى المتضعين τοῖς ταπεινοῖς ،
غير مهتمين بالأمور العالية τὰ ὑψηλά**»:**

اتجاهان متعاكسان، المتضعون والمتعالون، وبينهما يقف المؤمن ليختار.

هنا يعود ق. بولس ليوعّي الجماعة المسيحية من الداخل في مقابل ما يهددها من الخارج.

فالمسيحية من الداخل جماعة متضعين، والمجتمع خارجها يتطلب المعالي ويسعى نحو العظمة والمجد الدنيوي. أما فيما يختص بالداخل فالقديس بولس يطلب أن تكون للجماعة وحدة الفكر والاهتمام «اهتماماً واحداً»، واهتمام الكنيسة الوحيد يبقى دائماً في إطار اتضاع المسيح ووداعته. كذلك يطالب ق. بولس أن يكون اهتمام كل عضو في المسيح لأخيه كما لنفسه. وهنا تكمن الوحدة المتماسكة على محور الإنجيل الذي يشد الجميع إلى المسيح النموذج الذي يُحتذى.

أما بالنسبة للخارج حيث الأمور العالية سواء من جهة التملك والجاه والمظهر والمجد، فهو يطالب الكنيسة أن لا يكون هذا اهتمامها بل أن ينصبَّ اهتمامها إلى منهج المسيح، لا من جهة المظهر بل من جهة التقوى والعبادة والتواضع، وكلام ق. بولس لا ينصبُّ على التملُّك بحد ذاته أو القنية أو المال والتجارة، ولكن ينصب على مظاهر «الأمور العالية» التي تعني الذات والكبرياء والمجد الدنيوي. لأن الانقياد إلى المتضعين الذي يطلبه ق. بولس يأتي عكس تيار الانحراف أو ضد الانجراف في تيار المتعظمين الذي يفسد الكنيسة ويخرجها عن منهجها الإنجيلي ومثلها الأعلى في المسيح.

والآن وفي واقعنا العصري في هذه الأيام بماذا نفسر كلام ق. بولس؟ نفسّره بالمثل الآتي: دعوتان للشاب، تأتي الأولى من جماعة المتضعين للذهاب للكنيسة لتلقي دروس الكتاب

المقدس، والشركة في الصلاة والتسبيح والترنيم بالروح والقلب الواحد، وتبادل مشاعر المحبة والمودّة الأخوية والاهتمام الواحد بأمر من أمور الكنيسة والخدمة. وتأتي الثانية من جماعة المهتمين بالأمور العالية للإلتحاق بالنوادي المشهورة والتعارف على الشخصيات الكبيرة وعلى البنات والأثرياء ومجاراة تيار العصر في الحفلات والرحلات لمزيد من الاستمتاع مع أرقى المستويات والصديقات.

هنا ق. بولس يوعّي الإنسان المسيحي أن الدعوة إلى المتضعين ضمان لحيوية الإيمان والثبات في منهج الإنجيل والخلاص، وتأمين لمستقبل الحياة في عناية الله ورضاه. أما الثانية فما من أحد سار في تيارها وبقي على إيمانه أو ثبت في المسيح أو تكلّلت حياته برضى الله.

والذي للشاب هو للشابة، هو لرجل الأعمال، هو للسيدة أم الأولاد والبنات. طريقان: طريق نحو المتضعين كله بركة وفيه رضى الله، وطريق للأمور العالية من سار فيه تاه عن إيمانه والمسيح.

«لا تكونوا حكماء عند أنفسكم»:

ق. بولس يقدّم الوصية من وحي الروح واستعلان المسيح، يرغّب فيها ويحذّر، وأخيراً يحاصر القارىء والسامع أنك إذا لم تخضع لحكمة الله ونداء الروح، بل تشبّثت بحكمة ذاتية منبعها شهوة النفس وغوايتها، فالخسارة حاضرة. وكأنه يتوسّل: أرجوك أن لا تكون حكيماً عند نفسك، لا تصدّقها: «فأنتم، أيها الأحباء، إذ قد سبقتم فعرفتم، احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء فتسقطوا من ثباتكم.» (٢بط٣: ١٧)

١٧:١٢ **«لا تُجازُوا أحداً عن شَرٍّ بشَرٍّ. مُعتنينَ بأمورٍ حَسَنةٍ قُدَّامَ جميعِ الناس».**

عينُ القديس بولس هنا على الناموس المرفوض الذي خدم شعباً بدائياً ولم يَعُد يصلح أن يكون نوراً للعالم. فالناموس يخاطب الشعب القاسي القلب الغليظ الرقبة: «وإن حصلت أذية تعطي نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورِجْلاً برِجلٍ، وكيًّا بكي، وجُرحاً بجُرح، ورضاً برض.» (خر٢١: ٢٣–٢٥)

منظر بشع لا تطيقه النفس الروحية الحسّاسة، لا ينبىء قط عن روح تسامح، فالنقمة هنا لا تعالجها إلاّ النقمة والشر لا يزيله إلاّ الشر، غياب كلي لروح الله، بل ماذا نقول؟ هو غياب كلّي لروح الإنسانية. هكذا كان ناموس التعامل في إسرائيل.

ق. بولس حينما يتذكر الناموس يقشعر بعد أن ذاق نعمة الله وأحسَّ بفيض مراحم الله عليه

بعد أن سامحه بكل خطاياه، وغفر له كل آثامه وتعدياته بل: «أحبّني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)، «جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه» (٢كو٥: ٢١)، «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا» (غل٣: ١٣). فماذا يكون ناموس التعامل الأخلاقي فيما بيننا كيف لا «نحتمل كل شيء»، كيف لا «نصبر على كل شيء»، كيف لا «نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا»؟ حينما حمل المسيح الصليب ثم ارتفع عليه كان هذا إعلاناً بالغلبة على الشر وغلبة العالم الشرير: «في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣) ـ كان إيذاناً بانتهاء عصر التعامل بالشر. كل من حمل صليب المسيح حمل عهداً بمقاومة الشر بالحب أو ببذل الذات حتى الموت. لابد أن أغلب الشر إن لم يكن بحبي فبموتي، سوف أحب عدوي، فإن لم يردع شرّه حبي، فسوف يردعه موتي، ولكن يستحيل أن أجعل شرّه يغلبني، نعم سأغلبه بحبي وإلاّ فسأغلبه بموتي كما غلب المسيح وأعطاني غلبته.

المسيحي استلم بالإيمان وبالعماد ومن الجسد والدم سِرَّ النصرة على الشر. كنّا عبيداً للخطية مأسورين تحت سلطان الشرير، ولكن الذي غلب الخطية بموته أعطانا سر غلبته وجدّد طبيعتنا بقيامته من الأموات فصرنا محروسين بنعمته ولن تسود علينا الخطية بشرِّها بعد. فإن طلب ق. بولس أن لا نجازي أحداً عن شَرٍّ بشَرٍّ، فهذا من واقع طبيعتنا الجديدة التي سادت عليها النعمة وتحكمها المحبة وتُقتاد بروح الله: «الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح.» (لو٦: ٤٥)

«معتنين بأمور حسنة καλά قدام جميع الناس»:

نعم، فالإنسان الصالح حينما يُخرج من كنزه صالحات الأعمال فهو يعرض بضاعة المسيح على جميع الناس، هكذا نكرز بالصليب. فعوض الشر المحيط يتجلّى الصلاح وتعلو المحبة ويسود السلام، هكذا نكرز بالحياة من عمق الموت. فالخارج يفنى والداخل فينا يتجدد ويتجلّى، نُشتم فنبارك فتحيا البركة وتسقط الشتيمة، نُضطهد فنعظ فتسمو المودة ويسقط الاضطهاد، هكذا نغيّر وجه العالم وهكذا يتجلّى المسيح. أم كيف يعرف الناس أن المسيح وهبنا طبيعة جديدة بشبه طبيعته؟ أو كيف يفهم الناس فعل الموت والقيامة فينا؟ أو كيف يفهمون أثر الفداء والخلاص الذي نلناه بالصليب؟ أو كيف يدركون أننا قد تصالحنا مع الله وصرنا أبناء العلي؟ «أنتم نور العالم ... فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة = καλά ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥: ١٤و١٦)، «لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تُظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت.» (٢كو٤: ١٢)

ألم يقل ق. بولس في مستهل ذلك الأصحاح الفريد: «أن تقدموا أجسادكم لله ذبيحة حية

مقدسة»؟ إذاً فنحن الذين نحمل المسيح، نحمل موت المسيح أيضاً بالضرورة في جسدنا، باستعداد إعلان القيامة التي فينا، باحتمال الموت عن فرح وقبول الضيقة بالشكر والإهانة بالبركة: «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا.» (٢كو٤: ١٠)

١٨:١٢ **«إنْ كان مُمكناً فحَسَبَ طاقَتِكم سالِمُوا جميعَ الناسِ».**

«فحسب طاقتكم»: ἐξ ὑμῶν

الأصل اليوناني يعطي معنى أصحّ في الشرح، فالترجمة الحرفية تقول: «إن كان ممكناً فبقدر **ما هو من جهتكم**(١٩) سالموا جميع الناس». هذا يعني أنه من جهتكم سالموا ــ أي قدّموا السلام ــ إن كان ممكناً لجميع الناس، ولكن الذي **ليس من جهتكم** ليس لكم حيلة فيه إلاّ أن تقبلوا عدم السلام أي البغضة والمقاومة.

+ «إذاً يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مُكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (١كو١٥: ٥٨)

هنا ق. بولس يطلب من المسيحي أن من جهته عليه أن يبادر بعمل السلام لجميع الناس قدر ما هو ممكن. هنا فعل المبادرة بالسلام هو من صميم عمل الكرازة أو من صميم عمل الطبيعة الجديدة المفدية. هنا يمتنع أي عذر لأي إنسان مسيحي أن يتوقف عن المبادرة من جهته في تقديم السلام، بأن يكتفي بحاله فلا يعطي سلاماً ولا شراً!! **لأن المسيحي الذي لا يبادر بعمل السلام وتقديمه للآخرين بل ولجميع الناس إن أمكن، هو إنسان يعمل ضد طبيعته الجديدة المفدية التي نالت فيض النعمة والسلام من الله. وقانون عمل نعمة المسيح في الإنسان هو «الذي لا يعطي لا يأخذ»**، وبهذا يتوقف عمل نعمة المسيح ويتوقف عمل سلام الله في القلب. «وأما مَنْ ليس له (العطاء) فالذي عنده سيؤخذ منه» (مت١٣: ١٢). إذاً، خطرٌ أن لا يبادر المسيحي بعمل السلام. من هنا يأتي طلب ق. بولس كوصية إلزامية من واقع مراحم الله التي سبق وأعطاها، فليس من فراغ يطالب ق. بولس أن ننطلق من جهتنا نصنع سلاماً مع جميع الناس، بل من فيض عطية الله وعمل نعمته وسلامه يطلب الله أن نعطي وأن نوزِّع بلا حساب وبلا خوف وبلا ندم أيضاً مهما كان الرفض.

---

19. Meyer, *Ep. to Rom.*, p. 479.

من هذا نفهم أن الله، بعطائه لنا الذي لا يُحد من مراحم ونعم وبركات، قد وَضَعَنا في العالم موضع المعطي عن ضرورة وإلزام، موضع المبادرة بصنع السلام.

«سالموا جميع الناس»: εἰρηνεύοντες

كلمة «سالموا» بالعربية لا تفي بامتداد المعنى الذي جاء في اليونانية **«يسعى ويبحث عن السلام»** seeking peace، هذا يزيد من قوة معنى المبادرة، فالمسيحي لا يجلس ينتظر أن يأتيه السلام فيسالم، بل يسعى ويبحث عن السلام حتى ولو كلَّفه جهداً وتعباً، فالذي يبحث يجاهد حتى يجد. هذا من روح الكرازة: «ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام» (رو١٠: ١٥). وبقدر ما تأتي كلمة «سالموا» في العربية محايدة ساكنة غير نشطة، تأتي كلمة «اسعوا وابحثوا عن السلام» في الأصل اليوناني ولها صفة المبادرة والاقتحام. والخطر في الترجمة العربية أن كلمة «سالموا حسب طاقتكم» تعطي المعنى تخاذلاً وخوفاً ومحدودية فتبتعد كثيراً عن روح الكرازة المسيحية: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.» (مر١٦: ١٥)

على أن دعوة المسيحي لكي يقتحم الآخرين بروح المودة منادياً وعاملاً بالسلام هي من أخص خصائص منتهى قصد الله والمسيح في عمل البر وتعميمه في العالم: «وثمر البر يُزرع في السلام من الذين يفعلون السلام.» (يع٣: ١٨)

١٩:١٢ **«لا تنتَقِمُوا لأنفسِكم أيها الأحباءُ بل أعطُوا مكاناً للغضبِ لأنه مكتوبٌ ليَ النَّقمَةُ أنا أُجازي، يقولُ الربُّ».**

ق. بولس ينتقل من طرح وصية المبادرة من جهتنا بالسلام لجميع الناس إن أمكن ذلك، إلى طرح الوصية التي تؤمِّن ذلك. لأن في معرض المبادرة بالسلام سنُقاوَم وربما يُساء إلينا بشدّة فما العمل؟ أننتقم؟ أنغضب؟

«أعطوا مكاناً للغضب»: δότε τόπον

قد اتفق أكثر الشرَّاح علماً وكفاءةً ــ مثل العالم الألماني ماير ــ أن المعنى ينصبُّ على التنحّي من أمام وجه النقمة أو الغضب لنتلافى الضرر الذي نُصاب به من جهة الآخرين. ويقول «ماير» أن الغضب هنا هو خاص بالله وليس لنا. وهكذا أصبح علينا أن نفهم من قول ق. بولس أن نترك مكاناً للغضب، أن نُفسح فرصة لله الذي هو وحده له النقمة، وصاحب الرحمة، لا بمعنى أننا نوكِّل الله على الذي أساء إلينا لكي يسيء إليه؛ بل لأنه ليس من حقنا أن نغضب باطلاً:

«مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم» (مت٥: ٢٢) ــ أي غضباً يجلب الضرر، فعلينا أن نسلِّم الغضب لمن يستطيع في غضبه أن يرحم أيضاً، كما رحمنا ونحن أعداء بالذنوب والخطايا والتعدّي على نواميسه. والمعنى النهائي يكون: لا تنتقموا لأنفسكم ولا تغضبوا بل اتركوا الأمر لمن له الغضب وهو قادر أن ينتقم حسب تقديره.

+ «الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يهدد، **بل كان** يسلِّم لمن يقضي بالعدل.» (١بط٢: ٢٣)

بل ونجد المسيح وهو في قمة الألم على الصليب بيد مضطهديه يطلب لهم الغفران، حتى لا يكون للشيطان مكانٌ في صليبه، ولهذا اندحر الشيطان على الصليب.

ويوجد في العهد القديم لفتات تستحق الإعجاب حقاً. إذ بعد ما وقع شاول ــ الذي كان يطلب قتل داود ــ في يد داود، لم يسيء إليه داود إذ قال له داود: «وراء مَنْ خرج ملك إسرائيل، وراء مَنْ أنت مطارد؟ وراء كلب ميّت؟ وراء برغوث واحدٍ؟ فيكون الرب الديّان ويقضي بيني وبينك ويرى ويحكم محاكمتي وينقذني من يدك» (١صم٢٤: ١٤و١٥). فكان رد فعل عمل داود الصالح أن نطق عدوُّه بالصلاح: «قال شاول: أهذا صوتك يا ابني داود؟ ورفع شاول صوته وبكى، ثم قال لداود: أنت أبرُّ مني لأنك جازيتني خيراً وأنا جازيتك شراً.» (١صم٢٤: ١٦و١٧)

وق. بولس إذ كان قد اختبر غضب الله ونقمته ومجازاته إزاء ما أجرم في حق المسيح بصورة لا تخطر على بال بشر، إذ بعد أن أهان اسمه وأتلف كنيسته وقتل وشهد على قتل أولاده رجالاً ونساءً بلا رحمة، دعاه الله إلى خدمته ووضع عليه نير الكرازة باسمه، ولكن الله لم ينسَ أن يؤلِّمه من أجل اسمه الذي أهان، فأوقعه تحت اضطهاد مرير لم يذُقه أحد قَبْله، وذلك دفاعاً عن اسمه الذي أهانه ومن أجل الصليب الذي ازدرى به وداسه! وتكشَّفت نقمة الله على ق. بولس بقول المسيح: **«لأني سأُريه كم ينبغي أن يتألَّم من أجل اسمي»** (أع٩: ١٦). هذا هو غضب الله على بولس، وهذا أصبح هو غضب الله **عند** ق. بولس من جهة النقمة والمجازاة التي اختبرها. إذاً، فحينما يقول ق. بولس: لا تنتقموا لأنفسكم ولا تغضبوا، بل اتركوا الغضب لمن له الغضب والنقمة لمن له النقمة والمجازاة لمن له المجازاة، فهو أدرى بمن هو القادر أن يحوِّل النقمة إلى نعمة: «سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبةً محبوبةً.» (رو٩: ٢٥)

وهنا يليق بنا أن نعرِّج على الغضب وخطره الشنيع في إفساد حياة الإيمان. فروح الغضب إذا

دخل قلب الإنسان أعماه عن الحق، لأن الغضب قوة من الظلمة تداهم النفس فتخفي عنها نور الحق والعدل والبر والرحمة، فيصير الإنسان في الحال غريباً متغرباً عن صاحب النور والحق والبر والرحمة والسلام، إذ تنسحب منه النعمة ويقف في تيار الشيطان يدفعه في كل اتجاه سلبي حتى يفقد قدرته على الانضباط ويأتي الشر والخطية والتعدّي وهو مسلوب العقل والإرادة.

والغضب يدخل القلب قبل أن يتحرك فكره بروح النقمة، فإذا استسلم الإنسان للغضب دخله روح النقمة، فيبدأ يتمنى الضرر والإساءة لمن صار تحت عتامة غضبه، بل ربما تطغى عليه ظلمة العقل فيبدأ "يصلي" ويُلحُّ أن يتدخل الله ويضرب وينتقم ويسيء ويميت. وإذا لم يسمع الله ــ طبعاً ــ يبدأ يفكِّر كيف ينتقم هو بنفسه ويسيء ويجلب الضرر بيديه على عدوِّه. وهكذا ينحاز لجانب الشر ويفقد روح التبني لله ويقف عارياً مفضوحاً وكأنه آلة في يد الشيطان. هنا وصية المسيح قاطعة: «مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم» (مت٥: ٢٢). يوجد هناك غضب ليس باطلاً يقول عنه الكتاب: «اغضبوا ولا تخطئوا» (أف٤: ٢٦)، حيث يكون الغضب من أجل منفعة الآخرين. هنا الغضب هو غَيْرة الرب يغارها الإنسان ويغضب ليكف الآخرون عن الخطيئة ليعودوا إلى الله والكنيسة والسيرة الصالحة. لذلك فالآية التي بعدها تقول: «ولا تعطوا إبليس مكاناً» (أف٤: ٢٧). فالغضب الذي من أجل الله هو الذي يكون مقصده حياة الآخرين في العدل والصلاح والتقوى، لا يشوبه حسد ولا حقد ولا نقمة، التي هي من أمور الشيطان. لذلك اعتنى ق. بولس أن يؤمِّن الغضب الذي ليس فيه خطية أن لا يكون للشيطان فيه أي نصيب. وهكذا فيوجد غضبٌ لله و يوجد غضبٌ للشيطان، أما غضب الله فرأيناه في المسيح حينما قال: «غيرة بيتِكَ أكلتني» (يو٢: ١٧)، وأمسك سوطاً من حبال وطرد الذين حوَّلوا بيت الصلاة إلى بيت تجارة. أما غضب الإنسان فيستحيل أن يأتي من ورائه خير: «لأن غضب الإنسان لا يصنع برّ الله.» (يع١: ٢٠)

٢٠:١٢ **«فإنْ جاعَ عدوُّك فأطعِمْهُ وإنْ عَطِشَ فاسْقِهِ لأنك إن فَعَلْتَ هذا تَجْمَعْ جَمْرَ نارٍ على رأسِهِ».**

الآية بأجمعها منقولة عن سفر الأمثال كما جاءت هكذا: «إن جاع عدوُّك فأطعمه خبزاً وإن عطش فاسقه ماءً، فإنك تجمع جمراً على رأسه والرب يجازيك» (أم٢٥: ٢١و٢٢). لقد تبارى جميع الآباء والعلماء في محاولة شرح: «جمر نار على رأسه»، فانقسموا فريقين: فريق يقول إن عمل الخير مع عدوك يجعله يحس بالندامة التي تحرق فيه كجمر النار لا تغادر فكره، والفريق الآخر قال إن

عمل الخير مع عدوك يجعل الله في النهاية يجازيه بعقوبة شديدة. أما رأي الفريق الثاني فهو لا يتمشَّى مع فكر ق. بولس أصلاً ولا يتمشَّى بالتالي مع الآيات السابقة التي كلها تشير إلى طلب الخير للعدو. وفوق هذا وذاك فهذا الرأي يخالف روح العهد الجديد وفكر المسيح.

ولكن هناك رأي مسيحي آخر متطرف ولكن فيه شيء من الظرف، يقول إنك بعمل الخير هذا في عدوك تحوّله إلى المحبة وتجعله يقيد ناراً في قلبه كجمر النار. وهذا طبعاً يتجه نحو الخيال الذي لا يتمشى مع صحو الفكر المسيحي وواقعيته.

أما نحن فنقول إن شرح هذه الآية له وجهان: وجه يتناسب مع العهد القديم الذي قيل فيه وله هذا المثل، فلهذا الوجه يتناسب الشرح الثاني الذي يقول بأن ذلك العمل يمهد لعقوبة وشيكة تأتي على العدو. أما الوجه الثاني وهو الوجه المسيحي فيناسبه الشرح الأول الذي يقول بأن عمل الخير للعدو يؤول إلى ندم يحرق القلب. ولكن لا ينبغي أن يكون هذا داخلاً في الاعتبار عند الذي يصنع خيراً مع عدوّه، أي لا يكون قصده من فعل الخير أن يندم العدو. ولكن ينبغي أن يكون فكره متشبثاً بصنع الخير والمحبة والمودة للعدو ــ في حد ذاتها ــ خُلُواً من أي غرض إلاّ وجه المسيح والمحبة العاملة في القلب، لأن أية محاولة من جانب المسيحي الذي يتعامل مع العدو يَلْحَظها العدو أنها مصنوعة له لتغييره إلى صديق سوف تنقلب إلى ضدّها. لهذا كله فإن أخذ آية من العهد القديم ووضعها كما هي دون تغيير أو تحذير أو إضافة أو خوف لتكون نبراساً للعهد الجديد سيكون فيها شيء من القلق كما حدث في هذه الآية، لأنه ينبغي أن نعرف القاعدة العظمى التي تفرق بين القديم والجديد: هي أن روح العهد الجديد تسمو فوق الطبيعة البشرية، وتتطلب فكراً وعملاً فوق الطبيعة البشرية، لأنها تنتهي بالإنسان إلى بلوغ ما هو فوق الطبيعة البشرية. أما العهد القديم برُمَّته فهو محبوس على قياس الطبيعة الآدمية التي أخطأت وتحتاج إلى خلاص.

فبالنسبة لشرح هذه الآية السالفة على روح العهد الجديد تكون كالآتي: أنا أطعم عدوي وأسقيه؛

أولاً: لأني أحيا وأعمل وأكرز بطبيعة روحية جديدة تسمو فوق روح العالم وفوق طبيعة أهل العالم، فروح العالم وروح طبيعة أهل العالم تقول أن أُطعم صديقي ولا أطعم عدوّي بل آخذ منه الحذر بل ربما أعمل على تجويعه. أما روح المسيح فتقول: أنا أُطعم كل جائع في شخص المسيح وكأنه المسيح، وأسقي كل عطشان في شخص المسيح وكأنه المسيح، لأني أحمل روح المسيح وحبه المجاني الذي أحبني به وأنا كنت عدواً له؛

ثانياً: أنا لا أخاف إن كان حبي له وخدمتي وإطعامي سيزيده جرأة عليّ ويزيده طمعاً وصلفاً وأذية وابتزازاً، لأني لا أُعطي مما لي بل مما لله وحياتي وموتي ليست لي بل هي لله. فإن كنت أعطيه مما لله فالله كفيل برعاية ما له؛

ثالثاً: من أخص خصائص العهد الجديد أن الإنسان المسيحي لابد أن يعلن عن روح المسيح الذي فيه. فمن جهة عدوّي أنا أُظهر له روح المسيح الذي فيَّ بحبي وإطعامي له وسقيه، إلى هذا الحد أنا أكرز وكل ما أرجوه أن عدوّي يحسّ بروح المسيح الذي فيّ. أما ماذا سيكون تصرُّفه؟ فهذا ليس من شأني. فالمهم أنني لا أنغلب لروح الشر.

٢١:١٢ **«لا يغلبنَّكَ الشرُّ بل اَغلِب الشرَّ بالخير».**

في هذه الآية يجمع ق. بولس مضمون كل الآيات من (١٤ــ ٢٠) بل يأتي إلى خلاصة الروح المسيحية. كما أنها توضيح إيجابي للآية (١٩): لا تنتقموا لأنفسكم، أعطوا مكاناً للغضب. فإذا تحرَّك قلب الإنسان بالغضب، وفكَّر مجرد فكر بالنقمة، فقد انغلب للشر مرتين!! مرة للشر في حد ذاته إذ أطاع إيحاءاته الشيطانية في القلب، والمرة الثانية للعدو إذ أراد الله بإساءة العدو إليك أن يختبر مقدار برّك أو صدق أمانتك لله، فإن أنت بادلت الشر بالشر أو حاولت النقمة لنفسك أو حتى الغضب، فستكون قد سقطت مغلوباً للعدو إذ صرت مثله أو ربما أكثر. هنا يكون خذلان الإنسان المسيحي للمسيح والنعمة مضاعفاً في الداخل وفي الخارج، إذ يكون قد انغلب من الداخل ومن الخارج أيضاً.

فالآن مطلوب من المسيحي التحرُّك على مستويين معاً:

أولاً: المستوى الداخلي بأن لا ينغلب لروح الشر فيستغيث بالمسيح وبنعمته للنجاة ليبقى في قلبه متمسكاً بالصلاح والتقوى، لا يحيد عن روح المسيح ومشورة النعمة ولا إلى لحظة واحدة، هذه أخطر مراحل الوقوف أمام الأعداء، حيث لا يهتز القلب في الداخل هزّة واحدة نحو الشر أو ينحرف الفكر بالرديء ولا حتى قيد شعرة؛ بل يبقى في الداخل متمسكاً بالكمال المسيحي وتسليم الحياة لمن له الحياة وتقبُّل الإساءة بالدعاء، باستعداد قبول المزيد منها حتى الموت، طالما هو في يد الله.

ثانياً: أن يبقى الفكر مع القلب **في حالة سلام مع شخص العدو**، فلا يسمح أن تكون صورة العدو أمامه أو في مخيلته كعدو، بل كإنسان مجرد إنسان أرسله الله ليختبر مدى صبره، ومدى

احتماله، ومدى اتساع قلبه، ومدى خضوعه لوصية المسيح: «أحبوا أعداءكم» (مت٥: ٤٤). هنا يكون الصراخ نحو الله أن يعطي القوة على إتمام الوصية حسب إرادة الله. **فإرادة الله لا يستطيع أن يكمِّلها إلاَّ الله.** ومحبة العدو وتقبُّله كصديق أمر لا يدخل في قاموس البشر ولا يدركه إنسان ولا يقوى على تنفيذه كل ذي لحم ودم. واحد فقط في كل السماء والأرض من له القدرة ليس على حب أعدائه وقبوله لهم أصدقاء وأخصَّاء بل وأن يُذبح لأجلهم على الصليب، هو يسوع المسيح، ومن غير المسيح يستحيل لإنسان أن يحب عدوَّه أو يقبله كصديق. إنها قوة تعادل قوة الصليب أي صاحب الوصية نفسه ـ الذي أكملها لنا كنموذج ـ هو وحده يعطي سر تنفيذ وصيته ومفتاحها السري في يده. لذلك فالمسيحي يقف أمام عدوِّه متسلحاً بحضور المسيح، وليس بأقل من ذلك، حتى يتواجه مع الشر وهو باستعداد حسبانه كصديق.

هذه هي الغلبة بالمسيح على الشر في الداخل والخارج. ومن ذا الذي يغلب الشر في الداخل وفي الخارج إلاَّ الذي تمسَّك بالمسيح حتى الموت، وملَّك الخير على زمام قلبه وفكره وكل حواسه. لذلك، فإن قيام الأعداء في وجه المؤمنين هو محك الإخلاص في اتِّباع الرب يسوع، وامتحان عسير لمدى تأصُّل الإنسان في البر والتقوى والحياة الدائمة في حضرة الله، هو اختبار مدى فعالية النعمة ووجودها، ومدى تمسُّك الإنسان بقلبه وفكره باسم الرب يسوع في كل وقت. ثم أليس بسبب ذلك يقول الرب إنه: «بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢)؟ علماً بأن كلمة «ينبغي» هي ترجمة ضعيفة، والترجمة الصحيحة هي «يتحتم» = (must)!! أي أن التجارب في نظر المسيح أساسية في حياة المسيحي حتى يُمتحن إيمانه بالنار وتُختبر قوة تمسكه بالبر والخير والحب من نحو جميع الناس.

الأصحاح الثالث عشر

مطالب البر في الحياة المسيحية

١ ـ ١٣: ١-٧ : رفع الوعي المسيحي في التعامل مع الدولة ومؤسساتها.

٢ ـ ١٣: ٨-١٠ : رفع الوعي المسيحي لتعامل الجماعة بعضها مع بعض لاقتلاع أسباب الخطايا.

٣ ـ ١٣: ١١-١٤ : تمييز زمن التوبة لئلا تضيع فرصة الخلاص.

[١٣: ١-٧] رفع الوعي المسيحي في التعامل مع الدولة ومؤسساتها

المسيحية والدولة

الطاعة للسلطات

مقدمة:

اعتبر كثير من الشراح أن مطلع هذا الأصحاح الثالث عشر لا يتمشى مع فكر وأسلوب ق. بولس؛ بل يوجد مَنْ قال إنه مدسوس على الرسالة وليس من تأليف ق. بولس(١). وهذا أمر يُتعجب له، لأن الأمر واضح إذ أنه في نهاية الأصحاح السالف (١٢) يتكلم ق. بولس عن معاملة المضطهِدين لنا والمقاومين والمتعدِّين علينا، وكيف نسلك إزاءهم بالصلاة والمحبة والبركة وعدم الغضب، وأنه لا ينبغي للمسيحي أن ينغلب للشر، ثم بعدها مباشرة يتكلم عن كيفية التعامل مع الدولة. والدولة التي يتكلم عنها ق. بولس هي الدولة الرومانية، وهي كانت وثنية وقد تعاملت مع اليهود بعنف شديد. وفي وقت كتابة الرسالة كانت الاحتكاكات بين روما وأورشليم قد بلغت حد الخطر مع بوادر اندلاع حرب السبعينية التي بدأت سنة ٦٦م، إذ كانت مناوشاتها الأُولى قد بدأت مبكراً قبل هذه الرسالة بأقل من خمس سنوات.

ولا ننسى أن ق. بولس يتكلم ويوعِّي من مركز الإحساس الروحي أو «التعليمي». فكيف يمكن قبول رأي هؤلاء الشراح أن هذا الجزء لا يتمشى مع الرسالة وأسلوب ق. بولس؟ فكلام ق. بولس هنا ينطبق تماماً على الحال الواقع سابقاً في التاريخ القريب جداً من الرسالة، حينما طرد الإمبراطور كلوديوس سنة ٤٩م جميع اليهود من روما (أع١٨: ٢) بسبب ثورتهم ضد ما كان يعرف بـ«كريستوس»، وواضح هنا أنها ضد المسيحيين. وهكذا لم يكن قد مضى على هذه الثورة والطرد الذي أعقبها أقل من عشر سنوات. كذلك فإن حادث حريق روما بيد نيرون الذي اتهم فيه المسيحيين ونكَّل بهم ظلماً سنة ٦٤م، يكشف أن وضع المسيحيين بالذات بالنسبة للدولة لم يكن مريحاً. إذاً، كانت هناك وساوس في رَوْع الحكومة الرومانية من جهتهم بسبب ولائهم للمسيح باعتباره ملكهم؟ وق. بولس كتب رسالته هذه سنة ٥٨م، ويُعتقد أن الوضع آنئذ لم يكن مريحاً

1. M.B.Riddle, I.R.Com. *The Ep. to Rom.* p. 211; & Leon Morris, *op. cit.*, p. 457.

بالنسبة للمسيحيين، وبذلك تحتِّم توعيتهم كيف يتعاملون مع حكومة مثل هذه، وفي المقام الأول بالنسبة لرسالة تحمل المنهج المسيحي بالكامل.

ويعتبر أكثر من تزعَّم حركة النقد لهذا الجزء من الأصحاح هو العالم أونيل(٢)، وكذلك بارنيكول الألماني(٣). وقد تعسَّف في أحكامه ضد هذه التعاليم بالنسبة للتعامل مع الدولة ووصفها أنها أشد ما أضرَّ بالمسيحيين في الشرق والغرب، في حين أنه بحسب صحة الحكم التاريخي في الحياة السياسية والاجتماعية لم توجد نصائح أحكم من هذه النصائح يمكن أن تتلقَّاها كنيسة في علاقتها بالدولة، وهي التي أبقت على المسيحيين حقاً وبالفعل إن شرقاً أو غرباً حتى هذا اليوم. وكان رد العالم المدقِّق كايسمان الألماني على ادِّعاءات أونيل بالقول: [لا يوجد أي مبرر للتنازع في صحة وأصالة هذا الجزء من الرسالة](٤). ويضيف أن الأصالة في الفكر والنص والأسلوب متمشية تماماً مع باقي الرسالة.

وعلى ادِّعاءات وشطط أونيل من جهة صحة التعاليم والمبادىء سياسياً واجتماعياً يرد عليه العالم ماركوس بورج: [ليس فقط إن هذا الجزء من الأصحاح يتلاحم بانسجام مع بقية النص السابق واللاحق؛ بل ويتناسب تماماً مع العلائق الحاصلة مع الرومان ككل.](٥)

ولا يغيب عن ذهننا أن ق. بولس يعطي هنا أول انطباعات روحية مسيحية عن العلاقة المسيحية بالدولة عامة، لأن اليهود في صميم إيمانهم لا يعترفون بأي ملك أممي؛ بل ويستهينون به؛ بل ويستهزئون بكل الأمم وكل ملوكهم، ويمتنعون عن إعطاء الجزية — أي الضريبة — وبذلك أنشأوا في ذهن الدولة روح عداوة ونفور لكل دين. من هنا تأتي تعاليم بولس الرسول رائعةً حقاً وجديدة؛ بل وجديرةً بالاحترام لا من المسيحيين فقط؛ بل من كل دولة كانت ما كانت!! غير أن أوَّل مَنْ أشار إلى وجوب التفريق بين علاقة الدين بالدولة هو المسيح حينما قال قولته الخالدة: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مر١٢: ١٧). وفي قوله هذا واضح كل الوضوح أنه كان يُكِنُّ للدولة احترامها ويُحِقُّ لها حقوقها!!

وكان لتعليم ق. بولس هذا من جهة العلاقات مع الدولة أثره البالغ في قيام وحياة الكنيسة في

2. J.C.O'Neill, cited by L. Morris, *op. cit.*, p. 457, n. 1.
3. Barnikol *Römer 13,* cited by Käsemann, p. 351.
4. Käsemann, *op. cit.*, p. 351.
5. Marcus Borg (New Testament Studies) XIX, 1972, pp. 205-218, 214.

روما، وهي تعيش خاضعة في أحضان أباطرة كانوا على مستوى الأسود الكواسر، تسلَّحوا بالقسوة والاضطهاد والتنكيل بالمسيحيين عدة مئات من السنين.

كما فصل ق. بولس تماماً بين المنهج الفكري السياسي ـ الديني عند اليهود ومثيله عند المسيحيين، فلم يشترك المسيحيون قط في ثورات اليهود ضد الحكام الرومان في أورشليم التي لم تكف حتى جاءت الحرب السبعينية بين روما واليهود؛ والتي كانت نتيجتها أن مُسح اليهود من خريطة أورشليم، فأُخليت أورشليم من أهلها اليهود كلية بعد حرقها وهدمها على مَنْ فيها. وفي هذه المحنة المرعبة بالنسبة لليهود، نجا المسيحيون ـ بفضل تعاليم المسيح السابقة وكذلك ق. بولس ـ وظلُّوا بمعزل عن الاضطرابات السياسية في هذه الأيام وما بعدها.

في حين أن اليهود لما تمسكوا بالتعقُّل في التعامل مع الدولة في البدء، أعطتهم روما بحسِّها التكريمي لـ«يهوه» إله اليهود حقوقاً فائقة على مواطنيهم الرومان. فقد خلعت عليهم الحكومة الرومانية حق Collegia licita، أي الجماعات المسموح بها، وذلك حتى بالنسبة لمعتقداتهم التي تُعتبر تحدياً للمواطن الروماني مثل حفظ السبت وذبح اللحوم وبقية قوانين الأطعمة، وبالأكثر الامتناع عن التعامل مع شارات وصور وتماثيل آلهة الرومان وقياصرتها داخل أورشليم التي حرص الرومان على عدم دخولها أورشليم، وذلك بقوانين خاصة استثنائية من الدولة، كما أن الدولة أصدرت تعليماتها لحكامها في أورشليم أن يحترموا عادات وتقاليد اليهود فسُمح لليهود ألا يحملوا صورة قيصر نفسه أو شاراته إذا دخلوا أورشليم. وأجازت لليهود قانونهم المتعسِّف بالقتل لكل مَنْ يتجاوز رواق الأمم ليدخل داخل أروقة اليهود الأخرى في الهيكل، حتى ولو كان مواطناً رومانياً(٦). كل هذا عن طيب خاطر، ولكن للأسف كانت **مغالاة اليهود في المطالبة بحقوقهم وامتهانهم** للحكام الرومان ـ الذين أحسنوا إليهم أصلاً كرامة لإلههم!! ـ هو الذي جعل الدولة تنقلب عليهم بشدة وعنف لا مثيل له، ولكن كان السبب الخفي أنهم هم أنفسهم ـ أي اليهود ـ لم يكرموا الله الذي أرادوا أن يكرمه لهم الحكام مرغمين. من هنا يأتي الفارق الهائل بين نظرة اللاهوت المسيحي للحكام ونظرة اليهود. ويكفي باختصار الآن أن نعرف أن ق. بولس اعتبر حكام الدولة، أية دولة، أنهم معيَّنون من الله!! فاحترامهم وطاعتهم واجبٌ وجوب احترام إرادة الله!

ونحن هنا نلخِّص مبادىء بولس الرسول التي جاءت في مجمل تعاليمه ليكون القارىء على بيِّنة من منهجه الكامل في العلاقة بين الكنيسة والدولة:

6. L. Morris, *op. cit.*, p. 218.

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:

(٢: ١-٤) + «فأطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس:

+ لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار.

+ لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون».

الرسالة إلى تيطس:

(٣: ١و٢) + «ذكِّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح،

+ ولا يطعنوا في أحد ويكونوا غير مخاصمين حلماء، مُظهِرين كل وداعة لجميع الناس».

أما بقية ما ورد في الرسائل الأخرى غير رسائل بولس الرسول فهي منقولة عن ق. بولس.

الرسالة إلى أهل رومية:

(١٣: ١-٧) + «لتخضع كل نفس للسلاطين (السلطات) الفائقة (الحاكمة) لأنه ليس سلطان إلاَّ من الله.

+ والسلاطين الكائنة هي مُرتَّبة من الله.

+ حتى إن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة.

+ فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان افعل الصلاح فيكون لك مدح منه.

+ لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إنْ فعلتَ الشر فخَف. لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقمٌ للغضب من الذي يفعل الشر.

+ لذلك يلزم أن يُخضَع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير.

+ فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه.

+ فأعطوا الجميع حقوقهم: الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام».

ثم تأتي الوصايا المسيحية الأخرى في رسالة بطرس الأُولى وهي مأخوذة من روح رسائل ق. بولس ولغته:

(١بط ٢: ١٣–١٧) + «فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل،

+ أو للولاة فكمُرسَلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير،

+ لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتُسكِتوا جهالة الناس الأغبياء،

+ كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر بل كعبيد الله،

+ أكرموا الجميع، أحبوا الإخوة، خافوا الله، أكرموا الملك».

وفي هذا يقول العالم شفيتزر:

[من جهة النظرة الأخلاقية فإننا في هذا الموضوع الخاص بالعلاقة مع الحكام، فإننا لا نَعْثُر قط على أي كاتب آخر في كل الأحقاب القديمة من عبَّر بهذه العبارات إلاّ بولس الرسول، فلا أفلاطون ولا أرسطو حمل لواء الطاعة للسلطات كما حملها ق. بولس، ولا في كل الفكر اليوناني، كما أوضحها ق. بولس في (رو١٣: ١–٧).](٧)

و يقول العالم ليون موريس:

[ورؤية بولس الإلهية في هذا الأمر واضحة، فهو مقتنع تماماً أن الله يتحكَّم، حتى لا يستطيع أي إنسان أن يأخذ سلطاناً على البشر إلاّ بسماح من الله.](٨)

وهذا واضح من كلام المسيح لبيلاطس الحاكم الروماني حينما ادَّعى أن له سلطاناً أن يصلبه أو يطلقه: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم **تكن قد أُعطيت من فوق**» (يو١٩: ١١). إذاً فالحاكم يُعطى السلطان من الله!

ويزيد العالم ليون موريس بقوله: [إن الحكومات بأنظمتها ليست هي مجرد ترتيبات بشرية ولكنها تحمل في أصلها عنصراً إلهياً. لهذا وجب على كل أولاد الله وخدامه أن يخضعوا لقوانينها.

7. A. Schweitzer, *Mystery of Paul*, p. 315.
8. L. Morris, *op. cit.*, p. 458.

والقديس بولس لا يعتبر أن الحكام يُحسبون مستقلِّين بذواتهم بل معيَّنين من الله. فالحاكم هو في حقيقته خادم الله، هذا بحد ذاته يعطي الحاكم هيبة خاصة. ولكن ق. بولس في نفس الوقت يُبرِزُ مبدأ أن الوالي نفسه واقع تحت سلطان آخر أعلى منه — أي الله — فهو لا يستطيع أن يصنع ما يشاء بل كما يشاء الله من وجوده.](٩)

ولكن قام في أنحاء العالم وخاصة في ألمانيا عاصفة من النقد بخصوص هذا الفكر عند ق. بولس، معتبرين أن هذا الاتجاه التعليمي الخنوع شجَّع الحكام على الاستبداد والتأله وربما القسوة الغاشمة، حيث يبرر الشعب سلوك الطغاة دون أن ينتبهوا إلى كرامة الإنسان عامة.

وهذا الاتجاه في النقد قام على أساس أن تعليم ق. بولس يكون قد منع الشعب نهائياً بسبب أمر الطاعة المطلقة للحكام من أن يثور على الحاكم الطاغي، وكان هذا هو أساس النقد عند العالم هالدين(١٠).

ولكن فات على هالدين وغيره من النقاد أن ق. بولس **منع فعلاً القيام بأية ثورة على أساس أن تقوم باسم المسيح أو من المسيحيين باعتبارهم مسيحيين**. والدليل القاطع على ذلك أن ق. بولس نفسه ثار على الحاكم الروماني الذي أمر أن يُمَدَّ ق. بولس ويُضرب بالسياط (أع٢٢: ٢٥)، **وكان أساس ثورته الشخصية واحتجاجه ليس أنه مسيحيٌّ أو خادمٌ ورسولٌ للمسيح، ولكن باعتباره مواطناً رومانياً**. بهذا نفهم **أن المسيحي والمسيحيين عامة مصرَّح لهم بالقيام بأية ثورة وطنية كمواطنين عادين "مع بني وطنهم الآخرين"، وليس بمفردهم باعتبارهم مسيحيين، فالمشاركة في الإصلاح الوطني السياسي قائمة ولكن ليس على أساس ديني!! وهنا يمتنع أن تقوم الكنيسة بذلك أو تشترك فيه بأي حال من الأحوال حتى ولا بأن تعطي صوتها بالرضى أو تشجِّع على ذلك، لأن هذا ليس من اختصاصها، فهي تمثِّل المسيح، والمسيح لم يَثُرْ قط من أجل الحق في وجه الظلم والطغيان والاستبداد، سواء لدى المحاكم اليهودية أو المحكمة الرومانية؛ بل حُكم عليه بالإعدام صلباً دون أن يحتج أو يدافع عن نفسه!**

كذلك لا يخطىء المسيحي في فهمه معنى الحرية التي نالها بالمسيح والتي عليها يقوم خلاصه والتي ينبغي أن يتمسَّك بها ضد أي عمل أو فكر يعرقل خلاصه وحياته في المسيح، والخطورة هنا أن تُفهم هذه الحرية أنها فكرية أو حرية اجتماعية أو حرية سياسية أو حتى حرية شخصية بل هي

9. Ibid.
10. Haldane, *On Rom.*, unabridged, p. 585.

حرية لاهوتية منشؤها التحرر من الخطية وعبوديتها ولا يجوز قط استخدامها لحساب لقمة العيش أو عزة النفس أو سعادة الجسد: «فإنكم دُعيتُم للحرية، أيها الإخوة، غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد.» (غل٥: ١٣)

إذاً ق. بولس يحصر طاعته للسلطات في مفهوم أنها طاعة ــ لتدبير الله ــ سواء كانت المعاملة سيئة أو حسنة لأن ليس أحد مثل ق. بولس تألَّم وحُبس وقُيِّد بالسلاسل من السلطات الرومانية، وبالرغم من ذلك حينما أرسل رسالته إلى تلميذه تيطس من روما وهو سجين مقيَّد بالسلاسل ينتظر حكم الإعدام، كتب له يقول: «ذكِّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدِّين لكل عمل صالح» (تي٣: ١). هذا روح وفكر وضمير وإيمان مَنْ يعتبر أن كل الحادث له من السلطات هو بتدبير وسماح من الله وعليه أن يخضع ويطيع حتى الموت كالمسيح.

إذاً فإصرار ق. بولس على الطاعة المطلقة والخضوع للسلطات لم يكن خوفاً من السلطات، كما كتب هو أيضاً في موضع آخر، ولا احتراماً أو طاعةً لإنسان بحد ذاته مهما كان هذا الإنسان رئيساً أو ملكاً، ولكن هي طاعةٌ لله في مَنْ يمثِّله في السلطان الأرضي، **لأنه لا يمكن أن ننسى قانون الرسل القائل: «ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس»** (أع٥: ٢٩). **هذا معناه أن الملك أو الرئيس أو الحاكم إذا أمر المسيحي أمراً يخالف أوامر الله فلن يطيعه حتى ولو حُسب ثائراً على السلطات وحتى ولو هُدِّد بالموت. فقول الرسل: «ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس» هو أمر رسمي بالعصيان الديني لكل أمر أو توصية تخالف وصايا الله المفروضة على المسيحي لإطاعتها.**

ولكن لكي يدخل هذا الأمر الرسولي في حدود مفهومه القانوني يلزم أن الذي يقرر أن هذا الأمر مخالف فعلاً لوصايا الله هي الكنيسة التي لها وحدها أن تقرِّر أن هذا الأمر هو حقيقةً مخالف لوصايا الله.

وليس خافياً أن هذا البند بالذات هو علَّة صدور قرارات الإعدام على كل شهداء المسيحية في العصور الأُولى. إذ كان يؤمر المسيحي أن يقدِّم البخور أي العبادة لاسم الإمبراطور وصورته، فكان يرفض، ومع التهديد بالموت كان يزداد الرفض، ولكن بإشهار السيف كان **يحني رقبته طاعةً لأمر السلطات!!! فأن يطيع أمر الإمبراطور بأن ينكر المسيح فهذا محال، والرفض حاضر وبكل إصرار، ولكن أن يؤمر بإحناء الرقبة لتقبُّل حكم الموت، فهنا الطاعة للسلطات واجبة ومستحبة!!**

والقديس بولس يتكلم من مصدر روحي أعلى بكثير من مستوى التاريخ والتمدين والحوادث الزمنية العابرة، وليس كما يقول العلماء([11]) أن ق. بولس حصر ذاته في حالة واحدة هي حالة كنيسة روما وحكومة روما، وأن هذا لا ينطبق على غير ذلك من بلاد وشعوب وحكومات، هذا افتراء، وروح الله لا يعطي مشورات عرجاء أو بالقطاعي.

أما كيف نصالح فكر ق. بولس بالطاعة المطلقة للسلطات في هذه الأيام مثلاً، والملك قد يكون فاسداً مستبداً مستبيحاً، وفي بلد مسيحي **والشعب كله مسيحيٌّ** والملك نفسه مسيحي، فكيف الحل؟ واضح أن الطاعة المطلقة للسلطان عند ق. بولس هي باعتباره أنه من الله وبترتيب الله. ولكن إذا تأكَّد الشعب المسيحي أن هذا السلطان يخالف الله ووصايا الله في مواجهة حالة ــ ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس ــ فأصبح الشعب كله في حِلٍّ من هذا السلطان؛ بل وتكون قد وجبت معارضته بل تحتَّم أيضاً إسقاطه.

أما إذا كان المسيحيون في هذه الحالة أقلِّية والملك طبعاً ليس مسيحياً وغير عادل، فواضح أن الأمر بالنسبة لهم هو ضِيقةٌ، وهي تجربة لابد من احتمالها كأنها من يد الله، حيث الطاعة واجبة إلاَّ إذا امتدت أوامر السلطان لتجبر الإنسان المسيحي أن ينكر مسيحه، هنا وجبت عدم الطاعة وحلّ الاستشهاد!!

١: ١٣ **«لتخضعْ كلُّ نَفْسٍ للسلاطينِ الفائقةِ لأنه ليسَ سلطانٌ إلاَّ من الله. والسلاطينُ الكائِنَةُ هي مرتَّبةٌ من الله».**

«لتخضع»: ὑποτασσέσθω

وسيأتي الكلام عنها حالاً.

«لتخضع كل نفس»: πᾶσα ψυχή وبالعبرية: "كل نِفِش" kol nephes.

هنا ق. بولس يحكم «بالأمر» إذ ليس مسموحاً لأي نفس أن تستثني ذاتها من هذا الإلتزام! في الحقيقة إن هذا التحتيم بالطاعة يحتل مكانة كبرى في القانون الأخلاقي الإلهي، لأن هذا يعني وحدة الشعب وبالتالي وحدة الأعضاء في الجسد لتنسجم مع الرأس في مطالبها ووصاياها!! إذاً ليس هناك آراء شخصية ولا تحاليل موضوعية، فالطاعة المطلوبة للسلاطين حتمية. وحينما يركز

11. L. Morris, p. 459.

ق. بولس على النفس وليس الإنسان عامة، فهو يخاطب المشاعر العميقة بقصد الارتقاء بالإنسان من المستوى البشري المدني العادي إلى مستوى الإنسان المدني الديني، فهي نقلة من الحياة المدنيَّة العادية إلى حياة المدنيَّة الراقية الروحية التي تعيش الأرضيات بروح سماوية وفكر سماوي. ولا يغيب عن البال أن المعتقد الإيماني العام الذي ورثته المسيحية عن اليهودية هو أن الله هو الملك الأبدي الذي يحتفظ بملوكيته فوق كل هامات الملوك.

«للسلاطين»: ἐξουσίαις

ق. بولس هنا يقصد الحكام المدنيين المعيَّنين من قبل الدولة. وإن كانت قد قامت نزعة تبناها أحد العلماء الألمان يسمى ديبليوس([١٢]) سنة ١٩٠٩، بأن ق. بولس برفعه مستوى الطاعة للسلاطين إلى الطاعة المطلقة، كان يعتبر أن وراء السلاطين المدنية سلاطين أخرى، أي ملائكة سماوية تتدخل في شئون الإدارة والتدبير، وقد انتشرت هذه الفكرة وامتدت مسافة زمنية كبيرة حتى ثبت عدم لياقتها. واستقر الرأي لدى كل العلماء أن ق. بولس يقصد السلاطين المدنية الموضوعة بتدبير الناس.

«الفائقة»: ὑπερεχούσαις

ورود تعبير «السلاطين الفائقة»، بهذه الصفة «الفائقة»، والتي تعني "العالية"، قد أُعطيت لكلمة السلاطين ليناسبها كلمة «**الخضوع**» بمعنى «**التحتية**»، أي أن تكون النفس واقعة **تحت** السلطان. والمقابلة بين الفائقة أي العالية والخضوع = «التحتية» في اليونانية تأتي عن قصد واضح، وهما بادئتان معروفتان لدى الجميع: «**أعلى**» = ὑπέρ، «**أسفل**» = ὑπό. هنا علو الرئاسات هو الذي أنشأ التحتية لكل نفس([١٣]). فكل نفس **تخضع** ὑποτασσέσθω للسلاطين الفائقة ὑπερεχούσαις. فالرئاسات يصبح علوُّها هو بالنسبة للنفوس فقط. على أن علوها تستمده من الله.

ولنا أيها القارىء العزيز قصد من هذه اللمسة اللغوية البلاغية لتدرك مدى تمكن القديس بولس من التعبير البلاغي المنسجم، حيث تأتي "طاعة كل نفس" أي حتمية خضوعها **تحت** أوامر السلاطين **العالية** أمراً منسجماً وطبيعياً.

---

12. M. Dibelius, cited by Cranfield, *op. cit.*, p. 656.

(١٣) لا يزال هذا المعنى في اللغة الحديثة عموماً مستخدماً، فنحن نقول: «أنا **تحت** أمرك»، بمعنى: «أنا في طاعتك»، كذلك اصطلاح «سمعاً وطاعة»، وتأتي باليونانية = ὑπακούειν

ويلزم أن يكون في الاعتبار الأول عند فهم الطاعة للرؤساء المدنيين عند ق. بولس أن هذا مجرد أمر الله أو تدبير منه أو طقس إلهي لا يدخل في دائرة المسيحية كفداء وخلاص، إنما هو درع خارجي يحميها أو كما يقول ق. بولس بمنتهى الوعي والوضوح: «لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار.» (١تي٢:٢)

على أن هذا التدبير الإلهي يلزم أن يُفهم أخيراً أنه ليس طاعة للرؤساء المدنيين بحد ذاتهم وإنما هو طاعة تدبير الله أولاً وأخيراً. لذلك فحينما تدخل الطاعة في تنفيذ الأوامر يلزم أن تُفحص هذه الأوامر حتى تكون غير مناقضة لله أو للإيمان المسيحي وإلاَّ لا تكون الطاعة صحيحة.

كذلك ولأن الطاعة للرؤساء المدنيين هي أمر من الله وبتدبير منه، وجب أن تمتد الطاعة إلى الصلاة من أجلهم والصلاة باستمرار، أي في مواعيد ثابتة وجماعية كما هو حادث في الأواشي = (الصلوات) داخل القداس، وذلك بحسب وصية ق. بولس (١تي٢: ١—٣). بهذا تُحتسب الكنيسة — كمؤسسة دينية — في اعتبار ق. بولس أنها شريكة مع الدولة في قيامها وثبات الحكم فيها وسلامة المسئولين فيها، ولكن ليس أنها شريكة في الحكم. أما الأفراد المسيحيون فلهم حقهم الوطني «كمواطنين» — وليس كمسيحيين — أن يشتركوا في سياسة الحكم والتصويت البرلماني والإدارة، فيشتركون في كل شيء كمواطنين فقط.

ثم يسرع ق. بولس ويوضِّح لماذا هذه السلاطين هي فائقة أي عالية على هذه النفوس.

«لأنه ليس سلطان إلاَّ من الله»:

«لأنه» γάρ

لأن هنا تأتي لتوضح «لماذا»، لماذا السلاطين عالية؟ ولماذا تخضع كل نفس تحت أوامرها؟ فيقول ق. بولس لأنه ليس سلطان — تعيَّن على الناس — إلاَّ ويكون من الله. ثم يعود ويشرح معنى أن يكون السلطان من الله هكذا:

«والسلاطين الكائنة هي مرتَّبة من الله»:

«مرتَّبة»: τεταγμέναι

هذه الكلمة لا تعني مجرد ترتيب بل تنصيب ورسامة ordained , Instituted ذات وجود وكيان قائم أمام الله.

هذا المبدأ الإلهي قائم منذ العهد القديم كما أشار إليه النبي دانيال بالروح:

+ «أجاب دانيال وقال ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت وهو يغيِّر الأوقات والأزمنة، يعزل ملوكاً **وينصب ملوكاً** ... لكن يوجد إله في السموات كاشف الأسرار **قد عرَّف الملك** نبوخذ نصر ما يكون في الأيام الأخيرة ... أنت أيها الملك ملك ملوك **لأن إله السموات أعطاك مملكة** واقتداراً وسلطاناً وفخراً.» (دا٢: ٢٠و٢١ و٢٨و٣٧)

+ «هذا الأمر بقضاء الساهرين والحكم بكلمة القدوسين **لكي تعلم الأحياء أن العلي متسلِّط في مملكة الناس فيعطيها من يشاء وينصِّب عليها أدنى الناس.**» (دا٤: ١٧)

ويصدِّق إرميا النبي على كلام دانيال النبي فيقول:

+ «**والآن قد دفعتُ كل هذه الأراضي ليد نبوخذ نصّر ملك بابل عبدي وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليخدمه، فتخدمه كل الشعوب** وابنه وابن ابنه حتى يأتي وقت أرضه أيضاً فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام **ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذ نصّر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل أني أعاقب تلك الأمة.**» (إر٢٧: ٦–٨)

وواضح من هذه النبوات أن أمر تنصيب ملك أو سلطان أو رئيس على شعب ليس بالأمر العفوي أو الاعتباطي. فتاريخ البشرية داخل في أجندة الله وكل حركات التاريخ من قيام ملوك وسقوط ملوك وتغيير أنظمة وتجديد أنظمة تتحكم فيها عين ساهرة ويد مقتدرة، ليسير التاريخ وفق مخطَّط إلهي معروف لدى الله سابقاً.

بهذا المعنى يتكلَّم ق. بولس، وبهذه الروح بدأت المسيحية تأخذ هذا المفهوم العالي. وهذا كان له في العصور الأُولى موقعٌ رسميٌّ عظيمٌ لدى الشعب، فكان الملوك والأمراء المسيحيون — في بلاد الغرب — يوقعون فوق إمضائهم: «بنعمة الله»(١٤)، أي أنهم معيَّنون من الله. هنا يتضح لنا أن كلام ق. بولس كان مفهوماً بدقة في الكنيسة وفي العصور الأُولى، وكان الانسجام وكانت الطاعة بين هذه السلطات المدنية وبين عموم الشعب المسيحي كاملة — باعتبار أن طاعة الرؤساء

(١٤) لا تزال الكنيسة تستخدم هذا الاصطلاح بالنسبة للرئاسات الكنسية عامة، وخاصة بالنسبة للأسقف، ولذلك وجبت الطاعة لهم لأنهم «معيَّنون من الله»، ولكن بالأكثر الكنيسة الكاثوليكية، فهي لا تزال فيها الطاعة للرؤساء من أكثر المعايير المسيحية تشدداً واحتراماً.

المدنيين هي واجب ديني رسمي — وهذا يوضِّح لنا مدى صحة مبادىء بولس الرسول الإلهية. فإن كانت العلاقات قد اختلت بعد ذلك وساءت الأمور وفسدت السلطات وتراجعت فرحة الشعب بسلاطينها، فهذا ليس مرجعه خطأ ق. بولس بل ضياع إدراك قيمة السلطان عند أصحاب السلطان وإدراك قيمة الطاعة عند الذين وجبت عليهم الطاعة.

وإن كان الله قد سمح بقيام سلاطين طغاة فلكي يتمِّموا خطة هي في تدبير الله ذات قصد وهدف، فتعيين السلاطين الطغاة لا يقل عن تعيين السلاطين الصالحين عند الله. وهذا نراه ونسمعه جيداً في قصة فرعون مع شعب إسرائيل: «لأنه يقول الكتاب لفرعون **إني لهذا بعينه "أقمتُك" لكي أُظهر فيك قوتي ولكي ينادَى باسمي في كل الأرض.**» (رو٩: ١٧)

واضح هنا أن الله هو الذي أقام فرعون مصر، بل هو الذي قسَّى قلبه: «ولكني أقسِّي قلب فرعون وأكثِّر آياتي وعجائبي في أرض مصر» (خر٧: ٣). وذلك بتدبير منه عن قصد وغاية هامة تعود على شعب الله نفسه!!

إذاً فالسلاطين عند ق. بولس مرتَّبة من الله، بل معيَّنة ومُنَصَّبة سرًّا بحسب تدبير الله الأزلي. من هذا نفهم لماذا يُعتبر المسيحيون أنهم يطيعون الله حينما يطيعون السلطان حتى ولو كان قاسياً، فالله هو الذي يقسِّي من يشاء ويرحم مَنْ يشاء ليكمِّل أعماله: «ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت» (مز١٠٤: ٢٤)؛ وكلها غير مُدركة للإنسان لأنها تفوق قدرته في الفهم والقياس، فإن كان الله يتمم مشيئته وسلطانه بواسطة الحكام، فمن هذا أيضاً نفهم لماذا يقول ق. بولس إن السلاطين هم **خدام الله.**

«السلاطين الكائنة»: οὖσαι

«**السلاطين الكائنة هي من الله**»: المعنى هنا عميق للغاية، فليس كل سلطان هو من الله؛ بل السلطان «الكائن» أي الذي تثبَّت في ملكه بإقرار من الشعب وارتضاء الجميع، سواء بالإجماع أو بغير الإجماع، المهم أنه قد ثبَّت سلطانه وباشر مهام رئاسته بالفعل.

فلو فرضنا أن ثورة اشتعلت من الشعب — (وطبعاً يكون ذلك في غياب الكنيسة والمسيحيين بمفهومهم الديني، ولكن كمواطنين وجب عليهم الاشتراك ولكن ليس تحت أي شعار مسيحي) — وأن هذه الثورة أطاحت بالوالي ونصَّبت والياً آخر؛ **فالكنيسة أو الإنسان المسيحي لا يمنح ولاءه أو طاعته إلاَّ بعد أن يتثبَّت الجديد وتعلن صحة رئاسته ويتولَّى مهام أمره**، وحينئذ تخلي

الكنيسة يدها وكل مسيحي من طاعة الوالي القديم الذي نُحّيَ عن الحكم. هذا هو معنى أن الطاعة واجبة بالنسبة للسلاطين «**الكائنة**».

٢:١٣ **«حتى إن مَنْ يُقاوِمُ السلطانَ يُقاوِمُ ترتيبَ الله والمقاوِمون سيأخذُون لأنفُسِهِم دَينونةً».**

«حتى»: ὥστε

كلمة **«حتى»** هنا هي تعقيب على أن السلاطين مُرتَّبة (مُعيَّنة) من الله، والمعنى المتسلسل هكذا: والسلاطين مرتبة من الله حتى إن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم الله.

«يقاوم»: ἀντιτασσόμενος

يلاحظ في اللغة اليونانية العلاقة بين يخضع ويقاوم: هو تغيير البادئة فقط:

يخضع ὑποτάσσω، يقاوم ἀντιτάσσω أي ὑπο يأتي ضدها ἀντι. وهنا يلذ لنا أن نرجع إلى اللغة أيضاً فهي تشرح بسهولة كل المعنى.

فالذي **يخضع** = ὑπο يخضع لمَنْ هو عالٍ ὑπερ، والعالي هو عالٍ **لأنه من الله** بل ومرسوم **ومعيَّن من الله** والله هو الذي أقامه.

والذي يقاوم = ἀντι هو يقاوم العالي الذي من الله الذي رتبه الله، أي هو يقاوم الله. ولكن لا يقاوم الله في ذاته بل يقاوم ترتيب الله διαταγῇ والذي يقاوم ترتيب الله يهلك نفسه.

«والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة»:

«دينونة»: κρίμα

مخيف هذا الوعيد، إذا أُخذت كلمة κρίμα على أنها دينونة روحية أبدية، كالتي جاءت مثلاً «الذي يأكل و يشرب بدون إستحقاق يأكل ويشرب دينونة κρίμα لنفسه غير مميِّز جسد الرب» (١كو١١: ٢٩) ولكن كلام ق. بولس بعد ذلك يوضِّح أنها دينونة من قبل الحاكم نفسه (كما ستوضحه الآية القادمة).

٣:١٣ **«فإن الحكَّام ليسوا خوفاً للأعمالِ الصالحةِ بل للشريرة. أفتُريدُ أن لا تخافَ السلطانَ؟ افعل الصَّلاحَ فيكونَ لكَ مَدْحٌ منه».**

للأعمال الصالحة ــ للأعمال الشريرة τῷ ἀγαθῷ X τῷ κακῷ = الصلاح × الشر:

ق. بولس يؤسس في الشعور واللاشعور إحساساً طيباً بالحكام حتى من هذا الشعور واللاشعور يستطيعون أن يكوِّنوا علاقات طيبة بالحكام. فهو يعطيهم الانطباع أن الحاكم ليس مخيفاً للرجل الصالح وهم بطبيعتهم صالحون، فليس من داعٍ بالمرة للخوف من الحاكم، ولكن الحاكم مخيف حقاً للشرير، ونحن لسنا أشراراً. ثم يعطي الإجراء الإيجابي لتكون بيننا وبين الحكام مودة ومديح متبادل وهو أن نمارس أعمال الصلاح. وطبعاً لا يقصد ق. بولس هنا الأعمال الروحية، ولكن الأعمال الاجتماعية الخيرية التي تفرِّح الحاكم، كالاشتراك في مساعدة الفقراء والمعوزين وأعمال النجدة والتبرع للمشروعات الخاصة بالدولة والاستجابة السريعة لأي نداء للمعونة من جهة الحاكم. وهكذا فبالصلاح الذي أوتيناه من قبل أخلاقنا المسيحية وطاعتنا ووداعتنا ومحبتنا للآخرين وبذلنا بلا حساب، يكون لنا المديح منه ويكون لنا الثقة والمودَّة معه. إذاً، فوضعنا المسيحي بالنسبة للدولة والحكام عموماً هو وضع جيِّد ومضمون النتائج، لأننا نحمل مؤهِّلات أخلاقية كلها في صالح الدولة والحكام.

ولكن ق. بولس لم يذكر العكس وهو حالة الحاكم الذي يمدح الشرير ويسيء إلى الصالح: «خذ هذا (المسيح) وأطلق لنا باراباس» (لو٢٣: ١٨). هنا في الحال تنبري أخلاقنا المسيحية التي على مستوى المسيح في احتمال الشر والشرير والدعاء له والغفران، بل والمحبة القلبية المكتومة وقبول الإساءة الظالمة وكأنها إكليل وقبول الظلم حتى إلى الموت! فالمسيحي بالحقيقة لا ينتفع بالمديح ولكنه ينتفع بالإساءة: «ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً» (لو٦: ٢٦). والكلام في هذا يشمل الإنجيل كله. أما الوالي الصالح فيمثِّل الله حقاً.

٤:١٣ **«لأنه خادمُ الله للصلاح. ولكن إن فَعَلْتَ الشَّرَّ فخَفْ لأنه لا يحملُ السيفَ عبثاً إذ هو خادمُ الله منتقمٌ للغضبِ من الذي يفعلُ الشَّرَّ».**

هذه حقيقة قد يعرفها الحاكم أو لا يعرفها أنه مُعيَّن من الله أساساً لكي ينشر الصلاح ويؤمِّنه ويؤمِّن الناس عليه ويشجِّعهم على عمله، ثم أيضاً يحميه بسيفه أي بسلطانه. وهذا في الحقيقة وإن خفي على أفهام معظمنا فهو لا يخفى على عارفي الله الدارسين لكلمته والذين يتتبعون أعماله ويدرسونها، ففي سفر إشعياء أقوالٌ بهذا المعنى في غاية الحكمة والعجب: «ويل لأشور قضيب

غضبي والعصا في يدهم هي سخطي (الله استخدم أشور لتأديب الأمم ومنهم إسرائيل) على أمة منافقة أرسله (إسرائيل) وعلى شعب سخطي (إسرائيل) أوصيه. ليغتنم غنيمة وينهب نهباً ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة. أما هو فلا يفتكر هكذا (أي لا يعلم أنه مسخَّر من الله للتأديب، بل يظن في نفسه الحكمة والعظمة والقوة فقط)، ولا يحسب قلبه هكذا بل في قلبه (يظن) أن يُبيد ويُقرض أمماً ليست بقليلة. فإنه يقول ... أليست السامرة (شمال يهوذا وأورشليم) مثل دمشق؟ كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة التي هي أكثر من التي لأُورشليم وللسامرة. أفليست كما صنعت بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها (كان يعتقد وهو يحطم الهيكل في أورشليم أنه يحطم أوثاناً لأنه لا يميِّز في فكره بين عبادة إسرائيل وعبادة الأمم فحطَّم هذا وذاك، والمقصود من الله أنه يؤدب أورشليم). فيكون متى أكمل السيد (الرب) كل عمله (تخريبه) بجبل صهيون وبأورشليم أني أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه، لأنه قال بقدرة يدي صنعتُ وبحكمتي، لأني فهيم (هكذا في النهاية وبعد أن أكمل الله به كل ما أراده من معاقبة أورشليم على فسادها أنه استدار على ملك أشور وعاقبه على تكبُّره وافتخاره على الله حين اعتبر نفسه وكأنه الله يصنع ما يشاء مع أنه كان كخادم لله لتنفيذ أوامر محددة لله) ... هل تفتخر الفأس (البلطة) على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مُردِّده؟ كأن القضيب يحرك رافعه؟» (إش١٠: ٥ــ١٥)

هذه صفحة من نبوة إشعياء تشرح بأجلى بيان أن الملك والحاكم ورئيس الجند إنما هو خادم مشورة الله وكعصا في يد القدير، يؤدب به من يشاء، وكذلك بسلطانه العالي يمدَح ويكرِّم من يشاء الله أن يمدحه ويكرِّمه. لهذا فالسيف الذي يحمله لا يحمله من ذاته ولا عبثاً يحمله، بل ليحركه بالتأديب لمن يرى الله تأديبه، كل مَنْ وقع تحت غضب الله.

لهذا يقول ق. بولس احترس من أن تصنع الشر، والشر هنا ليس شرًّا روحياً، بل تعدياً على قوانين الدولة ومصالحها وكرامتها أو سبّاً أو إهانة لحاكمها أو مقاومة لمشيئته أو اختلاساً لحقوق الدولة من ضرائب وأموال مطلوبة أيّاً كان بندها. فالشر هنا هو كل ما تعتبره الدولة تعدياً على حقوقها أو قوانينها أو أنظمتها، سواء كان ذلك مناسباً لفكر الإنسان الخاص أو غير مناسب، أو متمشياً مع مطالب الحق في نظرك أو غير مُتَمشٍّ.

«لأنه خادم الله للصلاح»:

«للصلاح»: σοὶ εἰς τὸ ἀγαθόν

الترجمة العربية أسقطت σοι وتعني «لك»، فالمعنى الصحيح هو «لأنه خادم الله لصالحك»

أو لما هو صالح لك. فهنا تخصيص صلاح الحاكم للإنسان المسيحي ــ وهو المخاطب في الآية السابقة ــ يعطي انطباعاً أنه مهما عمل الحاكم سواء مَدَح أو أهان فهو لصالحك، إلاّ في حالة واحدة هو أنك إذا أنت بادرت بالإساءة إلى الدولة بعمل ما هو شر في عُرْفها! فحينئذ تكون تحت غضب الله وتنال التأديب من الحاكم وربما من الله نفسه!

«يحمل السيف»: μάχαιραν φορεῖ

توجد كلمتان تفيد معنى السيف، الأُولى μάχαιρα وهو الخنجر ذو الطرف المعقوف ويلبسه الملوك والعظماء، ويوجد السيف المعروف لنا ξίφος وهو ذو النصل الطويل، وهذا لا يحمله إلاّ المسلطون على أرواح الناس. وتوجد كلمتان لحمل السيف، الأُولى φορεῖ والأخرى φέρει، فأن يلبس الحاكم السيف بصفة دائمة فهذه علامة على السلطان والرئاسة والعظمة، فالإمبراطور يحمل الخنجر في جنبه أينما صار كمظهر للسلطان، فتفيدها الكلمة φορεῖ التي استخدمها ق. بولس؛ أما مَنْ يحمل الخنجر (السيف) كما يجيء في الكلمة φέρει فهي بمعنى الاستعداد لتنفيذ السلطان الذي يتضمن توقيع العقوبة أي الموت[١٥].

«خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر»:

«غضب ــ منتقم»: ὀργήν — ἔκδικος

هنا حالة فريدة بالنسبة للإنسان المسيحي، وهي أن يفعل الشر بالنسبة للدولة كأن يكسر نظامها أو يخونها أو يختلس أموالها أو يتجسس عليها. هنا يقع المسيحي تحت الغضب. ومن جهة كلمة الغضب ὀργήν اختلف المفسِّرون والعلماء، فمنهم مَنْ قال إنه غضب الله[١٦] ومنهم مَنْ قال إنه غضب الحاكم[١٧]. والحقيقة في نظرنا واضحة هنا بمعنى أن عمل المسيحي للشر يوقع نفسه تحت غضب الله لا محالة، وعقوبة ذلك ــ أو الانتقام ــ هو على المستوى الأخروي لأن الله لا يدين أحداً الآن فللدينونة يومٌ آتٍ: «أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه (يزني مع امرأته) في هذا الأمر لأن الرب مُنتقم ἔκδικος لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا» (١تس٤: ٦) وفي نفس الوقت، فالشر الذي يعمله الإنسان المسيحي بالنسبة للدولة ونفترض أنه نفس الشر الذي ينتقم منه الله كالزنى، فإن الحاكم سوف ينتقم لقانون الدولة الذي كسره ذلك الإنسان متعمداً. وبذلك نرى أن المسيحي الذي يعمل شراً يسيء به إلى الدولة فإنه يقع تحت غضبين: غضب الله وغضب الحاكم، وينال عقوبتين الأُولى هنا والثانية يوم الدينونة.

15. Cranfield, pp. 666,667.
16. Barrett, Leenhardt, Morrison cited by Käsemann, p. 358.
17. Lagrange, Leenhardt, Morrison cited by Käsemann, p. 358.

٥:١٣ **«لذلك يَلزَمُ أنْ يُخضَعَ لهُ ليسَ بسببِ الغضبِ فقط بل أيضاً بسببِ الضميرِ».**

هنا ق. بولس يراجع ما فات بكلمة **«لذلك»** أي من واقع أن **الحاكم هو خادم الله**، ومن واقع **أنه مُرسل من الله لأداء رسالة ربِّها الله للإنسان**، ومن واقع أنه **مسلَّح بسلطان من الله** وأنه يحمل السيف ليحكم على كل تعدٍّ، فإن كان الإنسان الذي لا يؤمن بالله عليه أن يخاف من العقوبة فلا يتعدّى قوانين الدولة بل عليه أن يخضع لكل أحكامها، **فالمسيحي ليس من أجل الخوف يخضع ويطيع بل من أجل الضمير، لأن وراء أحكام الدولة أحكاماً سماوية من الله.**

«يلزم»: ἀνάγκη

إلزام الخضوع هنا تزكّيه الأخلاق المسيحية ويزكّيه الضمير الذي استنار بمعرفة الله وبالدينونة المزمعة أن تكون على المضادين. وهكذا فإن كلمة «يلزم» هنا بالنسبة للمسيحي هي تحذير خطير حتى لا يستهين قط بقوانين الدولة فلا يتعدّى عليها مهما كانت تافهة، لأن محاكمة الدولة إن غابت فوراءها محاكمة الضمير، ومحكمة الضمير إن لم تُعقَد هنا فسوف تُعقد هناك يوم الدينونة.

ق. بولس يتكلم بمنتهى الاختصار، ولكن كلماته تحوي مبادىء وتحيط بأصول أخلاقية إن تمسّك بها الإنسان أمّن خلاصه لنفسه، وإن استهتر بها انزلق في تعديات ستُحسب عليه روحياً.

«أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»

٦:١٣ **«فإنكم لأجلِ هذا تُوفُونَ الجِزيَةَ أيضاً. إذْ هُم خُدَّامُ اللهِ مواظِبونَ على ذلكَ بعَيْنِه».**

الحديث متصل وق. بولس يوقفنا هنا أمام محكمة الضمير!!!

«لأجل هذا»: διὰ τοῦτο γὰρ

إنه ليس عن خوف تخضعون وتطيعون بل **من أجل الضمير** والأخلاق والله الذي هو وراء هؤلاء الحكام، لأجل هذا أنتم تعطون الجزية.

«توفون الجزية»: φόρους τελεῖτε

هنا ق. بولس يفتح ملف الضرائب الذي هو رأس مال الدولة وعَصَب قوتها ومصدرها الوحيد

للقيام بمسئولياتها الإنسانية والاجتماعية والأمنية والتنظيمية والدفاعية أيضاً. حيث إزاء قوانين الدولة ومعاييرها في الضرائب المفروضة (وسيأتي معها أيضاً في الآية القادمة العوايد) لا يوجد ضابط ولا رابط ولا ضامن لها عند المواطن المسيحي **إلاّ الضمير**. وق. بولس في خلفية تفكيره ما يكنّه اليهود من كره ومقاومة لهذه الضرائب، فهي أثقل واجب على نفسية اليهودي بل أشدّ إهانة بعظمة سيادته على الشعوب والأمم الأخرى «الكلاب» في عُرفه!! فكانوا يقاومونها ويتهرَّبون منها حيث كان اعتقادهم أنها عبودية للشيطان والكلاب أي الأمم. القديس بولس هنا يرسي حجر الأساس في علاقة المسيحي بالدولة على أساس أنه مواطن منتفع ومؤيِّد ومسئول، فالضرائب بالنسبة له عملٌ حيوي على مستوى الشرف والمروءة والرجولة، وهو ليس عملاً وطنياً إنسانياً فحسب بل هو عمل يختص بالله أيضاً والضمير والعبادة لله الذي أقام هؤلاء الحكام ليخدموا الإنسانية التي تحت مسئوليتهم. إذاً، فاستيفاء الضرائب هو داخل في خدمة رفيعة المستوى إذ يختص بالعناية بحياة الناس وصحتهم وأمنهم وسلامهم في خدمة مشتركة تقوم بها الدولة كمسئولة أمام الله.

«إذ هم خدّام الله»: λειτουργοὶ γὰρ θεοῦ

هنا ق. بولس يكشف بقوة وتركيز على نوع خدمة الحكام في جمع الضرائب، ففي الآيات السابقة وصف خدمتهم بالنسبة لله كمجرد خدام الله θεοῦ γὰρ διάκονος، ولكن خدام الله هنا جاءت λειτουργοί حيث الـ «ليتورجوس» هو خادم عبادة الله، خادم تمجيد الله، خادم هيكل وكنيسة. إلى هذا الحد رفع ق. بولس من شأن الحكام أثناء خدمتهم لجمع الضرائب إذ اعتبرها عملاً إلهياً يختص بخدمة الله فسمّاها ليتورجية!!! هذا ليس مغالاة في تمجيد الحكام بل تمجيد في قيمة جمع الضرائب لحفظ حياة البشر، فالحكومات أدوات في يد الله يقوم بواسطتها بعمله الإلهي في حفظ الإنسان والترقي به والامتداد بنسله عبر الزمن ضد الكوارث والمجاعات والأوبئة والفيضانات والزلازل والحروب المدمّرة. المال هنا في يد الدولة هو جزء لا يتجزأ من ميزانية الله المالية التي يصرف منها على قيام ودوام الإنسان على الأرض خاصة المحرومين والفقراء والضعفاء.

أنظر عزيزي القارىء وراجع نفسك في مفهومك لدفع الضرائب واحترامك وتقديرك لمأمور الضرائب!! الشكوى مرّة وصلت لعنان السماء من مغالاة مأموري الضرائب في تقييمهم للضريبة، ولكن الحقيقة أنه كل مَنْ أعطى الدولة حقها تماماً في الضريبة، عاد عليه ذلك بالمديح والكرامة، وصار مأمور الضرائب معه أعزّ صديق وأكرم رفيق. أعرف طبيباً في عاصمة من عواصم البلاد طلبوا منه حساباته فقدّمها صحيحة بكل دقة، ففرضوا عليه ضريبة ربما تساوي أرباحه، فذهب ومعه المبلغ وقدمه لهم دون توسّل لتخفيض أو منازعة، فكان اندهاشهم منه شديداً وقالوا له بالحرف

الواحد: ليس طبيب في المدينة كلها قدَّم ما قدمت وكلهم أصحاب عيادات كبيرة وذوو أسماء لامعة، فكان ردّه: هذا حقكم. ثم إذ صدر بعد ذلك قانون لزيادة النسبة في الضرائب بأثر رجعي، حسبها من تلقاء نفسه وذهب بالمبلغ كله ليورِّده، فقاموا في وجهه معترضين لأنه سيفضح أكبر الأطباء، وطلبوا منه أن يخفِّضه فرفض، فكتبوا نيابة عنه التماساً باسمه دون أن يضع هو فيه كلمة واحدة، وأرسلوه للإدارة فخصمت له ما خصمت وردّت له الباقي. لم تنخفض عائدات هذا الطبيب بل زادت وزادت، ولم يفتقر بل اغتنى بالله والناس ولم يتنازع مع مصلحة الضرائب بل صار معها ولها كأعز الأصدقاء، لماذا؟ لأنه عامل مصلحة الضرائب كما يعامل الكنيسة، حقها كحق الله!!

٧:١٣ **«فأعطوا الجميعَ حقوقَهم: الجزيةَ لمَنْ لهُ الجِزيةُ، الجِبايةَ لمَنْ لهُ الجِبايةُ، والخوفَ لمن له الخوفُ، والإكرامَ لمن له الإكرامُ».**

وهذه الوصية ــ أعطوا ἀπόδοτε ــ جاءت لتجمع ما قيل في الآيات (٥و٦) وهي تساوي قول الرب: «أعطوا ما لقيصر لقيصر» (مت٢٢: ٢١)، حيث جاءت **أعطوا** بنفس التعبير ἀπόδοτε.

«الجميع»: πᾶσιν

وهم خدام الله للضبط διάκονοι وخدام الله لجمع الأموال λειτουργοί. هنا «الجميع» التي يقصدها ق. بولس هم **ضباط** الضرائب، **وضباط** العوايد، **والضباط** العظام الواجب لهم الخوف **والضباط** الأقل والواجب لهم الإكرام.

«أعطوا، الحقوق»: ἀπόδοτε, ὀφειλάς

هنا تلاقي حقوق الدولة مع واجبات المسيحي كمواطن مجموعة معاً، حقوق إزاء عطاء، حقوق الدولة مجموعة معاً هي الضرائب والعوايد والخوف والإكرام.

الضرائب والعوايد: φόρον, τέλος

أما العوايد فهي الأموال المفروضة على العقارات الثابتة والمنقولة كالأرض والمباني، وأما الضرائب فهي المفروضة على البضائع والأرباح والدخول.

«أعطوا»: ἀπόδοτε **ما لهم أو حقوقهم** ὀφειλάς:

«أعطوا» وحدها تفيد مجرد العطاء ولكن إضافة كلمة «ما لهم» ὀφειλάς جعلت العطاء هنا

دَيْناً على المواطن المسيحي. فإن كان للحكومات حق، فإنه يصبح دَيْناً في رقبة المسيحي، عليه أن يؤدِّيه وإلاَّ يُحسب مختلساً في نظر الدولة وفي نظر الله، لأن أصحاب الديون هم خدام الله الصانعون إرادة الله. الإنسان يجمع من عرق جبينه و يعطي، والحكومات تأخذ وتصرف لحاجات الشعب، وهو منظر إلهي في الحقيقة و بديع يشبه نزول المن من السماء، فالمكثِّر كالمقلِّل، بالنهاية لا يفضل شيء (٢كو٨: ١٥) لكي تكمل مشيئة الله فقط.

«الخوف»: φόβον

تقديم الخوف للحكام، ظهرت إزاءه إعتراضات من المفسِّرين، لأن ق. بولس نبَّه سابقاً أن الخوف من الحكام إنما يكون بسبب عمل الشر. كذلك في كل مواضع الأسفار بالنسبة للخوف فإنه جاء فقط مقدَّماً لله وحده مع التحذير من الخوف من الناس «أما خوفهم فلا تخافوه» (١بط٣: ١٤). وكذلك بطرس الرسول يفرِّق بين الإكرام والخوف فيجعل الإكرام للحكام والخوف لله: «أكرموا الجميع، أحبوا الإخوة، خافوا الله، أكرموا الملك» (١بط٢: ١٦). وقد ذهب المفسرون في ذلك كل مذهب وتعصب كثير منهم أن الخوف لله فقط. ولكن من جهتنا نرى أن الخوف لا يأتي بمعنى واحد بل يأتي على عدة مستويات، فيوجد خوف نفساني وخوف جسداني وخوف وجداني، خوف من المجهول وخوف أمام الكوارث وخوف ينشأ من الضعف وخوف ينشأ بسبب تهديد القوة الغاشمة. فكلمة «الخوف» إنما تتشكَّل بحسب المناسبة، فالخوف من الحكام بسبب الإحساس بضعف الذات هذا مركب نقص فهو خاطىء، والخوف بمعنى المخافة من الهيبة الزائدة يعتبر خطأ لأنه ينشأ كمركب نقص أيضاً. وق. بولس هنا يعطي للخوف معنى ما يستحقه الحاكم تماماً، لا لأنه إله ولا لأنه شيطان بل لأنه خادم الله بالدرجة الأولى. فالخوف الذي تنص عليه وصية ق. بولس بالنسبة للحكام العظام كالإمبراطور أو القواد الكبار هو أصلاً ممتد ليأخذ أصوله وأسبابه من أن هؤلاء معيَّنون من الله كخدَّام لتنفيذ مشيئة الله. فالخوف هو تجاه مشيئة وإرادة أعلى من مشيئتهم وإرادتهم.

[١٣: ٨–١٠] رفع الوعي المسيحي لتعامل الجماعة بعضها مع بعض لاقتلاع أسباب الخطايا

المسيحي والالتجاء إلى المحاكم

«كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق لئلا يسلِّمك الخصم إلى القاضي ... الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير.» (مت٥: ٢٥و٢٦)

على كل إنسان دَيْن محبة نحو الآخرين، فإذا انشغل كل إنسان في أن يوفيه، وهو لن يستكمله أبداً، فلن يقع إنسان ما في خطية ما.

والنتيجة: + وقف الاستدانة المالية أو ما يماثلها.
+ القضاء على الزنا.
+ القضاء على القتل.
+ القضاء على السرقة.
+ القضاء على شهادة الزور.
+ القضاء على شهوة ما للغير.

في هذه الثلاث الآيات (١٣: ٨–١٠) لا يذكر ق. بولس كلمة «المحاكم»، ولكنه يستبعدها عملياً بأن يعطي وصية المسيح الأُولى والعظمى لتجنب الإنسان النزاعات والخصومات؛ بل والجرائم التي تؤدي حتماً إلى المحاكم. وقد وضع ق. بولس سابقاً أساس التعامل الإيجابي العام بالنسبة للخارجين أولاً والذي يجنِّب الإنسان الخصومات.

١ – «كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير.» (رو١٢: ٩)
٢ – «لا تجازوا أحداً عن شرٍّ بشرٍّ.» (رو١٢: ١٧)
٣ – «إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس.» (رو١٢: ٨)
٤ – «لا تنتقموا لأنفسكم، أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب.» (رو١٢: ١٩)
٥ – «لا يغلبنَّك الشَّرُّ، بل اغلب الشَّرَّ بالخير.» (رو١٢: ٢١)

ثم يعطي هنا وصية لما بين الإخوة بعضهم مع بعض لقطع دابر الخصومات من أصولها التي

تؤدي بالفعل إلى المحاكم. والوصية تتركز في الاحتراس من الاستدانة، وتحاشي الإساءة للآخرين، وذلك بتنشيط المحبة كلفة تعامل.

٨:١٣ «لا تكونوا مديونين لأحدٍ بشيء، إلاَّ بأنْ يُحب بعضُكم بعضاً، لأنَّ مَنْ أحبَّ غيرَه فقد أكمَلَ الناموسَ».

الآية تنقسم إلى نصفين، النصف الأول وهو الخطير، وهو الذي يؤدي إلى الخصام ثم الخصومة ثم النزاع ثم المحكمة للفصل. القديس بولس لا يرى في المنهج الإيماني المسيحي داعياً للخصومة أصلاً، وبالتالي وبالأَوْلى دخولَ المحاكم. ففوق ما قدَّم ما ق. بولس في بداية الأصحاح من وصايا عن اجتناب الشر والعداوة والخصومة العامة بالنسبة للأعداء، فإنه هنا يقدِّم وصية للمعاملة بين الإخوة في المسيح. فلكي يجتزَّ المسيحي كل جذور المنازعات المالية، أعطى ق. بولس وصيته أن لا يكون الإنسان مديوناً لأحد سواء بأموال أو بما يوازيها. فمن الأساس لا يستدين، هذه نصيحة عظيمة في حد ذاتها، وذلك مهما كانت الحاجة. فالأفضل أن تبقى معتازاً من أن تبقى مديوناً، الأفضل أن تبقى فقيراً محبوباً من أن تستدين فتصير مكروهاً. والدَّيْن كما يقول أهل العلم، همٌّ بالليل وذلٌّ بالنهار! فلماذا الهم والذل ومعاناة البغضة؟ لا تكونوا مديونين لأحد بشيء على أي وجه مهما كان.

وق. بولس لا يترك الإنسان بدون نصيحة إلهية عن كيف لا يستدين، وهو أن يشتغل بالمحبة أخذاً وعطاءً. فالمحبة الأخوية عديمة الغش والرياء لا تترك الإنسان المحبوب معتازاً ولا تجعل الإنسان الغني يترك المعتاز دون معونة. فالمحبة في المسيحية بنك ادخار يعطي فيه من فاضت أمواله عن الحاجة، ويسحب المعتاز منه ما نقص عن الحاجة. وبنك الحب كالمن السماوي مصدره إلهي والكل يأخذ بين مُكثر ومُقلل، هكذا المحبة تُغني ولا يزيد معها تعب. المحبة في المسيحية تصيِّر كل واحد غنياً بالآخر، وبالنهاية الله يُغْني الكل. لقد حققت الكنيسة الأُولى صدق وصية ق. بولس: «وجميع الذين آمنوا كانوا معاً، وكان عندهم كل شيء مشتركاً، والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج» (أع٢: ٤٤و٤٥)، «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة (المحبة) ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له (هذا فعل المحبة) بل كان عندهم كل شيء مشتركاً» (أع٤: ٣٢). كان الفقير والمحتاج يطلب بقلب طيب وبعين متضعة، والغني يعطي دون شعور بالتعالي ودون أن يعتقد أن ماله هو له خاصة بل هو مال المسيح: «مَنْ أراد أن يقترض منك فلا ترده» (مت٥: ٤٢)، «مَنْ أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك

فاترك له الرداء أيضاً» (مت٥: ٤٠)، «لأني جعتُ فأطعمتموني، عطشتُ فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني.» (مت٢٥: ٣٥و٣٦)

ثم بعد ذلك كيف أن ذا الحاجة يستدين؟ ولماذا يستدين؟ ومَنْ ذا الذي يحسب عليه ما يأخذه كأنه دَيْن؟

«لأن مَنْ أحبَّ غيره فقد أكمل الناموس» كيف؟

كانت علاقة الإنسان بالله تقوم على الناموس، ولما جاء المسيح صارت علاقة الإنسان بالله تقوم على الإيمان بالمسيح!!

كذلك قبل أن يجيء المسيح كانت علاقة الإنسان بالإنسان تقوم على أساس الناموس بأحكامه الرادعة، فلما جاء المسيح صارت علاقة الإنسان بالإنسان تقوم على المحبة، وهكذا حلَّت المحبة عوض الناموس رسمياً، أكملت كل حقوقه وواجباته فصار مَنْ يحب أخاه من قلب طاهر بشدَّة يكون قد أكمل الناموس!!

والمعنى: حينما يبلغ الإنسان إلى قامة المحبة في المسيح يكون قد أكمل الناموس بنفس المعنى الذي قاله المسيح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل **لأُكمِّل**» (مت٥: ١٧)، وقد أكْمَلَ فعلاً على الصليب. فالمسيح بموته لأجل الخطاة ـ والإنسان عامة هو خاطىء ـ يكون قد غفر كل خطاياهم، وبقيامته يكون قد برَّرهم. وهكذا أكمل كل مطالب الناموس ووصاياه التي كان لا يمكن لإنسان أن يكملها. فنحن حينما ننال **«حب»** المسيح الذي مات به من أجلنا ونكون مستعدين أن نموت أيضاً: «نضع نفوسنا لأجل الإخوة» (١يو٣: ١٦) نكون قد أكملنا كل وصايا الناموس حتى الكمال.

ومرة أخرى كان الإنسان مرتبطاً بالله بواسطة الناموس، والآن صار مرتبطاً بالله بالإيمان بالمسيح، فالمسيح جاء بدل الناموس، بمعنى أن المسيح حلَّ بدل الناموس أي أكمله. والإنسان في الناموس كان مرتبطاً بالإنسان قريبه بوصايا الناموس، والآن صار مرتبطاً بالمحبة، فالمحبة جاءت بدل الناموس بمعنى أغنت عنه وأكملته. فالمحبة هي كمال الناموس **وأكثر.**

«قد أكمل الناموس»: πεπλήρωκεν

«أكمل»: هذا فعل كامل تام يعني أن التكميل كمل وانتهى، بمعنى أن الذي يحب أخاه وكل أخ في المسيح وخارج المسيح يُحسَب على مستوى العهد القديم أنه أكمل كل وصايا الناموس

بالكامل وانتهى منها، الأمر الذي عجز عنه جميع شعب إسرائيل بأنبيائه وقديسيه حتى إن الله: «أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع» (رو١١: ٣٢)، «الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو٣: ١٢)، «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله (الناموس)» (أع١٥: ١٠). فهذا الناموس العاتي (أي الشديد القسوة) بوصاياه التعجيزية والذي لم يفلت واحد منه دون أن ينال على يديه حكم الموت بسبب تعديه على الوصايا، التي إن أخفق في واحدة منها يكون قد أخفق في الكل، هذا الناموس الذي تحدى جميع الأجيال السالفة ووضعهم تحت العصيان، يصبح الإنسان المسيحي الذي **«أحبَّ الإخوة»** مكملاً لهذا الناموس ككل، وليس ذلك فقط بل ويكون قد انتقل من الموت إلى الحياة: «قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة.» (١يو٣: ١٤)

المحبة المسيحية لا تقف عند محبة المسيحي فقط، هذه محبة يهودية التي تقول: «تحب قريبك وتبغض عدوك». المحبة المسيحية لا يقف أمامها عائق يمنعها من عملها، لا أخ مخالف في الرأي، ولا مخالف في العقيدة، ولا مخالف في الدين، ولا مخالف في المحبة. فلا العدو يوقفها عن عملها ولا الإساءة ولا تهديد الموت ... لماذا؟ لأنها ليست محبة من داخل الإنسان وقلب الإنسان وفكر الإنسان؛ بل هي: «محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا» (رو٥: ٥). فكل «مَنْ لا يحب لا يعرف الله.» (١يو٤: ٨)

إن كل أعمالنا بدون المحبة لا تساوي شيئاً كما يقول الأصحاح (١٣) من رسالة كورنثوس الأولى! بل كل جهادنا الروحي وصلواتنا ودموعنا وصومنا، بدون المحبة الأخوية الطاهرة، ليست شيئاً! بل إنه بدون المحبة نكون مُطالَبين بكل وصايا الناموس لأننا في هذه الحالة لا نُحسب أننا في المسيح! أو بالحري نُحسب أننا لا نستحق المسيح! «هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم.» (يو١٥: ١٢)

٩:١٣ **«لأنَّ لا تَزْنِ، لا تقتُلْ، لا تَسرِقْ، لا تشهد بالزُّورِ، لا تشتهِ، وإن كانت وصيةً أخرى، هي مجموعةٌ في هذه الكلمةِ أن تحبَّ قريبَكَ كنفسِكَ».**

كيف:

لا تزن: (خر٢٠: ١٤، تث٥: ١٨).

لا تقتل: (خر٢٠: ١٣، تث٥: ١٧).

لا تسرق: (خر٢٠: ١٥، تث٥: ١٩).

لا تشهد بالزور: (خر٢٠: ١٦، تث٥: ٢٠).
لا تشته: (خر٢٠: ١٧، تث٥: ٢١).
تحب قريبك كنفسك: (لا١٩: ١٨ — السبعينية).

ق. بولس أعطى مجموعة وصايا الناموس التي جاءت في **اللوح الثاني**، وأعطى وصية المحبة التي جاءت في سفر اللاويين. أي أنه اعتمد فقط على نصوص العهد القديم دون أية زيادة أو شرح. ولكن الذي يرفع هذه النصوص كلها من العهد القديم ليضعها في صميم العهد الجديد هو الموازنة بين هذه الوصايا ووصية «تحب قريبك كنفسك» بالتساوي، فالذي يحب قريبه كنفسه يكون قد أكمل الناموس، وهذا أمر لا يقرُّه العهد القديم ولا يفهمه ولا يستطيع أن يعمله. فكيف يتم في العهد الجديد؟

ليست المحبة فعلاً سحرياً، حتى وهي في أشد إخلاصها لا تستطيع أن تلغي شهوة الإنسان أو تضبط جموح أعصابه ووجدانه وتوقف حركة اللاشعور الذي يرتكب الخطايا دون وعي كامل أو إرادة. فالأمر هنا كما سبق وقلنا، أن ق. بولس يعتمد في إعطاء هذه الوصايا على أساس قائم جديد في الإنسان قد أكمله المسيح بالكامل، فالإنسان افتُدي من الموت واللعنة وغُفرت خطاياه بسفك دم المسيح على الصليب، وتصالح مع الله بالقيامة، ونال عهد التبني بحلول روح الله القدوس الناطق في قلب الإنسان منادياً بفم الإنسان لله يا أبَا الآب. الإنسان في المسيح نال طبيعة جديدة قادرة بالروح القدس أن توقف أعمال الإنسان العتيق وتتحكم في أعضائه. فالمحبة في العهد الجديد ليست كالمحبة في العهد القديم، هناك فارق كما بين السماء والأرض. فمحبة العهد القديم محبة يهودية ناموسية مربوطة بالجنس اليهودي فقط، وبالجسد، وبالذات، وبالنفس، فهي محبة الأنانية المرتدة كلها على الذات تُضخِّمها وتثبتها وتزيدها صلفاً ورياءً وشحاً. لذلك راعى موسى النبي في وصاياه أن تكون المحبة في حدودها العشائرية الجنسية فجاءت «تحب قريبك وتبغض عدوك»، وحينما قال موسى وصية: «تحب قريبك كنفسك»، فالقصد منها أنه كما أن اليهودي يحب ذاته حباً شديداً مادياً أنانياً، هكذا يحب قريبه على ذات المعيار، وذلك كله لحساب بقاء الجنس اليهودي!! بمعنى أنه يرتد عليه بالنفع المادي الذاتي الأناني، فهو يحب قريبه ليحبَّه قريبه حتماً وبالضرورة، فالاثنان منتفعان، وهكذا كل إسرائيل.

ومن ذلك جاءت الرابطة الشديدة الذاتية الجماعية، فصارت إسرائيل تحب ذاتها حباً جنونياً وتعادي من عاداها وما عداها عداوة جنونية. وكان القصد من ذلك أن تبقى وتعيش وتناطح الزمن

والتغيير. وفعلاً عاشت ولا تزال تعيش على هذا المعيار! وبهذا الوضع والأخلاق والصفات والمحبة الذاتية الأنانية التي تعيش بها إسرائيل اليوم تعطي برهاناً ناطقاً حيًّا كيف نجح الناموس بوصاياه أن يحفظ إسرائيل إلى اليوم نموذجاً حيًّا للناموس، ثم تظهر عيوب إسرائيل الشنيعة في هذه الذاتية المخيفة التي تقف بها لتعادي بها كافة شعوب الأرض، لتوضح قيمة رسالة المسيح وعظمة فعل الصليب والدم المسفوك والفداء الذي أكمله، هذا العمل الفائق القوة الذي إذا أردنا أن نجمعه في كلمة واحدة تكون هي: «هكذا **أحبَّ الله** العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦). هذه هي محبة الله الجديدة للإنسان، وهذه هي محبة المسيح التي دفعته إلى الصليب.

فاليهودية قامت ودامت وتثبتت على «**محبة الذات**» كأكبر عدو للبشرية كلها!! والمسيحية قامت ودامت على الصليب على «**بذل الذات**»، فاحتضنت العالم كله.

فحينما يقول ق. بولس: «من أحب غيره (ليس قريبه) فقد أكمل الناموس»، فهذا يعني أنه نال محبة الله المنسكبة في قلوبنا **بالروح القدس**، والروح القدس خِتْمُ الفداء والخلاص، يعني أن الإنسان العتيق بطباعه وأخلاقه وشهواته وكل تعدياته قد أُبطل عمله في المسيح وبالتالي أبطل الناموس بكل وصاياه. فهنا تكميل الناموس ليس أنه أكمل وصاياه واحدة فواحدة؛ بل أنه أكملها جميعها معاً وتعداها إلى ما هو أعلى منها؛ بل إلى ما هو عكسها فألغاها!!

فبدل أن كانت الوصية «لا تقتل» آخر، صار المسيحي يبذل نفسه — أي يموت — من أجل الآخر حتى ولو كان عدوَّه. وبدل أن كانت الوصية «لا تسرق» مال الآخر، صار المسيحي يتعب بيديه ليعطي ويكمل احتياج الآخر حتى ولو كان عدوَّه! وبدل أن كانت الوصية «لا تزنِ»، صار المسيحي قادراً أن يعيش من أجل الله وحباً في المسيح متبتلاً كل أيام حياته! وبدل أن كانت الوصية «لا تَشْتَهِ»، صار المسيحي قادراً أن يقمع جسده ويستعبده ويقدم أعضاءه آلات بر في خدمة الله. فمسرة المحبة المسيحية هي في أن ترى خير القريب أو تعمله، مسرة في العطاء لا في الأخذ، في البذل لا في الانتفاع، في إماتة الجسد لا في تلذذه وتنعمه، في خدمة كل إنسان للآخر لا في التعدِّي عليه.

وجه جديد للمحبة

١٣: ١٠ «المحبةُ لا تصنعُ شراً للقريبِ. فالمحبةُ هي تكميلُ الناموسِ».

بهذه الآية يكون ق. بولس قد كشف وجهاً للمحبة لم يكن معروفاً أو مُلاحَظاً من قبل، لأنه بهذا الفعل السلبي للمحبة تكون المحبة عند ق. بولس لها طاقتان، طاقة سالبية: «المحبة لا تصنع شراً للقريب»، «المحبة لا تحسد ولا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تُقبِّح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم.» (١ كو١٣: ٤ـ٦)

وطاقة أخرى إيجابية فائقة تعطي صفات جديدة للإنسان لم تكن له: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم» (مت٥: ٤٣) التي يأتي في مقابلها عند ق. بولس: «المحبة تتأنى وترفق ... تفرح بالحق وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء.» (١ كو١٣: ٤و٦و٧)

وق. بولس الذي ذاق حب الفداء: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠) كيف وبأي شعور يصنع شراً للقريب؟ أو بالحري يصنع شراً مطلقاً، وإن كان قد وضعها المسيح هكذا: «أحبوا أعداءكم» فكيف أنا أصنع شراً بالقريب؟

وإن كانت الوصية الناموسية القديمة جاءت هكذا: «تحب قريبك وتبغض عدوك»، فكيف وأنا في عهد النعمة وبر الله أعيش «أصنع شراً بالقريب».

حينما قال ق. بولس إن المحبة لا تصنع شراً، قصد بأن يعطي للمحبة معيارها المتعفف ليُظهِر أن المحبة المسيحية ليست منعكفة على ذاتها، كما قالها ق. بولس: «لا تطلب ما لنفسها»!! تنسى ذاتها وتطلب خير غيرها، ترتعب من آلام الآخرين ولا تطيق سماع الأنين.

وبتوضيح ق. بولس للعمل السلبي للمحبة يظهر لنا كيف تنازل ق. بولس مع أهل رومية ليخطو بهم الخطوات الأُولى في المحبة المسيحية. لأن «لا تصنع الشر» وصية تجيء قبل «اصنع الخير».

«فالمحبة هي تكميل الناموس»:

«تكميل»: πλήρωμα

لاحظ أن «تكميل» πλήρωμα غير πεπλήρωκεν التي جاءت في الآية (٨) «أكمل». فالأُولى كما جاءت في هذه الآية تعني التكميل بالفعل المستمر، والثانية كما جاءت في الآية (٨) πεπλήρωκεν تعني الكمال الذي تم. فحينما قال ق. بولس مَنْ أحب غيره فقد أكمل الناموس فهو هنا يقرر حقيقة وقيمة المحبة ذاتها في وجهها الإيجابي أنها الكمال وأنها أعلى من الناموس. ولكن في هذه الآية ق. بولس يعقِّب على عدم فعل الشر الذي هو لا يزال حالة جهاد المحبة، فهو إنما يحاول تكميل الناموس.

فعدم صنع الشر بالآخرين هو استخدام القوة السالبية في المحبة، وهذا يقع على عاتق اللاهوت الأخلاقي الذي يبرز طاقات المحبة العاملة في الطبيعة البشرية على مستوى الجهد والتمرين والضبط للفكر والنفس والجسد في عدم فعل الشر. وذلك يعني أن المحبة لها قوة فعل سالبي ضد الخطية والشر، وقوة فعل إيجابي لصنع الخير. القديس بولس هنا يهتم بالطاقة السالبية للمحبة التي بها نضبط أنفسنا تجاه الشر، لكي نُؤهَّل بالتالي لفعل الخير بآن واحد. فالقديس بولس أعطانا أمثلة لذلك كثيرة جداً، وعلى سبيل المثال نقدّم هذه الآيات:

+ «أقمع جسدي وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً.» (١ كو٩: ٢٧)
+ «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديّة الطمع الذي هو عبادة الأوثان.» (كو٣: ٥)
+ «إن كنتم بالروح (المحبة) تميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨: ١٣)
+ «لا تملكنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته.» (رو٦: ١٢)
+ «لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية.» (رو٦: ١٣)
+ «اهربوا من الزنا كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد لكن الذي يزني يخطىء إلى جسده.» (١ كو٦: ١٨)
+ «كل مَنْ يجاهد يضبط نفسه في كل شيء.» (١ كو٩: ٢٥)
+ «وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهي ضد الروح (القدس) والروح (القدس) ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون، ولكن إذا انقَدْتُم بالروح فلستم تحت الناموس.» (غل٥: ١٦ـ١٨)

+ «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل٥: ٢٤)
+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام.» (أف٤: ٣)
+ «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور...» (أف٤: ٢٢)
+ «اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه لأننا بعضنا أعضاء البعض.» (أف٤: ٢٥)
+ «اغضبوا (للصالح) ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً.» (أف٤: ٢٦و٢٧)
+ «لا يسرق السارق فيما بعد؛ بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي مَنْ له احتياج.» (أف٤: ٢٨)
+ «لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين.» (أف٤: ٢٩)
+ «ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث.» (أف٤: ٣١)
+ «وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين.» (أف٥: ٣)
+ «ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق بل بالحري الشكر.» (أف٥: ٤)
+ «لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها.» (أف٥: ١١)
+ «لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح.» (أف٥: ١٨)
+ «لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً.» (في٢: ٤)
+ «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة.» (في٢: ١٢)
+ «اهتموا بما فوق لا بما على الأرض.» (كو٣: ٢)
+ «اطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم.» (كو٣: ٨)
+ «لا تكذبوا بعضكم على بعض، إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو٣: ٩و١٠)
+ «محتملين بعضكم بعضاً ومُسامحين بعضكم بعضاً، إن كان لأحد على أحد شكوى، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً.» (كو٣: ١٣)
+ «وأن تحرصوا على أن تكونوا هادئين وتمارسوا أموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم أنتم، كما أوصيناكم، لكي تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج ولا تكون لكم حاجة إلى أحد.» (١تس٤: ١١و١٢)

هذه صورة من جهاد المحبة لتكميل الناموس، وواضح أنها كلها وصايا للإنضباط والتمرين واستخدام أقصى طاقات المحبة لتجنُّب الشر والخطية بكل أنواعها. وفي الواقع نجد أن في تكميل هذه الوصايا المسيحية ما هو أرفع وأعلى جداً من وصايا الناموس القديم. فوصايا الروح أعلى من وصايا الجسد، وهذه كلها وصايا الروح والقوة الفعَّالة الوحيدة التي نعتمد عليها في تكميل هذه الوصايا هي نعمة المسيح ومحبته الباذلة التي نلناها بقوة صليبه. فنحن وإن كنا نجاهد، ولكن في الحقيقة نحن منتصرون بالروح؛ بل وأعظم من منتصرين بالمسيح الذي فينا الذي أحبنا وأعطانا نعمة وقوة أن نعمل ما يرضيه. لذلك فتكميل الناموس هنا هو تكميل ناموس المحبة، الذي هو بعينه ناموس الأخلاق المسيحية!! وكما قلنا إن: «تكميل الناموس» هو الدرجة الأُولى لعمل المحبة التي يأتي بعدها «كمال الناموس» الذي هو المحبة في عملها الإيجابي الكامل الذي ينتقل من وصية «لا تصنع الشر» إلى وصية أن تصنع الخير والتي معيارها المسيحي: «**أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، صلوا لأجل** الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت٥: ٢٤)، وهو المعيار الذي يفوق ناموس الأخلاق، وهو ناموس الصليب الذي ليس له مثيل في كل العالم.

[١٣ : ١١—١٤] تمييز زمن التوبة لئلا تضيع فرصة الخلاص

[الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أُعطي له أن يحوِّل الزمن إلى خلود] الكاتب.

تمييز الزمن
العبور من الظلمة إلى النور

١٣ : ١١ «**هذا وإنكم عارفُونَ الوقتَ أنها الآنَ ساعةٌ لنستيقِظَ من النومِ. فإن خلاصنا الآنَ أقرَبُ مِمَّا كان حينَ آمَنَّا**».

«هذا وإنكم»: καὶ τοῦτο

اصطلاح يفيد أن الكلام الآتي يؤكد ويرفع من أهمية ما فات قوله. وهنا، ومن ملابسات الكلام، نفهم أنه يعقِّب على أصحاحي ١٢و١٣. بمعنى أنه فوق ما قلت لكم ينبغي أن تفهموا أنكم ملتزمون بالعمل والاجتهاد بمقتضى هذه الوصايا، خصوصاً وأن الزمن ليس في صفكم، فإنه يمرُّ بسرعةٍ خاطفة. وهذه لغة ق. بولس، فيقول لأهل فيلبي: «الرب قريب» (في٤ : ٥)، ويقول لأهل تسالونيكي: «وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلصٍّ في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاكٌ بغتةً كالمخاضِ للحُبلى فلا ينجون» (١تس٥ : ١—٣)، ويقول لأهل أفسس: «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (أف٥ : ١٥و١٦)، ولأهل كورنثوس: «الوقت منذ الآن مقصَّر، لكي يكون ... الذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧ : ٢٩—٣١)، وقد أخذ عنه بطرس الرسول: «وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت فتعقَّلوا واصحوا للصلوات.» (١بط٤ : ٧)

«الآن» ـ «الوقت»:

ق. بولس يقصد ''الآن'' بالمفهوم الأخروي، أي الحاضر المتصل بالنهاية والوقت الحاضر الذي بلغناه في سعينا الخلاصي، بين ما عمله المسيح في الماضي وما هو حتماً آتٍ في المستقبل القريب. هنا الوقت عند ق. بولس هو وقت أخروي، زمن خلاصي لا علاقة له بالعالم، حيث لا يُفهم قُرب

المستقبل والنهاية على مستوى الزمن بالأيام والسنين، ولكن بالروح حيث ظهور الرب والمقابلة والحساب.

وهذا الاصطلاح ما أهمه وما أخطره، لكي نعرف زماننا!!! أن نعرف «زمان افتقادنا» (لو١٩ : ٤٤)، وزمان افتقادنا ليس هو أمساً ولا غداً بل اليوم بل الساعة!!! المسيح بكى على أورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها، وزمان افتقادها هو هو اليوم والساعة التي كان المسيح منحدراً فيها من فوق جبل الزيتون داخلاً أورشليم ليعلن نفسه سرًّا في قلوب تلاميذه والأطفال والأتقياء أنه «الملك الآتي». أورشليم كانت لاهيةً في البيع والشراء والسرقة والمقايضات والأكل والشرب، بينما استعلان الخلاص والحياة الأبدية كان يبوِّق به الملائكة في آذان الذين لهم آذان للسمع. وأورشليم لم تسمع، ففاتها الخلاص وفاتتها الحياة الأبدية، رفضوا النور فعمَّ عليهم الظلام وخيَّم.

وق. بولس يكلِّم أصحاب الآذان الحسَّاسة ذات السمع المرهف: «إنكم عارفون الوقت أنها الآن». و ''الآن'' يا صديقي القارىء ليس الأمس ولا الغد بل ''الآن الخلاصية''، لو انفتحت أذنك الروحية لصفَّقت بيديك وقلت: ''هلمَّ تعال أيها الرب يسوع''. ''الآن'' ماران أثا!!! ''تعال أيها الرب يسوع ماران أثا'' كان يقولها الشعب الحي الذي كان يحس بساعة الخلاص تدق في قلبه في ختام كل قداس، فكانوا معاً وبصوت عال وبدموع يصرخون: ''ماران أثا تعال أيها الرب يسوع''. وكان يأتي المسيح حقاً ويدخل ويحل في القلوب ويفيض سلاماً فلم يكونوا من فراغ يسبِّحون: «قلبي دوماً يفيض سلاماً» !!!

«إنها الآن ساعة لنستيقظ»:

هنا أيضاً ''الساعة'' هي ساعة ق. بولس المشهورة، ساعة الخلاص: «هوذا الآن وقتٌ مقبولٌ هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو٦ : ٢). ما أعظم الفارق بين الإنسان في هذا العالم الغافل وبين كافة مخلوقات الأرض وحتى ملائكة السماء، فهو المخلوق الوحيد الذي أُعطي في يديه سر الزمن وسر الخلود؛ بل سر تحويل ساعات الزمن الشحيحة بالصلاة والعبادة والتقوى الروحية إلى حياة الخلود بلا حدود!

وبهذا نفهم معنى اليقظة عند ق. بولس!! فهي الخروج من ليل العالم إلى نهار الأبدية، من ضُغْطة وشحِّ الزمن إلى رحب الخلود، من عَبَثِ الدنيا وصندوقها المغلق على أصحابها الذين يلعبون في الظلام، إلى نور الله إلى صحو الحقيقة الأزلية إلى استنشاق روح الحرية في حضرة الله!! من سيرة

الخطية الحزينة المظلمة إلى سيرة أهل النور وبهجة القداسة وفرح الأبدية!

أما بلغة المسيح، فاليقظة هي القيامة من الموت، والموت عند ق. بولس هو موت الخطية. فالقديس بولس يقصدها قصداً أنها يقظة من موت الخطية. وبمفهومها اللاهوتي قيامة من الأموات!! كما عرَّفها المسيح في مثل الابن الضال: «أخاك هذا كان ميتاً فعاش» (لو١٥: ٣١). ق. بولس يتكلّم مع الإنسان الذي أطال غربته عن وطنه، إنه يطلب منه أن يستيقظ من غفلته ويقوم سريعاً ويذهب إلى الآب الواقف على الباب في انتظاره: «استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤). القديس بولس لم يستكثر أن يدسَّ ذاته بين الذين ينبغي أن يستيقظوا فيقولها بالجمع: «إنها الآن ساعة لنستيقظ (جميعاً)». لأن الساعة هي ساعة كل يوم وكل عمر وكل قامة، فهي لائقة لكل خاطىء، ومن هو الذي بلا خطية؟ «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو١: ٨). ولينتبه القارىء فالذي يقول هذه الآية هو القديس يوحنا اللاهوتي!!

«فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنَّا»:

الخلاص عند ق. بولس تمّ في الماضي ويتم في الحاضر وسيتم في المستقبل:

في الماضي: «لأنكم بالنعمة **قد خلصتم** (الترجمة الصحيحة عن اليوناني) **σεσῳσμένοι** = having been saved بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله.» (أف٢: ٨)

في الحاضر: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن **المخلَّصين** being saved = σῳζομένοις **فهي قوة الله**.» (١كو١: ١٨)

في المستقبل: «فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون **نخلص** (مستقبل) **σωθησόμεθα** = we shall be saved بحياته.» (رو٥: ١٠)

لقد عثَّر الكل في اعتقاد ق. بولس بقرب مجيء الرب. ولكن في الحقيقة الناصعة أمام كل عين روحية سليمة أن ق. بولس كان يتكلّم لا من معرفة ولا من نبوة ولا من إحصاء ساعات وأيام وسنين، ق. بولس كان يتكلّم بإحساس روحي غامر بقرب مجيء الرب لا عن اعتقاد فكري ولكن عن واقع إحساس، ق. بولس كان يحسّ بالرب حاضراً وليس آتياً فحسب، وكان إحساس ق. بولس بحضور الرب الدائم هو الذي جعله ينطق بمجيء المسيح السريع أو حالاً، وهو في ذلك ليس مخطئاً بل يود أن تكون الكنيسة في حالة استعداد وأن ينهض كل مؤمن من رقاده وينتظر مجيء

الرب بسهر روحي. فما هي خطية ق. بولس في هذا؟ ق. بولس لم يحوّل إحساسه إلى عقيدة ولكن حوَّل إحساسه إلى وعظ، فقوله بغاية الوضوح أن «الرب قريب» هو صادق جداً لأنه قريب فعلاً منه، وهو يودُّ بكل قوته أن نحسَّ بقرب الرب لكي نلتهب، كما كان ق. بولس يلتهب من واقع ويقين!!

وليس سراً، يا قارئي العزيز، أن تعلم أن بالصلاة الحارة المخلصة والدائمة أمام الرب يدخل الإنسان في نفس إحساس ق. بولس فيشعر بقرب الرب بل ويشعر أن الرب آتٍ سريعاً؟ إنها حقيقة روحية، فمجيء الرب للذين في انتظاره قريب جداً، وهذا بحد ذاته يلهب القلب ويشعل الروح. بهذا نفهم على أي أساس يقول ق. بولس إن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنَّا. فالعلاقة مع المسيح بعد التجارب والأهوال التي عاناها ق. بولس وبعد المعونات العلوية والحضور الشخصي للمسيح للمؤازرة والتشجيع وبعد العلاقات الحلوة التي نشأت بين ق. بولس والمسيح «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)، جعلت ق. بولس يتأجج قلبه بحب المسيح، فالتجارب قرّبته جداً من المسيح، والخلاص الذي تحققه بخصوص الصليب على خلفية الرقوق والتسليم والرؤى والإعلانات ازداد رنينه في قلبه وأضاء حياته، فكان كلما امتد ق. بولس في عراكه مع العالم ازداد الخلاص وضوحاً وفاعلية داخلية. فالقديس بولس يتكلّم عن واقع وشهادة أن الخلاص بمرور التجارب يصير أقرب إحساساً وفعلاً وتأثيراً في الحياة، فليس مسألة مرور زمن بل «الآن» كما اتفقنا أنها هي «الآن» الخلاصية، «الآن» في زمن الخلاص وليس في زمن العالم، **«الآن» الإسخاتولوجية المواجهة للاستعلان الأخير. «فالآن» أصبح الخلاص أكثر وضوحاً وقوة لأنه صار منعكساً من صورته النهائية** أكثر مما رأيناه يوم نلناه!

حينما يطّلع الإنسان على صورة أورشليم السمائية التي يرسمها سفر الرؤيا من بعيد بقبابها الذهبية وأبوابها اللؤلؤية ونورها الذي يشع بلا شمس ولا قمر فيملأ الكون كله بهاءً، يتأجج القلب ويتهلل بإحساس الخلاص المنبعث منها وكأنه يجذبه فيزداد رنين الخلاص في القلب ويطغى على كل صور الماضي من خبرات الخلاص التي كانت تملأ قلبه وحياته. فالخلاص الآتي يبتلع أولاً بأول كل الماضي بصوره، كلما تقدَّمنا نحوه أو بالحري كلما جُذبنا إليه ازداد قرباً وكمالاً.

أنظر، كيف أن هذا الشعور عند ق. بولس هو الذي جعله يقول إنها **الآن** ساعة لنستيقظ، **«فالآن»** عند ق. بولس لا تعوّضه السنين. وإذا فلت الآن من بين أيدينا، فالعمر كله يكون قد ذهب ولن يعود.

١٢:١٣ **«قد تناهى الليلُ وتقاربَ النهارُ فَلْنخلَعْ أعمالَ الظلمةِ ونَلْبَسْ أسلِحَةَ النُّورِ».**

معروف في التقليد جيداً مَنْ هم أبناء النور ومَنْ هم أبناء الظلام، والليل عند ق. يوحنا هو غياب المسيح، والليل عند القديس بولس هو ليل الخطية وغياب النعمة، ومن هذا نفهم ماذا يعني ق. بولس.

«تناهى الليل»: ἡ νὺξ προέκοψεν

الكلمة اليونانية تفيد أن الليل قطع مشواره. **الليل هنا هو المقابل للنوم في الآية السالفة.** و"تناهى" هنا تقابل ميعاد اليقظة، والاصطلاح شديد التعبير عن ليل الزمان الحاضر ونهار الأبدية السعيد. فالليل تعبير عن معركة الإنسان تجاه الزمن والخطية والجسد، هو لم ينتهِ ولكن تناهى أي قرب من نهايته التي على وشك أن تنفتح على اليقظة في ملء نور يوم الله الأبدي.

ولكن ليل العالم والخطية والجسد لا يعبر علينا كأننا نائمون حقاً بلا حراك، بل في نور الله الداخلي في ملء نعمة المسيح نحن نجاهد، نحن نخلع الليل كل ليل، ونلبس النهار كل فجر، ولكن ليل العالم ليس ليلة تأتي وتعبر ولكنه عمر، عمر الخطية وجهادها، عمر الضيقات بآلاماتها. الليل ينسلخ عنّا بعد أن يسلخ معه من أعصابنا وقوانا وحياتنا ما لا يعود. إنها معركة الظلمة مع النور في أعماقنا، نخلع فيها بالفعل الجسد العتيق بأعماله، وهي كلها أعمال الظلمة غير المثمرة، ونلبس الجديد الذي لا يُرى الذي يتجدد بحسب صورة الإنجيل الحسنة والنعمة ووجه المسيح الذي ينطبع عليه.

نعم، تناهى الليل وتناهى معه إنساننا الشقي العتيق، ذلك الصديق العدو والعدو اللصيق ذلك الذي ليس من صداقته بدٌّ. ليل الإنسان في المسيح أحزانه، وأحزان الإنسان المسيحي حتماً تؤول إلى فجرٍ وبشارة.

ق. بولس يبشرنا كما بشَّر إشعياء أورشليم بعد أن تناهى ليلها وهبَّت عليها نسمات فجرٍ آتٍ من بعيد:

+ «عزُّوا عزُّوا شعبي، يقول إلهكم، طيِّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه.» (إش٤٠: ١)

+ «والآن، هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل، لا تخف لأني فديتُك دعوتُك باسمك أنت لي.» (إش٤٣: ١)

+ «استيقظي استيقظي، البسي عزَّكِ يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا أورشليم (النفس تلبس الإنسان الجديد) المدينة المقدسة، لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد (خطية) أغلف ولا نجس.» (إش٥٢: ١)

«وتقارب النهار»: ἡμέρα ἤγγικεν

كلمة «تقارب» جاءت باليونانية في زمن المضارع التام الذي يدل على حدث تم في الماضي ولكنه لا يزال يتم في الحاضر بمعنى «تقارب ولا يزال يتقارب»؛ «لقد أتى ولم يأتِ بعد بالتمام»؛ «حضر ولم نره بعد»، هو في الحقيقة فعل مستقبل ولكنه يحتل الحاضر بالقوة. لقد قرب ولكنه على بُعْد قليل. القديس بولس يراه أنه نهار الاستعلان، استعلان المسيح الذي يراه ق. بولس ولكن ليس بالعيان، فهو قريب غاية القرب من الإنسان: **«أراه ولكن ليس الآن»** (عد٢٤: ١٧)، فهو قريب بالروح وبعيد بالزمن!! رؤيا في ضباب، صورة ولكن «في مرآة»، «بعض المعرفة» (١كو١٣: ١٢) ولكن ليس كلها.

«فلنخلع (إذاً) أعمال الظلمة»: ἀποθώμεθα οὖν

«إذاً» سقطت من الترجمة العربية للأسف الشديد! **إذاً οὖν** توضِّح هنا سبب أو علة عدم اكتمال الرؤيا وعدم تمام استعلان النور والحق والمعرفة. لماذا أنه قد جاء ذلك النهار السعيد ولكنه لا يزال على بُعْد؟ المسيح حاضر بالفعل ولكنه لم يُستعلن بعد، الدهر الآتي أشرق ولكن لم يستطع أن يرسل نوره، والأبدية لاح فجرها ولكن لا يزال ليل!!!

+ «صرخ إليَّ صارخ من سعير يا حارس ما (بقي) من الليل؟ يا حارس ما (بقي) من الليل؟ قال الحارس أتى صباحٌ وأيضاً (لا يزال) ليلٌ.» (إش٢١: ١١و١٢)

لماذا هذا التحرُّج الشديد في اكتمال الرؤيا والنور والنهار؟
نعم، لا يزال الجسد مدَّثراً بأعمال الظلمة، لذلك فالعين انحجبت عنها تباشير النور!

«إذاً» فلنخلع أعمال الظلمة حتى يشرق النور بالكمال، حتى يأتي الآتي ولا يتأخر: «فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج (الأخروية = زمن الأبدية والخلاص) من وجه الرب ويُرْسِلَ يسوعَ المسيحَ المبشَّر به لكم قبلُ، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد (اكتمال) كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع٣: ١٩—٢١)

«أعمال الظلمة»: ἔργα τοῦ σκότους

كل عمل للإنسان يغيب عنه نور معرفة المسيح فهو بمثابة ثوب من الظلمة تنسجه الخطية بميولها وأفكارها، يلبسه الإنسان فيثقِّل روحه ويغلِّف نفسه ويحجب عنها نور الله وبهجة الخلاص. هذه هي أثواب الليل المفصَّلة بأيدي الخطية على قامة الإنسان في معرفة الباطل واختباراته. لبسُها سهلٌ، تلتصق بالجلد وتتفاعل مع الجسد، لذلك فخلعها يكون بالدم! ما أسهل أن يسرق الإنسان ويزوِّر ويجحد المسيح ويشهد زوراً ويختلس ويكذب ويزني، في دقائق يتم كل فعل، وكل فعل من هذه يسري حالاً في النفس ويملأ الشعور ويترسب في اللاشعور هناك في الأغوار العميقة، ويتسرب إلى السلوك يلوِّنه ويلوِّثه ويتحكم في الأفكار والأمزجة والكلام والتعبير، وتصير هذه الأفعال وكأنها ميراث يزاحم الجينات الموروثة بالطبيعة في قوتها وأثرها وتوجيهها للإنسان!!

ما أسهل أن يخطىء الإنسان، ووراء السهولة هذه إجراءات للخطية أشنع من السلاسل تُكبِّل بها النفس والفكر والعادات والأمزجة؛ بل والجسد بأعضائه، وأعمال الخطية والظلمة، تنسجها الخطية وهو نائم بخيوط رقيقة لا تُرى بالعين المجردة وكأنها خيوط العنكبوت أو الأخطبوط تلفها وتلفها حول النفس، فإذا الإنسان فريسة لا يقوى على الحركة الحرَّة فلا يتحرك بعد إلاَّ بمقتضى سلطان الخطية كسيد، ومَنْ ذا الذي يستطيع أن يفكَّ نفسه وأي نفس تستطيع أن تتخلَّص من قيودها بذاتها!!؟ إلاَّ بنعمة الله وصليب المسيح و «كلمة الله» السيف ذي الحدَّين المخصَّص لمحاربة الخطية وشق قلب الظلمة وتتبُّعها في أعماق النفس: «لأن كلمة الله حيَّة وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميِّزة أفكار القلب ونياته» (عب٤: ١٢). كلمة الله سيف من نار وأعمال الخطية والظلمة مهما التفت على النفس وقيَّدتها وكأنها بسلاسل وقفلت عليها بأقفال من حديد، وبمتاريس في الأعماق من نحاس فهي لن تزيد عن رُبُط شمشون وقيوده بيد أصدقاء دليلة التي **«قطعها كخيط.»** (قض١٦: ١١)

«ونلبس أسلحة النور»:

إعادة لمنظر الإنسان في المعمودية وهو يخلع ثوب العالم والخطية بأشكاله وألوانه ويلبس الثوب الأبيض النقي ثوب الخلاص الذي هو رمز الإنسان الجديد، القائم من الأموات، ولكن يظل الخلع واللبس بمفهومه الروحي العملي على مستوى العمر، حيث الخلع بمرارة واللبس بجدارة، الخلع بالألم والضيق والتضييق بالصوم والصلاة والسهر وتبكيت النفس والصراخ إلى مَنْ في يده الحل والربط، وإعمال سيف الكلمة والاستعانة بالنعمة بصبر ومثابرة. أما اللبس فبيد النعمة الحانية لا بأثواب يدَّثر بها الإنسان بل بأسلحة تتسلَّح بها النفس: «ألبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا

ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمِّموا كل شيء أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام حاملين فوق الكل تُرْسَ الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله.» (أف٦: ١١—١٧)

هذه الأسلحة هي أسلحة الروح بمثابة اثني عشر جيشاً من الملائكة تحت إمرة الرب، معدَّة للدفاع عن النفس البشرية الجديدة التي اشتراها بدم صليبه. لا يراها الإنسان ولكن يرى عملها يوم الضيق: «أدعُني في يوم الضيق أُنقذْك فتمجدني» (مز٥٠: ١٥)، «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر١٤: ١٤)، «لأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.» (٢كو١٠: ٤و٥)

هذه هي أسلحة النور التي بشَّر بها ق. بولس كل كنيسة ووضعها في يد الذين أشرق عليهم النهار: «وأما نحن الذين من نهار فَلْنَصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذةً هي رجاء الخلاص» (١تس٥: ٨)، «في كلام الحق في قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار» (٢كو٦: ٧)، حيث البر هو المطابق للنور وسلاح اليمين للضرب وسلاح اليسار للدفاع.

نعم، أيها القارىء العزيز، هي حرب ولكن الذين معك هم أكثر من الذين عليك (٢مل٦: ١٦). والمطلوب أول كل شيء وأهم كل شيء، كجندي صالح ليسوع المسيح (٢تي٢: ٣)، أن تدخل المحاربة وأنت واثق من نصرتك لأنك تدخل تحت لواء المسيح: «كما هو مكتوب أننا من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح، ولكننا في هذه جميعها نحن أعظم من منتصرين ـ بالذي أحبنا» (رو٨: ٣٦و٣٧). لا تخف ولا تجزع ولا ترْمِ السلاح من يدك مهما كان، فالعدو جبان: «قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يع٤: ٧). بل هوذا سِرٌّ أقوله لك كجندي صغير في جيش المقدمة، حينما يثقل عليك القتال اُصرخ صرخة النجدة تجد الرب يرسل ملاكه في الحال ليقف أمامك يصدُّ جحافل الظلمة: «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم» (إش٦٣: ٩). ثم عليك أن ترفع نظرك كل حين إلى فوق لأن لنا سحابة من شهود شهداء ماتوا منتصرين غالبين والآن هم فوق رؤوسنا بل خلف ظهرنا بل يتقدَّمون أمامنا وهم مهام

رسمية في معركتنا، فتشجَّع وأَذعْ منهم مَنْ تدعو فكلِّمهم لك: «وإلى أي القديسين تلتفت.» (أي ٥: ١)

+ «إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرحْ كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر (نركض) بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله. فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومةً لنفسه مثل هذه لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم. لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية.» (عب ١٢: ١ـ٤)

وبالنهاية فلننتبه أن ق. بولس يقول نخلع أعمال الظلمة، ولم يقل نلبس أعمال النور بل **أسلحة النور**، فنهار المسيح وزمن الخلاص الذي نعيشه هو حرب وليس أعمالاً أو بالحري فأعماله كلها حرب، فالعدو بالمرصاد ينازعك في كل عمل بر، يريد أن يخطفه من يدك، من فمك، من فكرك. فلكي تعمل أعمال الخلاص أو تفكَّر فيها أو تبشِّر بها، فاعلم أنها كلها على مستوى الحرب: «بسلاح البر لليمين واليسار» (٢كو ٦: ٧)، فباليمين إن أردت أن تبني فيلزم لليسار أن تحارب (نح ١٤: ١٧). فما هي حرب اليسار؟

١٣:١٣ «لِنَسْلُكْ بلياقةٍ كما في النَّهار، لا بالبَطَرِ والسُّكْرِ، لا بالمَضَاجِعِ والعَهَرِ، لا بالخِصَامِ والحَسَدِ».

«لنسلك بلياقة كما في النهار»:

بلياقة: εὐσχημόνως وهي من بادئة εὐ = **حسن** + σχῆμα = **شكل.**

مفتاح هذه الآية هو «**النهار**»، نهار النور والروح واستعلان المسيح وكأننا في حضرة الله. هذا النهار هو عكس الليل الذي سبق وطال، فالليل له أعماله التي أوصى ق. بولس بحتمية خلعها لإمكانية التسلُّح بالروح لحرب الخلاص والنصرة. فالآن نحن دخلنا حرب النهار بأسلحة النهار إزاء أعمال الظلمة المفضوحة. فهنا ألقانا ق. بولس فجأة في وسط معركة الخلاص وقد سلَّحنا بأسلحة النور، وهو يطالبنا أن نعمل عملها إزاء مخازي الليل الذي لابد أن نتخلَّص من آخر ساعاته، لأننا بصدد فجر الحياة الجديدة.

فإن كانوا بالليل يعملون أعمال الخزي و يسيرون سير الخلاعة، فنحن الآن بالنهار، يلزم أن

نسلك بلياقة ووقار المسيح لأن أعمالنا وسلوكنا هي منظورة من الله والملائكة والقوات السمائية وأرواح القديسين لأننا في نهار الله!

«لا بالبَطَر والسُّكر»: κώμοις καὶ μέθαις

يلاحظ أن ق. بولس يجمع هذه الأعمال المخلَّة بالتقوى اثنين اثنين، وكل اثنين لهما علاقة مشتركة ووجهة واحدة. فالإنسان يسكر ثم يعربد، ولو أن ق. بولس قدَّم العربدة على السُّكر فهي الجزء المنظور من السكر.

«**البطر**» هي التي يقال لها «العربدة» أو تهييص خارج عن الحد. كما في الأفراح الريفية الخليعة. هذا عمل من أعمال الظلمة حيث الخطية تأخذ نشوتها ويخرج الإنسان عن رزانته ويسلك كالسفهاء.

والسبب في سلوك «البطر» هو «**السُّكر**»، والسكر هو شرب الخمر الزائد عن الحد: «لا تسكروا بالخمر الذي فيه **الخلاعة**» (أف ٥: ١٨). فهنا البطر والسكر مجتمعان معاً في هذه الآية أيضاً.

وق. بولس يرى أن شرب الخمر الزائد هو عمل من أعمال الظلمة، **لأن الذي يستزيد من الخمر إنما هو يقصد قصداً أن يخرج عن وعيه، إما طلباً للعتق من الهموم أو رغبة في رفع حاجز التعقُّل إرادياً لمزيد من الفرح الكاذب الذي يدخل في مفهوم التهييص والعربدة. وكلا الفرضين من صنع الخطية، فرفع الهم هو من عمل الروح القدس ومزيد الفرح هو من عمل الروح القدس أيضاً. لذلك يوصي ق. بولس لمثل هؤلاء وهؤلاء بقوله: «لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (أف ٥: ١٨). لأن الذي يمتلىء من الروح القدس يحيا بلا هم وفي أوج الفرح والسرور بالرب!!**

والذي يسترعي انتباهنا في اختيار ق. بولس لحالة الكلمة في «**البَطَر**» و «**السكر**» أنه يوردهما في حالة الجمع (أي البَطَر والسكر المتكرر) وهذه إشارة خفية أن هذين العملين هما في الحقيقة استمراء **مستمر** للذة الخطية وسلطانها، لذلك يرتمي الإنسان فيهما بكثرة فيصيران عادة وسلوكاً، ولهذا يبدأ التوصية بأن «نسلك بلياقة»، فهي مسألة سلوك أي أفعال متكررة.

هنا ولو أن ق. بولس أمسك عن أن يورد بأية أسلحة نحارب وبأية أسلحة نغلب، ولكن هذا لا يفوت على القارىء اللبيب. ففي الآية الأخرى التي ذكرناها (أف ٥: ١٨) يقول ما معناه:

لكي تقطعوا الطريق على أعمال الظلمة، إن كنتم تريدون أن ترفعوا الهموم عن أنفسكم أو تعيشوا الفرح الدائم، فامتلئوا بالروح القدس. هنا إشارة إلى أن الملء من الروح القدس بحد ذاته كفيل إذا استوعبناه أن يطرح الحاجة إلى السكر والبَطَر.

أعرف إنساناً وما أعظمه من إنسان! كان لا يعود إلى منزله من العمل كل يوم إلاّ وزجاجة الخمر في يده، وفي يوم ــ كما اعترف لي ــ داهمه الروح القدس وهو راجع إلى منزله وفي يده آلة الطرب أو إله البَطَر، فما كان منه إلاّ أن ألقى بمعبوده في صندوق الزبالة وذهب إلى منزله وأغلق بابه، وكانت صلاة، وكانت ملاقاة وتوبة وحياة بدأت في ملء الإيمان، وانسكب الروح في قلبه وخَلُص وخلَّص الآلاف وصار من القديسين. فيا عزيزي القارىء أسلحتنا قادرة بالله على هدم عادات مهما تملّكت فينا وسادت علينا وكادت لنا وكبّلتنا بالقيود.

«لا بالمضاجع والعَهَر»: κοίταις καὶ ἀσελγείαις

المضاجع هي في الحقيقة تعني أسرّة للرقاد ولكن خاصة بالاتصال الجنسي سواء في حدود الزيجة الرسمية أو خارجها(١٨). ولكن بسبب الكلمة الأخرى التي أوردها ق. بولس لتكون مرادفاً لها وهي **العَهَر**، فالمضاجع أصبحت تعني مكان الرذيلة. والعَهَر أو الدعارة هو ممارسة الزنا بإفراط ... والكلمتان تفيدان كل أنواع الأعمال السرية للزنا التي تجري في الظلام. ولكن الذي يسترعي انتباهنا أن اختيار ق. بولس لعملي الظلمة الأولين «البَطَر والسكر» كان بسبب أنهما يؤديان إلى الزوج الثاني من الأعمال الشائنة التي تليق بأبناء الظلمة وهما المضاجع والعَهَر.

والعملان الأخيران جاءا في اليونانية بصيغة الجمع أيضاً تأكيداً أنهما من أعمال الاعتياد والسلوك الدائم.

«لا بالخصام والحسد»: ἔριδι καὶ ζήλῳ

آخر زوجين في أسرة قبائح الليل، وهما اللذان ينتهي إليهما الحال. فبعد السكر عربدة وبعد العربدة ارتماء في أحقر أنواع الزنا والشذوذ، ومنها إلى الخصام أي العراك والمشاجرة. واختلاق الخصومة والحسد يأتي كمقدمة لأعمال أخرى أكثر إجراماً تنتهي بالقتل.

ولكن أيها القارىء العفيف، لو دريت أن هذه الألفاظ النابية ومعرض هذه القبائح التي تتقزّز منها النفس، اطّلع عليها يوماً ــ وما أسعده يوماً من أيام البشرية ــ الفتى أغسطينوس وهو غارق في

18. Leon Morris, *op. cit.*, p. 473

خطاياه وهمومه، وكان يبحث عن مخرج وتوبة عندما ملّ حياة الإثم؛ وما أن قرأ هذه الآيات السابقة حتى رأى نفسه عارية ورأى الله!! فتعمَّد وصار قديسنا المحبوب وشفيع الغرب كله، أمير التصوُّف وأبو اللاهوت الكاثوليكي.

كان ذلك في ميلانو بإيطاليا وكان في حديقة أحد أصدقائه، وبينما هو غارق في همومه وتردده هل يقبل الإيمان بالمسيح، سمع صوت صبي صغير يصيح: «خُذ هذا واقرأ. خذ هذا واقرأ»، ولعلّه كان يقلّد أمه وهي تحثه على المذاكرة، والتفت أغسطينوس فوجد على طرف مقعده كتاباً لصديقه، وكان رسالة ق. بولس إلى أهل رومية:

[فتحت وبدأت أقرأ في صمت فما أن وقعت عيني على كلمات ق. بولس: «ليس بالبَطَر والسكر ليس بالمضاجع والعَهَر ليس بالخصام والحسد بل ألبسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراً للجسد». فلم أهتم أن أقرأ أكثر من ذلك، ففي ختام الآية إذ بشعاع من الوثوق انسكب في قلبي وانقشعت عني سحب التردد في الحال.](١٩)

١٣: ١٤ **«بل ألبسوا الرَّبَّ يَسُوعَ المَسيحَ ولا تَصْنَعُوا تَدْبيراً للجَسَدِ لأجلِ الشَّهواتِ».**

«بل»: ἀλλά

رجعة على ما مضى من أفعال الظلمة البغيضة، التي بعد أن فضحها وجب ليس خلعها فقط بل:

«ألبسوا الرب يسوع المسيح»: إجراء سرّي معمداني.

ق. بولس يتصوَّر أننا خلعنا بالفعل ــ كما في سر المعمودية ــ الإنسان العتيق بأعماله والظلمة بقبائحها، فوجب أن لا نبقى عراة بل حالاً كما في السر المقدس نلبس الإنسان الجديد. ولكن ق. بولس يجري الآن طقساً جديداً مذهلاً للعقل، فهو كمن أخذ سلطاناً من الله أن يُلبسنا المسيح، ها هو يأمرنا أمراً أن نلبس الرب يسوع الروح من السماء، وكأن الأمر مفروغ منه، وكأن المسيح واقف أمامنا سهلاً مهلاً يمد يديه لنمسك به لندخل فيه ويدخل فينا بسر الإيمان الذي لا يُنطق به، كسِرّ المعمودية الذي لا يُرى ولا يُحس. أن نلبس المسيح يعني أن نتحد بجسده السرّي، أن يدخل المسيح فينا يحل بالقلب فيصير هو المنظور فينا ونحن نكون مستورين فيه، وبه لا يظهر شيء منّا بل المسيح يظهر في كل فكر، في كل عمل، في كل نيّة، في كل مشيئة، في كل حب، في كل صلاة:

19. August., *Conf.*, VIII.12 abridged.

«بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح الذي منه تُسمى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض، لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ــ **ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم** ــ وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبة.» (أف٣: ١٤ــ١٨)

هذا الأمر يقوله ق. بولس من واقع حاله، من اختباره، من حلول المسيح فيه، في القلب وفي الفكر وفي الروح حتى قال ق. بولس: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). هذا هو «ٱلبسوا الرب يسوع المسيح»، هو اختفاء إنسان الليل صاحب مخازي الليل، وظهور إنسان النهار الإنسان الجديد الذي بحسب صورة خالقه يتجدد يوماً فيوماً. ثم هذا بحسب الآية السابقة يكون سبب وعلة «السلوك باللياقة».

لا يمكن خلع الإنسان العتيق بأعماله المظلمة القبيحة إلاَّ في مواجهة الرب يسوع باستعداد الإدثار بالمسيح أي لبسه لتختفي مرة واحدة كل مخازينا فلا يعود لنا ليل يقلقنا ولا أعمال تلح علينا وتغرينا، لأننا نكون مع المسيح قد مُتنا عن جسد الخطية ولبسنا الجديد في المسيح، وتصير «حياتنا مستترة مع المسيح في الله» (كو٣: ٣)، «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً.» (١كو١: ٣٠)

ولكن «ٱلبسوا الرب يسوع المسيح» ليس عملاً محدوداً، فأعمال النهار ليست كأعمال الليل ذات بداية ونهاية، فأعمال الله تبدأ ولا تنتهي إلى الأبد. نحن نلبس الرب جديداً كل يوم في كل كلمة حيَّة من كلماته تدخل قلبنا لتحييه، في كل صلاة بالروح نسكبها أمامه فترتد علينا رضىً منه وسلاماً يدخل أعماقنا ويملأ كياننا، فنحن نلبس الرب يسوع من داخل عِشْرة وشركة يأخذ فيها ما لنا ويعطينا ما له، حتى نفرغ مما لنا ونمتلىء مما لله، فلا تعود حياتنا منَّا بل منه، هذا نبدأه معه وهو يكمِّله معنا.

«ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات»:

هذا هو المقابل الحتمي الذي ينشأ بالضرورة عندما نلبس الرب يسوع ــ طبعاً ليس من جهة الشكل ــ بل من جهة الموضوع، أي «متمثلين به» في كل فكر وعمل، حيث «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (في٢: ١٣). هذا هو الواقع الحي الذي تشبَّث به ق. بولس سابقاً:

+ «أما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم ... فإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر ... فإذاً أيها الإخوة نحن

مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨: ٩و١٠ و١٢و١٣)

إذاً فهذه الوصية «لا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» قائمة ومنبثقة من «ٱلبسوا الرب يسوع المسيح»، لأن «ٱلبسوا الرب يسوع المسيح» تساوي الإنسان الجديد، «والتدبير للجسد لأجل الشهوات» تساوي الإنسان العتيق.

ق. بولس هنا يستبعد بإلحاح أن نخطىء ونرتد إلى شهوات الجسد وتدبير السهرات والمسرات والملذات، بعد أن نكون قد قبلنا المعمودية ولبسنا المسيح وقَبِلْنا الدخول في حرب الإيمان للتخلص من أعمال الظلمة ليشرق علينا نهار الحياة الجديدة.

إن خطر العودة إلى العادات القديمة واقف بالمرصاد يتهددنا، وق. بولس يجاهد معنا ليكشف مدى اتساع رقعة الحرب المقرَّرة علينا، فهي وحتى النهاية وبعد أن نكون دخلنا عهد النعمة وتمثَّلنا بالمسيح في السلوك بالوقار المسيحي، تعود الغرائز وتعود العادات تلح لرجعة خطرة ثمنها ندامة تكدِّر النفس، حيث يكتشف الإنسان أنها محاولة من الشيطان لجحد المسيح فيصبح طعمها مرًّا وسرورها غماً وفخرها سُماً ونهايتها نكداً.

ما أعجب ق. بولس في هذا التحذير الأخير، إنه حقاً أب يريد أن يتمخض بنا حتى يتصوَّر المسيح في داخلنا، إنه حقاً معلِّم: «مَنْ يعثر وأنا لا ألتهب» (٢كو١١: ١٩). لا يريد أن يتركنا حتى يؤمِّن على وجود المسيح فينا.

ولكن عنصراً هاماً لا يزال مختبئاً في التحام النصف الأول من الآية: «ٱلبسوا الرب يسوع المسيح» مع النصف الآخر: «ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات». فالجزء الأول يتم لنا السلوك بالروح، لأنه يستحيل أن نلبس المسيح بمعزل عن الروح القدس، وإذ نكون في الروح لا يعود للجسد مكان في اهتمام الروح، وإذ نكون في الروح نحصل على حرية مجد أولاد الله. وهذا هو موضوع الأصحاح القادم (١٤)، حيث يستعرض حريتنا في المسيح ماذا تعني من جهة الأكل والشرب وأيام العبادة والحكم على ضمائر الآخرين.

الأصحاح الرابع عشر

ارتفاع قيمة الحرية المسيحية

على أن يكون مصدرها الإيمان والتقوى

ودراسة في حل مشاكل الضمير

١ ـ ١٤: ١ ـ ٩ و١٤ : بين الطاهر والنجس في الطعام:
تقدير شخصي، والضمير هو المسئول وليس الله.

بين المقدَّس وغير المقدَّس في الأيام:
تقدير شخصي، والضمير هو المسئول وليس الله.

٢ ـ ١٤: ١٠ ـ ١٣ : لا يحكم أحد على آخر أو يدينه فيما يمليه عليه ضميره.

٣ ـ ١٤: ١٥ ـ ١٩ : حرية المسيحي محكومة بعدم المساس بمشاعر القريب، وهدفها البنيان العام.

٤ ـ ١٤: ٢٠ ـ ٢٣ : العمل أو التصرف بضمير مرتاب يُحسب ضد الإيمان، وهو خطية.
العمل أو التصرف الذي يسيء إلى ضمير غيري يُحسب ضد الإيمان، وهو خطية.
العمل أو التصرف بدون ارتياب و بحسب الإيمان يُحسب نعمة.
«طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه».

مقدمـة:

هذا الأصحاح يحمل نصائح حيوية للغاية للجماعة المسيحية التي تجمع بين اليهود والأمم المتنصرين. أما النصائح في حد ذاتها فسهلة وواضحة وضوح النهار. ولكن إذا حاول المفسِّر أن يبحث عن أسبابها والعلل التي تختفي وراءها فإنه يغوص في عوائص الأمور. فالنصائح تتوزع بالتبادل بين مَنْ اعتبرهم ضعافاً في الإيمان والأقوياء في الإيمان.

والنصائح تشمل نوعين من الأمور الواقع عليها الاختلاف في النظرة: الأطعمة، وبخاصة اللحم والخمر، وتقديس أيام خاصة دون الأيام الأخرى.

فنصائح ق. بولس إلى هنا لا تخرج عن أن الأقوياء يجب أن يحتملوا الضعفاء في تدقيقاتهم ولا يحتقروهم، والضعفاء لا يدينوا الأقوياء في حريتهم.

أما الموضوع: فهو أن الأقوياء في الإيمان استطاعوا أن يبلغوا درجة عالية في الروح، فلم يعودوا ينظرون إلى أكلٍ ما، أنه يُزيد أو يُنقص من العبادة، خاصة من جهة أكل اللحم وشرب الخمر الاعتيادي على الأكل، كذلك أنه لا نجس ولا طاهر في الأكل والشرب.

وأما الضعفاء فلا يزال فكرهم متردداً وضميرهم موسوساً من جهة أن العبادة تقوى، والتقرب إلى الله يزداد بعدم أكل اللحم وشرب الخمر، وأيضاً أن أكل اللحم نجس وشرب الخمر حرام.

إلى هنا ويمكن أن يكون الشرح والتفسير مفهوماً، ولكن السؤال الذي حيَّر كل المفسرين والعلماء حتى اليوم هو: مَنْ هؤلاء الذين يمتنعون عن أكل اللحم وشرب الخمر؟ هل هم اليهود الذين تنصَّروا؟ هذا غير معقول لأن اليهود لا يحرِّمون اللحم ولا الخمر، ربما يكونون هم الذين يعتبرون اللحم المذبوح للأوثان نجساً، ولكن كيف يعتبرون الخمر حراماً وهم كانوا يشربونها رسمياً في العشاء الأسبوعي كل سبت؟

من هنا جاءت الاحتمالات التي بلا نهاية، فمِنْ قائل أنهم يهود متنصِّرون(١) متمسكون ببعض التقاليد اليهودية الخاصة وأحكامها الضيِّقة جداً، وآخرون(٢) يقولون إنهم يهود يمتنعون عن

1. Meyer, *op. cit.*, pp. 507f.
2. Ibid.

اللحم والخمر التي للأوثان والأمم عموماً. وكلا الرأيين خاطىء، فلا ناموس موسى يحرِّم اللحم والخمر، ولا روما عَدِمَتْ مذابح خاصة لليهود لأن اليهود فيها كانوا جالية بمئات الألوف، والخمر كان يباع حراً في الأسواق وليس عند الأوثان. عِلماً بأن هذا الأصحاح برمته لا يتكلم قط عن ذبائح الأوثان.

كذلك يفسِّر العالم الألماني إيكهورن(٣) أنهم جماعة النباتيين (Vegetarians)، أي العائشون على الخضروات فقط دون اللحم ومشتقاته، ولكن هؤلاء أيضاً يشربون الخمر.

كذلك يفسِّر العالم رتشل ومعه العالم ماير أنهم أحفاد جماعة الأسينيين المتنسكين الذين سُبُوا في روما(٤) وبقوا فيها إلى أن تنصَّروا وصاروا مسيحيين، ولكن احتفظوا بعاداتهم الأُولى، إيماناً منهم أنهم مدعوون لحفظ التراث الكهنوتي اليهودي بلا دنس، ولكن كلام ق. بولس لا ينطبق عليهم. إلى مَنْ قال(٥) إن هؤلاء هم جماعة الإيبيونيين Ebionites(٦)، ولكن هذا الرأي مردود عليه لأنهم لم يكونوا يؤمنون بألوهية المسيح ورفضوا رسائل بولس الرسول، فمِنْ غير المعقول أن يذكرهم ق. بولس كضعاف الإيمان وحسب لأنهم هراطقة من كل الوجوه.

ومنهم مَنْ قال إنهم كانوا من الأمم الذين تنصَّروا في روما ومن جماعة المنتمين إلى مبادىء فيثاغورس وكانوا يسمون بالفيثاغوريين الجدد(٧) Neo Pythagorean أو من أتباع أورفيو وكانت مبادئهم تدعى Orphism(٨). ولكن توصيفهم عند ق. بولس بالضعفاء في الإيمان لا يتناسب مع اعتزاز هؤلاء بفلسفتهم وغرورهم. كذلك فإن هذه الشيعة لم تكن تَعتبر أنه توجد أيام مقدسة وغير مقدسة.

3. Eichhorn, cited by Godet, *op. cit.*, p. 452.
4. Godet, *op. cit.*, p. 453.
5. Baur, cited by Godet, *op. cit.*, p. 453.

(٦) **الإيبيونيون:** [وترجمة اسمهم بالعبرية هو «فقراء الناس». وهم شيعة يهودية مسيحية تنصَّرت في القرن الأول وانتشرت في شرق الأردن على الأخص. وهؤلاء التزموا بناموس موسى، وغالوا في ذلك. وكانوا يستخدمون ما كان يسمى آنذاك بإنجيل العبرانيين وهو أحد الأناجيل غير القانونية التي لم تعترف بها الكنيسة، ويقال أنه يشبه إلى حد كبير إنجيل القديس متى، ويسمي العلماء الحديثون هذا الإنجيل (الذي كانوا يستخدمونه) بإنجيل الإيبيونيين. وقد ظلت هذه الشيعة خارجة عن مسار المسيحية. وقد سلك الإيبيونيون مسلكاً نسكياً صارماً وكانوا لا يعترفون برسائل القديس بولس. ويربط العلاَّمة جيروم بين هذه الجماعة وبين شيعة ما كان يسمى «النصارى» Nazarenes في استخدامهم لإنجيل العبرانيين.]
Oxford Dict. of Chr. Church, p. 433f.

7. Meyer, *op. cit.*, p. 506.
8. Cranfield, *op. cit.*, p. 663 n. 5.

أما نحن فنرى أنه يوجد حلٌّ لهذا الأصحاح (١٤) نلخصه بأنه كان هناك يهود متنصرون يمتنعون عن أكل اللحم وشرب الخمر، بعد دخولهم الإيمان المسيحي، كنوع من التنسك الذي كان في اعتقادهم يعوِّض لهم عن تركهم لتمسكاتهم الكثيرة السابقة لبنود الناموس، **كما يقرِّبهم إلى الله كشريعة النذير في الناموس** الذي كان ممنوعاً عليه بحسب الطقس أكل اللحم وشرب الخمر إذ اعتبروا أنفسهم بدخولهم في عهد المسيا أنهم صاروا نذراء الله. ولكنهم غالوا في نسكهم غير أنهم لم يحسبوا أنفسهم منفردين في صحة عبادتهم ولكن فقط كان لهم ضمير يتشكك من جهة مجاراة الآخرين من المسيحيين الأمميين في حريتهم في الأكل والشرب.

كذلك فمن خصائص هؤلاء الذين نذروا أنفسهم للمسيح بالتنسك بأن يقدِّسوا أيام الصلاة وأوقاتاً معينة لمزيد من الصلاة سواء في اليوم مثل السواعي المعروفة منذ أيام داود النبي: «في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك» (مز١١٩: ٦٢)، «سبع مرات في النهار سبَّحتُك على أحكام عدلك» (مز١١٩: ١٦٢)، «سَبَقَتْ عيناي وقتَ السحر لألهج بأقوالك.» (مز١١٩: ١٤٨)

كذلك فالمتنسك يجعل من مواسم الأعياد والسنين وغيرها مواسم عبادة، وتصير الأيام عنده مخصصة لمزيد من الصلوات كما نصت الشريعة قديماً. هؤلاء المتنسكون كانوا مشدودين بالروح، فلما دخلوا الإيمان المسيحي ازدادوا التهاباً ونسكاً وعبادة دون أن يستخفوا بحقائق إيمانهم المسيحي، ولكن لم يستطيعوا أن يكتفوا بإيمانهم على الحرية التي حرَّر بها المسيح أولاده من جهة كل ما للناموس، سواء السبت أو الأعياد أو رؤوس الشهور أو وصايا التطهير. وهذا لم يحسبه ق. بولس عيباً عليهم، كَوْنَ هؤلاء اليهود المتنصرون لم يكونوا مثل أهل غلاطية مقاومين للإيمان المسيحي وللقديس بولس عن قصد العودة إلى أحكام العبادة اليهودية، ولكن كان هذا مجرد آثار نفسية لاصقة بهم ولم يكن لهم تأثيرٌ سلبيٌّ على الآخرين. لذلك لم يعنِّفهم ق. بولس كما عنَّف أهل غلاطية وكورنثوس وكولوسي. **وفي اعتقادي أن هؤلاء يكوِّنون بذرة الرهبنة الأُولى في المسيحية**(*). وأما مسألة ضعف الإيمان الذي وصفهم به ق. بولس، فهو بسبب أنهم لم يقبلوا على هذا النسك بحرية أولاد المسيح، ولكن تمسَّكوا بتقاليد الناموس القديمة، الأمر الذي لا ينطبق على الرهبنة الآن في المسيحية التي جمعت بين شريعة النذير للرب ومنتهى حرية أولاد الله في العبادة، مع قوة وإيمان لا يُجارَى.

(*) كما نعتقد أن جماعة الثيرابيوتا الذين عاشوا حول بحيرة مريوط انحدروا من هذه البذرة، وهم أول من تقبَّل المسيحية من فم مرقس الرسول وهو في طريقه من القيروان (بليبيا) إلى مصر عن طريق ساحل الإسكندرية.

هذا الشرح يتفق مع أسلوب ق. بولس في تقديم النصيحة لهم بلطف فائق موافقاً على موقفهم وأسلوبهم في الحياة والعبادة والإيمان، إذ لم يُخطِّئه ولا هو انتهرهم كأنهم خرجوا عن الإيمان المسيحي الصحيح، وإنما أوصاهم أن يتنسكوا لأنفسهم ولا يدينوا الذين يأكلون ويشربون، ولكن اعتبرهم من جهة قوة الإيمان المسيحي الذي نال الحرية الكاملة من ناموس الأكل والشرب: أنهم **ضعفاء!!** مردداً في مسامعهم: «إن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً».

أما مسيحيو الأمم فلم يراجعهم هم الآخرين أيضاً في حريتهم فيما يأكلون ويشربون، إنما أوصاهم بأن يكون لهم الضمير غير المنقسم، فإذا كان ضميرهم لم يعثر بسبب وجود أمثلة الآخرين المتنسكين فليأكلوا ويشربوا كما يشاءون، ولكن إن تعثَّر ضميرهم وشكَّ، فإن ذلك يُحسَبُ لهم خطية: «وأما الذي يرتاب فإن أكل يُدان لأن ذلك ليس من الإيمان. وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية.» (رو١٤: ٢٣)

وهنا أدخل ق. بولس لأول مرة في لاهوت الإيمان المسيحي **«صحة حكم الضمير غير المرتاب»**: «أَلَكَ إيمان. فليكن لك بنفسك أمام الله، **طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه**» (رو١٤: ٢٢). وهو المبدأ اللاهوتي المتناسق مع مبدأ ق. يوحنا اللاهوتي: «أيها الأحباء **إن لم تَلُمْنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله.**» (١يو٣: ٢١)

لذلك نستطيع أن نقول إن هذا الأصحاح يُعتبر أصحاحاً سلامياً ــ توفيقياً يجمع النقيضين في تواضع المحبة. وكنَّا قد قلنا أن ق. بولس إنما يعطي وصايا الرب للكنيسة الجديدة على خلفية ذهنية قائمة في أعماقه، وهو النظام اليهودي في العبادة، كذلك يبني وصايا الرب الأخلاقية والسلوكية على أصول لاهوتية قد سبق وأكملها المسيح، وسبق ق. بولس أن شرحها وأودعها قلب الكنيسة.

فما هي هذه الخلفية اليهودية أولاً؟ وما هو الأساس الذي يُبنَى عليه هذا الأصحاح؟

أولاً: أما الخلفية اليهودية التي في ذهن ق. بولس فهي الأنظمة اليهودية المختلفة التي كانت تضمها العبادة في إسرائيل الشعب الواحد الموحَّد: فكان هناك **نظام الفريسيين** في الأكل والشرب والسلوك، وكان هناك **نظام «الأتقياء»** أو الصدِّيقين الذي ظهر في إسرائيل، كذلك **نظام الأسينيين**. وكلٌّ من هذه الأنظمة يختلف عن الآخر في كل شيء، ولكن كانت تضمهم عبادة وليتورجية واحدة واسم واحد. كذلك كانوا يتبادلون الاحترام بعضهم لبعض، مع ميول قليلة في العزلة والتعالي عن بعضهم. ولكن كانوا جميعاً شعب إسرائيل الواحد المحبوب المختار. فلماذا يتفرَّق المسيحيون في العبادة الواحدة حتى ولو كان يفرِّقهم الجنس، يهود وأمم؟ أو الوضع الاجتماعي عبيد

وأسياد؟ أو طريقة المعيشة في الأكل والشرب بين متسع ومتزمت؟

ثانياً: ثم الأساس اللاهوتي الذي يبني عليه ق. بولس هذا الأصحاح وقد سبق ووضعه وسلَّمه إياهم، هو:

أ ــ وحدة الأعضاء في الجسد الواحد مهما تباينت وظائفها ومواهبها وأدوارها، فالوحدة المسيحية تحتِّم أن لا يتعالى أحد على آخر ولا يدين أحد الآخر فيما يأكل ويحيا.

ب ــ المحبة التي تقوم على بذل الذات وقبول الآخر قبولاً عن صدق ودعاء وصلاة.

ج ــ أما من جهة القوة والضعف فالمسيح صُلِبَ من ضعف مع أنه قام بقوة الله (٢كو١٣: ٤)، فالضعيف إنما يحتمي بالصليب والقوي إنما يلتصق بالقيامة، والضعيف مع القوي هما الإنسان الجديد الواحد الذي مات مع الرب وقام، فالضعف والقوة هما الإنسان الواحد الجديد.

د ــ القبول المشترك كل واحد للآخر بدون فحص، فالمسيح قَبِلَنا ونحن كلنا خطاة وتحت الحكم.

هـ ــ اليهودي والأممي في المسيح صارا واحداً في الإيمان، فعلى الأممي أن يدرك أن المسيح الذي يعبده قد اختتن وحفظ السبت والأعياد والعوائد، وكل ذلك لكي بالنهاية يكمِّل الناموس ويخلِّص الأمم. فالأمم مهما كان تحررهم من كل ما لليهود فهم دائماً مديونون للختان والسبت والأعياد والمواعيد وكل عوائد اليهود، لأن الخلاص أصلاً جاء من اليهود!

أما اليهود المتنصرون فليَعْلَموا أنه لولا خلاص الأمم وكل العالم ما تجسد المسيح وما صُلب وقام: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو٣: ١٦)

[١٤: ١ــ٩] بين الطاهر والنجس في الطعام: تقدير شخصي والضمير هو المسئول وليس الله.

بين المقدَّس وغير المقدَّس في الأيام: تقدير شخصي والضمير هو المسئول وليس الله.

١٤: ١ **«ومَنْ هو ضَعِيفٌ في الإِيمانِ فاقبَلُوهُ لا لمُحاكَمةِ الأفكارِ».**

قبل أن نخوض في تفسير هذه الآيات التي تقوم على الأقوياء والضعفاء في الإيمان، يلزم أن نرجع إلى أساس الإيمان عند ق. بولس: فما هو الإيمان الصحيح القوي أولاً وقبل كل شيء؟ ــ هو هكذا: «وأما الآن فقد ظهر برُّ الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء. برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢١و٢٢)

فالإيمان الصحيح القوي هو قائم على أن برَّ الله لا يُمنح بأي عمل آخر غير الإيمان ولا بأي نسك أو عبادة أو تقديس أيام أو أنواع صلوات أو امتناع عن لحم أو خمر أو الاكتفاء بالبقول. فالإيمان يختص بعمل المسيح على الصليب والقيامة من الأموات خُلواً من أي تدخُّل بشري.

لذلك فلا الأكل يضعف الإيمان ولا الصوم يقوِّي الإيمان بل العكس، فالإيمان هو الذي يقوِّي الصوم. فالإنسان القوي في الإيمان يأكل ما يريد ويصوم كما يريد. أما الإنسان الضعيف في الإيمان فهو يحاول أن يقوِّي إيمانه بالصوم. ولكن بالرغم من أن هذا غير صحيح ولكن لا ينبغي أن ندين مثل هذا الإنسان ولكن نحترس من جهة الهدف: «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً.» (رو١٤: ١٧)

ق. بولس هنا يخاطب الأقوياء في الإيمان وذلك باعتبارهم الأغلبية، ونحن علمنا بعد البحث أن الأغلبية في روما هم من الأمم. إذاً يتحدد بصفة مبدئية أن ضعاف الإيمان هنا هم بعض اليهود المتنصِّرين الذين يستفزُّون الأغلبية بطريقة عبادتهم الخاصة والتي بلغت حد الإعثار.

«ضعيف الإيمان»: ἀσθενοῦντα

الضعف في الإيمان هنا لا يمثل ضعفاً في صميم الإيمان لاهوتياً، وإنما بالمقارنة مع جميع

التصاريف التي جاءت لهذه الكلمة يتضح أنها تعني عدم الثقة في الإقدام بالإيمان على عمل معيَّن، أي أن هناك نقصاً في الجرأة على استخدام كل صلاحية الإيمان. كإنسان لا يؤمن أن تُغفر خطاياه بمجرد الإيمان، فلابد في نظره من الصوم والنسك لكي تُغفر خطاياه ويصير إيمانه صحيحاً. والشخص نفسه هنا لا يحسب نفسه أنه ضعيف في الإيمان بل يرى في نفسه أن إيمانه هو الصحيح.

فلو طبَّقنا هذا الضعف على أن الشخص لا يؤمن بالخلاص إلاَّ إذا امتنع نهائياً عن أكل اللحم وشرب الخمر لأنه لا يؤمن بأن أكل اللحم وشرب الخمر هو في حدود الإيمان الصحيح، لذلك يحجم عن الأكل والشرب لئلا يكون مخالفاً للإيمان معتبراً أن اللحم نجس وكذلك الخمر، يصير مثل هذا الإيمان عند ق. بولس ضعيفاً ويكون سبباً ومثار لنزاع ومشاكل ومحاكمات.

«فاقبلوه»: προσλαμβάνεσθε

أمر واضح مباشر يخاطب به ق. بولس الجماعة التي تمثل الأغلبية ذات الإيمان القوي. وهذا يضيف إلى صحة القول بأن الأغلبية كانت من الأمم المسيحيين وأنهم كانوا أصحاب إيمان صحيح بحسب تعاليم ق. بولس. وهكذا صار على الأغلبية التزام إيماني أن يقبلوا ضعاف الإيمان كأصحاء في الإيمان وبلا لوم كإخوة في المسيح يسوع. وهنا يعتقد العالم كايسمان(٩) أن القبول يختص بالقبول في معاملات الحياة اليومية، أما ميشيل الألماني فيعتقد أن القبول هو بخصوص القبول في العبادة الرسمية. ولكن الأمر واضح جداً لنا أن الأمر بالقبول هو القبول في كل شيء داخل الكنيسة وخارجها، داخل البيوت وخارجها، في شركة الأعمال الواحدة والفكر الواحد، لأن هذه هي كنيسة المسيح.

«لا لمحاكمة الأفكار»: μὴ εἰς διακρίσεις διαλογισμῶν

«محاكمة» هنا تفيد الإدانة. وبعض العلماء، مثل كايسمان(١٠)، يرون أن الإدانة تختص بمنطق العمل وليس الفكر الحر كمبدأ، لأن القبول هنا ينصبُّ على القبول العملي في الجماعة وليس مجرد قبول فكر حر. وهذا في الحقيقة عين الصواب. فالمحاكمة هنا واقعة على وسوسة الضمير الذي أنشأ إحجاماً عن أعمال تختص بصميم الحياة والعبادة.

«أفكار»: διαλογισμῶν

لا تفيد الأفكار الحرة أو النظرية، بل **«ميزان تقدير المرء»** Balancing of accounts(١١).

9. Cranfield, *op. cit.*, p. 700.
10. Ibid. p. 701.
11. Liddell and Scott, *An Intermediate Greek-English Lexicon*, p. 190.

فهنا يظهر جمال المعنى أي اقبلوه دون أن تحكموا على ميزان تقديره للأمور! هنا يدخل في ميزان التقنين المسيحي — من جهة الأحكام على الناس بسبب تصرفها الشخصي من جهة أكل أو شرب أو أمور الجسد عموماً سواء بالنسك أو الحرية في التصرف في مثل هذه الأمور — قاعدة عامة أن **يُقْبَل الجميع طالما الإيمان اللاهوتي الأساسي سليم.**

٢:١٤ **«واحدٌ يُؤمِنُ أنْ يأكلَ كلَّ شيءٍ، وأما الضعيفُ فيأكلُ بُقُولاً».**

هنا ق. بولس يشرح مثلاً من أمثلة ضعف الإيمان من جهة تقييم الأطعمة. فالقوي بحسب الإيمان المسيحي يأكل كل شيء دون أن يرتاب البتة: «ما طهَّره الله لا تدنِّسه أنت» (أع١٠: ١٥). ثم يأتي دور ضعيف الإيمان، فهو ينظر إلى الطعام نظرة منقسمة: بعضه طاهر وبعضه نجس، بعضه يحل أكله وبعضه يحرِّم أكله، هذا ليس أكثر من ضعف ظاهري في الإيمان ولكنه لا ينمُّ إطلاقاً عن ضعف حقيقي في العلاقة بالمسيح والله، ولكنها مجرد رؤية شخصية تتحكم فيها أشياء خارجة عن الإيمان، كأن تكون توصية من الأسلاف كما كان عند الركابيين من جهة شرب الخمر:

+ «وجعلت أمام بني بيت الرَّكابيين طاساتٍ ملآنة خمراً وأقداحاً وقلت لهم اشربوا خمراً. فقالوا لا نشرب خمراً لأن يوناداب بن رَكاب أبانا أوصانا قائلاً لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد.» (إر٣٥: ٥و٦)

+ «وقال إرميا لبيت الرَّكابيين هكذا قال ربُّ الجنود إلهُ إسرائيلَ: **من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم وحفظتم كل وصاياه وعملتم حسب كل ما أوصاكم به،** لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسانٌ يقف أمامي كل الأيام.» (إر٣٥: ١٨و١٩)

هذا في الحقيقة يمثِّل أمامنا كيف أن الله ليس من أجل أنهم كفُّوا عن شرب الخمر أعطاهم هذا الوعد بالحياة، ولكن **لكونهم سمعوا لوصية يوناداب أبيهم في الخير وحفظوا الوصية وعملوا بها حسب كل ما أوصاهم به!!**

فضعيف الإيمان ينظر إلى الطعام كأن له قيمة دينية في ذاته! هذا غير وارد في المسيحية بل وغير معقول، فالقيمة الدينية الإيمانية هي دائماً في الإنسان وليس في الطعام. كذلك، فإن ضعيف الإيمان يعتقد أن علاقته بالله تتطلَّب أن يمتنع عن الطعام، في حين أن علاقة الإنسان بالله تتطلَّب حقاً أن يمتنع الإنسان عن الخطية، والطعام في حد ذاته ليس خطية.

والقديس بولس لا يتعرض هنا طبعاً للصوم أو الانقطاع عن الأكل إلى فترات معينة للنسك وضبط الجسد، لأن هذه كلها تُحتسب ترتيبات صحيحة ليحتفظ الإنسان بعفتّه وانضباط جسده. وهذا لا يدخل في إطار الإيمان الشخصي بل هذه ترتيبات الكنيسة بصورة عامة لصحة انضباط النفس والجسد.

القديس بولس يرى الضعف يزحف نحو الإيمان حيثما تدخل هذه الترتيبات في الإيمان نفسه، كأن يرى الإنسان خلاصه قائماً على أكل البقول وعدم شرب الخمر وتقديس أيام دون أيام. ولكن الذي يريده ق. بولس هو أن يظل الإيمان شيئاً وهذه الترتيبات شيئاً آخر، وأن لا تدخل هذه الترتيبات في علاقة المحبة والوحدة الروحية بين أعضاء الكنيسة.

٣:١٤ «لا يزدرِ مَنْ يأكلُ بمَنْ لا يأكلُ، ولا يَدِنْ مَنْ لا يأكلُ مَنْ يأكلُ، لأن الله قَبِلَهُ».

هنا ق. بولس يبدأ بالكشف عن الضربة اليمينية التي تصيب الأقوياء، وهي الاعتداد بالذات والشعور بالتفوُّق الروحي و بالتالي التعالي بالحرية على الضعيف. وعلى القارىء أن يلاحظ انتباه ق. بولس الحسَّاس من جهة عثرة الأقوياء في هذا الأصحاح، كيف يستطيع الشيطان أن يستخدم تفوُّق الإنسان في الثقة بالإيمان وحريته في الله في إسقاطه في الكبرياء ليسلب منه تفوقه في الإيمان، و بالتالي يسلب منه النعمة التي هي أصل تفوقه.

«لا يزدرِ» ـ «لا يدِن»:

خطية الأقوى في مقابل خطية الأقل: الأقوى أُصيب بالكبرياء بسبب إحساس نفسه بالتعالي؛ والأقل أُصيب بضيق الرؤيا وقصر النظر بسبب انحصاره في ذاته وفقدان اتساع رؤية الإيمان. والخطورة هنا أن كل فريق أفرز الفريق الآخر من دائرة المحبة والوحدة والقبول، هنا تفسَّخت الكنيسة وبدأت أعضاؤها تنحل وتتنافر، هنا جسد المسيح يشكو من جهالة الأقوى وجهالة الأضعف كليهما. والخطيتان متساويتان أمام الله. هذا يوضِّح لنا أن تعاملنا مع بعضنا البعض إن جاء من منطلق رؤيتنا الشخصية فهو خاطىء ومُعثر ويجلب الفُرقة في الجسد الواحد. ولا حلَّ إطلاقاً للحفاظ على وحدة أعضاء الجسد إلاَّ بالالتزام الحتمي بقبول كل عضو للآخر دون فحص نظري أو إدخال الشعور الذاتي أو تحليل الأخلاق والصفات بالمفهوم الإنساني. لأن الله يرى الكل رؤية واحدة، والضعيف عند الله ربما يكون في محل عطف وعناية أكثر: «كنت غريباً» «كنت مريضاً» «كنت محبوساً» (مت٢٥: ٣٥و٣٦). ويلاحظ أن خطية الازدراء لذوي الإيمان الأقوى جاءت أقوى من خطية الدينونة التي هي خطية ضعاف الإيمان. **فالازدراء دينونة واحتقار مع**

كبرياء وتباهي بالمقدرة معاً!! وهذا طبيعي لأن خطية الأقوياء نابعة من نفس وذات متعالية، لهذا كان خطر سقوط الأقوياء شديداً.

«لا تدينوا لأن الله قَبِلَهم»:

هنا ضعاف الإيمان الذين امتنعوا عن أكل اللحم وشرب الخمر وقدسوا أياماً دون أيام **يدينون** الأقوياء الذين اتسع إيمانهم ليأكلوا كل شيء دون ارتياب. وقد قلنا إن ضعاف الإيمان هم اليهود المتنصرون المتنسكون، هؤلاء يعتزون بملكيتهم لله كيهود أصلاً، وهذا جعلهم ينظرون إلى الأمم (الذين إيمانهم هو الأقوى إذ قد تحرروا من بند الناموس فيما هو طاهر ونجس وفيما يؤكل ولا يؤكل) باعتبار أن أكلهم لكل شيء دون تمييز هو دليل على بُعدِهم عن الله وعن وصاياه. **لهؤلاء اليهود المتنصرين يؤكد ق. بولس أن لا تدينوا الأمم الذين آمنوا بالمسيح: «لأن الله قَبِلَهم»:** وانتهى من قبولهم!

هنا يكشف ق. بولس عن عقيدة أن الله لا ينظر إلى ما يأكله الإنسان وما لا يأكله، بل ينظر إلى ما يؤمن به من جهة المسيح الذي مات من أجله وقام. فإن كان إيمانه صحيحاً ثابتاً كان أكله وشربه وكل ما يعمله صحيحاً: «طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه» (رو١٤: ٢٢)، **«لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً.»** (رو١٤: ١٧)

٤:١٤ «مَنْ أنتَ الذي تَدينُ عَبْدَ غيرِكَ؟ هو لمولاهُ يثبتُ أو يسقُطُ. ولكنه سيُثَبَّتُ لأن الله قادرٌ أن يُثَبِّتَه».

ق. بولس لا يزال ينتهر ضعيف الإيمان الذي لا يأكل ويدين مَنْ يأكل. وهنا يأتي الانتهار على أساس أن الاثنين هما عبدان في بيت سيد واحد، ليس لأي منهما سلطان على الآخر. فالسلطان الوحيد على الاثنين هو في يد السيد. فلماذا تدين، أنت أيها العبد، عبداً غيرَك؟ هو لسيده، أي تحت أمره وعنايته أيضاً. فإن سقط ـ عن الحق ـ فسقوطه ليس لك بل لسيده، وإن ثبت ـ في الحق ـ فهو ليس لك بل لسيده. ولكن اعلم أيها العبد الذي تدين عبداً آخر مثلك أن هذا السيد هو الله نفسه. فإن سقط، فالله قادر أن يقيمه وهو سيثبّته ـ في الحق ـ لأنه قادر أن يثبته.

هنا أيضاً يكشف ق. بولس خطراً من أخطار الدينونة الذي يرتد على الذي يدين، فمن كلام ق. بولس يمكن أن نستخلص: إن أنت دِنْتَ إنساناً حتى ولو كان ساقطاً، فَخَفْ واخْشَ الله جداً

واحترس، لأن الله قادر أن يقيمه وتسقط أنت ولا يقيمك!!! وبهذا تبقى دينونتك عليك أنت مضاعفة لأنك دِنْتَ ووقعت في نفس الدينونة، فالله سيدينك على دينونتك قبل سقوطك وسيدينك بسبب سقوطك. فانظر أيها القارىء وتمعَّن عمق وصايا الله ومخاطر الاعتداد بالنفس والفكر وإلقاء الدينونة على الآخرين لأي سبب، حتى ولو كانوا ساقطين في أسفل السافلين، فالله قادر جداً أن يقيم منهم قديسين وعظماء وتبقى أنت واقعاً في دينونتك.

وهنا قصة المسيح عن الدينونة ذات اعتبار عظيم: «لذلك يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده. فلما ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة. وإذ لم يكن له ما يُوفي أمر سيده أن يُباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويُوفَى الدَّين. فخرَّ العبد وسجد له قائلاً يا سيد تمهَّل عليَّ فأوفيك الجميع. فتحنَّن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدَّين. ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمائة دينار. فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً أوفني ما لي عليك. فخرَّ العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلاً تمهل عليَّ فأوفيك الجميع. فلم يُرِد بل مضى وألقاه في سجنٍ حتى يوفي الدَّينَ. فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً وأتوا وقصوا على سيدهم كلَّ ما جرى. فدعاه حينئذ سيده وقال له أيها العبد الشرير كل ذلك الدَّين تركته لك لأنك طلبت إليَّ، أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟ وغضب سيده وسلمه إلى (أيدي) المعذِّبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاَّته.» (مت١٨: ٢٣–٣٥)

٥:١٤ **«واحدٌ يعتبرُ يوماً دُونَ يومٍ (آخر)، وآخرُ يعتبرُ كلَّ يومٍ، فليتيقَّنْ كلُّ واحدٍ في عقلِه».**

«يعتبر يوماً دون يوم»: κρίνει ἡμέραν παρ' ἡμέραν

παρ' ἡμέραν تعني أفضَل أو أميَز، والمقصود أن أياماً أقدس من أيام أخرى في الاعتبار عند بعض المؤمنين. وهذا طبعاً يجيء في عُرف الجماعة ضعيفة الإيمان التي تمتنع عن أكل اللحوم وشرب الخمر. ولكن لا يوجد أي أساس أو تلميح في الآية وما بعدها لتقديس الأيام لاعتبار الصوم. والذي يمنع هذا التفسير نهائياً هو قول ق. بولس بعد ذلك: «وآخر يعتبر كل يوم»، فهل اعتبار أو تفضيل أو تقديس كل الأيام يكون للصوم؟

إذاً، واضح أنها مشكلة تختص بتقديس الأيام في حد ذاتها دون اعتبار للأكل، إذ ليس في كلام ق. بولس علاقة بين تقديس الأيام والامتناع عن الأكل. فكل توصية قائمة بذاتها، الأكل

قائم بذاته والأيام قائمة بذاتها: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة.» (كو٢: ١٦و١٧)

«وآخر يعتبر كل يوم»: κρίνει πᾶσαν ἡμέραν

بمفهوم أن الأيام كلها ذات اعتبار أو قداسة.

المعنى الهام الذي يقصده ق. بولس يتَّضح في تكميل الآية هكذا:

«فليتيقَّن كل واحد في عقله»: πληροφορείσθω

المعنى في الترجمة العربية تسرب من المترجم، فالمعنى أنه سواء بتقديس يوم عن يوم أو تقديس الأيام كلها يلزم أن يكون العقل قد تثبَّت والتصرف ليس فيه أي ارتياب من جهة الإيمان سواء عند الذي يقدس يوماً دون يوم أو الذي الأيام عنده كلها متساوية ومقدسة.

والقصد أن ق. بولس لا يمانع إطلاقاً في أن جماعة تقدس يوماً دون يوم، أو أن يقدس الآخرون كل يوم، فغاية القصد مما يسلِّط عليه ق. بولس النور ليوضِّح صحة الإيمان والعقيدة هو أن الذي يقدِّس يوماً عن يوم يقدِّس عن تعقُّل إيماني متيقن وليس عن ارتياب أو تردد. كذلك الذي يقدِّس كل يوم هو على صحة إيمانية وعقيدية إن هو صنع ذلك بدون تردد أو ارتياب.

فالقديس بولس لا يحكم أيهما أصح وأيهما خطأ، أو يفصل إيمانياً بين عملهما بالنسبة لتقديس الأيام. فلا دخل للإيمان المسيحي في موضوع تقديس يوم عن آخر أو تقديس كل الأيام. ولكن الإيمان المسيحي يهتز جداً إذا كان تدبير أي منهما فيه شك أو تردد أو ارتياب. هذا طبعاً شيء جديد تماماً عن الإيمان اليهودي الذي كان قائماً أساساً على تقديس يوم عن يوم، وشهر عن شهر وسنة عن سنة، واعتبار الطعام منه ما هو طاهر ومنه ما هو نجس في ذاته، وامتناع عن أكل هذا والتصريح بأكل ذلك، أي أن موضوع التعامل مع الماديات في الأكل وغيره، والزمان في الأيام وغيرها، كان داخلاً دخولاً جوهرياً في الإيمان والعقيدة والعبادة اليهودية — أما في المسيحية فلم يعد الأمر كذلك، فكل الأيام هي أيام الله لأنه لم يعُد للمسيحي تعامل مع الزمن بل مع الخلود!! فنحن الذين نقدِّس الأيام وليست الأيام هي التي تقدسنا، ونحن نحوِّل الزمن إلى خلود بالصلاة والعبادة وتقديس الفكر والحياة. كذلك لم يعُد الطعام والشراب والأكل عموماً داخلاً في الإيمان أو العبادة فلا تعامل لنا مع المادة إيمانياً فالطعام لا يقدِّسنا، بل نحن نقدِّسه بالكلمة والصلاة مع

الشكر فيتحول فينا من مادة وأكل وشرب إلى روح ونعمة وقداسة وحياة.

وكل ما يُطلب من المسيحي هو ثقته وتأكده التام في إيمانه من جهة صحة تصرفه في الأيام أو الطعام. وسوف يزيد ق. بولس في الآيتين (٢٠و٢٣) من صحة هذا الكلام وقوته.

«فليتيقن كل واحد في عقله»:

إذاً، فقد وضح الآن ماذا يقصد ق. بولس من قوله هذا، فهو يطلب أن يرافق التصرف في الأيام أو الطعام «يقين»، وهو هنا يخصصه باليقين العقلي νοῦ، فالقديس بولس لا يخاطب العاطفة أو مجرد الإرادة بل يخاطب العقل وليس التأمل والخيال والظنون. أي أن اليقين الذي يريد ق. بولس أن يكون في صميم إيماننا من جهة تصرفاتنا هو يقين قائم على الرضا الفكري والثبات العقلي مع الإيمان الواثق. وطبعاً معروف أن الإيمان نفسه يقوم على يقين روحي وليس عقلي. ولكن اليقين العقلي المطلوب هو أن يكون في التصرف في أمور الزمن والمادة يقين عقلي متفق تمام الاتفاق مع يقين الإيمان الروحي. كيف؟ بمعنى إني أقدس يوم الأحد لأن المسيح قام فيه من الأموات، ليس لأنه مقدَّس في ذاته بل لأن المسيح قام فيه فقدَّسه وقدَّس به كل الزمن، فأصبحت كل الأيام مقدسة في يوم الأحد. ففي اليهودية كان يوم السبت مقدساً كسابع يوم فقط في كل أسبوع، ولكن جاء يوم الأحد فابتلع يوم السبت ورفعه من حالة الزمن المحدود إلى خلود، وابتلع معه باقي الأسبوع وباقي الأيام وكل الزمن، فلم نعُد نتعامل في يوم الأحد مع الأسبوع والراحة الجسدية والزمن بل مع القيامة من الأموات والخليقة الجديدة وزمن الله للخلاص. لقد انتهى يوم السبت مع الخطية ومع الناموس الذي وضع تقديس السبت، لأن السبت لم يكن معروفاً قبل الناموس فإبراهيم لم يقدس السبت!! لقد انتهى السبت مع زمن الشقاء والدموع جملة. وبفجر الأحد دخلنا في يوم خلاص الرب الذي لا تغرب له شمس، وأشرق علينا بر الله في وجه يسوع المسيح القائم من الأموات بمجد الله، وبلغنا عتبة الأبدية حيث الراحة العليا التي لن يعقبها شقاء، فنحن في هذا الدهر نحيا الآخرة والحياة الأبدية بالإيمان وننتظرها بالرجاء. هذا هو يقين تقديس الأحد **على مستوى تحقيق وثبوت العقل، وتحقيق وثبوت الإيمان بالروح معاً.**

ولقد وُجد فعلاً في الزمان الأول المسيحي من كان يقدس كل الأيام، هؤلاء الذين كانوا يعيشون في ملء زمن الخلاص ولا يفرقون بين يوم ويوم مثل الآباء الأُوَل قبل أن يظهر قانون الأحد. لأن مسيحيي روما لم يكن في زمانهم قد تقرر الأحد كيوم للرب بعد، فكانت أيامهم كلها خلاصية وسعيدة لأنهم كانوا يعيشون في ملء القيامة، ولكن حتماً كان منهم مَنْ يقدِّس السبت،

فاليهود كانوا يقدِّسون السبت كسبت راحة زمني، والمسيحيون كانوا يقدِّسون كل الأيام كأزمنة الخلاص والحياة بالقيامة من الأموات، أو ربما لا يقدِّسون الأيام أبداً باعتبارها زمن العالم «الزمن الشرير» الذي ينبغي أن نفتديه بالصلاة.

وواضح جداً أن ق. بولس هنا يبارك على الذين يقدسون يوماً دون يوم، ويبارك على الذين يقدِّسون كل الأيام كأزمنة خلاص في الرب، أو لا يقدسونها بالمرة كأزمنة العالم المرفوض الذي صُلِبَ لي وأنا له.

٦:١٤ **«الذي يهتمُّ باليوم فللربِّ يهتمُّ، (والذي لا يهتمُّ باليوم فللرب لا يهتمُّ). والذي يأكلُ فللربِّ يأكلُ لأنه يشكرُ الله، والذي لا يأكلُ فللرب لا يأكلُ ويشكرُ الله».**

هذه الآية صدرت في الطبعات المراجعة عن مخطوطات يونانية موثوق بها بدون هذا الجزء الموضوع بين قوسين (والذي لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم). واعتبره كثير من العلماء المحدثين أنه مضاف ليكمِّل الوزن المنطقي الحرفي للكلام وأنه في عرفهم خطأ ويفسد المعنى وقد أسقطه **أغلب المفسرين المحدثين**، والذي يرجح عندهم أن هذا الجزء مضاف هو غيابه في كثير من أوثق المخطوطات القديمة، وثانياً أن ق. بولس سبق أن قال في الآية السابقة مباشرة (الخامسة): «واحد يعتبر يوماً دون يوم، **وآخر يعتبر كل يوم**»، ولم يقل وآخر «لا يعتبر»، كما جاءت الآية السادسة بكلمة **«والذي لا يهتم»**. فهنا انقلب المعنى بحسب ما جاء في الآية الخامسة: من شخص يقدِّس جميع الأيام، وهذا جيدٌ ومقبول، إلى ما جاء في الآية السادسة أن هذا الشخص لا يهتم (لا يقدِّس) جميع الأيام. ولكن في عُرفنا أن هذا جائز أيضاً بحسب ما سبق وشرحنا أعلاه بحسب رؤيتنا أن كلا التسجيلين للآيتين الخامسة والسادسة صحيح، لأن كلمة «يعتبر الأيام كلها» هي صحيحة لأن تقديس الأيام كلها سليم إذا أخذنا المعنى أنها أيام الرب = زمن الفداء الذي نحن فيه = زمن الخلاص الأبدي الذي وُهب لنا أن نعيشه في الرب. كذلك «لا يهتم بالأيام» صحيحة إذا أخذنا بأنها أيام العالم، أيام الخطية والشقاء المرفوضة، فهو يحيا فوق الزمن بروحه ناظراً إلى فوق.

هنا ق. بولس يوجه الفكر المسيحي باتساع روحي وإيماني في منتهى القوة والأصالة والصحة: **أن هذا مثل ذلك ولا فرق على الإطلاق!** لأن الهدف واحد وقد أوضحه ق. بولس بالتكرار، أن الاهتمام أو عدم الاهتمام بالأيام، أو تقديس يوم أو تقديس كل الأيام ليس بسبب الفكر الخاص أو المزاج الخاص أو الأيام في ذاتها؛ ولكن التصرف هو موجَّه لله **«فللرب»** يهتم، **«فللرب»** لا يهتم، **«فللرب يأكل» «فللرب لا يأكل»، «فللرب يشكر»**، آكلاً أو صائماً. **فإذا كان**

هدف العمل هو الله ولا شيء غير الله، كان هذا العمل مقبولاً أمام الله.

ولكن يلزم أن ننتبه إلى مدى دقة واتساع التدبير الإيماني العالي الذي يضعه ق. بولس هنا لأهل رومية ومن بعدها لكنيسة الله في كل العالم. فبكل اختصار ووضوح كان يوجد يهود يقدّسون السبت ولا يقدّسون باقي الأيام، فكانوا في نظر المسيحيين الأمميين موضع ازدراء لأن هذا كان في اعتبار المسيحيين رَجعة إلى الوراء ناتجة عن ضعف واضح في الإيمان المسيحي خاصة بالقيامة من الأموات، التي أعطى المسيح بها حياة جديدة بأزمنة جديدة للإنسان، انتهى فيها الناموس بكل وصاياه ومن ضمنها السبت الذي كان لراحة الجسد، والجسد في عرف المسيحيين قد مات مع المسيح وقام ودخل معه راحته العليا الروحية الأبدية ولم يعُد له وجود ولا اعتبار ولا راحة هنا على الأرض.

وإزاء هذا كان المسيحيون لا يقدّسون السبت ولا يحترمونه ولا يعتبرونه قط، فكان اليهود يستشيطون غضباً عليهم لأنهم يهينون السبت الذي كان عندهم مقدساً للغاية في حدود مفهوم الناموس، لذلك كان اليهود يدينون المسيحيين أشد إدانة باعتبارهم أنهم يكسرون وصية الله.

وهكذا كان أمام ق. بولس خطر انقسام الكنيسة ودخولها في شقاق ونزاع لن يلتئم بين اليهود المتنصرين وبين المسيحيين من الأمم. ولكن رؤية ق. بولس الإلهية الحادة اكتشفت العلّة وأدركت الحل. فالعلة عند اليهود كانت ضعف إيمانهم بالمسيح، وعدم بلوغهم الحرية الكاملة التي أُعطيت للمسيحي، أيًّا كان، أن ينالها بالإيمان المسيحي أنه لم يعُد مديناً للعالم ولا للجسد ولا الناموس، فقد رُفِعَت خطاياه ونال بر الإيمان بالقيامة من الأموات وبدأ ميلاده الجديد السمائي بالروح. فلا ناموس ولا خطية ولا جسد ولا عالم ولا راحة لجسد بعد أن دخلنا الراحة الأبدية لنعيشها بالإيمان والرجاء. فاليهودي لا يزال يتمسك بالسبت لأنه لم ينَلْ ملء حرية الإيمان في المسيح. والعلة عند المسيحي، أنه بحصوله على الإيمان الذي أعطاه حرية الروح وجعله يتجاوز الناموس بوصاياه ومفهوم الراحة الجسدية، بدأ يزدري باليهودي الذي آمن بالمسيح ولا يزال ممسوكاً من خلف بالناموس ووصاياه. فاليهودي يدين أخاه المسيحي، والمسيحي يزدري بأخيه اليهودي في المسيح!!

الحل المقدس:

جيد لليهودي أن يقدس السبت ولكن ليس لموسى بعد بل للمسيح. باعتبار أن المسيا «هو رب السبت أيضاً» (مت١٢: ٨)، **فاليهودي المسيحي حر في تقديسه «لليوم» الذي يختاره ولكن في حدود الإيمان بالمسيح**، وأعطى ق. بولس قانون اليهودي الجديد ـــ الذي يعتبر يوم (السبت) دون يوم «ويهتم باليوم» (السبت) ـــ هو هكذا «الذي يهتم باليوم (السبت) فللرب يهتم».

وبهذا يكون ق. بولس قد أحاط باليهودي وأدخله في عمق الإيمان المسيحي، هو مع سبته، ورفع من الوسط بينه وبين المسيحي علة الازدراء أنه يقدّس السبت باعتباره يهودياً، فالآن هو يقدّس السبت باعتباره مسيحياً، وهكذا انتفت علة النزاع والشقاق. والصلح واضح أنه أتى عن طريق الالتصاق بالمسيح، لهذا فهو صلح مقدّس وقانون مقدّس يتحتم أن يسري على الكنيسة كلها مدى الدهور. فالإنسان حرٌّ في أن يقدّس اليوم أو الأيام، إنما من أجل المسيح وفي يقين الإيمان به وليس لأية علة أخرى خارجة عن المسيح أو خارجة عن الإيمان بالمسيح.

وهنا ندخل على بيِّنة من جهة نظام الكنيسة الآن، فالكنيسة تقدّس أياماً ـــ ولكن في المسيح ـــ سواء كانت أعياداً كبرى للمسيح أو أعياداً صغرى أو أعياداً للعذراء القديسة مريم أو أعياداً للرسل أو الشهداء أو القديسين من الرهبان، ولكن كل هذا في المسيح! فعندما نعيِّد لشهيد أو قديس، **نعمل اجتماعاً عاماً «سيناكسي» للكنيسة، ونقيم قداساً «للرب»، ومن داخل القداس** نذكر الشهيد أو القديس ونمدح سيرته كيف عاش للمسيح ومات. فتقول كنيسة روما مثلاً نحن نقدس ذكرى للقديس أنطونيوس في يوم الأربعاء مثلاً، فنقول ونحن نقدس ذكراه في يوم الجمعة. يقول ق. بولس: سيَّان، المهم أن لا ترتاب كنيسة روما ولا كنيسة مصر في اليوم الذي حددته على أن تكون الذكرى في المسيح الواحد ومن أجل المسيح الذي يوحِّد الكل في ذاته.

بهذا القانون وبهذه الروح المتسعة وبهذا الوعي الإلهي المسيحي العالي يستطيع ق. بولس أن يستوعب نظم الكنيسة التي تبدو متباينة، طالما هي في المسيح ومن أجل المسيح وبيقين الإيمان ودون ارتياب، على أن لا يدين أحدٌ أحداً آخر، ولا يزدرِ أحدٌ بأحدٍ آخر.

«والذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله، والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله»:

وعلى نفس المنوال السابق، فالمسيحيون الأمميون يأكلون كل شيء، وهنا المضمون المستتر هو بعض اللحوم وهي الأطعمة التي هي في عرف اليهود نجسة، إذ كان لليهود أطعمة خاصة للأكل منها ما هو نجس ومنها ما هو طاهر، أو ما هو ممنوع وما هو مصرَّح به. فكان هذا يثير حفيظة مسيحيي الأمم إذ كانت حريتهم في المسيح قد رفعت من ضميرهم أية قيمة لأنواع الأكل في ذاته أو من جهة ما يؤكل وما لا يؤكل، فكانوا أيضاً يزدرون باليهود المسيحيين المتحفظين. أما اليهود الذين كانوا يعتبرون أنواعاً ممنوعة وأنواعاً مُصرَّحاً بها وأنواعاً نجسة وأنواعاً طاهرة فكانوا يدينون الأمميين المسيحيين حينما كانوا يأكلون ويشربون أمامهم دون تمييز لما هو طاهر ونجس.

وهكذا أيضاً في الأكل، كان مسيحيون يدينون الآخرين ومسيحيون يزدرون بالآخرين، وكانت الكنيسة على شفا الانقسام.

الحل المقدس:

ق. بولس أيضاً إذ يرى العلة والأساس في إيمان اليهود المتنصِّرين الذين لا يزالون متمسكين بأنواع أطعمة مقبولة ومرفوضة، طاهرة ونجسة، وفي إيمان الأمميين المتنصِّرين الذي لا يَسَعُ ضعف الضعفاء ويأكلون كل شيء وكأنهم أفضل من الذين يمتنعون، يعطي حلَّه المقدس أن مسيحيي اليهود الذين **يمتنعون عن الأطعمة هم على صحة إن كان امتناعهم يتم بتقديم ذبيحة شكر بالصلاة مع الأكل للرب يسوع المسيح**، وهكذا يصير امتناعهم هو لحساب الرب يسوع واسمه وليس للناموس، وبهذا تنتفي علة الازدراء عند الذين يأكلون كل شيء؛ **وأن مسيحيي الأمم إن قدَّموا ذبيحة شكر بالصلاة للرب على ما يأكلون يكون أكلهم كل شيء على صحة أمام الله والناس**، وبهذا تنتفي علة الكبرياء والتفوق، لأن ما يعملونه لا يكون بسبب تفوُّق في الإيمان بعد بل إنما هو للرب يسوع المسيح وفي اسمه يأكلون.

وبهذا تنتفي الدينونة وينتفي الازدراء، ويصبح عدم الأكل والأكل سواءً بسواء هما للرب يسوع المسيح وليس لحساب الناموس أو لحساب الذات.

وهنا ندخل على بيِّنة في أمر الأكل والأصوام في الكنيسة المقدسة المرتشدة بروح الله وتعاليم الرسل، أن الامتناع عن الأكل بالأصوام هو صحيح، فقط إن كان يقدَّم للمسيح كذبيحة شكر على ما أعطانا من إيمان، وليس عن عادة أو تقليد أو فرض مقدس. من أجل هذا تحتم أن يرافق الصوم صلاة حارة للمسيح **ليقبل الصوم من أيدينا كذبيحة شكر** وإلاَّ سقط الصوم من حساب الأعمال الصحيحة وصار للبر الذاتي؛ وأن الأكل من كل شيء إن كان لعلة مرض أو نصيحة طبيب، ولكن ليس ازدراءً بالصوم، يكون صحيحاً إن قُدِّم عليه شكرٌ للمسيح كذبيحة صلاة. من أجل هذا تحتَّم علينا الصلاة على كل أكل ليُحْسَبَ عملاً صحيحاً في المسيح.

أما المضمون الإلهي والروحي في هذا التوجيه هو أنه لا الصوم في ذاته ولا الأكل في ذاته بقيمة أساسية في الإيمان(١٢)، فهو ليس عملاً جوهرياً في الإيمان وإنما تقديم الصوم وتقديم الأكل

(١٢) يقول القديس ذهبي الفم في شرحه لرسالة رومية على هذا الموضوع:
[فإن هذا الشيء نفسه (الأكل وعدم الأكل) لا يتعلق بالأساسيات (الإيمان). إذاً الحاجة هي أن يعمل الإنسان هذا أو ذاك من أجل الله، وأن ينتهي هذا وذاك بالشكر لله. NPNF, 1st Ser., Vol. XI, p. 524]

للمسيح بالصلاة هو المحسوب في الإيمان. لذلك فالذي يصوم أو يأكل بارتياب إيمانياً فهو خطية، والخطية ليست من الإيمان. بمعنى أن الصوم والأكل كليهما يحتسبان عالة على الإيمان ونقصاً فيه إن لازمهما تشكك أو وسوسة أو ارتياب، إذ لابد للذي يصوم أن يصوم وهو متيقِّن عقلياً لماذا يصوم، والذي يأكل يأكل وهو واثق إيمانياً أنه على صحة.

وفي الاثنين يقدم ق. بولس المعيار الإلهي للتصحيح هكذا:

+ «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله. كونوا بلا عثرة لليهود (أيها الأمميون) ولليونانيين (أيها اليهود) ولكنيسة الله (أيها المستبيحون) كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا.» (١كو١٠: ٣١ــ٣٣)

١٤: ٧و٨ **«لأن ليسَ أحدٌ مِنَّا يعيشُ لذاتِهِ ولا أحدٌ يموتُ لذاتِهِ. لأننا إن عِشْنا فللربِ نعيشُ وإن مُتْنا فللربِ نموتُ. فإن عِشنا وإن مُتْنا فللربِ نحن».**

ق. بولس يرتفع بالفكر المسيحي فوق محيط الأكل والشرب والأعمال الزمانية التي تختص بهذا الزمن، إلى أفق أعلى إيمانياً وحياتياً، فالقديس بولس يسمو بالإيمان المسيحي فوق أعمال هذا الزمان ليضع الإنسان المسيحي في وضعه النهائي مع المسيح الذي يحتضن الجميع في شخصه.

فليست الأعمال وحدها ينبغي أن تُعمل لأجل المسيح؛ بل الحياة برمتها، فمَنْ مِنَّا يعيش لنفسه؟ بل هل أحد يموت لنفسه؟ فحياتنا كما أنها من الله، بالأولى جداً تكون لله!! ليس الحياة الأرضية فقط: «لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع١٧: ٢٨)، بل بالأولى الحياة الروحية التي تتحكم بالفعل في حياتنا الأرضية وكل أعمالها: «فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في **الإيمان** إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). كذلك الموت، فحتى الموت لم يَعُدْ يخصنا نحن لأننا وُهبنا موت المسيح ودخلناه فصار موتنا هو موت المسيح: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذاً ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢كو٥: ١٤و١٥)

هكذا صار من صميم الإيمان المسيحي أننا نعيش للرب ونموت للرب، ولم يَعُدْ لأنفسنا حياة خاصة ولا موت خاص، لا حياة خاصة تعبث فيها حريتنا الذاتية ولا موت خاص ترتعب منه نفوسنا. وهكذا ينجمع المسيحيون عن صحة إيمان وأعمال في حياة واحدة، وموت واحد أيضاً،

فأين توجد الدينونة أو أين يحتل التذمر والازدراء في حياة واحدة وموت هو واحد؟ وإن كانت عيشتنا هكذا وموتنا أيضاً هو للرب، فهل يمكن أن تحتمل عيشتنا انقساماً ونحن ذاهبون إلى موت واحد؟

إن هذا الأفق المسيحي العالي الذي يضعنا فيه ق. بولس يجعل وحدتنا المسيحية في كنيسة واحدة بفكر واحد وعمل واحد أمراً لا مفر منه.

٩:١٤ **«لأنه لهذا ماتَ المسيحُ وقامَ وعاشَ لكي يسودَ على الأحياءِ والأمواتِ».**

ومرة أخرى يطرحنا ق. بولس من هذا الأفق العالي الذي حلّق بنا فيه ليلقينا في صميم حقيقة وواقعية الإيمان المسيحي. فيقول إن عيشتنا الواحدة معاً بالعمل الواحد والفكر الواحد التي ستنتهي حتماً بموت واحد لا تنبع من خيال، بل يحكمها أعظم قانون إلهي ظهر على الأرض. فلكي يكون للناس عيشة واحدة وعمل واحد وفكر واحد يجمعهم معاً، مات بنا ابن الله وقام بنا بجسده البشري الجديد لنعيش عيشة جديدة تنبثق منه هو وحده الواحد الأحد، فنحن في واحدٍ مُتنا وفي واحدٍ نعيش الآن، علماً بأن موت المسيح على الصليب ماته من أجل جهالاتنا وأخطائنا وخطايانا، فلماذا الجهالة بعد حكمة «أننا متنا معه»؟ وهذا الواحد الرب يسوع المسيح أصبح بالضرورة الحتمية يملك على موتنا فيه وحياتنا فيه، أي على كل الذين يموتون في المسيح و يعيشون في المسيح، فنحن الذين مُتنا في المسيح وفيه نعيش الآن، نحن واحد، عن حتمية مصدر الموت الواحد للحياة الواحدة التي فينا. فمهما تعدَّدت أسباب موتنا وشكله، ومهما تعددت أساليب حياتنا، فنحن الذين نستقي حياتنا من المسيح ونصبُّها فيه، والتي تتنوع إلى الآلاف من الأشكال والألوان والميول والعواطف والمواهب والأعمال، فليس فيها شكل واحد ولا عمل واحد ولا حركة واحدة يمكن أن تصلح لدينونة أو بغضة أو ازدراء أو انقسام. **فإن كنا في «الواحد» نحيا جميعاً ونموت، فكيف لا نكون واحداً؟** «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح.» (في١:٢١)

أنواع الحياة كثيرة جداً ومتعددة جداً، ولكن روح «**الحياة**» المسيحية في ذاتها وهدفها واحد: إنها حياة المسيح! وصنوف الموت والإماتات التي تُفرض على الإنسان أو التي يفرضها هو على نفسه هي أيضاً متعدِّدة، ولكن حقيقة «**الموت**» المسيحي في ذاته واحد: إنه «موت المسيح» على الصليب الذي أنهى به على جهالات الإنسان وحَكَّمه للخلاص الأبدي. فمن غير المعقول أن يدين أو يزدري مسيحي مسيحياً آخر، وهما يستقيان روح الحياة من مصدر واحد، إن في الموت أو في الحياة. فإن عشنا فللرب نعيش وإن مُتنا فللرب نحن!! فأين تكون دينونتنا أو ازدراؤنا بعضنا

لبعض والموت واحد والحياة واحدة ونحن محكومون بالواحد يسوع المسيح الذي به مُتنا عما هو لنا وها نحن فيه وله نعيش؟

أما الذي بعد هذا كله وبالرغم من ذلك كله يدين و يزدري، مسيحي بمسيحي، فإنه يدَّخر لنفسه دينونة وازدراءً أبدياً: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي.» (دا١٢:٢)

[١٤:١٠-١٣] لا يحكم أحد على آخر أو يدينه فيما يمليه عليه ضميره

١٠:١٤ **«وأما أنتَ فلماذا تدينُ أخاكَ. أو أنت أيضاً لماذا تَزْدَري بأخِيكَ؟ لأننا جميعاً سوف نَقِفُ أمامَ كرسيِّ المسيح».**

فالآن إن كنا قد متنا مع المسيح عن جهالاتنا وقمنا مع المسيح لنستمد منه حياتنا، وإن كان الموت يجمعنا بكل أشكاله والحياة تضمنا في حزمة واحدة في كف المسيح وروحه، والمسيح يحكم موتنا بموته ويحكم على حياتنا بحياته، وبهذا أصبحت أعمالنا وأفكارنا وتصوُّرات قلبنا كلها مكشوفة أمامه وعريانة، فكيف أو بالحري لماذا، لماذا تدين أو تزدري بأخيك، الذي معك مات ومعك يعيش، أليس في موت واحد صُهرتم صهراً كذهب يُصفَّى من أكداره؟ وفي حياة واحدة تعيشون من مصدر الطهارة؟ نعم من أين تأتي بكدر الدينونة والمسيح طهَّركم بموته؟ ومن أين تأتي بوسخ الازدراء والمسيح قدَّسكم بحياته؟ إذاً، فبالنهاية هو حكم واحد يحكم عليك هل أنت مع المسيح تعيش أم عليه؟

إن كنت مع المسيح تعيش، فالسؤال سيكون قاطعاً مانعاً خطراً كل الخطر فلماذا تدين أخاك الذي مات المسيح لأجله؟ وإن كانت حياتك مستمدَّة من المسيح، فالسؤال أشد خطراً فلماذا تزدري بأخيك وحياته هي مثل حياتك في يدي المسيح؟ فكِّر الآن وتدبَّر فيما تقول حينما تقف أمام كرسي الدينونة ليسألك المسيح لماذا صنعت؟ بأي عذر تعتذر؟ بأي لسان تردُّ؟ بأي منطق تجيب؟ علماً بأنك لابد أن تجيب فبماذا ستجيب؟ جرِّب الآن واعطِ عذراً وإجابة؟ فإذا استحال عليك الأمر فلماذا تُدخل نفسك في المستحيل؟ لماذا تحمِّل نفسك وِزراً يتعذَّر عليك حمله، وعاراً وازدراءً أنت في غنى عنه. القديس بولس يضيِّق عليك الآن ليعطيك فرصة لتحطِّم قيودك من اليوم لتعيش حراً بلا قيود، بلا دينونة: لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع الذين يعيشون ليس

حسب انفعالات الجسد ولا جهالات الفكر ولا ظنون النفس؛ بل يستلهمون الروح والحق من المسيح.

عزيزي القارىء، إنها فرصتك اليوم أن تعيد كل حساباتك التي بها حكمت على غيرك فرداً أو جماعة، سواء بالفكر أو الفم أو القلب ضد أخ لك في المسيح أو هيئة أو كنيسة ما للمسيح، في عمل أو في إيمان أو في عقيدة. فالدينونة للديان وحده. **إلزم أنت صحة إيمانك واعمل عملك في يقين إخلاصك بعقيدتك لمسيحك، لأن على إيمانك وأعمالك ستنال إكليل الحياة**، وعلى دينونتك للناس ستُدان، وعلى ازدرائك بالآخرين ستأخذ حكم ازدراء: «لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح».

«نقف أمام كرسي المسيح»:

نقف παραστησόμεθα ، كرسي βήματι يعني منبر القضاء الرسمي حيث تصدر الأحكام. وهو اصطلاح قضائي شرعي يأخذ معنى هيبة الوقوف الحقيقي أمام منصة القضاء العالي.

يلاحظ هنا أن ق. بولس يضع المسيح موضع الله القاضي والديان الوحيد، لأن المسيح يقضي لحساب الله، وهو الوحيد الذي له حق الدينونة للناس، لأنه حمل الدينونة كاملة عن كل خطاة الأرض، فهو يقضي عن جدارة لأنه صاحب قانون العقوبات والبراءة، ولأنه حقاً قال: «مَنْ رذلني ولم يقبل كلامي فله مَنْ يدينه. **الكلام الذي تكلمتُ به هو يدينه.**» (يو١٢: ٤٨)

فإنجيل المسيح هو القانون الذي بمقتضاه تُضاهَى أعمال الناس وضمائرها على كلماته، وكل واحد يدرك دينونته من ضميره؛ بل ومن الآن تبتدىء هذه الدينونة عينها، لأن بنود قانون القضاء قائمة بالإنجيل أمام أعيننا، والضمير قد تعلَّم قدرة القراءة على بنود هذا القانون: «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح» (رو٢: ١٦). فالله يدين بيسوع المسيح أسرار الناس بمقتضى إنجيل المسيح حيث يقف: «ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة.» (رو٢: ١٥)

عزيزي القارىء، الإنجيل بين يديك اقرأه جيداً لأنك ستحاكَمُ بمقتضاه، افهم بكل قلبك ماذا يقوله المسيح لك ويريده منك، لأن الذي يقوله لك الآن سيحاكمك به بعد، ولكن ثق تماماً أنك لو أطعت كلماته بكل قلبك وفكرك ولكن عجزت عن ضعف وقصور عن تتميم شيء كما كنت تتمنى وكما كان يتمنى لك المسيح، فضميرك بالروح القدس سيدافع عنك، والمسيح حينئذ لا يعود لك قاضياً بل محامياً وشفيعاً: «مَنْ سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرِّر. مَنْ هو الذي

يدين. المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله، الذي أيضاً يشفع فينا.» (رو٨: ٣٣و٣٤)

١٤: ١١و١٢ **«لأنه مكتوبٌ أنا حيٌّ، يقولُ الرَّبُّ، إنه لي ستَجْثُو كلُّ ركبةٍ، وكلُّ لسانٍ سيحمَدُ الله. فإذاً كلُّ واحدٍ منا سيُعطي عن نفسِهِ حساباً لله».**

المكتوب هنا هو لإشعياء النبي (نسخة بيروت): «بذاتي أقسمت خرج من فمي الصدق كلمة لا ترجع إنه لي تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان» (إش٤٥: ٢٣). وبالسبعينية: «بذاتي أقسم، سيخرج البر من فمي، لا ترتد كلماتي أن ستجثو لي كل ركبة **وأن كل لسان يحلف لله**». وقد وضعها ق. بولس على مستوى الإعلان هكذا: «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، **ويعترف كل لسان** أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في٢: ١٠و١١). القديس بولس هنا يزيد من قوة وخطورة وهيبة الوقوف أمام كرسي المسيح، إذ أعطاه الله بالقَسَم أن تجثو له كل ركبة، **وباسمه يقسم كل مَنْ يقف أمام كرسيه أن يقول الحق** ولا شيء غير الحق. فإن كان هذا سيكون موقفنا أمام الديان العادل لنعطي حساباً عن أنفسنا، فكيف نُجري دينونة ما، ونحن هنا الآن على الأرض، أو حتى نشترك فيها، بينما سنعطي حساباً عنها ونُدان أمام الله والمسيح؟

قوانين سلوكية صارمة ومحددة للكنيسة

١٤: ١٣ **«فلا نُحاكِم أيضاً بعضُنا بعضاً. بل بالحريِّ احكُمُوا بهذا أن لا يُوضَعَ للأخ مَصْدَمَةٌ أو مَعثَرَةٌ».**

الآن وبعد أن وضع كل فريق في الكنيسة ــ يهوداً وأمميين ــ في موضعه الصحيح والسليم، وحيث أصبح لا توجد بؤرة للنزاع والدينونة والازدراء بعد؛ إذاً فعلى الاثنين يصدر القانون الكنسي.

«لا نحاكم، بل احكموا»: μὴ κρίνωμεν ἀλλὰ κρίνατε

لا نحاكم بعضنا بعضاً، أي ممنوع إصدار أحكام في الكنيسة من فريق ضد فريق آخر. ولكن لتجتمع الكنيسة معاً بدون انقسام وتحكم حكماً واحداً أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة!! أي لترفع عوائق الإيمان والمحبة، أي عوض أن تحكموا عليه احكموا له، عوض أن تحاكموا بعضاً احكموا معاً لخير بعضكم لتفادي الحكم على بعض. فعوض السلوك السلبي الذي يضر الكنيسة

والجسد والمسيح اسلكوا بالإيجاب واعملوا لصالح الكنيسة والجسد والمسيح.

«مصدمة أو معثرة»: πρόσκομμα, σκάνδαλον

هنا إشارة لشجون اليهود، فالمسيح كان لهم صخرة **صدمة** وحجر **عثرة**، لم يكونوا مستعدين لظهوره ولا على مستوى الوعي والفهم النبوي لمعرفته، فلما ظهر لهم اصطدموا به وقاوموه، ولما اصطدموا به عثروا فيه وصلبوه!! فالآن يا أمم المسيح الذين أخذتم المسيح بلا صدمة ولا عثرة، كفى اليهود المتنصرين أوجاع الماضي وذكرى أحزان الصليب، فلا تقدِّموا لهم المسيح ليكون لهم مرة أخرى سبب صدام أو مصدر عثرة، لا تجعلوا حريتكم في المسيح تصوِّر لهم المسيح وكأنه ضد اليهود أو ضد عوايد اليهود ـ التي لا تتعارض مع الإيمان القويم ـ كتقديس الأيام أو مراعاة الأصوام، ولكن اقبلوهم بفرح ففيهم رائحة الآباء القديسين ومنهم الوعد والعهد. احتملوا ضعف إيمانهم وعوايدهم وطهارة أكلهم، فلا تأكلوا النجس أمامهم، ولا تعملوا ما يشككهم في أكلهم وشربهم وحياتهم، اشتركوا في ولائم محبتهم وأشركوهم في ولائم محبتكم، أكرموا السبت[١٣] كرامة للأحد حتى يكرِّموا هم القيامة وأحد القيامة فيعمَّ الحب ويُرفع الحاجز المتوسط استعداداً لأيام الفرج وعودة البقية المنفيَّة: «فالبقية ستخلص»!! (رو٩:٢٧)

١٤:١٤ «إني عالمٌ ومتيقنٌ في الربِّ يسوعَ أنْ ليس شيءٌ نَجِساً بذاته إلاّ من يَحْسِبُ شيئاً نجساً فله هو نجسٌ».

«إني عالم ومتيقن في الرب يسوع»: οἶδα καὶ πέπεισμαι = «علم و يقين رسول»:

إنه على مستوى القسم المغلَّظ، لقد اعتاد ق. بولس أن يقول فقط إني «متيقِّن في الرب» (غل٥:١٠، في٢:٢٤، ٢تس٣:٤). هكذا يتبيَّن لنا أن ما يقوله ق. بولس هنا هو قانون رسولي، السلطان الرسولي فيه مرتكز على حقٍّ مطلق[١٤].

والأمر هنا لا يحتاج إلى نقاش أن بولس الرسول إنما يتكلم بفم المسيح عن إعلان مؤكد[١٥].

(١٣) ظلت الكنيسة القبطية تكرِّم السبت والأحد، ولا يزال إلى الآن بقايا ذلك، فللسبت تكريم خاص في الكنيسة القبطية في الطقس والقراءات والأصوام، فلا يُصام فيه لأنه «عيد» ولا يقدَّم فيه السجود بنوع النسك. وظلت الكنيسة تقيم في عشية السبت صابح الأحد قداساً خاصاً اسمه عشاء الرب، وذلك حتى القرن الرابع على الأقل (أنظر كتاب: «الإفخارستيا والقداس»، للمؤلف، ص٣٤٠و٤٧٣).

14. Käsemann, *op. cit.*, p. 375.
15. Zahn, Lagrange, Leenhardt, W.H.Schmitt, Michel. Cited by Käsemann, ibid.

فقوله: «في الرب يسوع» هو نُطق من المسيح بغير نطق، حيث المسيح هنا هو واضع القانون، بشهادة ق. بولس وهذا القانون المسيحي الجديد يلقي بضوئه مرة أخرى على أمر الناموس في المفهوم المسيحي. وواضح الآن أن قاعدة الناموس في الطاهر والنجس إنما كانت أمراً يخص جيله وزمانه وناسه فقط، وبظهور المسيح «الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً» (١كو١:٣٠)، فقد تطهَّر الإنسان أو بالحري «طهَّر بالإيمان قلوبهم» (أع١٥:٩)، فصار كل ما نمسُّه يتطهَّر، وكل طعام «إنما يُقدَّس بكلمة الله والصلاة» (١تي٤:٥). وهكذا يطابق ق. بولس ما قاله الرب واضحاً بلا لَبْسٍ أو إبهام: «ثم دعا كل الجمع وقال لهم اسمعوا مني كلكم وافهموا ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان» (مر٧: ١٤و١٥)، «فقال بطرس كلاَّ يا رب، لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً. فصار إليه أيضاً صوت ثانيةً ما طهَّره الله لا تدنِّسه أنت.» (أع١٠: ١٤و١٥)

هذا هو الإيمان المسيحي الذي قَبِله الأمم من تعاليم بولس الرسول المبني على قول الرب وإعلانه لبطرس الرسول أو لبولس الرسول. وهنا نفهم سر قول القديس بولس في مطلع الأصحاح الرابع عشر مشيراً إلى مسيحيي اليهود بقوله: «ومَنْ هو ضعيف في الإيمان فاقبلوه». فالأمم استلموا حقاً وبالفعل إيماناً قوياً غير متزعزع وبلا أي ارتياب فيه: «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي١:١٥)، لأن للإنسان المسيحي الذي تقدَّس بعطية الروح القدس قوةً أن يقدِّس كل شيء بالكلمة والصلاة. هذا هو الإيمان القوي في مقابل إيمان الطاهر والنجس ولا تَمَسْ ولا تَذُقْ!! ولكن تعاليم ق. بولس الرسولية التي تقول بالمشاركة مع مسيحيي اليهود، إلى حين، تاركين إيمانهم الأقوى ومشاركتهم للأضعف من أجل وحدة الجسد والمحبة هي إضافة قوة إيمانية جديدة على إيمانهم القوي: «صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء.» (١كو٩:٢٢)

«نجساً بذاته»: κοινόν وهي المقابل والضد لـ ἅγιος :

الكلمة اليونانية لا تعني في أصلها اللغوي "نجساً" بالمرة ولكن تعني عاماً أو "عمومياً". فكيف انقلبت وصارت تعني "نجساً"؟ فمعروف أن الطاهر ترجمة لكلمة καθαρός ، وهي تعني "ليس نجساً" not - unclean، ولكن المقدَّس الذي هو أصل "الطاهر" هو «**المخصَّص**» لله. فإذا كان شيء غير مخصص لله فهو دَنِس، وهنا الدنِس يكون هو العام أو العمومي لأنه غير مخصص لله. من هنا جاءت هذه الكلمة اليونانية κοινόν وتعني "عام" ولكن في اللغة اليونانية الطقسية تعني "دنس"[١٦].

16. Hodge, On Rom. Unabridged, p. 666.

«ليس شيء نجساً بذاته»:

القديس بولس يكشف ملخص أو معيار القانون الذي يضعه الآن بضمان المسيح نفسه، أن طبيعة الأشياء كطعام أو خلافه ليست نجسة في ذاتها، ولكن إذا اعتقد الإنسان في ضميره أن شيئاً نجسٌ فهو يكون نجساً له حسب اعتقاده. هنا ق. بولس يأتي في صفّ الناموس ــ بالنسبة لليهودي المتنصِّر، فالناموس علَّم بالطاهر والنجس، واليهودي آمن واعتقد ووثق في ضميره بالأشياء النجسة فهي نجسة له حتماً ونجسة في ذاتها بالنسبة لليهودي فقط، أما بالنسبة للمسيحي وبناءً على قول المسيح وتقديسه للإنسان وضمير الإنسان فلم يَعُد شيء نجساً في ذاته بالنسبة للمسيحي.

هنا تأتي الخطورة: فالمسيحي اليهودي يعتقد في ضميره تماماً بسبب تعاليم الناموس السابق أن هذا الشيء نجس، والمسيحي الأممي يعتقد في ضميره تماماً أن هذا الشيء نفسه ليس نجساً. هنا يضع ق. بولس القانون:

+ إذا أكل المسيحي اليهودي هذا الشيء النجس مخالفاً ضميره ومرتاباً في تصرفه يُحسب له خطية ــ لأنه يُحسب له أنه أكل نجساً، لذلك فالارتياب في الضمير هو خطية وكل خطية ليست من الإيمان. لذلك ممنوع على اليهودي المتنصِّر أن يخالف ضميره.

+ وإذا أكل المسيحي الأممي من هذا الشيء النجس وهو في ضميره لا يحسبه نجساً فهو ليس خطية، ولكن إذا أكله أمام اليهودي المسيحي **فإنه يُعثره، وهذا يحسب أكله للشيء النجس خطية.**

في الحقيقة إن هذا القانون يقف في صف الإنسان المسيحي ليرفع من سعة محبته وقبوله للذين يخالفونه في أسلوب الحياة سواء في الأكل أو الفكر أو السلوك. فإن كان لا شيء بالمرة نجساً في ذاته بالنسبة للإنسان المسيحي القوي، لذلك تكون إمكانيات المسيحي للمجاملة هائلة سواء تجاه اليهودي المتنصِّر أو تجاه كل من يخالفه في الكنيسة فيما هو طاهر ونجس، لكي إذا قَبِلَ الضعيف ولم يصدُّه أو يُعثره فسوف يدعِّم حياة المحبة والوحدة الضرورية بين الأعضاء المتباينة: «أما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس» (أع١٠: ٢٨)، وصرت «للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلا ناموس.» (١كو٩: ٢١)

واضحٌ أن هذا القانون الرسولي الذي يضعه ق. بولس في هذا الأصحاح إنما هو جوهرة نفيسة في قلب الإنسان الكارز، فكيف نكرز للخليقة كلها وفي ضميرنا تحفُّظ، هذا دنس وهذا نجس،

كيف نخرج خارج السياجات (سياجات القوانين والأصول والمبادىء والطهارة والعفة والتعقُّل) ونُلزم الناس بالدخول؟ وهم بين دنس ونجس؟

ق. بولس أعطى الكنيسة قوةً مضاعفةً لكي تتمشى مع أضعف أعضائها، بل تماشيه وتقبله، بل تحبه وتصادقه مهما كان الدنس الذي فيه ومهما بلغت نجاسته. فتقول له عن صدق: دنسك عليَّ يا ابني، نجاستك أنا أحملها، فقط تعالَ وذُقْ محبتي واسمع لتعاليمي، فالنعمة قادرة أن تخلع من عليك رداءك الذي تدنَّس لتُلبسك ثياب البر والقداسة، تزيح من قلبك همَّ الخطية وتُلبسك إكليل الفرح الأبدي: «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنُّم وفرح أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد.» (إش٣٥: ١٠)

[١٤: ١٥—١٩] حرية المسيحي محكومة بعدم المساس بمشاعر القريب وهدفها البنيان العام

١٤: ١٥ **«فإن كان أخوكَ بسَبَبِ طعامِكَ يُحزَنُ فلستَ تسلُكُ بعدُ حَسَبَ المحبةِ. لا تُهلِكْ بطعامِكَ ذلك الذي ماتَ المسيحُ لأجلِهِ».**

ق. بولس يدخل بالقانون السالف إلى حيز عملي.

نعم، أنت لك حرية وقوة في الإيمان بالمسيح قادرة أن تتخطَّى كل الحدود الضيِّقة التي يؤمن ويعتقد بها الآخرون. ولكن الحرية في المسيح يسوع تتجلَّى في أعلى مراحلها حينما تتخلَّى عنها كلية من أجل خلاص الآخرين: «فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين.» (١كو٩: ١٩)

أنت في المسيح صرت حراً تأكل أي طعام حتى ولو كان أخوك يحتسبه نجساً في ضميره، ولكن إن كنتَ بطعامك هذا تُحزن أخاك فقد صارت حريتك إثماً وقتلاً للمحبة.

إن هذا هو العجب أن يوهب لنا نحن المسيحيين أن نقدِّم حريتنا على مذبح المحبة لكي لا نُعثر مَنْ كان ضعيفاً في الإيمان!! وكأن خلاص أخي يوازن حريتي حتى يلغيها! وبهذا تكون الحرية المسيحية أخذت تعريفاً أو معياراً جديداً، فالحرية المسيحية تبلغ منتهى صدقها في التضحية بها ذاتها من أجل خلاص أخي.

«يُحزَنُ» : λυπεῖται

هذا هو المعيار الذي يوزن به مدى الأثر المدمِّر الذي ينشأ من استخدامك لحريتك، «فحزن» النفس من جراء جرح شعورها، اعتبره ق. بولس بمثابة «هلاك» لها. إلى هذا الحد أصبحت حرية الإنسان محفوفةً بالمخاطر، فأنت تلهو بحريتك، وفي لهوك تقتل نفساً اشتراها المسيح بدمه. القديس بولس يتكلَّم عن «إحزان» الأخ لنا في الإيمان لا على مستوى الفكر نظرياً بل على مستوى جرح الضمير، على مستوى إغاظة النفس في الداخل وحرق مشاعرها حرقاً. هذا يعتبره ق. بولس هو الهلاك الذي تجوزه النفس من فرط حزنها، والهلاك للمشاعر والضمائر قد يؤدي إلى هلاك النفس أيضاً.

الإنسان المسيحي الخادم يبدو لنفسه أحياناً أنه حرٌّ يتكلم وينادي بالمبادىء، أليست هي صحيحة؟ أليس أن الكنيسة تقول ذلك؟ ويسلِّط كلامه كالحراب بالحزم والقطع، فيسمعه ضعيف الإيمان فيدخل كلامه كالسيف في كبده، فيعتصره الحزن ويأكل ضميرَهُ الكَمَدُ ويشيح بوجهه عن الكنيسة، عن الإيمان، عن العقيدة التي جرحته بل قتلته: «لا تُهلك بكلامك ذلك الذي مات المسيح لأجله»!! ... وأنت يمكنك أن تبلغ كل ما كنت تريده من إذاعة الحق والصحيح ولكن بكلمات اللطف والمحبة.

«مات المسيح لأجله»:

هنا مقارنة مرعبة، أنت تُهلك نفساً مات المسيح لأجلها. هو خلَّصها من الهلاك بدم نفسه؛ وأنت تهلكها بحرية نفسك!! هو مات، تنازل عن ماله كإله وأخذ شكل العبد ليُحييها؛ وأنت تمارس حق الحرية لتميتها! المعنى هنا خطير، فأنت بحريتك التي تستخدمها دون حرص على المحبة والمودَّة واللطف الإلهي تقاوم عمل الخلاص وتفسده من جهة الآخرين، تضيِّع تعب المسيح وتلغي فعل موته وقيامته تجاه أخيك الذي مات المسيح لأجله. «أحارس أنا لأخي»؟ (تك٤: ٩). نعم أنت حارس لخلاصه طالما ذُقتَ أنت الخلاص، وخلاصه محسوب عليك، فإن كنت لا تستطيع أن تضع نفسك لتخلِّصه فلا أقل من أن لا تتلف خلاصه!!

فالحرية المسيحية إن كان يغذيها الإيمان، فالمحبة تحدُّها وقد تلغيها!!

+ «إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين» (١كو٩: ١٩)
+ «فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي ...» (رو٩: ٣)

١٤: ١٦ **«فلا يُفترَ على صلاحِكم».**

هي جملة تعقيب حزينة، وهي موجهة لنا:

إن أصلح ما في الإيمان المسيحي هو الحرية المنبثقة من صحة الإيمان وقوته وشموله كما رأينا، فلا تستخدموا حريتكم ـــ التي هي عنوان صلاحكم ـــ استخداماً جارحاً للآخرين حتى لا يجدِّف الناس على صلاحكم، على إيمانكم، على حريتكم!! لأنه لو زاد تجاهلي لمصلحة أخي وخلاصه في استخدامي لحريتي فسوف ينتهي بالافتراء على صلاحي.

١٤: ١٧ **«لأن ليس ملكوتُ الله أكلاً وشرباً. بل هو برٌّ وسلامٌ وفرحٌ في الرُّوح القدس».**

أخيراً يعقِّب ق. بولس على سبب هذا الشقاق الحادث بين المسيحيين من أصل يهودي ومن أصل أممي، الذي تركَّز في الأكل والشرب الذي هو من أعقاب تعاليم الناموس التي أورثت الكنيسة الأُولى معظم النزاعات التي أقلقتها جداً وتسبَّبت في محن وأضرار. فنحن لا ننسى ما حدث في بداية نشأة الكنيسة بعد حلول الروح القدس، وما أنشأه الروح في الكنيسة من حالة فقر إختياري وتوزيع الثروات وحياة الشركة على أعلى ما تكون الشركة في المحبة والهناء والمسرة، وكانت هذه صورةً ساطعةً لمعنى ملكوت السموات الذي جاء المسيح ليؤسسه بين الناس وعلى الأرض بالمستوى المحسوس والمنظور.

+ «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً. وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم.» (أع٤: ٣٢و٣٣)
+ «وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مُسبِّحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون.» (أع٢: ٤٦و٤٧)

ولكن عن طريق الأكل والشرب دخل أول شقاق وكان من جهة اليونانيين:

+ «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمُّر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كن يُغفل عنهن في الخدمة اليومية ... فاختاروا إستفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس وفيلبس و ... و ... فكانوا يرجمون إستفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب يسوع اقبل

روحي ... فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة.» (أع٦: ١و٥، ٧: ٥٩، ٨: ٤)

وها هو ق. بولس يدخل مرة أخرى في المشكلة عينها، ولكن هذه المرة يأتي الشقاق والقلق من جهة اليهود المتنصِّرين، إذ كان يُجرح ضميرهم كل يوم وسط باقي المسيحيين الأمميين حينما كانوا يتناولون أطعمة نجسة أمامهم غير عابئين بآلامهم النفسية، وكان الشقاق وشيكاً.

وبعد أن عالج ق. بولس المشكلة رفع القضية من مستوى الأكل والشرب إلى مستوى ملكوت الله الذي كان على الكنيسة أن تعيشه وتحققه في العالم شهادة للمسيح، وركَّز مفهوم الملكوت على **البر والسلام والفرح**: فعوض الأكل والشرب الذي انشغلت به كنيسة روما، نبَّه ذهنهم أن القضية في مبدئها ومنتهاها هي قضية ملكوت الله المؤسس على «البر»، الذي منحه الله مجاناً بالمسيح يسوع، والذي نلنا به الفداء والمصالحة والتبني وحق الميراث المعدّ، وعلى السلام الذي وهبنا الله لنعيشه: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله» (رو٥: ١)، وعلى فرح الروح القدس الذي يرفع عنا أثقال وهموم العالم الحاضر وأتعاب الجسد وأوجاعه ويلهب قلوبنا للمحبة والصلاة والتسبيح مع الشكر.

والرب يسوع المسيح كان أول من سبق ومهَّد لهذا كله وبكل وضوح النعمة:

+ «لا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس ... لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم.» (مت٦: ٣١ـ٣٣)

البر: + «**طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون**»؛
السلام: + «**طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدْعون**»؛
الفرح: + «**افرحوا وتهللوا** لأن أجركم عظيم في السموات.» (مت٥: ٦و٩و١٢)

المسيح أخذ على عُهدته أننا إذا اهتممنا بملكوت الله وبرّه المجاني فلن يتركنا نجوع أبداً أو نعطش أبداً إلاّ إلى البر، هذا وعد الرب.

لقد جرَّبه كثير من القديسين بصورة واقعية وارتقوا عليه بكل كيانهم يطلبون ملكوت الله وبرّه في أعماق البراري والجبال، فأرسل لهم قوتهم ولبسهم. وها هو إيليا وهو في كربه لم يهتم بأكله وشربه وسار أربعين يوماً في البرية طالباً وجه الرب، ولكن أسعفته الملائكة بالأكل والماء في الطريق مرتين (١مل١٩: ٤ـ٨)!! والأمثلة قديماً وحديثاً صادقة وناطقة بصدق وعد الرب.

وإن كانت حاجة الجسد هي إلى طعام، فحاجة النفس هي إلى سلام، وحاجة الروح إلى فرح،

والله وعد وأكمل الوعد أن برّه سيتكفَّل بكل أعواز الإنسان لا على الأرض فقط بل وفي السماء.

هذا هو ملكوته كما عرفناه، بل أقول كما ذقناه، هذا هو شغلنا الشاغل الذي ولدنا الله ثانية خصيصاً له، وأهَّلنا لميراثه، وأعطانا عربونه بالروح الناطق في قلوبنا.

مشاكل الكنيسة بحسب غرور هذا العالم كانت كفيلة بأن تفتِّتها منذ أن اقتناها الرب بالروح يوم الخمسين وحتى إلى اليوم، ولكن عناصر الملكوت حيَّة وفعَّالة ذات ركائز قوية ومضيئة في نفوس أتقيائه، موزَّعة على كل الأرض وعلى مدى الزمان، كفيلة أن تصدّ جحافل الظلمة لكي لا تقوى عليها أبواب الجحيم! هذا وعد!! (مت١٦: ١٨)

١٨:١٤ **«لأن مَنْ خَدَمَ المسيحَ في هذهِ فهو مرضيٌّ عند الله ومزكًّى عند الناس».**

«لأن»: ὁ γάρ: توضِّح أن ما هو آتٍ هو توضيح أكثر لما فات ومبني عليه.

«لأن مَنْ خدم المسيح في هذه»: ـ في هذا ـ ἐν τούτῳ

ربما **في هذا** تكون أصح لأنها تأتي باليونانية في حالة المفرد المحايد أي في موضوع ملكوت الله بما يحويه من عناصر أساسية: بر وفرح وسلام في الروح القدس، وتحتاج فعلاً لمن يخدم فيها أو يخدمها لحساب المسيح.

أما **«خدمة البر»**: فتعني خدمة بر الله الذي أُظهر بظهور المسيح واستعلن في موته وقيامته، **فخدمة البر** تعني خدمة الفداء والتجديد والصلح والتبني والميراث، أي خدمة استعلان الخلاص الذي أكمله المسيح وذلك باستيعاب مفاعيله بالروح في ملء الحياة ثم تسليمها للآخرين على مستوى الروح. فهذه هي خدمة الملكوت بالدرجة الأُولى، نخلص نحن ونمتد بخلاصنا لخلاص الآخرين، هذا يكون لحساب المسيح، فبالروح نأخذ منه ونخبِّر لتأسيس الإيمان، فالإيمان بالخبر.

أما **«خدمة السلام»**: فتعني أن ننفتح وبلا مانع على الآخرين لأننا «إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو٥: ١). فهذا السلام هو الثمرة الأُولى لبرّ الله الممنوح للإنسان، «وثمر البر يُزرع في السلام من الذين يفعلون السلام» (يع٣: ١٨). فنحن إذ نلنا بر الله وحُزنا على السلام نصير زُرَّاع سلام، نزرعه أينما سرنا وأينما حللنا، وأفعال السلام تنمو في القلب وتسكن الكيان وتحرِّك المشاعر من مجرد إلقاء السلام إن كان بمؤازرة النعمة: «فهوذا حين صار صوت سلامك في أذنيَّ ارتكض الجنين بابتهاج في بطني» (لو١: ٤٤). وقول الرب ضمين لوصول

السلام لكل مَنْ سمعه باسم الرب وكان مستحقاً: «وحين تدخلون البيت سلِّموا عليه. فإن كان البيت مستحقاً فليأتِ سلامكم عليه، ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم إليكم» (مت١٠: ١٢و١٣). الرسل كانوا أول موزعين لسلام المسيح على بيوت وقلوب الناس. وهكذا زُرع السلام على أرض شقاء الإنسان ونبت وصنع أثماراً تليق بملكوت الله.

أما «**خدمة الفرح في الروح**» فتقوم في شركة المحبة حيث يحل الروح القدس في القلوب ويصير فرح الله آية ملكوت الله داخلنا، وفرح ينشىء فرحاً: «**افرحوا لكي تفرحوا** في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١بط٤: ١٣). وربما في جميع أنواع الخدمات التي بالروح ليس ما يساوي إدخال الفرح في قلوب البائسين واليائسين ممن أضنكتهم الخطية، حينما يشرق في قلوبهم وجه المسيح، فتزول الكآبة ويزول الحزن والتنهد ويملك الفرح ويقيم: «سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم.» (يو١٦: ٢٢)

ق. بولس يحوِّل أنظار المنشغلين بهموم الأكل والعثرات إلى همِّ حمل نير المسيح الهيِّن وحِمْلِه الخفيف، للبشارة بملكوت البر والسلام والفرح في الروح القدس.

«مرضيٌّ عند الله ومزكًّى عند الناس»:

لا يوجد عمل في الأرض طرًّا يكون مرضياً عند الله ومزكًّى عند الناس إلاّ خدمة ملكوت الله وحمل نير المسيح: «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا١٢: ٣)

١٤: ١٩ **«فلنعكِف إذاً على ما هو للسلامِ وما هو للبنيَانِ بعضُنا لبعضٍ».**

«إذاً»: ἄρα οὖν

تأتي في اليونانية في بداية الآية لتعطي الكلام ضرورة وحتمية بناءً على ما فات، بمعنى: لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً بل هو بر وفرح وسلام في الروح القدس، وأن مَنْ خدم المسيح في هذه فهو مرضي عند الله ومزكًّى عند الناس، إذاً فلنعكف ...

«فلنعكف διώκωμεν **إذاً على ما هو للسلام»:**

سبق وأن شرحناها في الآية (رو١٢: ١٣) وهي تعني السعي وراء واقتفاء الأثر والملاحقة.

واضح أن هذا السعي لصنع السلام وزرعه في النفوس، خاصة تلك المُتعَبة، وإدخال السرور

والبهجة في قلوبهم هو عمل «ملكوتي»، هو بناء لملكوت الله في نفوس أولاد الله. وهذا عكس ما تعانيه الكنيسة من الشقاق والتوتر بسبب اختلاف الأفكار والظنون فيما هو صالح للأكل وغير صالح، أو ما يُشرب وما لا يُشرب، أو ما يُعمل وما لا يُعمل، الأمر الذي يجرح ضمائر الضعفاء ويؤذي بنيانهم الروحي، وقد يُهلِك نفوسهم بسبب الحزن والشعور بالمعاداة والعزلة. إذاً فصنع السلام لبنيان النفوس هو العمل الإيجابي المفروض فرضاً كقانون رسولي حتى نتلافى الأعمال والأقوال السلبية الضارة. لذلك يضع الرسول بولس كلمة «نعكف» التي تعطي معنى السعي الحثيث خلف السلام.

«وما هو للبنيان»: οἰκοδομῆς

في الحقيقة لا تُفهم هذه الكلمة إلاّ بسابقتها أي بالسعي الدائم وراء السلام، فهذا هو عامل البناء الحقيقي للنفوس المتعبة، فالسلام عنصر بنائي، ويعقوب الرسول يضع هذا الكلام في آية منيرة رائدة: «**وثمر البر، يُزرع في السلام من الذين يعملون السلام**» (يع٣: ١٨). فالنفس بانيها هو الله وحده، «فبرّ الله» الذي انسكب علينا بالفداء والمصالحة التي أكملها لنا المسيح مع الآب هو هو العنصر الأساسي للطبيعة الجديدة للنفس البشرية المولودة لله بالإيمان بالمعمودية وبكلمة الله الحية وبقيامة الرب يسوع المسيح من الأموات. هذا «البر» له ثمار كثيرة هي عناصر النمو التي تحتاجها النفس، وكلها هامة، ولكن يُعتبَر السلام الذي يملك على النفس والقلب والفكر هو الجو الروحي الذي تنمو فيه النفس وتتقبل كل مفاعيل بر الله لتثمر في النفس. لذلك نسمع هذه النغمة اللذيذة المريحة للنفس في سفر الأعمال عن الكنيسة كيف كانت تُبنى في سلام: «أما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع٩: ٣١). ويلاحظ هنا أن الكنائس كان لها سلام أولاً، لذلك كانت تُبنى، أما التكاثر فكان بعزاء الروح القدس الذي كان ينتشر بين الناس كعبيق رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون. بهذا نرى السلام بالنسبة للكنيسة هو كأساس عميق يترسَّب في النفس فيجعل كل تعليم وكل قيادةٍ ناجحة وتأتي بثمارها.

والخادم المسيحي المرتشد بالروح القدس يعرف كيف تنجح خدمته بتأسيس السلام النفسي والروحي بين المؤمنين أولاً وقبل كل شيء، لأنه لن يستطيع أن يبني النفوس إلاّ إذا ملأها السلام أولاً، وذلك برفع كل مصادر القلق والشك والانقسام وأن يصالح النفس مع النفس أولاً، أي يصالح كل نفس مع نفسها، وحينئذ يستطيع أن يصالح النفس مع النفوس الأخرى. ومرة أخرى نود لو ينتبه القارىء لمعنى كلمة «"**يعكف**" على ما هو للسلام» كما جاءت باليونانية فهي:

السعي الحثيث والمتابعة وراء السلام في كل بيت، في كل اجتماع، مع كل نفس، واثقاً ومتأكداً من دعاء ق. بولس لكل خادم في الكنيسة: «وإله السلام سيسحق الشيطان (شيطان الفرقة والانقسام والخصام) تحت أرجلكم سريعاً» (رو١٦: ٢٠)، بل ودعاء المسيح نفسه: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدْعَون.» (مت٥: ٩)

[١٤: ٢٠–٢٣] العمل أو التصرف بضمير مرتاب يُحسب ضد الإيمان وهو خطية.
العمل أو التصرف الذي يسيء إلى ضمير غيري يُحسب ضد الإيمان وهو خطية.
العمل أو التصرف بدون ارتياب وبحسب الإيمان يُحسب نعمة.
«طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه»

١٤: ٢٠ **«لا تنقُضْ لأجلِ الطعامِ عملَ الله. كلُّ الأشياءِ طاهرةٌ لكنه شرٌّ للإنسانِ الذي يأكلُ بعَثْرَةٍ».**

«لا تنقض»: καταλυε في مقابل ما هو للبنيان οἰκοδομῆς (آية ١٩):

الهدم هنا في مقابل البناء في الآية السالفة، لذلك تجيء هذه الآية لا كأنها عودة إلى تعاليم ما قبل الآية (١٩) التي أعطت ختام التعاليم على مستوى المعيار اللاهوتي الإيماني، ولكن تأتي تأكيداً للآية (١٩) السالفة، بمعنى: "اعكف على ما هو للسلام والبنيان منتبهاً إلى الأسباب التي توقف البناء وتهدم السلام جملة وتفصيلاً". وإن كان ق. بولس يعطي هنا مشكلة الطعام التي سبق أن شرح أسبابها وعلاجها، ولكن يليق هنا أن نضع كل أسباب الهدم التي تنتهي كلها بإحزان النفس وجرح ضميرها وإشعارها بالعزلة والازدراء. فكل ضربة تصيب النفس البشرية كفيلة بأن توقف عمل الله بالنسبة للنفس التي مات المسيح لأجلها.

«عمل الله»:

واضح أنه إذا كان الأكل والشرب وما يتأتى منهما من معثرة وشقاق ودينونة وازدراء هو **«عمل الإنسان»، «فعمل الله»** هو الذي سبق وحدده ق. بولس في الآية السابقة: «فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان»، بمعنى لا نضحي بالسلام وبنيان النفس بسبب تدقيقنا فيما يؤكل وفيما لا يؤكل، لأن كل عمل الإنسان الذي من تدبير الإنسان لا يأتي من ورائه إلاّ الهدم، أما عمل الله فلا يتأتى من ورائه إلاّ البنيان. والقديس بولس يضع العثرة الهادمة في مقابل السلام الباني.

«كل الأشياء طاهرة»:

οὐδὲν κοινόν × πάντα μὲν καθάρα = ليس شيء نجساً (آية ١٤).

الترجمة العربية أسقطت μεν **وهي تفيد «حقاً» Indeed**. وهنا ق. بولس يعطي نفس التأكيد السالف الذي قاله بالنسبة للنجس. «إني عالم ومتيقن في الرب يسوع – أن ليس شيء نجساً بذاته إلاّ مَنْ يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس» (رو١٤: ١٤). هنا يؤكد ق. بولس ما قاله عن النجس في الآية (١٤) بصورة إيجابية بالنسبة للطاهر. كل الأشياء – حقاً – طاهرة، في مقابل ليس شيء نجساً. هنا يبلغ جمال المنطق وحبك المعنى ودقة التصوير منتهاه!!!

وكما حدث استثناء في الآية (١٤): «إلاّ مَنْ يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس»، هكذا يجيء الاستثناء هنا: «لكنه شرٌّ للإنسان الذي يأكل بعثرة».

فكما أن ليس شيء نجساً بذاته إلاّ الذي يحسبه نجساً فيصير له نجساً، هكذا الطاهر فكل شيء حقاً طاهر إلاّ الذي يأكل الطاهر بضمير مرتاب فيصير الأكل له شرًّا، أو الذي يأكل الطاهر أمام اليهودي الذي يحسبه نجساً، فيُعثِر أخاه، فيصير أكله شرًّا أيضاً. لأن «العثرة» هنا في هذه الآية تأتي بمعنى أنه هو يصير مُعثَراً، أو يصير مُعثِراً، أي الذي يأكل الطاهر بضمير مرتاب ليرضي الأممي ويُعثِر نفسه هو، أو اليهودي المتنصِّر الضعيف الإيمان. والأممي الذي يأكل أمام اليهودي المتنصر أكلاً يعتقد أنه طاهر فيكون طاهراً فعلاً لنفسه بينما هو في الحقيقة ليس طاهراً لليهودي المتنصِّر، فيُعْثِره.

هذا يوضح لنا الحرج المتبادل بين اليهود والأمم في بداية نشأة الكنيسة، ولكن للأسف والحزن الشديد لا يزال هذا بنفسه حادثاً الآن بالنسبة للكنائس التي تأكل والكنائس التي لا تأكل والعثرة نفسها قائمة والدينونة نفسها قائمة، والازدراء نفسه قائم والفُرْقة نفسها قائمة والسلام بين الكنائس منزوع والهدم قائم بنشاط. والقديس بولس يستصرخ ضمير هذا وذاك: «لا تنقضوا عمل الله»: البر والسلام والفرح في الروح القدس!!

٢١:١٤ **«حسنٌ أنْ لا تأكلَ لحماً ولا تشربَ خمراً ولا شيئاً يصطدمُ به أخوكَ أو يَعْثُرُ أو يَضْعُفُ».**

ولو أن ق. بولس يستحسن أن لا يأكل الإنسان لحماً أو يشرب خمراً أمام الإنسان الضعيف

الإيمان فيعثره، ولكنه في الحقيقة يعطي أمراً رسولياً لازم التنفيذ لأن عدم تنفيذه يعود باللوم على مستوى ارتكاب خطيئة، لأن في إعثار الآخرين خَطَرَ هلاكِ النفس الذي يتحمل الإنسان المسيحي وِزْره. إذاً فأسلوب ق. بولس هو التلاطف فقط، ولكن الحقيقة الإيمانية ليس فيها أية ملاطفة. لأن ق. بولس قالها مرَّة: إنك بهذا تُهلك إنساناً مات المسيح لأجله، فأي لطف في مثل هذا العمل؟

أما لماذا صار هذا الأمر خطيراً إلى هذا الحد، فذلك لأن سِرَّ عمل الفداء الذي أكمله المسيح بموته كان "قصده" أن ينتهي عند أن يجعل الاثنين واحداً، اليهود والأمم!! اسمع الآيات التي يسيل منها الدم: «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً (اليهود والأمم) ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة مُبْطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق (من) الاثنين في نفسه **إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب** قاتلاً العداوة به. فجاء وبَشَّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين. لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف٢: ١٤–١٨)

انظر كيف أن عمل الفداء ينتهي بأن يجعل اليهودي والأممي واحداً، هذه هي ثمرة الصليب. فكيف أنت أيها الأممي بعد أن نلت هذا الإحسان العظيم أن تتصالح مع أخيك في دم المسيح بعد عداوة دهرية، تعود وتُهلكه بسبب حريتك التي أخذتها من المسيح؟

وق. بولس يعبِّر عن ذلك بأكثر توعية وتحذير في قوله: «انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء، لأنه إن رآك أحد (من اليهود المسيحيين) يا مَنْ له علم (إتساع إدراك أن الأوثان خرافة ولا قيمة لها) متكئاً في هيكل وثن أفلا يتقوى ضميره (غشاً) إذ هو ضعيف حتى يأكل ما ذُبح للأوثان (وهو مرتاب) فيهلك (بسبب ارتيابه الذي يُحسب له عدم إيمان) بسبب علمك (حريتك) الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله؟ وهكذا إذ تخطئون إلى الإخوة (الضعفاء مهما كانوا) وتجرحون ضميرهم الضعيف **تخطئون إلى المسيح**. لذلك إن كان طعامٌ يُعْثِرُ أخي فلن آكلَ لحماً إلى الأبد لئلا أُعثِرُ أخي.» (١كو٨: ٩–١٣)

وقفة قصيرة

عزيزي القارىء، انظر ماذا صنع المسيح أولاً لكي نكون جميعاً واحداً في الإيمان وفي الجسد الواحد، ثم انظر كيف يقدِّر بولس الرسول قيمة الوحدة في الجسد الواحد أي الكنيسة، حتى جعل

عدم إعثار الآخرين عنصراً هاماً في الإيمان المسيحي، بل انظر كيف في النهاية قطع على نفسه وهو في الحقيقة يقطع علينا، أنه لكي أربح خلاص أخي في المسيح يمكن أن أصوم أو نصوم كلنا عن الشيء الذي يعثرهم ولا نذوقه إلى الأبد!!!

ثم تعالَ بنا ننظر سوياً إلى ما آل إليه حالنا، كيف تمزقنا وصار كل فريق يقترف الإعثار قصداً وبلا حساب وبلا نهاية، الواحد للآخر فتُجْرَحُ الضمائر وتُحزَن النفوس وتهلك الأرواح، والمسيح يرى ويسمع!!

٢٢:١٤ **«ألكَ إيمانٌ؟ فليكُنْ لك بنفسِكَ أمامَ الله. طوبى لمن لا يدينُ نفسَهُ في ما يستحسِنُه».**

هنا يجدر بنا أن نرجع للقاعدة العامة التي يستند إليها ق. بولس في هذه الآية: «فإني أقول بالنعمة المعطاة لي (هنا أمرٌ رسوليٌّ عالٍ) لكل مَنْ هو بينكم (أمر عام يسري على الجميع بلا استثناء) أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التعقُّل **كما قَسَم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان.**» (رو١٢: ٣)

إذاً، فالإيمان لا يسلَّم للجميع بمقياس واحد أو برؤية واحدة أو باتساع واحد أو بقوة واحدة. فالله بحسب سبق معرفته بالإنسان ماذا هو وماذا سيكون، يمنحه قسطاً من الإيمان يتوافق مع جميع إمكانياته وضعفاته وطموحاته ومسئولياته!! فأصبح الإيمان لدى كل إنسان خاصاً به وحده لا يعرضه على الناس للتباهي ولا يفرضه على الناس متجاهلاً إمكانياتهم.

ق. بولس هنا يحذِّر الأقوياء الذين انفتحت عليهم طاقات معرفة الروح وأدركوا اتساع فكر الله والمسيح وصار لهم إيمان قوي لا يهتم بصغائر الأمور الزمنية، يحذِّرهم من أن يستعرضوا إيمانهم أمام الضعفاء في الإيمان ويعملوا أشياء تجزع منها ضمائرهم.

يكفي أقوياء الإيمان أن يفرحوا بإيمانهم أمام الله. ويقول ق. بولس أنهم حقاً هم سعداء بإيمانهم وضمائرهم التي تطهَّرت من الأعمال الميتة، ولكن ليكن لهم إيمانهم هذا فيما بين أنفسهم والله.

ولكن إن كان حقاً "طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه"، ولكن يا ويله إذا هو ارتاب وضغط على ضميره ونفَّذ ما لا يرتاح إليه ضميره أمام الله.

هنا خطورة القدوة: الأب بالنسبة للأسرة، وقدوة الأخ الأكبر بالنسبة لإخوته، والأم بالنسبة لبناتها، والمدرِّس والمدرِّسة بالنسبة لصغارهم، والخادم مع تلاميذه. لا تفرض إيمانك على الضعيف، لا تُعيِّر الآخرين بحريتك، لا ترغم الضعفاء أن يعملوا ما لا يؤمنون به أو يتصرَّفوا بغير ما ترتضي به ضمائرهم. احترم ضعف الناس، واحترم ضمائرهم المُعْثَرة، تمشَّ مع الأضعف ولا ترهقه بسعة إيمانك وحريتك، ولا تأتِ عملاً قط يوجع ضمائر غير المدرَّبين على الحرية.

٢٣:١٤ «وأما الذي يرتابُ فإنْ أكلَ يُدانُ لأن ذلكَ ليسَ من الإيمانِ. وكلُّ ما ليسَ من الإيمانِ فهو خطيةٌ».

«وأما الذي يرتاب»:

يرتاب **διακρινόμενος** في مقابل **يستحسن** **δοκιμάζει**

وضعان متقابلان: **الأول:** على مستوى القوة في الإيمان المسيحي وحريته: **«طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه»**

الثاني: «الذي يرتاب إنْ أكل يُدان»، على مستوى الضعف في الإيمان ومحدودية الإحساس بالحرية.

السؤال: لماذا؟ ونحن وإن كنا قد جاوبنا على هذا من زوايا عديدة ولكن هنا ينبغي أن نوضِّح أن الإنسان الذي يتصرَّف ضد ضميره بل وضد قياس إيمانه الذي قسَّطه الله له بالعدل ولكل واحد حسب حاجته للخلاص ليكون كفيلاً بخلاصه، يكون بذلك قد خرَّب ميزان خلاصه بيده. لأنه إن تعارض الضمير مع العمل فسيصرخ الضمير يوم الدين شاكياً صاحبه ومحتجاً، وسيكون ضميره أداة دينونته.

ق. بولس يريد منا أن تكون ضمائرنا صاحية على مستوى إيماننا الذي أعطانا الله. القديس بولس يرى أن ندرِّب ضمائرنا لتقوى وتتسيطر وتسود على المشيئة المهتزة والإرادة التي تتنازل وتنهار أمام الإغراء أو التهديد — كشرب الخمر أو ما يماثله — لابد أن يقف الضمير مستأسداً ضد الغواية فيقطع دابر الارتياب من أول خطوة، فلا يتنازل الإنسان ويمد يده للأكل أو الشرب أو يعمل أي شيء يكون الضمير غير موافق عليه. هنا الذي يرتاب و بالرغم من ذلك يأكل أو يعمل أي عمل يكون قد أُمسِكَ به من شهوته وانحنت نفسه فيه تحت غواية الموقف أو تحت رهبته. هنا سقوط الضمير وخسارة النفس وانحصار الإيمان.

ق. بولس يوصينا أن لا نأكل أو نشرب أو نعمل أي عمل إلاّ إذا كانت ضمائرنا واثقة متيقِّنة من صحة موقفها إزاء الإيمان الموهوب لنا بحجم خلاصنا، فإذا أكلنا أو شربنا يكون ذلك عن صحة إيمان ورضى ضمير، وليس مجاراة للشهوة أو خضوعاً لإرادة الآخرين، وإلاّ فالرفض يلزم أن يكون جاهزاً مهما كان من ضيق أو حرمان أو الظهور بمظهر الضعفاء أو حتى الموسوسين، فمرحباً بالضعف والوسوسة مع راحة الضمير وسلامة الإيمان ورضى الله.

وينبغي أن نعرف — على مستوى صحة النفس — أن الذي لا يعمل عملاً إلاّ إذا استحسنه ضميره وآزره إيمانه عن ثقة فهذا الإنسان هو السعيد نفسياً والطوباوي روحياً.

الأصحاح الخامس عشر

القسم الأول من الأصحاح :
[١٥ : ١–١٣]

أ — ١٥ : ١و٢ : تكملة الوعظ السابق يُجمل كل ما سبق في أصحاح ١٤

المسيح مثلنا الأول

ب — ١٥ : ٣و٤ : أساس الوعظ السابق

ج — ١٥ : ٥–٧ : دعاء ليتورجي وتعقيب

كونه لم يرضِ نفسه

د — ١٥ : ٨–١٢ : المسيح جاء من أجل اليهود والأمم معاً

هـ — ١٥ : ١٣ : دعاء

القسم الثاني من الأصحاح :
[١٥ : ١٤–٣٣]

كلمة مختصرة يختم بها ق. بولس موضوع الرسالة، موجهة لأهل رومية تلتحم مباشرة بما جاء في الأصحاح الأول (١ : ٨–١٥)

أ — ١٥ : ١٤–١٦ : يبرر الكتابة إليهم بصفته رسولاً للأمم

ب — ١٥ : ١٧–٢١ : من واقع خدمته العريضة الممتدة

ج — ١٥ : ٢٢–٢٤ : الذي منعه هذه المدة كلها من زيارته لهم

د — ١٥ : ٢٥–٢٩ : الوعد بالزيارة بعد تكميل خدمته لفقراء أورشليم

هـ — ١٥ : ٣٠–٣٢ : طلب الصلاة لخطورة موقفه تجاه اليهود

و — ١٥ : ٣٣ : بركة مختصرة

القسم الأول من الأصحاح

[١٥: ١–١٣]

المسيح مَثَلُنا الأول
كونه لم يُرضِ نفسَه

أ – [١٥: ١و٢] تكملة الوعظ السابق
يُجمل كل ما سبق في الأصحاح (١٤)

١:١٥ **«فيجبُ علينا نحنُ الأقوياءَ أن نَحتَمِلَ أضعافَ الضُّعَفَاءِ ولا نُرضِيَ أنفُسَنا».**

«نحن الأقوياء»: ἡμεῖς οἱ δυνατοί

إن كان ق. بولس قد وضع نفسه في الأصحاح السابق مع الأقوياء في احتمال الضعفاء وعدم محاكمة أسباب ضعفهم، إلاَّ أن ذلك كان بحسب المبدأ فقط: **«فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً ...»** (١٣:١٤) ولكن هنا واضح أنه يضع نفسه مع الأقوياء من حيث المسئولية العملية **«فيجب علينا»**.

«فيجب علينا نحن الأقوياء»: ὀφείλομεν δυνατοί

الأقوياء الذين يضع ق. بولس نفسه بينهم هم الأقوياء أخلاقياً بسبب قوة الإيمان الداخلي وثبات الضمير، ولكن هذه القوة الأخلاقية الإيمانية فرضت علينا مسئولية في الحال حسب قوانين الله: «فكل مَنْ أُعطي كثيراً يُطلب منه كثيرٌ ومَنْ يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر» (لو١٢:٤٨). بمعنى أن الله أعطى خصيصاً للبعض نصيباً (μέρος) كبيراً من الإيمان – وهو في الحقيقة يتناسب بحسب علم الله مع بِنيتهم النفسية والفكرية وسِعَة وعيهم الروحي – ذلك لكي يكونوا مسئولين بالتالي عن الضعفاء بسبب نصيبهم الأقل إيمانياً والذي لا يعود إلى شحٍّ في عطاء الله ولكن إلى البِنية التي تحكمت فيها الظروف والمواريث فأضعفتها، هذا هو قضاء عدل الله ورحمته، أي عمل برّه الخاص في البشرية حتى لا يعود الضعيف يتذمر بخصوص ضعف نصيبه لأنه يكون محمولاً على قوة صاحب النصيب الأقوى.

فانظر أيها القارىء كم تكون الكارثة لو تخلَّى القوي عن مسئوليته ولم يحتمل ضعف الضعيف؟ إنه يقتل الضعيف نفسياً حزناً وكَمَداً، ويخون نعمة الله التي أغدقت عليه في العطاء

ليعطي هو بسخاء، فإذ هو يستحوذ على عطية الله لنفسه ويتعالى، يجور على صاحب النصيب الأضعف!!

من هنا تجيء كلمة ق. بولس الرنانة ὀφείλομεν **«يجب»**، يجب وجوباً قاطعاً تُحتِّمه عطية الله التي تفرض هذا الوجوب، حيث الذات لم تُعطَ رصيداً لتتكرَّم به وتتمجَّد وتتعالى، بل لكي يتحوَّل العطاء لمجد النعمة ومجد الله الذي أعطى. فالوجوب هنا ينشىء دَيْناً، والذي يدفع الدين الذي عليه كفاه أنه وفىَّ الدين ولا سبيل للافتخار.

«أن نحتمل»: βαστάζειν

الترجمة العربية – في هذا الموضع – فقيرة وعاجزة، فالكلمة اليونانية لا تفيد هنا **«يحتمل»** احتمالاً بل **«يحمل»** حملاً. فالذي يحتمل يحتمل الضعيف ἀσθενοῦντα (رو١٤:١) أو كما جاءت هنا في الأصحاح (١٥) ἀδυνάτων. ولكن هنا ليس الضعيف كشخص نحتمله بل «الضعف» بالجمع، الضعفات ἀσθενήματα. فالإنسان القوي مفروض عليه، لا أن **يحتمل** ضعفات الآخرين، بل أن **يحملها!!** لأني إن كنت أحتملها فيمكن أن أحتملها في داخلي وأنا صامت في حالي لا أتحرك، ولكن أن أحملها عنه فقد صارت ضعفات أخي ضعفاتي!! أعيشها وأبذل كل جهدي لأتلافى عثرتها، وأرضي أخي كأني أنا الضعيف وهو القوي. أنظر، عزيزي القارىء، كيف لم يُوفَّق المترجم فتسبب ذلك في الابتعاد عن المعنى الصحيح!!

وإن كان ق. بولس سيقدم المسيح حالاً كنموذج ومَثَل يُحتذى، فالمسيح لم يحتمل خطايانا بل **حملها** (ἐβάστασεν مت٨:١٧)، حملها في جسده على الخشبة (١بط٢:٢٤)!! لذلك يقول ق. بولس في موضع آخر: **«احملوا** βαστάζετε بعضكم أثقال بعض.» (غل٦:٢)

«أضعاف الضعفاء»: ἀσθενήματα τῶν ἀδυνάτων

لقد جمع ق. بولس هنا ضعف الضعفاء ليركِّز على كل ما يظهر على الضعيف من فهم وسلوك نتيجة قصور إيمانه عن بلوغ سعة فكر المسيح وروحه في التعامل مع الزمنيات والماديات، وإن كان ق. بولس لم يتوسَّع أكثر في اعتبارات الأكل والشرب وعوايد اليهود اللاصقة فيهم بسبب الناموس الذي حفر في وجدانهم وشعورهم ولاشعورهم أموراً يصعب جداً أن تُمحى في جيل أو اثنين، ولكن على نفس قياس ضعفات اليهود، نفهم ما يجب أن نفهمه بالنسبة لضعفات الأجيال وضعف هذا الجيل الذي نعيشه. نحن الذين عِوَض أن **نحمل** ضعف إيمان وأفكار الضعفاء **نحاكمهم** ونجرح ضميرهم ولا نريد أن نحمل عنهم ضعفهم ولا حتى نحرِّكه بأحد أصابعنا لنلقيه عنهم! بل

بالعكس نحمِّلهم وِزْر ضعفهم ونحمِّلهم مسئولية ضعفهم، بل ونتَّهم ضعفهم كأنه عدم إيمان فنذلّ أنفسهم وشعورهم ونشكِّكهم في إيمانهم! ثم نقف لنعظ ونتقمص كلام ق. بولس على غير صدق: «مَنْ يضعف وأنا لا أضعف؟ مَنْ يعثُر وأنا لا ألتهب» (٢كو١١: ٢٩). ولكن حقاً و بالحقيقة إن القوي — إيمانياً ونفسياً وخلقياً — لا يمكن أن يُحسب قوياً إلا إذا حمل ضعف الضعيف — فالخدمة في المسيحية هي رمز القوة والصحة بالروح والإيمان. فهنا تكون القوة لا قوة إيمان نظري بل قوة إيمان عامل بالمحبة له برهانه! و بانحنائك لتغسل أرجل المتعبين وتضمِّد جراح المجروحين لا بالجسد فقط بل و بالضمير والشعور تجاه المسيحية المُهانة:

+ «فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين ... **صرت للضعفاء كضعيف** لأربح الضعفاء ... **وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه.**» (١كو٩: ١٩و٢٢و٢٣)

«ولا نرضي أنفسنا»:

تعميق لمعنى «نحتمل ضعفات الضعفاء»، لأن حمل ضعفات الضعفاء ثقيل يكلف النفس أكثر من وِسْعِها، يحرمها الراحة، يوقظها الليل، يشقيها بالنهار، يستهلك أعصابها، ومالها، وكرامتها. إذاً فالذي يريد أن يرضي نفسه كيف يحمل همَّ الضعفاء؟ لذلك أوضح ق. بولس الأمر، ليكون القوي على بيِّنة من واجبه أن لا ينتظر من وراء امتيازاته الإيمانية أن يستمتع بها ويرضي ذاته.

ولكن العقل والمنطق الجسدي يقول: وكيف أحتمل أو كيف أحمل ما لا قوة لي به؟ هنا خداع بصر الإنسان حينما يتمسك بفكر جسداني ليهرب من ضريبة القوة الإيمانية. فالقوة هي من فوق من السماء، فقوة الإيمان عطية متجددة ترفع الجسد فوق مستواه الجسدي، تحلِّق به في الروح لينعم بقوى الأقوياء الروحانيين حتى ولو كان الجسد في حطيط القوة فارغ العافية. هذه هي المعادلة المحيِّرة التي يضعها ق. بولس أمامك: «**لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي**» (٢كو١٢: ١٠). **كيف؟** «تكفيك نعمتي **لأن قوتي في الضعف تُكمَل**» (٢كو١٢: ٩)، بمعنى أنك في الحقيقة لا تحمل همَّ ضعفك إذا حملت همَّ ضعف غيرك، لأن الله سيتكفَّل بضعفك من أجل ضعفه! والله يوبِّخك: «أما عرفت أم لم تسمع. إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يَكِلُّ ولا يعيا، ليس عن فهمه فحصٌ. **يُعطي المُعْيِيَ قدرةً، ولعديم القوة يُكثِّر شِدَّةً.** الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثَّرون تعثُّراً، **وأما منتظرو الرب فيجددون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون**» (إش ٤٠: ٢٨—٣١). جرِّب!

ولينتبه القارئ، فإذا لم نستمع لقول ق. بولس: «**لا نُرضي أنفسنا**» ونضعه موضعاً كريماً في قلوبنا، فسوف نقف أمام الضعفاء والمحتاجين للسند والمعونة وللستر والبذل موقفاً مُخزياً مشيناً، سوف ننساق وراء أنانيتنا وننتهرهم ليبتعدوا عنَّا، أو سوف نهرب منهم ونختفي عنهم، سوف ندَّعي الغياب ونحن حاضرون، سوف ندَّعي النوم ونحن يقظون، سوف ندَّعي الضعف ونحن أقوياء، سوف ندَّعي المرض ونحن أصحاء، سوف ندَّعي الخلوة ونحن لا نختلي، كل ذلك هرباً من حمل همِّ المتعبين. فالذي يعيش بإيمانه لذاته ليرضي ذاته سوف يُهلك ذاته ويُهلك إيمانه: «والمحبة لا تطلب ما لنفسها»! (١كو١٣: ٥)

٢:١٥ «فليُرضِ كلُّ واحدٍ منا قريبَهُ للخيرِ لأجلِ البُنْيانِ».

ق. بولس يضعها بحكمة وذكاء روحي على التساوي والتوازي معاً مع «**تحب قريبك كنفسك**»، وهذا يأتي رداً على الآية السابقة: «لا نرضي أنفسنا». فمحبة الله تتعارض مع إهمال الآخرين ومع إرضاء الذات سواءً بسواء. أما أولئك الذين أحبُّوا الله وأحبُّوا الآخرين فهؤلاء «لم يحبوا حياتهم حتى الموت.» (رؤ١٢: ١١)

ق. بولس يقدِّم نفسه بتواضع ليكون نموذج تطبيق كعيِّنة صادقة لتنفيذ وصية الرب: «كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا.» (١كو١٠: ٣٣)

«للخير لأجل البنيان»: οἰκοδομήν

أما الخير هنا ἀγαθόν فهو كل ما هو صالح ومرضي ومقبول أمام الله، والذي يحدِّد نوع الخير هنا أو ما هو الصالح هو أن يكون «**للبنيان**»، بمعنى أن يأخذ وضعه الكامل في الإيمان المسيحي لبناء نفوس الضعفاء و بالنسبة للكنيسة ككل. والقصد النهائي من كل البنيان هو البنيان العام، لأن الكلام هنا عن الضعفاء في الكنيسة. فالبناء أول ما يكون هو سد الثغرات التي تنشأ عن هذا الضعف ومحاولة استكماله لكي لا يتعطل العضو عن ملاحقة نمو الكنيسة، بل يدخل في حساب هذا النمو ويستزيده: «الذي ننادي به منذرين **كل** إنسان ومعلمين **كل** إنسان بكل حكمة لكي نحضر **كل** إنسان كاملاً في المسيح يسوع، الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.» (كو١: ٢٨و٢٩)

لقد كان فخر الكنيسة على مدى العصور أولئك الآباء المعلِّمين الذين بالصبر في الوعظ والتعليم

والعمل الصالح أنشأوا جيلاً وراء جيل، اجتذبوا نفوساً من الحضيض، نشَّأوا أولاداً في النعمة، بنوا علماءَ وأتقياءَ في الكتاب، قدّسوا شباباً للخدمة، أقاموا كهنة وأساقفة كانوا فخر الكنيسة على مدى التاريخ ولا يزالون. هؤلاء أضاءوا بنورهم أمام الناس بحسب قول الرب والآن هم يضيئون السماء:

+ «**والصالحون** يضيئون كضياء الجلد (السماء) والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا١٢: ٣)

هذا هو ما قصده ق. بولس من «البنيان» الذي نعيشه ونشهد له.

ب ـ [١٥: ٣و٤] أساس الوعظ السابق

٣:١٥ «لأن المسيح أيضاً لم يُرْضِ نفسَهُ بل كما هو مكتوبٌ تعييراتُ معيِّريكَ وَقَعت عليَّ».

هنا بولس الرسول يرفع أمر التكليف الذي فرضه علينا أن «لا نرضي أنفسنا» وأن «كل واحد فليُرضِ قريبه» إلى مستواه المسيحي في مواجهة النموذج الحي الذي نستقي منه حياتنا وتصرفاتنا، بل ونستمد منه كل قدراتنا على تنفيذ وصاياه. فليست وصية من وصايا الرب يسوع ـ أو عنه ـ إلاّ وتحمل سر تنفيذها من داخلها. فالرب نموذجنا الحي وهو الذي يرسم شكله فينا وقد رفع ق. بولس الأمر في وصيته إلى مصدرها لكي لا نعود نستفسر من ق. بولس بل نستفسر من المسيح، والروح القدس وسيط السؤال والجواب: «يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو١٦: ١٤)

وق. بولس يستشهد بنبوة المزمور: «لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيِّريك وقعت عليَّ» (مز٦٩: ٩)، فالمسيح تقبَّل ما تقبَّل لحساب الخطاة.

فكون «المسيح لم يُرضِ نفسه» فها هوذا الصليب قائم أمامنا، بل في قلوبنا، يحكي كيف أهان الرب نفسه وأذلَّ شخصه وتقبَّل كل الإساءات والتعييرات لكي يفوز بخلاص الخطاة. لقد كان يَطيبُ لقلب ق. بولس دائماً أن يجد في المسيح النموذج الأعلى لكل الواجبات المستحقة على الإنسان ولكل المبادىء التي تعوز البناء النفسي والأخلاقي. وكان ق. بولس لا يرى في نموذج المسيح هذا البعد الذي نحسُّه نحن الآن، بل كان يشعر شعوراً حياً واقعياً أن المسيح منفتح حقيقة علينا بالروح القدس وله القدرة، بل والمشيئة، بل والمسرة أن يجعلنا حسب قلبه. والذين وثقوا من

كلام ق. بولس، الذين أحبوا المسيح فعلاً وارتوا عليه بإخلاص وشجاعة ودالة وجدوه فعلاً كذلك، فتعلَّموا منه وتغيَّروا بمقدار قربهم منه وانفتح ذهنهم وفهموا أقواله وأحبوها وتثقَّفوا بإنجيله وصاروا رجال الله. هؤلاء لم يرضوا أنفسهم بل باعوها للذي اشتراهم وصاروا «عبيداً لكم من أجل يسوع.» (٢كو٤: ٥)

٤:١٥ «لأن كلَّ ما سبقَ فكُتبَ كُتبَ لأجلِ تعليمِنا حتى بالصَّبرِ والتعزيةِ بما في الكتبِ يكونُ لنا رجاءٌ».

ق. بولس بحسب دراستنا لمنهجه الفكري يرى في الكتب مصدراً حياً للتعليم بل للبناء الأخلاقي. لأن وصية الرب التي كُتبت، كُتبت خصيصاً لأجلنا وعلى مدى كل الدهور لتصير وتنفَّذ. فنحن حينما نقرأ وصايا الله في القديم وتلك التي للرب يسوع المسيح في الجديد، فإننا نجدها مصادر ليس لتعليمنا فحسب بل ولتقويمنا وبنائنا وانفتاح وعينا الروحي وتجديد ذهننا وضبط سلوكنا وأخلاقنا. كما قالها ق. بولس: «لأن كلمة الله حيَّة وفعَّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته» (عب٤: ١٢). فالتعلُّم على الكتب باستجلاء كلمات الله يتم على أوجه عدة، فالكلمة حيَّة تسري كروح في قلب الإنسان وفكره فهي تحيي من موت ـ ولا ترتد فارغة أبداً ـ وفعَّالة، أي مؤثرة، تصبغ الفكر وتغيِّر الإرادة وتصحح، والكلمة تخترق أشد المناطق انغلاقاً والتي لا تدركها قوة بشرية وهي المنطقة بين النفس والروح، فلا علم النفس يدركها ولا روح الإنسان تبلغها ولكن كلمة الرب تكشفها وتوضِّح ميلها وانحيازها إنْ لذات الإنسان أو لروح الرب، وتخترق المفاصل التي تفصل وتربط بين أجزاء النفس المجهولة. أما المخاخ فهي ما استقر في الخفاء من أسرار وكأنها داخل عظام الإنسان، هذه تعرِّيها الكلمة وتوبِّخ وتؤدِّب وتبتر ما فسد وتجدِّد ما عتق وشاخ، وأفكار القلب ونياته تقيسها على قياس النعمة وتميِّز الصالح والرديء منها.

ولكن هذا كله ما أشد حاجته إلى الصبر، ولكن الصبر لا يأتي من فراغ بل من التعزية الحاصلة كل يوم من الدراسة والحفظ والتأمل في كلمة الله. وهكذا ينبت الرجاء في حياة الإنسان، الرجاء الذي به ننتظر غير المنظور وكأنه منظور، للضعيف وقد لبس قوة، وللكنيسة وقد عبرت كل محنة وكل خصام وشقاق وانقسام لأننا بالرجاء نعيش ونخلص.

ج – [١٥: ٥-٧] دعاء ليتورجي وتعقيب

٥:١٥ «وليُعطِكُم إلهُ الصَّبرِ والتَّعزيةِ أن تهتمُّوا اهتِماماً واحداً فيما بينكم بحَسَبِ المسيحِ يسوعَ».

والآن من الإنجيل إلى صاحب الإنجيل، من الكلمة المكتوبة إلى «الكلمة الله»، من التعزية بما في الكتب إلى التعزية بقوة المعزي، من الصبر المكتسب من عبرة التاريخ المقدس إلى إله الصبر وروح المسيح. وكأن ق. بولس يقول: وأنت إذا سهرت على الكلمة لتتهذَّب بها وتتعلَّم فسيُطِلُّ عليك الساهر القدوس الذي لا يغفل ولا ينام، يعطي مع كل كلمة نعمة ومع كل قراءة فهماً، ويحوِّل كل تعليم وكل صبر وكل عزاء فينا إلى اهتمام واحد تقوده مشيئة الرب نحو تكميل عمل الخلاص.

«تهتموا اهتماماً واحداً»: τὸ αὐτὸ φρονεῖν = Harmony

توجد كلمة إفرنجية شائعة في العالم كله تعني تماماً ما يريده ق. بولس من هذه الكلمة وهي «الهارموني»، وهي نفس الكلمة التي ترجمت بها إلى الإنجليزية، وتعني انسجام الفكر بحيث لا يطغى فكر على فكر، ولا يظهر فكر ويختفي فكر. ومعروف في هارموني الأصوات أن ثلاثة أو أربعة أو عشرة أصوات إذا بلغت التوافق مهما كان فيها من النغمات الحادة فإنها تصبح كلها صوتاً واحداً منسجماً غاية الانسجام. هكذا يصنع الله على أساس تهذيب الكلمة الروحي السابق في الإنسان إذ يجعل وحدة الفكر ووحدة الاهتمام في الإنسان نابعة أو مضبوطة على مشيئته وكأنها آلة ضبط الأفكار والمشيئات والاهتمامات. وهذا في الحقيقة هو «فكر الكنيسة» الذي هو نفسه «فكر المسيح»، وهذا بعينه هو معنى «وحدانية الروح» و «الكنيسة الواحدة الجامعة»، وهذا هو المنظور من «سر الاتحاد بالمسيح».

فانظر كيف يستطيع الإنجيل، ثم إله الصبر والتعزية (بما في الكتب) أن يأخذ من القوي ويشدِّد الضعيف، يرفع من قامة العاجز لتتساوى مع قامة القادر، ويصنع من الجميع اهتماماً واحداً مستمدًّا من مشيئة الله وحدها. هذا هو هارموني الجسد الواحد، جسد المسيح السري، وبقيادته الذي فيه تعمل الأعضاء بانسجام تحت تدبير الرأس وتوجيهها لغاية واحدة وحيدة.

٦:١٥ «لكي تمجِّدوا اللهَ أبا ربِّنا يسوعَ المسيحِ بنفسٍ واحدةٍ وفمٍ واحدٍ».

هذه هي غاية النهاية عندما يلتحم القوي بالضعيف، وبالكلمة والصبر والتعزية يصنع إله الصبر والتعزية الرب يسوع المسيح من هذه المتنافرات وحدة روح وفكر واهتمام لكي نُعطي المجد لله.

وهنا المجد ليس غاية وحسب لوحدة الجماعة المسيحية في المسيح، بل يتثبَّت لها كياناً ووجوداً. **فإن كانت الجماعة المسيحية تمجد الله بالفكر الواحد والقلب الواحد فهي إذاً قد دخلت في حيِّز الكيان الأخروي، دخلت في خورس السمائيين، صار لها وجود أبدي أمام الله.** لأنه إن كان فيلسوف الغرب يقول: «أنا أفكر فأنا موجود»، فالمسيحي يقول: «أنا أسبِّح فأنا موجود». أما وجود الإنسان «المفكر» فزائل، ككل فكر، فهو وجود صوري مآله إلى الانحلال ثم الزوال. أما وجود الإنسان «المسبِّح» فهو وجود لا يحدُّه وجود، لأنه وجود في حضرة الله مستمدٌ منه، فالذي يمجِّد الله يتمجَّد بالله، والذي يمجده الله لا يخلخله الزمن، فقد صار أعلى من الزمن ومتفوقاً عليه. الإنسان المسيحي خليقة جديدة مسبِّحة، طقسه من طقس السمائيين وهو عتيد أن يرافقهم.

«بنفس واحدة وفم واحد»: ἵνα ὁμοθυμαδὸν ἐν ἑνὶ στόματι

الترجمة العربية تصرفت بزيادة «و» καί وهي ليست موجودة في الأصل اليوناني، وصحة الترجمة هي «لكي بنفس واحدة تمجدوا بفم واحد الله أبا ربنا يسوع المسيح». فهنا «لكي» تجيء مسببة للنفس الواحدة: «لكي بنفس واحدة تمجدوا»، وليس للتمجيد كما جاء في الترجمة العربية.

ثم «بفم واحد» تجيء معتمدة على «النفس الواحدة» وليست مضافة إليها: «لكي بنفس واحدة تمجدوا بفم واحد».

والمعنى يجيء كالآتي: وليعطِكم إله الصبر والتعزية **أن تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم لكي بنفس واحدة تمجدوا الله بفم واحد!** فهنا دعاء ق. بولس الليتورجي (ويُلاحظ أن الرسالة تُقرأ داخل الكنيسة أثناء الصلاة) ينصبُّ أولاً وقبل كل شيء على الوحدة: **اهتمام واحد، نفس واحدة، فم واحد.** وهذه الوحدة تصبح في الحال مهيأة ومستحقة أن تقف في خورس واحد تسبِّح الله!

هنا يلزم أن ننبّه أنه يستحيل أن يصبح التمجيد لله بفم واحد كمجرد خورس غناء وإلاّ يكون مجرد تمثيل ريائي. **إذاً لابد أن يكون التسبيح من الفم الواحد مصدره النفس الواحدة!**

«نفس واحدة»: ὁμοθυμαδόν (١)

الكلمة اليونانية من مقطعين ὁμό + θυμός ، المقطع الأول يفيد «الواحد» Same والمقطع الثاني يفيد العاطفة أو الوجدان. ووحدة العاطفة أو الوجدان أو الفكر (العقل) إذا أتت من خارج الإنسان تنشىء وحدة أهداف دنيوية، سياسية كانت أو غيرها. ولكن ق. بولس يقصد وحدة داخلية فأعطاها **تعبير وحدة النفس، وهي الوحدة المسيحية.** والوحدة المسيحية هي استجابة لعمل الله في الإنسان. ويهدف ق. بولس من هذا الاصطلاح ضمان ذوبان الفوارق بين مسيحيي اليهود ومسيحيي الأمم في الكنيسة، بفضل صبر وعزاء واحتمال الأقوى للأضعف، وعمل المسيح فيهما معاً، حتى يصلا إلى خورس واحد صادق الوحدة من أعماق النفس ليسبِّحوا الله ويمجدوه بفم واحد. هذا كان حلم ق. بولس الذي دعا له من كل قلبه.

وهوذا سر نقوله: إن الوقوف في خورس المسبِّحين في الكنيسة، في اسم المسيح وحضرته مع استعداد الحاضرين لعمل روح الله بخشوع، قادر بحد ذاته أن **يؤآلف النفوس على النفوس، ويطيِّب القلوب المتنافرة، ويُصالح الأرواح المتباعدة، ويخلق من النفوس المستعدَّة وحدة حقيقية لها قدرة بتسبيحها أن تهزّ القلوب وتجمعها حتى يرتفع دعاؤها إلى حضرة الله ويردد صداها الأبد!** فالله غير محتاج إلى أصوات أو نغم أيها المسبِّحون؛ بل قلوب متحدة يتمجَّد فيها وبها.

«بفمٍ واحدٍ»: ἐν ἑνὶ στόματι

هنا يقصد ق. بولس فعلاً خورس الكنيسة الذي يقدِّم التسبيح اليومي لله.

والفم الواحد تعبير يعني سيمفونية الصوت للتسبيح σύμφωνος ὑμνῳδία ، هذا الذي ورثته الكنيسة عن خورس اللاويين الذين كانوا يسبِّحون بالمزامير على القيثارات في الهيكل في سواعي الخدمة والمواسم والأعياد. ويكفي لفهم قداسة هذه الخدمة وسرِّها العجيب الخفي أن داود حينما كان يبدأ التسبيح بقيثارته كان يحل عليه روح الله فيؤلِّف مزاميره بالروح التي شهد لها الرب بقوله: «داود نفسه قال بالروح» (مر١٢: ٣٥). هذا هو سر التسبيح بالمزامير حتى الآن في الكنيسة، فهناك علاقة سرية حقيقية مختبرة بين التسبيح بالمزامير وحلول الروح القدس، لتقديم

1. H.W.Heidland; cited by L.Morris, *On Rom.*, p. 501, n. 32.

خدمة بالروح: «ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها» (رو٨: ٢٦)، «امتلئوا بالروح، مكلِّمين بعضكم بعضاً **بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب.**» (أف٥: ١٨و١٩)

واعتبار التسبيح في الكنيسة خدمة أساسية، ناتج من كونه **رد فعل مباشر لوحدة الروح بين المؤمنين.** فلأن الكنيسة **واحدة** على مستوى الوحدة الكاملة بين المؤمنين كان من الضروري أن تسبِّح، فالتسبيح هو إعلان عملي لصدق وحدتها. فضبط النغم والهزَّات لا قيمة له إلا بعد أن تنضبط القلوب على القلوب، فتهتف الروح هتاف الفرح للمجد!! فيكون التسبيح!!

٧:١٥ **«لذلك اقبلُوا بعضُكم بعضاً كما أن المسيحَ أيضاً قَبِلَنا لمجدِ الله».**

لقد انتهى ق. بولس من كل التوجيهات التي وجهها للقسم الأقوى في كنيسة روما ـــ أي مسيحيي الأمم ـــ لكي يعتبروا أن القسم الأضعف أي مسيحيي اليهود هو مسئوليتهم التي يجب أن يحملوها قبل أن يكون موضوع تصالح أو تفاهم، وأخيراً يلقي هنا في هذه الآية الأمر بصورة عامة للاثنين أن يقبل الواحد منهما الآخر، لا كمجرد تفاهم أو تصالح بل قبول الدخول في وحدة الكنيسة كوحدة حياة وهدف. فهارموني الأصوات لا قيمة إلا بعد هارموني النفوس: لاستعلان وحدة الروح وليس لاستعلان حذق المايسترو.

«لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً»:

«لذلك» διό

أتت للتعقيب المسبَّب على الآية السابقة: «لكي تمجدوا الله بنفس واحدة **لذلك** اقبلوا بعضكم بعضاً». فالسبب الأعلى هنا هو تمجيد الله، وهو غاية المسيحية وغاية الحياة في المسيح التي تُحتِّم أن تقبلوا بعضكم بعضاً.

«اقبلوا»: προσλαμβάνεσθε

الترجمة العربية قد تعني مجرد قبول ولكن الكلمة اليونانية تفيد اقبلوا بترحاب بعضكم بعضاً، بمعنى أدخلوا معاً في شركة الأُخوة، وقد ترجمتها النسخة الإنجليزية Take to you one another بكلمة "رحِّبوا" welcome. ولكي نفهم مدى الشاعرية في تعبير اقبلوا بعضكم بعضاً يأتي العالِم ماير بالكلمة الضد وهي «يصدُّكم» = ἐκκλεῖσαι (غل٤: ١٧). فالصدُّ عكسُه الترحاب. لذلك فكلمة "اقبلوا" في اليونانية تحمل معنى العزومة، أو الجذب. وقد عبَّر عنها القديس ذهبي

الفم بمعنى شاعري آخر إذ جعلها تعني: "لتكن مسرَّتكم لبعضكم البعض"، ولو أنه معنى بعيد نوعاً بحسب تحليل ماير(٢).

«كما أن المسيح أيضاً قَبِلَنا»:

«كما» καθώς

لا تأتي للمقارنة أو التساوي، ولكن للتشبيه من على بُعد.

«قبلنا»: (قبلكم في التصحيح) προσελάβετο ὑμᾶς

لقد صححتها النسخة الجديدة لتكون «قبلكم» بناء على مراجعة دقيقة على أقدم وأوثق النسخ، كذلك على المعنى، لأنه لا يصح هنا في هذا الموضع و بينما هو يخاطب مسيحيي اليونانيين ومسيحيي الأمم، وأن يُقال: «قَبِلَنا»، لأنه معروف أن ق. بولس اعتاد أن يضع نفسه مع القسم الأقوى: «فيجب **علينا** نحن الأقوياء أن **نحتمل** أضعاف الضعفاء، "**ولا نرضي** أنفسنا"، فليرضِ كل واحد منا قريبه». لذلك فالصحيح بحسب المعنى أن يكون الخطاب هنا لليهود والأمم المتنصِّرين معاً: «كما أن المسيح **قَبِلَكم**».

أما قبول المسيح الذي يقصده ق. بولس وقد اعتنى أن يشرحه على مدى الأصحاحات (١–٨) السالفة، فهو قبول عن حب وتنازل و بذل، كلَّفه كل ما عرفناه عن الفداء. فهنا حينما يقول ق. بولس أن اقبلوا بعضكم بعضاً كما قَبِلَكُم المسيح، فإنه يضع في الميزان كفتين غير متوازنتين قط حيث يظهر قبول المسيح لهم مكلِّفاً كُلفة لا يطيقها إنسان. فإن كان يطلب إزاء هذا أن يقبلوا هم بعضهم بعضاً، فهذا أمر زهيد بل أمر لا يحتمل الرفض أو المراجعة، إنه إلزام يهدِّد بالحرمان: «إن لم تغفروا للناس زلاَّتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم.» (مت٦: ١٥)

«لمجد الله»:

تمجيد الله هنا «كما أن المسيح أيضاً قَبِلَكم لمجد الله» هو نتيجة قبول المسيح لنا وليس قبولنا بعضنا لبعض، وهذا بحسب المعيار اللاهوتي الدقيق، لأن قبولنا بعضنا لبعض أمر حتمي، وكنتيجة حتمية للخلاص وللإيمان الواحد والمعمودية الواحدة والكنيسة الواحدة، فهو تحصيل حاصل كفرض واجب الأداء، إذا لم يؤدَّ يُحرَم صاحبه من حقوقه، وإذا أدّاه فبالكاد ينال حقوقه.

أما تمجيد الله فقد تمَّ بقبول المسيح لنا، و يتم تمجيد الله بواسطتنا حينما نعترف بالمسيح:

2. Meyer, *Rom.*, p. 508.

+ «ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب **لمجد الله الآب**» (في٢: ١١)،
+ «إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح، لنفسه، حسب مسرة مشيئته، **لمدح مجد نعمته** التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف١: ٥و٦)،
+ «لنكون **لمدح مجده** نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح.» (أف١: ١٢)

فالإنسان، كان مَنْ كان، يستحيل عليه أن يمجِّد الله بدون المسيح!!! ولكن بالمسيح صار لنا القدرة ليس لتمجيد الله وحسب بل وللدخول إليه والترائي أمامه بجراءة إيمان المسيح!

+ «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح.» (أف٢: ١٣)
+ «لأن به لنا كلينا (يهود وأمم) قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف٢: ١٨)

د — [١٥: ٨–١٢] المسيح جاء من أجل اليهود والأمم معاً

ق. بولس يقدِّم في هذه الآيات الأساس العظيم، الدهري والأبدي معاً، الذي سبق وأن صوَّره جميع الأنبياء بكل وضوح ودون أي تحيُّز أو نشاز، وهو أن المسيح جاء من أجل اليهود والأمم معاً دون تفريق أو تمايز، غير أنه جاء من اليهود وليس من الأمم فإن "الخلاص هو من اليهود"، كما عبَّر المسيح عن ذلك للمرأة السامرية وكأنه يخاطب الأمم (يو٤: ٢٢). هذا يجعل اليهود والأمم واحداً في المسيح تحت نعمة الخلاص والتزام الإيمان وقوة المحبة.

١٥: ٨و٩ **«وأقولُ إنَّ يسوعَ المسيحَ قد صار خادمَ الختانِ "من أجلِ صدقِ الله" حتى يُثبِّتَ مواعيدَ الآباءِ. وأما الأممُ فمجَّدوا الله " من أجلِ الرحمةِ" كما هو مكتوبٌ من أجلِ ذلك سأحمَدُك في الأممِ وأرتِّلُ لاسمِكَ».**

«من أجل صدق الله»: ὑπὲρ ἀληθείας

«من أجل الرحمة»: ὑπὲρ ἐλέους

ق. بولس يضع المقابلة بين سبب مجيء المسيح لليهود في مواجهة سبب مجيء المسيح للأمم بصورة أخاذة مبدعة إنتقاها من النبوات هكذا:
لليهود جاء **«من أجل صدق الله»**: **«ومن أجل الرحمة»** جاء للأمم(٣)!! فإن كان ممكناً

(٣) أرجو قراءة الآية مرتين باعتناء، لأنها شديدة الاختصار.

لصدق الله أن يتعارض مع رحمة الله فليتعارض مسيحيو **اليهود مع مسيحيي الأمم!!** وإن كانت رحمة الله تتسع لكل إنسان فهي بالأولى جداً تتسع للمتمسِّكين بصدق الله.

وإن كان أهل صدق الله يفتخرون بالختان، فأهل رحمة الله يفتخرون بعدم الختان!!!

وإن كان أهل الختان قِلَّة، وجب على أهل عدم الختان وهم الكثرة أن يقبلوا القِلَّة، كما وجب على أهل صدق الله أن يقبلوا أهل عدم الختان من أجل الرحمة. لقد أطبق ق. بولس على اليهود المؤمنين وعلى الأمم المؤمنين حتى لم يعد لهم منفذٌ للخصام أو الشقاق أو الدينونة أو الازدراء.

«يسوع المسيح قد صار خادم الختان»: διάκονον

ولو أن كلمة «**خادم**» تأتي نشازاً نوعاً ما على الأذن اللاهوتية، إلا أن المسيح نفسه افتخر بهذا النشاز على الأذن، أن يكون خادماً ليُذلّ كبرياء الإنسان ويخفِّض من غُلواء المترئِّسين!!

+ «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدم بل **ليَخدم** διακονῆσαι وليبذل نفسه فدية عن كثيرين.» (مر١٠: ٤٥)

+ «لأن مَنْ هو أكبر؟ الذي يتكىء أم الذي يخدم، أليس الذي يتكىء، ولكني أنا بينكم كالذي **يخدم**.» (لو٢٢: ٢٧)

لاحظ أن ق. بولس في قوله أن المسيح صار خادم الختان لا يقصد موضوع الفداء لا من قريب ولا من بعيد ولا حتى الناموس، **لأن الختان طقس ما قبل الناموس** استلمه إبراهيم قبل أن يعرفه إسرائيل وموسى، لذلك أسرع ق. بولس وقال **حتى يثبِّت مواعيد الآباء** أي الوعد لإبراهيم أنه "من نسلك يأتي مَنْ تتبارك به أمم الأرض". **وهكذا اختتن المسيح ليثبت صدق وعد الله لإبراهيم** وأولاده أنه بالفعل من نسل إبراهيم وأنه **حامل عهد الختان في جسده!!** ثم الجزء الباقي من الوعد وإن كان ق. بولس أغفله فهو هنا يهمنا: أنه صار خادم الختان ليثبت صدق وعد الله للآباء، لماذا؟ لكي به تتبارك الأمم، فهو خادم الختان ليعبر من الختان لغير الختان، يعبر للأمم الذين انتظروا هذه الألفي سنة منذ إبراهيم ليتقبَّلوا بركة إبراهيم في المسيح «النسل» الحامل للوعد! **المسيح هو بحسب واقع الوعد خادم الختان لحساب الأمم.** فإن كان ق. بولس قصد من قوله أن المسيح قد صار خادم الختان ـ ثم توقَّف ـ فلكي يسترضي اليهود بأن المسيح «خادمهم» باعتبارهم أهل الختان، ولكن لا يخفى الآن على أحد أن المسيح عَبَرَ بالختان من بين أهل الختان إلى وسط الأمم ليعطيهم البركة الدهرية والأبدية.

«قد صار»: γεγενῆσθαι

فهنا قول ق. بولس **«صار خادم الختان» يفيد الغاية من الختان** وليس دوام فعله! والغاية هي توصيل البركة = الرحمة للأمم عبر الصليب! «وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك **اليهود**.» (يو١٩: ١٩)

«ليثبِّت»: βεβαιῶσαι

ق. بولس يضغط على هذه الكلمة لأهميتها، فتصوَّر أن المسيح رضي أن يصير خادماً للختان «**ليثبِّت**» صدق مواعيد الله، هنا كلمة «يثبِّت» تساوي في ثقلها ثقل «خدمة الختان»، بمعنى أن المسيح رضي بهذا الوضع أن يختتن ويصير يهودياً وأن يُعتبر أنه خادم الختان، بل وأن يُهان من أهل الختان لكي "**يثبِّت**" لأجيال الدهور أن الله صادق في مواعيده. لذلك، فبحسب ق. بولس أن يكون المسيح هو لليهود ـ كخادم ختان ـ فهذا بمثابة صدق لمواعيد الله!! «لم أُرسَل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.» (مت١٥: ٢٤)

«وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة،
كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك»:

الآية هنا موصولة بشدة مع الآية السابقة، والمعنى يجيء كالآتي: إن كان المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله فقد صار كذلك بآن واحد من أجل رحمة (نعمة) الأمم أيضاً.

لذلك يمكن على وجه الأصح أن نقرأ الآيتين معاً كالآتي: **«أن المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله بالنسبة لمواعيد الآباء ومن أجل الرحمة للأمم».**

لذلك يجب إعادة صياغة الآية (٩) كالآتي: «ومن أجل الرحمة للأمم فيمجدوا الله كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك».

«كما هو مكتوبٌ: من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك»:
(مز١٨: ٤٩، ٢صم٢٢: ٥٠).

هذا مزمور لداود، والمتكلِّم هنا حسب الثقاة من الشرَّاح[4] هو المسيح نفسه على لسان داود. أما كيف يكون ذلك والمسيح لم يذهب للأمم؟ فالرد واضح أن المسيح الآن لا يُسبَّح بتسابيح اليهود بل الأمم هم الذين يسبحونه، الذين قَبِلَهم وقبلوه يسبِّحون لصليبه ولموته وقيامته وللآب الذي

4. Meyer, *Rom.*, p. 542.

جعله ذبيحة إثم. فقول النبوة يرمي إلى المعنى الدائم والأخروي أيضاً. فالمسيح اليوم يُسبَّح باسمه، وهو في وسط شعوب الأرض كلها يشاركهم التسبيح لمجد الله: «وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به.» (كو٣: ١٧)

ويلاحظ أن ق. بولس دعَّم قوله بالنبوة، حتى يوضح أن دخول الأمم وتسبيحهم لله لم يأتِ عفوياً وكأنه فَضْلَة من بعد اليهود، ولكنه أمر محدَّد منذ الأزل ومثبَّت بالنبوة. فالحادث الآن هو تتميم لتدبير الله السابق.

١٠:١٥ **«ويقولُ أيضاً تهلَّلوا أيها الأممُ مع شعبِه».**

القول هنا هو لموسى في سفر التثنية: «تهللوا أيها الأمم مع شعبه» (تث٣٢: ٤٣). صورة عجيبة لرؤية الله منذ موسى، كيف سيجمع الله إسرائيل مع الأمم في خورس واحد في عبادة وتسبيح.

والنص هنا من تسبحة موسى الثانية، ويلاحظ أن ق. بولس في هذه الرسالة يقتبس كثيراً من هذه التسبحة (١٠: ١٩، ١١: ١١، ١٢: ١٩)، وهذا يكشف عن أن خلفية فكر ق. بولس متركِّزة على الخروج وبداية تأسيس العبادة، وهو هنا يستعلنها على ضوء الخلاص ويمتد بها ويكمِّلها بصورة مُحكَمة (أنظر صفحة ٥١٥ـــ٥١٦).

«أيضاً καὶ πάλιν»، «تهلَّلوا εὐφράνθητε»:

وأيضاً تترجم «بالأكثر» أو «فوق هذا أيضاً». أما كلمة "تهلَّلوا" فهي في اليونانية تعني المسرّة الفائقة المرفوعة بالتسبيح **أثناء العبادة**، أي من داخل الهيكل أو الكنيسة. فهي كلمة رسمية جماعية على أساس الفرح الأخروي العتيد أن يكون(٥).

هنا النبوات التي انتقاها ق. بولس تنكشف فيها وحدة التسبيح والعبادة «اليهود مع الأمم» بأقصى بيان. وبذلك فعلاً تكون هذه النبوات أوضح تعبير عما يقصده ق. بولس لكنيسة روما من جهة قبول اليهود للأمم وقبول الأمم لليهود في الإيمان بالواحد يسوع المسيح ليرتفع تسبيح واحد من نفس واحدة وفم واحد يمجد الله.

---

5. Cranfield, *op. cit.*, p. 746, n. 1.

أنظر، أيها القارىء العزيز، كيف أن وحدانية الكنيسة مقرَّرة هكذا منذ أن بدأ الله يضع أول خطوط عبادتها وتسبيحها، فكل عظمة تسابيح الهيكل باللاويين الذين كانوا يقفون صفوفاً صفوفاً ومعهم قيثاراتهم وآلاتهم يسبِّحون في الهيكل بمزامير روحية وبأجمل النغم، كل هذا كان نشازاً في أذن الرب لأن هذه الخوارس الجميلة كان ينقصها صوت الأمم!! «**بيتي بيت صلاة يُدعى لجميع الأمم ...**» (مر١١: ١٧)، وهي منقولة من (إش٥٦: ٧): «**بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب**».

١١:١٥ **«وأيضاً سبِّحوا الربَّ يا جميعَ الأممِ وامدَحُوهُ يا جميعَ الشعوبِ».**

الاقتباس هنا من (مز١١٧: ١): «سبحوا الرب يا كل الأمم، حمِّدوه يا كل الشعوب».

«الأمم τὰ ἔθνη»، «الشعوب οἱ λαοί»:

والعجيب أن كلمة **شعب** بالعبرية تأتي "**ummah**" = أمة. والأمم في مفهوم الإنجيل وعند ق. بولس هي الأمم التي تنصرت أي المسيحيون، أما الشعوب فهي بقية الشعوب الأخرى. والقصد من جمع الاثنين في النبوة أن الخلاص سيعمُّ كافة شعوب وأمم الأرض فيسبِّح الجميع، وحيث «**الجميع**» جاءت هنا مكرَّرة، فهي تأكيد أن كافة شعوب الأرض سيبلغها الإيمان وينطلق منها التسبيح ولن يُستثنى شعبٌ ما ولا جنس ما ولا أمة على وجه الأرض!

هنا يتراءى لنا صوت سفر الرؤيا واضحاً: «مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل **قبيلة ولسان وشعب وأمة**» (رؤ٥: ٩). هنا المتهلِّلون في هذه الترنيمة هم الذين يفرحون بالرب وقد أخذ سفر الدينونة عن جدارة. فالذي ذُبح، اشترى بدمه المختارين من كل شعوب وأمم الأرض. والذي اشترى وافتدى وغفر الخطايا، له وحده أن يحمل سفر الدينونة ويدين. هنا التسبيح الذي نسمعه في سفر الرؤيا من المختارين من كل شعوب وأمم الأرض بالابتهاج الأبدي هو رَجْع صدى الصوت الذي ارتفع يوماً من خوارس كنائس العالم بترنيم وتسبيح يشوبه الأنين.

لقد وُهب للقديس بولس واكتحلت عيناه وتهلَّلت أذناه بسماع خوارس الأمم في أول هجائها بالتسابيح التي قد يكون قد ألَّفها لها بنفسه عن المسيح والله! أما نحن الذين انتهت بنا أواخر الدهور فنضع ختام (الكودة) هذه التسابيح بصوت خفيض مجروح فقد كثر الإثم وبرد الحب وزاد الأنين: كفى ـــ «ماران أثا»!!

١٢:١٥ **«وأيضاً يقول إشعياءُ سيكونُ أصلُ يسَّى والقائِمُ ليسودَ على الأمم، عليه سيكونُ رجاءُ الأمم».**

ولكن ق. بولس اقتبسها من السبعينية (إش١١: ١): «ويكون في ذلك اليوم سيكون أصل (جذر) يسَّى والذي **سيقوم** ليسود على الأمم والذي فيه يكون رجاء الأمم و بقيته تتعظَّم».

ق. بولس يفسِّر النبوة بقوله: «والقائم» التي تعني المرتفع، حيث معنى الصليب والقيامة والصعود معاً التي بها ساد فعلاً على كل الأمم، وصار بها رجاء كل الشعوب. وهنا لفتة لمسيحي اليهود أن ينتبهوا أن الأمم الذين كانوا موضع احتقار ودينونة، دخلوا في عهد المسيا واشتركوا في رجاء الله الواحد بالقيامة من الأموات التي بها ساد المسيح على الأحياء والأموات جميعاً!! وصار بدخول الأمم تكميل الإرادة الإلهية منذ البدء التي طالما هتف بها الأنبياء.

هنا يستعلن لنا أيضاً لماذا تعثَّرت إسرائيل في إدراك المسيا، وأخطأته وفات عليها معرفته، بل وأساءت إليه، **لأن إسرائيل أرادت المسيا لها وحدها** مع أن كافة النبوات نصَّت بالحرف الواحد أنه يجيء «نور إعلان للأمم ومجداً **لشعبك** إسرائيل» (لو٢: ٣٢):

+ «ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه ... **و يرفع رايةً للأمم ... إياه تطلب الأمم ويكون محلّه مجداً.**» (إش١١: ١١و١٢و١٠)

لهذا لم تتعرف إسرائيل على المسيا لما جاء، لأنه جاء وفي فمه كلمة قبول للأمم ظهرت عياناً بياناً في قوله أنه جاء ليكمل الناموس، لأن الناموس كان لإسرائيل فقط، وهو جاء ليكمل نقص الناموس الذي استثنى الأمم ورفضهم، كما ظهرت دعوته للأمم بتجاوزه للسبت ــ سبت الناموس واليهود ــ فعبر من السبت إلى الأحد ليجمع أصحاب كل يوم. كما ظهرت دعوته للأمم في تجاوزه للنجس والدنس، وأكل بأيدٍ غير مغسولة حتى يتصادق مع الأمم الذين اعتبرهم اليهود نجسين ودنسين، كما ظهرت دعوته للأمم في قوله للسامرية أن لا في هذا الجبل ولا في أورشليم ينبغي السجود لأن الله طالب الساجدين له (من الأمم أيضاً) بالروح والحق، وهكذا وكأنه بهذا رفع الراية للأمم من بعيد ليأتوا سهلاً و بترحاب، ولهذا أيضاً رفضه اليهود لأن صبغته كانت في أعينهم أممية!

«ألم نقُلْ أنك سامري و بك شيطان» (يو٨: ٤٨)!! والسامرة كانت محسوبة عند اليهود أنها من الأمم، ولكن بدعوته السرّية للأمم هكذا، كان يكرِّم أباه الذي أرسله لهذا وهم كانوا يهينونه (يو٨: ٤٩)!!

ولكن بقدر ما أهانه اليهود مجَّدته الأمم آلاف الأضعاف!
وصار عليه رجاء كل الأمم!!

هـ ــ [١٥: ١٣] دعـاء

١٣:١٥ **«وليَملأكم إلهُ الرَّجاءِ كلَّ سرورٍ وسلامٍ في الإيمانِ لتزدادوا في الرجاءِ بقوةِ الروحِ القدسِ».**

آية دعاء تشمل مكونات الإيمان: كل فرح وسلام، ومكونات الرجاء: الذي ينمو ويزداد، وعمل الروح القدس: في القوة، وذلك في كل الملء!! بعمل إله الرجاء!

«إله الرجاء»:

يقصد به ق. بولس الله الذي يعطينا رجاء برِّه الذي نعيشه الآن بالإيمان، لا ننظره ولكن نحسُّه ونتهلَّل به، الذي هو شركة المجد المعدّ لمختاريه في الحياة الأبدية التي يخلو منها كل أحزان وهموم وآلام وأمراض الحاضر الذي نعانيه. فحينما يُطلُّ علينا إله المجد في داخل قلوبنا، نحس بالفعل ما هو رجاء دعوته وما هو غنى البر الذي وهبه لنا. والله لا يعطي الرجاء بكيل بل حتى الملء.

«كل سرور وسلام في الإيمان»:

هذا ذكره ق. بولس سابقاً: «**فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله** بربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى **هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون.**» (رو٥: ١و٢)

وقد سبق ق. بولس وجمع السلام والفرح معاً كدعائم تتكوَّن منها هيئة ملكوت الله الذي إليه دُعينا ونلنا حق تذوُّقه بالروح القدس: «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس» (رو١٤: ١٧). وكل الذين دخلوا الإيمان بيقين القلب والفكر والضمير إنما يعيشونها ويخدمونها: «لأن من خدم المسيح في هذه (أي خدم البر والسلام والفرح في الروح القدس) فهو مرضيٌّ عند الله ومزكًّى عند الناس.» (رو١٤: ١٨)

والذي يخدم المسيح في سرور وسلام الإيمان يزداد حتماً في الرجاء.

«لتزدادوا في الرجاء»:

كل مكاسب الإيمان تتحوَّل إلى رجاء، كل فرح وسلام نعيشه ونخدم به ونوصِّله للناس إنما يولِّد فينا رجاءً بالملء الآتي، لأننا نحيا الآن بالإيمان عربون ما هو معدٌّ لنا، فرجاؤنا ثابت في نصيب محفوظ لنا في السموات لا يتزعزع ولا يضمحل بل يزداد قُرباً لنا كلما ازددنا إيماناً به.

«بقوة الروح القدس»:

الروح القدس هو أقنوم العزاء الكلي الذي يحوِّل لنا حقيقة الرجاء الآتي إلى يقين الإحساس الذي يشيع فينا عزاءً لا يُحدُّ. فنحن نعيش الرجاء الآتي بالعزاء الحاضر الذي يعوضنا عن كل ما نعانيه من نقص وإخفاق بسبب مقاومة أركان العالم المظلمة. وهذا الازدياد المستمر في إدراكنا للرجاء بالنصيب المعدّ يجعلنا نحسُّ وكأننا خلصنا، لأن خلاص الإيمان الذي نمارسه بالعمل والاجتهاد في الإيمان إنما يؤهِّلنا بحد ذاته إلى خلاص بالرجاء يفوق إيماننا ويفوق أعمالنا وجهادنا.

هذا الذي جعل ق. بولس يتحدَّى الحاضر والمستقبل معاً بإيمان متَّحد بالرجاء، ويقول من سيفصلنا عن محبة المسيح التي لنا في الله؟ فكل مؤذيات العالم الحاضر وكل قوى المستقبل(٦) لا تزحزحنا عن حب المسيح الذي نعيشه الآن وسوف نعيشه في المستقبل. هذا هو الإيمان عندما يلتحم بالرجاء فينشىء خلاصاً ممتداً حتى الكمال!

(٦) «ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.» (رو٨: ٣٩)

القسم الثاني من الأصحاح:
[١٥: ١٤–٣٣]

كلمة مختصرة يختم بها القديس بولس موضوع الرسالة موجهة لأهل رومية. تلتحم مباشرة بما جاء في الأصحاح الأول (١: ٨–١٥)

□□□

العدّ التنازلي لإنهاء الرسالة

لكي نفهم صيغة الكلام الذي يحاول ق. بولس أن ينهي به الرسالة، يلزمنا أن نورد تسلسل بدء الرسالة عند الوقفة التي يمكن أن يلتحم بها مبدأ هذا الكلام هنا.

فعند قوله في الأصحاح الأول: «ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الإخوة أنني مراراً كثيرة قصدت أن آتي إليكم ــ ومُنعت حتى الآن ــ ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم. إني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء. فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً.» (رو١: ١٣–١٥)؛ أكمل ق. بولس كل تعليمه بحسب إنجيله للأمم بدون ناموس ولا سبت ولا ختان، ثم بدأ يختم الرسالة هكذا:

أ ــ [١٥: ١٤–١٦] يبرر الكتابة إليهم بصفته رسولاً للأمم

١٥: ١٤ **«وأنا نَفسي أيضاً متيقِّنٌ من جهتِكم يا إخوتي أنَّكم أنتم مَشحونون صَلاحاً ومَملوؤون كلَّ عِلمٍ، قادِرون أن يُنذِرَ بَعضُكم بَعضاً».**

واضح هنا من الكلام أن ق. بولس بعد ما أكمل تعليمه أخذ يعتذر لهم أنه تجرأ وعلَّمهم كمعلِّم، ولكنه لم يضع في ذهنه أنهم غير قادرين على تعليم بعضهم بعضاً ــ من جهة التقوى والصلاح والمعرفة الأخلاقية، وإنما رسالته هذه هي في حقيقتها على **قياس ما** (جزئياً) ــ فوق معرفتهم، لتذكيرهم بأمور يعتبرها هو أنها خطيرة وأنها أساس ثبات إيمانهم كما أوضحها منذ أول الرسالة: **«لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم»** (رو١: ١١). وهذه الهبة طبعاً هي التي تحتويها الرسالة المحسوبة أن جوهرها وقلبها النابض **هو الإيمان ببر الله بدون أعمال الناموس وبدون**

سبت وبدون ختان، وهذه أمور كانوا يجهلونها تماماً، والتي يعزو معرفته الشخصية لها أنها بسبب نعمة خاصة أعطيت له دون كافة الرسل للكرازة بإنجيل المسيح للأمم، بحسب دعوة المسيح له شخصياً من السماء. وطبعاً هذه الحقائق الجديدة عليهم من جهة عدم نفع الناموس والسبت والختان التي أنشأت الشقاق بينهم — يهوداً وأمماً — والازدراء والدينونة بعضهم لبعض، هي التي انشغل ق. بولس بعلاجها لهم في آخر رسالته. وهو يستخدم الرقة والدبلوماسية في الاعتذار عن تجرُّؤه في الكتابة إليهم، الأمر الذي لم يفعله إطلاقاً قبل ذلك مع أية كنيسة أخرى، وهذا ما حيَّر المفسِّرين الذين أجهدتهم هذه الاعتذارات المتوالية من ق. بولس في هذه الرسالة دون أن يفهموا سببها، حتى انبرى بعض المفسِّرين الكاثوليك وقالوا لأن كنيسة رومية كان قد أسَّسها القديس بطرس، لهذا يكتب لهم عن استحياء، ولكن هذا خطأ لا تؤيده وقائع الرسالة ولا حال كنيسة رومية. والحقيقة كما سبق أن شرحناها صفحة ٥٣ــ٥٧ أن ق. بولس يكتب لكنيسة لها حالة خاصة، فالأمميون المسيحيون، وهم أكثرية في رومية، لم يستلموا المسيحية على يدي ق. بولس بل استلموها من يهود متنصِّرين، وهم أقلية في كنيسة رومية، فكان موضوع الناموس والختان والسبت والعوايد أموراً داخلة كلها في الإيمان بنوع التشدد من جهة اليهود المتنصِّرين التي قابلها الأمم بتراخ وتململ.

فالقديس بولس في هذه الرسالة كان كعادته قاطعاً شديد القطع ضد الناموس. وإذ كانت الخبرات السابقة قد علَّمته أن هذا الموضوع شائك ومُرْبِكٌ جداً لليهود المتنصرين بقدر ما هو مفرح ومنعش لإيمان الأمم، لذلك كان حريصاً جداً أن لا يُثير اليهود المتنصرين، من جهة، ومن جهة أخرى لا يعطي الأمميين المتنصرين فرصة للاستعلاء بهذا الاستغناء الكامل عن الناموس. لهذا وجدناه منذ بدء الرسالة يستخدم هذا الأسلوب الرقيق الدبلوماسي الاعتذاري، وفي نفس الوقت يستخدم سلطان الرسول المعيَّن من الله والمسيح لإملاء شروط الإيمان الصحيح بلا مواربة أو بحسب اللغة التقليدية يقطع بكلمة الحق باستقامة (٢تي٢: ١٥).

ثم استطرد ق. بولس في الآية (١٦) وكشف لهم لماذا تجرأ وكتب لهم، مع أنه ليس هو الذي أنشأ كنيسة رومية. فالسبب واضح أنه تعيَّن بتكليف من قِبَل الله والمسيح رسولاً لكافة الأمم، ورومية محسوبة من الأمم. لذلك كان يشعر منذ أن استلم تكليف خدمة إنجيل المسيح بين الأمم بأنه مديون لرومية أيضاً. لذلك حاول كثيراً الذهاب إليهم تحت وطأة إحساسه بالمسئولية ولكنه مُنع لظروف خارجة عن إرادته. وها هو يكتب رسالته بعد أكثر من عشرين سنة في خدمة الأمم، لذلك اعتبر نفسه مقصِّراً في حقهم.

١٥:١٥ «ولكن بأكثر جسارةٍ كتبتُ إليكم جزئياً أيها الإخوة كمُذكِّرٍ لكم بسببِ النعمةِ التي وُهِبَتْ لي من الله».

«بأكثر جسارة»: τολμηρότερον

الجسارة هنا ليست من نوع القوة الأخلاقية، ولكنها نابعة من شدة الغيرة على الإيمان المسيحي، فهي جراءة الحق، ولكن في إحساس بالمودَّة والصراحة. وكلمة «بأكثر جسارة» لا تعني أكثر من «جراءة زائدة»، لأن حرص ق. بولس على صحة الإيمان المسيحي زاد فعلاً من جراءته، ليس على كنيسة رومية وحسب بل وعلى القديس بطرس نفسه!

والمعروف في التاريخ الكنسي أن الذين كانوا على هذه الزيادة في الجراءة الإيمانية والتعليمية الرسولية وبلا حدود هم القديسون أثناسيوس وذهبي الفم، وطبعاً كافة الشهداء بلا استثناء. ويا ليت جراءة الإيمان تزداد في كنيسة الله وتزداد الشهادة للحق والقطع بكلمة الحق باستقامة.

«كتبت إليكم جزئياً»: ἀπὸ μέρος

كلمة «جزئياً» بالعربية لا تتناسب مع رسالة رومية لأنها الرسالة الوحيدة التي أكمل فيها ق. بولس تعليمه اللاهوتي، فهي ليست جزئية في شيء. وقد احتار فيها المفسِّرون وفسَّروا فيها تفسيرات كثيرة واستقروا أخيراً على أنها تعني أنه كان متجاسراً **في بعض الأجزاء**. ولكن نعتقد أن الكلمة اليونانية «ميروس» تعني بوضوح: **بقياس ما**، ويقصد ق. بولس أنه كتب لهم بجسارة **على قدر قياس احتمالهم** سواء إيمانياً أو نفسياً لأن هذا يتناسب مع روح الاعتذار عن شدة القطع بالاستقامة التي صيغت بها الرسالة.

«كمذكِّر لكم»: ἐπαναμιμνήσκων

كلمة «مذكِّر لكم» باللغة العربية ذات لياقة أدبية ولكنها لا توفِّي الواقع الحقيقي الذي يقصده ق. بولس حقه. فقد اتفق العلماء[7] على أنها تعني فنِّياً تكرار تقليد راسخ في الكنيسة، وفي التكرار إفادة، ومن هنا جاءت الكلمة العلمانية «مُذكِّر». والكلمة لا تمتُّ في أصلها اللغوي لمعنى الوعظ[8].

---

7. Käsemann, *op. cit.*, p. 392.
8. Ibid.

«بسبب النعمة التي وُهبت لي من الله»:

هنا توضيح ما بعده توضيح أن الجسارة التي كتب بها هي جسارة النعمة، جسارة الرسولية التي نالها من المسيح يسوع التي صاغت الإيمان المسيحي في قلبه وفكره ولسانه، فهو بعد أن اعتذر برقة عن الجسارة التي كتب بها، عاد وألقاها على النعمة لكي تبلغ الجسارة الرسولية أقصى قوتها وفعلها فيهم.

وليست هذه أول مرة في رسالة رومية يصدِّر فيها ق. بولس النعمة ويحتمي وراءها ليقول قولة الحق. ففي (١٢: ٣) يقول: «فإني **أقول بالنعمة المعطاة لي** لكل مَنْ هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التعقُّل كما قَسَم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان».

١٥: ١٦ **«حتى أكونَ خادِماً ليسوعَ المسيح لأجلِ الأممِ مُباشِراً لإنجيلِ الله ككاهِنٍ ليكونَ قربانُ الأممِ مقبولاً مقدَّساً بالروحِ القدسِ».**

«حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم»:

كان من الطبيعي أن لا يكون هنا فاصل بين الآية ١٥و١٦ فهما آية واحدة، فالقراءة مستمرة ولا تحتمل وقفة، وتُقرأ هكذا: «بسبب النعمة التي وُهِبَتْ لي من الله حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم».

هكذا الرسولية نعمة، وهكذا النعمة خدمة! وخدمة الله ذبيحة، ومقدِّم الذبيحة كاهن.

«خادماً λειτουργόν ليسوع المسيح»:

هذه الكلمة بحسب تحقيقات جميع العلماء[٩] تعني «كاهن priest» بحسب ما جاءت في النسخة السبعينية للتوراة. وإن كانت قد جاءت في رسالة رومية نفسها لتفيد خدمة علماني بالنسبة للأمور الدنيوية (رو١٣: ٤)، ولكن الذي يحدِّد المعنى الاصطلاحي الفني الكهنوتي هنا هو أنها خدمة مقدَّمة للمسيح: «خادماً ليسوع المسيح»، بمعنى «كاهن ذبيحة» أو «كاهن مقدِّم ذبائح ليسوع المسيح».

«مُباشِراً لإنجيل الله ككاهن»: ἱερουργοῦντα τὸ εὐαγγέλιον τοῦ θεοῦ

ومعناها بحسب اللغة اليونانية «كاهن ذبيحة» لإنجيل الله أو كاهن مُقدِّم ذبائح لإنجيل

9. Käsemann, Sanday and Headlam, Cranfield, Meyer and St. Chrysostom.

الله. لأن معنى ἱερουργοῦντα **هو مُقدِّم ذبائح التي عبَّر عنها بالكاهن**. فالاسم «كاهن»، واسم الفاعل «مُقدِّم ذبائح ἱερουργῶν» مأخوذان أصلاً من الفعل ἱερουργέω، أي أن الفعل «ذبح» هو الذي حدَّد الاسم واسم الفاعل. وهذا يتضح من باقي معنى الآية.

«ليكون قربان الأمم»: προσφορά

«**قربان**» مركز الأفعال الليتورجية كلها وهي «**الذبيحة**» المقدَّمة لله. فقربان الأمم تعني ذبائح الأمم المقدَّمة لله.

«مقبولاً»: εὐπρόσδεκτος

أي على مستوى قبول ورضى الله. والقربان أي الذبيحة لا تكون مقبولة لدى الله إلاَّ بشروط هامة جداً، وهي بحسب العهد القديم أن تكون بلا لوم، وحديثاً مقدسة بالروح القدس.

في هذه الآية يرفع ق. بولس خدمته الرسولية بالكرازة بإنجيل الله بين الأمم بحسب دعوة الرب يسوع المسيح له إلى أعلى مستوى تقديسي عرفته البشرية، وذلك بالمطابقة مع خدمة العهد القديم القائمة على «**ذبائح**» حيوانية على يد «**كاهن**» مخصَّص للذبائح، يغسلها ثم «**يقدِّمها**» «**قرباناً**» لله «**فيقبلها**» الله.

ومعروف أن عهد الذبائح الحيوانية قد ولَّى، بكهنوته الذبائحي، وجاء العهد الجديد بذبائح، وكهنة، وقرابين أخرى كلها بشرية ناطقة حيَّة بالله.

وهكذا يؤسس ق. بولس بهذه الآية أول مفهوم لمعنى الليتورجية بمفرداتها في العهد الجديد.

فالقديس بولس يؤسس بالحقيقة طقساً إنجيلياً على مستوى طقس ذبائح العهد القديم، ولكن يرتفع به إلى مستوى الطقس الروحي الصرف القائم على ذبيحة ناطقة بالروح، وسكين الكلمة الناطقة بالروح، وكاهن النعمة الناطق بالروح. حيث الإنجيل هو القوة الروحية المركزية، وهو الذي تنطلق منه كل مفردات الليتورجية الإلهية الجديدة، **وحيث خدمة الإنجيل هي خدمة كهنوتية أي ذبائحية بالدرجة الأولى. والكاهن هو خادم ذبائح إنجيلية، والذبيحة الإنجيلية المقدسة هي التي تقدست بالكلمة وبالروح القدس وتخصصت لله الحي، أي المؤمنون.**

ق. بولس اعتبر نفسه قد تعيَّن، أي رُسم، خادماً لحساب إنجيل الله، وذلك من فم المسيح وبتأييد الروح القدس وعمل النعمة. والأمم هم ذبائح الإنجيل، بمعنى أن كلمة الإنجيل — المعبَّر

عنها بالسيف ذي الحدين (أف٦:١٧ وعب٤:١٢) — تعمل عملها في الإنسان فتحوّله إلى ذبيحة حيَّة مرضيَّة ومقبولة لدى الله بتقديس الروح القدس، بمعنى أن تفصله عن العالم، وتصيِّره لله. القديس بولس اعتبر نفسه واقفاً أمام مذبح الله الناطق السمائي يقدّم ذبائح الأمم قرابين مقدَّسة لله.

ولنا في الكنيسة، وفي صميم طقسها، التطبيق العملي لكهنوت ق. بولس وذبائحه الناطقة وقرابينه المقدسة لله. فعندنا في الكنيسة القبطية قداس الموعوظين المسمى بقداس الكلمة، حيث يجتمع الموعوظون في خورسهم الصباحي و يبدأ الكاهن الإنجيلي — دون أن يكون لابساً ثيابه الرسمية — خدمة = ذبيحة «قداس الكلمة» بقراءة الإنجيل والرسائل وشرحها مع صلوات وابتهالات، ثم اعترافات. و بعد استكمال مراحل التعليم اللازمة، التي تستغرق سنتين أو ثلاثاً حسب الأصول الأُولى «يُقدَّم» الموعوظ في اليوم الموعود وهو لابس ثيابه البيضاء ويموت في جرن المعمودية ويقوم وقد تقدَّس بالروح القدس. وهكذا يُكمَّل «القربان» المقدس ليُقدَّم لله، ويشترك بعد ذلك في قداس الذبيحة العظمى بالتناول منها.

ق. بولس يحدِّد لنفسه هذا الطقس الكهنوتي الذبائحي الإنجيلي كخادم ذبائح الإنجيل لتقديم الأمم أفراداً قرابين حيَّة ناطقة مقدسة ومقبولة لله.

وطبعاً هذا الطقس الإنجيلي الكهنوتي الذي تخصَّص له ق. بولس هو باختصاص التقديس بالكلمة، أي بالبشارة بالإنجيل: «المسيح لم يرسلني لأعمِّد بل **لأُبشِّر**.» (١كو١:٧)

وقفة قصيرة لتوضيح
«صدق وواقعية معنى الكهنوت في العهد الجديد»

إلى أي مدى يُعتبر وصف ق. بولس للنفس الإنسانية كذبيحة لله صحيحاً؟ هل هي مجرد خيال خصب كما يقول بعض العلماء، أو أنه على مستوى المجاز أي مجرد وصف تشبيهي وتمثيلي أو رمزي حسب قول الآخرين؟

ولكن أليست ذبائح العهد القديم الحيوانية وكهنوتها الذبائحي في تخصصه الحيواني هو هو

الرمزي والتشبيهي، وليس ذبائح ق. بولس الروحية التي جاءت كردٍّ فعل صادق وحيّ وواقعي لذبيحة المسيح العظمى؟ أيهما الصادق والحقيقي والواقعي والمؤثّر الفعَّال ذبيحة الفصح اليهودية بالخروف الصحيح الذي يُغسل ليكون بلا لوم، أم ذبيحة المسيح القدوس المذبوح على الصليب؟

أيُّ الفصحين يقبله الله حقاً؟ أيُّ الفصحين له بالفعل أثر الخروج الحقيقي والواقعي؟ أيُّ الذبيحتين هي القادرة أن تؤثر في الإنسان وتغيِّر فكره وتجدِّد ضميره؟

ثم أيُّ الذبيحتين يقبلها الله وعليها يرضى، ذبيحة خروف يقدِّمه الإنسان من غنمه عن خطاياه أم نفسه هو التي يذبحها بإرادته فَرِحاً بسكين الكلمة ونعمة الله لتموت عن الخطية والعالم موتاً حقيقياً نفسياً وفكرياً ويقدّمها لله مطهَّرة بروحه القدوس؟

ثم أي الكاهنين الذبائحيَّيْن يُحسب حقيقياً أنه كاهن الله العلي: مُقدِّم ذبائح الخرفان والماعز والبقر لله أم مُقدِّم النفوس المذبوحة بإرادتها حيَّة ناطقة لله، شاهدة لقوة سيف كلمته وعظمة إنجيله والخلاص المُعدّ والفداء الذي أُكمِل؟ أيهما كاهن الرمز والصورة والتشبيه وأيهما كاهن الحق بالحق والواقع الحي؟ وأيهما يكون صاحب الأولوية في التسمية الكهنوتية، مُقدِّم الرمز أم مُقدِّم الحق؟

ثم بعد ذلك ألا ترى معي عن حق، أن «**الكاهن**» في العهد القديم كان مجرد رمز ولا يمتُّ للواقع الروحي الحي وقد زال بالفعل، أما كاهن العهد الجديد فهو صاحب الكهنوت الروحي السمائي الحقيقي المنطوق، والمعيَّن من الله ليكون ويبقى ويدوم أمام الله بعد أن زال الأول وها هو لا يوجد ولا يبقى له أثر بعد.

وق. بولس يتكلم عن كهنة ذبائح العهد القديم، كيف كانوا يموتون فيُقَام غيرهم ليبقى الكهنوت ولا يموت، إلى أن يأتي الكهنوت الذي لا يموت: «وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء، وأما هذا (المسيح) فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له **كهنوت لا يزول**، فمن ثم يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله (ذبائح)، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم» (عب٧: ٢٣–٢٥). **إذاً، هذا هو الكهنوت الحقيقي القائم في ذهن الله منذ الأزل، والذي صوَّره تصويراً بالرمز بكهنوت العهد القديم ليقرِّب معنى الكهنوت والذبائح المقدَّمة لله بالصورة فقط، حتى إذا جاء الكهنوت الحقيقي بالمسيح يبقى في ذهننا مشروحاً ومفهوماً وحيَّاً وفعَّالاً جديداً على الدوام.** «فإذ قال جديداً، عتَّق الأول، وأما ما عتَق وشاخ فهو قريبٌ من الاضمحلال.» (عب٨:١٣)

إذاً ما حُكمك، أيها القارىء، في كهنوت المسيح وكهنوت مَنْ أقامهم الله مثل القديس بولس ليقدِّموا له من نفوس مختاريه ذبائح حيَّة ناطقة مسبِّحة لله كل يوم بل كل مساء وصباح؟ هل كهنوت المسيح وكهنة المسيح قد عتق وشاخ حتى نخلعه عن المسيح وعن مقدِّمي ذبائح المسيح والإنجيل ونلقيه مرة أخرى في سفر اللاويين؟ أم أنه يتحتم «**أنه يبقى إلى الأبد كهنوت لا يزول**» (عب٧:٢٤)؟

ب – [١٥:١٧–٢١] من واقع خدمته العريضة الممتدة

١٥:١٧ **«فلي افتخارٌ في المسيح يسوعَ من جهةِ ما لله».**

القديس بولس يعقِّب على الآية السالفة. القديس بولس يفتخر بكهنوته(١٠)، واضحاً صريحاً بل واثقاً مما لله. نعم! فالذي كان له فيما للعالم قد حَسِبَه خسارة؛ أما الذي أعطاه له الله، أي كهنوته، فهو للافتخار.

«فلي افتخار في المسيح»: καύχησιν

افتخار ق. بولس ليس فيما لنفسه بل فيما للمسيح، أي أن افتخاره هو لحساب المسيح حيث يستمد من المسيح عمله الذي أعطاه المسيح ووكَّله عليه، فهو يؤدِّيه بإحساس أنه عمل فائق على كل ما يمكن أن يعمله الإنسان من أجل الإنسان. الافتخار هنا يكشف عن سمو نوع العمل الذي يعمله، **فبقدر ما يفصل مجد العمل عن نفسه بقدر ما يكون العمل صحيحاً وصادقاً**، وبقدر ما ينسب العمل لصاحبه، أي المسيح، يصبح العمل مجيداً وذا افتخار.

«من جهة ما لله»: τὰ πρὸς τὸν θεόν

ق. بولس هنا ينسب «**عمله**» لله نفسه بعد أن أخذه من المسيح، فهو وإن كان يفتخر به بقدر ما هو من المسيح إلاَّ أنه يعود وينسبه لله، أي خدمته بتقديم ذبائح الأمم – (أي العمل الكهنوتي بالتعبير الطقسي الليتورجي كما قال ق. بولس). فالعمل هنا هو خدمة الإنجيل ككاهن: بمعنى استخدام الإنجيل في اصطياد خراف الأمم الضالة، ثم ربطها بالكلمة، وتكميل موتها مع المسيح بفعل الفداء، وتقديسها بالروح القدس، وتقديمها في النهاية قرابين فاخرة ناطقة لله. فهو من جهة عمل الكهنوت، يبدأ من المسيح وينتهي لله. فالقديس بولس ككاهن يأخذ عمله – تقديم ذبائح

10. Int. Rev. Com. Philip Schaff on Rom. by M.B.Riddle (1896), p. 237.

الأمم ككاهن – ليس من نفسه بل من المسيح والإنجيل، ويقدِّم ذبائحه ليس لنفسه بل لله! القديس بولس يشعر بفخر ما بعده فخر أنه هكذا استؤمن ككاهن العلي، يأخذ من المسيح والإنجيل السلطان ككاهن ويقدِّم لله نفوساً هي ذبائح على مستوى الإنجيل والمسيح حيَّة مقدسة مقبولة لدى الله بخدمة ناطقة وتسبيح أبدي.

ق. بولس في هذا التعبير الليتورجي العالي كان أصيلاً في مشاعره وتفكيره، عظيماً حقاً في كهنوته الذي قدَّم به الأمم جميعاً بأثر ممتد عبر الأجيال وعلى مذبح الله الناطق السمائي. وكيف لا يفتخر ق. بولس بكهنوته الحقيقي الذي أخذه من المسيح بقوة سر الفداء العامل فيه بالروح القدس الذي قدَّسه للعمل بالقول والفعل؟ وهل ننسى قول المسيح: «لي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة **ينبغي أن آتي بتلك** أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعيةٌ واحدة وراعٍ واحد.» (يو١٠:١٦)

انظر، عزيزي القارىء، كيف كان قد تعيَّن ق. بولس قبل الصليب ليجمع خراف الأمم في الزمن المعيَّن لتدخل حظيرة المسيح الواحدة: «آتي (أنا) بتلك أيضاً فتسمع **صوتي**». العجيب هنا هو تَوافُق ما يقوله ق. بولس عن نفسه توافقاً بديعاً لما سبق وقاله المسيح. فالمسيح يعتبر ق. بولس هنا كنفسه، يعمل عمله الخصوصي جداً الذي وعد به: يجمع له خرافاً بالقول والعمل. وهكذا تمَّ قول المسيح على يد ق. بولس إذ جمع له الخراف الأُخر وقدَّمها له ككاهن الله العلي وكراعٍ لحساب شخص المسيح الراعي الوحيد. لأن لا كاهنَ إلاَّ المسيح، ولا راعي إلاَّ المسيح، وكل مَنْ يكهن لحساب المسيح والله فهو كاهن في المسيح وراعٍ لحسابه، وكل مَنْ يكهن لنفسه وليس لحساب المسيح فهو لص، دخل ليسرق الخراف ويذبحها لنفسه.

ومرة أخرى هل يمكن أن نفهم من قول الرب: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة» شيئاً غير أنها خراف الأمم؟ وهي الذبائح الناطقة لله الحي؟ وأن ق. بولس استؤمن على الأمم لكي يقدمها ذبائح حية للمسيح: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدِّموا أجسادكم ذبيحةً حيَّةً مقدسة مرضيَّة عند الله عبادتكم العقلية (الناطقة).» (رو١:١٢)

١٥:١٨ **«لأني لا أجسُرُ أن أتكلَّمَ عن شيءٍ مِمَّا لم يفعلْهُ المسيحُ بواسِطَتي لأجلِ إطاعةِ الأممِ بالقولِ والفعلِ».**

«لأني»:

حرف علة يعلل به ق. بولس ما قاله في الآية السالفة، أي عن افتخاره بكهنوته الذي أخذه من

المسيح! فهو هنا ينفي أن يكون قد تجاوز ما منحه الله.

«لا أجسر»: τολμήσω (في وضع المستقبل) = لن أجسر.

«لا أجسر» هنا جاءت في اليونانية كفعل مستقبلي، وذلك لمزيد من التأكيد والتحفُّظ(١١) سواء لما فات أو لما هو آتٍ. بمعنى كأنه قد أخذ عهداً على نفسه: «**لأني سوف لا أتجاسر أن أعطي بياناً عن أي شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي**». وفي الآية القادمة سيقدِّم تقريراً وافياً واسعاً ومذهلاً حقاً عما فعله.

ق. بولس يعكس القول فيما تجاسر به سابقاً: **فهو تجاسر على أهل رومية بتعليم** قد أخذه من المسيح كرسول بحسب النعمة التي أعطاه الله: «بأكثر جسارة كتبت إليكم ... بسبب النعمة التي وُهِبَتْ لي» (رو١٥: ١٥)؛ أما هنا فينفي أية جسارة أن يتكلم عن أي شيء **لم يعمله** المسيح بواسطته فيما يخص خدمة الأمم ونجاحه المذهل في إقامة الكنائس في كافة أنحاء العالم الوثني آنئذ.

«لأجل إطاعة الأمم»:

أي طاعة الإنجيل التي بدأت على يدي ق. بولس من حول أورشليم إلى كل نواحي آسيا واليونان وإلى الآن وإلى باقي الدهر. وها هي طاعة الإنجيل تملأ وجه الأرض تردِّد صدى قول ق. بولس بالحق. فطاعة الأمم لإنجيل الله كانت تملأ كل رجاء ق. بولس، بل فكره بل حياته، وبدون طاعة الأمم كان ق. بولس يرى أن لا طعم للحياة ولا لزوم لها: «لأننا الآن نعيش إن ثَبتُّم أنتم في الرب» (١تس٣: ٨). لهذا كان همُّه الأول إخضاع فكر الأمم لفكر المسيح بكل قوة وكل وسيلة، «مستأسرين **كل فكر إلى طاعة المسيح**، ومستعدين لأن ننتقم (لأن نعاقب) على كل عصيان (عدم طاعة) متى كملت طاعتكم.» (٢كو١٠: ٥و٦)

«بالقول والفعل»:

إشارة إلى «ما كان يفعله المسيح بواسطته»، والقصد أن خدمة ق. بولس الكهنوتية بتقديم ذبائح الأمم المقدسة قرباناً على مذبح الله الناطق السمائي لم تكن فلسفة كلام بل كلاماً مؤيَّداً بالفعل، بشارة بالخبر أخذت مجراها حتى كملت الطاعة وقُدِّمت الذبائح مرفوعة بالحق. فكهنوت ق. بولس لم يكن وعظ كلام بل تقديس أرواح ونفوس بالفعل وتقديمها ذبائح كاملة لله في طاعة الإنجيل.

11. Lagrange; cited by Käsemann, *op. cit.*, p. 393.

فرق عظيم بين واعظ يعظ بالكلمة الملتهبة ثم يذهب إلى بيته يستريح وينام، وبين كاهن يكهن بالإنجيل بقصد صيد النفوس وإدخالها الحظيرة وإعدادها بطاعة الإنجيل وتعهُّدها حتى تصبح ذبائح حية مُسبِّحة لمجد الله.

+ **«في جوع وعطش في أصوام، مراراً كثيرة في برد وعُري؛ عدا ما هو دون ذلك التراكم عليَّ كل يوم، الاهتمام بجميع الكنائس. مَنْ يضعف وأنا لا أضعف مَنْ يعثر وأنا لا ألتهب.»** (٢كو١١: ٢٧—٢٩)

إن خدمة الإنجيل الآن في هذا الزمان ليست هي التي كان يراها ق. بولس ولا التي عاشها ق. بولس. لأننا نراها الآن خدمة كلمة، أما بولس الرسول فيراها خدمة فعل كهنوتي ذبائحي بالدرجة الأُولى. فخدمة الكلمة عند ق. بولس إن لم تنتهِ بالذبيحة فهي مجرد كلام كما دخل يذهب: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل٤: ١٩)، «فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجلٍ واحد لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو١١: ٢)، حيث كلمة «يقدِّم» هنا هي نفس الكلمة المستخدمة في تقديم الذبائح.

ونحن نعتقد أن هذا الانهيار الحادث الآن في معنى خدمة الإنجيل نشأ من تحويل كلمة «كاهن» لكلمة «خادم» بمفهومها العالمي، وليس بمفهومها الطقسي «الليتورجوس»؛ ومن كلمة «يكهن» بمعنى يقدِّم ذبيحة للإنجيل، إلى كلمة «يخدم» الإنجيل بالمفهوم الاجتماعي المتخصص. ولكن خدمة الإنجيل كتقديم النفوس ذبائح للمسيح هي خدمة الله، هي الليتورجية بمفهومها ومعناها التقليدي قديماً وحديثاً، بمعنى أن خادم الله هو مقدِّم ذبائح — كاهن — على أساس أن المسيح أعلن مفهوم خدمته بذبيحة نفسه على الصليب (مت٢٠: ٢٨). فبغير ذبيحة النفس لله لا يُخدم الله أي لا يُكهن أمامه، فالله محبة ولا يُخدم إلاَّ بفعل محبة ولا فعل محبة إلاَّ ببذل النفس أي ذبحها: «أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)، ونحن صرنا فيه إما ذبائح أو مقدِّمي ذبائح: «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح.» (رو٨: ٣٦)

١٩:١٥ **«بقوة آياتٍ وعجائبَ بقوة روح الله حتى إني من أورشليمَ وما حولَها إلى إلليريكون قد أكمَلتُ التبشيرَ بإنجيلِ المسيح».**

هنا يثبت ق. بولس أنه ليس بالكلام فقط كان يخدم الإنجيل كواعظ بل وبفعل قوة الروح القدس العامل بالإقناع والتجديد كآيات أحسَّها المؤمنون وعجائب صنعها الله في ق. بولس

وبواسطته لتستعلي كلمة الإنجيل على فمه وتأخذ قوَّتها ومفعولها، لأن الكلمة بحد ذاتها حيَّة وفعَّالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين (عب٤: ١٢)، بقوة الروح القدس المؤازر للكلمة. فبولس الرسول لم يكن كاهن كلام لذيذ ناعم؛ بل كاهناً في يده سيف الكلمة بالروح القدس (أف٦: ١٧)، «سيف الروح الذي هو كلمة الله»(١٢)، ليحوِّل السامع إلى طائع يضع رقبته تحت سلطان المسيح، كذبيحة طيِّعة، كشاة تحت يد ذابحها لا تتحرَّك. وبولس الرسول يرد على الذين ادَّعوا عليه أنه قوَّال كلام وفي الحضرة ضعيف: «مثل هذا فليحسب هذا أننا كما نحن في الكلام بالرسائل ونحن غائبون هكذا نكون أيضاً بالفعل ونحن حاضرون.» (٢كو١٠: ١١)

«قد أكملتُ التبشير»: πεπληρωκέναι τὸ εὐαγγέλιον

باليونانية: «أكملتُ الإنجيل». والمعنى أن القديس بولس، من نقطة انطلاق البشارة حول أورشليم حتى أقصى حدود اليونان، أكمل الإنجيل بمعنى أكمل المناداة والخدمة معاً: «سلَّم الخبر» بالكلمة، «واستلم النفوس» ليقدِّمها ذبائح إنجيلية لله في المسيح. فالإنجيل لا يكمل بالمناداة فقط بل يتحتم تقديم الثمر لصاحب الإنجيل، «ليفرح الزارع والحاصد معاً» (يو٤: ٣٦)، لتمتلىء الحظيرة بذبائح البر قرباناً، ويمتلىء البيت بالمدعوين ويفرح العريس بعروسه من أورشليم إلى إلليريكون. والسؤال المحيِّر الذي حيَّر الكثيرين هو: أين مصر وأين الإسكندرية من بولس؟ وهي التي ناطحت أورشليم كمركز عبادة وثقافة وتقوى إنجيلية. أما السبب فهو أن مصر كانت تقبَّلت رسالة الإنجيل بعد القيامة مباشرة، فالسكَّة (أي الطريق) بين أورشليم ومصر لم تتوقف قط عن الحركة، والكنيسة في الإسكندرية رُفعت فيها الصلوات باسم المسيح وارتفع فيها الصليب مبكراً جداً قبل أن يبدأ بولس الرسول خدمته، فتاريخ المسيحية في مصر يبدأ رسمياً من سنة ٤٥ ميلادية، فهي من أقدم كنائس العالم طرًّا، وأخذت إيمانها أول ما أخذت عن يعقوب الرسول قبل أن تأخذه من فم مار مرقس، لذلك سُميت في التاريخ أحياناً بكنيسة اليعقوبيين، وسُمي الأقباط في البداية باليعاقبة نسبة ليعقوب الرسول. ونحن لا ننسى أن القديس يعقوب الجليل في الرسل كان يرسل بعثات من كنيسة أورشليم لإفتقاد الكنائس البعيدة كما عرفناها في أنطاكية «ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً، لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب، كان يأكل مع الأمم ...» (غل٢: ١١)

---

(١٢) لا يندهش القارىء إذا اطَّلع على صور بولس الرسول وتماثيله عند الغرب وهو حامل السيف في يده، فهو ليس السيف الذي ذُبح به بل سيف الكلمة الذي ذَبَحَ به ذبائح هي نفوس أتقياء تكرَّسوا لله فصاروا سحابة شهود في السماء.

والمعتقد أن نقطة انتشار الإيمان المسيحي في مصر انطلقت من الإسكندرية، وبالتحديد من غرب الإسكندرية من وسط جماعة الثرابيوتا (أي الأطباء) الذين كانوا يعيشون حول بحيرة مريوط، وهم الأقرب في التراث التقليدي إلى جماعة الأسينيين بشرق فلسطين، والمراجع في ذلك شحيحة ولكن يُفهم هذا من كتابات فيلو(١٣)، وتاريخ يوسابيوس القيصري(١٤).

٢٠:١٥ **«ولكن كنتُ محترِصاً أن أبشِّرَ هكذا، ليس حيثُ سُمِّيَ المسيحُ لئلا أبنيَ على أساسٍ لآخَرَ».**

«محترصاً»: φιλοτιμούμενον

وتعني باليونانية: «اشتياقي في الاجتهاد»، أن لا أبشِّر في مكان بشَّر فيه غيري باسم المسيح. كان هذا القانون جزءاً لا يتجزأ من افتخار بولس الرسول: «فلي افتخار في المسيح من جهة ما لله» (رو١٥: ١٧). وقد وضعها ق. بولس في موضع آخر أنه قد أُعطي من الله أن يضع الأساس وغيره يبني عليه وليس العكس: «حسب نعمة الله المعطاة لي كبنّاءٍ حكيم قد وضعتُ أساساً وآخر يبني عليه. ولكن فلينظر كل واحد كيف يبني عليه فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح.» (١كو٣: ١٠و١١)

هذا الكلام من ق. بولس يحمل أعماقاً لاهوتية هامة. فبولس الرسول أُعطي نعمةً واستعلاناً خاصاً ليكون رسول الإيمان للأمم ليكرز بالبر الذي بالإيمان بدون أعمال الناموس، ومعروف أنه لم يُعطَ رسول آخر من الاثني عشر هذه النعمة الفائقة أن يكرز بالإيمان بدون أعمال الناموس. لذلك لم يكن ق. بولس هو وحده محترصاً أن لا يبشِّر في مكان بشَّر فيه رسولٌ آخر، بل الرب نفسه أرسله «بعيداً» (أع٢٢: ٢١) — للأمم — لأن الرب كان حريصاً أن يضع على يد ق. بولس الإيمان المسيحي للأمم بدون أعمال الناموس، وذلك بنعمة خاصة وفائقة كلَّفت ق. بولس عذاباً أليماً وتدريباً مستمراً ليتخلَّص هو أولاً من الناموس ليخلِّص آخرين معه. «والأساس الآخر» الذي كان يخشى بولس محترصاً أن لا يبني عليه، هو أساس الناموس اليهودي والسبت والختان وكل عوايد اليهود.

---

(١٣) يصف فيلو ممارساتهم الدينية وصلواتهم واجتماعاتهم بطريقة تكشف الخط الرهباني الواضح، وذلك في كتابه: «الحياة التأملية (De Vitae Contemplata,X)».

(١٤) يقرر يوسابيوس بوضوح أنهم صاروا جماعة مسيحية؛ أنظر: Euseb., H.E. II,XVII.

١٥: ٢١ **«بل كما هو مكتوبٌ الذين لم يُخبَرُوا به سيُبْصِرُون والذين لم يسمَعُوا سيفهمُون».**

المكتوب هنا هو لإشعياء النبي: «لأنهم أبصروا ما لم يُخبَروا به وما لم يسمعوه فهموه» (إش ٥٢: ١٥). واضح أن النبوة تشير إلى قبول الأمم لخبر الإنجيل وإيمانهم بالمسيح وكأنهم رأوه، وتم فيهم قول المسيح: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا.» (يو٢٠: ٢٩)

والقديس بولس الذي كان يسير بالروح والذي اقتاده الروح إلى الأمم، أدرك عمق النبوة وتهللت روحه فيه، إذ على يديه تم الخبر وتم السماع وتم الفهم وتمت الرؤيا بغير المنظور.

ولكن ق. بولس يستشهد بهذه النبوة لتحقيق صدق دعواه أنه احترص أن لا يبشِّر في مكان بُشِّر فيه باسم المسيح، أو أن يبني على أساس غيره. فهذه ليست إرساليته في الكرازة بل هي ما سبقت النبوة وأعلنته، وهو إنما يمشي على هُدى ما سبق الروح وخطَّطه لتكميل أمرٍ كان مقضياً به على الأرض (رو٩: ٢٨).

ج — [١٥: ٢٢—٢٤] الذي منعه هذه المدة كلها من زيارته لهم

١٥: ٢٢ **«لذلك كنتُ أُعاقُ المِرارَ الكثيرة عن المجيءِ إليكم».**

أي بسبب اتساع محيط الخدمة، وما يستلزمها من وضع أساس الإيمان في كل هذه النواحي، مع اضطرار الارتباط بتغطية احتياجات كل الكنائس بما يلزمها من رعاية مستمرة، كنت حينما أعزم على المجيء إليكم أُعاق مرات كثيرة رغماً عني. وهكذا يعود ق. بولس على بدءٍ وكأنه يطابق النهاية بالبداية إذ قال سابقاً نفس الشيء: «ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الإخوة أنني مراراً كثيرة قصدتُ أن آتي إليكم ومُنعت حتى الآن ...» (رو١: ١٣)

١٥: ٢٣و٢٤ **«وأما الآن فإذْ ليس لي مكانٌ بعدُ في هذه الأقاليم ولي اشتياقٌ إلى المجيءِ إليكم منذ سنينٍ كثيرةٍ فعندما أذهبُ إلى أسبانيا آتي إليكم. لأني أرجو أن أراكم في مروري وتُشيِّعوني إلى هناك إن تملأتُ أولاً منكم جُزئياً».**

ق. بولس يكتب هذا وهو في كورنثوس ويعدُّ نفسه للرحلة الأخيرة إلى أورشليم، وقد استودع الأقاليم كلها ليد المسيح ليرعاها بمعرفته. فقد انتهى ق. بولس مع نفسه من خدمة هذه الأقاليم،

ولم يعُد يشعر بأن عليه دَيْناً من جهتها. هذا ما يقصده ق. بولس أنه «ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم»، منذ وجَّه نظره نحو أورشليم، تماماً كما فعل الرب في رحلته الأخيرة ليُصلب هناك (لو٩: ٥١)، وكانت سحبٌ قاتمة قد ظهرت في سماء أورشليم تنذر بخطر مُسْتَطِير: «والآن ها أنا أذهب إلى أورشليم مقيَّداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفني هناك. غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً إن وُثُقاً وشدائد تنتظرني.» (أع ٢٠: ٢٢و٢٣)

فإذا تذكَّرنا ما سبق وقاله الرب يسوع وهو في نفس الموقف نتعجب من شدة المطابقة، من حيث ما سيعمله رؤساء الكهنة والكتبة وكيف سيسلِّم إلى الأمم: «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، و يسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه و يصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم» (مت٢٠: ١٨و١٩). والفرق أن ق. بولس كان يشعر بما هو آتٍ عليه ولكن لا يَعْلَمهُ، أما المسيح فكان عالماً بكل ما سيأتي عليه.

ولكن كانت الخدمة عند ق. بولس أقوى من سُحب الظلام التي تكاثفت فوق أورشليم تنتظر وصوله، لقد تخطَّاها باشتياقه إلى أن تمتد الرحلة أطول، صوب أسبانيا عبوراً بروما التي كان يحلم بزيارتها كثيراً. لقد ارتبطت روحه بأهل روما حتى صارت زيارتها هكذا أُمنية العمر مع أن العمر كان قد أوشك أن تفرغ ذخيرته ولم يعد يتبقى إلاَّ سلاسل وسجون، سجنٌ وراء سجنٍ!! إنه وجه يسوع الذي أطل عليه من السماء كان ينطبع في مخيلته على الأشخاص، فيحنُّ إليهم حنينه إلى وجه السيد. وحينما نبلغ الأصحاح السادس عشر، سوف نقابل هذه الوجوه وهذه التحيات المخلصة الكثيرة جداً التي جعلت روحه تحلِّق دائماً في سماء روما. كانت شهوة روحه أن يفرِّغ فيهم كل معرفته بالمسيح وكل خبراته معه في الإيمان، التي صوَّرها جزئياً في رسالة فجاءت أطول رسالة في عالم الكتب والرسائل التي خلَّفها الإنسان؛ بل وأقوى وأعمق سِفرٍ يحمل خلاصة اللاهوت والإنجيل.

القديس بولس أحب روما جداً لأن من سمائها سوف ينفتح له الباب لينطلق ليكون مع مَنْ أحبَّه: «ذاك أفضل جداً» (في١: ٢٣). أما أسبانيا فلا ندري من أين أتت له أخبارها، كيف تعرَّف عليها، كيف خطَّط لزيارتها، هل زيَّنت له اشتياقاته للخدمة أن ينطلق بعيداً بعيداً عن مركز آلامه في أورشليم؟ مستحيل. فلا هو على مستوى مَنْ تتزيَّن له الأفكار ولا هو على مستوى مَنْ يهاب الأخطار. وهل زارها فعلاً وأسس فيها كنائس؟ أو لماذا صارت أسبانيا مركزاً للإشعاع الروحي واللاهوتي وفاقت روما بعلو وعمق روحياتها وقداسة أساقفتها؟ ولكن لماذا إذاً ضاعت أخبارها وانقطع تاريخ الخدمة فيها فجأة في سفر الأعمال؟ هل فُقد الجزء الخاص بأسبانيا من سفر

الأعمال كما يقول بعض المؤرخين الأوائل (وثيقة موراتوري)؟ ولكن شكراً لله فرسالة رومية احتفظت لنا بكل ما كان يودّ ق. بولس أن يستودعه أعزّ أحبائه، إن في روما أو أسبانيا أو كل الأرض.

د — [١٥: ٢٥—٢٩] الوعد بالزيارة بعد تكميل خدمته لفقراء أورشليم

١٥: ٢٥و٢٦ **«ولكن الآنَ أنا ذاهبٌ إلى أورشليمَ لأخدمَ القديسينَ. لأن أهلَ مكدونيَّةَ وأخائيّةَ استحسَنُوا أن يصنَعُوا توزيعاً لفقراءِ القديسينَ الذين في أورشليمَ».**

كانت رحلة ق. بولس من أقاليم مكدونية وأخائية إلى أورشليم قد ذاع خبرها مع معلومات أنها الرحلة الأخيرة لبولس الرسول في هذه الأقاليم وأنهم لن يروا وجهه مرة أخرى. فكان حماس الكنائس على أشده لجمع تبرعات للقديسين في أورشليم وكان الدافع، بالإضافة إلى تعلّقهم بأورشليم كمركز لكنيسة الأمم والمكان الذي تقدّس بدم المسيح، فإنهم فعلوا ذلك حباً في ق. بولس الذي أحبّوه أكثر من «عيونهم» (غل٤: ١٥)، وبالأكثر جداً أحسّوا أنه فعلاً يودّ أن يحمل عطايا سخية لأورشليم لأسباب لم تكن مجهولة عندهم، لأنهم علموا ما كان يكنّه للقديس بولس اليهودُ واليهودُ المتنصّرون. والقديس بولس كان يودّ أن يطيّب خاطرهم، واليهود يحبون المال!!! ولكن هيهات، فالعداوة المبيّتة في قلب اليهودي ثأراً ونقمة لمن يمس عقيدتهم تفوق الخيال وليس المال.

خرج ق. بولس من هذه الأقاليم حاملاً عطايا الكنائس السخيّة ولكن كان يحمل في قلبه ثقلاً لا يمكن أن يغيب عن تصورنا وشعورنا، فالروح كان قد كشف له كل ما كان ينتظره من الأم — «المستعْبَدة مع بنيها» (غل٤: ٢٥) — أورشليم. هذا بالإضافة إلى أنه ذاهب في رحلة الوداع، فهو الخروج الأخير من الكنائس التي أحبّها وأحبّته حباً يسلب القلب، وكان شعوره لا يفترق كثيراً عن شعور الرب نحو تلاميذه ليلة الوداع الأخير: «أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحبَّ خاصته الذين في العالم أحبّهم إلى المنتهى» (يو١٣: ١)، هذا نسمعه من ق. بولس ولكن على مستوى إنسان لإنسان: «والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهي أيضاً أنتم جميعاً الذين مررت بينكم كارزاً بملكوت الله ... ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى وكان بكاء عظيم من الجميع ووقعوا على عنق بولس يقبّلونه، متوجّعين ولا سيما من الكلمة التي قالها إنهم لن يروا وجهه أيضاً.» (أع٢٠: ٢٥و٣٦—٣٨)

هكذا انطلقت السفينة في رحلتها الأخيرة من تلك النواحي مُقلّة بولس والرفاق صوب أورشليم حاملين العطية وحاملين وجعاً في القلب لا ينقطع.

«فقراء القديسين الذين في أورشليم»:

كان ق. بولس ينظر إلى المسيحيين في أورشليم نظرة متميِّزة يملأها الحب والوقار كأول رائحة عطرة للمسيح، ولكن بالأكثر الفقراء منهم. وكان عددهم كبيراً مما اضطر جماعة المتيسّرين منهم أن يبيعوا كل أموالهم ويسلّموها للرسل للصرف على هذه الجماعة الفقيرة للغاية. لأنه معلوم أن الذين اتبعوا الرب يسوع منذ بدء خدمته كان معظمهم إما من الفقراء جداً أو من العبيد المطحونين الذين وجدوا في المسيح ما يعزّيهم ويفرحهم ويفرج كَرْبهم ويشفي مرضاهم. ولا ننسى قول المسيح للذين تبعوه: «طوبى للمساكين»، و«طوبى للحزانى»، و«طوبى للجياع والعطاش»، وإن كان المطلوب منهم أن يكونوا مساكين «بالروح» وجياعاً وعطاشاً «إلى البر»، فذلك لكي يشبعوا ويغتنوا بالله (لو٦: ٢٠).

ولقد زادت طبقة الفقراء في الكنيسة الأولى وازداد فقرها جداً بسبب العزلة القاسية والاضطهاد المريع الذي عانوه بعد خروجهم من المجمع وفقدان كل حقوقهم اليهودية مضافاً إليها تعيير ومطاردة:

+ «... قَبِلْتُم سَلْبَ أموالكم بفرح» (عب١٠: ٣٤)،
+ «ومتى طردوكم في هذه المدينة (أورشليم) فاهربوا إلى الأخرى» (مت١٠: ٢٣)،
+ «طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين.» (مت٥: ١١)
+ «صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.» (مت٥: ٤٤)

ولا يغيب عن بالنا أن أساس موائد المحبة التي كان يتبارى الأغنياء في إقامتها، هو في الحقيقة خلق فرصة للفقراء في الكنيسة ليأكلوا ويشربوا مما حُرموا منه. وكان فعل المحبة هذا يُصنع في ستر ولكنه كان شديد الوقع على نفوس الفقراء تعزيةً ورجاءً وسروراً. ولم يكن فقراء أورشليم ولا الفقر في أورشليم خافياً على أحد بل كان يقضّ مضاجع الرسل، لذلك فحينما علموا باختيارهم بولس رسولاً للأمم من قِبَل الرب، وجدوا أنها فرصة العمر أن يجمع لهم العطايا من الكنائس لسدّ أعوازهم. «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا و يوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان، غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه اعتنيت أن أفعله.» (غل٢: ٩)

ولكن المعروف أن ق. بولس لم يُلزم الكنائس بجمع المال، ولكن هي الكنائس التي كانت تُلزم نفسها بهذه الخدمة التي كانت محسوبة أنها على أعلى مستوى من الأهمية. وكان ق. بولس يعتبرها أنها على مستوى الذبيحة، وكان يطيب قلبه جداً حينما يرى سخاء الكنائس في العطاء. اسمعه وهو يقول: «ولكني قد استوفيت كل شيء واستفضلت. قد امتلأت إذ قبلت من أبفرودتس (حامل العطية) الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيِّبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله. فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع.» (في٤: ١٨و١٩)

١٥: ٢٧ **«استحسنوا ذلك وإنهم لهم مَدْيُونون. لأنه إن كان الأممُ قد اشتركوا في روحيَّاتهم يجبُ عليهم أن يخدِمُوهم في الجسديَّات أيضاً».**

ق. بولس يكرِّر بوضوح عبارة «استحسنوا ذلك» ليؤكِّد حرية إرادتهم في الجمع. فليس عن رجاء من ق. بولس ولا حتى إيحاءً منه؛ بل هو أمر كان مستحسناً لديهم عن شعور دائم بالدَّيْن لهؤلاء القديسين الذين قبلوا نعمة الله للخلاص وعنهم انحدرت إلى الأمم. والقديس بولس يعقِّب على هذا الشعور باستحسانه هو أيضاً، ويضع قانوناً جديداً في النظام الكنسي أن فقراء الكنيسة لهم عند الأغنياء حق دائم متبادل، فهؤلاء يصلُّون ويطلبون عنهم، والأغنياء يبذلون من مالهم لتغطية حاجاتهم الجسدية؛ بل إن ق. بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس رفع هذه المعادلة إلى مستوى اللاهوت بنوع التبكيت والحث على الشركة مع الفقراء:

«فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره. أُعطي رأياً (شخصياً) في هذا أيضاً لأن هذا ينفعكم أنتم الذين سبقتم فابتدأتم منذ العام الماضي ليس أن تفعلوا فقط بل أن تريدوا أيضاً» (ق. بولس يطلب أن يكون التبرع ليس مجرد عمل مفروض بل عملاً مراداً ومحبوباً) ... ثم يعود ق. بولس ويطلب أن يكون التبرع في الحدود التي يحتملها رأس مال كل شخص قائلاً: «فإنه ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق بل بحسب المساواة. لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم (المالية والمادية) لإعوازهم، كي تصير فضالتهم (الروحية وصلواتهم) لإعوازكم، حتى تحصل المساواة، كما هو مكتوب، الذي جمع كثيراً لم يفضل والذي جمع قليلاً لم ينقص.» (٢كو٨: ٩ــ١٥)

ثم عاد في نفس الرسالة يحثُّ على السخاء في العطاء، لا حبّاً منه للمال، بل لغرس روح العطاء والمشاركة مع الفقراء، واعداً بالروح أن الله يوازن بين عطاياه وعطايا البشر. فبقدر ما يسخو الإنسان يسخو الله:

+ «من جهة الخدمة للقديسين هو فضول مني أن أكتب إليكم لأني أعلم نشاطكم الذي أفتخر به من جهتكم لدى المكدونيين ... وغيرتكم قد حرَّضت الأكثرين ... فرأيت لازماً أن أطلب إلى الإخوة أن يسبقوا إليكم ويهيِّئوا قبلاً بركتكم التي سبق التخبير بها لتكون هي مُعَدَّة هكذا كأنها بركة لا كأنها بُخل.» (٢كو٩: ١و٢و٥)

ثم وضع معياراً لعطاء الله إزاء معيار عطاء الإنسان هكذا: «هذا وإن من يزرع بالشح (يعطي قليلاً) فبالشح أيضاً يحصد (من الله) ومن يزرع بالبركات (سخاء العطاء) فبالبركات أيضاً يحصد (من الله). كل واحد كما ينوي بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار. لأن المعطي المسرور يحبه الله... كما هو مكتوب فرَّق وأعطى المساكين، برُّه يبقى إلى الأبد.» (٢كو٩: ٦و٧و٩)

ثم يتقدَّم ق. بولس أيضاً في النهاية بدعاء: «(والله) الذي يقدِّم بذاراً للزارع وخبزاً للأكل سيقدِّم و يكثِّر بذاركم ويُنمي غلاَّت برِّكم. مستغنين في كل شيء لكل سخاء، ينشىء بنا شكراً لله. لأن افتعال هذه الخدمة ليس يسد إعواز القديسين فقط بل يزيد بشكرٍ كثيرٍ لله، إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجِّدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع، وبدعائهم لأجلكم مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم. فشكراً لله على عطيته التي لا يُعبَّر عنها.» (٢كو٩: ١٠ــ١٥)

وهكذا صار لبولس الرسول الفضل في غرس هذه الروح في الكنائس التي نمت على ممر الأجيال وصارت في الحاضر في شكل حركات مسكونية (مثل جمعية Caritas كاريتاس الدولية) تقوم بها الكنيسة لإنقاذ فقراء العالم وشعوباً برمَّتها.

١٥: ٢٨ **«فمتى أكملتُ ذلك وختَمْتُ لهم (على) هذا الثمرَ فسأمضي مارًّا بكم إلى أسبانيا».**

وهنا يعود ق. بولس إلى حديث الرحلة الموعودة.

«وختمت لهم (على) هذا الثمر»: σφραγισάμενος

المعنى هو «الختم» الذي يضعه الإنسان على الوثيقة أو خلافه. ولكن معنى الآية كان موضوع بحث لدى العلماء ولم ينتهوا إلى شيء يتمشى مع الواقع. ولكن المفهوم أن ق. بولس عند تسليم المسئولين في أورشليم لهذه العطايا من أيدي المندوبين عن الكنائس كان عليه أن يختم لهم على

وثيقة أنهم تسلّموها أمامه وبمعرفته. فيكون بذلك قد أوفى بمسئوليته في توصيل العطايا إلى أصحابها كاملة.

كان هذا هو آخر رباط يربط ق. بولس بكنائس تلك الأقاليم، والذي بعده يكون حراً يمكن أن ينطلق في رحلته الموعودة إلى أسبانيا، على أن يحُطّ رحاله في روما لفترة مناسبة من الزمن يتعرّف فيها على أحوالهم ويهبهم، كما يقول، «هبة روحية لثباتهم» في الإيمان المسيحي المتحرر من قيود الناموس.

٢٩:١٥ **«وأنا أعلمُ أني إذا جئتُ إليكم سأجيءُ في ملءِ بركةِ إنجيلِ المسيح».**

في الآية (٢٤) السابقة نجد لغة ق. بولس في التعبير عن مدى وثوقه من الرحلة إلى أسبانيا وحتى إلى روما يتخلله شيء من عدم اليقين، فهو لا يقول بالقطع أنه سيراهم ولكن مجرد رجاء: «فإني أرجو أن أراكم»، وهنا يبدأ الآية بشرط محمول ليس على شيء من اليقين بل متروكاً للمجهول: «إني إذا جئت إليكم». وهكذا كان إحساس ق. بولس الداخلي أن هذه الرحلة التي طالما تمنّاها، وطالما تعوّق تحقيق هذا التمنّي، يحفّها شيءٌ من عدم التوفيق، فهو يكرر: «عسى أن يتيسّر لي مرة بمشيئة الله أن آتي إليكم» (رو١: ١٠)، «مراراً كثيرة قصدت أن آتي إليكم ومُنعت حتى الآن» (رو١: ١٣)، «لذلك كنت أُعاق المرار الكثيرة عن المجيء إليكم.» (رو١٥: ٢٢)

«في ملء بركة إنجيل المسيح»: εὐλογίας Χριστοῦ

الترجمة العربية أخذت عن مخطوطة بيزنطية وضعت «الإنجيل» بدل «المسيح»، ولكن حسب أوثق المخطوطات تُقرأ: «سأجيء في ملء بركة المسيح»، وكما في الترجمة الإنجليزية المعتمدة، وحسب قول الرب: «فأي بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلام لهذا البيت فإن كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه وإلاّ فيرجع إليكم» (لو١٠: ٥و٦)، فالسلام سلام المسيح ومعه بركة المسيح، والبركة تحمل الموهبة (خاريزما): «لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة (خاريزما) روحية لثباتكم.» (رو١: ١١)

«وبركة الإنجيل» دخلت في الطقس الليتورجي في كافة مواقف القراءة في الإنجيل، والكاهن والشماس قبل أن يقرأ فصل الإنجيل في خدمة القداس يوعّي الشعب باسم فصل الإنجيل، ثم يقول والشعب كله يشترك معه: [بركاته على جميعنا آمين]. وبركة الإنجيل تشمل أول ما تشمل:

١ — **انفتاح الذهن لفهم كلام الإنجيل** لأن المكتوب مكتوب بالروح ولا يكشف معنى المكتوب بالروح إلاّ ذهن مفتوح بالروح القدس «حينئذ فتح ذهنهم **ليفهموا الكتب**» (لو٢٤: ٤٥). فهتاف الكاهن مع الشعب أن تحلّ بركة الإنجيل على الجميع هو دعاء لحلول الروح القدس في الذهن لكشف الاستعلان المتضمَّن في كلام الإنجيل. ويقيناً إذا تغافل الإنسان عن قبول نعمة وبركة الإنجيل فلن يفهم منه شيئاً.

٢ — **فاعلية الكلمة:** حينما ينفتح الذهن بالروح لسماع كلمات الإنجيل يكون على مستوى فاعلية الكلمة، لأن الكلمة تحمل قوة الروح والحياة: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (لو٦: ٦٣)، وهكذا تتفاعل الكلمة مع روح الإنسان وفكره وضميره فتكشف واقع الإنسان بالنسبة لمتطلبات الكلمة. وهنا يتحرك كل الكيان الداخلي لمواجهة حقيقة المقابلة بين أخطاء الإنسان وقداسة الله المعلَنة في كلمته. وهنا يبدأ دور الدينونة الذاتية والتبكيت والاعتراف وطلب العفو والتصحيح، لتأخذ الكلمة سلطانها على النفس وتسود بقوتها وقداستها، فيتغيَّر الذهن ويتجدَّد ويتغير شكل الإنسان بالتالي ليتوافق مع الحياة المدعوّ لها. أما إذا لم يكن الإنسان مستعداً لقبول بركة الإنجيل، فستضيع عليه قوته، وليس فقط لن يفهم شيئاً بل وسيتململ وربما ينتقد الكلام.

٣ — **فهم وإدراك قوة الفداء والخلاص والمصالحة والتبني:** فالإنجيل يحمل رسالة الخلاص بكل مشتملاتها. وحينما يدرك الإنسان عمل المسيح الذي أكمله لخلاص الخاطىء، يرتفع الإيمان ويتشدد الرجاء وتتقوى العزيمة على مواجهة صعاب العالم التي أُعطي للإنسان أن يتغلب عليها جميعاً بالإيمان:

+ «ثقوا أنا قد غلبت العالم.» (يو١٦: ٣٣)
+ «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا.» (١يو٥: ٤)
+ «من هو الذي يغلب العالم إلاّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله.» (١يو٥: ٤و٥)

شكراً لله على بولس الرسول الذي فتح علينا طاقات بركة الإنجيل التي تابعته أينما سار وأينما حلّ، وطوبى لأهل كافة الكنائس التي استقبلته وقَبلَتْه وتقبّلت منه بركة الإنجيل التي استودعها خزانة الكنيسة الروحية لتفيح رائحتها وقوتها كلما قُرىء الإنجيل وكلما ذُكر اسم ق. بولس من جيل إلى جيل.

هـ – [١٥: ٣٠–٣٢] طلب الصلاة لخطورة موقفه تجاه اليهود

١٥: ٣٠–٣٢ **«فأطلبُ إليكم أيها الإخوةُ بربِّنا يسوعَ المسيح وبمحبةِ الروح أن تجاهدوا معي في الصَّلوات من أجلي إلى الله لكي أُنقذَ من الذين هم غيرُ مؤمنينَ في اليهوديةِ ولكي تكون خِدمَتي لأجل أورشليم مقبولةً عند القديسينَ حتى أجيءَ إليكم بفرحٍ بإرادةِ الله وأستريحَ معكم».**

وإن كان ليس من عادة ق. بولس أن يختم رسائله بطلب الصلاة من أجله بل العكس أن يستودعهم بركات ونعم وسلام الله، إلا أن ظروف هذه الرسالة طغت على كل الأصول المتبعة، فكان من الطبيعي أن يُنهي رسالته من واقع حالته النفسية التي كان يعيشها في هذه اللحظات الحرجة. ففي كل حياته السالفة، واجه ق. بولس الصعاب تلو الصعاب، ولكن هنا في هذا الموقف بالذات انبرى الروح القدس بنفسه ليُشعِرَه أن المخاطر مُحدِقة به، وعليه أن يجاهد ويجاهد الآخرون معه في الصلاة ليُنقَذ من أيدي الذين صلبوا المسيح والذين تعاهدوا ليستودعوه قبر الشهادة. وتماماً نرى مشاعر بولس متعانقة مع مشاعر المسيح حينما لاح الصليب واضحاً في الأفق، فالمسيح يطلب من تلاميذه هكذا: «فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا ها هنا "واسهروا معي" ... أهكذا ما قدرتم أن "تسهروا معي" ساعة واحدة. "اسهروا" وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (مت٢٦: ٣٨و٤٠). وبنفس الأحاسيس والمشاعر وإنما على المستوى البشري، لما أحس ق. بولس بساعة المحنة آتية من بعيد هتف بأحبائه من على بُعد قائلاً: «أطلب إليكم ... بربنا يسوع المسيح ... وبمحبة الروح القدس أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي لكي أُنقذ ...». وما كان هذا – في وقته – ضعفاً من المسيح ولا كان هذا ضعفاً من ق. بولس، ولكن هي روح الشركة التي عاش وصُلِبَ المسيح من أجلها، والتي عاش ومات ق. بولس من أجلها، أن نقتسم معاً الوجع كما نقتسم الفرح.

كان هذا هو آخر سهم (المال) في جعبة ق. بولس، أعَدَّه يائساً لكي يصالح به النفوس الهائجة ضده وضد الإيمان في أورشليم، وهو لم يكن سهماً مبرياً بيد النعمة؛ بل كان مصنوعاً من تراب الأرض من أموال وعطايا، والتراب لا يُحيي الموتى! ولا يُجلي العينين بل يعميها، ومتى كان المال يفدي النفس الأسيرة تحت الحقد والغيرة؟ صحيح أن ق. بولس أرفق بسهم المال دعاءً وتوسلاً ودموعاً وعرقاً وجهاداً، ولا يعلم إلاّ الله عمق وجعه ومدى سحقه لأعصابه ونفسه الرقيقة الحساسة.

ولكن ألم ينصح الرب أن: «لا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم.» (مت٧: ٦)

«ولكي تكون خدمتي مقبولة عند القديسين»:

«خدمتي»: ἡ διακονία μου

لقد رفع ق. بولس كما سبق وقلنا مستوى العطاء للفقراء إلى مستوى الخدمة لله فأعطاها لفظ «الذياكونية»، وهي اللفظ الليتورجي المستخدم في الكنيسة لخدمة الله. وبولس انتظر ردًّا له من الناس وقبولاً، فكان انتظاره على غير ما كان ينتظر. صحيح أن الكنيسة في أورشليم قَبِلَته وفرح الإخوة به، ولكن الذين يتربَّصون به كانوا ساهرين، وق. بولس كان على حقٍّ تماماً فيما صنع وفيما انتظر جواباً على ما صنع، ولكن الناس ليسوا دائماً على حق فيما يردُّون به وفيما يجازون: فالشرير لا يعرف أن يجازي إلاّ أن: «يجازونني عن الخير شرًّا» (مز٣٥: ١٢). أما أن المال هو حقاً خدمة ذياكونية لله – إن أُعطي للفقراء عن فرح وسعة – فهذا حق تماماً بحسب ما قنَّن المسيح وأوصى: «الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم» (مت٢٥: ٤٠). وبهذا النطق الملكي صار وتحقق قول النبي قديماً: «مَنْ يرحم الفقير يُقْرِض الرب» (أم١٩: ١٧). فالله لا ينسى كأس ماء بارد **يُعطى حتى باسم تلميذ**: «الحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره» (مت١٠: ٤٢). ولكن لم تُقبل خدمة ق. بولس، بل رذلوه كما فعلوا بسيده: «أبغضوني بلا سبب.» (يو١٥: ٢٥)

«حتى أجيء إليكم بفرح بإرادة الله وأستريح معكم»:

لقد جاء إليهم ق. بولس فعلاً بفرح في الضيق. أليس هو القائل: «**فرحين في الرجاء. صابرين في الضيق**» (رو١٢: ١٢)، وأيضاً: «**في ضيق كثير بفرح الروح القدس**» (١تس١: ٦)، دخل إليهم وبسلاسل في يديه والجندي يقتاده!! وهو الذي فك المكبَّلين بسلاسل الناموس وطَوْقِ السبت وحديدِ الختان، دخل عليهم مقيَّداً «وكلمة الله – في فمه – لا تُقيَّد» (٢تي٢: ٩)، ذلك الذي نادى بالحرية «التي قد حررنا المسيح بها» (غل٥: ١) كل أيام حياته ولكن أخيراً مات في القيود!!

على أي حالٍ، لقد تمَّت إرادة الله كما طلبها واشتهاها، وذهب فعلاً إلى روما محمولاً على إرادة الله الواضحة الصريحة الموعودة في حينها: «وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال: ثِقْ يا بولس لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم **هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.**» (أع٢٣: ١١)

لقد وضع ق. بولس إرادة الله أمامه وتهديد أورشليم خلف ظهره، **لهذا ذهب فرحاً** ــ كما تمنّى ــ إلى روما مدينة أحلامه، وحقَّق أمنية حياته!

«وأستريح معكم»: συναναπαύσωμαι ὑμῖν

كانت روما هي المحط الأخير في رحلات بولس الرسول، وكانت ختام التراجيديا الطويلة التي استغرقت من عمره ٣٣ سنة منذ أن رأى الرب حتى غربت شمس آخر يوم عن عينيه. كانت روما هي سبت بولس الرسول الأخير، الراحة التي اشتهاها بالروح وتمناها بين من أحبَّهم وهو لا يعرف معظمهم! وبعد أن ألغى ق. بولس كل السبوت، اشتهت نفسه سبتاً يستريح فيه، فكان سبت بولس كسَبْتِ المسيح، فكما استراح المسيح سَبْتَه في القبر خارج أسوار أورشليم، استراح ق. بولس بعد سيف نيرون وأسند رأسه على طريق أوستيا خارج أسوار روما!

و ــ [١٥: ٣٣] بركة مختصرة

١٥: ٣٣ **«وإله السلام معكم. آمين».**

كان ق. بولس في أشد الحاجة إلى السلام الداخلي فأعطاه الله، فكانت صورة الله التي ملأت فكره المضطرب وروحه الحائرة هي صورة الله كمانح السلام. والقديس بولس كان يحيا الشركة مع كنائسه، فكان هذا الدعاء الأخير صورة واضحة عن قرب، تكشف عن حقيقة نفس هذا الرسول الذي عاش السلام في أحلك أيام حياته وبشَّر وَدعا به.

وأخيراً، وبـ «آمين»، نكون قد بلغنا نهاية رسالة ق. بولس إلى أهل رومية أو نهاية رحلة برّ الله الذي أُظهِرَ «بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢١و٢٢)

الأصحاح السادس عشر

تحيات الختام ــ أو ذكصولوجية الرسالة

هذا الأصحاح فريد من نوعه، يحمل صيغة رسالة بمفردها!

١ ــ
- أ ــ ١٦: ١و٢ = توصيات بشخصيات هامة.
- ب ــ ١٦: ٣ــ١٦ = تحيات عديدة.
- ج ــ ١٦: ١٧ــ١٩ = تحذيرات من المعلمين الكذبة.
- د ــ ١٦: ٢٠ = بركة جانبية.

٢ ــ
- أ ــ ١٦: ٢١ــ٢٣ = تحيات جانبية من إخوة حاضرين أثناء إملاء وكتابة الرسالة من الكاتب نفسه.
- ب ــ ١٦: ٢٤ = بركة جانبية.

٣ ــ ١٦: ٢٥ــ٢٧ = تمجيد ختام ذو صيغة جديدة عند ق. بولس!

[١٦: ١و٢] توصيات من نحو شخصيات هامة

١٦: ١و٢ «أُوصي إليكم بأختِنا فِيبي التي هي خادِمَةُ الكنيسةِ التي في كَنْخَريا كي تَقْبَلوها في الربِّ كما يَحِقُّ للقدِّيسينَ وتَقُوموا لها في أيِّ شيءٍ احتاجَته مِنكُم. لأنها صارت مُساعِدةً لكثيرينَ ولي أنا أيضاً».

«أُوصي»: συνίστημι

التوصية نوع من التزكية الشخصية والمديح معاً. وقد جاءت في كتابات ق. بولس بمعنى المديح: «لأننا لسنا نمدح συνιστάνομεν أنفسنا أيضاً لديكم.» (٢كو٥: ١٢)

«خادمة الكنيسة»: διάκονον

القديس بولس اعتبرها أولاً أنها أخته في المسيح وعرَّفها ثانياً أنها خادمة الكنيسة التي في كنخريا. وكنخريا هي المدينة الواقعة شرق كورنثوس مباشرة وعلى بعد ٩ أميال منها والمحسوبة أنها ميناؤها البحري. وخدمة الدياكونية (الشماسية) للمرأة في الكنيسة كانت مقصورة على العناية بالفقراء والمرضى والغرباء الإناث الوافدين على الكنيسة[1]: «أضافت الغرباء، غسَّلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، اتبعت كل عمل صالح.» (١تي٥: ١٠)

والمعروف أن فيبي هي التي حملت رسالة بولس الرسول إلى رومية من كورنثوس إلى مدينة روما. لذلك قدَّمها ق. بولس في التوصية على باقي الأسماء في الرسالة. والقصد أن يستقبلها شعب كنيسة رومية استقبالاً حسناً والمعروف أنها امرأة غنية لها علاقات تجارية في روما فهي لم تُبحر خصيصاً لتوصِّل الرسالة بل حملتها معها في رحلتها التجارية الخاصة إلى روما.

«كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين»:

«كي تقبلوها في الرب» أي كأنها قادمة باسم المسيح: «مبارك الآتي باسم الرب». فهي عضو في الكنيسة وتستمد وجودها وحياتها من الكنيسة، وخادمة كنيسة حينما تحلّ ضيفاً على كنيسة أخرى فهي تُستقبل كمَنْ يمثل الكنيسة، كمن هي قادمة من عند الرب.

1. Bingham, *Orig. I* pp. 341-366.

«كما يحق للقديسين»: ἀξίως τῶν ἁγίων

والمعنى هو أن تنال استحقاق القديسين. يبدو أن فيبي كانت امرأة ذات وقار وتقوى، وأن أفضالها على كنيستها كانت قد شاعت لدى الكثيرين. والقديس بولس يصرِّح بذلك أنها صارت مُساعِدة لكثيرين: في اللاتينية Patrona = προστάτις. ويضيف أيضاً أنها كانت مُساعِدة له أيضاً فوق أنها حملت الرسالة على نفقتها الخاصة، فيبدو أنها قدَّمت معونات في الخفاء لم يشأ ق. بولس أن يوضِّحها، ولكنه كان على أي حال متأثراً من سمو أخلاقها وتصرفاتها. ويقول العالم شاف[2] إن نساءً مثل هذه كُنَّ في كنائس الشرق ذوات نفع جزيل، لأن التفرقة الاجتماعية بين الرجال والنساء ألزمت الكنيسة بالالتجاء إلى مثل هاته النسوة ليخدمن بني جنسهن. ولكن الشخصيات الفذة من النساء فاقت وتخطت دورهن في الاختصاص، فها هي فيبي تعمل عمل الرجال وليس كل الرجال، فامرأة تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط من شرقه إلى غربه في سفينة شراع تحمل رسائل و بضائع، هو عمل لا يقوى عليه كثيرون من أقوى الرجال — فأية امرأة هذه!!

وتوصية ق. بولس كانت أن يقف بجوارها رجال كنيسة رومية في أي شيء احتاجته، ولم تعدم كنيسة الله منذ الدهور نساءً على هذا المنوال، فدبورة حكمت إسرائيل وحاربت سيسرا، قادت جيشاً وهزمت جيوشاً وألَّفت شعراً وغنَّت لنصرتها وسبَّحت لمن أقامها وشددها. ونساءٌ «كثيراتٌ كن يخدمن الرب من أموالهن» (لو٨: ٣) ... كما لا ننسى ليدية بائعة الأُرجوان سيدة فيلبي (أع١٦: ١٤و١٥و٤٠)

[١٦: ٣-١٦] تحيات عديدة

١٦: ٣-٥ «سلِّموا على بريسكِلاَّ وأكِيلا العاملَيْن معي في المسيح يسوعَ، اللذَيْن وضعا عُنُقَيْهما من أجلِ حياتي، اللذَيْن لستُ أنا وحدِي أشكُرُهما بل أيضاً جميعُ كنائِسِ الأمَمِ وعلى الكنيسةِ التي في بيتِهما».

«سلِّموا»: ἀσπάσασθε

هذه الكلمة يذكرها ق. بولس هنا ١٥ مرة، لكل فرد في الكنيسة باسمه. وهي الكلمة المحبوبة في ليتورجية الكنيسة حينما يهتف الشماس في ختام صلاة الصلح قائلاً: «قبِّلوا (أسبازستا) بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة». ولكن الكلمة في الاستخدام المدني تعني مجرد سلام.

2. Godet, *op. cit.*, p. 488.

«بريسكلاّ وأكيلا»:

«بريسكلاّ» أو «بريسكا». القديس بولس يذكر هنا الزوجة قبل الزوج، لا بنوع الأدب الغربي بل بسبب علو شأن بريسكلاّ. وهما أصلاً يهوديان من مواطني إقليم بُنْتُس بآسيا الصغرى. وقد كانا يعيشان في روما وكانت صناعتهما صنع الخيام – مهنة بولس الرسول. وحينما صدر منشور كلوديوس بطرد اليهود من روما، هاجرا إلى آسيا الصغرى موطنهما ولكنهما تخلَّفا مدة يسيرة في كورنثوس وهما في طريقهما إلى آسيا الصغرى، فوجدهما ق. بولس هناك في زيارته الأُولى لكورنثوس. كان ذلك في سنة ٥٣ ميلادية(٣) وبسبب صناعة الخيام كمهنة مشتركة عاشوا معاً، فكانت فرصة ق. بولس أن يتعرَّف منهما على أحوال روما: «وبعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس فوجد يهودياً اسمه أكيلا بنطي الجنس كان قد جاء حديثاً من إيطاليا، وبريسكلاّ امرأته لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضي جميع اليهود من رومية فجاء إليهما. ولكونه من صناعتهما أقام عندهما ...» (أع١٨: ١–٣)

وبعد أن مكث ق. بولس سنتين في كورنثوس، «سافر في البحر إلى سوريا ومعه بريسكلاّ وأكيلا ... فأقبل إلى أفسس وتركهما هناك» (أع١٨:١٨و١٩). ومكث أكيلا وبريسكلاّ في أفسس يخدمان هناك وقد استطاعا أن يجذبا الفيلسوف أبلُّوس الإسكندري إلى الإيمان المسيحي الصحيح: «فلما سمعه أكيلا وبريسكلاّ أخذاه إليهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق» (أع١٨:٢٦). وفي هذه المدينة أفسس خدم ق. بولس مع أكيلا وبريسكلاّ، ويبدو أنهما أعلماه عن حالة الكنيسة في رومية، فشوَّقاه للخدمة هناك، لأن ق. بولس لما كان في أفسس فكَّر أول ما فكَّر في الذهاب إلى رومية، ويبدو أن أكيلا وبريسكلاّ سبقاه بعد ذلك إلى هناك (أع١٩:٢١).

أما من حيث الزمن، فبولس الرسول كان في أفسس مع أكيلا وبريسكلاّ حتى (فصح) ربيع سنة ٥٧ ميلادية، حينما أرسل رسالة إلى كورنثوس وأرسل فيها سلام أكيلا وبريسكلاّ إلى الكنيسة هناك حيث خدما فيها أولاً: «تسلِّم عليكم كنائس آسيا. يسلِّم عليكم في الرب كثيراً أكيلا وبريسكلاّ مع الكنيسة التي في بيتهما» (١كو١٦:١٦). ويقدِّر العالم جوديت(٤) الزمن بين كتابة هذه الرسالة وكتابة الرسالة إلى رومية التي يرسل فيها سلامه إلى أكيلا وبريسكلاّ بحوالي سنتين من ربيع (عيد الفصح) ٥٧م حتى فبراير سنة ٥٩، زمن كتابة الرسالة إلى رومية. وفي هذه المدة كان أكيلا وبريسكلاّ قد عادا إلى رومية. وهناك سنة ٦٤ عند بدء اضطهاد نيرون

3. Ibid., p. 489.
4. Ibid., p. 490.

عاد أكيلا وبريسكلا إلى أفسس مرة أخرى، لذلك نسمع اسميهما مرة أخرى في رسالة القديس بولس الثانية إلى تيموثاوس: «سلِّم على فرسكا وأكيلا وبيت أُنيسيفورُس» (٢تي٤:١٩)، وهذا حبك تاريخي بديع.

والإنسان يتعجب لهذه الأُلفة السعيدة في الرب يسوع بين فِرِسكا هذه وزوجها المغبوط وحبهما المدهش لبولس الرسول، ومرافقته في رحلاته والكرازة معاً بنجاح، وسبق إعداد المكان له في الكنيسة التي ينوي زيارتها، وقدرتهما النابعة من تقواهما على إقناع أبلُّوس الفيلسوف الإسكندري أن ينبذ تعلقه الشديد بيوحنا المعمدان ويقبل الإيمان بالمسيح. ثم كيف وضعا عنقيهما لإنقاذ حياة ق. بولس ومتى كان؟ لقد كف ق. بولس عن التوضيح، ولكنه ظل يشكرهما علناً وبتأثُّر شديد، ويدعو كافة كنائس الأمم أن تشترك معه في ذكر هذا الفضل العميم وكأنهما تفضَّلا به على كافة الكنائس، وهذا حق، فحياة ق. بولس تساوي عندنا الكثير.

وأخيراً يرسل ق. بولس سلامه إلى الكنيسة التي في بيتهما موضحاً بذلك مدى نشاطهما في الكرازة باسم المسيح في رومية. وهكذا قامت الكنيسة في روما وأوروبا وكل الغرب على أكتاف نساء ورجال عظام حقاً وجبابرة إيمان حملوا شعلة الكنيسة وسلموها من جيل إلى جيل.

والمعروف في علم الحفائر أنه لم يقم بناء خاص بكنيسة في كل الأقاليم سواء في روما أو غيرها قبل القرن الثالث، وهكذا كانت الكنائس تعقد اجتماعاتها في البيوت المتسعة. لذلك، حينما نسمع أن هناك كنيسة في بيت، فهذا معناه أن الشخص الحائز على هذا الشرف يكون عادة فوق المستوى العام من جهة الإمكانيات التقوية والمالية. وأول كنيسة نسمع عنها أنها في بيت كانت هي كنيسة «مريم» أم يوحنا مرقس في أورشليم (أع١٢:١٢) – حيث كانت العِلِّية – ولكن الذي يؤكده العلماء أن الكنائس حينما بدأت في الظهور وُجد أنها بُنيت فوق نفس البيت الذي كانت تُعقد فيه اجتماعاتها(٥)، يا للتراث المجيد!!

وقد دلتنا الأبحاث الحديثة على تأصُّل اسم أكيلا وبريسكلاّ، في روما كمؤسِّسَيْ كنيسة قامت بالفعل وازدهرت: يذكر العالمان ساندي وهدلام(٦) عن De Rossi من واقع الأبحاث الأثرية وجود أثرين بارزين لهذين الاسمين:

5. Sanday and Headlam, *op. cit.*, pp. 420,421.
6. Ibid., pp. 418,419.

١ — بين الكنائس الأثرية القديمة في روما واحدة موجودة في الـ Aventine(*) تحمل اسم «القديسة بريسكا»! ويقول هذا العالم إن هناك ما يؤكد صلة هذا الاسم باسم أكيلا وبريسكلا. وفي «سفر الأعمال الحبرية» للبابا ليو(٧) الثالث (٧٩٥—٨١٦م) وُصفت هذه الكنيسة الأثرية باسم Titulus aquilae et Priscae، أي على اسم أكيلا وبريسكا.

وفي المخطوطة التي لقصة تاريخ حياة القديسة بريسكا الشهيدة (وهي من القرن العاشر)، مذكور أن جسد القديسة بريسكا الشهيدة نُقل عن طريق أوستيا حيث كانت قد دُفنت ووُضع في كنيسة بريسكا على الـ Aventine. إذاً فقد ختمت حياتها بالاستشهاد لذلك بُنيت الكنيسة باسمها.

٢ — كما أنه في الحفائر التي قام بها دي روسّي كتابات واضحة باسم أكيلا وبريسكلا فيما يعرف بمدافن بريسكلا Coemeterium Priscillae(٨). وهذه كلها توضح عودة أكيلا وبريسكلا من رحلاتهما في اليونان وآسيا إلى روما وازدياد نشاطهما وامتداد عملهما الكرازي وقيام كنيسة باسم بريسكا في روما. وهكذا احتفظ لنا الزمن باسمها صدقاً لتاريخها وتخليداً لذكراها.

٥:١٦ «سلّموا على أبينتوس Ἐπαίνετον حبيبي الذي هو باكورة أخائية (خطأ وصحتها آسيا) للمسيح».

واضح أن ق. بولس مهتم به إذ له ذكرى حسنة في فكره لأنه كان أول مَنْ آمن بالمسيح في آسيا، ويبدو أنه تبع بولس الرسول وكان رفيقاً أيضاً وبالضرورة لأكيلا وبريسكلا فلما سافرا إلى روما نزح معهما واستوطن هناك.

والمرجَّح عند العلماء أن أبينتوس أممي متنصِّر، وبما أنه باكورة آسيا، وأن أكيلا وبريسكلا سبقا ق. بولس إلى أفسس وخدما هناك قبل مجيئه، فيُظَن أنه آمن وتعمَّد على أيدي أكيلا وبريسكلا. ومن هنا يأتي ترجيح هجرته معهما إلى روما. وهذا يرجحه ذكر ق. بولس له بعد

(*) الأفنتين Aventine هو أحد تلال روما السبعة.

7. Duchesne, *Lib. Pont.* II, p. 20.
8. Sanday and Headlam, *op. cit.*, p. 419.

أكيلا وبريسكلا مباشرة. ووُجد أيضاً في روما حفرية تحمل اسم أبينتوس الأفسسي EPHESIO EPAENETI(٩). يا للتاريخ الناطق بصدق سير هؤلاء الأبطال الأوائل في الإيمان!! وما أذكى رائحتها.

٦:١٦ «سلّموا على مَرْيَمَ التي تَعِبَتْ لأجلنا كثيراً».

هذه الـ «مريم» هي سادس امرأة مباركة بهذا الاسم في أسفار العهد الجديد، وصحة نطق اسمها هو ماريان(١٠). وأتعاب مريم الكثيرة واضح أنها واجبات ضيافة، إذ يبدو أنها كانت مثل نظيرتها مرثا وأختها في بيت عنيا، مضيافة بصورة زائدة. وهكذا عاشت الكنيسة على أكتاف مثل هاته النسوة المملوءات غيرة وفضيلة وحكمة ونعمة في تأدية واجبات الضيافة بصورة زائدة، إنهن ملائكة رحمة. وقد وُجدت أيضاً حفائر باسمها في آثار روما(١١). يا للمجد!! «ذِكْرُ الصديق يدوم إلى الأبد.» (مز١١١:٦)

٧:١٦ «سلّموا على أندرونِكوس ويُونِياس نسيبيَّ المأسورَيْن معي اللذَيْن هما مشهوران بين الرسلِ وقد كانا في المسيح قَبْلي».

أندرونكوس اسم مشهور ولكن يونياس جاء باليونانية مفعولاً به فجاء «يونيان» Ιουνίαν، لذلك اختفى التمييز إن كان مذكراً أو مؤنثاً. ولكن بالرغم من كونه رسولاً مع أندرونكوس قبل ق. بولس في الإرسالية والإيمان، إلاّ أن القديس يوحنا ذهبي الفم قطع بالأمر إذ حسبها امرأة وبذا تكون زوجة لأندرونكوس ويقول: [أن تكون رسولاً فهذا بحد ذاته شيء كبير، ثم أن تكون بين الممدوحين هنا فهذا تمجيد عظيم، على أنهما كانا مشهورين بسبب أعمالهما وإنجازاتهما. آه ما أعظم تقوى هذه المرأة أنها هكذا تُحسب أهلاً أن تدعى رسولاً](١٢). ولكن بالرغم من ذلك لا نعتقد أنها كانت امرأة.

«نسيبيَّ المأسورَيْن معي» συγγενεῖς:
لا يقصد ق. بولس بهذا الاصطلاح أنهما كانا قريبيه، ولكن يقصد أنهما يهوديان من بني

9. Ibid., p. 421.
10. Ibid., p. 422.
11. Ibid., p. 422.
12. Ibid., p. 423.

جنسه وهذا واضح من الكلمة اليونانية. وحينما يقول أنهما كانا مأسورَيْن معه فهو لا يعني في نفس السجن ولا نفس المدة وإنما أرباب سجون وتعذيب مثل حاله. وهذه هي سمة الشهداء بغير سفك دم. وربما من أجل تعاذيبهما نالا هذا اللقب المكرَّم للغاية: «رسولان».

«مشهوران بين الرسل»: ἐπίσημοι

«مشهوران» ترجمة قد تؤدي إلى معنى جانبي أنهما كانا معروفين فقط بين الرسل. ولكن شرح الآباء وخاصة القديس ذهبي الفم يفيد أنهما كانا رسولين بالفعل. فالكلمة اليونانية لا تفيد «مشهور» بل «ظاهر» وكأن عليهما علامة أو ختم وتأتي بالإنجليزية: stamped أو marked، وهكذا تعني أنهما كانا مختارين أو متميزين distinguished ضمن الرسل وليس مجرد أنهما كانا معهم. ويقول العالم الأسقف لايتفوت شارحاً على غلاطية صفحة ٩٣ أن كلمة «الرسل» كانت تُستخدم بوضوح على مستويين: الأول المستوى المحدود وكانت تعني الاثني عشر وهم معروفون بالاسم، وفيما عدا ذلك كانت بالمعنى الواسع، وهذا واضح جداً في الديداخي حيث كانت تطلق على الإنجيليين المتنقِّلين. وهذا الشرح يبيِّن لنا من أين أتى الإيمان المسيحي لروما بدون الاثني عشر، خاصة لأن بعد موت استفانوس تشتَّت هؤلاء الإنجيليون والرسل وصاروا يتنقلون كارزين، وخاصة أولئك الذين تنصَّروا من مجمع الليبرتينيين في أورشليم، وهو المجمع الخاص بأهل رومية والذين كان منهم استفانوس (أع١١: ١٩).

«وقد كانا قبلي في المسيح»:

واضح هنا أنهما قَبِلا الإيمان المسيحي قبل دعوة الرب للقديس بولس إلى الرسولية، أي منذ بداية ظهور الجماعة المسيحية في أورشليم الأمر الذي جعل إيمان أهل رومية يقول عنه ق. بولس أنه ذاع في العالم كله.

وقد وُجدت آثار تحمل اسم أندرونيكوس ويونياس في الكنائس القديمة في رومية[١٣] وسط أسماء المشهورين أنهم من أصل البيت الإمبراطوري بمعنى: «عبيد محرَّرين» تحت اسم «يوليوس أندرونيكوس»، حيث يُكتب يوليوس (اسم الإمبراطور) كاسم سيد للعبد، وذلك مع اسم آخر «يوليوس هرماس» حيث هرماس مذكور أيضاً في رومية١٦: ١٤.

13. Ibid., p. 422.

٨:١٦ **«سلِّموا على أمبلياسَ حبيبي في الربِّ».** Ἀμπλίαν

والاسم الأكثر صحة حسب المخطوطات الموثوق بها هو امبلياتوس Ἀμπλιάτος، وهو من أشهر المسيحيين من جماعة أهل رومية، ووُجدت مقبرته في الكتاكومب (النفق) المخصص كمقبرة باسم دوميتللا Domitilla[١٤]، حيث وُجدت غرفة خاصة منقوش عليها اسم أمبلياتوس. وهي بحسب الأزمنة الأثرية قديمة جداً منذ بدء المسيحية، والعين التي كانت مخصصة للجسد تعطي تحقيقاً أنها فعلاً من أواخر القرن الأول. ويتعجب باحث الآثار من شدة وضوح نقش الحروف واتساعها ولا يوجد للاسم مميزات تشير إلى أبيه أو المحرر له مما يفيد أنه كان عبداً. وواضح أنه لا يكون لعبد مثل هذا الامتياز الظاهر في كل شيء إلاَّ إذا كان مشهوراً جداً بين جماعة المسيحيين، إن لم يكن أحد روادها الأوائل، وبالإضافة فإنه في زمان آخر بعد هذا الزمن المحدد أي بعد القرن الأول وُجِدَت مدافن لعائلة بهذا الاسم أيضاً مما يفيد أنها عائلة هذا المسيحي الأول كرأس للأسرة[١٥]. وقد علَّق العالم الأسقف لايتفوت على هذا الاسم في شرحه على رسالة كلمندس الأُولى — صفحة ٣٩.

٩:١٦ **«سلِّموا على أوربانوس العامِلِ معنا في المسيح وعلى إستاخِيسَ حبيبي».** Οὐρβανόν, Στάχυν

«أوربانوس» اسم عبد يتبع عائلة الإمبراطور، وهو مسجل في مجموعة الآثار التي تسمى: Corpus Inscriptionum Latinarum[١٦]، أي C.I.L.، وقد ذكرها العالم لايتفوت.

«العامل معنا في المسيح»:

ليس من الضروري أن يكون ق. بولس قد رآه أو عرفه، ولكن يقصد أنه يعمل في حقل المسيح مع الجماعة المسيحية.

«إستاخيس»:

اسم يوناني وليس رومانياً ولكن وُجد ضمن أسماء عائلة الإمبراطور في مجموعة حفريات

14. Ibid., p. 424.
15. De Rossi, *Bull. Arch. Christ. Ser. III*, vol. 6 (1881), pp. 57-74.
16. C.I.L. VI 4237; cited by Sanday and Headlam, *op. cit.*, p. 425.

C.I.L.[١٧]، وواضح أنه عبد تحرر إذ يوجد مميزات لاسم العائلة التي كان يتبعها وتشرَّف بعد ذلك بالنَسَبِ إليها، مع أنه تشرف أكثر منها بالمسيح.

١٠:١٦ «سلِّموا على أبَلِّسَ المزكَّى في المسيح. سلِّموا على الذين هم من أهل أرِستوبُولُوسَ». Ἀπελλῆν, Ἀριστοβούλου

«أبَلِّس»:

وهو اسم يوجد بين اليهود كما يوجد بين العبيد المحررين تبع عائلة الإمبراطور. ولكن يبدو أنه عمل عملاً مسيحياً مجيداً وسط الجماعة جعله مميَّزاً ومزكَّى لدى الجميع.

«الذين من أهل أرستوبولوس»:

بحسب تحقيقات لايتفوت يُعتقد أن أرستوبولوس هو الابن الأكبر لهيرودس الكبير، وقد عاش ومات في روما. وكلمة «أهل بيته» تعني العبيد الذين اشتراهم وحررهم أو تحرروا بعد موته، ومنهم يهود و يونانيون ورومانيون، وكثير منهم صاروا مسيحيين. وهكذا بعد موت أرستوبولوس أضيفت أسماؤهم على شرف بيت الإمبراطور وهم أشرف منه بالمسيح، وعلى القارىء أن يفرِّق بين كلمة «بيت الإمبراطور» و «أهل بيت الإمبراطور»، فالأولى تعني أفراد العائلة، والثانية تعني العبيد الذين حررهم وظلوا في خدمته حيث يكون لهم الحق بحسب القانون الروماني أن ينتسبوا للإمبراطور مع الامتيازات الخاصة.

١١:١٦ «سلِّموا على هيروديُون نسيبي. سلِّموا على الذين من أهل نَركيسُّوسَ الكائنينَ في الربِّ». Ἡρῳδίωνα, Ναρκίσσου

هنا علينا أن نلتفت أن تنسيق الأسماء له دلالة كبيرة عند ق. بولس وفي التاريخ أيضاً، فذكر أهل (عبيد) أرستوبولوس وهو ابن هيرودس الكبير تلاه مباشرة أسماء نفس عائلة هيرودس الذين قبلوا الإيمان المسيحي، فهنا هيروديون هو يهودي فلسطيني، لذلك أسماه بولس بنسيبي أي الذي من جنسي!!

«أهل بيت نركيسوس»:

هذا الاسم ظاهر ومعروف أنه العبد المحرَّر الذي أعدمه أغريبينا Agrippina بعد مدة قصيرة

17. C.I.L. VI 8607.

من تولِّي نيرون، وهكذا صار كل أهل بيته أي عبيده جميعاً بحسب القانون اتباع بيت الإمبراطور. وقد وُجد هذا الاسم مع لقبه في حفائر الآثار وعلَّق عليه العالم لايتفوت[١٨].

١٢:١٦ «سلِّموا على تَريفَيْنا وتَريفُوسَا التاعِبَتَيْن في الربِّ. سلِّموا على بَرْسِيسَ المحبوبة التي تعبت كثيراً في الربِّ». Τρύφαιναν, Τρυφῶσαν, Περσίδα

تريفينا وتريفوسا أختان. وتريفوسا تُلقَّب في الحفائر (باترونا) أي قديسة شفيعة. وقد وُجد اسماهما في الحفائر.

١٣:١٦ «سلِّموا على رُوفُسَ المُختارِ في الربِّ وعلى أمِّه أمِّي». Ροῦφον

اسمه مشهور وهو المذكور في إنجيل مرقس ٢١:١٥ عندما ذكر سمعان القيرواني حامل صليب المسيح القادم من الحقل وهو أبو ألكسندر وروفس. والمعروف في التقليد أن القديس مرقس كتب إنجيله في روما. وحينما ذكر مرقس الرسول هذه الحادثة ذكر روفس وكأنه شخصية معروفة للكنيسة هناك.

«... المختار في الرب ...»:

يقصد ق. بولس بها أنه كمسيحي ممتاز يخدم الرب بحسب اختيار النعمة التي جعلته مسيحياً، وحينما قال إن «أمه (هي) أمي» كان يعبِّر عن شكر وامتنان لضيافة قامت بها أمه له واعتنت به وكأنه ابن لها.

١٤:١٦ «سلِّموا على أسينْكرِيتُسَ فليغُونَ هَرماسَ (صحتها هرمين) بَتْرُوباسَ وهَرْمِيسَ (صحتها هرماس) وعلى الإخوةِ الذين مَعَهُم».
Ἀσύγκριτον, Φλέγοντα, Ἑρμᾶν, Πατρόβαν, Ἑρμῆν

«أسينكريتس»: عبد محرر لأغسطس، منقوشٌ اسمه ضمن مجموعة الحفائر اللاتينية[١٩].

«فليغون»: وصحتها فليغونتا. ولا تفصح النقوش عن شيء بالنسبة لهذا الاسم.

18. Sanday and Headlam, *op. cit.*, p. 426.
19. C.I.L. VI 12565 D.M. ASYNCRETO. Sanday and Headlam, *op. cit.*, p. 427.

«هرمين»: اسم مشهور بين المسيحيين العبيد الذين كانوا يكونون جماعة المؤمنين في روما.

«باتروباس»: اسم مختصر للاسم الكامل باتروبيوس. من أشهر الأسماء المسيحية التي حررها نيرون وقد حكم عليه بالموت(٢٠) بواسطة جالبا Galba.

«هرماس»: اختصار للفظ هرماجوراس أو هرمادوروس أو هرموجانيس. وقد تعرَّف عليه بعض الآباء أنه هو هرماس الراعي أو صاحب كتاب «الراعي». ولكن يقول العالمان سانداي وهيدلام أن هذا خطأ(٢١).

«وعلى الإخوة الذين معهم»: معنى هذا يهمنا جداً إذ يفيد أن هذه الجماعة المسيحية من كنيسة روما كانت تعيش منعزلة وحدها، وكانت كنيسة روما مكوَّنة هكذا من عدة جماعات كل مجموعة تعيش بمفردها.

١٥:١٦ **«سلِّموا على فيلولوغوسَ وجُوليا ونيريُوس وأختِه وأولُمْباسَ وعلى جميع القديسينَ الذين معهم».** Φιλόλογον, Ἰουλίαν, Νηρέα, Ὀλυμπᾶν

فيلولوغوس: كثير من المسيحيين الذين نُقشت أسماؤهم على قبورهم في السراديب كانوا بهذا الاسم، ولكن يُظَن أنه أخو أو زوج جوليا.

أما نيريوس: فغالباً يكون هو وأخته نيرياس Nerias، وكذلك أوليمباس، هم الثلاثة أولاد فيلولوغوس وجوليا.

أما جوليا: والاسم الصحيح «يوليانة» فهو أشهر اسم من الأسماء المسيحية المتداولة بين المسيحيين بين سيدات روما، وكذلك بين أهل بيت الإمبراطور. وقد وُجدت هذه المجموعة من الأسماء معاً في لوحة واحدة مع كلافديا.

نيريا: وُجد هذا الاسم منقوشاً مع الأسماء عاليه يتبع أهل بيت الإمبراطور مع جرمان ومع جرمانيوس وآنوس ونيرونيس وسيزاريس. وهذا الاسم مشهور بسبب مخطوطة الأعمال المنسوبة

20. Tac. *Hist.* i.49; cited by Sanday and Headlam, *op. cit.*, p. 427.
21. Sanday and Headlam, p. 427.

لنيريوس Nereus وأخيللوس. وكلها أسماء منقوشة يرقى زمنها إلى الكنيسة الأُولى في رومية(٢٢). وعلى ما نعتقد أنها منقوشة في سجلات السماء قبل أن تُبنى روما.

أولمباس: مختصرة من أليمبيودوروس Ὀλυμπιόδωρος، وهؤلاء جميعاً كانوا يكوِّنون جماعة واحدة.

١٦:١٦ **«سلِّموا بعضُكم على بعضٍ بقبلةٍ مقدسةٍ. كنائسُ المسيح تسلِّمُ عليكُم».**

«سلموا»: (هي: قبِّلوا ἀσπάσασθε).

ق. بولس يضع هنا تقليداً مقدساً أخذته الكنيسة بحروفه ووضعته في صميم ليتورجيتها المقدسة. فالشماس ينادي المؤمنين قبل الدخول إلى التناول من جسد الرب ودمه بهذا النداء: «قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة»: ἀσπάσασθε ἀλλήλους ἐν φιλήματι ἁγίῳ

وتُعتبر هذه القبلة بمثابة إعلان حالة شركة بالروح التي تحتم الصفح الكامل عن الزلات المشتركة، وعهد سلام مقطوع بحضرة الله القدوس، وعربون محبة أبدية تربط الجميع في الجسد الواحد بروح واحد. وهكذا تصير الخبزة الواحدة جسد المسيح، وحينما يتناول منها الجميع يتناولون المسيح الواحد: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦: ٥٧). وكأس الشركة دم المسيح يتوزع على الجميع فيستقي الكل من الروح الواحد للحياة الأبدية.

«كنائس المسيح تسلِّم عليكم»:

واضح أن هذه هي المرة الأُولى التي يكتب فيها ق. بولس معبِّراً عن كافة كنائس المسيح، ومنها يتضح أن ق. بولس يعتبر روما عاصمة الأمم وكنيستها موضع محبة ودعاء من الكافة.

[١٦: ١٧-١٩] تحذيرات من المعلمين الكذبة

١٧:١٦ **«وأطلبُ إليكُم أيها الإخوةُ أن تُلاحِظوا الذين يصنعُون الشقَّاقات والعثَرات خِلافاً للتعليم الذي تعلَّمتُموه وأعرِضُوا عنهم».**

هذه الآية بالرغم مما يبدو فيها أنها جاءت لتقطع مسلسل التحيات والسلام الذي يُقرؤه على أعضاء الكنيسة الواحدة، إلا أننا لو تأملنا في آخر الوصية وهي: «قبِّلوا بعضكم بعضاً بقبلة

22. Lightfoot: Clement.i.p.51; cited by Sanday and Headlam, p. 428.

مقدسة»، نجد أنه هنا بلغ نهاية التعبير عن الوحدة السلامية القائمة على المودّة الأخوية، فماذا يقلق هذه الوحدة وما هو الذي يشتت فكر الكنيسة الواحدة المؤتلفة بالمحبة؟ إلا الذين يصنعون الشقاق والعثرة!! فهذه التوصية هي التكملة الحتمية لبقاء قبلة السلام والمودة قائمة ومستديمة. وذلك بأن تهتم الكنيسة بوحدتها وبالقبلة المقدسة الواحدة التي تربط الجماعة بأن تلاحظ وتفرز وتحاكم الذين يحاولون صنع الشقاق، والذين بواسطتهم يحاول الشيطان النفاذ إلى هذه الوحدة والمحبة لتمزيقها. لذلك فهذه الوصية توازي في قوتها ومضمونها وهدفها كل السلام الذي أرسله ق. بولس لجميع الأفراد.

كذلك يبدو ق. بولس هنا أنه يَعْلم مَنْ هم الذين يحاولون فعلاً عمل الشقاق بين الإخوة، فهو هنا يرسل لهم تحذيره تماماً كما يرسل للأتقياء والقديسين منهم سلامه. فهو لأنه ليس صديقاً وحسب بل رسولاً ومعلماً، شعر بضرورة إرسال هذه الإشارة الخفية لهؤلاء الأشخاص كإنذار من الله، الذي له وحده النقمة والمجازاة.

وبعد هذا انظر وتعجب، أيها القارىء، كيف أن العلماء تضافروا واتفقوا أن هذه الآية دخيلة، وأنها مدسوسة من أحد المعقِّبين أو النسَّاخ؟ مع أنها هي آية الأمان والضمان لكل السلام الذي أهداه ق. بولس للكنيسة.

الشقاقات والعثرات: (٢٣) διχοστασίας καὶ σκάνδαλα

ق. بولس لا يقصد مجرد الأشخاص المشاغبين، فالشقاق هنا يُفهم في الحال أنه شقاق في فكر الإيمان الواحد الصحيح، والقديس بولس الرسول يوضح ذلك بقوله: **«خلافاً للتعليم الذي تعلَّمتموه»**، أي دسُّ بدع إيمانية غريبة عن المسيحية للهلاك أو تعليم غير مسلَّم كالتقليد الرسولي المسلَّم إليهم في بنود محددة في إجراء سر المعمودية، أي الكاتشزم الرسولي! واضح هنا التحذير من المعلِّمين الكذبة. أما العثرات فهي الخروج عن وحدة المحبة لإعثار النفوس البسيطة المُحبَّة بدسِّ الوشاية والأفكار المضادة من واحد لآخر لتقسيم الجماعة، لإخضاعها بعد ذلك أيضاً لسيادة المبتدعين. إذاً فبولس الرسول هنا يوعِّي المؤمنين أنه لكي يحتفظوا بالسلام وقبلة المحبة، عليهم أن يكونوا على حذر شديد من أي تعليم إيماني غريب لأنه حتماً سيقسم الجماعة ويخلخل وحدتها ومحبتها وسلامها.

23. Käsemann, *op. cit.*, pp. 417-418.

ونفس هذه التوعية أرسلها لأهل كورنثوس: «لأني أولاً حين تجتمعون في الكنيسة أسمع أن بينكم **انشقاقات وأُصدِّق** بعض التصديق، لأنه **لاَ بُدَّ** أن يكون بينكم **بدع أيضاً** ليكون المزكَّون ظاهرين بينكم.» (١ كو١١: ١٨و١٩)

ومن ذلك يمكن تحديد نوع الشقاقات والبدع والهرطقات التي تدور في ذهن ق. بولس، حينما يتكلم بعد ذلك في الآية القادمة على أن مثل هؤلاء المبتدعين يخدمون بطونهم!

١٦: ١٨ **«لأن مثلَ هؤلاءِ لا يخدِمُون ربنا يسوعَ المسيحَ بل بُطُونَهم وبالكلامِ الطيِّبِ والأقوالِ الحسنةِ يخدَعُونَ قلوبَ السُّلَماءِ».**

ق. بولس ينتهي في الآية السالفة بالتوصية أن يُعرِضوا عن هؤلاء المعلِّمين الكذبة والمبتدعين، لأن أي نقاش معهم أو محاولة تصحيح أو تعديل ما يقولون يكون هو المصيدة التي بها يقعون في مصيدتهم كما صنع الشيطان مع حواء لما بدأت تشرح له الكلام الصحيح الذي قاله لهما الله (ارجع للنص تك ٣: ١—٧).

ثم يعود هنا ويسترسل: «لأن مثل هؤلاء» هم مخادعون، بمعنى أنهم يتكلمون بكلمات معقولة وبسيطة وكلاماً له شكل الحق والمعقول، ولكن يحوي سمًّا قاتلاً.

ويلاحظ القارىء أن ق. بولس يوضِّح صورتهم بقوله: «إنهم لا يخدمون ربنا يسوع المسيح **بل بطونهم**»، أي أنهم يتكلمون عن المسيح وكأنهم خدام أمناء أوفياء للمسيح، ولكن وراء كلامهم هناك طعنة في إيمان المسيح الصحيح؛ والذي يخدمونه في الحقيقة هو ذواتهم وشهواتهم. والقديس بولس وضع الكلمة «بطونهم» كأسوأ تعبير عن الذات، فهم بالنهاية يريدون أن يجمعوا الناس حولهم ويجمعوا منهم أموالهم ويستخدموا أموالهم لذواتهم. وهنا توضيح أكثر لاتجاه فكر ق. بولس: «لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين **إلههم بطنهم** ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الأرضيات.» (في٣: ١٨و١٩)

«وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السُّلماء»:

هنا يكشف ق. بولس عن الخيوط الحريرية الناعمة التي يلفها الشيطان حول فرائسه فلا يشعرون بخطورتها بل يستحسنونها ويتلذذون بنعومتها ويمتدحونها، فالكلمات ناعمة ووَقْعُها لذيذ ومُمتع ومُسِرٌ للعقل، تماماً كما «رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة

شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل»، فكان هو السمُّ بعينه الذي بلعته حواء وابتلعه آدم وكان ما كان. فالجودة كانت غاشة والبهجة مزيفة والشهوة فخاً مسموماً!!

ق. بولس هنا يحصر الخداع في التعليم اللاهوتي الذي يدسُّه المعلمون الكذبة كأنه للمسيح وكأنه نورٌ، وهو لعدو المسيح ولحساب الظلمة، مع أنه كلام له صورة كلام المسيح. القديس بولس يحذِّر أهل كورنثوس من هؤلاء فاضحاً هويَّتهم: «لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيِّرون شكلهم كخدام للبر الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم.» (٢كو١١: ١٣ـ١٥)

وبتحليل هاتين الآيتين، ومن التعليق عليهما، يمكن الآن أن نحدِّد ما الذي كان يهدِّد وحدة كنيسة روما وأهلها البسطاء المتحدين بالروح والإيمان والقبلة المقدسة، وذلك في اتجاهين واضحين يشير إليهما ق. بولس بكلمة من جهة هؤلاء الأعداء المدسوسين كمعلمين كذبة: مجموعة منهم تخدم بطونهم وليس المسيح، وهؤلاء الذين يدعون المؤمنين إلى الانحلال والحرية في الأكل والشرب عموماً والتقليل من أهمية السر المقدس في الإفخارستيا وجعلها فرصة لولائم أكل وشرب وسكر (١كو١١: ٢٠ـ٢٢). والمجموعة الأخرى ذات اتجاه إيماني منحرف ناحية الغنوسية أي المعرفة والحكمة وهي التي تستخدم أفكاراً ومبادىءَ تبدو متقنة من جهة الحكمة ولها أصول وقواعد واختبارات، ولكن ليست منحدرة من المسيح، وبعضها متوارث من فلاسفة اليونان والآخر من مصر والثالث من الفرس، وهذه هي التي يشير إليها ق. بولس في رسالته إلى كورنثوس بقوله: يغيِّرون شكلهم إلى شبه رُسل المسيح ... ولكنها للهلاك. أما هنا في رسالته إلى رومية فيختصر الحديث بوصف مقدار سحرها: «**بكلام طيب، وأقوال حسنة** يخدعون قلوب السلماء».

«بالكلام الطيب والأقوال الحسنة»: χρηστολογίας καὶ εὐλογίας (٢٤)

بولس هنا يتلاعب بالألفاظ ليجمع بين جمال نطقها وقبح معناها فالكلمة اليونانية "خريستولوجيا" هي بحسب النطق: كلام المسيح، كلام مسحة النعمة. أما في الكتابة فتعطي معنى آخر يمكن أن يكون العكس لأن لكلام المسيح نكتب: χριστολογίας، ولكن هنا المكتوب هو "خريستولوجيا" كتبت: χρηστολογίας وتعني «كلام ناعم». كذلك "افلوجيه"

24. Meyer, *Rom.*, p. 572.

تعني في اللغة الليتورجية «بركة»، ولكن في اللغة العلمانية تعني «كلام حسن» بمعنى التملُّق والمديح الكاذب. وهكذا استطاع ق. بولس أن يعطي للسامع انطباعاً مساوياً تماماً لضمير هؤلاء المعلِّمين الغشاشين. فكلامهم له شكل المسيح والنعمة، وهو في حقيقته دنيوي يحمل المضمون الدنيوي!!

وق. بولس أعطى وصفاً لهؤلاء المعلِّمين المعاكسين المشاكسين في خطابه إلى أهل فيلبي الذي كتبه من روما ذاتها بعد أن وصلها وعاش فيها وواجه هؤلاء المعلِّمين الكذبة المرائين المُفسدين: «أما قوم فعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح ... فهؤلاء عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص ظانين أنهم يضيفون إلى وُثُقي ضيقاً.» (في١: ١٥و١٦)

«يخدعون قلوب السلماء»:

السلماء ἀκάκων (٢٥)

هنا «ذوو القلوب السليمة» ترجمة للكلمة اليونانية التي تنفي عنهم الشر، بمعنى أناس بسطاء ليس فيهم شر وغير مستعدين لقبول الشر، ولكن يمكن بسبب بساطتهم أن ينخدعوا بالكلام الناعم والمنطق الحسن. وفي الحقيقة لنا هنا مراجعة لهذا المعنى، لأن هذه النفوس يستحيل أن تنخدع للباطل، لأن بساطة روح المسيح الذي فيهم يعطيهم مناعة ضد الخداع والمخادعين، إلاَّ إذا خدعتهم نفوسهم ذاتها حباً للكبرياء أو العظمة أو الحرية الكاذبة. فما من إنسان انخدع بخداع المعلِّمين الكذبة الغشاشين إلاَّ وكان فيه ميل نحو الباطل في ناحية من نواحي حياته. فالروح القدس حارس أمين جداً للنفس التي حازت اقتناءه في القلب، وهو يسبق ويُشعرها بالخطر القادم عليها حتى ولو كان بيد ملاك نور (مزيَّف)!!

لذلك نقول إن البساطة نوعان: نوع طبيعي يأتي من الجهل وعدم التدريب والاحتكاك بأصناف الناس، ونوع يأتي من وداعة الروح القدس الساكن في القلب بنوع التقوى، وهذا يوعِّي الإنسان مقابل المخاطر، وفي نفس الوقت يحفظ له بساطته حتى ولو تعامل مع الشياطين من بني البشر.

25. Ibid.

١٦: ١٩ «لأن طاعتَكم ذاعَت إلى الجميع. فأفرحُ أنا بكم وأريدُ أن تكونوا حكماءَ للخيرِ وبسطاءَ للشرِّ».

هنا وصلة للآية قبل السابقة، فتسلسل الكلام إذا أسقطنا الآية ١٨ يكون هكذا: «وأعرضوا عنهم، لأن طاعتكم للإنجيل والإيمان المسلَّم لكم من القديسين ذاعت إلى الجميع». هذا يؤيده ما جاء في الأصحاح الأول: «إن إيمانكم ينادَى به في كل العالم» (رو١: ٨). أما رد فعل هذه الطاعة فهي: «فأفرح أنا بكم»، كما جاءت في الأصحاح الأول: «أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم يُنادى به في كل العالم».

هنا كلام ق. بولس بهذه الحال والواقعية يُفهم منه أن هؤلاء الرسل الكذبة والمعلمين الغشاشين والمنافقين كانوا في الحقيقة في الطريق إليهم ولم يباشروا أعمالهم بعد. لأن طاعة أهل رومية للإيمان لا تزال معروفة ومُذاعة عند الجميع، ولهذا، فالقديس بولس يشكر الله ويفرح بهم ولكن يسبق ويُعلن لهم أن التجربة على الأبواب، فيلزم من الآن أن يُميِّزوا بين الصالح والشرير. أما الصالح فيقبلوه بحكمة الله ليزدادوا حكمة، وأما الشر فيلزم أن يتعاملوا معه هكذا:

«بسطاء للشر»: ἀκεραίους

الكلمة اليونانية جاءت في الترجمة العربية مراراً بمعنى "البساطة"، ولكن في الترجمة الإنجليزية جاءت أيضاً بمعنى "البراءة"، وتجيء في القواميس بمعنى "بلا شر، وبلا غش، نقي السريرة (pure)، غير ملوث". لذلك كلمة «بسطاء في الشر» أو «تجاه الشر» لا تفي بالمطلوب، أي نقاوم ونحترس من الشر، لذلك الأفضل في الترجمة أن تكون "إزاء الشر ــ بلا ميل للشر" أو «أبرياء أطهار pure». وحينما جاءت الآية من فم المسيح: «كونوا حكماء كالحيات وبسطاء ἀκέραιοι كالحمام» (مت١٠: ١٦)، فالمترجم هناك حاول أن يجعل تقابلاً بين «البساطة» إزاء «الحكمة»، وهي نفس الكلمة اليونانية المستخدمة هنا التي ترجمت «بسطاء»، فهل يمكن أن البساطة كأخلاق تناسب الحمام؟ فالبساطة تليق بالإنسان أما ما يقابلها عند الحمام فهو عدم الميل للشر. بهذا يكون وجودنا بين الذئاب حسب مَثَل المسيح: «ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» (مت١٠: ١٦)، فبحسب قصد المسيح: أن لا يكون لنا «ميل للشر» وسط الذئاب فلا نستثيرها. أما البساطة، كبساطة وسط الذئاب، فإنها تعدُّنا للأكل والافتراس. كذلك إذا كنا بسطاء تجاه الشر فالشر يأكلنا، ولكن إذا كنا بدون ميل إلى الشر، فالشر لا يدخل فينا.

أما الحكماء إزاء الخير فهذا يعني أن نفتح مجالات الحكمة والوعي تجاه الخير والصالح فنزداد خيراً وصلاحاً.

[١٦: ٢٠] بركة جانبية

١٦: ٢٠ «وإلهُ السلامِ سيَسحَقُ الشيطانَ تحت أرجُلِكم سريعاً. نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ مَعَكُم. آمينَ».

ق. بولس يتكلم من منطق مَنْ هو في المسيح يسوع والمسيح يحيا فيه، إذاً فنحن في زمن الخلاص، وبهذا يرى ق. بولس أن وعد الله تمّ ولا يزال يتم من جهة الشيطان: «وقال الرب الإله للحية (الشيطان) لأنكِ فعلتِ هذا ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ... وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها. هو يسحقُ رأسكِ وأنتِ تسحقين عقبه» (تك٣: ١٤و١٥). لقد تمت النبوَّة وبلغت العداوة حربها الأخيرة وسحقت الحية عَقِب المسيح على الصليب، وسحق هو رأسها بالموت والقيامة. القديس بولس يعيش تحقيق سحق رأس الشيطان، وسحق الرأس هو تحت الأقدام كناية عن بلوغ النصرة بسلطان. لذلك فبولس الرسول يدعو، من مركز المنتصر وأعظم من منتصر في المسيح يسوع (رو٨: ١٧)، ويلعن الشيطان بفم الله الذي لعنه. أما «سريعاً» فكناية عن أن التجربة حاضرة دائماً والنصرة أكيدة وسريعة دائماً!! ولكن ليس بيد الإنسان ولا رجله، ولكن بواسطة إله السلام المسيح الذي أبطل العداوة بصليبه وأسس ملكوت السلام بقيامته.

فالدعاء الذي يقوله ق. بولس هنا هو قمة التشجيع للمقاتلين في حروب الرب، المدعوِّين للسير في موكب نصرة المسيح (٢كو٢: ١٤).

علماً بأن دعاء ق. بولس جاء ليغطِّي به مخاوف الشقاق والعثرات وأعمال المعلِّمين الكذبة الذين يتشكّلون بشكل ملاك نور وهم رسل الشيطان. هنا القديس بولس يقول للكنيسة، في كل مكان وزمان، إن وحدة القلب وقبلة المحبة والسلام وألفة الأعضاء في جسد المسيح تعطي الضمان الأكيد أن المسيح يمارس حقه الأزلي فيها بأن يطأ الشيطان بأقدام الكنيسة فلا تقوى عليها أبواب الجحيم (مت١٦: ١٨).

ويقول العالم شد Shedd إن هذا الدعاء العجيب المكتوب الآن أمام عيوننا، لكنيسة روما

التي كانت والكائنة الآن أمام عيوننا، يوضّح أن الله سمع فعلاً الدعاء: [إن حفظ الكنيسة الأولى من العشرات القاتلة التي هاجمت الكنيسة بالفعل بعد ذلك (سريعاً) يُحتسب واحداً من أعظم أعمال العناية الإلهية نحو كنيسته، فقد سحقت الكنيسة الرسولية جماعة الإيبيونين وجماعة الغنوسيين.](٢٦)

«نعمة ربنا يسوع المسيح معكم. آمين»:

البركة الأخيرة المعتادة بقلم ق. بولس نفسه كما جاءت في: ١ كو١٦: ٢٣، ٢ كو١٣: ١٤، غل٦: ١٨، في٤: ٢٣، ٢تس٣: ١٨.

[١٦: ٢١—٢٤] تحيات جانبية من إخوة حاضرين أثناء إملاء وكتابة الرسالة من الكاتب نفسه

إضافات هامشية:

هنا بعد أن أكمل ق. بولس إملاء الرسالة، واضح أن الإخوة الحضور الذين استمعوا إلى الإملاء التهبت قلوبهم بالشوق إلى أهل رومية أبدوا رغبة أن يرسلوا تحياتهم أيضاً للإخوة هناك واستجاب بولس فجاءت تحياتهم كالآتي:

١٦: ٢١ **«يسلّم عليكم تيموثاوسُ العاملُ مَعي ولُوكِيوسُ ويَاسونُ وسُوسِيبَاتِرُسُ أنسِبَائي».**

وبعد أن أملى بولس هذه الأسماء الأربعة غار كاتب الرسالة، وهو ترتيوس، فاستأذن بولس أن يُملي بنفسه اسمه فكتب:

١٦: ٢٢ **«أنا تَرْتِيُوسُ كاتبُ هذه الرسالةِ أسلّمُ عليكم في الرَّبِّ».**

وهنا انبرى البقية يطلبون إرسال أسمائهم بالتحية فأومأ بولس إليه أن يكمل هكذا وأملى عليه:

26. Shedd: *Crit. and Doct. Comm. on Rom.*, p. 433.

١٦: ٢٣و٢٤ **«يُسلّم عليكم غَايُسُ مُضَيِّفِي** (في كورنثوس) **ومُضَيِّفُ الكنيسةِ كُلِّها** (في بيته). **يسلّم عليكم أراستُسُ خَازِنُ المدينةِ وكَوارْتُسُ الأخُ. نعمةُ ربّنا يسوعَ المسيحِ مع جميعِكُم. آمينَ».**

أما **تيموثاوس** الذي اعتدنا أن نقرأ اسمه دائماً في أول الرسالة، يظهر في هذه الرسالة في نهايتها، ويبدو أن ق. بولس ارتأى ذلك كون تيموثاوس لم يكن معروفاً في روما، أو ربما أنه كان غائباً في بداية كتابة الرسالة وحضر في ختامها. ومعروف أن تيموثاوس كان في رفقة بولس في كنائس مكدونية.

أما **لوكيوس** فهو ليس لوقا الإنجيلي كما اعتقد ذلك أوريجانس وغيره، ولكنه ربما يكون هو لوكيوس القيرواني الذي جاء ذكره في أع١٣: ١.

أما **ياسون** فربما يكون هو المذكور في أع١٧: ٥ الذي له بيت في تسالونيكي، الذي كان ق. بولس مقيماً عنده والذي أمسك به المشاغبون من اليهود وأحضروه إلى الوالي ولكنه دفع الكفالة وأطلقوه.

أما **سوسيباترس** فهو سوباترس أع٢٠: ٤، وهذه الأسماء هي لأشخاص يهود أحباء لبولس الرسول وكانوا يتبعونه في رحلاته «العاملون معي»، «أنسبائي».

أما **ترتيوس** كاتب الرسالة فهو روماني الجنس، وكاتب الرسالة يعتبر نفسه عادة شريكاً في تحياتها.

أما **غايس**، فبولس الرسول هو الذي يقدمه بنفسه باعتباره صاحب الضيافة والبيت الذي يجتمعون فيه، والذي تجتمع فيه الكنيسة أيضاً.

أما **أراستس** فهو خازن المدينة، وهو صاحب وظيفة مرموقة وأكثر الموجودين حيثية وكرامة.

وأخيراً يجيء اسم **كوارتس**، وربما كان معروفاً لأهل روما، غير أنه مجهول في الرسائل كلها.

عودة لذكصولوجية الرسالة

[١٦: ٢٥ـ٢٧]

١٦: ٢٥و٢٦ **«وللقادرِ أن يثبّتكم حَسَبَ إنجيلي والكرازةِ بيسوعَ المسيح حسبَ إعلانِ السِّرِّ الذي كان مكتوماً في الأزمنةِ الأزليةِ ولكن ظَهَرَ الآنَ وأُعْلِمَ به جميعُ الأممِ بالكتبِ النبويةِ حسبَ أمرِ الإلهِ الأزليِّ لإطاعةِ الإيمانِ».**

بنوع خاص ودون كافة الرسائل، يُنهي ق. بولس رسالته إلى رومية بهذا التمجيد الفائق في الدقة اللاهوتية والمشاعر البشرية واليقظة الروحية بالواقع الذي يتعامل معه بولس الرسول في رومية بصفة خاصة باعتبارها عاصمة الأمم جميعاً، وباعتبارها غريبة عليه ولم تطأها قدماه فلم يسعد بعد هو ولم تسعد هي أيضاً بأن يسلِّمها بالفم ما استلم هو بالروح من المسيح، فيما يخص قوة الكرازة بالإيمان القويم الخالي من نوافل العبادة القديمة في ناموس موسى وعوايد الأمة المرفوضة. لذلك يدعو لها بالثبات على ممر الدهور على الإيمان الذي شرحه لهم، وهو عالم بالضيقات والشقاقات المستهدفة لها عبر الزمن. وبالرغم من تجريح النقاد لهذا الأصحاح وهذه الخاتمة بهذا الوضع، نقرأ المديح الصريح للعلامة الألماني ماير الذي كتب وشرح لبولس الرسول وللإنجيل ككل، يقول في هذه الخاتمة [كخاتمة كاملة تحمل هذا المديح لله، محتوية على هذا الغنى العميق وهذه المشاعر الفياضة التي يُعتقَد أن بولس كتبها بيده ــ كعادته ــ حيث تحوي مجمل المبادىء القائدة التي في الرسالة وكما هي مبيَّنة بوضوح في البداية في الأصحاح الأول (١ـ٥) التي هي بمثابة مفتاح سر الرسالة، كذلك كتكرار فصل ما ذكر في الأصحاح الحادي عشر (٣٣ـ٣٦) بتعبيراته التمجيدية المبدئية. وهكذا يضيف عليها هنا ما يُعتبر جُماع الإلهام التقوي الذي كان يتفجر من أعماقه فيقدِّس كل ما سبق وقاله في هذه الرسالة ككل](٢٧).

«وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي»:

قادر، يثبتكم δυναμένῳ, στηρίξαι

واو العطف هنا لا تفيد العطف على شيء، وهي زائدة في الترجمة العربية، ولكن الآية تبدأ

27. Meyer, *op. cit.*, p. 575,576.

بعبارة τῷ δὲ التي تفيد معنى **والآن**، أي نحن الآن في الخاتمة نقول: هنا «الله» مستتر في كلمة «القادر»: الآن الله القادر أن يثبتكم. ولو يذكر القارىء كيف كان ق. بولس يتمنَّى في بداية الرسالة أن يذهب إليهم ليهبهم الثبات «متضرعاً دائماً في صلواتي عسى الآن أن يتيسَّر لي مرة بمشيئة الله أن آتي إليكم، لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية **لثباتكم** στηριχθῆναι.» (رو١: ١٠و١١)

فالآن وفي ختام رسالته وقد استودع أهل رومية لرعاية الله وعنايته، رفع سؤاله وطلبته وشهوة قلبه مرة أخرى لله لكي يثبتهم هو وليس بولس: «وللقادر أن **يثبتكم** = στηρίξαι ...». التعبير هنا عما يجيش في صدر ق. بولس بديع للغاية، فهو يشعر الآن وهو على بُعد منهم، بل وعلى غير وثوق منه أنه سيذهب إليهم، نظر إلى فوق إلى الله، **القادر وحده** الآن ودائماً وإلى الأبد أن **يثبتهم!!** وكلمة «يثبتكم» تأتي باليونانية بمعنى التقْوِيَة والتقويم معاً، أي يقوِّمكم ويقوِّيكم لتبقوا متمسِّكين وأمناء لإنجيلي، بمعنى ما سبق وأن شرحه لهم بخصوص بر الله بالإيمان بيسوع المسيح بدون أعمال الناموس. هذا هو معنى «إنجيلي»، أي إنجيل ق. بولس، أي البشارة التي يبشِّر بها ق. بولس.

«والكرازة بيسوع المسيح»:

هنا يبدو غريباً نوعاً ما أن يضيف الكرازة للإنجيل، ولكن ق. بولس باختصار شديد يريد أن يؤكد أن إنجيله الخاص، أي بشارته بالمسيح بدون الناموس أصلاً وفرعاً، هو مساو تماماً وطبق الأصل للكرازة بيسوع المسيح في كل شيء، لا فرق إلاَّ في حذف سلطان الناموس. ثم عاد ليزيد الأمر وضوحاً بالنسبة لكلمة «إنجيلي» بقوله: «حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية» والسر الذي أُعلن لبولس الرسول وهو الذي يبشِّر به هو: «أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» (أف٣: ٦)!! الأمر الذي دُعي له ق. بولس خصيصاً من قِبَل ربنا يسوع المسيح الذي ظهر له من السماء ودعاه ليخدم الأمم كرسول فوق العادة! أي أنه اؤتمن خاصة على السر الذي كان مختفياً في الله منذ الأزل بخصوص دعوة الأمم لنوال بر الله بالإيمان بيسوع المسيح بدون الناموس.

هذا التأكيد في كون ق. بولس قدَّم لهم إنجيله بحسب الكرازة بالمسيح التي دُعي لها في حدود ما كلَّفه به المسيح دون أي خروج عن أمر المسيح، هذا التأكيد سبق أن قدَّمه بقوله في الأصحاح الخامس عشر: «فلي افتخار في المسيح يسوع من جهة ما لله لأني لا أجسر أن أتكلَّم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل.» (١٥: ١٧و١٨)

وهذا التواضع العجيب من ق. بولس الذي يسند به قوة عمله ورسالته، يقدّمه هذا الرسول العجيب لله كمديح وتمجيد.

ويعود ق. بولس ويقدّم ما جاء في الكتب النبوية ـ طبعاً بخصوص دعوة الأمم، ودخول الأمم، ونور الأمم، وبركة الأمم ـ ليسند به صدق رسوليته الخاصة للأمم وبالتالي صدق وقوة إنجيله الخاص للأمم الذي قدّمه لهم بدون ناموس ولا سبت ولا ختان!! بقوله: «**حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان.**» (١٦: ٢٦)

بمعنى أن ق. بولس يحتسب إنجيله الخاص للأمم أنه استعلان حقيقي للسر المُخفى منذ الدهور في الله، حسب قوله لأهل أفسس: «... أنه بإعلانٍ عرّفني بالسر كما سبقت فكتبت بالإيجاز الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح ... الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته، لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى.» (أف٣: ٣ـ٨)

«لإطاعة الإيمان»:

نعلم أن ق. بولس بدأ رسالته في الأصحاح الأول بقوله: «**لإطاعة الإيمان في جميع الأمم**» (رو١: ٥)، والآن يقول في آخرها: «أُعلم به جميع الأمم ... **لإطاعة الإيمان**». وهكذا أنهى ق. بولس رسالته بنفس القصد الذي ابتدأ به: أن ق. بولس وإنجيل بولس ورسالة رومية هي أولاً وأخيراً للأمم **لإطاعة الإيمان!!** «**الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم** الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوو يسوع المسيح إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين قديسين».

فانظر أيها القارىء العزيز كيف يربط ق. بولس بين بادئة رسالته وختامها في توافق عفوي بديع.

١٦: ٢٧ **«لله الحكيم وحدَهُ بيسوعَ المسيح لهُ المجدُ إلى الأبدِ. آمين».**

لكي نفهم وضع هذه الآية يلزمنا أن نوصل بداية الآية (٢٥) ببداية الآية (٢٧) أي نهاية الرسالة كلها كالآتي: «وللقادر أن يثبتكم ... لله الحكيم وحده ... المجد إلى الأبد آمين». لاحظ

هنا إضافة حرف اللام «**"للقادر"** "لله" المجد»! فإذا أردنا زيادة إيضاح المعنى لدى القارىء، تكون: «المجد لله الحكيم القادر أن يثبتكم». وهنا صفة **الحكمة** المنسوبة لله هي هي من واقع تدبيره بالسر الذي كان مكتوماً منذ الأزل واستُعلِن الآن، كما هو مسجّل تماماً في الكتب النبوية. فالحكمة هنا صفة حقيقية أيضاً قد استُعلنت باستعلان الرحمة. ولأن السر الأزلي الذي كان مكتوماً عند الله قد استُعلن بواسطة يسوع المسيح، أصبحت صفة «الحكمة» التي لله المتعلقة بالسر منسوبة أيضاً ليسوع المسيح، فلولا يسوع المسيح ما استُعلنت حكمة الله. فالآن «الله الحكيم بواسطة يسوع المسيح». ولكن إضافة «وحده» هنا ترمي إلى بعيد جداً، لأن البركة الأخيرة للقديس بولس اشتملت على توعية من خطر المعلمين الكذبة، والمقصود بهم الغنوسيون المعتبرون أنهم معلمو الحكمة أو الحكماء. فهنا ألحَقَ ق. بولس التمجيد الأخير لله بإعطائه «**وحده**» صفة الحكمة، كما هي مستعلَنة بيسوع المسيح، ليستثني كل مدّعي الحكمة من الغنوسيين.

أما بالنسبة للعلماء الذين يلحّون ويؤكدون أن هذه الخاتمة الأخيرة بهذا التمجيد، أي بإعطاء الله صفة الحكمة بيسوع المسيح، هي ليست لبولس الرسول، ويستندون في ذلك على رأي مارسيون أو ماركيون الكافر، لهؤلاء نقول إن هذه الخاتمة الأخيرة هي لبولس الرسول بكل تأكيد، وهي امتداد لنفس الخاتمة التي سبق أن أعطاها ق. بولس في ختام الأصحاح الحادي عشر والتي جاءت كالآتي: «**يا لعمق غنى الله "وحكمته" وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء**». والآن يكمّل ق. بولس بعد استعلان سر الله بواسطة يسوع المسيح هكذا: «**لله "الحكيم" وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين**».

والآن انظر أيها القارىء مدى انسجام الأسلوب والكلمات والمعنى هذا الذي يظهر بوضوح إذا أضفنا الاثنين إلى بعض: «يا لعمق غنى الله **وحكمته** وعلمه، **الحكيم** وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين».

وهكذا رأينا أن نسبة الحكمة لله وحده في نهاية الرسالة **هي من واقع «المعنى»:**

أ ـ لضرب فكرة معلمي الحكمة أو الحكماء الكذبة فالله هو الحكيم وحده.

ب ـ ثم بسبب استعلان السر الأزلي بالنسبة لدخول الأمم في مشورة الخلاص، فانكشفت حكمة الله التي كانت مخفية.

ثم هي من واقع «أسلوب» الرسالة، فالمقابل لها موجود في نهاية الأصحاح الحادي عشر ٣٣ـ٣٦، مما يجعل حكمة الله هنا مطابقة وممتدة من حكمته المعلنة سابقاً.

ثم إذا عدنا إلى الرسائل الأخرى لبولس الرسول نسمع نفس أسلوب ق. بولس فيما يختص بحكمة الله المرتبطة باستعلان سر خلاص الأمم بيسوع المسيح هكذا: «**كما قد أُعلن الآن ... أن الأمم شركاء في الميراث والجسد** ونوال موعده في المسيح بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له ... لأُبشر بين الأمم ... وأنير الجميع في **ما هو شركة السر المكتوم** منذ الدهور في الله، خالق الجميع بيسوع المسيح لكي يعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة "**بحكمة الله المتنوعة**" حسب قصد الدهور **الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.**» (أف٣: ٢ـ١١)

وهكذا أصبحت «حكمة الله» في «سر الله» «لخلاص الأمم» «بيسوع المسيح» معلومة لاهوتية ذات أربعة أركان هي ـ بحد ذاتها ـ خلاصة الرسالة إلى رومية! فإن جاءت الذُكصا الأخيرة هكذا تعبِّر عن ذلك، فما أصدقه تعبيراً بل ما أحكمه تمجيداً! فهو يشهد بصدق الرسالة كلها وصدق كاتبها.

فهارس الكتاب

أ ـ فهرس الآيات الواردة بالكتاب.

ب ـ فهرس الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة والمؤلفين الكنسيين.

ج ـ فهرس موضوعي للكتاب.

تيموثاوس الثانية

جامعة (سفر)

حبقوق (سفر)

حزقيال (سفر)

حكمة (سفر)

خروج (سفر)

دانيال (سفر)

رؤيا (سفر)

رومية (رسالة)

١٠ ٥: ١٥٤
٥: ٤٤٦
٨: ٩- ١٠٩
١٠: ١٥٠
١٣: ٢٦٣
١٥: ٤٠٢
١٥: ٤٦٦
١٥: ٥٧١
١٨: ٣٧
١٨: ١٠٩
١٩: ٤٩٠
١٩: ٦٧٨
٢٠: ٢١- ١٠٩
٢١: ١٨٦
٢١: ٤٧٤
١١ ١: ٢- ١١٠
٥: ٥٠٤
٧: ٥٠٤
١١: ١١٠
١١: ٤٤٠
١١: ٦٧٨
١٢: ١٥- ١١٠
١٣: ٥٩
١٣: ١٣٦
١٥: ٥٠٨
٢٢: ٢٣- ١١١
٢٣: ٤٩٨
٢٥: ٢٦- ١١٠
٣٢: ٨٣
٣٢: ١٨٠
٣٢: ٢٧١
٣٢: ٦٠١
٣٣: ٤٣٧
٣٣: ٣٦- ٧٢٨
٣٣: ٣٦- ٧٣١
٣٦: ٤٢٧
١٢ ١: ١١٢
١: ٣١٥
١: ٦٩١
٢: ١١٢
٢: ٥١٤
٣: ٦٥٩
٣: ٦٨٦
٦: ١٣٤
٨: ٣٧٨
٨: ٥٩٨
٩: ٥٩٨
١٢: ٢٥٥
١٢: ٧٠٥
١٣: ٦٥٤
١٦: ٥٣٤
١٧: ٥٩٨
١٩: ٥٩٨
١٩: ٦٧٨
٢١: ٥٩٨
١٣ ١: ٧- ٦٥
٤: ٤١٥
٤: ٦٨٦
٧: ١١٤
٨: ١١٤

١٣ ١١: ١١٤
١٤ ١: ٦٦٥
٨: ٤١٥
١٣: ٦٦٤
١٤: ٦٥٧
١٧: ٦٢٩
١٧: ٦٣٣
١٧: ٦٨١
١٨: ٦٨١
٢٢: ٦٢٧
٢٢: ٦٣٣
٢٣: ٢٤٧
٢٣: ٦٢٧
١٥ ١: ٣- ١١٥
٤: ٣٨
٤: ١٢٨
٥: ٦- ١١٥
٧: ١١٥
٨: ٤٢٥
٩: ١١٦
١٠: ١١٦
١١: ١١٦
١٤: ٥٣٨
١٤: ١٦- ٦٠
١٥: ٥٣٣
١٥: ٦٩٢
١٥: ١٦- ١٨
١٥: ١٦- ٢٦
١٦: ٣٥
١٦: ١١٦
١٧: ٦٩٥
١٧: ١٨- ٧٢٩
١٩: ٢٣- ٥٧
٢٠: ٤٨
٢٢: ٧٠٢
٢٤: ٥٧
٢٥: ٢٨- ٥٧
٢٥: ٢٩- ٤٧
٢٦: ٢٧- ٥٦١
٣٠: ٣١- ٥٨
١٦ ١: ٢٧
١: ٥٤١
١: ٢- ١١٧
٣: ٤- ١١٧
٣: ٥- ٥٠
٤: ١١٨
٥: ١١٧
٧: ١٣٩
١٠: ٥٠
١٢: ٥١
١٤: ٥١
١٤: ٧١٤
١٥: ٥١
١٦: ٥٢
٢٠: ٦٥٦
٢٣: ٢٧
٢٣: ٣٠
٢٥: ٢٦- ٥٠١

زكريا (نبوة)

٢ ٥: ٤٢٢

سيراخ (يشوع بن)

٣٣ ١٠: ١٣- ٤٤٢

صفنيا (نبوة)

١ ١٥: ١٦- ١٦٢
١٥: ١٧- ١٨٥

صموئيل الأول

٢ ٣٠: ٢٤٥
٢٤ ١٤: ١٥- ٥٧٢
١٦: ١٧- ٥٧٢

صموئيل الثاني

٧ ٤: ١٤- ١٣٠
١١ ١: ١٠٠
١٢ ٧: ١٠٠
٢٢ ٥٠: ٦٧٧

عاموس (نبوة)

٢ ٦: ٢٢٥
٥ ٢١: ٥٢٤

عبرانيين (رسالة)

١ ٢: ٢٣
٦: ٨- ٤١١
٩: ٤٠
١٣: ١٢٧
٢ ٢: ٣٣٠
١٤: ١٥- ٢٩٠
٣ ١٨: ٤٢٣
٤ ١: ٤٢٣
٨: ١٢٤
٨: ٩- ٤٢٣
١٢: ٦١٤
١٢: ٦٦٩
١٢: ٦٨٨
١٢: ٦٩٤
٦ ٤: ٦- ٦٢
٥: ٦- ١٤٨
٦: ٣١١
٧ ٢٣: ٢٥- ٦٨٩
٢٤: ٦٩٠
٢٤: ٢٥- ٢٦٦
٢٥: ٥٢٠
٨ ٥: ٣٥
١٢: ٢١٩
١٣: ٢١١
١٣: ٦٨٩
٩ ٣: ٧- ٢١٩
١٤: ٢٠٢
١٩: ٢١- ٥٢٦
٢٦: ٢١٧
٢٨: ٣٠٧
١٠ ٤: ١٠- ٤٥٩
٥: ٣٦٣
٥: ٥١٩
٥: ٥٢٢
٦: ٨- ٣٦٢
١٠ ١٩: ٢٢- ٢٦٢
٢٦: ٢٧- ٦١
٢٦: ٢٧- ٣٠٨
٢٨: ١٥٥
٢٨: ٣٤١
٢٨: ٢٩- ٢٦٢
٣٢: ٣٦- ٥٥٩
٣٤: ٦٩٩
١١ ١: ٢- ٢٢٢
٤: ٢٣٢
٦: ٢٤٣
١١: ٢٤٦
١٣: ٢٢٤
١٣: ١٦- ٢٢٣
٤٠: ٢٢٤
١٢ ١: ٢٧٩
١: ٣- ٥٥٣
١: ٤- ٦١٦
٢: ٣٨٥
٢: ٥٥١
٢٣: ٤١٠
١٣ ١: ٥٥٠
٢: ٥٦٢
١١: ٣٦٢
١٣: ١٤٩

عدد (سفر)

٧ ٨٩: ٢١٩
٩ ١٥: ٤٣٢
١٥ ١٧: ٢١- ٤٩٤
٢٤ ١٧: ٦١٣

غلاطية (رسالة)

١ ١: ١٢٤
٤: ١٤١
١٥: ١٢٥
٢٠: ١٤٢
٢ ١: ٢٧
٢: ٩- ١٨
٧: ٥٤
٩: ٦٩٩
١١: ٦٩٤
٢٠: ٢٢
٢٠: ١٣٧
٢٠: ١٥٥
٢٠: ٢٦٦
٢٠: ٢٩٤
٢٠: ٣٠٥
٢٠: ٣٠٧
٢٠: ٣٢٥
٢٠: ٣٧٢
٢٠: ٣٧٣
٢٠: ٥٣١
٢٠: ٥٦٩
٢٠: ٦٠٤
٢٠: ٦١١
٢٠: ٦٢٠
٢٠: ٦٤١
٢٠: ٦٩٣
٣ ١: ٣- ٥٦

٣ ١٢: ٤٦٠
١٣: ٢١٨
١٣: ٥٦٥
١٣: ٥٦٩
١٦: ٨٧
١٦: ٤٣٣
١٦: ١٧- ٢٤١
١٩: ٨٧
١٩: ٢٣٤
١٩: ٤٣٣
١٩: ٤٧٨
٢٣: ٢١٢
٢٣: ٢١٣
٢٣: ٢٤- ٨٧
٢٤: ١٠١
٢٤: ٢٢٩
٢٤: ٣٤٢
٢٦: ٣٨٢
٢٧: ٣٦٩
٢٩: ٤٣٣
٤ ٤: ١٢٨
٤: ٥- ٢١٨
٤: ٥- ٣٦١
٦: ٣٨٢
٧: ٣٨٤
١٤: ٢٤
١٥: ٦٩٨
١٧: ٦٧٣
١٩: ٤٠٧
١٩: ٥٢٦
١٩: ٦٩٣
٢٥: ٦٩٨
٢٨: ٢٩- ٤٢٩
٥ ١: ٧٠٥
٤: ٥٦
٤: ٢٢٩
٥: ٢٨٧
١٠: ٦٤٦
١٣: ٣١٩
١٣: ٥٨٤
١٦: ١٨- ٣٦٥
١٦: ١٨- ٣٨٠
١٦: ١٨- ٦٠٥
١٩: ١٧١
٢٤: ٦٠٦
٦ ٢: ٦٦٥
٨: ٣٧٨
١٣: ٢٠٠
١٥: ٤١١
١٨: ٧٢٦

فليمون (رسالة)

١: ٢- ٢٧

فيلبي (رسالة)

١ ٨: ١٤٢
١ ١٠: ١٩٦
١ ١٢: ١٤- ٦٤
١ ١٣: ٦٥
١ ١٣: ١٦- ٦٣

١ ١٥: ١٦- ٧٢٣
٢١: ١٣٧
٢١: ٢٦٦
٢١: ٣٠٥
٢١: ٦٤٢
٢٣: ٦٩٧
٢ ٢: ٥٥١
٤: ٦٠٦
٦: ٧- ٣٦١
٨: ١١- ٢٨٧
٩: ١٢٧
١٠: ١١- ٤٦٥
١٠: ١١- ٦٤٥
١١: ٦٧٥
١٢: ٤٩٨
١٢: ٦٠٦
١٣: ١٥٥
١٣: ٦٢٠
١٧: ٣٥
١٧: ١٨- ٥٢٥
٢٤: ٦٤٦
٢٥: ٢٥
٣ ٣: ١٤١
٦: ٢٠
١٠: ٥٢٦
١٨: ١٩- ٧٢١
٢٠: ٢٧١
٢٠: ٤١٥
٢١: ٣٨٩
٢١: ٤٠٨
٤ ٣: ٢٥
٥: ٦٠٨
٦: ٣٩٨
٧: ١٣٨
٧: ٢٥٣
١٨: ٥٢٣
١٨: ٥٢٥
١٨: ١٩- ٧٠٠
٢٢: ٦٤
٢٢: ٦٥
٢٣: ٧٢٦

قضاة (سفر)

٦ ١٢: ١٦- ٤٨٣
١٤ ١٤: ٤٤٠
١٦ ١١: ٦١٤

كولوسي (رسالة)

١ ٧: ٢٥
١٤: ٢٢٠
١٥: ٤١٠
١٨: ١٣٤
١٨: ٢٨٠
١٨: ٤٠٧
١٨: ٤١١
٢٠: ١٥٩
٢١: ٢٢- ٢٦٤
٢٦: ٢٧- ٥٠٤
٢٧: ٢٥٥
٢٧: ٥٣٠

١ ٢٧: ٢٩- ١٣٥
٢٨: ٢٩- ٢٦٧
٢ ٣: ٤٥٣
٩: ١٦٦
١١: ١٢- ٢٠٢
١٢: ١٣- ٢٩٧
١٦: ١٧- ٦٣٥
٣ ٢: ٦٠٦
٣: ٦٢٠
٤: ٢١٥
٥: ١٧٢
٥: ٦٠٥
٨: ٦٠٦
٨: ١٠- ٢٩٩
٩: ١٠- ٣٠١
٩: ١٠- ٦٠٦
١٠: ٣٦٩
١٠: ٤٠٧
١٠: ٤٤٢
١٣: ٦٠٦
١٧: ٦٧٨
٢٢: ٢٥- ٢٦
٢٣: ٢٤- ٥٥٥
٤ ١٠: ٢٥
١٠: ٣٠
١٥: ٢٦

كورنثوس الأولى

١ ٤: ٧- ٥٣٨
٧: ٦٨٨
١٢: ١٥- ٢٩٦
١٨: ١٤٩
١٨: ١٦٠
١٨: ٤٤٩
١٨: ٦١٠
٢١: ١٤٩
٢٣: ١٤٩
٢٣: ١٥٤
٢٣: ١٥٧
٢٦: ٢٨- ٢٥
٢٦: ٢٩- ١٤٥
٣٠: ١٥٧
٣٠: ٢١٨
٣٠: ٢٢١
٣٠: ٢٤٩
٣٠: ٢٥٢
٣٠: ٦٢٠
٣٠: ٦٤٧
٣١: ٢٥٤
٢ ٦: ١٠- ٥١١
٧: ٨- ٥٠٤
٨: ٣٥
١٠: ١٥٨
١٠: ١٢- ٤٢٣
١٥: ٣٥٩
١٥: ٥٣٠
١٦: ٣٤
١٦: ٥١١
٣ ١٠: ١١- ٦٩٥
١٥: ٢٦٣
٣ ١٦: ٣٦٩
١٦: ٣٧٥
٢٠: ١٦٨
٤ ١: ٥٠١
٥: ١٩٢
١١: ١٣- ٢٦
٦ ٢: ٣- ٣٨٤
٣: ٢٦١
٩: ١١- ٢٥
٩: ١١- ٢٣٧
١١: ١٥١
١١: ١٥٦
١١: ٣٢٠
١٥: ٣٣٩
١٨: ٦٠٥
١٩: ٣٣٩
١٩: ٢٠- ٢١٨
٢٠: ٥١٨
٧ ١٧: ٥٣٥
٢٣: ٢١٨
٢٩: ٣١- ٦٠٨
٣١: ٥٢٦
٣٤: ٥٢٣
٨ ٦: ٤٦٨
٩: ١٣- ٦٥٨
٩ ٧: ٣٢١
١٦: ١٤٤
١٦: ١٤٥
١٩: ٦٤٩
١٩: ٦٥٠
١٩: ٢٣- ٦٦٦
٢١: ٦٤٨
٢٢: ٦٤٧
٢٥: ٦٠٥
٢٧: ٣٦٦
٢٧: ٦٠٥
١٠ ٣١: ٤٨٨
٣١: ٥٥٥
٣١: ٣٣- ٦٤١
٣٣: ٦٦٧
١١ ١٨: ١٩- ٧٢١
٢٠: ٢٢- ٧٢٢
٢٩: ٥٩٠
٣١: ١٨٣
١٢ ٣: ٣٧١
٤: ٦- ٥٣٦
٧: ٥٣٥
١٠: ٥٤١
١٢: ١٣- ٥٣٧
٢٧: ٥٣٧
٢٨: ٥٣٨
٢٨: ٥٤٣
١٣ ٤: ٦- ٦٠٤
٥: ٦٦٧
٦: ٥٤٩
٧: ٦٠٤
١٢: ٦١٣
١٤ ١: ٥- ٥٣٩
٢٤: ٢٥- ٥٣٩
٢٩: ٥٤١

١٤	٣٢	١٢٨
١٥	١٠	٤٨٣
	١٠	٥١١
	٢١	٩٣
	٢١	٢٧٢
	٢٢	٩٣
	٢٢	٢٧٢
	٢٢	٢٧٨
	٢٥	٣٨٦
	٣٣-٣٤	١٧٦
	٤٥	٢٨٠
	٤٥	٣٧٣
	٤٥-٤٧	٤٠
	٤٧	٣٧٣
	٤٩	٤٠٨
	٥٣	٣٨٩
	٥٥-٥٦	٣٠٥
	٥٨	٥٧٠
١٦	١٦	٧١٠
	١٩	٢٦
	٢٢	٤٦٥
	٢٣	٧٢٦

كورنثوس الثانية

١	٣-٥	٥٥٧
	٥	٣٨٧
	٨-١٠	٥٥٨
	٢٠	١٢٨
	٢١-٢٢	٢٩٦
	٢٣	١٤٢
٢	١١	٣٤
	١١	٣١٣
	١٤	٧٢٥
	١٥	٥٢٥
	١٥-١٦	٣٥
	١٥-١٦	١٤٨
	١٦	١٦١
	١٦	٥٢٥
	٢٠	٢٤
٣	٦	٣٢٩
	٧-٨	٤٢٤
	١٤-١٦	٥٠٤
	١٧	٣٥٠
	١٧	٣٦٠
	١٨	١٥٨
	١٨	٤٠٧
٤	٥	١٣٦
	٥	٤٦٥
	٥	٦٦٩
	٦	٢١٤
	٨-١١	٥٥٧
	١٠	٥٧٠
	١١	٢٦٦
	١٢	٥٦٩
	١٦	٣٤٦
	١٧	١٥٨
	١٧	٣٨٧
	١٧	٤٠١
	١٧	٥٥٨
	١٨	٣٩٤
٥	٧	٣٩٥
	١٢	٧٠٨
	١٤-١٥	٦٤١
	١٥	٢٩٩
	١٥	٥٢١
	١٧	٢٩٩
	١٧	٤١١
	١٧-١٨	٩٥
	١٨	٩٣
	١٨	٢٦٤
	١٨	٣٨٠
	١٨-١٩	٣٥٦
	١٩	٩٣
	١٩	٢٥٣
	١٩	٢٦٤
	٢٠	٩٣
	٢٠	١٢٣
	٢٠	٥١١
	٢١	٩٦
	٢١	١٥٧
	٢١	٥٦٩
٦	٢	١٨٥
	٢	٢٦٧
	٢	٦٠٩
	٤-٧	٣٤
	٦	٥٤٨
	٧	٦١٥
	٧	٦١٦
٧	٤-٦	٥٥٧
٨	٩-١٥	٧٠٠
	١٥	٥٩٧
٩	١-٥	٧٠١
	٥-١٥	٥٤٥
	٦-٩	٧٠١
	١٠-١٥	٧٠١
١٠	٣-٥	٣١٢
	٤-٥	٦١٥
	٥	١٣٥
	٥-٦	١٤٤
	٥-٦	٦٩٢
	٨	١٢٣
	١١	٦٩٤
١١	٢	٥٢٣
	٢	٦٩٣
	٣	٣٣٥
	١٣-١٥	٧٢٢
	١٩	٦٢١
	٢٥	٢٤
	٢٧-٢٩	٦٩٣
	٢٩	٦٦٦
	٣١	١٤٢
١٢	٥-١٠	٢٥٦
	٩	٢٥٧
	٩	٤٨٣
	٩	٦٦٦
	١٠	٢٥٧
	١٠	٥٥٨
	١٠	٦٦٦
	١٥	١٤٥
	١٦	٥٥
	٢٠-٢١	٢٦
	٢١	١٧١
١٣	٤	٢٦٦
	٤	٦٢٨
	٥	٤٩٨
	١٤	٧٢٦

لاويين (سفر)

١٦	٢	٢١٩
	٢	٤٢٢
١٨	٥	٢٤٢
	٥	٤٦٠
١٩	١٨	٦٠٢

لوقا (إنجيل)

١	٤٤	٦٥٣
	٦٨-٦٩	٢٢٠
٢	٢٢	٥١٩
	٢٥-٣٢	٤٨٦
	٣٢	٤٢٧
	٣٢	٤٩٢
	٣٢	٦٨٠
	٣٨	٢٢٠
	٣٨	٤٨٦
٣	٨	٤٣٣
٦	٢٠	٦٩٩
	٢٢-٢٣	٣٨٨
	٢٦	٥٩١
	٣٦	٧٠٣
	٤٥	٥٦٩
٧	٤٧	٢٨٩
٨	٣	٧٠٩
٩	٥١	٦٩٧
١٠	٥-٦	٧٠٢
	٢١	٥٣٢
١١	١٣	٥٥٤
	٥٢	١٩٣
١٢	١	٥٤٧
	٤٨	٦٦٤
١٤	٢٣	٤٩٢
	٢٣	٥٠٣
١٥	٣١	٦١٠
١٦	٢٢	٤٢٤
١٧	١٠	٣٣٢
	١٠	٤٥٨
١٨	٧-٨	٥٥٩
	٩-١٣	١٨١
١٩	٤١-٤٢	٤١٨
	٤٤	٦٠٩
٢٠	٣٨	٤٢٤
٢١	٢٨	١١٤
٢٢	٢٤-٢٧	٥٥١
	٢٧	٦٧٦
	٤٨	٥٤٨
٢٣	١٨	٥٩١
	٣٤	٥٠٨
٢٤	٢١	٢٢٠
	٢٥-٢٦	٣٨٥
	٤٥	٧٠٣

متى (إنجيل)

١	٢١	١٢٤
٣	٩	٢٤٤
	٩-١٠	١٨٣
٤	١٦	١٢٦
٥	٦	٦٥٢
	٩	٦٥٢
	٩	٦٥٦
	١١	٦٩٩
	١٢	٦٥٢
	١٣	٣٩٩
	١٤	٣٩٩
	١٤-١٦	٥٦٩
	١٦	١٥٥
	١٦	٥٣٠
	١٧	٢٨٨
	١٧	٦٠٠
	١٧-١٨	٢١١
	٢٠	٣٣٢
	٢٢	٥٧٢
	٢٢	٥٧٣
	٢٤	٦٠٧
	٢٥	٥٦٦
	٢٥-٢٦	٥٩٨
	٣٩	٥٦٦
	٤٠	٥٦٦
	٤٠	٦٠٠
	٤١	٥٦٦
	٤٢	٣٧٨
	٤٢	٥٦٦
	٤٢	٥٩٩
	٤٣	٦٠٤
	٤٤	٥٦٤
	٤٤	٥٧٦
	٤٤	٦٩٩
	٤٦-٤٧	١١٥
٦	٢	٥٤٧
	٥	٥٤٧
	١٥	٦٧٤
	١٦	٥٤٧
	٢٤	٣١٦
	٢٦-٣٠	٣٩١
	٣١-٣٣	٦٥٢
٧	٥	٥٤٧
	٦	٧٠٥
	٢١	١٨٠
٨	١٧	٦٦٥
٩	١٢	٢٦٠
١٠	١٢-١٣	٦٥٤
	١٦	٧٢٤
	٢٣	٦٩٩
	٢٩	٣٩١
	٤٢	٧٠٥
١١	١٢	٥٥٩
	٢٥	٥٣٠
١٢	٨	٦٣٨
	٢٠	١٢٦
١٣	١٢	٥٧٠
	١٣	٤٧٢
١٥	٧	٥٤٧

١٥	٩	٤٤٧
	١٤	١٩٤
	١٤	١٩٧
	١٦	٤٦٧
	٢٤	٦٧٧
١٦	٣	٥٤٧
	١٨	٥٣٦
	١٨	٦٥٣
	١٨	٧٢٥
	٢٦	٤٢١
١٧	٢	٥٢٦
١٨	٧	٤١٦
	١٠	٢٧٤
	٢٣-٣٥	٦٣٤
٢٠	١٨-١٩	٦٩٧
	٢٤	٢٢٠
	٢٨	٦٩٣
٢١	١٣	١٩٤
	٤٢-٤٤	٤٤٨
	٤٣	١٠٩
٢٢	١٨	٥٤٧
	٢١	٥٩٦
	٣٢	٢٧٤
٢٣	٢-٣	١٩٤
	١٣	٥٤٧
	١٤	١٩٤
	١٤	١٩٧
	١٥	١٩٤
	٢٣	١٩٤
	٢٤	١٩٤
	٢٥	١٩٤
	٢٧	١٩٤
	٢٧	١٩٨
	٢٨	١٩٤
	٢٨	٥٤٧
	٣٥	٢٣٢
٢٤	١٣	٥٦٣
٢٥	٢٦-٣٠	٥٥٣
	٣٤-٤٠	٥٤٦
	٣٥	٥٦٢
	٣٥-٣٦	٦٠٠
	٣٥-٣٦	٦٣٢
	٤٠	٥٦٠
	٤٠	٧٠٥
٢٦	٣٨-٤٠	٧٠٤
	٤١	٣١١
٢٧	٢٥	٥٠٨
	٤٧	٢٩٢
٢٨	١٩	٥٦٣
	٢٠	٢٩٧

مرقس (إنجيل)

١	١٣	٣٩١
٤	٣٩	٣٩١
	٤١	٣٩١
٧	٦	٢٠٥
	٦	٤٥٥
	١٤-١٥	٦٤٧
٨	٣٤	٤٠٧
	٣٨	١٤٧
١٠	٤٥	٢٢٠
	٤٥	٦٧٦
	٤٧	١٣٠
١١	١٧	٦٧٩
	٧	٥٧٩
	١٥	٥٤٧
	٣٥	٦٧٢
	٣٥-٣٧	١٣٠
١٥	٢١	٧١٧
	٣٤	١٦٢
١٦	١٥	٣٩٣
	١٥	٤٧٢
	١٥	٥٧١
	١٦	٨٨
	١٦	٢٩٧
	١٨	٣٩٤

مراثي ارميا (سفر)

٣	٢٢-٢٣	٢٩٩
	٢٤	٣٨٥

مزامير (سفر)

٥	٩	٢٠٧
٧	٩	٢٢٥
٨	٤-٨	٣٩١
١٠	٧	٢٠٧
	٧	٥٦٤
١٤	٢	٢٠٧
	٣	٢٠٧
١٨	٤٩	٦٧٧
١٩	٤	٣٧
	٤	٤٧٢
٢٢	٥	٢٥٧
٢٥	٢	٢٥٧
	٢٠	٢٥٧
٣١	١٢	٣٢٦
	٢٤	٤١٤
٣٢	٢	١٥٤
	٢	٤٣٤
٣٥	١٢	٧٠٥
	١٢-١٥	٥٦٥
	١٩	٥٦٥
٣٦	١	٢٠٧
٣٧	٢١	١٢٩
٤٠	٦	٣٦٣
	٦-٧	٤٥٨
٤٤	٢٢	٤١٥
٤٥	١	٢٥٨
	٧	١٢٤
٤٩	٧	٤٢١
٥٠	١٥	٦١٥
٥١	٧	٣٤٤
	١٦-١٧	٥٢٢
٥٣	٢	٢٠٧
	٣	٢٠٧
٦٨	٦	٥٠
٦٩	٩	٦٦٨
	٢٠-٢٤	٤٨٨
٧٣	٢٥	٣٨٥
	٢٥	٤١٥
	٢٦	٣٨٥
٧٤	٢	٣٨٣
٨٠	١	٢١٩
	٨	٤٩٥
٨٥	٥-١١	١٥٢
٨٩	٢٦-٢٧	٤٠٨
	٢٦-٢٧	٤١٠
٩٤	١١	١٦٨
	١٤-١٥	٤٧٨
١٠٤	٢٤	٥٨٩
١٠٦	١٩	١٦٩
١٠٧	١٠-١١	٨٣
١١٠	١	١٣٠
١١١	٦	٧١٣
١١٧	١	٦٧٩
١١٨	١٥٥	٤٦٦
١١٩	٦٢	٣٩٣
	٦٢	٦٢٦
	١٤٨	٦٢٦
	١٦٢	٦٢٦
١٤٠	٣	٢٠٧
١٤٣	٢	٢٢٥
١٤٨	١-١٠	٣٩٣

ملوك الأول (سفر)

٢	٥٠-٦٠	٢٣٦
٨	١١	٤٢٢
١٩	٤-٨	٦٥٢
	١٨	٤٨١

ملوك الثاني (سفر)

٦	١٦	٦١٥

نحميا (سفر)

١٣	٢٥	٥٦٤
١٤	١٧	٦١٦

نشيد الأنشاد

٦	٥	٥٥٩

هوشع (نبوة)

٤	١-٢	٥٦٤
٦	٦	٥٢٤
١١	١	٤٢٢
	١	٤٩٥

يشوع (سفر)

١٠	١٢-١٣	٣٩١

يعقوب (رسالة)

١	٢	٤٠٧
	٢	٥٥٩
	٦-٧	٢٤٧
	١٤	٩٩
	٢٠	٥٧٣
	٢٢	١٩٦
٢	١٣	٨٣
	١٨	٣٦٦
	٢٣	٢٤٠
٣	١٨	٣٢٧
٣	١٨	٥٧١
	١٨	٦٥٣
	١٨	٦٥٥
٤	٧	٦١٥
٥	١٣	٥٥٩

يهوذا (رسالة)

٠	٦	٤٨٩

يوحنا (إنجيل)

١	١٤	٢١٤
	١٤	٢١٩
	١٨	٢١٤
	٤٠-٤١	٤٨٦
	٤٥	٤٨٦
	٤٧	٤٢٨
	٤٧	٤٣٣
	٤٩	٤٣٣
٢	١٧	٥٧٣
٣	٦	٣٧٠
	٦	٣٧٣
	١٠	٥٢٧
	١٦	١٠٣
	١٦	٤٨١
	١٦	٥٣١
	١٦	٦٠٣
	٢٦	٦٢٨
	٣٠	٢١١
٤	٢٢	٤٩٦
	٢٢	٦٧٥
	٢٣-٢٤	٣٦٥
	٢٤	٥٢٤
	٣١	٢٠٦
	٣٦	٦٩٤
٥	٢٥	٣٧٥
	٢٨-٢٩	٣٧٥
	٢٩	٣٣٤
	٤٢-٤٤	٤٥٥
	٤٤	١٩٤
	٤٥	١٩٦
٦	٩	٣٢١
	٥٤	٩٥
	٥٧	٥٥٠
	٥٧	٧١٩
	٦٣	١٩٦
	٦٨	١٩٦
٨	٧	١٨٢
	١٠-١١	١٩٢
	٣٤-٣٦	٣١٦
	٣٦	٣٦٠
	٣٩-٤٤	١٩٤
	٤٣-٤٤	٤٨٨
	٤٤	٣٦٨
	٤٨	٦٨٠
	٤٩	٦٨٠
	٥٦	٨٥
١٠	١٦	٦٩١
	١٨	١٣١
	١٨	٢٩٨
١١	٢٥	١٣١

١١ :٢٥ ٢٩٧
:٢٦ ٣٥٥
١٢ :٣٢ ٥٠٨
:٤١ ٢١٤
:٤٨ ٦٤٤
١٣ :١١ ٦٩٨
:١٢-١٤ ٥٥١
١٤ :١ ٤٦٩
:١٧ ٢٠٢
:١٩ ٣٥٥
:١٩ ٣٧٣
:١٩ ٥٢٠
:٢١ ٢١٤
:٢١ ٣٧٨
:٢٣ ٣٦٩
١٥ :٣ ١٩٦
:٥ ١٠٣
:٥ ٣٧٠
:٥ ٤٩٥
:١٢ ٦٠١
:١٣ ٥٥٢
:١٥ ٤٢٣

١٥ :٢٤-٢٥ ٤٤٧
:٢٤-٢٥ ٤٧٤
:٢٥ ٧٠٥
:٢٦-٢٧ ٣٧١
:٢٧ ٢٩٩
١٦ :١٣ ٣٧٩
:١٤ ٦٦٨
:٢٢ ١٣٨
:٢٢ ٦٥٤
:٢٧ ٢٥٨
:٢٧ ٣٨١
:٢٧ ٣٨٤
:٣٢ ٢٩٧
:٣٣ ٤١٦
:٣٣ ٥٥٨
:٣٣ ٥٦٩
:٣٣ ٧٠٣
١٧ :٤ ٢٧١
:١٧ ٣٩٩
:٢٢ ٢١٤
:٢٢ ٣٨٣
:٢٤ ٢١٥

١٧ :٢٤ ٣٨٣
:٢٦ ١٣٨
:٢٦ ٣٨٣
١٨ :٣٦ ١٣٢
١٩ :١١ ٤٩٠
:١١ ٥٨٢
:١٩ ٦٧٧
٢٠ :٢٩ ٦٩٦
:٣٠-٣١ ١٨

يوحنا الأولى

١ :٧ ٥٥٦
:٧-١٠ ٣٠٩
:٨ ٦١٠
:٨-٩ ٣٧١
:٩ ٩١
:٩ ٤٥٦
٢ :١ ٣٩٩
:١-٢ ٣٠٩
:١-٢ ٣٤٥
:٢١ ٣٧١
٣ :١ ٢٢٦

٣ :٢ ٤٠٨
:٧ ٣١٦
:٨ ٣١٦
:٩ ٩١
:١٢ ٢٣٢
:١٤ ٦٠١
:١٦ ٦٠٠
:٢١ ٦٢٧
٤ :٨ ٦٠١
:٩ ٤٨١
:١٠ ٢٦١
:١٩ ٢٥٩
:١٩ ٤٨١
٥ :٤-٥ ٧٠٣
:١٦ ٩١

يوئيل (نبوة)

٢ :٢٧-٣٢ ٤٦٨
:٢٨ ١٢٦

الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة والمؤلفين الكنسيين

فهرس موضوعي

لكتاب شرح رسالة القديس بولس الرسول
إلى أهل رومية

ooo

تُطلب من:

دار مجلة مــرقس

القاهرة: ٥٠ «أ» شارع شبرا ـ ت ٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٣٤٤ طريق الجيش ـ جليم ـ ت ٥٨٦٦٤٤٥